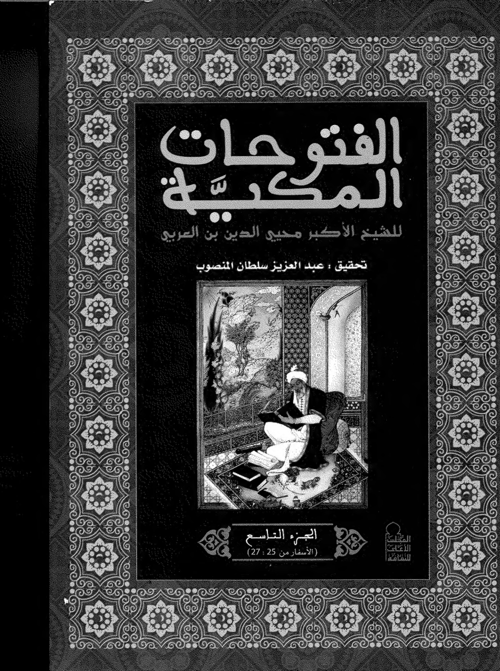

الفتوحات
المكيَّة
للشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي
تحقيق : عبد العزيز سلطان المنصوب
الجزء التاسع
(الأسفار من 25 : 27)
المجلس
الأعلى
للثقافة

الفتوحات المكية

الجزء التاسع-الأسفار ٢٥-٢٧

المجلس الأعلى للثقافة

ابن عربى، محمد بن على بن محمد ابن عربى
ابو بكر، ١١٦٥ - ١٢٤٠.
الفتوحات المكية/محمد بن على بن محمد ابن العربى الطائى الحاتمى محيى الدين بن العربى؛ تحقيق عبد العزيز سلطان المنصوب. ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٣.
مج ٩، ٢٨ سم.
تدمك ٦ ٥٤٦ ٤٤٨ ٩٧٧ ٩٧٨
١ ـ التصوف الاسلامى.
٢ ـ فتح مكة.

رقم الإيداع بدار الكتب ١٥٥٥٣ / ٢٠١٣

I. S. B. N 978 - 977 - 448 - 546 - 6

ديوى ٢٦٠

الأفكار التى تتضمنها إصدارات المجلس الأعلى للثقافة هى اجتهادات أصحابها ولا تعبّر بالضرورة عن رأى المجلس.

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت : ٢٧٣٥٢٣٩٦ فاكس : ٢٧٣٥٨٠٨٤
El. Gabalaya st. Opera House, El Gezira, Cairo
Tel: 27352396 Fax: 27358084
www.scc.gov.eg



الفتوحات المكية

للشيخ الأكبر

محمد بن علي بن محمد ابن العربي الطائي الحاتمي

محيي الدين بن العربي

تحقيق

عبد العزيز سلطان المنصوب

السفر الخامس والعشرون من الفتوح المكّيّ[1]

[1] العنوان ص ١ب، ويليه بقلم الشيخ الأكبر: "إنشاء الفقير إلى الله تعالى محمد بن علي بن العربي الطائي. رواية مالك هذه المجلدة محمد بن إسحق القونوي عنه" ثم "قوبل به" يليه: "وقف هذا الكتاب صاحبه المذكور اسمه بخط المؤلف أعلى هذا المكتوب، رضي الله عنهما، في المكان والشرط المعلوم المذكور في أوائل الكتاب وأواخره. تقبل الله منه. وليس لأحد أن يغير شرطه، فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم" ثم ختم الأوقاف الإسلامية برقم ١٧٤١. وفي الصفحة السابقة وهي الصفحة الداخلية للغلاف يوجد طابع دمغة برقم ١٨٦٩، وطابع آخر برقم ١٧٤١، وإشارة إلى عدد صفحات المخطوط: ٢٩٧ صحيفة.

رموز مستخدمة في التحقيق

﴿ ﴾	آيات قرآنية
« »	حديث شريف
( )	إضافات أدخلت على الأصل
ق	نسخة قونية
س	نسخة السليمانيّة
هـ	نسخة القاهرة

- إذا جاء التعبير في الحاشية من غير تحديد نسخة فالمقصود به نسخة قونية باعتبارها الأصل.
- عندما تقتصر الحاشية على تعبير مثل: (ص ١) أو (ص ١ب) مثلا، فذلك يعني أنّ الكلمة التي تدلّ عليها هذه الحاشية هي الكلمة الأولى في ص ١ في مخطوط قونية (جهة اليمين) أو (جهة اليسار) على التوالي.

الصفحة الثانية من مخطوط قونية

الصفحة الأخيرة من مخطوط قونية

بسم الله الرحمن الرحيم[١]

الباب الثالث والستّون وثلاثمائة

في معرفة منزل إحالةُ العارفِ مَن لم يَعرفه على مَن هو دونَه لِيُعْلِمَهُ ما ليس في وسعه أن يُعْلِمَهُ، وتنزيه الباري عن الطرب والفرح

وَضْعُ المَوازيْنِ لِلْحِسابِ	جاءَ بِهِ ناطِقُ الكِتابِ
كتابَ ذاتٍ بِلا يَرَاعٍ	وَلا مِـدادٍ وَلا اكْتِسابِ
وَلا صِفاتٍ وَلا نُعُوتٍ	وَلا ذهـــابٍ وَلا إيابِ
فإنْ يَتُبْ لِلذِي اعْتَرَاهُ	قــابَلَهُ قابِــلُ المَتــابِ
طالبه الشُّكرَ في قُدُوْرٍ	وفي جِفانٍ مِثْلِ الجَوابِي[٢]

هذا منزل التوحيد الفعلي، أعني: توحيد الأفعال، أي: لا فاعل إلّا الله. وهو[٣] منزل شريف.

فاعلم أنّ العالم لم يزل في حال عدمه، مشاهدا لواجب الوجود؛ لأنّه لم يزل في عدم مرجّح، وهو ثابتُ العين. وقد وصفه الحقُّ، في حال عدمه، بالسمع والطاعة له؛ فلم يستحل عليه إضافة المشاهدة؛ ولهذا لم ينكره أحد من الممكنات في حال وجوده. إلّا أنّ هذا الموجود الإنساني، وحده من بين العالم، أشرك بعضُه به، ممن غَلَبَ عليه حجابُ الطبع، وهو ما اعتاد أن يسمع ويطيع ويعبد بالأصالة، إلّا لربّ يشهده. وقد صيّر ذلك المعبودُ حجابَ الطبع غيبا له؛ فاتّخذ (هذا البعضُ) ما اتّخذ من الموجودات التي يشهدها ويراها -إمّا من العالم السماوي كالكواكب، وإمّا من العالم الأسفل كالعناصر، أو ما تولّد عنها- ربّا يعبده، على المشاهدة التي اعتادها، وسكنتْ نفسُه بها إليه، وتوهّم -في نظره- أنّ ذلك المتخذ إلها، يَشهدُ الحقَّ، وأنّه أقرب إليه منه. فعبّد نفسَه له خدمة؛ ليقرّبه إلى الله ﷻ كما أخبر اللهُ عنهم أنّهم قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾ يعني الآلهة الذين اتّخذوهم

---

١ البسملة ص ٢
٢ الجابية: (مفرد الجوابي) الحوض الذي يجبي فيه الماء للإبل
٣ ص ٢ب

للعبادة ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[1] فأكّدوه بـ﴿زُلْفَى﴾، وكان هذا عن نظر واجتهاد.

ثمّ رأوا أصحابَ الشرائع المنزلة الإلهيّة قد قيّدوا الناس بالسجود، ووضع الوجوه على[2] الأرض، والركوع، والاستقبال، على طريق القربة إلى الله في جهة معيّنة، وتقبيل حجرٍ، قالوا لنا: «إنّه يمين الله» وجاءوا لتعظيم[3] شعائر وأعلام محدَثات أضافوها إلى الله، وجعلوا تعظيمنا إيّاها - أي تلك[4] الشعائر والمناسك- من تقوى القلوب، وقرنوا بذلك التعظيم، إذا ظهر منّا[5]، سعادتنا؛ فزادهم ذلك اعتمادا على ما قرّروه ونصبوه من الآلهة والشرائع، ولم يفرّقوا بين ما هو وضعٌ لله في خلقه، وبين ما وضعوه لأنفسهم من أنفسهم. وكلامنا إنّما هو مع الأئمّة أصحاب النظر الأوّل، الذين وضعوا هذه الأمور معبودةً لهم على طريق القربة إلى الله ﷻ.

ثمّ إنّهم مما اغترّوا به (هو) ما رأوه وسمعوه، في الشرائع الإلهيّة، من سعادة المجتهد على الإطلاق، سواء أخطأ أو أصاب؛ فالأجر له محقّق بعد استيفاء النظر في حقّه، والاجتهاد في زعمه، على قدر ما أعطاه الله في نفسه من الاستعداد. فتخيّلوا، فيما ليس ببرهان، أنّه برهان على ما طلبوه؛ فما اتّخذوه إلها إلّا عن برهان في زعمهم، وهو قوله: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾[6] يعني في زعمه. فدلّ على أنّه مَن قام له برهان في نظره، أنّه غير مؤاخَذ. وإن أخطأ، فما كان الخطأُ له مقصودا، وإنما كان قصدُه[7] إصابةَ الحقّ على ما هو عليه الأمر. وأصلُ هذا كلّه أن لا يعبد غيبا؛ لأنّه بالأصالة ما تعوّده.

ولهذا جاء جبريل عليه السلام ليعلّم النبيّ ﷺ وأصحابه ما هو الأمر عليه، في صورة أعرابيّ. فقال النبيّ ﷺ لأصحابه لمّا أدبَر (جبريل): «أتدرون من هذا؟» أو قال: «رُدّوا عليّ الرّجُل» فالتُمِس، فلم يجدوه. فقال النبيّ ﷺ: «هذا جبريل جاء ليعلّم الناس دينهم» وكان فيما سأله أن قال له: «ما

١ [الزمر : ٣]
٢ ص ٣
٣ س، ه: بتعظيم
٤ س، ه: لتلك
٥ ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٦ [المؤمنون : ١١٧]
٧ ص ٣ب

الإحسان؟» فقال له النبيّ ﷺ في الجواب: «أن تعبد الله كأنّك تراه» لمّا علم أنّ العبادة على الغيب تصعب على النفوس، ثمّ تمّم وقال: «فإن لم تكن تراه فإنّه يراك» أي أَحْضِرْ في نفسك أنّه يراك. وهو نوع آخر من الشهود من خلف حجاب، تعلم أنّ معبودك يراك، من حيث لا تراه، ويسمعك. فما أتانا الشرع في هذا كلّه إلّا بما كان فيه لهؤلاء اغترارٌ وإليه استنادٌ. ولذلك قال تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾[1] وقال: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[2] وهو الذي يرزق الإصابة في النظر، والذي يرزق الخطأ. فخرج[3] من مضمون هذا كلّه، أنّ العبادة لا تتعلّق من العابد إلّا بمشهود، أو كالمشهود، لا سبيل إلى الغيب. وهذا من رحمة الله الخفيّة وألطافِهِ.

وما خرج، عمّا ذكرناه، إلّا المقلِّدة. فبهم ألحق الشقاء. فجعل لهم الحقُّ في الشرع المنزل مستندا من رحمته بهم، يستندون إليه فيه. فقال: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[4] وأهلُ الذِّكْر هم أهل القرآن؛ فإنّ الله -تعالى- يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾[5] وهو القرآن. وهم أهل الاجتهاد، ومنهم المصيب والمخطئ. فإذا سأل المقلِّدُ مَن أخطأ من أهل الاجتهاد في نفس الأمر، وعمل بما أفتاه؛ فإنّه مأجور؛ لأنّه مأمور بالسؤال؛ فاستند مقلّدو النظّار الذين أخطؤوا في نظرهم في الأصول، مع توفية ما أدّاهم إليه استعدادهم إليهم، فيما أفتوهم فيه من اتّخاذهم الآلهة دون الله. وإن لم ينظروا فإنّ الله ما كلّف نفسا إلّا وُسعها، وهو ما جعل فيها. فعمّت رحمتُه الأئمّةَ والمأمومين؛ فما في العالَم إلّا موحِّد، أي مستنِد إلى واحد.

وقد علمت من هذا المساق: ما الشرك؟ وما صفة المشرك؟ وقد أعذرهم[6] الله من وجه، فقال لهم: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا[7]﴾[8] هذا إذا قصد العبدُ فِعل

١ [البقرة : ٢٦]
٢ [النحل : ٩٣]
٣ ص ٤
٤ [النحل : ٤٣]
٥ [الحجر : ٩]
٦ س: عذرهم.
٧ ص ٤ب
٨ [الزمر : ٥٣]

الذنب، معتقدا أنّه ذنب. فكيف حال مَن لم يتعمّد إتيان الذنب، واتّخذ ذلك قربةً لشبهة قامت له؟ فهو أحقّ بالمغفرة.

وأمّا مؤاخذاته أهلَ الشرك على القطع بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾[1] فهو ظاهر لقرينة الحال. وأمّا من طريق اللسان، فهو الواقع. فإنّ الله ما ستر الشرك على أهل الشرك، بل ظهروا به؛ فهو إخبار بما وقع في الوجود من ظهور الشرك. وسَتَرَ ما دون ذلك، لمن يشاء أن يستر. فإنّ ثَمّ، أمورا لم تظهر لعين ولا لعقل، كما جاء في وصف الجنّة: «فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر» ولكنّ قرائن الأحوال تدلّ على القطع بمؤاخذة المشركين.

ثمّ لم يذكر -سبحانه- ما هو الأمر عليه فيهم بعد المؤاخذة، التي هي إقامة الحدّ عليهم في الآخرة، يوم الدين؛ الذي هو الجزاء. فيدخلون النار مع بعض آلهتهم؛ ليتحقّقوا مشاهدةً أنّ تلك الآلهة لا تغني عنهم من الله شيئا؛ لكونهم اتّخذوها عن نظرهم، لا عن وضع إلهيّ.

فانظر -يا وليّ- في عدل الله وفضلِه. فله الحمد على كلّ حال، وهذا حمدٌ نبويٌّ صحيح؛ فإنّ الثناء على كلّ حال (قائم) من مشرك وغير مشرك. فإنّ المشرك، كما قلنا، ما جعل العظمة والكبرياء إلّا لله، وجعل الآلهةَ كالسدنة[2] والحجّاب؛ فما عبدوهم إلّا من أجله. وإن أخطئوا فيهم، فما أخطئوا في الأجْليّة، فهم أيضا من الحامدين الله؛ إذ كانوا أهلَ ثناء على الله؛ بتوحيد عظمته، وإيثاره على هؤلاء الحَجَبة. فاجعل بالك لرحمة الله السابقة الواسعة، التي بَسَطها الله على خلقه ترشد للحقّ -إن شاء الله-.

وأمّا اختلاف العقائد في الله، في أصحاب الشرائع الإلهيّة وغيرهم، فإنّ العالَم لو آخَذَهم الله -تعالى- بالخطأ، لآخذ كلَّ صاحب عقيدة فيه، فإنّه قد قيّد ربَّه بعقله ونظره، وحصَرَهُ، ولا ينبغي لله إلّا الإطلاق؛ فإنّ بيده ملكوت كلّ شيء؛ فهو يقيّد ولا يتقيّد. ولكن عفا الله عن الجميع.

١ [النساء: ٤٨]
٢ ص ٥

فمَن أراد إصابة الحقّ، وأن يوفّيه حقّه؛ يوفّقه لِعلمه بسعته واتّساعه، وأنّه عند اعتقاد كلّ معتقِد، مشهودٌ لا يصحّ أن يكون مفقودًا عند اعتقاد المعتقِد؛ فإنّه ربط اعتقاده به، ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[1] فصاحب هذا العلم يرى الحقّ دائمًا وفي كلّ صورة؛ فلا ينكره إذا أنكره مَن قيّده. ومع هذا، فالله قد عفا عمّن قيّده بتنزيهٍ أو تشبيهٍ، من أئمّة الدّين.

ثمّ انظر في شهادة الله ﷻ عند نبيّه ﷺ في حقّ المشركين: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ[2] خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[3] تنبيه عجيب، ولمّا قيل لهم: ﴿اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ﴾ وما رأوا له عينا، ولا يعلمونه إلّا مسمّى الله، ولم يعلموا أنّه عين[4] مسمّى الرحمن؛ فتخيّلوا في الرحمن أنّه شريك لله؛ فأنكروا ذلك. لم ينكروا ذلك فيمن نصَبُوه إلها، على ما قررناه، لأنّهم عالمون بأسماء مَن نصَبُوهم آلهة من دون الله. فعلموا، بأسمائهم، أنّهم ليسوا في الحقيقة في الألوهة مثله، فإنّ له -تعالى- عندهم توحيد العظمة والكبرياء. ودلّهم بالسجود للرحمن على عبادة غيب، فـ﴿قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾[5] لأنّهم ما علموا في الغيب إلها إلّا واحدا. فقال الله لنبيّه ﷺ: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[6] فتعجّبوا من ذلك غاية التعجّب؛ لأنّهم تخيّلوا أنّ مسمّى "الرحمن" ليس هو مسمّى "الله" وإن كان لكلّ واحدٍ الأسماء الحسنى. وذلك لَمّا أعمى اللهُ بصائرَهم، وكثّف أغطيتَهم، فلم يعقلوا عن الله ما أراد بما أنزله في حقّهم. وجعل الحقُّ ذلك، أيضا، مستندًا لهم حيث جاء إليهم باسمٍ يطلب مسمّى، لا يعرفون هذه العلامة له، حين علم ذلك أهلُ الله وخاصّته.

فالله[7] والرَّبُّ والرَّحمنُ والمَلِكُ ... حقائقٌ كُلّها في الذاتِ تَشْتَرِكُ
فالعَيْنُ واحِدةٌ والحُكْمُ مُشْتَرَكٌ ... لِذا بَدَا الجِسْمُ والأرْواحُ والفَلَكُ

١ [سبأ: ٤٧]
٢ ص ب
٣ [الزخرف: ٨٧]
٤ ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٥ [الفرقان: ٦٠]
٦ [الإسراء: ١١٠]
٧ ص ٦.

وكُلُّهـا أدواتٌ بَـيْنَ خالِقِنـا … وبَيْنَنـا وَلِهـذا يَضْـمَنُ الدَّرَكُ
جاءتْ بِها رُسُلُ الرحمنِ قاطِبَةً … مَعَ الكِتابِ الذِي قَدْ ساقَهُ المَلَكُ

واعلم أنّ العلم بالله له طريقان: طريقٌ يستقلُّ العقل بإدراكه قبل ثبوت الشرع، وهو يتعلّق بأحديّته في ألوهته، وأنّه لا شريك له، وما يجب أن يكون عليه الإله الواجبُ الوجود. وليس له تعرُّض إلى العلم بذاته -تعالى-. ومن تعرَّض بعقله إلى معرفة ذات الله، فقد تعرَّض لأمر يَعجز عنه، ويُسيء الأدب فيه، وعرَّض نفسه لخطر عظيم. وهذا الطريق هو الذي قال فيه الخليل إبراهيم عليه السلام لقومه: ﴿أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[1] فنبّههم[2] على أنّ العلم بالله، من كونه إلها واحدا في ألوهته، من مدرَكات العقول. فما أحالهم إلّا على أمر[3] يصحّ منه أن ينظر، فيعلم بنظره ما هو الأمر عليه.

والطريق الآخر: طريق الشرع بعد ثبوته. فأتى بما أتى به العقلُ من جهة دليله: وهو إثبات أحديّة خالقه، وما يجب له ﷺ. والمسلك الآخر من العلم بالله: العلم بما هو عليه في ذاته. فوصفه بعد أن حكم العقل بدليله؛ بعصمته فيما ينقله عن ربّه من الخبر عنه -سبحانه- مع ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[4] وأن لا يُضربَ له مَثَلٌ، بل هو الذي يَضرب الأمثال؛ لأنّه يعلم ونحن لا نعلم. فنسب إليه أمورا -تعالى- لا يتمكّن للعقل، من حيث دليله، أن ينسبها إليه، ولا يتمكّن له ردّها على مَن قام الدليل العقلي عنده على عصمته.

فأورثه ذلك حيرة بين الطريقين، وكلا الطريقين صحيحان، لا يَقدر على الطعن على أحدهما. فمن العقلاء مَن تأوّل تأويل تنزيه، وتأيّد وعضد تأويله بـ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وبقوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾[5]. ومن العقلاء مَن سلَّم عِلم ذلك إلى من جاء به، أو إلى الله. ومن العقلاء، مِن أهل اللسان، مَن شبّه. وعَذَرَ اللهُ كلَّ طائفة، وما طلب من عباده في حقّه؛ إلّا أن يعلموا:

---

١ [الأنبياء : ٦٧]
٢ رسمها في ق: فنبهم
٣ ص ٦ب
٤ [الشورى : ١١]
٥ [الأنعام : ٩١]

أنّه إله واحد لا شريك له في ألوهته لا غير، وأنّ له الأسماء الحسنى بما هي عليه من المعاني في اللسان. وقرَنَ[1] النجاة والسعادة، بمن وقف عندما جاء من عنده ﷺ في كتبه، وعلى ألسنة رسله -عليهم السلام-.

إذا أَبانَ الحَقُّ عَنْ نَفْسِهِ … بِنَفْسِـهِ فِي كُتْبِـهِ فاعْتَقِـدْ
فَمَا عَلَيْنـا مِـنْ جُناحٍ بِـهِ … وذَلِكَ العِـلم بِـهِ فاعْتَقِـدْ
فإنّ حَظَّ العَقْلِ مِنْ عِلْمِهِ … بِهِ الذِي يَنْفِي وُجُودَ العَدَدْ
وأنَّـهُ فِي شَـأْنِهِ وَاحِـدٌ … وأنَّـهُ اللهُ الذِي لَـمْ يَـلِدْ
كَذَاكَ لَمْ يُولَدْ لِمَنْ رامَهُ … بِعَقْـلِهِ عَـنْ فِكْـرِهِ لا تَـزِدْ

وبرهانُ ذلك -يا وليّ- اختلافُ المقالات فيه من العقلاء النظّار، واتّفاقُ المقالات فيه مِن كلّ مَن جاء مِن عنده، مِن رسول، ونبيّ، ووليّ، وكلّ مخبر عن الله. ولو وقف العاقل من المؤمنين على معنى قوله في كتابه: ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾[2] وعلِم أنّ ما أنتجه العقل من فكره؛ بتركيب مقدّمتيه؛ أنّ[3] تلك النتيجة، للعقلِ عليها ولادةٌ، وأنّها مولودة عنه[4]. وهو قد نفى أن يولَد، فأين الإيمان؛ وليس المولود إلّا عينه؟.

بخلاف ما إذا أنتج العقل نسبةَ الأحديّة له. فما معقوليّة الأحديّة للواحد، عَيْنُ مَن نسبت إليه الأحديّة[5]. فللعقل على الأحديّة ولادة، وعلى الاستناد إليه ولادة، وعلى كلِّ ما لا يكون عينه ولادة. فأمّا هويّته وحقيقته، فما لعقلٍ عليها ولادة. وقد نفى ذلك بقوله: ﴿لَمْ يُولَدْ﴾. ومن هنا تَعرف أنّ كلَّ عاقلٍ له في ذات الله مقالة؛ إنما عَبَد ما ولَّده عقله. فإن كان مؤمنا كان طعنا في إيمانه، وإن لم يكن مؤمنا فيكفيه أنّه ليس بمؤمن، ولا سيما بعد بعثة محمد ﷺ العامّة، وبلوغها إلى جميع الآفاق.

---

١ ص ٧
٢ [الإخلاص : ٣]
٣ ص ٧ب
٤ ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٥ أثبت في الهامش بقلم آخر: "الوحدانية" وبجانبها حرف "خ" وكذلك هي في س

وإنّ لله عبادا عملوا على إيمانهم، وصدَقوا الله في أحوالهم؛ ففتح اللهُ أعينَ بصائرهم، وتجلّى لهم في سرائرهم؛ فعرفوه على الشهود. وكانوا، في معرفتهم تلك، على بصيرة وبيّنة بشاهد منهم، وهو الرسول المبعوث إليهم. فإنّ الله جعل الرسل شهداء على أممهم، ولأممهم. فمع كون هذا المؤمن على بيّنة من ربّه حين تجلّى له، تلاه في تلك الحال شاهِد منه، وهو الرسول؛ فأقامه[1] له في الشهود؛ فرآه. فقال له: هذا الذي جئتك من عنده. فلمّا أبصره، ما أنكره بعد ذلك، مع اختلاف صور التجلّي. فربما كنّى عنه، مَن هذه حالته من المؤمنين، بما وصف نفسه في كتبه، أو على ألسنة رسله، أو وصفته به رُسله. فآمن العاقل المؤمن، بذلك، من كتاب الله، وقول الرسول. وكفر، بذلك، من قول صاحب هذه الحالة من المؤمنين المتّبعين.

وأمّا غير المؤمنين فهم الذين ﴿يَقْتُلُونَ النَّبِيِّيْنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾[2] وهم (أي الذين يأمرون بالقسط من الناس) الورثة الذين دعَوا إلى الله على بصيرة، كما دعَوا الرسلُ..قال -تعالى- عنه ﷺ: ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾[3] ومعنى البصيرة هنا: ما ذكرناه. أي على الكشف، مثل كشف الرسل. فكيف آمن بهذا، المؤمنُ، من الرسول، وكفر به، بعينه، من التابع رسولَ الله ﷺ (وهو) أخيه المؤمن، إذا جاءهُ به؟ فلا أقلّ من أن يأخذه منه حاكيا. وما رأينا، ولا سمعنا عن صاحب كشفٍ إلهيّ من المؤمنين، خالف كشفُه ما جاءت به الرسل جملةً واحدة، ولا تجده. فقد علمتَ الفرق بين العقلاء[4] في معرفة عينِه، وبين الرسل والأولياء، وما جاءت به الكتب المنزلة في ذلك. فالمؤمن عبْدُ ما أعطاه سبيلُه، والعاقل عبدُ ما أعطاه دليلُه.

وأَيْنَ حُكْمُ العَقْلِ مِنْ حُكْمِهِ ... سُبْحانَهُ جَلَّ عَلَى نَفْسِهِ
هَيْهاتَ لا يَعْرِفُهُ غَيْرُهُ ... إلّا بِهِ إذ لَيْسَ مِنْ جِنْسِهِ
والعَقْلُ قَدْ أَدْخَلَ مَعْبُودَهُ ... بِفِكْرِهِ القَاصِرِ فِي حَبْسِهِ

١ ص ٨
٢ [آل عمران : ٢١]
٣ [يوسف : ١٠٨]
٤ ص ٨ب

وَقالَ: هَذا وَلَدِي صُنْتُهُ ... فِي خَلَدِي فَهْوَ عَلَى قُدْسِهِ
كَلامُ حالٍ فإذا حُوقِقُوا ... قالوا: تَعالَى اللهُ فِي نَفْسِهِ
فَخالِقِي المَخْلُوقُ لِي فاعْتَبِرْ ... فِي فَرْعِهِ الأَعْلَى وفِي أُسِّهِ

فعليك بعبادة الله التي جاء بها الشرع، وورد بها السمع. ولا تُكفِّر، بما أعطاك دليلك، المؤدّي إلى تصديقه[1]. وقصارى الأمر أن تُسَلِّم له ولأمثاله مقالتَهُ في ربّه، لثبوت صدقه، وثبوت المؤمن على اتّباعه. فإذا أنصفتَ في الأمر، وعلمتَ ما نطقتْ به الرسل -عليهم السلام- في حقّ الله، جَوَّزْتَ أن تهُبَّ من تلك المعرفة نفحةٌ على قلوب المتّبِعين من المؤمنين، تؤدّيهم إلى الموافقة في النطق، وأنّه، حيث كان، لسان الحقّ؛ فتسلِّمه في الفرع، كما سلّمته في الأصل بجامع الموافقة.

وإيّاك والكفران فإنّه غاية الحرمان، فتكون من ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[2]. فـ﴿اعْبُدْ رَبَّكَ﴾ المنعوت في الشرع ﴿حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[3] فينكشف الغطاء ويحتدّ البصر؛ فترى ما رأى، وتسمع ما سمِع؛ فتلحق به في درجته من غير نبوّة تشريع؛ بل وراثة محقّقة، لنفس مصدِّقة متّبِعة.

وهذا باب يتّسع المجال فيه لاتّساع الأفعال. فإنّ توحيد الأفعال يتّسع باتّساعها، فإنّ نِسَبَ الأفعال لا تنتهي، بل هي في مزيد ما دام الفعل يظهر من الفاعل. ومنه طلب المزيد في قوله تعالى: ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[4] فإنّ له في كلّ فعل تجلّيا خاصّا لا يكون إلّا لعين ذلك الفعل. ولهذا يتميّز كلّ فعل عن غيره بما يخصّه من التجلّي.

قَدْ[5] قُلْت فِي الحَقِّ الذِي قُلْتهُ ... لا تَرْعَوِي فِيْهِ[6] وَلا تَأْتَلِي

١ ص ٩
٢ [العنكبوت : ٥٢]
٣ [الحجر : ٩٩]
٤ [طه : ١١٤]
٥ ص ٩ب
٦ الكلمة غير مفهومة في ق بسبب انسكاب ماء على الصفحة وآثاره مرئية فيها، ورسمها أقرب إلى: "نعته، تعنه، تفنه" واعتمدنا هنا ما ورد في هـ، س.

فإنّـهُ الحـقُّ الذي جـاءني   مِنْ عِندِهِ وَهُوَ العَليمُ الوَلي
فَكَيْـفَ لِي بِـرَدِّهِ، وَهُـوَ لِي   مُؤَيَّدٌ بِكَشْـفِهِ، كَيفَ لِي؟

قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[1] فأتى بكاف الصفة في نفي المماثلة عن المِثل المفروض، ولها عموم النفي، حتى تقترن بها حال مخصّصة. أو قصارى الناظر في ذلك: التوقّف، حتى يرى ما تعطيه قرائن الأحوال فيها. وهذه آيةُ صاحب الدليل العقليّ. لكنّه جاء هذا النفيُ والإثبات للمِثلية باللسان العربيّ. والمماثلة في اللسان (هي) على غير المماثلة التي اصطلح على إطلاقها العقلاء.

فيحتاجُ العاقل أن يتكلّف دليلا على أنّ الحقّ أراد المماثلة العقليّة، ولا دليل يطلب من صاحب اللسان فيها، فإنّه بلسانه نزلَتْ، وعلى اصطلاحه. ومثل هذا لا يدرك بالقياس ولا بالنظر، فإنّه يرجع إلى قصد المتكلّم، ولا[2] يعرف ما في نفس المتكلّم إلّا بإفصاحه عمّا في نفسه، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾[3]، والعربيّ لا يعرف المماثلة العقليّة، ولا ينكرها إذا سمعها. وكلُّ لفظ ورد في وصف الله -تعالى- معرّى عن لفظة المِثْل وحرف كاف الصفة، فقد تعرّى عن أدوات التشبيه، ولحق بالألفاظ المشتركة.

واعلم أنّ كاف الصفة لا فرق بينها وبين لفظة المِثْل، وإن كان لهذا الحرف مواطن، من جملتها: موطن الصفة. فإذا وردتْ في موطن الصفة في اللسان، وهو أن تقول: "زيد كعمرو" فإنّ العرب لا تريد إلّا الإفادة. فمن المحال أن تجيء بمثل هذا، وتريد به[4] أنّه يماثله في الإنسانيّة، وهي المماثلة العقليّة؛ وإنما تريد أنّه كعمرو في الكرم مثلا، أو في الشجاعة، أو في الفصاحة، أو في العلم، أو في الحسن، وما أشبه ذلك مما دلّ عليه الحال بقرينته عند السامع، لتقع له الفائدة.

فإذا قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ فلا بدّ أن يقول فيها ذا، أو تدلّ عليه قرينة الحال في المجلس،

١ [الشورى : ١١]
٢ ص ١٠
٣ [إبراهيم : ٤]
٤ ثابتة في الهامش بقلم الأصل

ولا سيما وقد أردف نفي المماثلة بقوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ وهاتان صفتان محقّقتان في المخلوق. فلا بدّ أن تُحقّق ما نفى، وأن يُعلَم هل[1] هي كاف الصفات، أو غيرها مما يطلبه اللسان منها، بما وضعها له؟ فإن كانت كاف صفة هنا، فما نفى إلّا مماثلة المِثل أن يماثَل. فأثبتَ المِثل له، بالهاء التي في "مِثله" وهي ضمير يعود على الحقّ. ومعلوم أنّ المِثل ليس عين مماثله، ولو كان عينَ مَن هو مِثلٌ له، ما كان مِثلا له: عقلا وشرعا. فوجود المثل (هو) عينُ إثبات الغير، بلا شكّ. فإن عمّت المماثلة فهي العقليّة بلا شكّ، ولا ينكرها اللسان. وإن خَصَّتْ فهي لما خصّتْ له حقيقة، لا مجاز. مِثل: "زيدٌ كالبحر" لاتّساعه في العلم، أو في الجود.

ومن العلماء من جعل الكاف في ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ زائدة، فإن كانت جاءت لمعنى فما هي زائدة، فإنّ ذلك المعنى الذي سِيقتْ له، لا يظهر ولا يحصل إلّا بها في نفس المخاطَب. فانتفى أن تكون زائدة؛ فإنّ الله ما خلق شيئا باطلا، ولا عبثا. والزائد لغير معنى، إنما هو عبث. والعرب من المحال أن تجئ بزائد لغير معنى، فإذا جاءت بهذا الحرف جاءت به لمعنى، فهو لما جاءت به. فإنّ المتكلّم لا يجيء بالكلمة، فيما يقوله النحويّ زائدة، إلّا لقصد التوكيد. فإذا زالت زال التوكيد. فإذَنْ ما هي زائدة، فإنّ الكلام المؤكّد[2] ما استقلّ دونها، أو ما يقوم مقامها. فإذا أكّد -تعالى- نفي المِثل، فما هي زائدة، فجعل تأكيد نفي المثل، في مقابلة مَن أثبت المثل فرضا أو وجودا في زعمِه.

والصحيح في هذه الكاف، أنّها "كاف الصفة" بقرائن الأحوال. أي لو فُرِض له مِثْلٌ؛ لم يماثَل ذلك المِثل، فأحْرَى أن يماثَل (هو). فهو أبلغُ في نفي المماثلة في اللسان. ثُمّ نقول في قولنا بقرائن الأحوال، لكون الحقّ ما وصف الإنسان الكامل إلّا بما وصف به نفسه، فنفى مماثلة الإنسان الكامل أن يماثِله شيء من العالَم. ويعضد هذا قوله (ص): «إنّه خلق آدم على صورته» فهذا خبرٌ يقع به الأُنسُ للنفس. فما في العالَم زائد لغير معنى، لأنّه ما فيه عبَث ولا باطل، بل كلّ ما فيه مقصود لمعنى.

١ ص ١٠ب
٢ ص ١١

فإن قلت: فأين المماثلة في الفعل؟ قلنا: بيانُ هذا من وجهين: الوجه الواحد أن يفعل بآلة ظاهرة. فإذا قمت[1] في توحيده في الأفعال؛ جعلَنا آلةً له؛ فيَفعل بنا ما يُنسب في الشاهد لنا فعلُه. فنحن له كالقدّوم للنجّار، والإبرة للخائط مَثلا. هذا إذا جعلناه مِثلًا لنا. فإذا جعلنا أنفسنا مِثلًا له، وهو الوجه الآخر من الوجهين في الجواب، وهو الفعل بالإرادة والقصد، وهي آلةٌ باطنة؛ فإنّها نِسْبة. فهو[2] يفعل بالإرادة. فإذا كان الإنسان[3] صاحبَ همّة نافذة، فإنّه يفعل بهمّته؛ كان مِثلا له. ولا يوجد ذلك في كلّ إنسان من هذا النوع. فإنما نحن به وله. فيفعلنا، ويفعل بنا، ويفعل فينا به وبنا. فلا يثبت التوحيد في الأفعال إلّا أن نكون آلةً، لا بدّ من ذلك. والله العالِم المعلِّم، الذي أطلع مَن شاء، على ما شاء مِن عِلمه.

وفي هذا المنزل من العلوم علمُ ما بقي من الزمان لقيام الساعة.

وفيه عِلمُ الفرق بين ما ينزل من العلم على قلوب العلماء من حضرة الربوبيّة وحضرة الرحمانيّة، دون غيرهما من الحضرات الإلهيّة.

وفيه عِلمُ ما ينبغي أن يكون عليه صاحب هذا العلم من الصفة، وهل يصحّ هذا العلم لمن لا يَرفع به رأسا، أم لا؟

وفيه عِلمُ الأسرار التي لا تذاع.

وفيه عِلمُ الردّ والقبول.

وفيه عِلمُ الفرق بين الرؤيا والمبشِّرات، وأنّ الرؤيا أعمّ، والمبشّراتِ أخصّ. فإنّ الإنسان قد يرى ما يحدّث به نفسَه، وما يلعب به الشيطان أو يُحزِنه. ولو لم يكن لذلك أثر فيمن[4] رِيئَتْ له أو رآها لنفسه؛ ما أثبت الشارع لذلك الخوف مزيلا وهو قوله: «أن يتفل صاحب الرؤيا المفزعة على يساره ثلاثا، ويستعيذ بالله من شرّ ما رأى؛ فإنّها لا تضرّه. وليتحوّل من شِقّه الذي كان

١ ق: "أقمت" وهناك إشارة شطب للألف، وفي الهامش: "قمت"
٢ ص ١١ب
٣ عليها إشارة شطب، وكُتب فوقها: "الولي" وهي كذلك في س
٤ ص ١٢

عليه نائما حين الرؤيا، إلى شقّه الآخر» فإنّها تتحوّل بتحوُّله كما يحوّل صاحب الاستسقاء رداءه عند الدعاء؛ فيحوِّل الله حالة الجدب بالخِصْب، ويرمي شرّها فيمن اتّخذه معاذا؛ فلم تؤثّر فيه؛ إذ هو ليس بمحَلٍّ للأثر. وإن كان قد ورد، ولكن على وجهٍ خاصّ، فقد ورَد في الشرع "أنّ العبد يفعل فعلا يسخط به ربّه، ويفعل فعلا يرضي به ربّه".

وفيه عِلمٌ في أيّ صورة يُستعمل الدليل العقلي؟ وفي أيّ صورة لا يُستعمل؟

وفيه عِلمُ حقائق الأشياء، التي بالعلم بها يصحّ أن تكون معلومات.

وفيه عِلمُ الحدود الإلهيّة الموضوعة في العالم في الدنيا والآخرة، وتنتهي أوقاتها.

وفيه عِلمُ العلم المولَّد من غير المولِّد، والمولَّد (هو) عِلمُ ما ظهر عن الفكر والتدبر والرَّوِيَّة.

وفيه[1] عِلمُ مقارعةُ الوجودِ العدمَ، وفي أيّ حضرة أو ميدان يجتمعان، وليس لهما ميدان مقارعة إلّا الممكنات؟ فالمرجّح غالب، والمرجوح مغلوب.

وفيه عِلمُ التوحيد الإلهيّ وأماكنه ستة وثلاثون.

وفيه عِلمُ ما يعلَّل، وما لا يعلَّل.

وفيه عِلمُ مَن ينبغي أن يتّخذ عدّة للشدائد من الأسباب وغيرها؟ وما ثمّ غير سبب تدفع به.

وفيه عِلمُ الفصل والوصل، ولهما بابان في هذا الكتاب.

وفيه عِلمُ الأصل الذي منه أو به ظهرت الأكوان وأعيان العالم.

وفيه عِلمُ مَن هو مِن العالم مَن تحفظ عليه صورته؟ ومَن لا تحفظ عليه صورته؟

وفيه عِلمُ نسبة الحركة إلى العالم العُلوي، وما يطلب بتلك الحركة؟

وفيه عِلمُ الانتقال من حال إلى حال، وما أصل ذلك؟

وفيه عِلمُ نشأة الإنسان على الانفراد، وأعني بالإنسان: الإنسان الحيوان.

١ ص ١٢ب

وفيه[1] عِلْمُ التثبيت في الأمور، وما نسبته؟ وما ينتج؟

وفيه عِلْمُ العجز والقصور، ومَن هو أهله؟

وفيه عِلْمُ الحافظ، والحفظ، والمحفوظ، من حيث ما هو محفوظ، والمحفوظ به.

وفيه عِلْمُ الزيادة والنقص، وأنّ الدنيا من حين خلقها الله ما زالت تنقص، وأنّ الآخرة من حين شرع النقص في الدنيا ما زالت تزيد؛ فهي في كلّ يوم في مزيد، والدنيا في كلّ يوم أيضا في نقص.

وفيه عِلْمُ مَن عُلم أنّه لا يكون منه كون كذا؛ لِمَ[2] طولب بكون ذلك، كمن يطلب القيام من المُقْعَد الذي لا يصحّ منه القيام، ولماذا يريده، مع علمه بأنّه لا يستطيعه؟

وفيه عِلْمُ عناية الحقّ بعبده، في حالٍ لا يتّصف فيه العقل بالعقل ولا بالوجود، كأبي يزيد وأمثاله من الأولياء، وكعيسى ويحيى من الأنبياء[3].

وفيه عِلْمُ إقامة الحجج.

وفيه عِلْمُ ما يستقلُّ العقلُ بإدراكه، مما لا يستقلُّ بإدراكه.

وفيه عِلْمُ طيب الخبيث عند الحبيب[4].

وفيه عِلْمُ نِسبة الإصابة لكلّ مجتهد، ومعنى[5] نِسبة الخطأ إلى المجتهد، وأنّ ذلك الخطأ عِلْم في نفس الأمر، وحكم الله.

وفيه عِلْمُ الصنائع العمليّة بالفطرة، والرويّة، والتعليم. فهذه ثلاثة أحوال. فهي بالفطرة في الحيوان، وبالتعليم في الضعيف العقل والرويّة، وبالرويّة والتدبير في القويّ العقل الصحيح الفكر والنظر.

---

١ ص ١٣
٢ ق، س، ه: لما
٣ "كأبي يزيد.. الأنبياء" ثابتة في الجوار بقلم آخر
٤ س، ه: الخبيث عند الخبيث
٥ ص ١٣ب

وفيه عِلْمُ ما يُتَّقى؟ ومَن يُتَّقى؟ وبماذا يُتَّقى؟ وأصناف المتّقين.

وفيه عِلْمُ الفرق بين البلاء والابتلاء.

وفيه عِلْمُ القرين الصالح: هل الصلاح فيه بالجعل، أو بالأصالة؟

وفيه عِلْمُ الجزاء الوفاق، المناسِب بالاتّفاق.

وفيه عِلْمُ أحوال الندم، ومتى يتعيّن وقته؟

وفيه عِلْمُ التبديل والتحويل في الصور مع بقاء العين، وهل ينتقل الاسم بانتقال الحال، أم لا؟

وفيه عِلْمُ ترتيب الكتب الإلهيّة، مع أنّ الكلام واحد في نفسه. وكيف يُنسب للمتأخّر التقدُّم على مَن هو متأخِّر عنه؟

وفيه عِلْمُ ما تعطيه العبادة من العلوم.

وفيه[1] عِلْمُ عموم رحمة المخلوق، وهو من أسنى العلوم وأخفاها.

وفيه عِلْمُ ما يمكن أن يكون فيه التساوي بين المخلوقات، وبين ما لا يكون.

وفيه عِلْمُ التنزيه، ومكانة الخلق من الحقّ، والحقّ من الخلق.

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[2].

---

١ ص ١٤
٢ [الأحزاب : ٤]

الباب الرابع والستّون وثلاثمائة
في معرفة منزل سِرَّين مَن عرفها نال الراحة في الدنيا والآخرة، والغَيرة الإلهيّة

إذا ما قامَ شَخْصٌ عَنْ سِوَاهُ	بِأَحْكَامٍ فَذَاكَ المُسْتَنَابُ
فَإِنْ لَمْ يَسْتَنِبْهُ وَقَامَ فِيْهَا	فَلا شَكٌّ لَدَيْهِ وَلا ارْتِيَابُ
وَلَوْ يَدْعُو عَلَيْهِ إذا تَعَدَّى	لَكَانَ دُعَاؤُهُ فِيْهِ يُجَابُ
لِصِدْقِ[1] الوَعْدِ والإِخْلاصِ فِيْهِ	يُصِيْبُ إذا يُرِيْدُ وَلا يُصابُ

هذا[2] منزل البشرى الإلهيّة بالراحة التي أوجبها الاعتناء الإلهيّ بمن بُشِّر بها من عباد الله الصالحين إلى يوم القيامة، وفي القيامة. فإنّ الله لم يزل كلُّ شيء عنده "بالفعل" في عباده، ما عنده شيءٌ "بالقوّة". فوردتْ التعريفات الإلهيّة إليه، بما كان لله فيه من الأفعال والأحوال؛ ليتذكّر بعقله شهودَهُ ذلك مِن ربّه فيه، في حال عدمه، لما كان عليه من الثبوت الذي أوجبَ له قبول التصرّف الإلهيّ فيه؛ وبتلك الحالة الثبوتيّة امتثل أمرَ الحقّ بالتكوين؛ فإنّ الأمر لا يَرِدُ إلّا على متّصفٍ بالسمع. فالقول الإلهيّ لم يَزَل، والسمع الثبوتيّ لم يَزَل. وما حدث إلّا السمع الوجوديّ، الذي هو فرع عن السمع الثبوتيّ، فانتقلت الحال على عين السمع، ما انتقل السمع. فإنّ الأعيانَ لا تنقلب من حال إلى حال، وإنّما الأحوال تُلبِسها أحكاما؛ فتلبَسها؛ فيتخيّل من لا علم له أنّ العين انتقل.

فالأحوال تطلب الأسماء الإلهيّة، لا (أنّ) الأعيان هي الموصوفة بالطلب، وتحدث للأعيان أسماء وألقاب بحسب أحكام الأحوال التي تنقلب عليها. ولولا الأحوال ما تميّزت الأعيان، فإنّه ما ثَمّ إلّا عين واحدة، تميّزت بذاتها عن واجب الوجود، كما اشتركت معه في وجوب الثبوت.

---
١ رسمها في ق يقترب من: بصدق
٢ ص ١٤ب

فله -تعالى- وجوب الثبوت والوجود، ولهذه العين وجوب الثبوت[1]. فالأحوال[2]، لهذه العين، كالأسماء الإلهيّة للحقّ. فكما أنّ الأسماء للعين الواحدة لا تُعَدِّد المسمَّى ولا تكثّره، كذلك الأحوال لهذه العين لا تعدّدها ولا تكثّرها، مع معقوليّة الكثرة والعدد في الأسماء والأحوال، وبهذا صحّ لهذه العين أن يقال فيها: "إنّها على الصورة" أي على ما هو عليه الأمر الإلهيّ. فحصل لهذه العين الكمالُ، بالوجود الذي هو من جملة الأحوال التي تقلّبتْ عليها، فما نقصها من الكمال إلّا هو، وبقي حكم وجوب الوجود؛ للتميز بينها وبين الله، إذ لا يرتفع ذلك، ولا يصحّ لها فيه قدم.

وله تميز آخر؛ وذلك أنّ الحقّ يتقلّب في الأحوال، لا تتقلّب عليه الأحوال، لأنّه يستحيل أن يكون للحال على الحقّ حُكم، بل له -تعالى- الحكم عليها. فلهذا يتقلّب فيها، ولا تتقلّب عليه ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[3] فإنّها لو تقلّبتْ عليه أوجبتْ له أحكاما. وعينُ العالَم ليس كذلك؛ تتقلّب عليه الأحوال؛ فتظهر فيها أحكامها وتقليبها عليه بيد الله تعالى. فأمّا تقليب الحقّ في الأحوال، فمعلوم: بالاستواء، والنزول، والمعيّة، والضحك، والفرح، والرضا، والغضب، وكلّ حال وصفَ الحقّ به نفسَه. فهو -سبحانه- يتقلّب فيها ما في الحكم. فهذا الفرق بيننا وبين الحقّ، وهو أوضح الفروق وأجلاها. فوقعت المشاركة في الأحوال، كما[4] وقعت في الأسماء؛ لأنّ الأسماء هي أسماء الأحوال، ومسمّاها: العين.

كما أنّه لها الأسماء بِنسبةٍ غير هذه النِّسبة، ومسمّاها الحقّ: فهو السميع، البصير، العالم، القدير. وأنت السميع، البصير، العالم، القدير. فحالُ السمع، والبصر، والعلم، والقدرة، لنا وله بنسبتين مختلفتين؛ فإنّه هو، ونحن نحن. فلنا آلات، ونحن له آلات. فإنّ الله قال على لسان عبده: «سمع الله لمن حمده» وقال: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾[5] ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ

---
١ "فله تعالى.. الثبوت" ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب
٢ ص ١٥
٣ [الرحمن : ٢٩]
٤ ص ١٥ب
٥ [التوبة : ٦]

وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾[1] والآلةُ رسول الله ﷺ. فالتقلّبُ للحق في الأحوال: لإظهار أعيانها؛ كتقلُّب الواحدِ في مراتب الأعداد؛ لإظهار أعيانها.

واعلم أنّ هذا المنزل ما سمّي منزل سِرَّين إلّا لِسِرٍّ عجيب، وهو أنّ الشيءَ الواحدَ تثنّيه نفسُه، لا غيره، في المحسوس والمعقول. فأمّا في المحسوس؛ فآدم ثنّاه ما فُتِح في ضلعه القصيرى من صورة حوّاء. فكان واحدا في عينه، فصار زوجا بها، وليست سِوَى نفسِه التي قيل بها فيه: إنّه واحد. وأمّا في المعقول؛ فالألوهة ليست غير ذاته تعالى، ومعقول الألوهة خلاف معقول كونه ذاتا، فثنّت الألوهةُ ذاتَ الحقّ وليست سِوَى عينِها. فكما بثّ في الحسّ من آدم ومَن ثنّاه من ذاته ﴿رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾[2] على[3] صورة الزوجين، كذلك بَثّ، من ذات الحقّ -تعالى- وكونه إلهًا، العالَمَ على صورة هذين المعقولين.

فالعالَم خرج على صورة مؤثِّر ومؤثَّر فيه للتوالد، أي لتتوالد أجزائه. فإنّ الألوهة حكمٌ للذات؛ فبها حَكَمَتْ بإيجاد العالَم، فلمّا أثّرت الحكم بإيجاد العالم؛ لذلك ظهر العالم بصورة مَن أوجده، بين مؤثِّر ومؤثَّر فيه، كما جرى في المحسوس. فإنّ الله ما خلق مِن آدم وحوّاء أرضا، ولا سَماء، ولا جبلا، ولا غير نوعه؛ بل ما خلق منهما إلّا مثلهما في الصورة والحكم.

إنّ الـتي كانَ الوُجُـودُ بِكَوْنِهـا ... ذاتٌ يُقَـدِّسُ لَفْظُها مَعْناها
إنّي لأَهْواهــا وأَهْــوَى قُرْبَهَــا ... مِنِّي، وأَهْوَى كُلَّ مَنْ يَهْواها
لَيْلَى ولُبْنَى والرَّبابُ وزَيْنَبٌ ... أَتْرابُ مَنْ حُبّي لَهَا مَحْياها
لَوْ مُتُّ ماتَ وُجُودُها بِمَماتِنا ... فَوُجُودُنا عَيْنٌ لَهَا وسِوَاها
عَجَبًا لَنـا ولَهَـا! فَـإنَّ وُجُـودَنا ... فَرْدٌ، فَلا ثانٍ؛ فَمَنْ ثَنّاها؟!

ولمّا[4] كان الأصلُ واحدا، وما ثنّاه سِوَى نفسِه، ولا ظهر في كثرةٍ إلّا مِن عَيْنِه؛ لذلك كانت له في كلّ شيءٍ من العالَم آيةٌ تدلّ على أنّه واحد. فالكون كلّه جسم وروح، وبهما قامت نشأةُ

١ [الأنفال : ١٧]
٢ [النساء : ١]
٣ ص ١٦
٤ ص ١٦ب

الوجود. فالعالَم للحقّ كالجسم للروح، وكما لم تُعرف الروحُ إلّا من الجسم، فإنّا لمّا نظرنا فيه، ورأينا صورتَه مع بقائها، تزول عنها أحكامٌ كنّا نشاهدها من الجسم وصورته، من إدراك المحسوسات والمعاني، فعلمنا أنّ وراء الجسم الظاهر معنى آخر، هو الذي أعطى أحكام[1] الإدراكات فيه. فسمّينا ذلك المعنى: روحا لهذا الجسم.

فكذلك ما علمنا أنّ لنا أمرا يحرّكنا ويسكّننا، ويحكم فينا بما شاء، حتى نظرنا في نفوسنا. فلمّا عرفنا نفوسَنا؛ عرفنا ربّنا، حَذْوَكَ النعل بالنعل[2]. ولهذا أخبر في الوحي بقوله: «مَن عَرَف نفسَه عرَف ربَّه» وفي الخبر المنزّل الإلهيّ: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[3] فما ظهر العالَم عن الله إلّا بصورة ما هو الأمر عليه، وما في الأصل شرٌّ، فإلى مَن تستند الشرور، والعالم في قبضة الخير المحض؛ وهو الوجود التامّ. غير أنّ الممكن لمّا كان للعدم نظرٌ إليه، كان[4]، بذلك القدر، يُنسب إليه من الشرّ ما[5] يُنسب؛ فإنّه ليس له من ذاته حكمُ وجوب الوجود لذاته. فإذا عرض له الشرّ فمن هناك، ولا يستمرّ عليه ولا يثبت، فإنّه في قبضة الخير المحض والوجود.

ثُمّ من تمام المعرفة الموضوعة في العلم بالله، أنّ للجسم في الروح آثارا معقولة معلومة، لما يعطيه من علوم الأذواق، ما لا يمكن أن يعلمها إلّا به. وأنّ الروحَ له آثارٌ في الجسم محسوسة يشهدها كلّ حيوان من نفسه. كذلك العالَم مع الحقّ، لله فيه آثار ظاهرة، وهي ما يتقلّب فيه العالَم من الأحوال، وذلك من حكم اسْمِه "الدهر". وأخبر الحقُّ -سبحانه- أنّ للعالَم، من حيث ما كلّفه، آثارا لولا تعريفه إيّانا بها ما عرفناها. وذلك أنّه إذا اتّبعنا رسولَه فيما جاءنا به من طاعة الله؛ أحبّنا وأرضيناه؛ فرضي عنّا. وإذا خالفناه، ولم نمتثل أمره، وعصيناه؛ أخبرنا أنّا أسخطناه وأغضبناه؛ فغضب علينا. وإذا دعوناه أجابنا. فالدعاء من أثره، والإجابة من أثرنا، ذلك لتعلموا

١ ق: "معنى" وعليها إشارة شطب، وفي الهامش بقلم الأصل: "أحكام"
٢ "حذو النعل بالنعل" مثل عربي يضرب في المكافأة ومساواتها
٣ [فصلت : ٥٣]
٤ ق، س: -كان
٥ ص ١٧

أنّه ما أظهرَ شيئًا إلّا من صورة ما هو، ويستحيل أن يكون الأمر إلّا كذلك. وإلّا فمِن أين، وما ثَمّ إلّا هو؟ ولا يعطي شيءٌ إلّا ما في قوّته.

ولهذا نعتَ الحقُّ لنا نفسَه بنعوت المحدَثات عندنا[1]، وهي في الحقيقة نعوتُه ظهرتْ فينا، ثمّ عادتْ عليه. ونعتَنا -سبحانه- بنعوت ما يستحقّه جلالُه؛ فهي نعوتُه على الحقيقة. فلولا ما أوجدَنا على صورة ما هو عليه في نفسه، ما صحّ ولا ثبت أن نقبل صفةً مما وصفنا بها، مما هي حقّ له، ولا كان يقبل صفةً مما وصَف بها نفسَه، مما هي حقٌّ لنا. والكلُّ حقٌّ له، فهو الأصل الذي نحن فرعُه. والأسماءُ أغصانُ هذه الشجرة، أعني شجرة الوجود.

وَنَحْنُ عَيْنُ الثَّمَرِ بَلْ هُوَ عَيْنُ الثَّمَرِ
فَمَا لَنَا مِثْلٌ سِوَى وُجُودِ هَذَا الشَّجَرِ

ومِن تمام المعرفة بالله؛ ما أخبرنا به على لسان رسوله ﷺ من تحوُّله -تعالى- في الصور في مواطن التجلّي، وذلك أصلُ تقلّبنا في الأحوال؛ باطنا وظاهرا، وكلّ ذلك فيه تعالى. وكذلك هو -تعالى- في شئون العالَم، بحسب ما يقتضيه الترتيبُ الحِكَميُّ. فشأنه غدًا لا يمكن أن يكون إلّا في غدٍ، وشأن اليوم لا يمكن أن يكون إلّا اليوم، وشأن أمس لا يمكن أن يكون إلّا في أمس؛ هذا كلّه بالنظر إليه تعالى. وأمّا بالنظر إلى الشأن، يمكن أن يكون في غير الوقت الذي تكوّن فيه لو شاء الحقّ تعالى، وما[2] في مشيئته تخيير، تعالى الله عن ذلك، بل ليس لمشيئته إلّا تعلّقٌ واحدٌ، لا غير.

ومنها قوله: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾[3] يعني منكم، ومن العالم الذي هو سِوَانا. وإنما سمّانا بالثقلين، لما فينا من الثِّقَل، وهو عين تأخُّرنا بالوجود، فأبطأنا. ومن عادة الثقيل: الإبطاء، كما أنّه من عادة الخفيف: الإسراعُ. فنحن والجنّ من الثقلين. ونحن أثقل من الجنّ؛ للركن الأغلب علينا، وهو التراب. فالإنسانُ آخِرُ موجود في العالَم، لأنّ المختصَر لا يختصَر إلّا من مطوّل، وإلّا

١ ص ١٧ب
٢ ص ١٨
٣ [الرحمن : ٣١]

فليس بمختصَر، فالعالَم مختصَر الحقّ، والإنسانُ مختصَر العالَم والحقّ. فهو نقاوة المختصَر، أعني الإنسان الكامل. وأمّا الإنسان الحيوان فإنّه مختصَر العالَم، وله يفرغ الحقُّ ليقيم عليه ميزان ما خُلِق له، فإنّ قولَه: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ كلمةُ تهديد، والإنسان الكامل لا يتوجّه عليه هذا الخطاب.

غير أنّ في هذه الكلمة إشارة للحوق الرحمة بِهِما، أعني بالثَّقَلين، وذلك في فتح اللام الداخلة على ضمير المخاطب في "لَكم" وإن كان الفتح الإلهيّ قد يكون بما يسوءُ، كما يكون بما يسرُّ، ولكن رحمتَه سبقتْ غضبَه. وجاء بآلةِ الاستقبال وهي[1] السين، وآخِرُ درجةِ الاستقبال: ما يؤول إليه أمرُ العالَم من الرحمة التي لا غضب بعدها؛ لارتفاع التكليف واستيفاء الحدود. ولمّا جاء بضمير الخطاب في قوله: ﴿لَكُمْ﴾ وعلمنا من الكرَم الإلهيّ أبدًا[2]، أنّه يرجّح جانب السعداء. وجانب الرحمة على النقيض، ولهذا سمّى ما يتألّم به أهل الشقاء: عذابا. لأنّ السعداء يستعذبون آلام أهل الشقاء؛ إيثارا لجناب الحقّ حيث أشركوا. فلهم في أسباب الآلام نعيم، فسمّى الحقُّ ذلك: عذابا، إيثارا لهم حين آثروه. فكذلك جاء بحرف الخطاب ليفتح اللام، وليُعلم[3] بآلةِ الخطاب أنّهم قوم مخصوصون، لأنّه لا يفقد من العالَم ضمير الغائب، فلا بدّ له من أهل، مثل قوله في السعداء: ﴿لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي﴾[4] فأتى بضمير الغائب، فغابوا عن هؤلاء المخاطَبين.

وفتح اللّام فَتْحُ رحمة تعطيها قرائن الأحوال. ولهذه الأداة مراتب يعامل الحقُّ بها عباده، مثل قوله: ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾[5] ومثل قوله: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾[6] ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾[7] ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي

١ ص ١٨ب
٢ ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب
٣ رسمها في ق أقرب إلى: وللعِلم
٤ [البقرة : ٢٥]
٥ [ص : ٤٧]
٦ [آل عمران : ١٧٩]
٧ [البقرة : ١٤٣]

الْأَرْضِ﴾[1] و﴿خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾[2] و﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾[3] فله ولنا. ومع[4] هذا؛ فالأدب يلزمنا، وبالأدب نكون؛ أصحاب البساط جلساء من غير انبساط؛ لأنّ الشهود والانبساط لا يجتمعان. قال بعضهم: "اقعد على البساط وإيّاك والانبساط".

إنّي عبِدتُ مِنَ امْرِ ليس يَصْلُحُ لِي ولست أعبَد من نَعْتِي بِصُورَتِهِ

فإنّـهُ قـالَ هـذا لـمْ أَقُـلْهُ أنا وَلَيْسَ سُوْرَةُ حالِي عَيْنَ سُورَتِهِ

فإنّ الدون الأدون إذا نُسِب إليه ما لا يقتضيه مقامه من الصفات الشريفة، يأنف من ذلك؛ لأنه هجْوٌ به، كما يأنف الشريفُ أن يوصَف بدون ما يستحقّه شرفُه.

* * *

وصل: (الفرق بين الوليّ والنبيّ)

وأمّا من قال من أصحابنا وذهب إليه، كالإمام أبي حامد الغزالي وغيره، "بأنّ الفَرق بين الوليّ والنبيّ نزولُ الملَك، فإنّ الوليّ ملهَم، والنبيّ ينزل عليه الملَك، مع كونه في أمور يكون ملهَمًا؛ فإنّه جامع بين الولاية والنبوّة" فهذا غلط عندنا من القائلين به، ودليلٌ على عدم ذوقٍ للقائلين به. وإنما الفُرقان (إنما هو) فيما ينزل به الملَك لا في نزول الملَك. فالذي ينزل به الملَك على الرسول والنبيّ، خلاف[5] الذي ينزل به الملَك على الوليّ التابع.

فإنّ الملَك قد ينزل على الوليّ التابع بالاتّباع وبإفهام ما جاء به للنبيّ مما لم يتحقّق هذا الوليّ بالعلم به. وإن كان متأخّرا عنه بالزمان، أعني متأخّرا عن زمان وجوده، فقد ينزل عليه بتعريف صحّة ما جاء به النبيّ، وسقمه: مما قد وُضِع عليه، أو تُوُهّم أنّه صحيح عنه، أو ترك؛ لضعف الراوي وهو صحيح في نفس الأمر. وقد ينزل عليه الملَك بالبشرى من الله بأنّه من أهل السعادة

١ [الجاثية : ١٣]
٢ [البقرة : ٢٩]
٣ [طه : ٦]
٤ ص ١٩
٥ ص ١٩ب

والفوز وبالأمان. كلّ ذلك في الحياة الدنيا؛ فإنّ الله ﷻ يقول: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[1] وقال في أهل الاستقامة القائلين بربوبيّة الله: إنّ الملائكة تنزل عليهم. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ. نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[2]، ومِن أولياء الله مَن يكون له من الله ذوق الإنزال في التنزيل.

فما طرأ ما طرأ على القائلين بخلاف هذا، إلّا مِن اعتقادهم، في نفوسهم، أنّهم قد عمُّوا، بسلوكهم، جميعَ الطرق والمقامات، وأنّه ما بقي مقام إلّا ولهم فيه ذوق. وما رأوا نزل عليهم ملَك، فاعتقدوا أنّ ذلك مما يختصّ به[3] النبيّ. فذوقهم صحيح، وحكمهم باطل. وهم قائلون: إنّه مَن أتى منهم بزيادة قُبِلتْ منه؛ لأنّه عدل، صاحب ذوق، ما عندهم تجريح، ولا طعن، ولا يتعدّون ذوقَهم. فمن هنالك وقع الغلط. ولو وصل إليهم ممن تقدّمهم، أو كان معهم في زمانهم من أهل الله، القولُ بنزول الملَك على الوليّ؛ قَبِلوه وما ردُّوه. وقد رأينا في الوقائع، ممن تقدّم، جماعة غير قائلين بأمرٍ مّا، فلمّا سمعوه منّا قَبِلوه ولم ينكروه؛ لارتفاع التهمة عنهم في أشكالهم وأمثالهم.

فإن قال أحدٌ من أهل الله، من أهل الإشارات، وهم أصحاب النداء على رأس البُعد: إنّك قد قلت: إنّه ما من حقيقة، ولا نِسبة في العالم، إلّا وهي صادرة عن نِسبة إلهيّة. ومِن نِسَبِ العالَم الافتقار. وقد قال أبو يزيد، وهو من أهل الكشف والوجود: إنّ الله قال له في بعض مشاهده معه: "تقرّبْ إليّ بما ليس لي: الذلّة والافتقار". فاعلم -أيّها المستفيد- أنّ الحقّ -تعالى- له الرحمة، والعفو، والكرم، والمغفرة، وما جاء من ذلك من أسمائه الحسنى، وهي له -تعالى- حقيقة، وكذلك له الانتقام، والبطش الشديد. فهو -سبحانه- الرحيم، العفوّ، الكريم، الغفور، ذو انتقام. ومن المحال أن تكون آثار هذه[4] الأسماء فيه، أو يكون محلّا لآثارها. فرحيمٌ بمن؟ وعفوٌّ عمّن؟ وكريمٌ على مَن؟ وغفورٌ لمن؟ وذو انتقامٍ ممن؟.

١ [يونس : ٦٤]
٢ [فصلت : ٣٠، ٣١]
٣ ص ٢٠
٤ ص ٢٠ب

فلا بدّ أن نقول: إنّ الله الخالقَ يطلب المخلوق، والمخلوق يطلب الخالق، وصفة الطالب معروفة، والحاصل لا يُبْتَغى. فلا بدّ من العالَم؛ لأنّ الحقائق الإلهيّة تطلبه. وقد بيّنّا لك أنّ معقوليّته كونه ذاتا، ما هي معقوليّة كونه إلها؛ فثنّت المرتبة، وليس في الوجود العينيّ سِوى العين. فهو، من حيث هو: غنيّ عن العالمين. ومن حيث الأسماء الحسنى، التي تطلب العالَم لإمكانه، لظهور آثارها فيه: يطلب وجود العالَم. فلو كان العالَم موجودا؛ ما طلب وجودَه. فالأسماء له كالعائلة، وربُّ العيال يسعى على عياله، و«الخلق عيال الله» الأبعد، والأسماء: الآلُ الأقرب.

فسأله العالَم لإمكانه، وسألته الأسماء لظهور آثارها. وما يسأل إلّا فيما ليس له وجود، فلا بدّ من وجود العالَم، والكتاب حاكم، والعلم سابق، والمشيئة محقَّقة؛ فمن المحال أن لا يقع. وإنما وقع التكفير في الطائفة التي قالت: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾[1] بالمجموع. فإنّهم ليسوا بأغنياء عن الله، وليس الحقُّ[2] بمتأخّر عن[3] إيجادهم، ولا عن إسباغ النِّعم عليهم، فضلا منه ومِنّة لحكم كتاب سبق. قال الله تعالى: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ﴾[4] فالحكم للكتاب، ونِسبة الكتاب ما هي نِسبة الذات، وتعيّن إمضاء الحكم فيمن أمضاه. فهو للكتاب كالسادن والمتصرّف بحكم جبر المرتبة. هذا تعطيه الحقائق بأنفسها، وهي لا تتبدّل. ولو تبدّلت الحقائق اختلّ النظام، ولم يكن عِلمٌ أصلا، ولا حقٌّ، ولا خلق.

فلو نظر العاقلُ في حكمة الخطاب الإلهيّ، في قوله تعالى: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾[5] وأخذَه من قوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾[6] يريد: أَوْجَبَها على نفسه، لأنه ما ثمّ موجِب إلّا هو -تعالى-، فقال: سنوجِب ما قالوه فيما يرجع ضرره عليهم. وقال في تمام الآية: ﴿وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾[7] عقوبةً لقولهم. ولهذا كان تحقيق كفرهم بالمجموع، فإنّهم ليسوا بأغنياء. فهذا روح

١ [آل عمران : ١٨١]
٢ ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب
٣ ص ٢١
٤ [الأنفال : ٦٨]
٥ [آل عمران : ١٨١]
٦ [الأنعام : ٥٤]
٧ [آل عمران : ١٨١]

هذه الآية.

وأمّا احتجاجك بما قاله لأبي يزيد، فهو أيضا عينُ المجموع. فلم يقل: الذلّة وحدَها. بل قال: الذلّة والافتقار. ونِسبة المجموع ليست بنسبة الإفراد. فلولا الممكنُ، ما ظهر أثر للأسماء الإلهيّة، والاسم هو المسمّى عينه، ولا سيما الأسماء الإلهيّة. فالوجود طالبٌ[1] ومطلوبٌ، ومتعلَّقُ الطلب العدمُ: فإمّا إعدامُ موجودٍ، وإمّا إيجادُ معدوم. قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾[2] فما نفى إلّا الألوهة أن تكون نعتا لأكثر من واحد. فللأسماء الإلهيّة، أو المرتبة التي هي مرتبة المسمّى إلها؛ التصريفُ والحكمُ فيمن نُعِت بها؛ فبها يتصرّف، ولها يتصرّف. وهو غنيّ عن العالمين، في حال تصرُّفه، لا بدّ منه. فانظر ما أعجب الأمر في نفسه. ومن هنا يُعرف قول أبي سعيد الخرّاز: "إنّه ما عرف الله إلّا بجمعه بين الضدّين". ثمّ تلا: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾[3].

وأمّا قول اليهود في البُخل: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ فقال -تعالى- فيهم: ﴿وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ أي أُبعدوا عن صفة الكرم الإلهيّ. فإنّ أقوالهم من أعمالهم؛ فـ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾؛ فوقع البخل الذي نسبوه إلى الله عليهم[4]. فما شهدوا من الله إلّا ما قالوا؛ فإذا أذاقهم طعم ما جاءوا به؛ أكذبَهم الله، بعد ذلك، في المآل؛ فبَسط عليهم الكرم، بالرحمة التي وسعت كلّ شيء، ليُعرّفهم بأنّهم كانوا كاذبين؛ وهو أشدُّ العذاب عليهم، وأشدّ النعيم. فإنّه إذا بسط عليهم الجود والكرم؛ عَلِموا جهلهم؛ فتوهّموه؛ فتعذّبتْ نفوسُهم بتصوُّر الحال التي كانوا عليها من[5] الجهل بالله. ويتنعّمون؛ بإزالة ذلك؛ ووقوفهم على العلم؛ وعلِموا أنّ جهلَهم أورثهم الكذب على الله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾[6] فالحكم للمشيئة، فافهم. وليست مشيئتُه غيرَ ذاته، فأسماؤها عينُه، وأحكامُها حكمُه، وما ظهر العالَم إلّا بما هي عليه من القُوى.

١ ص ٢١ب
٢ [البقرة : ٢٥٥]
٣ [الحديد : ٣]
٤ ق: "بهم" وفي الهامش: "عليهم" مع إشارة التصويب، ويتفق بذلك مع س
٥ ص ٢٢
٦ [المائدة : ٦٤]

فانْظُرْ إلَيْهِ تَكُنْهُ ... وَلَا تُجاوِز حَدَّكْ
فَكُلُّ ما هُوَ فِيْهِ ... فإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكْ

*   *   *

مَنْ قَدَرَ اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ... أَظْهَرَ أَمْرَ الوُجُودِ مِنْهُ
فَكُلُّ أَمْرٍ تَراهُ عَيْنٌ ... مِنْ عِلْمِهِ فِيْهِ فَهْوَ عَنْهُ
فَعَيْنُهُ عَيْنُ مَنْ تَرَاهُ ... لِذاكَ ما لِلْوُجُودِ كُنْهُ

فإذا قلتَ: "الله" فهو[1] مجموع حقائق الأسماء الإلهيّة كلّها، فمن المحال أن يقال على الإطلاق؛ فلا بدّ أن تقيّده الأحوال. وإن قيّدته الألفاظ فبحكم التبعيّة للأحوال. فكلّ ما أضيف إليه[2]، فانظر أيّ اسم تستحقّ تلك الإضافة؟ فليس المطلوب من الله، في ذلك الأمر، إلّا الاسم الذي تخصّه تلك الإضافة، والحقيقة الإلهيّة التي تطلبه، فلا تتعدّاه. ومَن كان هذا حالُه فقد وفّى الله حقَّه، وقدَر قدره مجملا. فإنّه لا يقدر قدره مفصّلا، لأنّ الزيادة من العلم بالله لا تنقطع دنيا ولا آخرة؛ فالأمر في ذلك غير متناهٍ.

ألم تر أنّ الله -تعالى- بعث موسى ﷺ برسالةٍ إلى فرعون، كان من جملتها أن يقول له -إذا قال له فرعون: ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾[3]-: ﴿عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾[4] يعني ما أوجبه على نفسه من ذلك. فما كتبها في اللوح المحفوظ إلّا ليَعلم، مَن ليس من شأنه أن لا يَعلم إلّا بالإعلام فيما لا يُعلم إلّا بالإعلام، لا ليتذكّر ما أوجبَه على نفسه، مما تستقبل أوقاته في المُدد الطائلة؛ فإنّه -سبحانه- ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي﴾ الذي جئتك من عنده لأدعوك إلى عبادته ﴿وَلَا يَنْسَى﴾.

وقال -تعالى- عن نفسه: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[5] وما نسوه على الإطلاق، فما ينساهم على الإطلاق، وإنّما ينساهم فيما نسوه فيه، مما لو علموا به؛ نالتهم الرحمة من الرحيم بذلك. فلمّا نسوه؛

[1] ق: "قلت" وعليها إشارة المسح، وأستبدلت فوقها بـ"فهو" بقلم الأصل
[2] ص ٢٢ب
[3] [طه : ٥١]
[4] [طه : ٥٢]
[5] [التوبة : ٦٧]

نَسِيَهم الرحيم؛ إذ[1] تولّاهم الاسم الإلهيّ الذي كانوا في العمل الذي يدعو ذلك الاسم. فإذا انقضى عدلُ ميزانه فيه، زال النسيان؛ إذ لا بدّ من زواله عند كشف الغطاء عند الموت في الدنيا. فلا يموت أحد من أهل التكليف إلّا مؤمنا، عن علم وعيان محقَّق، لا مرية فيه ولا شكّ، من العلم بالله، والإيمان به خاصّة.

هذا هو الذي يعمّ؛ فلا بأس أشدُّ من الموت. وما بقي إلّا: هل ينفعه ذلك الإيمان، أم لا؟ أمّا في رفع العقوبة عنهم؛ فلا. إلّا مَن اختصّه الله، مثل قوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ ثمّ قال، وهو موضع استشهادنا: ﴿سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴾[2]. وأمّا الاستثناء فقوله تعالى: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾[3] فلا حكم على الله في خلقه. وأمّا نفعُ ذلك الإيمان في المآل، فإنّ ربّك ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾[4] فإنّه يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[5] فهذا قوله وعهده إلينا، في كتابه وعلى ألسنة رسله -عليهم السلام-.

فَقَدْ بَانَ أَنَّ الحَقَّ فِيْمَا أَتَى بِهِ ... رَسُولٌ إلَى قَلْبِي مِنَ المَلأ الأَعْلَى
فأَخْبَرَنِي[6] بِالأَمْرِ مِنْ فَصِّهِ[7] فَمَا ... أَقُولُ بِأَخْرَى فِي الأُمُورِ وَلَا أَوْلَى
بَلِ الأَمْرُ فِيْهِ واحِدٌ لَيْسَ غَيْرَهُ ... فَمِنْ عَالِمٍ يُبْلِي وِمِنْ عالَمٍ يُبْلَى
وذَلِكَ فُرْقانٌ يَبِيْنُ دَلِيْلُهُ ... ولَيْسَ بِقُرْآنٍ عَلَى قَلْبِنَا يُتْلَى
وإِنْ كانَ قَوْلُ اللهِ فِي كُلِّ حالَةٍ ... عَلَيَّ -إذا ما جِئْتُ حَضْرَتَهُ- يُمْلَى
وخَلقِي عَجِيْبٌ لا يَزالُ مُجَدَّدًا ... وَما مَرَّ مِنْهُ لَا يَزَالُ وَلَا يَبْلَى
فَحُكْمُ الحَكِيْمِ الحَقِّ فِي الخَلْقِ ظاهِرٌ ... فَسُبْحانَ مَن أَعْمَى وسُبْحانَ مَنْ أَجْلَى
لَقَدْ جادَ لِي إنْعامُهُ بِشُهُودِهِ ... وَقَدْ خَصَّنِي مِنْهُ بِمَوْرِدِهِ الأَحْلَى

[1] ص ٢٣
[2] [غافر : ٨٥]
[3] [يونس : ٩٨]
[4] [هود : ١٠٧]
[5] [الزمر : ٥٣]
[6] ص ٢٣ب
[7] فص الأمر: أصله وحقيقته

فمن اتقى الله جعل له فُرقانا، وإن كان في عين القرآن العزيز الذي هو الجمع، مِن قريت الماء في الحوض إذا جمعته. فما كلّ فُرقان قرآن، وكلّ قرآنٍ فُرقان.

فَعَيْنُ[1] الجَمْعِ عَيْنُ الفَرْقِ فانْظُرْ ... بِعَيْنِكَ لاجْتِماعٍ فِي افْتِراقِ
فَلَيْسَ المِثْلُ عَيْنَ المِثْلِ فاحْكُمْ ... عَلَيْـهِ بِالفِـراقِ وبِالـتَّلاقِي
فــإنْ شِــئْنا إذا فَكَّـرْتَ فِيْـهِ ... حَكَمْنـا بِالـنِّكاحِ وبِالطّلاقِ
فَلَـوْلا الخَلْـقُ[2] مـا كانَ اتِّسـاقٌ ... فَساقُ الحَقِّ مُلْتَفٌّ بِسَاقِ
وعِنْــدَ شُرُودِنا عَنْــهُ دَعَــانا ... لأَعْلَمَ أنَّ فِي العُقْبَى مَساقِي
إلَيْـهِ فِي جُسُــومٍ مِــنْ نَبــاتٍ ... فإنْ طِبْنا فَمِسْكٌ فِي حِقاقِ

﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾[3] فتميّز الواحد عمّن ثنّاه، فانفرد كلُّ فريق بأحديّته وجمعيّته. فمنهم مَن تأنّس بانفراده في فرديّته وأحديّته، ومنهم مَن استوحش في انفراده بفرديّته وأحديّته؛ فتلك عند العارفين وحشةُ الحجاب.

فَـأَيُّ[4] نَعِـيمٍ لا يُكَـدِّرُهُ الدَّهْـرُ ... وللهِ فِيْمَـا قُلْتُـهُ الخَلْـقُ والأَمْـرُ
فَلَوْلَا وُجُودُ الحَقِّ ما كانَ خَيْرُهُ ... ولَوْلَا وُجُودِي لَمْ يُرَ فِي الوَرَى الشَّرُّ
ولَسْتُ سِوَاهُ لَوْ يُشِرُّ[5] حَقِيْقَتِي ... ولَكِنَّـهُ أَخْفَـى فَشَـأْنِي لَـكُمْ سِرُّ
فَمَـنْ يَتَحَقَّـقْ صُـورَتِيَّ فإنَّـهُ ... يَلُـوحُ لَهُ مِـنْ نَشْـأَتِي الدَّرُّ والذُّرُّ[6]
فَـدُرٌّ لأَحْجَـارٍ يُنـافِسُ نَشْـأَتِي ... ولِلعِـلْمِ مِنْهَـا مـا يَجُـودُ بِـهِ الدَّرُّ
فإنْ كُنْتَ ذَا عَقْلٍ تَبَيَّنَ حُكْمُهُ ... وإن كُنْتَ ذَا عَيْنٍ فَقَدْ رُفِعَ السِّتْرُ
فإنْ شِئْتَ فاشْرَبْهُ رَحِيقًا مُخَتَّمًا ... وإن لَمْ تَشَأْ خَمْرًا فَمَشْرَبُكَ المِزْرُ[7]
فَسُبْحانَ مَنْ أَحْيَا الفُؤَادَ بِذِكْرِهِ ... ولَـوْ لَـمْ يَكُـنْ ذِكْرٌ لَقَامَ بِـهِ الفِكْـرُ

١ ص ٢٤
٢ أثبت فوقها بقلم الأصل: "الحق" وكلمة "معًا"
٣ [الشورى : ٧]
٤ ص ٢٤ب
٥ كتب فوق كلمة يُشر معناها وهو: يُظهر
٦ الدَّر: اللبن. والذُّر: اللؤلؤ العظيم
٧ المزر: نبيذ الذرة

واعلم -أيّدك الله بِرُوح منه- أنّي[1] ما رأيت ثبوتَ العلم على صورته لا يتغيّر، إلّا في هذا المنزل. فأورثني الطمأنينة فيما علمتُ أنّه لا يزول، وأنّ الشُّبَه لا تزلزله. وأنّ الشبهة إذا جاءت لمن شاهد هذا الأمر في هذا المنزل، رآها شبهة لا يمكن أن تتغيّر له عن صورتها. بخلاف مَن ليس له هذا المنزل؛ فإنّه يتزلزل، ويؤدّيه ذلك التزلزل إلى النظر فيما كان قد قطع أنّه يعلمه. ولا يَعرف: هل العلم الأوّل كان شبهة؟ أو هل الشهود شبهة؟ أو هل الأمران شبهة؟ فيحار. وذلك أنّه ليس هو في علمِه بالأمور على بصيرة؛ لأنّه ولَّدها بفكره. فإذا جاءت الأمور بأنفُسها، لا بجَعْلِك وإنشائك؛ أعطتك حقائقها؛ فعلمْتَها على ما هي عليه.

ويتعلّق بهذا المنزل آياتٌ كثيرة من القرآن العزيز، ولو بسطنا الكلام فيها لطال المَدَى. فلنذكر منها عَيْن آيات، لا كلَّها. ولا أشرحها، وإنما أُنبّه عليها للعقول السليمة، والأبصار النافذة. فمِن ذلك: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[2] ومنها: ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[3] في سورة التغابن[4] ومنها: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا﴾[5]، ومنها: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾[6]، ومنها: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾[7]، ومنها: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾[8] حيث[9] وقع، ومنها: ﴿تَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾[10]، ومنها: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[11] توطئة لسعادتهم، ومنها: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾[12] فصدّر بهذه الآية، ليعلم بما هو الأمر عليه بالنِّسبة إليه.

١ ص ٢٥
٢ [آل عمران : ١٨٩]
٣ [التغابن : ١]
٤ ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٥ [القصص : ٩]
٦ [المطففين : ١]
٧ [الماعون : ٤]
٨ [المرسلات : ١٥]. وقد وردت عشر مرات في سورة المرسلات، ومرة في سورة المطففين
٩ ص ٢٥ب
١٠ [الأنبياء : ٥٧]
١١ [الزخرف : ٨٧]
١٢ [الروم : ٤]

ومنها: ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾[1] فاكتفى بالخِبرة عن العلم؛ إذ كانت كلّ خِبرة علما. ومنها: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾[2] فجاء بحرف امتناع لامتناع، ومنها: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾[3].

ومنها: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾[4] ومنها: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾[5] ومنها: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾[6] الآية، ومنها: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾[7]، ومنها: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾[8].

ومنها: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[9] الآية؛ ومنها: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[10] ومنها: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا. بِأَنَّ[11] رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾[12] ومنها: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى﴾[13] وهو الذي سقط على وجهه في النار من الصراط، وهو من الموحّدين. ومنها: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾[14]، ومنها: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾[15] أي تعجُّبا، ومنها: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾[16] ومنها: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾[17].

١ [العاديات : ١١]
٢ [الأنعام : ٣٥]
٣ [الزخرف : ٣٣]
٤ [طه : ١٥]
٥ [الأنعام : ٥٣]
٦ [آل عمران : ١٧٩]
٧ [الحج : ٢٩]
٨ [آل عمران : ٨١]
٩ [الكهف : ٢٩]
١٠ [العاديات : ٨]
١١ ص ٢٦
١٢ [الزلزلة : ٤، ٥]
١٣ [الملك : ٢٢]
١٤ [الشورى : ٢٨]
١٥ [آل عمران : ١٣]
١٦ [المائدة : ١١٥]
١٧ [الحديد : ٤]

فتدبّر منازل هذه الآيات وأمثالها. ومن هنا تعرف قوّة الألف واللّام اللتين للعهد والتعريف والجنس، وإلحاق لام ألف بالحروف.

والحروف على قسمين: حروف هجاء، وهي الحروف الأصليّة، وحروف معانٍ. وكلاهما: في الرقم بالوضع، وفي اللفظ بالطبع في الإنسان. وكلّها منك وفيك، وما ثَمّ أمر خارج عنك. فلا تَرْجُ[1] أن تعرف نفسَك بِسِواك، فإنّه ما ثَمَّ؛ فأنت دليل عليك وعليه، وما ثَمّ مَن هو دليل عليك.

مَنْ ذَا الذِي تَرْتَجِيْهِ بَعْدَكْ   وأَنْتَ فِي الحالَتَيْنِ وَحْدَكْ
فـانْظُرْ إِلَيْـهِ بِـهِ تَكُنْـهُ   فَكُلُّ ما فِيْهِ فَهْوَ عِنْدَكْ

وفي[2] هذا المنزل من العلوم:

عِلْمُ ما للأسباب في المسبّبات من الأحكام، وتفصيل الأسباب، وهل العالم كلّه أسبابٌ بعضه لبعضه؟ وهل من الأسباب ما يكون عدما وهو سبب؟ مثل النِّسب، كتعلّقات المعاني الموجِبة أحكاما بتعلُّقها.

وفيه عِلْمُ ما ثبت لله من الأحكام عقلا وشرعا.

وفيه عِلْمُ ما فائدة الأخبار في المخبر المعقول؟ وما الأخبار التي تفيد علما، من التي تفيد ظنًّا أو غلبة ظنّ، من الأخبار التي تفيد حَيْرة، من الأخبار التي تقدح في الأدلّة النظريّة لِقدحها في العلم؟

وفيه عِلْمُ «الخلق عيال الله» هل معناه معنى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾[3]؟ وفي ماذا يكون الفقرُ مع كونهم موجودين، وعلمهم من الحقّ أنّهم لا يُعْدَمون بعد وجودهم؟ وإنما هو تَقَلُّب أحوالٍ عليهم، فمن حال يزول وحال يأتي، والزائل يعطي زواله حكما، والآتي يعطي إتيانه حكما، والمحكوم عليه بالحكمين واحدُ العين؛ كالقائم يقعد؛ فالقعود آتٍ، والقيام زائل. فحكم زوال

١ ق: "ترجو" وفي الهامش: "صواب: ترج"
٢ ص ٢٦ب
٣ [فاطر : ١٥]

القيام، كونه ليس بقائم، وهو حكم عين القعود، ويزيده القعود أحكاما لم[1] تُفهم من زوال القيام أنّه صار إليها؛ وهي أنّه ليس بمضطجع، ولا راكع، ولا ساجد، ولا منبطح.

وفيه عِلْمُ ما حكمة استفهام العالِم عمّا يَعلم؟

وفيه عِلْمُ لماذا (=إلى ماذا) يرجع ما يدركه البصر من تحوّل العين الواحدة في الصور في نظر الناظر: هل هي في نفسها على ما يدركها البصر؟ أو هي على ما هي عليه في نفسها، لم تنقلب عينُها؟ وهذا راجع إلى ما يرى من الأعيان، ويحكم عليها أنّها أعيان: هل تكرّرت بأعراض أو بجواهر؟ فإنّ الصور تختلف في النظر دائما، وكلّ منظور إليه بالبصر من الأجسام جسمٌ، فالجسميّة حكمٌ عامٌّ، ونرى فيها صورا مختلفة: منها ما يكون سريع الزوال، ومنها ما يبطئ في النظر، والجسمُ جسمٌ لم يتبدّل، وليس الموصوف بما ظهر إلّا الجسم، وكذلك الصور الروحانيّة والتجلّي الإلهيّ. وهذا عِلْمٌ فيه إشكال عظيم، والتخلّص منه بطريق النظر الفكريّ عسير جدّا.

وفيه عِلْمُ ما للنائب من الشروط أن يشترطها على مَن استخلفه، مع علمه بأنّه مقهور في إقامته نائبا؟ فهل اشتراطه مؤذِنٌ بجهله بمن استخلفه؟ أو بنسيانه فيذكّره؟ أو بعلمه بمصالحه أكثر من عِلْم مَن استخلفه بها[2]، وينفتح في هذا الاشتراط أمور هائلة تقدح؟ أو يعلم النائب أنّ من استخلفه يريد[3] منه أن يسأله فيما اشترط عليه ليريه فقرَه إليه ذوقا؟ إذ لو كان للنائب الاستقلال بما طلبه في شرطه؛ ما اشترطه.

وفيه عِلْمُ تعرّض النائب لمن استخلفه بالرشاء، وما يقبل من الرشاء؟ وما لا يقبل؟

وفيه عِلْمُ إجابة المستخلِف النائبَ في كلّ ما يسأله من مصالحه.

وفيه عِلْمُ أنّ في الطعن على المستخدَمين تَسفيهُ مَن استخدمهم. وهو علم خطِرٌ جدّا. ولذلك نهي عن الطعن على الملوك والخلفاء، وأُخبرنا أنّ قلوبهم بيد الله؛ إن شاء قبضها عنّا، وإن شاء عطف بها علينا. وأُمِرنا أن ندعو لهم، وأنّ وقوع المصلحة بهم في العامّة، أكثر من جَوْرِهم. وما حكمة جَوْرِهم، مع كونهم نوّاب الله، على الحقيقة، في خلقه؛ سواء كانوا كفّارا أو

1 ص ٢٧
2 "أو بنسيانه.. بها" ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب
3 ص ٢٧ب

مؤمنين، وعادلين أو جائرين؛ ما يخرجهم ذلك عن إطلاق النيابة عليهم؛ فهل إذا جار النائب انعزل فيما جار فيه من النيابة[1]؟ أو انعزل على الإطلاق من النيابة[2]، ثمّ جدّد[3] الحقّ له نيابة أخرى مجدّدة[4]؟

وفيه[5] عِلْمُ تعداد النِّعم من المنعِم على المنعَم عليه: هل هو مَنٌّ قادح؟ أو هل هو تعريفٌ ليعلم قدر ذلك، لما طلب منه من الشكر عليها؟ أو هل هو عقوبة لأمرٍ وقع منهم؟ أو هل تسوغ فيه مجموع هذه الوجوه كلّها؟

وفيه عِلْمُ الرِّفق في التعليم في مَواطن، والإغلاظ في مَواطن.

وفيه عِلْمُ من أين جئت؟ وإلى أين ترجع[6]؟ وهل ثَمّ رجوع على الحقيقة، أم لا؟ أو هو سلوك أبدًا قُدُمًا، لا رجوع فيه؟ والرجوع المعقول والمحسوس في العالَم؛ لأيّة نِسبة إلهيّة يرجع؟ وهل وَصْفُ الحقّ بالرجوع (هو) على ما قلناه في الرجوع، أم لا؟ فإنّ الحقائق تأبى أن يكون ثَمّ رجوع.

وفيه عِلْمُ الفَرق بين وصف النفوس الناطقة بالعقول والنُّهَى، والأحلام والألباب، وأمثال هذه الألقاب؛ لماذا (=إلى ماذا) يرجع؟

وفيه عِلْمُ ما حكمة إقامة الدليل لمن لا يعلم أنّ ذلك دليل، وهو يعلم أنّه عالِم بهذه الصفة؛ فهل هو عينه مقصود بذلك الدليل؟ أو غيره، فيكون فيه ناقلا فينتفع به، ويقبله مَن يصل[7] إليه مِن نَقْلِ هذا الذي لم يَعلم أنّ ذلك دليل؟ وهذا يقع كثيرا، وهو قول النبيّ ﷺ: «رُبّ حامل فقه ليس بفقيه»، فإذا حمله ونقله إلى فقيه، قَبِلَهُ ذلك الفقيه، واستفاد به علما لم يكن عنده، والناقل لا علم له بشيء من ذلك.

وفيه عِلْمُ تسمية الشيء باسم الشيء إذا كان مجاورا له، أو كان منه بسبب.

1 "من النيابة" ثابتة في الهامش بقلم الأصل، مع إشارة التصويب
2 "من النيابة" ثابتة في الهامش بقلم الأصل، مع إشارة التصويب
3 حرف الجيم مهمل
4 حرف الجيم مهمل
5 ص ٢٨
6 ق: "تروح" وصححت فوقها بقلم الأصل، مع إشارة التصويب
7 ص ٢٨ب

وفيه عِلْمُ لِمَ أمر الشارع بقتل الساحر؟ ولماذا سُمّي كفرا؟ ولمّا علم فرعونُ صِدق موسى عليه السلام وأضمر الإيمان في نفسه، الذي أظهره عند غرقه حين رأى البأس: هل قَتل مَن قَتل من السحرة الذين آمنوا لكونهم سحرة؛ فقتلهم شرعا في باطن الأمر، ولإيمانهم في ظاهر الأمر؟ وإذا قُتل الساحر: هل ذلك القتل كفّارة له، وجزاء على سِحره، ولم يبق عليه من جهة ذلك السحر في الآخرة مطالبة فيه، من الحقّ ﷻ؟ أم لا مطالبة عليه فيه من الله؟

وفيه عِلْمُ تفاضل المقرّبين عند الله: بماذا فضل بعضهم بعضا؟

وفيه عِلْمُ قول النبيّ ﷺ[1] في ابتلاء المؤمن بالرزايا والمصائب: «إنّ له خيرا في ذلك كلّه» ولماذا كان أهل الله في الدنيا أشدّ بلاء من سِوَاهُم؟ ولماذا يرجع اقتضاء ذلك في حقّهم، دون غيرهم من الناس المؤمنين؟

وفيه عِلْمُ لماذا جُبلت النفوس على حبّ المال، ولا سيما الذهب: هل لحيازته درجة الكمال المعدنيّ فوقعت المناسبة بين الكاملين؟ أو هل لما فيه من قضاء حوائجهم؛ فهم فقراء إليه لوصولهم به إلى أغراضهم؟ وقولُ عيسى عليه السلام: "قلب كلّ إنسان حيث مالُه، فاجعلوا أموالكم في السماء تكن قلوبكم في السماء" فمن اكتنز مالَه فقد دفن قلبَه في أرض طبيعته، فلا يلتذّ بمشاهدة أبيه، الذي هو الروح الإلهيّ أبدا. ومثل هذا يكون ابنَ أُمِّه، وإن كان له أبٌ، ولكن لا ينسب إليه. كعيسى بن مريم -عليهما السلام- نُسِب إلى أُمّه، وما وهبه لها إلّا جبريل عليه السلام لَمّا تمثّل لها بشرا سويّا، وأعلمها. ومع هذا فما نُسِب إلّا إلى البقعة الجسميّة، مع كونه يحيي الموتى، من حيث ما هو من هِبات الروح الأمين.

وفيه[2] عِلْمُ الغيرة الإلهيّة، ممن زاحمه في الاسم الخاصّ الذي به شرفه.

وفيه عِلْمُ متى تتعيّن إجابة السائل فيما سأل، إذا سأل؟ ومَن سأل بالحال؛ هل تتعيّن إجابته بالحال، فيكون الجواب مطابقا للسؤال؟

وفيه عِلْمُ وضع من ارتفع بنفسه، وانحطاط من تطاول فوق قدره.

وفيه عِلْمُ فائدة الموعظة ولو كُفِر بها؛ فإنّ لها أثرا في الباطن عند السامع، وإن لم يظهر

١ ص ٢٩
٢ ص ٢٩ب

ذلك؛ فإنّه يُحِسُّ به من نفسِه.

وفيه عِلْمُ مَن أراد كيدا؛ فصادف حقًّا؛ فهو عنده كذِبٌ؛ ثمّ أسفرت العاقبة أنّه صدق في نفس الأمر، ولكن لا علم له بذلك.

وفيه عِلْمُ الأوقات، وما تُعامَلُ به عقلا وشرعا عند السليم الفكر.

وفيه عِلْمُ تعيين مكارم الأخلاق.

وفيه عِلْمُ ما لا يُعْلَمُ أنّه لا يُعْلَمَ؛ عِلْمٌ.

﴿وَاللَّهُ[1] يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[2].

١ ص ٣٠
٢ [الأحزاب: ٤]

الباب الخامس والستّون وثلاثمائة
في معرفة منزل أسرار اتّصلت في حضرة الرحمة
بمن خَفي مقامُهُ وحالُه على الأكوان

مَرْتَبَــةُ الخَمْسَــةِ مَعْرُوفَــةٌ — تَحْفَـظُ مـا جاوَرَهـا مِـنْ عَـدَدْ
تَحْفَـظُ ذِكْـرَ اللهِ مِـنْ رَحْمَـةٍ — قامَـتْ بِهَـا لَـيْسَ لَهَـا مُسْـتَنَدْ
سِـوَى الذِي يَحْفَـظُ أَعْيَانَنـا — وَهْـوَ الإلَهُ المُتعـالِي الصَّـمَدْ
جَمِيْعُ ما فِي الكَوْنِ مِنْ خَلْقِهِ — لَهُ إذا يَـدْعُوهُ: "عَبْـدِي" سَجَـدْ
لَـوْلاهُ لَـمْ نُوْجَـدْ بِأَعْيانِنـا — مَـعْ كَوْنِـهِ -سُـبْحانَهُ- لَـمْ يَـلِدْ
فَهُـوْ مَـعَ الكَـثْرَةِ فِي حُكْمِـهِ — لَمْ تَنْتَفِ[1] عَنْهُ صِفاتُ الأَحَدْ
لَوْلا[2] وُجُودُ الكَثْرِ فِي حُكْمِهِ — لَمَـا بَـدَا مِنْـهُ وُجُـودُ العَـدَدْ
فَهُو وَحِيْـدُ العَـيْنِ فِي مُلْكِـهِ — وحُكْمُـهُ فِي كَوْنِـهِ مُسْـتَبِدْ
لَمَّـا حَمَلْنـاهُ عَـلَى كَوْنِنـا — مِنْ نَفْسِنا مِنْ فَضْلِهِ ما عُبِدْ
عَـزَّ فَمـا يُدْرِكُـهُ غَـيْرُهُ — وجَـلَّ أَنْ يَبْقَـى بِحُكْمِ المُـدَدْ
سُـبْحانَهُ مِـنْ مَـلِكٍ قـاهِرٍ — قَـدْ قَهَـرَ الكُلَّ وأَهْـلَ العُـدَدْ
لَيْسَ عَـلَى غَـيْرٍ مِنَ اكْوَانِـهِ — لِـكُلِّ مَـنْ يَعْرِفُـهُ مُعْتَمَـدْ
مِـنْ أَزَلٍ صَحَّ لَهُ حُكْمُنـا — كَـذاكَ أَيْضًـا حُكْمُـهُ فِي الأَبَـدْ

اعلم -أيّدنا الله وإيّاك بروح منه- أنّ الله لَمّا سمّى نفسه بالظاهر والباطن، اقتضى ذلك أن يكون الأمر الوجوديّ بالنسبة إلينا بين جليّ وخفيّ. فما جَلاه لنا فهو[3] الجليّ، وما ستره عنّا فهو الخفيّ. وكلّ ذلك له -تعالى- جليّ. قال رسول الله ﷺ في دعائه: «اللهم إنّي أسألك بكلّ اسم سمّيتَ به نفسَك أو علّمته أحدا من خلقك» وهو الجليّ عند مَن علّمه الله إيّاه، والخفيّ عمّن لم

[1] رسمها في ق: تنتفي
[2] ص ٣٠ب
[3] ص ٣١

يُعَلِّمه. ثمّ قال: «أو استأثرت به في علم غيبك» فهذا خفيّ عمّا سِوَى الله، فلا يعلمه إلّا الله، ﴿فَإِنَّهُ﴾ -تعالى- ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ﴾ وهو ما بينه وبين خلقه ﴿وَأَخْفَى﴾[1] وهو ما لا يعلمه إلّا هو. مثل مفاتح الغيب التي عنده لا يعلمها إلّا هو. فهو ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ وهو الخفيّ ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾[2] وهو الجليّ، وما أوجده من الممكنات وهو الجليّ أيضا، وما لم يوجده منها وهو الخفيّ أيضا. ولا يخلو العالَم من هاتين النِّسبتين؛ دنيا ولا آخِرة.

فالمزيد الواقع من العالم في العالَم، هو من الخفيّ. والمزيد لا يزال. فالعالَمُ جديد خارج من الخفاء إلى الجلاء لا يزال. فالجليّ من سؤال السائلين إنما يسمعه الحقُّ من الاسم الظاهر، والخفيُّ منه يسمعه من الاسم الباطن. فإذا أعطاه ما سألَ فالاسم الباطن يعطيه للظاهر، والظاهر يعطيه للسائل. فالظاهرُ حاجِب الباطن، والجليُّ حاجب الخفيّ، كما أنّ الشعور حاجب العلم.

واعلم[3] أنّ الله ﷻ يعامل عبادَه بما يعاملونه به، فكأنّه[4] -تعالى- بحكم التبعيّة لهم، وإن كان ابتداء الأمر منه. ولكن هكذا علمنا وقرّر لدينا. فإنّا لا ننسب إليه إلّا ما نَسبه إلى نفسه، ولا يتمكّن لنا إلّا ذلك. فمِن حكم تبعيّة الحقّ -تعالى- للمخلوق قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[5] وقوله ﷺ في الصحيح: «إنّ الله لا يملّ حتى تملّوا» وقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[6] وقوله -سبحانه-: «مَن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه».

فَلا يَكُونُ العَبْدُ فِي حالَةٍ — إِلّا يَكُونُ الحَقُّ فِي مِثْلِها
وكُلُّهـا مِنْـهُ ولَكِنَّـهُ — كَذَا أَتانا الحُكْمُ فِي شَكْلِها

[1] [طه : ٧]
[2] [الأنعام : ٧٣]
[3] ص ٣١ب
[4] كتب في الهامش مقابلها: "فهو"
[5] [آل عمران : ٣١]
[6] [البقرة : ١٥٢]

فكلُّ مخالِفٍ أمرَ الحقّ فإنّه يستدعي بهذه المخالفة من الحقّ مخالفة غرضه. ولذلك لا يكون العفو والتجاوز والمغفرة من الحقّ جزاء لمخالفة العبد في بعض العبيد[1]، وإنما يكون ذلك امتنانا من الله عليه. فإن كان جزاء، فهو جزاء لمن عفا عن[2] عبدٍ مثله، وتجاوز وغفرَ لمن أساء إليه في دنياه؛ فقام له الحقُّ في تلك الصفة من العفو، والصفح، والتجاوز، والمغفرة؛ مِثلا بمثل، يدا بيد، ها وها. ورد في الخبر الصحيح عن رسول الله ﷺ: «ما كان الله لينهاكم عن الرّبا ويأخذه منكم، فما نهى اللهُ عبادَه عن شيء إلّا كان منه أبْعَد، ولا أمَرَكم بكريم خُلُق إلّا كان الحقّ به أحقّ».

واعلم أنّ هذا المنزل هو منزل الميراث المعنويّ، وهو منزل بُدْءِ الشريعة[3]، وكون الحياة شرطا في جميع وجود النِّسب المنسوبة إلى الله، وهذه النِّسبة أوجبتْ له -سبحانه- أن يكون اسمه "الحيّ" لجميع الأسماء الإلهيّة موقوفة عليه، ومشروطة به، حتى الاسم "الله". فالاسم "الله" هو المهيمن على جميع الأسماء التي من جملتها "الحيّ". ونسبة الاسم "الحيّ" لها المهيمنيّة على جميع النِّسب الأسمائيّة، حتى نِسبة الألوهة التي بها تسمّى[4] اللهُ: الله.

قال ﷺ: «العلماءُ ورثةُ الأنبياء، وما ورّثوا دينارا ولا درهما؛ ورّثوا العلم. فمن أخذ منه أخذ بحظٍّ وافر». وقال: «نحن معاشر الأنبياء لا[5] نرث ولا نورّث، ما تركنا صدقة» يعني الورث. أي ما يورث من الميّت من المال، فلم يبق الميراث إلّا في العلم، والحال، والعبارة عمّا وجدوه من الله في كشفهم، وأهل النظر في نظرهم. وهؤلاء هم العلماء الذين يخشون الله؛ لعلمهم بأنّه يعلم حركاتهم وسكناتهم على التعيين والتفصيل؛ فإنّه: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ. وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾[6] وفي جميع أحوالِك. فأبان ﷺ أنّ الأنبياء لهم التقدّم؛ فإنّهم لا يورّثون حتى ينقلبوا إلى الله من هذه الدار.

فكلُّ ما يناله المتّبِع لنبيّ خاصّ في حياته؛ فإنّه إنعامٌ من ذلك النبيّ، لا ميراث. وكلّ ما ناله

---

١ "في بعض العبيد" ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٢ ص ٣٢
٣ كتب مقابلها في الهامش بقلم آخر كبديل: "التشريف" مع إشارة التصويب
٤ ق: سمي، والترجيح من هـ
٥ ص ٣٢ب
٦ [الشعراء : ٢١٨، ٢١٩]

من نبيّ قد مات؛ فذلك عِلمٌ موروث. فكلُّ وارثِ عِلْمٍ في زمانٍ؛ فإنما يرثُ مَن تقدّمه من الأنبياء -عليهم السلام- لا مَن تأخَّر عنه. فوراثة عالِمِ كلِّ أمّةٍ كانت لنبيّ قبل رسول الله ﷺ فوراثةٌ جزئيّة. وهذه الأمّة المحمّديّة، لمّا كان نبيّها محمد ﷺ آخر الأنبياء، وكانت أُمّتُه خيرَ الأمم، صحّ للوارث منهم أن يرِثَه ويرثَ جميعَ الأنبياء -عليهم السلام- ولا يكون هذا أبدا في عالِمِ أُمّةٍ متقدِّمة قبل هذه الأُمّة. فلهذا كانت أفضلَ أُمّة أُخرجت للناس؛ لأنّها زادت على الوارثين بأمرٍ لم[1] تنله إلّا هذه الأمّة.

فكلُّ وارثِ نبيٍّ، فعِلْمُهُ من فيضِ نورِ مَن وَرِثَهُ من الله. ونظرُه -سبحانه- إلى أنبيائه أتمّ النظر، فعلمُ الورثة أتمّ العلوم.

وكلّ علم لا يكون عن ورث، فإنّه ليس بعلم اختصاص. كعلم أصحاب الفترات؛ فإنّ علمهم ليس بعلم وراثة، وإن كانوا علماء، ولكنّهم لم يكونوا متّبِعين لنبيّ؛ لأنّه لم يُبعث إليهم (نبيّ)، وليسوا بأنبياء؛ فما كان لهم من الله نظرة الأنبياء. فنزلوا عن درجة الورثة في العلم، وعلموا أنّ لله أنبياء.

وأمّا الذين لا يُقرّون بالأنبياء ولا بالنبوّة، على ما هي عليه في نفسها، ويرون أنّ مسمّى الأنبياء إنما هو لمن صفّى جوهرة نفسه من كدورات الشهوات الطبيعيّة، والتزم مكارمَ الأخلاق العُرْفيّة، وإنّه إذا كان بهذه المثابة؛ انتقش في نفسه ما في العالم العُلويّ من الصور بالقوّة؛ فنطق بعلم الغيوب. وليست النبوّة عندنا، ولا في نفسها كذلك ولا بدّ، وقد تكون في بعض الأشخاص على ما قالوه.

ولكن، مع جواز ما ذكروه من نقشِ ما في العالم من الصور بالقوّة، في نفس هذا الشخص، ما وقع في الوجود، ولا يقع في جزئيّات الأمور. فإنّ الذي في حركات الأفلاك، وسباحة الكواكب، وفي السماوات، من العلوم التي يكون من آثارها[2]؛ لا عِلم لها بذلك من كوكب،

---

١ ص ٣٣
٢ ص ٣٣ب

وسماء، وفلَك، وملَك. فيَعرف هذا الشخص منها ما لا تعرف (هي) من نفسها. وما ذُكِر عن أحد، من نبيّ ولا حكيم، أنّه أحاط علما بما تحوي عليه حاله في كلّ نفَسٍ نفَس إلى حين موته، بل يَعلم بعضا ولا يَعلم بعضا.

مع عِلمنا أنّ الله ﷻ ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾[1] وأنّ الله قد أودع اللوحَ المحفوظ عِلمَهُ في خَلقِه، بما يكون منهم إلى يوم القيامة. ولو سئل اللوح: ما فيك؟ أو: ما خَطّ القلمُ فيك من عِلم الله ﷻ؟ ما عَلِم. فإنّ الله أودعَ ذلك كلّه في نظره لمن هو دونه، ولا يَعلم ما يكون عن ذلك النظر من الأثر. فإنّ الأثر ما يظهر عن النظر، بل عن استعداد القابل. ولهذا قال: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾[2] فانظر في لمحة البصر الواحد ما تُدرِك من المنظورات. وهذا الأمر، وإن كان واحدة، فإنّه بالوجود مختلفٌ لاختلاف القوابل في الاستعداد. فلا يعلم الأمور على التفصيل إلّا الله وحده. ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾[3].

وكلُّ صاحب مجاهدة، وخلوة، وتصفية نفس (ممن هو) على غير شريعة، ولا مؤمن بها على ما هي عليه في نفسها؛ فإنّ العلم الذي يكون عليه، ويجده عند هذا الاستعداد، ليس[4] بعلم ميراث، ولا للحقّ إليه نظرٌ نبويّ؛ بل غايته أن يتلقّى من الأرواح الملَكيّة بقدر ما هو عليه من المناسبة، ومن الله على قدر ما أعطاه نظره الفكريّ؛ لأنّه لا كشف له ألْبتّة من الله. لأنّ ذلك من خصائص الأنبياء -عليهم السلام- ومتّبعيهم، لا مَن قال بهم ولم يتّبع واحدا منهم على التعيين من أصحاب التعريف، ولا عمل عملا في زمان الفترة لقولة نبيّ. وإن وافق بعمله عمل نبيّ، لكنّه غير مقصود له الاتّباع. فإنّ الإلقاء إليه، دون الإلقاء[5] إلى الوارث العامل على ذلك لقول النبيّ. وبين العِلمين بَوْنٌ عظيم، وتمييزٌ ذوقيّ مشهود. جعلَنا الله وإيّاكم من الوارثين.

وكلُّ مَن أظهر اعتقاد النبوّة، وصرف ما جاءت به من الأحكام الظاهرة إلى معانٍ نفسيّة،

١ [فصلت : ١٢]
٢ [القمر : ٥٠]
٣ [البقرة : ٢٥٥]
٤ ص ٣٤
٥ كتب في الهامش بقلم آخر: "إلقاء الله" مع إشارة التصويب، وحرف خ

لم تكن قصد النبيّ، بما ظهر عنه ما اعتقدَتْهُ العامّة من ذلك؛ فإنّه لا يحصل على طائل من العلم.

ومَن اعتقد فيما جاء به هذا النبيّ أنّه في الظاهر والعموم على ما هو عليه حقٌّ كلّه، وله زيادة مصرف آخر، مع ثبوت هذا إلى المعاني؛ فجمع بين الحسّ والمعنى في نظره. فذلك (هو) الوارثُ العالِمُ الذي شاهد الحقَّ على ما هو عليه. وهذا لا يحصل بالتعمُّل. ومعنى[1] التعمُّل أن يقول هذا الذي ليس له هذا الاعتقاد، ويسمع به منّي أو من غيري، فيقول: "أنا أعتقده، وأربط نفسي به؛ فإن كان ما قاله حقّا[2] فأناله، وإن لم يكن فما يضرّني" فمثل هذا لا ينفعه، ولا يُفتح له فيه؛ لأنّه غير مصدّق به على القطع، بل هو صاحب تجربة. وأين الإيمانُ من الشكِّ والتجربة؟ فهذا أعمى البصيرة، ناقص النظر.

فإنّه لو صحّ منه النظر الفكريّ في الأدلّة؛ لعثر على وجه الدلالة؛ فانقدح له المطلوب، وأسفر له عن الأمر على ما هو عليه، كما أسفر لغيره ممن وفّى النظرَ حقَّه. فإنّه إذا وفّى الناظرُ نظرَه؛ لزمه الإيمان ملازمةَ الظِّلِّ الشخصَ، لأنّهما مزدوجان. فإنّه يطّلع بعين الدليل على هذا المسمّى: بالنبيّ والشارع، عند الله. فمن المحال أن يَشهده ذوقا، ولا يتّبعه حالا؛ هذا ما لا يُتصوّر.

ولقد آمنّا بالله وبرسوله، وما جاء به مجملا ومفصّلا مما وصل إلينا من تفصيله. وما لم يصل إلينا، أو لم يثبت عندنا؛ فنحن مؤمنون بكلّ ما جاء به في نفس الأمر. أخذتُ ذلك عن أبويّ أخذَ تقليد، ولم يخطر لي ما حُكْم النظر العقليّ فيه: من جواز، وإحالة، ووجوب. فعملتُ على إيماني بذلك؛ حتى علمتُ[3] من أين آمنتُ؟ وبماذا آمنتُ؟ وكشف الله عن بصري، وبصيرتي، وخيالي؛ فرأيتُ بعين البصر ما لا يدرَك إلّا به، ورأيتُ بعين الخيال ما لا يدرَك إلّا به، ورأيتُ بعين البصيرة ما لا يدرَك إلّا به. فصار الأمرُ لي مشهودا، والحكمُ المتخيّلُ المتوهَّمُ بالتقليد موجودا. فعلمتُ قدرَ مَن اتّبعتُه، وهو الرسول المبعوث إليّ، محمد ﷺ وشاهدتُ جميعَ الأنبياء

١ ص ٣٤ب
٢ ق: "حقّ"
٣ ص ٣٥

كلّهم، من آدم إلى محمد -عليهم السلام-، وأشهدني اللهُ -تعالى- المؤمنين بهم كلّهم، حتى ما بقي منهم من أحد ممن كان وهو ويكون إلى يوم القيامة، خاصّهم وعامّهم. ورأيت مراتبَ الجماعة كلّها. فعلمتُ أقدارَهم.

واطّلعتُ على جميع ما آمنتُ به مجملا مما هو في العالم العُلويّ. وشهدتُ ذلك كلّه؛ فما زحزحني، عِلمُ ما رأيتُه وعاينتُه، عن إيماني. فلم أزل أقول وأعمل ما أقوله وأعمله؛ لقول النبيّ ﷺ، لا لعلمي، ولا لعيني، ولا لشهودي. فواخَيْتُ بين الإيمان والعِيان. وهذا عزيز الوجود في الأتباع؛ فإنّ مزلّة الأقدام للأكابر إنما تكون هنا. إذا وقعتِ المعايَنةُ لِمَا وقع به الإيمانُ؛ فيعمل على عينٍ لا على إيمان، فلم يجمع بينهما؛ ففاته من الكمال أن يعرف قدرَه ومنزلتَه. فهو وإن كان من أهل الكشف؛ فما كشف[1] الله له عن قدْرِهِ ومنزلته؛ فجهل نفسَه؛ فعمل على المشاهدة. والكامل مَن عمل على الإيمان، مع ذوق العِيان، وما انتقل، ولا أثّر فيه العيان.

وما رأيت لهذا المقام ذائقا بالحال؛ وإن كنت أعلم أنّ له رجالا في العالم، لكن ما جمع الله بيني وبينهم في رؤية أعيانهم، وأسمائهم. فقد يمكن أن أكون رأيتُ منهم، وما جمعتُ بين عينه واسمه. وكان سبب ذلك أنّي ما علّقتُ نفسي قطّ إلى جانب الحقّ أن يطلعني على كونٍ من الأكوان، ولا حادثةٍ من الحوادث. وإنما علّقتُ نفسي مع الله أن يستعملني فيما يرضيه ولا يستعملني فيما يباعدني عنه. وأن يخصّني بمقام لا يكون لمتّبِع أعلى منه. ولو أشركني فيه جميع مَن في العالَم، لم نتأثّر لذلك. فإنّي عبدٌ محض، لا أطلب الشفوف على عباده. بل جعل الله في نفسي من الفرح أنّي أتمنّى أن يكون العالمُ كلّه على قدم واحدة، في أعلى المراتب.

فخصّني الله بخاتمة أمر لم تخطر لي ببال؛ فشكرت الله -تعالى- بالعجز عن شكره، مع توفيتي في الشكر حقّه. وما ذكرتُ ما ذكرتُه من حالي للفخر. لا واللهِ؛ وإنما ذكرته لأمرين: الأمر الواحد لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[2] وأيّةُ نعمةٍ أعظم من هذه؟!. والأمر الآخر

١ ص ٣٥ب
٢ [الضحى : ١١]

ليسمعَ صاحبُ همّةٍ، فتحدث فيه همّةٌ لاستعمال[1] نفسه فيما استعملتها؛ فينال مثل هذا؛ فيكون معي وفي درجتي. فإنّه لا ضيق ولا حرج إلّا في المحسوس، والألوهيّةُ خاصّةٌ.

ولهذا لا يتعلّق حكم الغَيرة إلّا بهذين المقامين. فأمّا المحسوس؛ فلِحَصْرِه؛ فإنّه إذا كان عندك؛ لم يكن عين ما هو عندك عند غيرك. وأمّا في الألوهيّة؛ فإنّ المدّعي فيها: كاذبٌ، ومَن هي له: صادقٌ. فمتعلّق الغَيرة كون مَن ليست فيه الألوهيّة، ويدّعيها كاذبا. فالغَيرة على المقام؛ فإنّها لا تكون إلّا لواحدٍ ليس لغيرٍ فيها قَدم. والغَيرة مشتقّة من الغَيْر. فهذا قد أبنتُ لك عن سواء السبيل.

واعلم أنّ أطيب ما يورّث من العلم (هو) ما يرثه العالِمُ من الأسماء الإلهيّة. فإن قلتَ: وكيف تورّث الأسماء الإلهيّة، ولا يكون الورث إلّا بعد موتٍ؟ قلنا: وكذلك أقول. فاعلم أنّي أريد بهذا النوع من العلم، كون الحقّ -سبحانه- قادرا على أن يفعل ابتداء، ما لا يفعله ولا وقع، إلّا منك. كما قد بيّنّا أنّك آلةٌ له -تعالى-. فلمّا كان منك ولا بدّ، ما يمكن أن يكون له دونك، ومن المحال أن يكون، لما هو منك، كونان؛ فإنّ الكائن لا يقبل كونَيْن، بل هو وجودٌ واحدٌ. فيتنزّل هذا القدر، من الكون الظاهر[2] منك مما كان له، منزلة المال الموروث ممن كان له؛ إذ يستحيل أن يكون له مع موته، كما استحال أن يكون هذا الكائن عن غير مَن كان عنه. فتحقّق هذه النكتة فإنّها عجيبة في أصحاب الأذواق، لا في أحكام العقل.

واعلم أنّه لمّا لم يتمكن أن يتقدّمَ الاسمَ "الحيّ" الإلهي، اسمٌ من الأسماء الإلهيّة؛ كانت له رتبة السبق؛ فهو المنعوت، على الحقيقة، بالأوّل. فكلُّ حيٍّ في العالَمِ -وما في العالَم إلّا حيٌّ- فهو فرعٌ عن هذا الأصل. وكما لا يشبه الفرعُ الأصلَ، بما يحمله من الثمر، وما يظهر منه من تصريف الأهواء له في اختلافها عليه، وما يقبل من حال التعرية واللباس إذا أورق وتجرّد عن ورَقِه، والأصل ليس كذلك؛ بل هو الممدّ له بكلّ ما يظهر فيه وبه؛ إذ ليس له بقاء في فروعه[3]

١ ص ٣٦
٢ ص ٣٦ب
٣ ق: "فرعيته" وصححت في الهامش بقلم الأصل

وأحكامها إلّا بالأصل؛ كذلك الاسم "الحيّ" مع سائر الأسماء الإلهيّة.

فكلّ اسم هو له، إذا حقّقتَ الأمرَ؛ فيسري سِرُّه في جميع العالَم، فخرج على صورته فيما نُسِب إليه من التسبيح بحمده. والتسبيحُ تنزيهٌ، والتنزيهُ تعريةٌ. وكذلك الأصل معرّى عن ملابس الفروع وزينتها، من ورق وثمر، وكلّ ذلك منه. وهو[1] منزّهٌ، في ذاته، عن أن تقوم به؛ فقد أعطى ما لا يقوم به، ولا يكون صفة له. وهذا علمٌ لا يمكن أن يحصل إلّا لصاحب كشف، وإذا حصل له لا يمكن أن يقسم العالَم إلى حيّ وإلى غير حيّ؛ بل هو عنده كلّه حيّ. ولكن تُنسب، عندنا، الحياة لكلّ حيّ، بحسب حقيقة المنعوت بها، المسمّى عند أهل الكشف والشهود؛ لا عند مَن لا يرى الحياة إلّا في غير الجماد والنامي في نظره. ليس كلامنا إلّا مع أهل الكشف الذين أشهدهم اللهُ الأمرَ على ما هو عليه في نفسه، فاعلم ذلك.

واعلم أنّه لمّا كان الاسم "الحيّ" اسما ذاتيًّا للحقّ -سبحانه- لم يتمكن أن يصدر عنه إلّا حيٌّ؛ فالعالَم كلّه حيٌّ. إذ عَدَمُ الحياة، أو وجود موجود من العالَم غير حيّ؛ لم يكن له مستند إلهيّ في وجوده ألْبَتّة. ولا بدّ لكلّ حادث مِن مستند، فالجمادُ -في نظرك- هو حيٌّ في نفس الأمر، وأمّا الموتُ فهو مفارقةُ حيّ مدبِّر لِحَيّ مدبَّر. فالمدبِّر، والمدبَّر حيٌّ، والمفارقة نِسبة عدميّة، لا وجوديّة؛ إنما هو عزلٌ عن ولاية.

ثمّ إنّه ما من شرط الحيّ أن يُحِسّ؛ فإنّ الإحساس والحواسّ أمر معقول زائد على كونه حيّا؛ وإنما من شرطه العلم. وقد يُحِسّ وقد لا يُحِسّ. ولو[2] أحسّ فليس من شرط الإحساس وجود الآلام واللذّات، فإنّ العلمَ يُغني عن ذلك مع كون العالَم لا يُحِسّ بما جرت العادة أنّه لا يدرَك إلّا بالحِسّ. وأنت تعلم، وجميع العقلاء؛ أنّ الله عالِمٌ بكلّ شيء، مع تنزيهه عن الإحساس والحواسّ. فلحصول العلم طرُقٌ كثيرة عند من يستفيد علما، والحِسُّ طريق موصِلَة إلى العلم بالمحسوس.

فقد يوصَل إلى العلم به من غير طريق الحِسّ. فيكون معلوما في الحالتين، لكنّه لا يكون

١ ص ٣٧
٢ ص ٣٧ب

محسوسا لمن علِمه من غير طريق الحِسّ. لكنّه هو له مشهود ومعلوم، كما لا نشكّ أنّا نرى ربّنا بالأبصار عيانا على ما يليق بجلاله، وهو مرئيٌّ لنا، ولا نقول فيه: "إنّه محسوس" لما يطلبه الحِسّ من الحصر والتقييد. فهذه رؤية غير مكيّفة. وكلامنا في هذا مع مَن يقول بالرؤية بالبصر.- ولا نقول بالكيف، ولا الحصر والتقييد. بل نراه منزّها؛ كما علمناه منزّها. وقد قدّمنا في غير موضع من هذا الكتاب تصويب كلِّ اعتقاد، وصحّة كلّ مقالة عقليّة في الله.

وأمّا المقالات الشرعيّة المنزلة من الله فيه، فالإيمان بها واجب. وما جاءت لِتُخالف العقل؛ فإنّها قد جاءت بموافقة[1] العقل، في ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[2] وقد جاءت بما لا يقبله دليل العقل من حيث نظره[3]؛ فزاد علما به، لم يكن ليستقلّ به قَبْلَه: بإيمانه إن كان عن خبر، أو بذوقه إن كان عن شهود. وسلّمنا له ما وصف به نفسه من كلّ ما لا يستقلّ به العقل، من حيث انفراده بذلك في نظره، لكوننا لا نحيط علما بذاته. لا؛ بل لا نعلمها رأسا.

ولمّا كانت الأعيان في الوجود لها اتّصالٌ بعضها ببعض، ولها انفصالٌ بعضها عن بعض؛ جعل اللهُ ذلك علامةً لمن لا كَشْفَ له؛ على أنّ للعالَم بالله اتّصالا معنويًّا من وجهٍ، وفصلًا من وجهٍ. فهو من حقيقة ذاته، وألوهته، وفاعليّته؛ متّصِلٌ، منفصِلٌ من وجه واحد، ذلك الوجهُ (هو) عينُه؛ لأنّه لا يتكثّر، وإن كثُرَتْ أحكامه وأسماؤه ومعقولات أسمائه. فاتّصالُه: خَلْقُهُ إيّانا بيديه ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[4]، ﴿خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾[5]. وانفصالُه: انفصالُ أُلوهة مِن عبودة ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ﴾[6] بانفصاله ﴿الْحَكِيمُ﴾ باتّصاله. ولكن لا يكون التكوين من العالَم إلّا باتّصاله، لا بانفصاله.

والعالَم يكوّنُ ما كلّفه الله به من العبادات. ولهذا أضاف أعمالَها إلى العبد، وأمرَه أن يطلب

١ ص ٣٨
٢ [الشورى : ١١]
٣ "من حيث نظره" ثابتة في الهامش بقلم آخر
٤ [ص : ٧٥]
٥ [يس : ٧١]
٦ [آل عمران : ٦]

الإعانة من الله في ذلك. كما أنّه آلةٌ[1] للحقّ في بعض الأفعال، والآلات مُعينة للصانع فيما لا يُصنع إلّا بآلة، والعالَم منفصل عن الحقّ بحدِّه وحقيقته. فهو منفصل متّصل من عين واحدة؛ فإنّه لا يتكثّر في عينه، وإن تكثّرت أحكامُه؛ فإنّها نِسَبٌ وإضافاتٌ عدميّة معلومة؛ تَخرج على صورة حقّ. فما صدر عن الواحد إلّا واحد؛ وهو عين الممكن. وما صدرت الكثرة، أعني أحكامه، إلّا من الكثرة؛ وهي الأحكام المنسوبة إلى الحقّ، المعبَّر عنها بالأسماء والصفات.

فَمَن نظر العالَم من حيث عينه؛ قال بأحديّته، ومَن نظره من حيث أحكامه ونِسبه؛ قال بالكثرة في عين واحدة. وكذلك نظره في الحقّ؛ فهو الواحد الكثير، كما أنّه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[2]. وأين التنزيه من التشبيه، والآية واحدة؟! وهي كلامُه عن نفسه، على جهة التعريف لنا بما هو عليه في ذاته، ففَصَل بـ"ليس" وأثبت بـ"هو".

وأمّا نداؤه -تعالى- للعالَم، ونداءُ العالَم إيّاه؛ فمن حيث الانفصال. فهو ينادي: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ ونحن ننادي: "يا ربّنا". ففصل نفسه عنّا، كما فصلْنا[3] أيضا أنفسنا عنه؛ فتميّزنا. وأين هذا المقام من مقام الاتّصال إذا أحبّنا، وكان سمعَنا وبصرَنا وجميع قوانا؟ وجعل ذلك، حين[4] أخبرنا: اتّصالَ محبٍّ بمحبوب؛ فنَسب الحبَّ إليه، ونحن المحبوبون! ولا خفاء، بالفرق بين أحكام المحبّ ومنزلته، وبين أحكام المحبوب ومنزلته؛ فارتفعنا به، ونزل -سبحانه- بنا. وذلك حتى[5] لا يكون الوجود على السَّواء؛ فإنّه محالٌ التسوية فيه. فلا بدّ من نزول ورِفعة فيه، وما ثَمّ إلّا نحن وهو. فإذا كان حكمُ واحدِ النزولَ، كان حكمُ الآخر الرفعةَ والعُلوَّ. وكلُّ محبٍّ نازلٌ، وكلُّ محبوبٍ عالٍ. وما منّا إلّا محبٌّ ومحبوب، فـ﴿مَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾[6] وما منّا إلّا نازلٌ عليٌّ. فهذه أحكام مختلفة في عين واحدة.

١ ص ٣٨ب
٢ [الشورى : ١١]
٣ ثابتة في الهامش بقلم آخر
٤ ص ٣٩
٥ ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٦ [الصافات : ١٦٤]

فَيـا أَيُّهـا المؤمِنـونَ اتَّقـوا   وَيا رَبَّنـا مـا الَّذي نَتَّقـي
فَنادَى؛ فَنادَيْتُ مُسْتَفْهِمًا   فَلَمْ أَدْرِ مَنْ رَاحَ أَوْ مَن بَقِي
وقَسَّمَ حُكْمِي عَلَى حُكْمِهِ   فإمّـا سَـعِيدٌ وإمّـا شَـقِي
فَيَرْضَى ويَغْضَبُ فِي حُكْمِهِ   وَنَشْـقَى وَنَسْـعَدُ إِذْ نَلْتَقِـي
فأَيْنَ[1] الأَكَالِيلُ مِنْ رِجْلِهِ   وأَيْـنَ النِّعـالُ مِـنَ المِفْـرَقِ
فَيَظْهَـرُ فِي ذَا وذَا مِـثْلُهُ   لِيَلْقَى العُبَيد الَّذِي قَدْ لَقِي
إذا كانَ مـا قُلْتُـهُ كائِنًـا   فَقَدْ عَلِمَ العَبْدُ ما يَتَّقِي

واعلم -أيّدك الله- أنّ في هذا المنزل من العلوم:

عِلْم الحُجُب المتّصلة بالمحجوب؛ فإنّ القُرْبَ المفرِط حجابٌ مثل البُعْدِ المفرِط.

وفيه عِلْمُ مجالسة العبدِ ربَّه إذا ذكرَه، وانقسام أهل الذِّكر فيه إلى مَن يعلم أنّه جليس الحقّ في حين ذكره الحقَّ، وإلى مَن لا يعلم ذلك. وسبب جهله بمجالسة ربّه؛ كونه لا يعلم ربّه فلا يميّزه، أو كونه لا يعلم أنّ ربّه ذَكَرَهُ، لِصمم قام به، وغشاوة على بصره. فإنّ الذاكر الصحيح يعلم متى يذكره رَبُّهُ، وإن لم يعلم شهودا مجالسته ربَّه. وغيرُه يعلم ذلك ويشهد جليسه. فكما هو الحقّ جليس مَن ذكره، كذلك العبدُ جليسُ الحقّ إذا ذكره ربّه. ولا يجالسه إلّا عبدٌ في الحالتين. ولو[2] جالسه به؛ فعبودته لم تزل؛ فإنّ عينه لم تزل. لأنّ غاية القُرب أن يكون الحقُّ سمعَه، فقد أثبت عينَه، وليس عينُه سِوَى عبودته.

وفيه؛ ما الفرق بين مجالسة الحقّ -تعالى- في الخلوة والجلوة: هل الصورة في ذلك واحدة؟ أم تتنوّع بتنوُّع المجالس؟

وفيه عِلْمُ ما يتحدّث به جليسُ الحق مع الحقّ؟ وفي أيّ صورة يكون ذلك؟ فإنّ المشاهدة للبهتِ. فهل كلُّ مشاهدةٍ (تكون) للبهت؟ أو لا يكون البهت إلّا في بعض المشاهدات؟ ولا بدّ

١ ص ٣٩ب
٢ ص ٤٠

من العلم بأنّ المتجلّي هو الله -تعالى-.

وفيه عِلْمُ كلُّ[1] مَن دعا الله، كائنا من كان، أنّه لا يشقى، ولا أحاشي أحدا. وإن شقي الداعي لِعارِضٍ؛ فالمآل إلى السعادة الأبديّة.

وفيه عِلْمُ مَن خاف غير الله بالله؛ ما حكمُه عند الله؟ وهو مقام عزيز، لكونه خاف بالله. ومَن هذه حالته لا يرى غير الله، فكيف يخافُ غيرَ الله؟ يقول الله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِي إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[2].

وفيه عِلْمُ مَن طلب الأمان من الله بالغير؛ هل هو مصيبُ صاحبُ علم؟ أو مخطئ صاحب جهل؟ وهل يُخافُ اللهُ لِعينه؟ أو[3] يُخاف لما يكون منه؟ فمتعلّق الخوف، إن كان لما يكون منه، فمتعلّقه ما يكون منه؛ وهو ما يقوم بك.

وفيه عِلْمُ أثر العاداتِ في الأكابر أهل الشهود؛ لماذا (=إلى ماذا) يرجع، مع علمهم بأنّه ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[4]؟ فما مشهودُهم: هل مشهودهم: ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾[5]؟ وهم جاهلون بما في إرادة الحقّ بهم، فتؤثّر العادات فيهم بوساطة حالهم في هذا المقام الذي تعطيه الإرادة الإلهيّة.

وفيه عِلْمُ هل الأمور كلّها بالنّسبة إلى الله على السّواء؟ أو ليست على السّواء؟ فإن لم تكن على السّواء؛ فما السبب الذي أخرجها أن تكون على السّواء؟ قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[6] وقوله: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[7] فهو قوله: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ ابتداءً، وإعادتُهم أهونُ من ابتدائهم، وابتداؤهم أهونُ[8] مِن خلق السماوات والأرض. فخَلقُ السماوات والأرض أكبرُ قدرا من

1 ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب
2 [آل عمران : ١٧٥]
3 ص ٤٠ب
4 [البقرة : ٢٠]
5 [هود : ١٠٧]
6 [الروم : ٢٧]
7 [الروم : ٢٧]
8 ثابتة في الهامش بقلم آخر. مع إشارة التصويب

خلق الناس؛ فإنّ الناس لها عليهم حقُّ ولادة؛ فالناس منفعلون عنها؛ فإنّ الجِرميّة غيرُ معتبَرة هنا؛ فإنّه قال: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1] وما[2] من أحد إلّا وهو يعلم حِسًّا؛ أنّ خلق السماوات والأرض أكبر في الجِرْم من خلق الناس، وما ثَمَّ إلّا انفعال الجسم الطبيعي عنها، لا غير.

وفيه عِلْمُ ابتداء كلّ عين في كَوْنها، فليس لها مِثالٌ سَبَق.

وفيه عِلْمُ الفرد الأوّل الذي هو أوّل الأفراد.

وفيه عِلْمُ ما يُسمّى كلاما، فإنّ ذلك مسألة خلاف طال فيها الكلام بين أهل النظر. وقول الله لزكريا عليه السلام أن جعل الله له آية على وجود يحيى عليه السلام: ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾[3] فاستثنى، وما استثنى إلّا الكلام، والأثر موجود من الإشارة والرمز، كما هو موجود من نظم الحروف في النطق.

وفيه عِلْمُ النيابة عن الله، ونيابة الحقّ عن العبد، ومَن أتمّ؟ فإنّه أمر أن يُتّخذ وكيلا، وجعل بعضَنا خلفاء في الأرض، وأخبر أنّا ننطق بكلامه، وهو القائل منّا إذا قلنا بعض أقوالنا.

وفيه عِلْمُ المناسبة التي تشمل العالم كلّه، وأنّه جنسٌ واحد؛ فتصحّ المفاضلة فيما تحته من الأنواع والأشخاص. فإنّ الإمام أبا[4] القاسم بن قسيّ، صاحب "خلع النعلين"، مَنع مِن ذلك، فاعتبَر خلاف ما اعتبرناه. فهو مصيب فيما اعتبرَه، مخطئ باعتبارنا. إذ ما ثَمّ إلّا حقّ وأحقّ، وكامل وأكمل. فالمفاضلة سارية في أنواع الجنس؛ للمفاضلة التي في الأسماء بالإحاطة، وما يزيد به هذا الاسم على غيره: كالعالِم والقادر، وكالقادر والقاهر.

وفيه عِلْمُ التأثيرات في العالَم.

وفيه عِلْمُ ما حُكم مَن رأى لنفسه قدرا؟ وهل إذا أتى بما يدلّ عليه وهو كامل: هل إتيانه

1 [غافر : ٥٧]
2 ص ٤١
3 [آل عمران : ٤١]
4 ص ٤١ب

بذلك شفقة على الغير أو تعظيما لنفسه؟ وهل يؤثّر مثل ذلك في الرضا، أم لا يؤثّر فيه؟ ومَن أعلى: مَن يحتجُّ عن نفسه، ويذبّ عنها؟ أو مَن لا يحتجّ عنها، بل يكون مع الناس عليها؟ ومتى يصلح أن يكون للإنسان هذا الحكم؟ ومتى يصلح أن لا يكون له هذا الحكم؟ وقوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ. فَسَبِّحْ[1]﴾[2] ولم يقل -تعالى-: "فارِضَ بحكم ربِّك فيه".

وفيه عِلْمُ سعي الإنسان في عدالته عند الحكام لقبول شهادته؛ فهو من باب السعي في حقّ الغير، لا في حقّ نفسه لأمور[3] تطرأ، إن لم يكن عدلا لا يقبل الحاكم شهادته، فربما ظهر الباطل على الحقّ، فوجب السعي في العدالة لهذا، كما قال (ص): «أنا سيّد الناس يوم القيامة» وما قصد الفخر، وإنما قصد الإعلام، وإراحة أمّته من التعب؛ حتى لا تمشي في ذلك اليوم، كما تمشي الأمم إلى نبيّ بعد نبيّ؛ للشفاعة. فيُقتصر على محمد ﷺ بما أعلمها من ذلك؛ وأنّ الرجوع (سيكون) إليه في آخر الأمر.

رَأَى الأمرَ يُفْضِي إِلَى آخَرٍ فَصَيَّرَ آخِرَهُ أَوَّلا

فتميّزت هذه الأمّة المحمديّة عن سائر الأمم في ذلك الموطن بهذا القدر إلى غير هذا.

وفيه عِلْمُ موطن بيان الأمور لجميع الخلق، وارتفاع التلبيس، ورجوع الناس وغيرهم إلى الحقّ؛ وهل ذلك نافعهم، أم لا؟

وفيه عِلْمُ ما لا يصحّ إلّا لله الاتّصافُ به.

وفيه عِلْمُ ما يجب لله، وما يستحيل.

وفيه عِلْمُ حكم[4] مَن يبتغي نُصرة مَن خذله اللهُ -تعالى- عند اللهِ -تعالى-.

وفيه عِلْمُ مَن يزيد شرفا بتشريف مَن[5] يُنسب إليه.

---

[1] هنا ورد لفظ : "فاصبر" وليس "فسبح"، ولعله يريد: "وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا" [المزمل : ١٠]
[2] [الحجر : ٩٧، ٩٨]
[3] ص ٤٣
[4] ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب
[5] ص ٤٢ب

وفيه عِلْمُ الفرق بين المهدي والهادي.

وفيه عِلْمُ النبوّة العامّة، والنبوّة الخاصة، وما يبقى منها؟ وما يزول؟

وفيه عِلْمُ هل يكون للوليّ الذي ليس بنبيّ، مقام في الولاية لا يكون ذوقا لنبيّ، أم لا؟

وفيه عِلْمُ ما هي النِّعم الظاهرة والباطنة؟ ومَن يتنعّم؟ فكلّ نعمة منها للإنسان.

وفيه عِلْمُ علامات المقرّبين عند الله؛ وبماذا يُعرفون؟

وفيه عِلْمُ هل يُلحقُ اللاحق بالسابق؟ وأيّ المنزلتين أفضل؟

وفيه عِلْمُ مَن يَرى أنّ أحوال الآخرة على ميزان أحوال الدنيا سَوَاء في جميع الأمور.

وفيه عِلْمُ ما ينبغي أن يكون عليه صاحبُ جنّة الأعمال؟ وما يكون عليه صاحبُ جنّة الورث؟ وما يكون عليه صاحبُ جنّة الاختصاص؟

وفيه عِلْمُ سبب اختصاص عالم الأمر بالأمر، وعالَم الإنسان بالنهي[1] والأمر.

وفيه عِلْمُ ما نفى الله من أسمائه أن يشرك فيه فلم يُشرَك.

وفيه عِلْمُ ما لا يُدرك إلّا بالحوالة.

وفيه عِلْمُ الجزاء ومحلّه أيضا.

وفيه عِلْمُ صفة الطريق إلى الجنّة ومَن يسلك.

وفيه عِلْمُ مَن أرخى الله له في طِوَله[2] في الدنيا؛ هل يُرخي له في الآخرة كذلك جزاء؟

وفيه عِلْمُ اختلاف أحوالِ الخلق في الاستدعاء إلى الله -تعالى- يوم القيامة للفصل والقضاء.

وفيه عِلْمُ ما هو أعظم الأهوال عند الله؟ ولم يأت به إلّا الإنسان خاصة، وما أجراه على ذلك وقد خلقه الله ضعيفا فقيرا إلى كلّ شيء؟

---

[1] ص ٤٣
[2] الطول: العمر

وفيه انقلاب الوليّ عدوًّا لمن كان له وليّا، وانقلاب العدوّ وليًّا لمن كان له عدوّا.

وفيه عِلْمُ العلم الضروريّ، والنظريّ، والبديهيّ.

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[1].

١ [الأحزاب : ٤]

الباب[1] السادس والستّون وثلاثمائة
في معرفة منزل وزراء المهديّ الظاهر في آخر الزمان
الذي بشّر به رسول الله ﷺ وهو من أهل البيت

إنّ الإمامَ إلَى الوزيرِ فَقِيرٌ	وعَلَيْهما فَلَكُ الوُجُودِ يَدُورُ
والمُلْكُ إنْ لَمْ تَسْتقِمْ أحْوالُهُ	بِوُجُودِ هَذَيْنِ فَسَوْفَ يَبُورُ
إلّا الإلهَ الحَقّ فَهْوَ مُنَزَّهٌ	ما عِنْدَهُ فِيْمَا يُرِيْدُ وَزِيرُ
جَلَّ الإلهُ الحَقُّ فِي مَلَكُوتِهِ	عَنْ أنْ يَراهُ الخَلْقُ وَهْوَ فَقِيرُ

اعلم -أيّدنا الله- أنّ لله خليفة يخرج وقد امتلأت الأرض جورا وظلما، فيملؤها قسطا وعدلا. لو لم يبقَ من الدنيا إلّا يوم واحد، طوّل[2] اللهُ ذلك اليوم حتى يلي هذا الخليفة. (هو) من عترة رسول الله ﷺ، من ولد فاطمة، يواطئ اسمُه اسمَ رسول الله ﷺ، جدّه الحسن بن علي بن أبي طالب. يبايَع بين الركن والمقام. يشبه رسول الله ﷺ في الخَلْقِ -بفتح الخاء- وينزل عنه في الخُلُق -بضمّ الخاء- لأنّه لا يكون أحد مثل رسول الله ﷺ في خُلُقِه، والله يقول فيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[3].

هو أجلى الجبهة، أقنى الأنف، أسعدُ الناس به أهلُ الكوفة. يقسم المال بالسويّة، ويعدل في الرعيّة، ويفصل في القضيّة، يأتيه الرجل فيقول له: يا مهدي؛ أعطني؟ وبين يديه المال. فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله. يخرج على فترة من الدين. يزع الله به ما لا يزع بالقرآن. يمسي- جاهلا، بخيلا، جبانا ويصبح أعلم الناس، أكرم الناس، أشجع الناس؛ يصلحه الله في ليلة. يمشي- النصر بين يديه. يعيش خمسا أو سبعا أو تسعا. يقفو أثر رسول الله ﷺ لا يخطئ؛ له ملَك

١ ص ٤٣ب
٢ ص ٤٤
٣ [القلم : ٤]

يسدّده من حيث لا يراه. يحمل الكَلَّ، ويقوّي الضعيف في الحقّ[1]، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحقّ. يفعل ما يقول، ويقول ما يعلم، ويعلم ما يشهد.

يفتح المدينة الروميّة بالتكبير في سبعين ألفا من المسلمين من[2] ولد إسحق. يشهد الملحمة العظمى؛ مأدبة الله بمرج عكا. يبيد الظلم وأهله. يقيم الدين، ينفخ الروح في الإسلام. يَعِزُّ الإسلام به بعد ذُلِّه، ويحيا بعد موته. يضع الجزية، ويدعو إلى الله بالسيف؛ فَمَن أَبى قُتِل، ومن نازعه خُذِل. يُظهر من الدين ما هو الدين عليه في نفسه ما لو كان رسول الله ﷺ لَحَكَم به. يرفع المذاهب من الأرض؛ فلا يبقى إلّا الدين الخالص. أعداؤه مقلِّدةُ العلماءِ أهلِ الاجتهاد؛ لما يرونه من الحكم بخلاف ما ذهبتْ إليه أئمّتهم؛ فيدخلون كرها تحت حكمه: خوفا من سيفه وسطوته، ورغبة فيما لديه. يفرح به عامّة المسلمين أكثر من خواصّهم.

يبايعه العارفون بالله من أهل الحقائق؛ عن شهودٍ وكشفٍ بتعريف إلهيّ. له رجال إلهيّون يقيمون دعوته وينصرونه؛ هم الوزراء؛ يحملون أثقال المملكة، ويعينونه على ما قلّده الله. ينزل عليه عيسى بن مريم، بالمنارة البيضاء بشرقي دمشق، بين مهرودتين[3]، متّكئا على ملَكين: ملَك عن يمينه، وملَك عن يساره. يقطر رأسه ماء مثل الجُمان[4]، يتحدّر كأنما خرج من ديماس[5]، والناس في صلاة العصر[6]. فيتنحّى له الإمام من مقامه؛ فيتقدّم؛ فيصلّي بالناس. يؤمّ الناس بسنّة محمد ﷺ. يكسر الصليب، ويقتل الخنزير. ويقبض الله المهديّ إليه طاهرا مطهّرا.

وفي زمانه يُقتل السفياني عند شجرة بغوطة دمشق، ويخسف بجيشه في البيداء بين المدينة ومكة، حتى لا يبقى من الجيش إلّا رجل واحد من جهينة. يستبيحُ هذا الجيشُ مدينةَ الرسول ﷺ ثلاثة أيّام. ثمّ يرحل يطلب مكة، فيخسف الله به في البيداء. فمن كان مجبورا من ذلك الجيش مكرَها، يحشر على نيّته. القرآن حاكم، والسيف مُبِيد، ولذلك ورد: «إنّ الله يزع

1 "ويقوي.. الحق" ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب
2 ص ٤٤ب
3 مهرودتين: شقّتين أو حلّتين
4 الجمان: حب من الفضة يشبه عقود اللؤلؤ
5 الديماس: الكِنُّ، السَّرَب المظلم
6 ص ٤٥

بالسلطان ما لا يزع بالقرآن».

أَلَا إنّ خَـتْمَ الأَوْلِيَـاءِ شَـهِيْدُ ... وَعَـيْنُ إمَـامِ العَـالَمِيْنَ فَقِيْـدُ
هُوَ السيِّدُ المَهْدِيُّ مِنْ آلِ أَحْمَدٍ ... هُـوَ الصارِمُ الهِنْدِيّ حِيْنَ يُبِيْدُ
هُوَ الشَّمْسُ تَجْلُو كُلَّ غَمٍّ وظُلْمَةٍ ... هُوَ الوابِلُ الوَسْمِيُّ[1] حِيْنَ يَجُودُ

وقد جاءكم زمانه، وأظلّكم أوانه. وظهر في القرن الرابع -اللاحق[2] بالقرون الثلاثة الماضية: قرن رسول الله ﷺ وهو قرن الصحابة، ثمّ الذي يليه، ثمّ الذي يلي الثاني. ثمّ تجيء بينهما- فترات، وتحدث أمور، وتنتشر أهواء، وتسفك دماء. وعاثت الذئاب في البلاد، وكثر الفساد إلى أن طمّ الجور وطما سيلُهُ، وأدبر نهارُ العدل بالظلم حين أقبل ليلُه. فشهداؤه خير الشهداء، وأمناؤه أفضل الأمناء. وإنّ الله يستوزر له طائفة خبّأهم له في مكنون غيبه، أطلعهم كشفا وشهودا على الحقائق، وما هو أمر الله عليه في عباده. فمشاورتهم يفصل ما يفصل، وهم العارفون الذين عرفوا ما ثَمّ. وأمّا هو، في نفسه؛ فصاحب سيف حقٍّ، وسياسة مدنية. يَعرف من الله قدر ما تحتاج إليه مرتبته ومنزله؛ لأنه خليفة مسدَّد. يفهم منطق الحيوان، يسري عدله في الإنس والجانّ.

من أسرار علم وزرائه الذين استوزرهم اللهُ له؛ قوله -تعالى-: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[3]، وهم على أقدام رجال من الصحابة ﴿صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾[4] وهم من الأعاجم؛ ما فيهم عربيّ، لكن لا يتكلّمون إلّا بالعربيّة. لهم حافظ ليس من جنسهم، ما عصى الله قطّ؛ هو أخصُّ الوزراء، وأفضل[5] الأمناء. فأعطاهم الله -في هذه الآية التي اتّخذوها هِجّيرا، وفي ليلهم سميرا- فَضْلَ علم الصدق؛ حالا وذوقا. فعلموا أنّ الصدق سيف الله في الأرض؛ ما قام بأحد ولا اتّصف به؛ إلّا نصره الله؛ لأنّ الصدق نعتُهُ، والصادق اسمُهُ.

1 الوسمي: أول مطر السنة، يسِم الأرض بالنبات فيصير فيها أثرا، وهو مطر يكون بعد الخريف
2 ص ٤٥ب
3 [الروم : ٤٧]
4 [الأحزاب : ٢٣]
5 ص ٤٦

فنظروا بأعينٍ سليمة من الرمد، وسلكوا بأقدام ثابتة في سبل الرشد؛ فلم يروا الحقّ قيّد مؤمنا من مؤمن، بل أوجب على نفسه نصر المؤمنين، ولم يقل: بمن، بل أرسلها مطلَقة، وجلّاها محقّقة؛ فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا﴾[1] وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً﴾[2] وقال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ﴾[3] فسمّاهم مؤمنين، وقال: ﴿وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا﴾[4] فسمّى المشركَ: مؤمنا. فهؤلاء هم المؤمنون الذين أيّهَ الله بهم في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾[5] فميّزهم عن المؤمنين من أهل الكتاب والكتب. وما ثَمّ مخبِر جاء بخبر إلّا الرسل. فتعيّن أنّ المؤمنين الذين أُمروا بالإيمان؛ أنّهم: الذين آمنوا بالباطل، وآمنوا بالشريك عن شُبَهٍ صَرَفَتْهُمْ عن الدليل؛ لأنّ الذين آمنوا بالباطل: كفروا بالله، والذين آمنوا بالشريك: اشمأزّت قلوبُهم إذا ذكر الله وحده. فما أتاهم بهذا الخبر إلّا[6] أئمّتهم المضلِّون الذين سبقوهم، وكان ذلك في زعمهم؛ عن برهانٍ -أعني الأئمّة- لا عن قصورٍ. بل وفّوا النظر حقّه؛ فما أعطاهم استعدادهم الذي آتاهم الله، وما كلَّف الله نفسا إلّا ما آتاها، وما آتاها غير ما جاءت به. فآمن بذلك أتباعهم، وصدقوا في إيمانهم، وما قصدوا إلّا طريق النجاة؛ ما قصدوا ما يُرديهم.

ولمّا رأوا أنّ الله يفعل ابتداء، ويفعل بالآلة؛ جعلوا الشريك كالوزير مُعِينا على ظهور بعض الأفعال الحاصلة في الوجود. فلمّا ذُكر اللهُ وحدَه؛ رأوا أنّ هذا الذاكر لم يوفِّ الأمر حقّه، لما علموا من توقُّف بعض الأفعال على وجود بعض الخلق، وما كان مشهودهم إلّا الأفعال الإلهيّة الحاصلة في الوجود عن الأسباب المخلوقة. فلم يقبلوا توحيد الأفعال؛ لأنّهم ما شاهدوه؛ ولو قَبِلوه أبطلوا حِكمة الله فيما وضع من الأسباب عُلوا وسفلا. فهو الذي أدّاهم إلى الاشمئزاز عدم الإنصاف. فذمّهم الله إيثارا لجناب المؤمنين الذين لم يَرَوا فاعلا إلّا الله، وأنّ القدرة الحادثة،

١ [النساء : ١٣٦]
٢ [النساء : ٩٢]
٣ [العنكبوت : ٥٢]
٤ [غافر : ١٢]
٥ [النساء : ١٣٦]
٦ ص ٤٦ب

والأمور الموقوفة على الأسبابِ؛ لا أثر لها في الفعل. فهذه الطائفة وحدَها هي التي خصّ اللهُ بهذا الخطاب.

وأمّا[1] الذين كفروا بالله، فهم الذين ستروه بحجاب الشرك، وآمنوا بالباطل، والباطل عدم، وما رأوا من ينتفي عنه التشبيه والشرك إلّا العدم؛ فإنّ الوجود صفة مشتركة. فإيمانهم بالباطل إيمانُ تنزيه، وكفرُهم، أي: سِترهم نِسبة الوجود إلى الله، لِمَا وقع في ذلك من الاشتراك. ولذلك قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[2] لأنّهم خسروا في تجارتهم وجودَ ربح إظهار تمام الأمر على ما هو عليه، فـ﴿اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾[3] أي: الحيرة بالبيان. فأخذوا الحيرة، وعلِموا أنّ الأمر عظيم، وأنّ البيان يقيِّد، وهو لا يتقيّد؛ فآثروا الحيرة على البيان.

وأمّا أصحاب العقل السليم، والنظر الصحيح، والإيمان العامّ؛ فهم الذين أثبتوا الحيرة في مقامها وموطنها. فقال ﷺ: «زدني فيك تحيّرا»، وأثبتوا البيان في مقامه الذي لا يُمكن معرفة ذلك الأمر إلّا بالبيان، ولا يقبل الحيرة. فأعطوا كلّ ذي حقّ حقّه، ووضعوا الحكمة في موضعها.

فالكلُّ مؤمنون، فإنّ الله سمّاهم: مؤمنين، كما سمّاهم: كافرين ومشركين، وجعلهم على مراتب في إيمانهم. ولهذا قال: ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾[4] فيما آمنوا به، كما زادهم مرضا ورجسا إلى رجسهم[5] فيما كفروا به؛ فمنهم الصادق، والأصدق. فينصر الله المؤمن الذي لا يدخله خلل في إيمانه، على مَن دخله خلل في إيمانه؛ فإنّ الله يخذله، على قدر ما دخله من الخلل؛ أيّ مؤمن كان من المؤمنين. فالمؤمن الكاملُ الإيمان منصورٌ أبدا، ولهذا ما انهزم نبيّ قطّ، ولا وَلِيّ[6]. ألا ترى يوم حنين لمّا ادّعت الصحابة توحيد الله، ثمّ رأوا كثرتهم؛ فأعجبتهم كثرتهم؛ فنسوا الله عند ذلك؛ فلم تُغْنِ عنهم كثرتهم شيئا، كما لم تُغن أولئك آلهتهم من الله شيئا، مع كون الصحابة مؤمنين بلا شكّ، ولكن دخلهم الخلل باعتمادهم على الكثرة، ونَسُوا قول الله: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً

١ ص ٤٧
٢ [البقرة : ٢٧]
٣ [البقرة : ١٦]
٤ [الفتح : ٤]
٥ ص ٤٧ب
٦ ق: وَلّى

كثيرةً بإذنِ اللهِ﴾[1] فما إذنُ اللهِ هنا إلّا للغلبة؛ فأوجدَها؛ فغلبتهم الفئة القليلة بها عن إذنِ الله.

فَمَا ثَمَّ إلّا اللهُ لَيْسَ سِوَاهُ　　فَكُلُّ بَصِيْرٍ بِالوُجُودِ يَرَاهُ

وأمّا تأثير الصدق فمشهودٌ في أشخاصٍ ما لهم تلك المكانة من أسباب السعادة التي جاءت بها الشرائع، لكن لهم القدم الراسخة في الصدق؛ فيقتلون بالهمّة وهي الصدق. "قيل لأبي يزيد: أرنا اسم الله الأعظم. فقال لهم: أرونا الأصغر حتى أُرِيَكم الأعظم. أسماء[2] الله كلّها عظيمة". فما هو إلّا الصدق: أصدق، وخذ أيَّ اسم شئتَ؛ فإنّك تفعل به ما شئت. وبه أحيا أبو يزيد النملة، وأحيا ذو النون ابن المرأة الذي أخذه التمساح.

فإن فهمتَ، فقد فتحت لك بابا من أبواب سعادتك، إن عملتَ عليه؛ أسعدك الله حيث كنت، ولن تخطئ أبدا. ومن هنا تكون في راحة مع الله إذا كانت الغلبة للكافرين على المسلمين؛ فتعلم أنّ إيمانهم تزلزل، ودخله الخلل. و(تعلم) أنّ الكافرين، فيما آمنوا به من الباطل، والمشركين؛ لم يتخلخل إيمانهم، ولا تزلزلوا فيه. فالنصر أخو الصدق، حيث كان يتّبعه. ولو كان خلاف هذا، ما انهزم المسلمون قطّ، كما أنّه لَمْ ينهزم نبيّ قطّ. وأنت تشاهد غلبة الكفّار ونصرتهم في وقتٍ، وغلبة المسلمين ونصرتهم في وقتٍ. والصادق، من الفريقين، لا ينهزم جملة واحدة؛ بل لا يزال ثابتا حتى يُقتل، أو ينصرف من غير هزيمة.

وعلى هذه القدم هم وزراء المهديّ، وهذا هو الذي يقرّرونه في نفوس أصحاب المهديّ. ألا تراهم بالتكبير يفتحون مدينة الروم؟ فيكبّرون التكبيرة فيسقط ثلثها، ويكبّرون الثانية فيسقط الثلث الثاني من السور، ويكبّرون الثالثة فيسقط الثلث الثالث؛ فيفتحونها من غير سيفٍ؛ فهذا عين الصدق الذي ذكرنا. وهم جماعة[3]، أعني وزراء المهديّ، دون العشرة. وإذا علم الإمام المهديّ هذا، عمِل به؛ فيكون أصدق أهل زمانه؛ فوزراؤه الهداة، وهو المهديُّ. فهذا القدر يحصل للمهديّ من العلم بالله، على يدي وزرائه. وأمّا ختم الولاية المحمديّة فهو أعلم الخلق بالله، لا يكون في زمانه ولا

١ [البقرة : ٢٤٩]
٢ ص ٤٨
٣ ص ٤٨ب

بعد زمانه، أعلمُ بالله وبمواقع الحكم منه. فهو والقرآن إخوان، كما أنّ المهديَّ والسيف إخوان.

وإنما شكّ رسول الله ﷺ في مدّة إقامته (أي المهديّ) خليفةً من خمس إلى تسع؛ للشكّ الذي وقع في وزرائه؛ لأنّه لكلّ وزير معه سنة[1]. فإن كانوا خمسة عاش خمسة، وإن كانوا سبعة عاش سبعة، وإن كانوا تسعة عاش تسعة؛ فإنّه لكلّ عامٍ أحوالٌ مخصوصة، عِلمُ ما يصلح في ذلك العام خُصَّ به وزير من وزرائه؛ فما هم أقلّ من خمسة، ولا أكثر من تسعة.

ويُقتلون كلّهم إلّا واحدا[2] منهم، في مرج عكّا، في المأدبة الإلهيّة التي جعلها الله مائدة لسباع الطير والهوام. وذلك الواحد الذي يبقى؛ لا أدري هل يكون ممن استثنى الله في قوله -تعالى-: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾[3]؟ أو يموت في تلك النفخة؟ وأمّا الخضر -الذي يقتله الدجّال، في نظره، لا في نفس الأمر، وهو فتى ممتلئ شبابا، هكذا يظهر له في عينه. وقد[4] قيل: إنّ الشابّ الذي يقتله الدجّال، في زعمه أنّه واحد من أصحاب الكهف، وليس ذلك عندنا بصحيح من طريق الكشف.

وظهور المهديّ من أشراط قرب الساعة، ويكون فتح مدينة الروم -وهي القسطنطينية العظمى- والملحمة العظمى -التي هي المأدبة بمرج عكّا- وخروج الدجّال؛ في ستة أشهر. ويكون بين فتح القسطنطينية وخروج الدجّال ثمانية عشر يوما. ويكون خروجه (أي الدجّال) من خراسان، من أرض المشرق، موضع الفتن، تتبعه الأتراك واليهود. يخرج إليه من أصبهان وحدها سبعون ألفا مطيلسين في أتباعه، كلّهم من اليهود. وهو رجل كهل، أعور العين اليمنى، كأنّ عينه عنبة طافية، مكتوب بين عينيه: ك، ف، ر.[5] فلا أدري هل المراد بهذا الهجاء: "كَفَر" من الأفعال، أو أراد به: "كَفِر" من الأسماء، إلّا أنّه حذف الألف، كما حذفتها العرب في خطّ المصحف في مواضع مثل ألف الرحمن بين الميم والنون؟ وكان ﷺ يستعيذ، وأمرنا بالاستعاذة،

١ "لأنه.. سنة" ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٢ ق: واحد
٣ [الزمر : ٦٨]
٤ ص ٤٩
٥ "ك، ف، ر" رسمها في ق. هـ: كاف فا را. وفي س: كافرا

من فتنة المسيح الدجّال، ومن الفتن؛ فإنّ الفتن تعرض على القلوب كالحصير: عودا عودا، فأيّ قلب أُشربها؛ نكت فيه نكتة سوداء. نعوذ بالله من الفتن.

حدّثنا المكين أبو شجاع بن رستم الأصبهاني، إمام مقام إبراهيم بالحرم المكي، في آخرين كلّهم قالوا: حدّثنا أبو الفتح عبد[1] الملك بن أبي القاسم بن أبي سهل الكروخي، قال: أنا مشائخي الثلاثة: القاضي أبو عامر محمود بن القاسم الأزدي، وأبو نصر عبد العزيز بن محمد الترياقي، وأبو بكر محمد بن أبي حاتم الغُورجي التاجر، قال: أنا محمد بن عبد الجبّار الجراحي، قال: أنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي، قال: أنا أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، قال: ثنا عليّ بن حجر، أنا الوليد بن مسلم، وعبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر -دخل حديث أحدهما في حديث الآخر- عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن يحيى بن جابر الطائي، عن عبد الرحمن بن جبير، عن أبيه جبير بن نفير، عن النوّاس بن سمعان الكلابي، قال:

«ذكر رسول الله ﷺ الدجّال ذات غداة، فخفض فيه ورفع، حتى ظنناه في طائفة النخل. قال: فانصرفنا من عند رسول الله ﷺ ثمّ رحنا إليه. فعرف ذلك فينا. فقال: ما شأنكم؟ قلنا: يا رسول الله؛ ذكرتَ الدجّال الغداة، فخفضت فيه ورفعت، حتى ظنناه في طائفة النخل!. فقال: غير الدجّال أخوفُ لي عليكم. إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم. وإن يخرج ولست فيكم؛ فامرؤٌ حجيج نفسه، والله خليفتي على كلّ مسلم. إنّه شابّ قطط عينه قائمة، شبيه بعبد[2] العزّى بن قطن. فمن رآه منكم فليقرأ فواتح سورة أصحاب الكهف. قال: يخرج ما بين الشام والعراق. فعاث يمينا وشمالا: يا عباد الله؛ اثبتوا.

قلنا: يا رسول الله؛ وما لَبْثُهُ في الأرض؟ قال: أربعون يوما: يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيّامه كأيّامكم. قلنا: يا رسول الله؛ أرأيت اليوم الذي كالسنة؛ أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا، ولكن اقدروا له. قلنا: يا رسول الله؛ فما سُرعته في الأرض؟ قال: كالغيث استدبرته الريح.

١ ص ٤٩ب
٢ ص ٥٠

فيأتي القومَ فيدعوهم؛ فيكذّبونه، ويردّون عليه قولَه. فينصرف عنهم؛ فتتبعه أموالهم؛ فيصبحون ليس بأيديهم شيء. ثمّ يأتي القوم فيدعوهم؛ فيستجيبون له، ويصدّقونه. فيأمر السماء أن تمطر: فتمطر، ويأمر الأرض أن تُنبت: فتنبت. فتروح عليهم سارحَتُهم كأطول ما كانت درًّا، وأمدّه خواصر، وأدرّه ضروعا. قال: ثمّ يأتي الخِربة، فيقول لها: أخرجي كنوزك. وينصرف منها؛ فتتبعه كيعاسيب النحل. ثمّ يدعو رجلا شابًا ممتلئا شبابا؛ فيضربه بالسيف؛ فيقطعه جزلتين. ثمّ يدعوه؛ فيقبل يتهلّل وجهُهُ؛ يضحك.

فبينما هو كذلك، إذ هبط عيسى بن مريم، بشرقي دمشق عند المنارة البيضاء بين مهرودتين، واضعا يديه على أجنحة ملكين. إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدّر[1] منه جُمان كاللؤلؤ. قال: ولا يجد ريحُ نفَسِه، يعني أحدا، إلّا مات، وريحُ نفَسِه منتهى بصره. قال: فيطلبه، حتى يدركه بباب لُدّ؛ فيقتله. قال: ويلبث كذلك ما شاء الله. قال: ثمّ يوحي الله إليه: أن حرِّز عبادي إلى الطور؛ فإنّي قد أنزلت عبادا لي، لا يدَ لأحد بقتالهم. قال: ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم كما قال الله: ﴿مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾[2].

قال: فيمرّ أوّلهم ببحيرة الطبريّة، فيشربون[3] ما فيها، ثمّ يمرّ بها آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مَرّةً ماءٌ. ثمّ يسيرون، حتى ينتهوا إلى جبل بيت المقدس، فيقولون: لقد قتلنا مَن في الأرض، فهلمّ فلنقتل مَن في السماء. فيرمون بنشّابهم إلى السماء؛ فيردّ الله عليهم نشّابهم محمرًا دما. ويحاصَر عيسى بن مريم وأصحابه في الطور[4]، حتى يكون رأس الثور يومئذ خيرا لهم من مائة دينار لأحدكم اليوم. قال: فيرغب عيسى بن مريم إلى الله، وأصحابه. قال: فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم (أي رقاب قوم يأجوج ومأجوج)؛ فيصبحون فرسَى موتى كموت نفس واحدة. قال: ويهبط عيسى وأصحابه، فلا يجد موضع شبر إلّا وقد ملأته زهمتهم، ونتنهم، ودماؤهم.

قال: فيرغب عيسى، إلى الله، وأصحابُه. قال: فيرسل الله عليهم طيرا كأعناق البخت،

١ ص ٥٠ب
٢ [الأنبياء: ٩٦]
٣ ق: فيشرب
٤ "في الطور" ثابتة في الهامش بقلم الأصل

فتحملهم فتطرحهم بالمَهْبِل. ويستوقد المسلمون من قِسِيّهم ونُشّابهم[1] وجعابهم سبع سنين، ويرسل الله عليهم مطرا لا يَكِنّ منه بيت وبر، ولا مدر. قال: فيغسل الأرض، ويتركها كالزلفة. قال: ثمّ يقال للأرض: أخرجي ثمرتك، وردّي بركتك.

فيومئذ تأكلُ العصابةُ الرمّانةَ، ويستظلّون بقحفها. ويبارك الله[2] في الرِّسْل[3] حتى أنّ الفِئام[4] من الناس ليكتفون باللقحة من الإبل، وأنّ القبيلة ليكتفون باللقحة من البقر، وأنّ الفخذ ليكتفون باللقحة من الغنم. فبينما هم كذلك، إذ بعث الله ريحا؛ فقبضت روح كلّ مؤمن. ويبقى سائر[5] الناس، يتهارجون كما يتهارج الحمر؛ فعليهم تقوم الساعة». قال أبو عيسى. هذا حديث غريب حسن صحيح.

ثمّ نرجع إلى ما بنينا عليه الباب من العلم[6] بوزراء المهديّ، ومراتبهم. فاعلم أنّي على الشكّ من مدّة[7] إقامة هذا المهديّ إماما في هذه الدنيا؛ فإنّي ما طلبت من الله تعيين ذلك، ولا تعيين حادث من حوادث الأكوان، إلّا أن يعلمني الله به ابتداء، لا عن طلب؛ فإنّي أخاف أن يفوتني من معرفتي به -تعالى- حظٌّ، في الزمان الذي أطلب فيه منه -تعالى- معرفة كون وحادث. بل سلّمتُ أمري إليه في مُلكه، يفعل فيه ما يشاء. فإنّي رأيت جماعة من أهل الله -تعالى- يطلبون[8] الوقوف على علم الحوادث الكونيّة منه -تعالى- ولا سيما معرفة إمام الوقت؛ فأنِفْتُ من ذلك؛ وخفت أن يسرقني الطبع بمعاشرتهم، وهم على هذه الحال. وما أردت منه -تعالى- إلّا أن يرزقني الثبوت على قدم واحدة من المعرفة به، وإن تقلّبتُ في الأحوال؛ فلا أبالي.

ولمّا رأيته قد قدّمني وأخّرني، ورأيت اختلاف عيني لاختلاف الحال؛ فلم أر عينا واحدة تثبت؛ فما استقرّ لي أمر أثبت عليه كما كنت عليه في حال عدمي، ورأيت أنّ حكم الوجود،

---

١ ص ٥١
٢ لم يرد لفظ الجلالة في ق هنا، وأثبتناه من ه، س
٣ الرِّسل: اللّبن
٤ الفئام: المجموعة الكثيرة
٥ ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٦ ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٧ ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٨ ص ٥١ب

ومقام الشهود، حَكَمَ على عيني بذلك؛ طلبتُ الإقالة من وجودي؛ فخاطبته نظما وحكما:

لَكَ العُتْبَى أَقِلْنِي مِنْ وُجُودِي   ومِنْ حُكْمِ التَّحَقُّقِ بِالشُّهُودِ
لَقَدْ أَصْبَحْتُ قِبْلَةَ كُلِّ شَيْءٍ   وَقَدْ أَمْسَيْتُ أَطْلُبُ بِالسُّجُودِ
عَجِبْتُ لِحَالَتِي إِذْ قَالَ كَوْنِي   أَنا عَيْنُ المُسَوَّدِ والمَسُودِ
فإمّا أَنْ تُمَيِّزَنِي إمامًا   وإمّا أَنْ أُمَيَّزَ فِي العَبِيدِ
لَقَدْ[1] لَعِبَتْ بِنا أَيْدِي الخَفايا   خَفايا الغَيْبِ فِي عَيْنِ الوُجُودِ

فلمّا سألت ذلك، أبان لي عن جهلي، وقال لي: أما ترضى أن تكون مثلي؟ ثمّ أقام لي اختلاف تجلّيه في الصور، وما يدركه من ذاته البصر. فقلت: ما عليّ من اختلاف الأحوال على عين ثابتة لا تقبل التقييد[2]؛ فإنّي ما أنكرت اختلاف الأحوال؛ فإنّ الحقائق تعطي ذلك. وإنما أقلقني اختلاف العين من وجودي لاختلاف الأحوال؛ فإنّي أعلم مع كونك كلّ يوم في شأن؛ أنّك العين الثابتة في الغنى عن العالمين؛ فإنّي علمتُ:

إِنّ التَّحَوُّلَ فِي الصُّوَرْ   نَعْتُ المُهَيْمِنِ بِالخَبَرْ
وبِـذاكَ أَنْـزَلَ وَحْيَـهُ   فِيْمَا تَلاهُ مِنَ السُّوَرْ
ولَقَـدْ رَأَيْـتُ مِثـالَهُ   بِمُطَوَّلٍ وبِمُخْتَصَـرْ

أردت بالمطوّل: العالَم كلّه، وبالمختصر: الإنسان الكامل، لمّا رأيتُ أنّ التقلّب في كلّ ذلك لازم. ففي العالم: تقلّب الليل والنهار، وفي الإنسان الكامل الذي ساد العالَم في الكمال، وهو محمد ﷺ سيّد الناس يوم القيامة: وهو[3] ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ. وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾[4].

ولمّا جرى بنا القلم في حلبة العبارة الرقميّة، لأنّ التعريف قد يقع لفظا وكتابة، وقد يقع في العموم عند الخواصّ بالنظر؛ وقد وجدته، وقد يقع بالضرب؛ وقد وجده رسول الله ﷺ، وبأمور كثيرة غير ما ذكرنا، وكلّ ذلك خطابٌ وتعريفٌ، فطريق علمنا الإخبار، ولمّا كنت على هذه

---

١ ص ٥٢
٢ كتب في الهامش مقابلها: "التغيير"
٣ ص ٥٢ب
٤ [الشعراء: ٢١٨، ٢١٩]

القَدم التي جالستُ الحقّ عليها؛ أن لا أضيع زماني في غير علمي به تعالى، قيّض الله واحدا من أهل الله يقال له أحمد بن عُقاب اختصّه الله بالأهليّة صغيرا، فوقع منه ابتداءً ذِكْرُ هؤلاء الوزراء. فقال لي: هم تسعة. فقلت: إن كانوا تسعة، فإن مدّة بقاء المهديّ لا بدّ أن تكون تسع سنين؛ فإنّي عليم بما يحتاج إليه وزيره. فإن كان واحدا؛ اجتمع في ذلك الواحد جميع ما يحتاج إليه، وإن كانوا أكثر من واحد فما يكونون أكثر من تسعة؛ فإنّه إليها انتهى الشكّ من رسول الله ﷺ في قوله: «خمسا، أو سبعا، أو تسعا» في إقامة المهديّ.

(ما يحتاج إليه الإمام المهدي)

وجميع ما يحتاج إليه مما يكون قيام وزرائه به؛ تسعة أمور، لا عاشر لها ولا تنقص عن ذلك. وهي: نفوذ البصر، ومعرفة[1] الخطاب الإلهيّ عند الإلقاء، وعِلْم الترجمة عن الله، وتعيين المراتب لولاة الأمر، والرحمة في الغضب، وما يحتاج إليه المُلك من الأرزاق المحسوسة والمعقولة، وعلم تداخل الأمور بعضها على بعض، والمبالغة والاستقصاء في قضاء حوائج الناس، والوقوف على علم الغيب الذي يحتاج إليه في الكون في مدّته خاصة. فهذه تسعة أمور لا بدّ أن تكون في وزير الإمام المهدي؛ إن كان الوزير واحدا، أو (وزرائه؛ إن كانوا)[2] أكثر من واحد.

(نفوذ البصر)

فأمّا نفوذ البصر: فذلك ليكون دعاؤه إلى الله على بصيرة في المدعوّ إليه، لا في المدعوّ. فينظر في عين كلّ مدعوّ، ممن يدعوه؛ فيرى ما يمكن له الإجابة إلى دعوته؛ فيدعوه من ذلك بطريق الإلحاح. وما يرى منه أنّه لا يجيب دعوته؛ يدعوه من غير إلحاح؛ لإقامة الحجّة عليه خاصة؛ فإنّ المهديّ حجّة الله على أهل زمانه. وهي (أي دعوة البصيرة) درجة الأنبياء التي تقع فيها المشاركة، قال الله تعالى: ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾[3] أخبر[4] بذلك عن نبيّه ﷺ. فالمهدي ممن اتّبعه، وهو ﷺ لا يخطئ في دعائه إلى الله؛ فمتّبعه لا يخطئ فإنّه يقفو أثره.

---
١ ص ٥٣
٢ ما بين القوسين من هـ، س، وفي ق: كان
٣ [يوسف : ١٠٨]
٤ ص ٥٣ب

وكذا ورد الخبر في صفة المهدي، أنّه قال ﷺ: «يقفو أثري، لا يخطئ» وهذه هي العصمة في الدعاء إلى الله، وينالها كثير من الأولياء؛ بل كلّهم.

ومن حكم نفوذ البصر- أن يدرك صاحبُه الأرواحَ النوريّة والناريّة، عن غير إرادة من الأرواح، ولا ظهور، ولا تصوّر. كابن عباس وعائشة -رضي الله عنهما- حين أدركا جبريل ﷺ وهو يكلّم رسولَ الله ﷺ على غير علم من جبريل بذلك، ولا إرادة منه للظهور لهم. فأخبرا، بذلك، رسول الله ﷺ ولم يعلما أنّه جبريل ﷺ. فقال لها ﷺ: «أَوَقَدْ رأيتيه؟! وقال لابن عباس: أرأيته؟! قالا: نعم. قال: ذلك جبريل».

وكذلك يُدْرَكون، رجالُ الغيب، في حال إرادتهم الاحتجاب وأن لا يظهروا للأبصار؛ فيراهم صاحبُ هذا الحال. ومن نفوذ البصر- أيضا، أنّهم إذا تجسّدت لهم المعاني، يعرفونها في عين صورها؛ فيعلمون أيّ معنى هو ذلك الذي تجسّد من غير توقُّف.

(معرفة الخطاب الإلهيّ)

وأمّا[1] معرفة الخطاب الإلهيّ عند الإلقاء: فهو قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾[2]. فأمّا الوحي من ذلك؛ فهو ما يلقيه في قلوبهم على جهة الحديث، فيحصل لهم من ذلك عِلمٌ بأمرٍ مّا، وهو الذي تضمّنه ذلك الحديث. وإن لم يكن كذلك؛ فليس بوحْيٍ ولا خِطابٍ. فإنّ بعض القلوب يجد أصحابها علما بأمرٍ مّا من[3] العلوم الضروريّة عند الناس؛ فذلك علم صحيح ليس عن خطاب. وكلامنا إنما هو في الخطاب الإلهيّ المسمّى وحيًا، فإنّ الله -تعالى- جعل مثل هذا الصنف من الوحي؛ كلاما، ومن الكلام يستفيد العلمَ بالذي جاء له ذلك الكلام، وبهذا يفرّق إذا وجد ذلك.

وأمّا قوله: ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ فهو خطابٌ إلهيٌّ يلقيه على السمع، لا على القلب. فيدركه مَن أُلْقي عليه؛ فيفهم منه ما قصد به مَن أسمعَه ذلك. وقد يحصل له ذلك في صور

---
١ ص ٥٤، وكان قد ابتدأها بـ"وصل" وعليها خط إشارة المسح
٢ [الشورى : ٥١]
٣ كتب في الهامش مقابلها بقلم آخر: "مثل" مع إشارة التصويب

التجلّي؛ فتخاطبه تلك الصورة الإلهيّة، وهي عين الحجاب. فيفهم، من ذلك الخطاب، علم ما يدلّ عليه، ويعلم أنّ ذلك حجابٌ، وأنّ المتكلِّمَ مِن وراء ذلك الحجاب. وما كلُّ مَن أدرك صورة التجلّي الإلهي يعلم أنّ ذلك هو الله. فما يزيدُ صاحبُ[1] هذه الحال على غيره إلّا بأن يعرف أنّ تلك الصورة، وإن كانت حجابا، فهي عين تجلّي الحقّ له.

وأمّا قوله: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ فهو ما ينزل به الملَك، أو ما يجيء به الرسول البَشَرِيُّ إلينا، إذا نقلا كلام الله خاصّة مثل التالي. قال تعالى: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾[2]، وقوله: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾[3]، وقوله: ﴿نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾[4]. فإن نقلا علما، وأفصحا عنه (أنّها) وجداه في أنفسها؛ فذلك ليس بكلام إلهيّ. وقد يكون الرسول والصورة معًا، وذلك في نفس الكتابة. فالكتاب رسولٌ، وهو عين الحجاب على المتكلِّم، فيُفهمك ما جاء به. ولكن لا يكون ذلك إذا كَتَبَ ما عَلِمَ؛ وإنما يكون ذلك إذا كتب عن حديثٍ يخاطب به تلك الحروف التي سيظهرها، ومتى لم يكن كذلك؛ فما هو كلام. هذا هو الضابط.

فاللقاءُ للرسل، والإلقاء للخبر الإلهيّ بارتفاع الوسائط؛ من كونه كلّمه لا غير، والكتابة: رقوم مسطّرة حيث كانت، لم تسطَّر إلّا عن حديث ممن سطّرها، لا عن علم. هذا كلّه من الخطاب الإلهيّ لصاحب هذا المقام.

* * *

(علم الترجمة عن الله)

وأمّا علم الترجمة عن الله: فذلك لكلّ مَن كلّمه الله في الإلقاء والوحي. فيكون المترجم خلّاقًا لصور[5] الحروف اللفظيّة أو المرقومة التي يوجدها، ويكون روح تلك الصور؛ كلام الله، لا غير.

١ ص ٥٤ب
٢ [التوبة : ٦]
٣ [مريم : ٥٢]
٤ [النمل : ٨]
٥ ص ٥٥

فإن ترجم عن علم؛ فما هو مترجم، لا بدّ من ذلك. يقول الوليّ: "حدّثني قلبي عن ربّي" وقد يترجم المترجم عن ألسنة الأحوال، وليس من هذا الباب، بل ذلك فنٌّ آخر يرجع إلى عين الفهم بالأحوال، وهو معلوم عند علماء الرسوم. وعلى ذلك يُخرجون قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[1]، يقولون: يعني بلسان الحال. وكذلك قوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾[2] فجعلوا هذه الإباية والإشفاق حالًا، لا حقيقة. وكذلك قوله عنهما: ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾[3] قولُ حالٍ لا قول خطاب. وهذا كلّه ليس بصحيح، ولا مراد في هذه الآيات. بل الأمر على ظاهره كما ورد؛ هكذا يدركه أهلُ الكشف. فإذا ترجموا عن الموجودات فإنما يترجمون عمّا تخاطبهم به، لا عن أحوالهم؛ أن لو نطقوا لقالوا هذا.

وأصحاب هذا القول انقسموا على قسمين: فبعضهم يقول: إن كان هذا وأمثاله نُطقا: حقيقةً وكلامًا، فلا بدّ أن يخلق في هؤلاء الناطقين حياةً، وحينئذ يصحُّ أن يكون حقيقة. وجائزٌ أن يخلق الله فيهم حياة، ولكن[4] لا عِلم لنا بذلك أنّ الأمرَ وقع كما جوّزناه، أو هو لسان حال. فأمّا أصحاب هذا القول فكذا وقع في نفس الأمر؛ لأنّ كلّ ما سِوَى الله حيّ ناطق في نفس الأمر. فلا معنى للأحوال مع هذا عند أهل الكشف والوجود.

وأمّا القسم الآخر؛ وهم الحكماء، فقالوا: إنّ هذا لسان حال ولا بدّ؛ لأنّه من المحال أن يحيى الجماد. وهذا قولُ محجوبٍ بأكثف حجاب؛ فما في العالم إلّا مترجم إذا ترجم عن حديث إلهيّ، فافهم ذلك.

١ [الإسراء : ٤٤]
٢ [الأحزاب : ٧٢]
٣ [فصلت : ١١]
٤ ص ٥٥ب

(تعيين المراتب لولاة الأمر)

وأمّا تعيين المراتب لولاة الأمر: فهو العلم بما تستحقُّه كلّ مرتبةٍ من المصالح التي خُلقت لها. فينظر صاحبُ هذا العلم في نفس الشخص الذي يريد أن يولّيه، ويرفع الميزان بينه وبين المرتبة. فإذا رأى الاعتدال في الوزن من غير ترجيح لكفّة المرتبة: ولّاه، وإن رجح الوالي: فلا يضرّه. وإن رجحت كفّة المرتبة عليه: لم يُولّه؛ لأنّه ينقص عن علم ما رجّحه به؛ فيجور بلا شكّ؛ وهو أصل الجور في الولاة. ومن المحال عندنا أن يَعلم ويَعدل عن حكم عِلمه جملة واحدة. وهو جائز عند علماء الرسوم، وعندنا هذا الجائز ليس بواقع في الوجود، وهي مسألة صعبة. ولهذا يكون المهديّ «يملؤها[1] قسطا وعدلا، كما مُلئت جورا وظلما» يعني الأرض. فإنّ العلم، عندنا، يقتضي العمل ولا بدّ، وإلّا فليس بعلم، وإن ظهر بصورة علم.

والمراتب ثلاثة، وهي التي ينفذ فيها حكم الحاكم، وهي: الدماء، والأعراض، والأموال. فيعلم ما تطلبه كلّ مرتبة من الحكم الإلهيّ المشروع، وينظر في الناس. فمن رأى أنّه جمع ما تطلبه تلك المرتبة؛ نظر في مزاج ذلك الجامع؛ فإن رآه يتصرّف تحت حكم العلم؛ عَلِم أنّه عاقل: فولّاه. وإن رآه يحكم على علمه، وأنّ عِلمه، معه، مقهورٌ تحت حكم شهوته وسلطان هواه: لم يولّه مع علمه بالحكم.

قال بعض الملوك لبعض جلسائه من أهل الرأي والنظر الصحيح، حين استشاره، فقال له: "من ترى[2] أُوَلّي أمورَ الناس؟ فقال: وَلِّ على أمور الناس رجلا عاقلا؛ فإنّ العاقل يستبرئ لنفسه؛ فإن كان عالما حكم بما علِم، وإن لم يكن عالما بتلك الواقعة؛ ما حُكمها؟ حَكم عليه عقلُه أن يسأل مَن يدري الحكمَ الإلهيّ المشروع في تلك النازلة. فإذا عرّفه؛ حَكم فيها". فهذا فائدة العقل. فإنّ كثيرا ممن ينتمي إلى الدين والعلم الرّسميّ تحكم شهوتهم عليهم، والعاقل ليس كذلك. فإنّ العقل يأبى إلّا الفضائل؛ فإنّه يقيّد صاحبَه عن التصرُّف فيما لا ينبغي؛ ولهذا[3] سُمّي عقلا، من العِقال.

١ ص ٥٦
٢ س، هـ: + أن
٣ ص ٥٦ب

(الرحمة في الغضب)

وأمّا الرحمة في الغضب: فلا يكون ذلك إلّا في الحدود المشروعة[1] والتعزير. وما عدا ذلك فغضبٌ، ليس فيه من الرحمة شيء. ولذلك قال أبو يزيد: "بطشي أشدّ" لمّا سمع القارئ يقرأ: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾[2]! فإنّ الإنسان إذا غضب لنفسه؛ فلا يتضمّن ذلك الغضبُ رحمةً بوجهٍ، واذا غضبَ لله؛ فغضبُه غضبُ الله، وغضبُ الله لا يخلص عن رحمة إلهيّة تشوبُه. فغضبُه في الدنيا: ما نصب من الحدود. وغضبُه في الآخرة: ما يقيم من الحدود على مَن يدخل النار. فهو وإن كان غضبا؛ فهو تطهيرٌ لما شابَهُ من الرحمة في الدنيا والآخرة. لأنّ الرحمةَ لمّا سبقت الغضب في الوجود؛ عمّت الكون كلّه، ووسعت كلَّ شيء. فلمّا جاء الغضبُ في الوجود؛ وَجَدَ الرحمة قد سبقته. ولا بدّ من وجوده. فكان مع الرحمة، كالماء مع اللّبن إذا شابَهُ وخالَطه؛ فلم يخلص الماء من اللّبن. كذلك لم يخلص الغضب من الرحمة؛ فحكمتْ على الغضب؛ لأنّها صاحبة المحلّ، فينتهي غضب الله في المغضوب عليهم، ورحمة الله لا تنتهي.

فهذا المهديّ لا يغضَبُ إلّا لله؛ فلا يتعدّى في[3] غضبه إقامة حدود الله التي شرعها. بخلاف مَن يغضب لهواه ومخالفة غرضه. فمثل هذا الذي يغضب لله؛ لا يمكن أن يكون إلّا عادلا ومقسطا، لا جائرا ولا قاسطا. وعلامة مَن يدّعي هذا المقام، إذا غضب لله، وكان حاكما، وأقام الحدَّ على المغضوب عليه: يزول عنه الغضب على ذلك الشخص عند الفراغ منه، وربما قام إليه وعانقه وآنسه، وقال له: احمد الله الذي طهّرك. وأظهر له السرور والبشاشة به، هذا ميزانه؛ ويرجع لذلك المحدود رحمةً كلّه.

وقد رأيتُ ذلك لبعض القضاة ببلاد المغرب، قاضي مدينة سبتة، يقال له أبو إبراهيم بن يغمور، كان يسمع معنا الحديث على شيخنا أبي الحسين بن الصائغ[4]، من ذرّيّة أبي أيّوب

١ كتب مقابلها في الهامش: "الموضوعة" مع إشارة التصويب وحرف خ
٢ [البروج : ١٢]
٣ ص ٥٧
٤ يحيى بن محمد بن علي. أبو الحسين ابن الصائغ الأنصاري، السبتي، المغربي. (ت ٦٠٠هـ): قال الأبار: سمع من أبي مروان بن قرمان، وأخذ عنه كتاب التقصي لابن عبد البر. وسمع من: أبي عبد الله بن زرقون، وأبي القاسم بن بشكوال، وجماعة. وكان نسيج وحده في

الأنصاري، وعلى أبي الصبر أيّوب الفهري، وعلى أبي محمد بن عبيد الله الحجري بسبتة، في زمان قضائه بها. وما كان يأتي إلى السماع راكبا قطّ؛ (بل) يمشي بين الناس. فإذا لقيه رجلان قد تخاصما وتداعيا[1] إليه؛ وقف عليهما وأصلح بينهما. (وكان) غزيرَ الدمعة، طويل الفكرة، كثير الذِّكر، يُصلح بين القبيلتين بنفسه؛ فيصطلحان ببركته.

والقاضي إن بقي معه الغضب على المحدود بعد أخذ حقّ الله منه، فهو غضبُ نفسٍ[2] وطبعٍ، أو لأمر في نفسه لذلك المحدود، ما هو غضب لله. فلذلك لا يأجره الله؛ فإنّه ما قام في ذلك مراعاةً لحقّ الله، وهذا من قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾[3]. فابتلاهم أولا بما كلّفهم، فإذا عملوا ابتلى أعمالَهم: هل عملوها لخطاب الحقّ؟ أو عملوها لغير ذلك؟ وهو قوله ﷻ أيضا: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾[4]. وهذا ميزانه عند أهل الكشف.

فلا يغفل الحاكم عند إقامة الحدود عن النظر في نفسه، وليحذر من التشفّي الذي يكون للنفوس[5]. ولهذا نُهي عن الحكم في حال غضبه؛ ولو لم يكن حاكما في حقّ مَن ابتلي بإقامة حدّ عليه. فإن وجد لذلك تشفّيًا؛ فيعلم أنّه ما قام في ذلك لله، وما عنده فيه خبر من الله. وإذا فرغ من إقامة[6] الحدّ على المحدود؛ إن لم يكن فرحه له لِمَا يسقط عنه (أي عن المحدود) ذلك الحدّ[7] في الآخرة من المطالبة؛ وإلّا فهو معلول.

وما عندي في مسائل الأحكام المشروعة أصعب من الزنا خاصّة. ولو أُقيم عليه الحدّ، فإنّي أعلمُ أنّه تبقى عليه بعد إقامة الحدّ مطالبات من مظالم العباد، وأعلمُ أنّ غير الحاكم ما عيّن الله له إقامة الحدّ عليه، فلا ينبغي أن يقوم به (أي غير الحاكم) غضبٌ عند تعدّي الحدود؛ فليس ذلك

الورع، والزهد، والنسك، والتقلل من الدنيا، والإيثار. وله أخبار بديعة في ذلك. روى عنه: التجيبي وهو أكبر منه، وأبو عبد الله بن هشام، وأبو الحسن الشاري. وأثنى عليه أبو الحسن وقال: لم أر أزهد منه. [تاريخ الإسلام للذهبي - (٩ / ٣١٢)]

١ ق: "وتداعى" وصححت في الهامش بقلم آخر
٢ ص ٥٧ب
٣ [محمد : ٣١]
٤ [الطارق : ٩]
٥ "الذي يكون للنفوس" ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب
٦ "فرغ من إقامة" كتب مقابلها في الهامش بقلم آخر: "فرح بإقامة" مع إشارة التصويب، وحرف خ، متفقا في ذلك مع س، ه
٧ "ذلك الحد" ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب

إلّا للحكّام خاصة، ولرسول الله ﷺ[1] من حيث ما هو حاكم.

فلو كان (ص) مبلّغا؛ لا حاكما؛ لم يقم به غضبٌ على مَن رَدَّ دعوتَه؛ فإنّه ليس له من الأمر شيء، وليس عليه هداهم. فإنّ الله يقول في هذا للرسول ﷺ: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾[2] وقد بلَّغ؛ فأسمع اللهُ مَن شاء، وأصمّ مَن شاء؛ فهم أعقل الناس، أعني الأنبياء. وإذا كوشف الداعي على مَن أصمّه اللهُ عن الدعوة فما سمعها؛ لم يتغيّر لذلك، فإنّ الصائح إذا نادى مَن قام به الصمم، وعلِم أنّه لم يسمع نداءه؛ لم يَجِد عليه، وقام عذره عنده. فإن كان الرسول حاكما؛ تعيّن عليه الحكم بما عيّن الله له فيه. وهذا علم شريف يحتاج إليه كلُّ والٍ في الأرض على العالم.

* * *

(عِلمُ ما يحتاج إليه المَلِك من الأرزاق)

وأمّا عِلمُ ما يحتاج إليه (المَلِك) من الأرزاق: فهو أن يعلم أصناف العالَم، وليس إلّا اثنان - وأعني بالعالم: الذي يمشي فيهم حكم هذا الإمام- وهم عالم الصور، وعالم الأنفس المدبّرون هذه الصور فيما يتصرّفون فيه من حركة أو سكون. وما عدا هذين الصنفين فما له عليهم حكمٌ إلّا مَن أراد منهم أن يحكّمه على نفسه كعالم[3] الجانّ.

وأمّا العالم النورانيّ فهم خارجون عن أن يكون للعالم البشري عليهم تولية، فكلّ شخص منهم على مقام معلوم عيّنَه له ربُّه، فما يتنزّل إلّا بأمر ربّه. فمن أراد تنزيل واحد منهم؛ فيتوجّه في ذلك إلى ربّه، وربُّه يأمره، ويأذن له في ذلك إسعافا لهذا السائل، أو ينزله عليه ابتداء. وأمّا السيّاحون منهم؛ فمقامهم المعلوم كونهم سيّاحين يطلبون مجالس الذِّكر. فإذا وجدوا أهل الذِّكر، وهم أهل القرآن، بالقرآن؛ فلا يقدّمون عليهم أحدا من مجالس الذاكرين بغير القرآن. فإذا لم يجدوا ذلك، ووجدوا الذاكرين الله، لا من كونهم تالين؛ قعدوا إليهم، ونادى بعضهم بعضا: "هلمّوا إلى بغيتكم" فذلك رزقهم الذي يعيشون به، وفيه حياتهم. فإذا علم الإمام ذلك، لم يزل يقيم جماعة

١ ص ٥٨
٢ [الشورى : ٤٨]
٣ ص ٥٨ب

يتلون آيات الله آناء الليل والنهار.

وقد كنّا بفاس من بلاد المغرب، قد سلكنا هذا المسلك لموافقة أصحابٍ موفّقين، كانوا لنا سامعين وطائعين. وفقدناهم؛ ففقدنا، لِفقدهم، هذا العمل الخاص، وهو أشرف الأرزاق وأعلاها. فأخذنا، لمّا فقدنا مثل هؤلاء، في بثّ العلم من أجل الأرواح الذين غذاؤهم العلم، ورأينا أن لا نورد شيئا منه إلّا من أصلٍ هو[1] مطلوبٌ لهذا الصنف الروحانيّ، وهو القرآن. فجميع ما نتكلّم فيه في مجالسي وتصانيفي إنما هو من حضرة القرآن وخزائنه؛ أُعطيتُ مفتاح الفهم فيه، والإمداد منه. وهذا كلّه حتى لا نخرج عنه، فإنّه أرفع ما يُمْنَح. ولا يعرف قدره إلّا مَن ذاقه وشهد منزله حالا مِن نفسه، وكلّمه به الحقّ في سِرّه. فإنّ الحقّ إذا كان هو المكلِّم عبدَه في سِرّه بارتفاع الوسائط؛ فإنّ الفهمَ يَستصحبُ كلامَه منك؛ فيكون عينُ الكلام منه عينَ الفهم منك لا يتأخّر عنه؛ فإن تأخّر عنه فليس هو كلام الله. ومَن لم يجد هذا، فليس عنده عِلمٌ بكلام اللهِ عِبادَه. فإذا كلّمه بالحجاب الصوريّ بلسان نبيّ، أو مَن شاء الله من العالم؛ فقد يصحبه الفهم، وقد يتأخّر عنه. هذا هو الفرق بينهما.

وأمّا الأرزاق المحسوسة؛ فإنّه لا حكم له فيها إلّا في "بقيّت الله". فمن أكل مما خرج عن هذه البقيّة؛ لم يأكل من يد هذا الإمام العادل. وليس مسمّى رزق الله في حقّ المؤمنين إلّا "بقيّت الله"، وكلّ رزق في الكون (هو) من "بقيّتِ الله" وما بقي إلّا أن يُعْرَفَ.

وذلك أنّ جميع ما في العالم من الأموال (لا تخلو) إمّا أن يكون لها مالِكٌ معيَّن، أو لا يكون لها مالِك. فإن كان لها مالك معيَّن؛ فهي[2] من "بقيّت[3] الله" لهذا الشخص، وإن لم يكن لها مالك معيّن؛ فهي لجميع المسلمين. فجعل الله لهم وكيلا، هذا الإمام، يحفظ عليهم ذلك؛ فهذا من "بقيّت الله" الذي تعيَّن عن المال المملوك. فكلُّ رزق في العالم: "بقيّت الله" إن عرفتَ معنى "بقيّت الله". فمالُ زيد: "بقيّتُ الله" لزيد، لمّا حجر الله عليه التصرّفَ في مال عمرو بغير إذنه.

---

١ ص ٥٩
٢ ق: فهو
٣ ص ٥٩ب

ومالُ عمرو "بقيّتُ الله" لعمرو لمّا حجر عليه التصرّف في مال زيد بغير إذنه. فما في العالم رزقٌ إلّا وهو "بقيّتُ الله"؛ فيحكم الإمام فيه بقدر ما أنزل الله من الحكم فيه، فاعلم ذلك.

والناس على حالين: حال اضطرار وغير اضطرار. فحالُ الاضطرار يُبيح قدر الحاجة في الوقت، ويَرفع عنه حكم التحجير. فإن كان المضطرُّ قد تصرّف فيما هو مِلكٌ لأحد: تصرّف فيه بحكم الضمان في قولٍ، وبغير ضمان في قولٍ. فإن وَجد: أدّاه عند القائل بالضمان. وإن لم يجد؛ فإمام الوقت يقوم عنه في ذلك، من بيت المال. وإن كان المتصرِّف قد تصرَّف فيما لا يملكه أحد، أو يملكه الإمام بحكم الوكالة المطلقة من الله له؛ فلا شيء عليه: لا ضمان ولا غيره. وهذا علم تتعيّن المعرفة به على إمام الوقت، لا بدّ منه. فما تصرّف أحدٌ من المكلّفين بالوجه المشروع إلّا في "بقيّت الله". قال[1] الله ﷻ: ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[2] وهو حكم فرعيّ.

وإنما الأصل أنّ الله خلق لنا ما في الأرض جميعا؛ ثمّ حجر وأبقى. فما أبقاه سمّاه: "بقيّت الله" وما حجر سمّاه: حراما، أي المكلَّف ممنوع من التصرُّف فيه: حالا، أو زمانا، أو مكانا مع التحجير. فإنّ الأصلَ (هو) التوقيفُ عن إطلاق الحكم فيه بشيء، فإذا جاء حُكمُ[3] الله فيه، كنّا بحسب الحكم الإلهيّ الذي ورد به الشرع إلينا. فمن عرف هذا، عرف كيف يتصرّف في الأرزاق.

(عِلم تداخل الأمور بعضها على بعض)

وأمّا عِلم تداخل الأمور بعضها على بعض: فهذا معنى قوله تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾[4]، فالمولِجُ ذَكَرٌ والمولَجُ فيه أنثى. هذا الحكم له مستصحب حيث ظهر. فهو في العلوم: العِلم النظريّ، وهو في الحِسّ: النكاح الحيوانيّ والنباتيّ. وليس شيء من ذلك مرادا لنفسه فقط، بل هو مراد لنفسه ولما ينتجه. ولولا اللُّحمة والسّدى[5] ما ظهر للشقّة[6] عين، وهو سارٍ في جميع الصنائع العَمَليّة والعِلميّة.

---

١ ص ٦٠
٢ [هود : ٨٦]
٣ كتب في ق بقلم آخر: "علم" مع "صح" وحرف خ
٤ [الحج : ٦١]
٥ اللحمة والسدى: ألحمت الثوب إلحاما: لُحمة الثوب هي الأعلى، والسدى: الأسفل من الثوب
٦ الشقة: جنس من الثياب

فإذا علم الإمامُ ذلك؛ لم تدخل عليه شبهة في أحكامه، وهذا هو الميزان الموضوع في العالم، في[1] المعاني والمحسوسات. والعاقل يتصرّف بالميزان في العالمين، بل في كلّ شيء له التصرّف فيه. وأمّا الحاكمون بالوحي المنزل، أهل الإلقاء من الرسل وأمثالهم، فما خرجوا عن التوالج؛ فإنّ الله جعلهم محلّا لما يلقي إليهم من حكمه في عباده. قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ﴾[2] وقال: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾[3]. فما ظهر حُكم في العالم من رسول إلّا عن نكاح معنويّ؛ لا في النصوص، ولا في الحاكمين بالقياس.

فالإمام يتعيّن عليه علم ما يكون بطريق التنزيل الإلهيّ وبين ما يكون بطريق القياس. وما يعلمه المهديّ، أعني علم القياس، ليحكم به، وإنما يعلمه ليجتنبه. فما يحكم المهديّ إلّا بما يلقي إليه الملَك من عند الله الذي بعثه الله إليه ليسدّده، وذلك هو الشرع الحقيقيّ المحمّديّ؛ الذي لو كان محمد ﷺ حيّا، ورُفعت إليه تلك النازلة؛ لم يحكم فيها إلّا بما يحكم هذا الإمام. فيعلمه الله أنّ ذلك هو الشرع المحمّديّ[4]؛ فيحرم عليه القياس مع وجود النصوص التي منحنا الله إيّاها. ولذلك قال رسول الله ﷺ في صفة المهديّ: «يقفو أثري لا يخطئ»، فعرّف أنّه متّبِع لا متبوع، وأنّه معصوم. ولا معنى للمعصوم في الحكم، إلّا أنّه لا يخطئ؛ فإنّ حكم الرسول لا ينسب إليه خطأ؛ فإنّه: ﴿مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[5]، كما إنّه لا[6] يسوغ القياس في موضع يكون فيه الرسول ﷺ موجودا.

وأهلُ الكشفِ؛ النبيُّ عندهم موجودٌ؛ فلا يأخذون الحكم إلّا عنه. ولهذا؛ الفقيرُ الصادق لا ينتمي إلى مذهب؛ إنما هو مع الرسول الذي هو مشهود له، كما أنّ الرسول مع الوحي الذي ينزل عليه. فينزل على قلوب العارفين، الفقراء الصادقين، من الله التعريفُ بحكم النوازل؛ أنّه حُكم الشرع الذي بُعث به رسول الله ﷺ.

١ ص ٦٠ب
٢ [الشعراء : ١٩٣، ١٩٤]
٣ [النحل : ٢]
٤ "الذي لو.. المحمدي" ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب
٥ [النجم : ٣، ٤]
٦ ص ٦١

وأصحاب علم الرسوم ليست لهم هذه المرتبة لما أكبّوا عليه من الجاه[1]، والرئاسة، والتقدّم على عباد الله، وافتقار العامّة إليهم. فلا يفلحون في أنفسهم، ولا يُفلَحُ بهم. وهي حالة فقهاء الزمان؛ الراغبين في المناصب؛ مِن قَضاء، وشهادة، وحِسْبة، وتدريس.

وأمّا المتنمّسون[2] منهم بالدين؛ فيجمعون أكتافهم، وينظرون إلى الناس من طرْف خفيّ نظرَ الخاشع. ويحرّكون شفاههم بالذّكر؛ ليعلم الناظرُ إليهم أنّهم ذاكرون، ويتعجّمون في كلامهم، ويتشدّقون، وتغلب عليهم رعونات النفس، وقلوبُهم قلوبُ الذئاب، لا ينظر الله إليهم. هذا حال المتديّن منهم، لا الذين هم قرناء الشيطان، لا حاجة لله بهم. لبسوا للناس جلود الضأن من اللين، «إخوان العلانيّة أعداء السريرة». فالله يراجع بهم، ويأخذ بنواصيهم إلى ما فيه سعادتهم.

وإذا خرج هذا الإمامُ المهديّ[3]؛ فليس له عدوّ مبين إلّا الفقهاء خاصّة. فإنّهم لا تبقى لهم رئاسة، ولا تميُّز عن العامّة، ولا يبقى لهم عِلمٌ بحكم إلّا قليل. ويرتفع الخلاف من العالم في الأحكام بوجود هذا الإمام. ولولا أنّ السيف بيده؛ لأفتوا –الفقهاءُ- بقتله. ولكنّ الله يظهره بالسيف والكرم؛ فيطمعون ويخافون. فيقبلون حكمه من غير إيمان؛ بل يضمرون خلافه، كما يفعل الحنفيّون والشافعيّون فيما اختلفوا فيه. فلقد أُخبرنا أنّهم يقتتلون في بلاد العجم، أصحاب المذهبَيْن، ويموت بينهما خلق كثير، ويفطرون في شهر رمضان ليتقوّوا على القتال.

فمثل هؤلاء، لولا قهر الإمام المهديّ بالسيف؛ ما سمعوا له، ولا أطاعوه بظواهرهم، كما أنّهم لا يطيعونه بقلوبهم. بل يعتقدون فيه إذا حكم فيهم بغير مذهبهم؛ أنّه على ضلالة في ذلك الحكم؛ لأنّهم يعتقدون أنّ أهلَ الاجتهاد وزمانه قد انقطع، وما بقي مجتهد في العالم، وأنّ الله لا يوجِد بعد أئمّتهم أحدا له درجة الاجتهاد. وأمّا مَن يدّعي التعريف الإلهيّ بالأحكام الشرعيّة؛ فهو عندهم مجنون، مفسود[4] الخيال، لا يلتفتون إليه. فإن كان ذا مال وسلطان؛ انقادوا في الظاهر إليه: رغبة في ماله، وخوفا من سلطانه، وهم ببواطنهم كافرون به.

١ س، ه: حبّ الجاه
٢ المتنمّسون: من الناموس وهو ما يُتَنمّس به الرجل من الاحتيال
٣ ص ٦١ب
٤ كتب في الهامش بقلم آخر: "صوابه: فاسد"

(المبالغة والاستقصاء في قضاء حوائج الناس)

وأمّا[1] المبالغة والاستقصاء في قضاء حوائج الناس: فإنّه متعيّن على الإمام خصوصا، دون جميع الناس. فإنّ الله ما قدّمه على خلقه، ونصبه إماما لهم؛ إلّا ليسعى في مصالحهم. والذي ينتجه هذا السعي عظيم، وله في قصّة موسى ﷺ (عِبْرة) لمّا مشى في حقّ أهله؛ ليطلب لهم نارا يصطلون بها، ويقضون بها الأمر الذي لا ينقضي إلّا بها في العادة، وما كان عنده ﷺ خبرٌ بما جاءه. فأسفرت له عاقبةُ ذلك الطلب عن كلام ربّه. فكلّمه الله -تعالى- في عين حاجته؛ وهي النار في الصورة، ولم يخطر له ﷺ ذلك الأمر بخاطر. وأيُّ شيء أعظم من هذا؟! وما حصل له إلّا في وقت السعي في حقّ عياله؛ ليُعلِمه بما في قضاء حوائج العائلة من الفضل؛ فيزيد حرصا في سعيه في حقّهم. فكان ذلك تنبيها من الحقّ -تعالى- على قدر ذلك عند الله -تعالى- وعلى قَدْرِهم؛ لأنّهم عبيده على كلّ حال، وقد وكّل هذا على القيام بهم كما قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾[2].

فأنتج له الفرارُ من الأعداء الطالبين قَتْلَهُ؛ الحكمَ والرسالةَ كما أخبر الله -تعالى- عن قوله ﷺ: ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي[3] مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[4]. وأعطاه السعيُ على العيال، وقضاء حاجاتهم: كلامَ الله، وكلُّهُ سعيٌ بلا شكّ. فإنّ الفارّ أتى، في فراره، بنسبةٍ حيوانيّة: فرّت نفسُه من الأعداء طلبا للنجاة، وإبقاء للمُلْك والتدبير على النفس الناطقة. فما سعى بنفسه الحيوانيّة، في فراره، إلّا في حقّ النفس الناطقة، المالكة تدبير هذا البدن.

وحركة الأئمّة كلّهم العادلة، إنما تكون في حقّ الغير، لا في حقّ أنفسهم. فإذا رأيتم السلطان يشتغل بغير رعيّته، وما يحتاجون إليه؛ فاعلم أنّه قد عزلته المرتبة بهذا الفعل، ولا فرق بينه وبين العامّة. لمّا أراد عمر بن عبد العزيز يوم وَلِيَ الخلافة أن يقيل؛ راحةً لنفسه لمّا تعب من شغله بقضاء حوائج الناس؛ دخل عليه ابنه، فقال له: يا أمير المؤمنين؛ أنت تستريح، وأصحاب

1 ص ٦٢
2 [النساء : ٣٤]
3 ص ٦٢ب
4 [الشعراء : ٢١]

الحاجات على الباب؟! مَن أراد الراحة لا يلي أمور الناس. فبكى عمر، وقال: الحمد لله الذي أخرج من ظهري من ينبّهني ويدعوني إلى الحقّ ويعينني عليه. فترَك الراحة وخرج إلى الناس.

وكذلك خَضِرٌ، واسْمُهُ بِلْيا بن مَلْكَان بن قالع بنَ عابر بن شالح بن أرفخشد بن سام بن نوح ﷺ كان في جيش؛ فبعثه أمير الجيش يرتاد لهم ماء. وكانوا قد[1] فقدوا الماء؛ فوقع بعين الحياة؛ فشرب منه؛ فعاش إلى الآن، (وكان لا يعرف ما خصّ الله به من الحياة شاربَ ذلك الماء)[2]. ولقيته بأشبيلية، وأفادني التسليم للشيوخ، وأن لا أنازعهم.

وكنت، في ذلك اليوم، قد نازعتُ شيخا لي في مسألة، وخرجت من عنده. فلقيت الخضر بقوس الحِنية. فقال لي: سلّم إلى الشيخ مقالته. فرجعت إلى الشيخ من حيني. فلمّا دخلتُ عليه بمنزله، فكلّمني قبل أن أُكلّمه، وقال لي: "يا محمد؛ أحتاجُ في كلّ مسألة تنازعني فيها أن يوصيك الخضر بالتسليم للشيوخ؟! فقلت له: يا سيّدنا؛ ذلك هو خضر الذي أوصاني؟! قال: نعم. قلت له: الحمد لله، هذي فائدة. ومع هذا؛ فما هو الأمر إلّا كما ذكرتُ لك".

فلمّا كان بعد مدّة دخلتُ على الشيخ، فوجدته قد رجع إلى قولي في تلك المسألة، وقال لي: "إنّي كنت على غلط فيها، وأنت المصيب". فقلت له: "يا سيّدي؛ علمتُ الساعة أنّ الخضر ما أوصاني إلّا بالتسليم، ما عرّفني بأنّك مصيب في تلك المسألة. فإنّه ما كان يتعيّن عليّ نزاعُك فيها؛ فإنّها لم تكن من الأحكام المشروعة التي يحرم السكوت عنها". وشكرتُ الله على ذلك، وفرحتُ للشيخ الذي تبيّن له الحقُّ فيها.

وهذا، عينُ الحياة، ماءٌ خصَّ الله به من الحياة شاربَ ذلك الماء. ثمّ عاد (الخضر) إلى أصحابه، فأخبرهم بالماء. فسارع الناسُ إلى[3] ذلك الموضع ليستقوا منه. فأخذ الله بأبصارهم عنه، فلم يقدروا عليه. فهذا ما أنتج له سعيُه في حقّ الغير.

وكذلك مَن والى في الله، وعادى في الله، وأحبَّ في الله، وأبغَض في الله؛ فهو من هذا

1 ص ٦٣
2 ما بين القوسين من هـ، وقريب منها في س، ولم ترد في ق
3 ص ٦٣ب

الباب. قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾[1] فما يدري أحد ما لهم من المنزلة عند الله؛ لأنّهم ما تحرّكوا، ولا سكنوا إلّا في حقّ الله، لا في حقّ أنفسهم؛ إيثارا لجناب الله على ما يقتضيه طبعهم.

(الوقوف على علم الغيب الذي يحتاج إليه في الكون)

وأمّا الوقوف على علم الغيب الذي يحتاج إليه في الكون خاصّة في مدّته خاصّة، وهي تاسع مسألة، ليس وراءها ما يحتاج إليه الإمام في إمامته؛ وذلك أنّ الله -تعالى- أخبر عن نفسه أنّه كُلَّ يَوْمٍ فِي شَأْنٍ، والشأن (هو) ما يكون عليه العالَم في ذلك اليوم. ومعلوم أنّ ذلك الشأن إذا ظهر في الوجود، ووقع أنّه معلوم لكلّ من شهده؛ فهذا الإمام، من[2] هذه المسألة، له اطّلاعٌ من جانب الحقّ على ما يريد الحقّ أن يحدثه من الشئون قبل وقوعها في الوجود؛ فيطّلع (الإمام) في اليوم الذي قبل وقوع ذلك الشأن، على ذلك الشأن. فإن كان مما فيه منفعة لرعيّته شكَرَ الله وسكتَ عنه، وإن كان مما فيه عقوبة؛ بنزول بلاءٍ عامّ، أو على أشخاص معيّنين؛ سأل الله فيهم، وشفع وتضرّع؛ فصرف الله عنهم ذلك البلاء برحمته وفضله، وأجاب دعاءه وسؤالَه. فلهذا يُطلعه الله عليه قبل وقوعه في الوجود بأصحابه.

ثمّ يُطلعه الله، في تلك الشئون، على النوازل الواقعة من الأشخاص، ويعيّن له الأشخاص بحليتهم، حتى إذا يراهم لا يشكّ فيهم أنّهم عين ما رآه. ثمّ يطلعه الله على الحكم المشروع في تلك النازلة الذي شرع اللهُ لنبيّه محمد ﷺ أن يحكم به فيها؛ فلا يحكم إلّا بذلك الحكم؛ فلا يخطئ أبدا.

وإذا أعمى اللهُ الحكمَ عليه في بعض النوازل، ولم يقع له عليه كشفٌ، كان عافيةً ألحقها في الحكم بالمباح، ويعلم، بعدم التعريف، أنّ ذلك حكم الشرع فيها؛ فإنّه معصوم عن الرأي والقياس في الدين. فإنّ القياسَ ممن ليس بنبيّ حُكْمٌ على الله في دين الله بما لا يعلم. فإنّه طَرْدُ عِلّة، وما

١ [المجادلة : ٢٢]
٢ ص ٦٤

يدريك لعلّ الله[1] لا يريد طرد تلك العِلّة. ولو أرادها لأبان عنها على لسان رسوله ﷺ، وأمر بطردها. هذا إذا كانت العلّة مما نصّ الشرع عليها في قضيّة، فما ظنّك بعِلّةٍ يستخرجها الفقيه بنفسه ونظره، من غير أن يذكرها الشرعُ بنصٍّ معيَّن فيها، ثمّ بعد استنباطه إيّاها يطردها؛ فهذا تَحَكُّمٌ على تحكُّمٍ بشرعٍ لم يأذن به الله. هذا يمنع المهديّ من القول بالقياس في دين الله، ولا سيما و(هو) يعلم أنّ مراد النبيّ ﷺ التخفيف في التكليف عن هذه الأمّة؛ ولذلك كان يقول ﷺ: «اتركوني ما تركتكم». وكان يكره السؤال في الدين خوفا من زيادة الحكم.

فكلُّ ما سُكِت له عنه، ولم يَطّلع على حُكم فيه معيَّن؛ جعله عافيةً بحكم الأصل. وكلُّ ما أطلعه الله عليه كشفا وتعريفا؛ فذلك حكم الشرع المحمّديّ في المسألة. وقد يُطلعه الله في أوقات على المباح؛ أنّه مباح وعافية. فكلُّ مصلحة تكون في حقّ رعاياه يُطلعه الله عليها؛ ليسأله فيها. وكلّ فساد يريد الله أن يوقعه برعاياه؛ فإنّ الله يطلعه عليه[2]؛ ليسأل اللهَ في رفع ذلك عنهم؛ لأنّه عقوبة. كما قال: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[3].

فالمهديّ[4] رحمة، كما كان رسول الله ﷺ رحمة. قال الله ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[5]، والمهديّ يقفوا أثره لا يخطئ؛ فلا بدّ أن يكون رحمة. كان رسول الله ﷺ يقول لمّا جُرِحَ: «اللهم اهدِ قومي فإنّهم لا يعلمون» يعتذر لربّه عنهم. ولمّا علم أنّه بشر، وأنّ أحكام البشريّة قد تغلب عليه في أوقاتٍ، دعا ربّه فقال: «اللهم إنّك تعلم أنّي بشر؛ أرضى كما يرضى البشر، وأغضب كما يغضب البشر» يعني أغضب عليهم وأرضى لنفسي- «اللهم؛ مَن دعوت عليه فاجعل دعائي عليه رحمة له ورضوانا».

١ ص ٦٤ب
٢ "ليسأله.. عليه" ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب
٣ [الروم : ٤١]
٤ ص ٦٥
٥ [الأنبياء : ١٠٧]

فهذه تسعة أمور؛ لم تصحّ لإمام من أئمّة الدين، خلفاء الله ورسوله بمجموعها إلى يوم القيامة؛ إلّا لهذا الإمام المهديّ. كما أنّه ما نصّ رسول الله ﷺ على إمام من أئمّة الدين يكون بعده: يرثه، ويقفوا أثره لا يخطئ؛ إلّا المهديّ خاصة؛ فقد شهد بِعصمته في أحكامه[1]، كما شهد الدليل العقليّ بعصمة رسول الله ﷺ فيما يبلّغه عن ربّه من الحكم المشروع له في عباده.

* * *

وفي هذا المنزل من العلوم:

علمُ[2] الاشتراك في الأحديّة، وهو الاشتراك العام مثل قوله: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[3]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[4] فوصف نفسه -تعالى- بالأحديّة، وهذه السورة نسب الحقّ -تعالى- وأفرد العبادة له من كلّ أحد.

وفيه عِلمُ الإنزال الإلهيّ.

وفيه عِلمُ المعنى الذي جعل الكتابة كلامًا، وحقيقة الكلام معلومة عند العقلاء، والكلام مسألة مختلَف فيها بين النظّار.

وفيه عِلمُ الكلام المستقيم من الكلام المعوجّ، وبماذا تُعرف استقامة الكلام مِن معوجّه؟

وفيه عِلمُ ما جاءت به الرسل عموما وخصوصا.

وفيه عِلمُ مَن تكلّم بغير علم: هل هو علم في نفس الأمر؟ ولا علم عند من يرى أنّه ليس بعلم أنّه علم مع كونه يعلم أنّه لا مُنطِق إلّا الله؟

وفيه عِلمُ معرفة الصدق والكذب، ولماذا (=وإلى ماذا) يرجعان؟ والصادق والكاذب.

وفيه عِلمٌ إذا عِلمه الإنسانُ ارتفع عنه الحرج في نفسه، إذا[5] رأى ما جرت به العادة في

١ "في أحكامه" ثابتة في الهامش، مع إشارة التصويب
٢ ص ٦٥ب
٣ [الكهف : ١١٠]
٤ [الإخلاص : ١]
٥ ص ٦٦

النفوس مِن الأمور العوارض أن تؤثّر فيها حرجا، حتى يَوَدُّ الإنسان أن يقتل نفسه لما يراه. وهذا يسمّى علم الراحة، وهو علم أهل الجنّة خاصّة. فمن فتح الله به على أحد من أهل الدنيا في الدنيا؛ فقد عجّلت له راحة الأبد، مع ملازمة الأدب ممن هذه صفته، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقدر مرتبته.

وفيه عِلمُ ما أظهر الله للأبصار على الأجسام أنّه حلية الأجسام، ومَن قبّح عنده بعض ما ظهر: لماذا قبّح عنده؟ ومَن رآه كلّه حسنا: لِمَ[1] رآه؟ وبأيّ عين رآه؟ فيقابله من ذاته بأفعال حسنة. وهذا العلم من أحسن علم في العالم وأنفعه، وهو الذي يقول بعض المتكلّمين: "لا فاعل إلّا الله" وأفعاله كلّها حسنة، فهؤلاء لا يقبّحون من أفعال الله إلّا ما قبّحه الله؛ فذلك لله -تعالى- لا لهم. ولو لم يقبّحوا ما قبّح الله؛ لكانوا منازعين لله ﷻ.

وفيه عِلمُ ما وضعه الله في العالَم على سبيل التعجّب وليس إلّا ما خرق به العادة. وأمّا الذين يعقلون عن الله؛ فكلّ شيء في العادة عندهم فيه تعجُّبٌ. وأمّا أصحاب العوائد فإنّهم لا تعجّب عندهم إلّا فيما ظهر فيه[2] خرق العادة.

وفيه عِلمُ التشوّف إلى معالي الأمور من جبلّة النفوس، وبماذا تُعلم معالي الأمور: هل بالعقل أو بالشرع؟ وما هي معالي الأمور؟ وهل هي أمر يَعُمُّ العقلاء؟ أو هو ما يراه زيدٌ من معالي الأمور، لا يراه عمرو بتلك الصفة؛ فيكون إضافيًا؟

وفيه عِلمُ دخول الأطول في الأقصر، وهو إيراد الكبير على الصغير.

وفيه عِلمُ أحكام الحقّ في الخلق إذا ظهر وإذا بطن، ومن أيّ حقيقة يقبل الاتّصاف بالظهور والبطون؟

وفيه عِلمُ الحيرة التي لا يمكن لمن دخل فيها أن يَخرُج منها.

وفيه عِلمُ من يرى أمرا على خلاف ما هو عليه ذلك الأمر في نفسه، وهل يصحّ لصاحب

١ ق، س، هـ: لما
٢ ص ٦٦ب

هذا العلم أن يجمع بين الأمرين، أم لا؟

وفيه عِلْمُ اتّساع البرازخ وضيقها.

وفيه عِلْمُ ما للاعتدال والانحراف من الأثر فيما ينحرف عنه أو يقابل.

وفيه عِلْمُ الأحوال في العالم: وهل لها أثر في غير العالم، أم لا[1] أثر لها فيه؟

وفيه عِلْمُ ما يعظم عند الإنسان الكامل، وما ثَمّ أعظم منه؟ ولماذا (=وإلى ماذا) يرجع ما يعظم عنده، حتى يؤثّر فيه حالةً لا يقتضيها مقامُه الذي هو فيه؟ وهل حصل له ذلك العلم عن مشاهدة، أو فكر؟

وفيه عِلْمُ هل يصحّ من الوكيل المفوَّض إليه، المطلَق الوكالة، أن يتصرّف في مال موكِّله تصرُّفَ ربِّ المال من جميع الوجوه؟ أو له حدٌّ يقف عنده في حكم الشرع؟

وفيه عِلْمُ حكمة طلب الأولياء الستر على مقامهم، بخلاف الأنبياء صلوات الله عليهم.

وفيه عِلْمُ السياسة في التعليم حتى يوصِل المعلِّم العِلمَ إلى المتعلّم من حيث لا يشعر المتعلّم؛ أنّ المعلّم قصد إفادته بما حصل عنده من العلم، فيقول له المتعلّم: يا أستاذ؛ لقد حصل لي من فعلك كذا وكذا، مع كذا وكذا، علمٌ وافر صحيح؛ وهو كذا، ويتخيّل المتعلّم أنّ الذي حصل له من العلم بذلك الأمر لم يكن مقصودا للمعلّم؛ وهو مقصود في نفس الأمر للمعلّم. فيفرح المتعلّم بما أعطاه الله من النباهة والتفطّن؛ حيث علم من حركة أستاذه علما[2] لم يكن عنده في زعمه أنّ أستاذه قصد تعليمه.

وفيه عِلْمٌ من علوم الكشف؛ وهو أن يعلم صاحب الكشف أنّ جماعة في واحد أو جماعة قلّت أو كثرت، لا بدّ أن يكون معهم من رجال الغيب واحد عندما يتحدّثون؛ فذلك الواحد ينقل أخبارهم في العالم، ويجد ذلك الناسُ من نفوسهم في العالَم: يجتمع جماعة في خلوة، أو يحدّث الرجل نفسه بحديث لا يعلم به إلّا الله؛ فيخرج، أو تخرج تلك الجماعة فتسمعه في الناس

١ ص ٦٧
٢ ص ٦٧ب

والناس يتحدّثون به.

ولقد عملتُ أبياتا من الشعر بمقصورة ابن مثنّى بشرقي جامع تونس من بلاد أفريقية عند صلاة العصر في يوم معلوم معيّن بالتاريخ عندي بمدينة تونس. فجئت أشبيلية وبينها مسيرة ثلاثة أشهر للقافلة. فاجتمع بي إنسان لا يعرفني. فأنشدني، بحكم الاتفاق، تلك الأبيات عينها، ولم أكن كتبته لأحد. فقلت له: لمن هي هذه الأبيات؟ فقال لي: لمحمد بن العربي، وسمّاني. فقلت له: ومتى حفظتها؟ فذكر لي التاريخ الذي عملتها فيه والزمان، مع طول هذه المسافة. فقلت له: ومَن أنشدك إيّاها حتى حفظتها؟ فقال لي: كنت جالسا في ليلة بشرف أشبيلية، في مجلس جماعة على الطريق[1]. ومرّ بنا رجل غريبٌ لا نعرفه كأنّه من السيّاح. فجلس إلينا فتحدّث معنا، ثمّ أنشدنا هذه الأبيات؛ فاستحسنّاها وكتبناها. فقلنا له: لمن هذه الأبيات؟ فقال: لفلان. وسمّاني لهم. فقلنا له: فهذه مقصورة ابن مثنى؛ ما نعرفها ببلادنا؟! فقال: هي بشرقيّ جامع تونس، وهنالك عملها في هذه الساعة، وحفظتها منه. ثمّ غاب عنّا؛ فلم ندر ما أمره، ولا كيف ذهب عنّا، وما رأيناه.

ولقد كنت بجامع العدَبّس بأشبيلية يوما بعد صلاة العصر. وشخص يذكر لي عن رجل كبير من أهل الطريق، من أكابرهم؛ اجتمع به في خراسان. فذكر لي فضله. وإذا بشخص أنظر إليه قريبا منّا، والجماعة معي لا تراه. فقال لي: أنا هو هذا الشخص الذي يصفه لك هذا الرجل الذي اجتمع بنا في خراسان. فقلت للرجل المخبِر: إنّ هذا الرجل الذي رأيته بخراسان؛ أتعرف صفته؟ فقال: نعم. فأخذتُ أنعتُه له بآثار كانت فيه، وحِليته في خلقه. فقال الرجل: هو -والله- على صورة ما وصفتَ، هل رأيته؟ فقلت له: هو ذا جالس يصدّقك عندي فيما تخبِر به عنه، وما وصفتُه لك إلّا وأنا انظر إليه، وهو عرّفني بنفسه. ولم يزل معي جالسا حتى انصرفتُ. فطلبتُه، فلم أجده.

وأمّا الأبيات التي أنشدنيها لي فهي:

١ ص ٦٨

مَقْصُورَةٌ[1] ابْنُ مُثَنًّى — أَمْسَيْتُ فِيهَا مُعَنَّى
بِشَادِنٍ تُونِسِيٍّ — حُلْوِ اللَّمَى يَتَمَنَّى
خَلَعْتُ فِيْهِ عِذارِي — فَأَصْبَحَ الجِسْمُ مُضْنَى
سَأَلْتُهُ الوَصْلَ لَمَّا — رَأَيْتُهُ يَتَجَنَّى
وَهَزَّ عِطْفَيْهِ عُجْبًا — كالغُصْنِ إِذْ يَتَثَنَّى
وَقَالَ: أَنْتَ غَرِيبٌ — إِلَيْكَ يَا هَذَا عَنَّا
فَذُبْتُ شَوْقًا ويَأْسًا — ومُتُّ وجْدًا وحُزْنا

وهذا الصبيُّ يقال له: أحمد بن الأربسي، من تجار البلد كان أبوه، وكان شابًا صالحا؛ يحبّ الصالحين ويجالسهم. وفقّه الله. وكان هذا المجلس بيني وبينه سنة تسعين وخمسمائة، ونحن الآن في سنة خمس وثلاثين وستمائة.

وفيه عِلْمُ ما يُحمد من الجدال وما يُذمّ منه ولا ينبغي لمسلم ممن ينتمي إلى الله أن يجادل إلّا فيما هو فيه[2] مُحِقٌّ عن كشفٍ، لا عن فكر ونظر. فإذا كان مشهودا له ما يجادل عنه؛ حينئذ يتعيّن عليه الجدال فيه بالتي هي أحسن إذا كان مأمورا بأمر إلهيّ. فإن لم يكن مأمورا فهو بالخيار: فإن تعيّن له نفع الغير بذلك؛ كان مندوبا إليه. وإن يئس من قبول السامعين له؛ فليسكت ولا[3] يجادل. فإن جادل؛ فإنّه ساع في هلاك السامعين عند الله.

وفيه عِلْمُ قول الإنسان: "أنا مؤمن -إن شاء الله-" مع علمه في نفسه في ذلك الوقت أنّه مؤمن. وهذه مسألة عظيمة الفائدة لمن نظر فيها تُعلّمه الأدب مع الله إذا لم يتعدّ الناطق بها الموضع الذي جعلها الله فيه. فإن تعدّاه ولم يقف عنده؛ أساء الأدب مع الله، ولم ينجح له طلبٌ.

وفيه عِلْمُ الشيء الذي يذكّرك بالأمر الذي كنت قد علِمته ثمّ نسيته.

وفيه عِلْمُ الزيادة في الزمان والنقصان: لماذا (=إلى ماذا) ترجع؟ وقول النبيّ ﷺ: «قد يكون

١ ص ٦٨ب
٢ ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٣ ص ٦٩

الشهر تسعة وعشرين» لعائشة في إيلائه من نسائه. وبماذا ينبغي الأخذُ من ذلك في الحكم الشرعيّ: هل بأقلّ ما ينطلق عليه اسم الشهر، أو بأكثر؟

وفيه عِلْمُ إيثار صحبة أهل الله على الغافلين عن الله، وإن شملهم الإيمان.

وفيه عِلْمُ ما ينبغي لجلال الله أن يعامَل به؛ سواء أرضَى العالَم أم[1] أسخَطَه.

وفيه عِلْمُ المياه؛ وهو علم غريب، وما حدُّ الرّيِّ منها في المرتوي من الماء الذي يُروي؟ فإنّ من الماء ما يُروي، ومنه ما لا يُروي. وما هو[2] الماء الذي جعل الله منه كلَّ شيء حيّ: هل هو كلُّ ماء؟ أو له خصوصُ وصفٍ من بين المياه؟ ووصفُ الماءِ الذي خلق الله منه بني آدم بالمهانة، فقال: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾[3].

وفيه عِلْمُ علامةِ مَن أسعده الله ممن أشقاه في الحياة الدنيا.

وفيه عِلْمُ ما هي الدنيا في نفسها؟ وما حياتها؟ وما زينتها؟

وفيه عِلْمُ ما يبقى؟ وما يفنى؟ ومن[4] يقبل الفناء من العالَم؟ ومن يقبل البقاء؟

وفيه عِلْمُ صورة الإحاطة بما لا يتناهى؛ وما لا يتناهى لا يوصف بأنّه محاط به؛ لأنّه يستحيل دخوله في الوجود.

وفيه عِلْمُ أحوال الجانّ، وتكليف الحقِ إيّاهم بالشرائع المنزلة من عنده: هل هو تكليفٌ ألزمهم الحقّ به ابتداء؟ أو ألزموه أنفسهم؛ فألزمهم الحقّ به كالنذر؟

وفيه[5] عِلْمُ الفرق بين الفعل والمفعول.

وفيه عِلْمُ من يقبل الإعانة في الفعل؟

١ ص ٦٩ب
٢ في الهامش: "صفة" وبجانبها إشارة التصويب، وهي كذلك في س
٣ [المرسلات : ٢٠]
٤ ق، هـ: "وما" والترجيح من س
٥ ص ٧٠

وفيه عِلْمُ النِّحَل والمِلَل.

وفيه عِلْمُ الاستحقاق.

وفيه عِلْمُ ما لا ينفع العلم به.

وفيه عِلْمُ العِلمِ الغريب: بماذا تقبله النفوس، وتقبل عليه أكثر من غيره؟

وفيه عِلْمُ هل يصحّ الإعراض عن العلم مع بقائه علما في المعرِض عنه، أو تقدح عنده شبهة فيه فلا يعرِض عنه حتى يزول عنه أنّه عِلم؟ وهذا عند المحقّقين العارفين من أخفى العلوم.

وفيه عِلْمُ الحُجُب التي تحول بين عين البصيرة، وما ينبغي لها أن تدركه لولا هذه الحجب.

وفيه عِلْمُ الحِلم، والفرق بينه وبين العفو. وعِلْمُ الغفور الرحيم: هل هو برزخ بين الحليم والعفو؛ لها حكم في هذا ولها حكم في هذا، أم لا؟.

وفيه عِلْمُ لا تتعدّى الأمور مقاديرها عند الله.

وفيه[1] عِلْمُ ما الذي أغفل الأكابر عن الاستثناء الإلهيّ في أفعالهم، كقصّة سليمان وموسى وغيرهما -عليهم السلام-؟

وفيه عِلْمُ رَدِّ ما ينبغي لمن ينبغي، وهو أفضل العلوم؛ لأنّه يورث الراحة، ويسلم من الاعتراض عليه في ذلك، والله أعلم.

وفيه عِلْمُ ما يحمده من نفسه، وينكره من غيره ويذمّه؟

وفيه عِلْمُ الوقوف بين العالَمَيْن: ما حال الواقف فيه؟

وفيه عِلْمُ كون الحقّ ما أوجد شيئا إلّا عن سبب؛ فمَن رفع الأسباب فقد جهل. فمن يزعم أنّه رفعها؛ فما رفعها إلّا بها؛ إذ لا يصحّ رفع ما أقرّه الله. وما يعطيه حال الوجود؟ وما الفرق بين

١ ص ٧٠ب

الأسباب المعتادة التي يجوز رفعُها، وبين الأسباب المعقولة[1] التي لا يمكن رفعها؟

وفيه عِلْمُ مَن احتاط على عباد الله؛ ما له عند الله؟

وفيه عِلْمُ اتّخاذ الشُّبَه أدلّة؛ ما الذي أعماهم عن كونها شُبَهًا؟[2]

وفيه عِلْمُ مَن يُهْمَل مِن عباد الله يوم القيامة، ممن لا يُهْمَل.

وفيه عِلْمُ الخواصّ.

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[3].

١ الحروف المعجمة مهملة
٢ ص ٧١
٣ [الأحزاب: ٤]

الباب السابع والستّون وثلاثمائة
في معرفة منزل التوكّل الخامس
الذي ما كشفه أحدٌ من المحقّقين؛ لقلّة القابلين له، وقصور الأفهام عنه

إنّ التَّـوَكُّلَ يُثْبِـتُ الأسْـبابا ... ويُفَـتِّحُ الأَغـلاقَ والأَبْـوابا
ويَجُـودُ بِالخَـيْرِ الأَعَمِّ لِنَفْسِـهِ ... ويُقَـرِّبُ الأَعْـداءَ والأَحْبـابا
ويَقُولُ لِلنَّفْسِ الضَعِيفَةِ ناصِحًا ... وَجِّدْ إِلَهَكَ واتْرُكِ الأَرْبَابا
إِنِّي خَلِيفَتُـهُ وقَـدْ وَكَّلْتُـهُ ... فَمَنِ اقْتَفَى أَثَرِي إِلَيْهِ أَصَابا
إِنِّي[1] لَهُ رَحِـمٌ وَذاكَ وَسِـيلَتِي ... فَلَقَدْ نَجا مَنْ يَحْفَظُ الأَنْسابا

قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[2] فوصف نفسه بأمرٍ لا ينبغي أن يكون ذلك الوصف إلّا له -تعالى- وهو قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[3]. فهو -تعالى- معنا أينما كنّا: في حال نزوله إلى السماء الدنيا في الثلث الباقي من الليل، في حال كونه استوى على العرش، في حال كونه في العماء، في حال كونه في الأرض وفي السماء، في حال كونه أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد منه. وهذه نعوت لا يمكن أن يوصَف بها إلّا هو.

فما نقل الله عبدا من مكان إلى مكانٍ ليراه؛ بل لِيُرِيَهُ من آياته التي غابتْ عنه. قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾[4]، وكذلك إذا نقل اللهُ العبد في أحواله، ليريه أيضا من آياته. فَنَقْلُهُ في أحواله مثل قوله ﷺ: «زُوِيَت لي الأرض فرأيتُ مشارقَها ومغاربَها، وسيبلغ مُلْكُ أمّتي ما زوي لي منها» وكذلك قوله -تعالى- عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ[5] مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ

١ ص ٧١ب
٢ [الشورى : ١١]
٣ [الحديد : ٤]
٤ [الإسراء : ١]
٥ ص ٧٢

وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾[1] وذلك عين اليقين؛ لأنّه عن رؤية وشهود.

وكذلك نَقْلُهُ عَبْدَه من مكان إلى مكان؛ ليريه ما خصّ الله به ذلك المكان من الآيات الدالّة عليه -تعالى- من حيث وصف خاصّ لا يُعلم من الله -تعالى- إلّا بتلك الآية. وهو قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾. وحديث الإسراء يقول: "ما أسريتُ به إلّا لرؤية الآيات، لا إليّ؛ فإنّه لا يحويني[2] مكان. ونِسبةُ الأمكنة إليّ نِسبةٌ واحدة، فأنا الذي وسعني قلب عبدي، فكيف أُسري به إليّ؛ وأنا عنده ومعه أينما كان؟!"

(إسراء النبي ﷺ)

فلمّا أراد الله أن يُرِيَ النبيَّ عبدَه محمدا ﷺ من آياته ما شاء؛ أنزل إليه جبريل عليه السلام، وهو الروح الأمين، بدابّة يقال لها: البراق؛ إثباتا للأسباب، وتقوية له؛ ليريه العلم بالأسباب ذوقا. كما جعل الأجنحة للملائكة؛ ليُعلمنا بثبوت الأسباب التي وضعها في العالَم. والبراق دابّة برزخيّة. فإنّه دون البغل الذي يولد من جنسين مختلفين، وفوق الحمار الذي يولد من جنس واحد. فجمع البراق بين مَن ظَهَر من جنسين[3] مختلفين، وبين من ظهر من جنس واحد؛ لحكمة علِمها أهلُ الله في صدور عالَم الخلق وعالَم الأمر، وفي صدور الأجسام الطبيعيّة، وما فوقها. فركبه ﷺ، وأخذه جبريل عليه السلام.

والبراق للرُّسُل، مثل فرس النوبة الذي يخرجه المرسل إليه للرسول؛ ليركبه تهمّما به في الظاهر. وفي الباطن أن لا يصل إليه إلّا على ما يكون منه؛ لا على ما يكون لغيره؛ ليتنبّه بذلك. فهو تشريف وتنبيه؛ لمن لا يدري مواقع الأمور. فهو تعريف في نفس الأمر، كما قرّرناه بما قلناه. فجاء ﷺ إلى البيت المقدس. ونزل عن البراق، وربطه بالحلقة التي تربطه بها الأنبياء -عليهم السلام- كلُّ ذلك إثباتٌ للأسباب؛ فإنّه ما من رسول إلّا وقد أُسري به راكبا على ذلك البراق.

١ [الأنعام : ٧٥]
٢ كتب في الهامش مقابلها بقلم آخر: "يحدني" مع إشارة التصويب
٣ ص ٧٢ب

وإنما ربطه، مع علمه بأنّه مأمور. ولو أوقفه دون ربط بحلقة؛ لوقف. ولكن حكم العادة منعه من ذلك[1]، إبقاءً لحكم العادة التي أجراها الله في مسمّى الدابّة.

ألا تراه ﷺ كيف وصف البراق بأنّه شمسٌ، وهو من شأن الدواب التي تُركب. وأنّه قلب بحافره القدَح الذي كان يتوضّأ به صاحبه في القافلة الآتية إلى مكة. فوصف البراق بأنّه يعثر، والعثور هو الذي أوجب قلب الآنية، أعني القدح. فلمّا صلّى؛ جاءه[2] جبريل بالبراق؛ فركب عليه، ومعه جبريل. فطار البراق به في الهواء؛ فاخترق به الجوّ. فعطش، واحتاج إلى الشرب. فأتاه جبريل عليه السلام بإناءين: إناء لَبَن، وإناء خمر؛ وذلك قبل تحريم الخمر. فعرضها عليه؛ فتناول اللبن. فقال له جبريل عليه السلام: أصبتَ الفطرة، أصاب الله بك أُمّتك. ولذلك كان ﷺ يتأوّل اللبن إذا رآه في النوم. خرّج البخاري في الصحيح أنّ رسول الله ﷺ قال: «أُريتُ كأنّي أُتيت بقدح لَبن فشربته حتى رأيت الرّيّ يخرج من تحت أظافري، ثمّ أعطيتُ فضلي عمرَ. قالوا: فما أوّلته يا رسول الله؟ قال: العلم».

فلمّا وصل إلى السماء الدنيا استفتح جبريل. فقال له الحاجب: من هذا؟ فقال: جبريل. قال: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ. قال: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح؛ فدخلنا. فإذا بآدم ﷺ وعن يمينه أشخاص بَنِيه السعداء أهل الجنّة، وعن يساره نَسَمُ بَنِيه الأشقياء عَمَرَة النار[3]. ورأى ﷺ نفسه[4] في أشخاص السعداء، فشكر اللهَ -تعالى-. وعلم، عند ذلك، كيف يكون الإنسان في مكانين؛ وهو[5] عينُه، لا غيره. فكان له كالصورة المرئيّة، والصور المرئيّات في المرآة والمرائي. فقال (آدم): مرحبا بالابن الصالح، والنبيّ الصالح.

ثمّ عرج به البراق، وهو محمول عليه، في الفضاء الذي بين السماء الأُولَى والسماء الثانية، أو سُمك السماوات. فاستفتح جبريل السماء الثانية كما فعل في الأُولَى. وقال، وقيل له. فلمّا دخل

[1] "ولو أوقفه.. ذلك" ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب
[2] ص ٧٣
[3] "عمرة النار" ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب
[4] في الهامش: "صورته" وحرف خ
[5] ص ٧٣ب

إذا بعيسى عليه السلام بجسده عينِه. فإنّه لم يمت إلى الآن؛ بل رفعه الله إلى هذه السماء، وأسكنه بها، وحكّمه فيها. وهو شيخنا الأوّل الذي رجعنا على يديه. وله بنا عناية عظيمة؛ لا يغفل عنّا ساعة واحدة، وأرجو أن ندرك زمان نزوله -إن شاء الله-. فرحّب به وسهّل.

ثمّ جاء السماء الثالثة. فاستفتح. وقال وقيل له. فَفُتحتْ، وإذا بيوسف عليه السلام. فسلّم عليه ورحّب وسهّل. وجبريل، في هذا كلّه، يسمّي له مَن يراه من هؤلاء الأشخاص. ثمّ عُرج به إلى السماء الرابعة؛ فاستفتح، وقال وقيل له؛ ففتحت. فإذا بإدريس عليه السلام بجسمه. فإنّه ما مات إلى الآن؛ بل رفعه الله مكانا عليّا؛ وهو هذه السماء: قلب السماوات، وقطبها. فسلّم عليه، ورحّب وسهّل.

ثمّ عُرج به إلى السماء الخامسة فاستفتح[1]؛ وقال وقيل له؛ ففتحت. فإذا بهارون ويحيى -عليهما السلام-؛ فسلّما عليه ورحّبا به وسهّلا.

ثمّ عرج به إلى السماء السادسة فاستفتح، وقال وقيل له؛ ففتحت. فإذا[2] بموسى عليه السلام؛ فسلّم عليه ورحّب وسهّل.

ثمّ عُرج به إلى السماء السابعة؛ فاستفتح، وقال وقيل له؛ ففتحت. فإذا بإبراهيم الخليل عليه السلام مسندا ظهره إلى البيت المعمور. فسلّم عليه ورحّب وسهّل، وسَمّى له البيت المعمور: الضراح. فنظر إليه، وركع فيه ركعتين. وأعلَمنا أنّه يدخله كلَّ يوم سبعون ألف ملَك من الباب الواحد، ويخرجون من الباب الآخر. فالدخول من باب مَطالع الكواكب، والخروج من باب مغارب الكواكب. وأخبره أنّ أولئك الملائكة يخلقهم الله كلّ يوم من قطرات ماء الحياة التي تسقط من جبريل حين ينتفض؛ كما ينتفض الطائر عندما يخرج من انغماسه في نهر الحياة؛ فإنّ له في كلّ يوم غمسة فيه.

[1] ص ٧٤
[2] "بهارون.. فإذا" ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب

ثمّ عرج به إلى السدرة المنتهى. فإذا نَبْقُها[1] كالقلال، وورَقُها كآذان الفيلة. فرآها وقد غشّاها الله من النور ما غشّى. فلا يستطيع أحد أن ينعتها؛ لأنّ البصر لا يدركها لِنورها. ورأى يخرجُ من أصلها أربعة أنهار: نهران ظاهران، ونهران باطنان. فأخبره جبريلُ أنّ النهرين الظاهرين: النيل والفرات، والنهرين الباطنين: نهران يمشيان إلى الجنّة. وأنّ هذين النهرين -النيل والفرات- يرجعان يوم القيامة إلى الجنّة، وهما نهر العسل واللبَن. وفي[2] الجنّة أربعة أنهار: نهر من ماء غير آسن، ونهر من لبن لم يتغيّر طعمه، ونهر من خمر لذّة للشاربين، ونهر من عسل مصفّى. وهذه الأنهار تعطي لأصحابها علوما عند شربهم منها متنوّعة، يعرفها أصحاب الأذواق في الدنيا. ولنا فيها جزء صغير، فلينظر ما ذكرناه في ذلك الجزء. وأخبره أنّ أعمال بني آدم تنتهي إلى تلك السدرة، وأنّها مقرّ الأرواح. فهي نهاية لما ينزل مما هو فوقها، ونهاية لما يعرج إليها مما هو دونها، وبها مقام جبريل عليه السلام وهناك منصّته.

فنزل ﷺ عن البراق بها. وجيء إليه بالرفرف؛ وهو نظير المحفّة عندنا؛ فقعد عليه. وسلّمه جبريل إلى الملَك النازل بالرفرف. فسأله الصحبة ليأنس به؛ فقال: لا أقدر؛ لو خطوتُ خطوة احترقتُ فـ﴿مَا مِنَّا إِلَّا﴾ مَن ﴿لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾[3]، وما أسرى الله بك -يا محمد- إلّا ليريك من آياته؛ فلا تغفل.

فودّعه، وانصرف على الرفرف مع ذلك الملَك يمشي به، إلى أن ظهر لِمُستوًى سمع منه صَريف القلم والأقلام في الألواح؛ ما يكتب الله بها مما يجريه في خلقه، وما تنسخه الملائكة من أعمال عباده. وكلُّ قلَم ملك. قال تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[4] ثمّ زُجَّ في النور زجّة.

فأفرده الملَك الذي كان معه، وتأخّر[5] عنه. فاستوحش لمّا لم يره، وبقي لا يدري ما يصنع،

١ النبق: حَمْلُ السدر، واحدتها نبقة
٢ ص ٧٤ب
٣ [الصافات : ١٦٤]
٤ [الجاثية : ٢٩]
٥ ص ٧٥

وأخذه هيمان مثل السكران في ذلك النور. وأصابه الوجد؛ فأخذ يميل ذات اليمين وذات الشمال، واستفرغه[1] الحال. وكان سببه سماع إيقاع تلك الأقلام وصريفها في الألواح؛ فأعطت من النغمات المستلذّة ما أدّاه إلى ما ذكرناه من سريان الحال فيه، وحكمه عليه. فتقوّى بذلك الحال، وأعطاه الله في نفسه عِلما عَلِم به ما لم يكن يعلمه قبل ذلك عن وحي من حيث لا يدري وجهته.

فطلب الإذن في الرؤية بالدخول على الحقّ. فسمع صوتا يشبه صوت أبي بكر، وهو يقول له: يا محمد؛ قف؛ إنّ ربّك يصلّي. فراعه ذلك الخطاب، وقال في نفسه: أربّي يصلّي؟! فلمّا وقع في نفسه هذا التعجّب من هذا الخطاب، وأنِس بصوت أبي بكر الصدّيق؛ تلي عليه: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾[2] فعلم عند ذلك ما هو المراد بصلاة الحقّ. فلمّا فرغ من الصلاة مثل قوله: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾[3] مع أنّه لا يشغله شأن عن شأن؛ ولكن لِخَلْقِه أصناف العالم أزمانٌ مخصوصة وأمكنةٌ مخصوصة لا يتعدّى بها زمانها ولا مكانها؛ لما سبق في علمه ومشيئته في ذلك. فأوحى الله إليه، في تلك الوقفة؛ ما أوحى.

ثمّ[4] أُمِرَ بالدخول؛ فدخل. ثمّ رأى عينَ ما علم، لا غير، وما تغيّرت عليه صورة اعتقاده. ثمّ فرض عليه في جملة ما أوحي به إليه: خمسين صلاة في كلّ يوم وليلة. فنزل حتى وصل إلى موسى عليه السلام. فسأله موسى عمّا قيل له، وما فرض عليه. فأجابه وقال: إنّ الله فرض على أمّتي خمسين صلاة. فقال له: يا محمد؛ قد تقدّمتُ إلى هذا الأمر قبلَك، وعرفتُه ذوقا، وتعبت مع أمّتي فيه. وإنّي أنصحك؛ فإنّ أمّتك لا تطيق ذلك؛ فراجع ربّك، وسله التخفيف. فراجع ربّه؛ فترك له عشرا. فأخبر موسى بما ترك له ربّه. فقال موسى: راجع ربّك. فراجعه؛ فترك له عشرا. فأخبر موسى. فقال له: راجع ربّك. فراجعه؛ فترك له عشرا. فأخبر موسى. فقال: راجع ربّك.

١ يقال: "استفرغ فلان مجهوده" إذا لم يُبق من جهده وطاقته شيئا
٢ [الأحزاب : ٤٣]
٣ [الرحمن : ٣١]
٤ ص ٧٥ب

(فراجعه؛ فترك له عشرا. فأخبر موسى. فقال: راجع ربّك)[1]. فراجعه. فقال له ربّه: هي خمسٌ وهي خمسون ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾[2]. فأخبر موسى. فقال: راجع ربّك. فقال: إنّي أستحي من ربّي، وقد قال لي كذا وكذا.

ثمّ وادعه وانصرف. ونزل إلى الأرض قبل طلوع الفجر. فنزل بالحِجْر. فطاف، ومشى إلى بيته. فلمّا أصبح، ذكر ذلك للناس. فالمؤمن به صدّقه، وغير المؤمن به كذّبه، والشاكّ ارتاب فيه. ثمّ أخبرهم بحديث القافلة، وبالشخص الذي كان يتوضّأ. وإذا بالقافلة قد وصلت كما قال. فسألوا الشخص؛ فأخبرهم[3] بقلب القدح كما أخبرهم رسول الله ﷺ. وسأله مَن حضر من المكذّبين، ممن رأى بيت المقدس، أن يصِفَهُ لهم. ولم يكن رأى منه ﷺ إلّا قدر ما مشى فيه، وحيث صلّى. فرفعه الله له حتى نظر إليه. فأخذ ينعته للحاضرين؛ فما أنكروا مِن نَعْتِه شيئًا. ولو كان الإسراء بروحه، وتكون رؤيا رآها كما يراه النائم في نومه؛ ما أنكره أحد ولا نازعه. وإنما أُنكِر عليه؛ كونه أعلمهم أنّ الإسراء كان بجسمه في هذه المواطن كلّها.

وله ﷺ أربعة وثلاثون مرّة الذي أُسري به. منها إسراءٌ واحد بجسمه، والباقي بروحه: رؤيا رآها. وأمّا الأولياء فلهم إسراءات روحانيّة برزخيّة، يشاهدون فيها معاني متجسِّدة في صور محسوسة للخيال، يعطَون العلم بما تتضمنه تلك الصور من المعاني. ولهم الإسراء في الأرض وفي الهواء؛ غير أنّهم ليست[4] لهم قدم محسوسة في السماء. وبهذا زاد على الجماعة رسولُ الله ﷺ بإسراء الجسم، واختراق السماوات والأفلاك حِسًّا، وقطع مساحات حقيقيّة محسوسة. وذلك كلّه لورثته معنًى، لا حسًّا، من السماوات فما فوقها.

[1] ما بين القوسين لم يرد في ق، وورد في هـ، س
[2] [ق : ٢٩]
[3] ص ٧٦
[4] ق: "ليس" وفي الهامش بقلم الأصل: "ليست"

(إسراء الشيخ ابن العربي)

فلنذكر من إسراء أهل الله ما شهدتُه خاصّة من ذلك؛ فإنّ إسراءهم يختلف؛ لأنّه معنى يتجسّد، بخلاف[1] الإسراء المحسوس. فمعارج الأولياء معارجُ أرواحٍ، ورؤيةُ قلوبٍ، وصورُ برزخيّات، ومعانٍ متجسّدات. فممّا شهدته من ذلك وقد ذكرناه في كتابنا المسمّى بـ"الإسراء وترتيب الرِّحْلة":

أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ اللهَ أَسْرَى بِعَبْـدِهِ ... مِنَ الحَرَمِ الأَدْنَى إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى-
إِلَى أَنْ عَلا السَّبْعَ السماواتِ قاصِدًا ... إِلَى بَيْتِهِ المَعْمُورِ بِالمَلأ الأَعْلَى
إِلَى السدْرَةِ العُلْيَا وَكُرْسِيِّهِ الأَحْمَى ... إِلَى عَرْشِهِ الأَسْنَى إِلَى المُسْتَوَى الأَزْهَى
إِلَى سُبُحاتِ الوَجْهِ حِيْنَ تَقَشَّعَتْ ... سحابُ العَمَى عَنْ عَيْنِ مُقْلَتِهِ النَّجْلا
وكانَ تَدَلّيهِ عَلَى الأَمْرِ إِذْ دَنَا ... مِنَ اللهِ قُرْبًا قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى
وكانَتْ عُيونُ الكَوْنِ عَنْهُ بِمَعْزَلٍ ... تُلاحِظُ ما يُسْقِيْهِ بِالمَوْرِدِ الأَحْلَى
فَخاطَبَهُ بِالأُنْسِ صَوْتُ عَتِيْقِهِ: ... "تَوَقَّفْ" فَرَبُّ العَرْشِ سُبْحانَهُ صَلَّى
فَأَزْعَجَهُ[2] ذاكَ الخِطابُ وقالَ: هَلْ ... يُصَلِّي إِلَهِي، ما سَمِعْتُ بِهِ يُتْلَى
وَشالَ حِجابَ العِلْمِ عَنْ عَيْنِ قَلْبِهِ ... وأَوْحَى إِلَيْهِ فِي الغُيُوبِ الّذِي أَوْحَى
فعايَنَ مَا لَا يَقْدِرُ الخَلْقُ قَدْرَهُ ... وأَيَّدَهُ الرحمنُ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى
وأَلْفاهُ تَوّاقًا إِلَى وَجْهِ رَبِّهِ ... فَأَكْرَمَهُ الرحمنُ بِالمَنْظَرِ الأَجْلَى
ومِنْ قَبْلِ ذا قَدْ كانَ أُشْهِدَ قَلْبُهُ ... بِغارِ حِراءٍ قَبْلَ ذَلِكَ فِي المَجْلَى[3]

فإذا أراد الله -تعالى- أن يُسري بأرواح مَن شاء مِن ورثة رسلِه وأوليائه؛ وهو أن يريَهم من آياته؛ فهو إسراءٌ لزيادة علم، وفتحِ عينِ فهمٍ، فيختلفُ سُراهم. فمنهم مَن أُسري به فيه؛ فهذا إسراءٌ فيه حلّ تركيبهم. فيوقفهم، بهذا الإسراء، على ما يناسبهم من كلّ عالَم؛ بأن يمرّ بهم على أصناف العالَم المركَّب والبسيط؛ فيترك مع كلّ عالَم من ذاته ما يناسبه. وصورةُ تَرْكِهِ معه أن

[1] ص ٧٦ب
[2] ص ٧٧
[3] كتب فوقها بقلم آخر: "النجوى" مع إشارة التصويب

يرسل الله بينه وبين ما ترك منه مع ذلك الصنف من العالم[1] حجابا؛ فلا يشهده، ويبقى له شهود ما بقي؛ حتى يبقى بالسِّرِّ الإلهيّ الذي هو الوجه الخاصّ الذي[2] مِن الله إليه. فإذا بقي وحده؛ رفع عنه حجاب الستر؛ فيبقى معه -تعالى- كما بقي كلّ شيء منه مع مُناسِبِهِ. فيبقى العبدُ في هذا الإسراء: هو لا هو.

فإذا بقي "هو لا هو" أُسري به من حيث "هو" لا من حيث "لا هو" إسراءً معنويًا لطيفا فيه؛ لأنّه في الأصل على صورة العالَم وصورته؛ فكلّه على صورته من حيث هو تعالى. فإنّ العالَم على صورة الحقّ، والإنسان على صورة العالَم؛ فالإنسان على صورة الحقّ. فإنّ المساوي لأحد المساويين؛ مساوٍ لكلّ واحد من المتساويين. فإنّه إذا كان كلُّ أَلِفٍ باءً، وكلُّ باءٍ جيمٌ؛ فكلُّ أَلِفٍ جيمٌ. فلتنظر جيم من حيث هو ألف، لا من حيث هو باء. كذلك ينظر الإنسانُ نفسَه من حيث هو على صورة الحقّ، لا من حيث هو على صورة العالَم؛ وإن كان العالَم على صورة الحقّ.

ولمّا كان الترتيب على ما وقع عليه الوجود؛ لِتأخُّر النشأة الجسميّة الإنسانيّة عن العالَم، فكانت أجزاءً؛ فظهرتْ في نشأتها على صورة العالَم. وما كان العالَمُ على الكمال في صورة الحقّ، حتى وُجِد الإنسان فيه؛ فبه[3] كَمُلَ العالَم. فهو الأوّل بالرتبة، والآخر بالوجود. فالإنسان، من حيث رتبته، أقدمُ من حيث جسميّته. فالعالَم بالإنسان على صورة الحقّ، والإنسان دون العالَم على صورة الحقّ، والعالَم دون الإنسان ليس على الكمال في صورة الحقّ. ولا يقال في الشيء: إنّه على صورة كذا؛ حتى يكون "هو" من كلّ وجوهه. إلّا الذي لا يمكن أن يقال فيه: "هو" كما قلنا في "جيم" إنّه "أَلِف" لكونه "باء"، والباء ألِف. ولكن قد تميَّز عينُ كلِّ واحد بأمرٍ ليس هو عين الآخر؛ وهو كون الألِف ألِف، والباء باء، والجيم جيم[4]. كذلك الحقُّ حقٌّ، والإنسان إنسان، والعالَم عالَم، وقد بان ذلك بالتساوي.

١ ص ٧٧ب
٢ ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب
٣ ص ٧٨
٤ كتب في الهامش مقابلها بقلم الأصل: ا، ب، جـ

فإن لم تكن ثَمّ حقيقة يقع بها تميُّز الأعيان؛ لم يصحّ أن نقول: كذا مساوٍ لكذا؛ بل نقول: عين كذا ولا نتحرّز. فإنّي أشرتُ إلى أمرين؛ فقد وقع المَيْز. فلا بدّ من فصل يُعْقَل، لولا ذلك الفصل ما كانت كثْرة في عين الواحد. فلم يَبْقَ للواحد سِوَى أحديّته التي يقال بها: "لا هو عين الآخر". وبالذي يقال به: "هو عين الآخر" هو أحديّة الكثْرة؛ فإنّه كثْرة بإطلاق "ألف"، "باء"، "جيم"[1] عليه. ثمّ قال في إقامة البرهان: "كلّ هذا هو هذا". فأشار؛ فكثّر. وأعاد الضمير: فوحّدَ؛ فَوَصَل وفَصَل. فالفصلُ، في عين الوصل، لمن عقل.

فإذا وقف الغير[2] على ما قلناه، وعلِم[3] أنّه ما كان على صورة العالَم؛ وإنما كان على صورة الحقّ؛ أسرى به الحقّ في أسمائه ليريه من آياته فيه. فيعلم أنّه المسمّى بكلّ اسم إلهيّ؛ سواء كان ذلك الاسم من المنعوت بالحسن، أو لا. وبها يظهر الحقُّ في عباده، وبها يتلوّن العبد في حالاته. فهي في الحقّ أسماء، وفينا تلوينات، وهي عين الشئون التي هو فيها الحقّ. ففينا بنا يتصرّف، كما نحن به فيه نظهر. ولهذا قلنا:

دَليلِي فِيكَ تَلْوِينِي ... وَهَذا مِنْكَ يَكْفِينِي
فَلَمْ أَسْأَلْ عَنِ الأَمْرِ الذِي إِلَيْكَ يَدْعُونِي
فإنِّي لَسْتُ أَدْرِيهِ ... وَلَيْسَ الأَمْرُ يَدْرِينِي
فَلَوْ يَدْرِينِيَ الأَمْرُ ... لَمَا مَيَّزْتُ تَكْوِينِي
وَلا قُلْنَا وَلا قَالُوا ... يُهَدِّينِي وَيُحْيِينِي
وَقَدْ قَالُوا وَقَدْ قُلْنا ... فَأُغْنِيهِ وَيُغْنِينِي
فَأُفْنِيهِ وَأُبْقِيهِ ... فَيُفْنِينِي وَيُبْقِينِي
فَأُرْضِيهِ فَيَمْدَحُنِي ... وَأُغْضِبُهُ فَيَهْجُونِي

١ كتب في الهامش مقابلها بقلم الأصل: ا، ب، جـ
٢ كتب تحتها بقلم آخر: "العبد" مع حرف خ
٣ ص ٧٨ب

فإذا أسرى الحقّ بالوليّ في أسمائه الحسنى، إلى غير ذلك من الأسماء[1]، وكلُّ الأسماء إلهيّة؛ عَلِمَ تقلّبات أحواله، وأحوال العالَم كلّه[2]، وأنّ ذلك التقلّب هو الذي أحدث فينا عين تلك الأسماء. كما علمنا أنّ تقلّبات الأحوال (هي) أحكامُ تلك الأسماء، فاسم الحال الذي انقلبت منه، والذي انقلبت إليه؛ هو اسمي؛ به أُقَلَّبُ كما به تقلّبت. فـ"بالرءوف الرحيم" كان ﷺ بالمؤمنين رءوفا رحيما، وبالمؤمن كان مؤمنا، وبالمهيمن كان مهيمنا. فجعلنا شهداء: بعضنا على بعض، وعلى أنفسنا، وبالصبور والشكور كان ما ابتلى به من الريح لِسَوْقِ الجواري في البحر آية ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ لما فيها من الأمر المفزع الهائل ﴿شَكُورٍ﴾[3] لما فيها من الفرح والنعمة بالوصول إلى المطلوب بسرعة.

ولقد رأيت ذلك ذوقا من نفسي. جَرَيْنا بالريح الشديد من ضحى يومنا إلى غروب الشمس مسيرة عشرين يوما في موجٍ كالجبال؛ فكيف لو كان البحر فارغا، والريح من وراء؟! كنّا نقطع أكثر من ذلك. ولكن أراد الله أن يرينا آيات كلّ صبّار شكور. فما من اسم سمّى به نفسه؛ إلّا وسمّانا به. فبها نتقلّب في أحوالنا، وبها نقلّب.

فمن علم هذه الآيات؛ فقد أسرى الحقُّ به في أسمائه. فأراه من آياته ليكون سميعا بصيرا. سميعا: لما يخبر به الحق من التعريفات باللسان الخاصّ؛ وهو ما أنزله من كلامه الذي نَسَبه إليه، وباللسان[4] العام؛ وهو ما يتكلّم به جميع العالم مما يتكلّمون به، كان ما كان. فإنّه قد سمعنا ما حكاه الحقُّ لنا من كلام اليهود فيه، وسمعناه من اليهود؛ فسمعناه باللسان العامّ والخاصّ. فحكى ما نطّقهم به؛ إذ ليس في وسع المخلوق أن ينطِق من غير أن يُنَطَّق؛ فإذا نُطِّق نَطَق، فافهم. فحكى به عنهم، بهم عنه.

فإذا كمل حظُّه من الإسراء في الأسماء، وعلم ما أعطته من الآيات أسماءُ الله، في ذلك

١ "من الأسماء" ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب
٢ ص ٧٩
٣ [لقمان : ٣١]
٤ ص ٧٩ب

الإسراء؛ عاد يُركِّب ذاته تركيبا غير ذلك التركيب الأوّل؛ لما حصل له من العلم الذي لم يكن عليه حين تحلّل. فما زال يمرّ على أصناف العالَم، ويأخذ من كلّ عالَم ما ترك عنده منه؛ فيتركّب في ذاته. فلا يزال يظهر في طورٍ طورٍ إلى أن يصل إلى الأرض؛ فيصبح في أهله، وما عَرَف أحد ما طرأ عليه في سِرِّه؛ حتى تكلّم؛ فسمعوا منه لسانا غير اللسان الذي كانوا يعرفونه.

فإذا قال له أحدهم: ما هذا؟ يقول له: إنّ الله أسرى بي؛ فأراني من آياته ما شاء. فيقول له السامعون: ما فقدناك! كذبتَ فيما ادّعيتَ من ذلك. ويقول الفقيه منهم: هذا رجل يدّعي النبوّة، أو قد دخله خلل في عقله: فهو إمّا زنديق فيجب قتله، وإمّا معتوه فلا خطاب لنا معه. فيسخر به قومٌ، ويعتبر فيه[1] آخرون، ويؤمن بقوله آخرون؛ وترجع مسألةَ خلاف في العالَم. وغاب الفقيه عن قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾[2] ولم يخصّ طائفة من طائفة.

فَمَن أراه اللهُ شيئا من هذه الآيات، على هذه الطريقة التي ذكرناها؛ فليذكر ما رآه، ولا يذكر الطريقة؛ فإنّه يُصَدَّق ويُنظر في كلامه، ولا يقع الإنكار عليه إلّا إذا ادّعى الطريقة.

واعلم أنّه ليس بين العالَم وصاحب هذه الطريقة والصفة فَرْقٌ في الإسراء؛ لأنّه لرؤية الآيات، وتقلّبات الأحوال في العالَم كلّه آيات. فهم فيها ولا يشعرون. فما يزيد هذا الصنف على سائر الخلق المحجوبين إلّا بما يلهمه الله في سِرّه من النظر بعقله وبفكره، أو من التهيّؤ بصقالة مرآة[3] قلبه؛ ليكشف له عن هذه الآيات[4]: كشفا، وشهودا، وذوقا، ووجودا. فالعالَم ينكرون عين ما هم فيه وعليه. ولولا ذِكْره الطريقة التي بها نال معرفة هذه الأشياء؛ ما أنكر عليه أحد. فالناس كلّهم، لا أحاشي منهم من أحد، يضربون الأمثال لله، وقد تواطئوا على ذلك، ولا واحد منهم ينكر على الآخر. والله يقول: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾[5] وهم في عماية عن هذه الآية.

١ ص ٨٠
٢ [فصلت : ٥٣]
٣ ثابتة في الهامش
٤ ثابتة في الهامش
٥ [النحل : ٧٤]

فأمّا أولياءُ الله فلا يضربون لله الأمثال؛ فإنّ الله[1] هو الذي يضرب الأمثال لِعلمه بمواقعها؛ لأنّ الله يعلم، ونحن لا نعلم. فيشهد الوليّ ما ضربه الله من الأمثال؛ فيرى في ذلك الشهود عين الجامع الذي بين المَثَل وبين ما ضرب له ذلك المثل. فهو عينه من حيث ذلك الجامع، وما هو عينه من حيث ما هو مَثَل. فالوليّ ما يضرب لله الأمثال؛ بل هو يعرف بما ضرب الله له الأمثال، كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ﴾ أي صفة نوره ﴿كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ بما ضربه لعباده من هذا النور المصباح؛ لنوره الممثَّل به من يشاء ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[2].

فهذا مصباح مخصوص، ما هو كلُّ مصباح. فلا ينبغي أن يقال: "نور الله كالمصباح" من كونه يكشف المصباحُ كلَّ ما انبسط عليه نورُه لِصاحبِ بصرٍ. مثل هذا لا يقال. فإنّ الله ما ذكر ما ذكره، من شروط هذا المصباح، ونعوته، وصفاته، الممثَّل به سُدَى؛ فمثل هذا المصباح هو[3] الذي يضرب به المثل. فإنّ الله يعلم كيف يضرب الأمثال، وقد قال الله: ما يضرب الأمثال إلّا للناس، ونهانا أن نضرب لله الأمثال؛ فإنّ الله يعلم ونحن لا نعلم.

فإن ضربنا الأمثال فلننظر؛ فإن كان الله قد ضرب، في ذلك، مَثلا للناس؛ فلنقف عنده، وهو الأدب الإلهيّ. وإن لم نجد لله، في ذلك، مثلا مضروبا؛ فلتضرب، عند ذلك، مَثلا للناس الذين لا يعلمون ذلك إلّا بالمَثل المضروب. وإن أنصفنا، فلا نضربه لله؛ فإنّ الله يعلمه. ونتحرّى الصواب في ضرب ذلك المَثل؛ إن كنتُ صاحب فكر واعتبار. وإن كنتُ صاحب كشف وشهود؛ فلا نتحرّى؛ فإنّي على بيّنة من ربّي. فلا نقصد ما أنا فيه؛ بل نبديه كما شهدته مثل ما

---

[1] ص ٨٠ب
[2] [النور : ٣٥]
[3] ص ٨١

نحكي ما ضرب الله عن نفسه[1] من المثل؛ فهذه حالة أولياء الله في ضرب الأمثال.

كما قال (تعالى) في اختلاف الناس، في عدد أصحاب الكهف: ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ لأنّهم ما شاهدوهم، ولذا جاء بفعل الاستقبال، فقال: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ﴾ الآية ثمّ قال: ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ﴾ يعني كم عددهم ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾[2]: إمّا مَن شاهدهم ممن لا يَغلب عليه الوهم، وإمّا مَن أعلمه الله بِعدَّتهم. وقال تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا[3] خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾[4] من باب الإشارة في الجمع بين الآيتين. ولكن كما قال مِن أنّه رابع ثلاثة، لا ثالث ثلاثة؛ لأنّه لا يقال: "رابع أربعة" إلّا في الجنس الواحد والأمثال. فإذا انتفت المِثليّة؛ لم يُقَل فيه: إنّه "خامس خمسة" إذا كان معهم؛ وإنما يقال: خامس أربعة، أو سادس خمسة. ألا ترى الكلب لمّا لم يكن من النوع الإنسانيّ قالوا: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾[5] ولم يقولوا: ثمانية ثامنهم كلبهم؟. فافهم تُصِبْ إن شاء الله.

فَلا تَضْرِبْ لِرَبِّ الكَوْنِ ... مِـــنْ أَكْوَانِـــهِ مَـــثَلا
فَـــلا أَحَـــدٌ يُمَـــاثِلُهُ ... فَجَـــلَّ بِذَاتِـــهِ وَعَـــلا
فَـــلَمْ أَضْرِبْ لَهُ[6] مَـــثَلا ... وَكُلُّ النـــاسِ قَـــدْ فَعَـــلا
فَلا تَضْرِبْ لَهُ مَثَلا ... وَكُنْ فِي حِزْبِ مَنْ عَقَلا

فلمّا أراد اللهُ أن يُسري بي؛ لِيُريني من آياته في أسمائه من أسمائي؛ وهو حظّ ميراثنا من الإسراء؛ أزالني عن مكاني، وعرج بي على براق إمكاني. فزجَّ بي في أركاني؛ فلم أر أرضي تصحبني. فقيل لي: أخذه الوالد الأصليّ الذي خلقه الله من تراب. فلمّا فارقت ركنَ الماء؛ فقدت بعضي. فقيل لي: إنّك مخلوق من ماء مهين. فإهانته (هي) ذلّته؛ فلصق بالتراب؛ فلهذا فارقته.

---

[1] "عن نفسه" كانت في ق: "لنفسه" وهناك إشارة شطب لحرف اللام، واستبدلت في الهامش بقلم الأصل بـ"عن"
[2] [الكهف : ٢٢]
[3] ص ٨١ب
[4] [المجادلة : ٧]
[5] [الكهف : ٢٢]
[6] ق: "به" وفوقها: "له"

فنقص[1] منّي جزءان[2]. فلمّا جئت ركنَ الهواء تغيّرتْ عليّ الأهواء. وقال لي الهواء: ما كان فيك منّي؛ فلا يزول عنّي؛ فإنّه لا ينبغي له أن يعدو قدره، ولا يمدّ رجله في غير بساطه؛ فإنّ لي عليك مطالبة بما غيَّرهُ منّي تعفينُك؛ فإنّه لولاه ما كنت مسنونا. فإنّي طيّبٌ بالذات، خبيث بصحبة مَن جاورني. فلمّا خَبَّثَنِي صُحبتُه ومجاورته قيل فيه: ﴿حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾[3] فعاد خَبَثُه عليه؛ فإنّه هو المنعوت، وهو الذي غيّرني في مشامّ أهل الشمّ من أهل الروائح.

فقلت له: ولماذا أتركه عندك؟ قال: حتى يزول عنه هذا الخبث الذي اكتسبه من عفونتك ومجاورة طينك ومائك؛ فتركته عنده. فلمّا وصلتُ إلى ركن النار قيل: قد جاء الفخّار. فقيل: وقد بعث إليه؟ قال: نعم. قيل: ومن معه؟ قال: جبريل الجبر؛ فهو مضطرّ في رحلته ومفارقة بِنْيَتِه. فقال: لي عنده في نشأته جزءٌ منّي لا أتركه معه؛ إذ قد وصل إلى الحضرة التي يظهر فيها مُلكي واقتداري ونفوذ تصرّفي.

سماء الدنيا[4]:

- فنفذتُ إلى السماء الأُولى، وما بقي معي من نشأتي البدنيّة شيء أُعوِّل عليه ولا أنظر إليه. فسلّمتُ على والدي[5]، وسألني عن تربتي. فقلت له: إنّ الأرض أخذت منّي جزأها، وحينئذ خرجت عنها وعن الماء بطينتي.

فقال لي: يا ولدي؛ هكذا جَرَى لها مع أبيك[6]. فمن طلب حقّه فما تعدّى؛ ولا سيما وأنت لها مفارق، ولا تعرف هل ترجع إليها أم لا، فإنّه -تعالى- يقول: ﴿إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾[7]، ولا يعلم أحدٌ ما في مشيئة الحقِّ إلّا أن يُعلمه الحقُّ بذلك. فالتفتُّ؛ فإذا أنا بين يديهِ، وعن يمينه في نَسَم بَنِيه؛ عيني. فقلت له: هذا أنا! فضحك. فقلت له: فأنا بين يديك وعن يمينك. قال: نعم، هكذا

[1] ص ٨٢
[2] ق: "جزءين" وفوقها بقلم آخر مع إشارة التصويب: "جزءان"
[3] [الحجر : ٢٦]
[4] العنوان "سماء الدنيا" مكتوب في الهامش، وهكذا في بقية أسماء السماوات كما سيأتي.
[5] المقصود بوالده هنا آدم عليه السلام
[6] ص ٨٢ب
[7] [عبس : ٢٢]

رأيتُ نفسي بين يدي الحقّ حين بَسَط يده؛ فرأيتُني وبَنِيّ في اليد، ورأيتُني بين يديه. فقلت له: فما كان في اليد الأخرى المقبوضة؟ قال: العالَم. قلت له: فيمين الحقّ تقضي بتعيين السعادة؟ فقال: نعم تقضي بالسعادة. فقلت له: فقد فرّق الحقّ لنا بين أصحاب اليمين وأصحاب الشمال؟ فقال لي: يا ولدي؛ ذلك يمين أبيك وشماله. ألا ترى نَسَمَ بَنِيَّ على يميني وعلى شمالي؛ وكلتا يدي ربّي يمين مباركة؟ فبَنِيّ في يميني وفي شمالي، وأنا وبنيّ في يمين الحق، وما سِوانا من العالَم في اليد الأخرى الإلهيّة.

قلت: فإذَنْ لا نشقى؟!.

فقال: لو دام الغضبُ لدام الشقاء. فالسعادة دائمة وإن اختلف المسكن. فإنّ الله جاعل في كلّ دار ما يكون به نعيم أهل تلك الدار، فلا بدّ من عمارة الدارين، وقد انتهى الغضب في يوم العرض الأكبر، وأمر بإقامة الحدود[1] فأقيمت، وإذا أقيمت زال الغضب؛ فإنّ أرساله[2] تزيله؛ فهو عين إقامة الحدود على المغضوب عليه؛ فلم يبق إلّا الرضا؛ وهو الرحمة التي وسعتْ كلّ شيء. فإذا انتهت الحدود؛ صار الحكم للرحمة العامّة في العموم. فأفادني أبي آدمُ هذا العلم ولم أكُن به خبيرا. فكان لي ذلك بشرى معجّلة في الحياة الدنيا.

ومنتهى[3] القيامة بالزمان كما قال الله: ﴿خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[4] وهذه مدّة إقامة الحدود. ويرجع الحكم بعد انقضاء هذه المدّة إلى الرحمن الرحيم. وللرحمن الأسماء الحسنى؛ وهي حسنى لمن تتوجّه عليه بالحكم. فالرحيم[5]، برحمته، ينتقم من الغضب، وهو شديد البطش به، مُذِلٌّ له، مانع بحقيقته. فيبقى الحكم في تعارُض الأسماء بالنِّسب، والخلق بالرحمة مغمورون؛ فلا يزال حكم الأسماء في تعارضها، لا فينا، فافهم؛ فإنّه علم غريب دقيق لا يُشعر به؛ بل الناس في عماية عنه. وما منهم إلّا مَن لو قلت له: ترضى لنفسك أن يحكم عليك ما يسوءك من هذه الأسماء؟ لقال:

[1] ص ٨٣
[2] ق: "الرسالة" وصححت فوقها بقلم الأصل: "أرساله"
[3] ق: "وتنتهي" وعدلت في الهامش بقلم الأصل: "ومنتهي" مع إشارة التصويب
[4] [المعارج : ٤]
[5] كانت في ق: "فالرحمن" وعليها إشارة شطب، واستبدلت بقلم الأصل

لا. ويجعل حكم ذلك الاسم الذي يسوءُ في حقّ غيره. فهذا من أجهل الناس بالخلق، وهو بالحقّ أجهل. فأفاد[1] هذا الشهودُ؛ بقاءَ أحكام الأسماء في الأسماء، لا فينا[2]. وهي نِسَبٌ تتضادّ بحقائقها؛ فلا تجتمع أبدا، ويبسط الله رحمته على عباده حيث كانوا؛ فالوجود كلّه رحمة.

السماء الثانية:

- ثمّ رحلت عنه بعد ما دعا لي. فنزلتُ بعيسى- عليه السلام وعنده[3] ابن خالته يحيى -عليهما السلام-، فكانت الحياة الحيوانيّة، ولو كان يحيى ابن خاله لكان روحا. ولمّا كانت الحياة الحيوانيّة ملازمة للروح؛ وجدت يحيى عند روح الله عيسى؛ لأنّ الروح حيٌّ بلا شكّ، وما كلُّ حيّ روحٌ. فسلّمتُ عليهما.

فقلت له (أي لعيسى): بماذا زدتَ علينا حتى سمّاك الله بالروح المضاف إلى الله.

فقال: ألم تر إلى مَن وهبني لأُمّي؟! ففهمتُ ما قال.

فقال لي: لولا هذا ما أحييتُ الموتى.

فقلت له: فقد رأينا مَن أحيا الموتى ممن لم تكن نشأته كنشأتِك.

فقال: ما أحيا الموتى، مَن أحياهم، إلّا بقدر ما ورثه منّي؛ فلم يقم في ذلك مقامي، كما لم أقم أنا مقام مَن وهبني في إحياء الموتى. فإنّ الذي وهبني -يعني جبريل- ما يطأ موضعا إلّا حيي ذلك الموضع بوطئه. وأنا ليس كذلك؛ بل حظّنا أن نقيم الصور بالوطْءِ خاصّة، والروح الكلّ يتولّى أرواح تلك الصور. وما يطؤه الروح الذي وهبني، هو[4] يعطي الحياة في صورة ما أظهره الوطء، فاعلم ذلك. ثمّ رددتُ وجهي إلى يحيى عليه السلام.

وقلت له: أُخبِرت أنّك تذبح الموتَ إذا أتى الله به يوم القيامة؛ فيوضع بين الجنّة والنار ليراه

---

١ ص ٨٣ب
٢ "لا فينا" ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٣ في الهامش بقلم آخر: "فوجدت عنده"
٤ ص ٨٤

هؤلاء وهؤلاء، ويعرفونه أنّه الموت في صورة كبش أملح.

قال: نعم؛ ولا ينبغي ذلك إلّا لي؛ فإنّي يحيى. وإنّ ضدّي لا يبقى معي. وهي دار الحيوان. فلا بدّ من إزالة الموت، فلا مزيل له سِواي.

فقلت[1]: صدقتَ فيما أشرتَ إليّ به؛ ولكن في العالَم يحيى كثير؟.

فقال لي: ولكن لي مرتبة الأوّليّة في هذا الاسم. فبي يحيا كلُّ مَن يحيا من الناس؛ مَن تقدّم ومَن تأخّر. وإنّ الله ما جعل لي من قبل سميّا. فكلُّ يحيى تبعٌ لي؛ فبظهوري لا حكم لهم. فنبّهتَني على شيء لم يكن عندي.

فقلت: جزاك الله عنّي خيرا من صاحبٍ موروث.

وقلت: الحمد لله الذي جمعكما في سماء واحدة؛ أعني روح الله عيسى ويحيى -عليهما السلام- حتى أسألكما عن مسألةٍ[2]، فيقع الجواب بحضور كلّ واحد منكما. فإنّكما خُصّصتما بسلام الحقّ؛ فقيل في عيسى إنّه قال في المهد: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾[3] وقيل في يحيى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾[4]، فأخبر عيسى عن نفسه بسلام[5] الحقّ عليه، والحقُّ أخبرَ بسلامه على يحيى؛ فأيّ مقام أتمّ؟.

فقال (يحيى عليه السلام) لي: ألستَ من أهل القرآن؟.

قلت له: بلى؛ أنا من أهل القرآن.

فقال: انظر فيما جمع الحقّ بيني وبين ابن خالتي. أليس قد قال الله فيَّ: ﴿وَنَبِيًّا مِنَ

---

١ س، ه: فقلت له
٢ "عن مسألة" ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٣ [مريم : ٣٣]
٤ [مريم : ١٥]
٥ ص ٨٤ب

الصَّالِحِينَ﴾[1] فعيّنني في النكرة؟.

(فقلت له: نعم.

قال)[2]: ألم يقل عن عيسى ابن خالتي: إنّه ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ كما قال عنّي؛ فعيّنه في النكرة؟ ثمّ قال: إنّ عيسى، هذا، لمّا كان كلامُه في المهد دلالةً على براءة خالتي مما نُسب إليها؛ لم يترجم عن الله إلّا هو بنفسه، فقال: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ﴾ يعني من الله.

قلتُ له: صدقتَ. قلتُ: ولكن[3] سلَّم بالتعريف، وسلام الحقّ عليك بالتنكير، والتنكير أعمّ؟

فقيل لي: ما هو تعريفُ عين، بل هو تعريفُ جنس. فلا فرق بينه بالألف واللام وبين عدمها. فأنا وإيّاه في السلام على السَّواء، وفي الصلاح كذلك، وجاء الصلاح لنا: بالبشرى فيّ وفي عيسى: بالملائكة.

فقلت له: أفدتني أفادك الله.

فقلت له: فلِمَ كنت حصورا؟

فقال لي: ذلك من أثر همّة والدي في استفراغه في مريم البتول -والبتول (هي) المنقطعة عن الرجال- لمّا دخل عليها المحراب، ورأى حالها؛ فأعجبه. فدعا الله أن يرزقه ولدا مثلها؛ فخرجتُ حصورا، منقطعا عن النساء. فما هي صفة كمال، وإنما كانت أثرَ همّة؛ فإنّ في الإنتاج عينَ[4] الكمال.

قلت له: فنكاح الجنّة ما فيه نتاج.

فقال: لا تفعل؛ بل هو نتاج ولا بدّ. وولادته نَفَسٌ يخرج من الزوجة عند الفراغ من الجماع؛

١ [آل عمران : ٣٩]
٢ ما بين القوسين لم يرد في ق، وورد في هـ، س
٣ ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٤ ص ٨٥

فإنّ الإنزال ريحٌ كما هو في الدنيا ماء. فيخرج ذلك الريح بصورة ما وقع عليه الاجتماع بين الزوجين. فمنّا مَن يشهد ذلك، ومنّا مَن لا يشهده. كما هو الأمر في الدنيا: عالَم غيب؛ لمن غاب عنه، وعالَم شهادة؛ في حقّ مَن يشهده.

قلت له: أفدتني، أفادك الله من نعمة العلم به.

ثمّ قلت له: هذه سماؤك؟

قال لي: لا، أنا متردّد بين عيسى وهارون؛ أكون عند هذا وعند هذا. وكذلك عند يوسف وإدريس -عليهما السلام-. فقلت له: فلماذا خصصت هارون دون غيره من الأنبياء؟.

فقال لي: لحرمة النَّسب، ما جئت لعيسى إلّا لكونه ابن خالتي؛ فأزوره في سمائه. وآتي إلى هارون؛ لكون خالتي أختا له دينًا ونسَبًا.

قلت: فما هو أخوها؛ لأنّ بينهما زمانا طويلا وعالما!.

فقال لي: قوله: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾[1] ما هذه الأخوّة؟ أترى: هو أخو ثمود لأبيه وأمّه؛ فهو أخوهم؟ فسمّى القبيلة باسم ثمود، وكان صالح من نسل ثمود؛ فهو أخوهم بلا شكّ. ثمّ جاء بعد ذلك الدّين. ألا ترى أصحاب الأيكة لمّا لم يكونوا من مَدْيَن، وكان شعيب من مَدْين، فيقال في[2] شعيب أخو مَدْين: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾[3]. ولمّا جاء ذِكر أصحاب الأيكة قال: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾[4] ولم يقل: أخاهم؛ لأنّهم ليسوا مِن مَدْيَن، وشعيب من مدين. فزيارتي لهما صِلَةُ رحم، وأنا لعيسى أقرب منّي لهارون.

السماء الثالثة:

- ثمّ عُرج بي إلى يوسف ﷺ. فقلت له -بعد أن سلّمت عليه، فردَّ وسهّل بي ورحّب-: يا

١ [الأعراف : ٧٣]
٢ ص ٨٥ب
٣ [الأعراف : ٨٥]
٤ [الشعراء : ١٧٧]

يوسف؛ لِمَ لم تجب الداعي حين دعاك، ورسول الله ﷺ يقول عن نفسه: إنّه لو ابتلي بمثل ما ابتليت به ودُعِيَ؛ لأجاب الداعي، ولم يَبْقَ في السجن؛ حتى يأتيه الجواب من الملِك بما تقول النسوة؟

فقال لي: بين الذوق والفرض؛ ما بين السماء والأرض، كثيرٌ بين أن تفرض الأمر أو تذوقه من نفسك. لو نُسب إليه ﷺ ما نُسب إليّ؛ لطلب صحّة البراءة في غيبته؛ فإنّها أدلّ على براءته من حضوره. ولمّا كان (ص) رحمة؛ كان من عالم السعة، والسجنُ ضيق. فإذا جاء لمن حاله هذه؛ سارع إلى الانفراج، وهذا فرض. فالكلام مع التقدير المفروض؛ ما هو مثل الكلام مع الذائق. ألا تراه ﷺ ما ذكر ذلك إلّا في معرض نِسبة الكمال إليّ فيما تحمّلته من الفِرية عليّ. فقال ذلك أدبا معي؛ لكوني أكبر منه بالزمان، كما قال في إبراهيم: «نحن أحقّ بالشكّ من إبراهيم» فيما شكّ فيه إبراهيم، وكما[1] قال في لوط: «يرحم الله أخي لوطا؛ لقد كان يأوي إلى ركن شديد» أتراه أكذبه؟ حاشا لله. فإنّ الركن الشديد الذي أراده لوط هو القبيلة، والركن الشديد الذي ذكره رسول الله ﷺ هو الله.

فهذا تنبيه لك أن لا تُجري نفسك -فيما لا ذوق لك فيه- مجرى مَن ذاق. فلا تقل: لو كنت أنا عِوض فلان لمّا قيل له كذا وقال كذا؛ ما كنت أقوله. لا واللهِ؛ بل لو نالك ما ناله؛ لقلتَ ما قاله؛ فإنّ الحال الأقوى حاكم على الحال الأضعف. وقد اجتمع في يوسف -وهو رسولُ الله- حالان: حالُ السجن، وحالُ كونه مفترًى عليه. والرسول (وهو هنا يوسف ﷺ) يطلب أن يقرّر في نفس المرسَل إليه (وهو الملِك وقومه) ما يَقبلُ به دعاء ربّه فيما يدعوه به إليه. والذي نُسِب إليه معلوم عند كلّ أحد أنّه لا يقع مِن مثل مَن جاء بدعوته إليهم. فلا بدّ أن يطلب البراءة من ذلك عندهم؛ ليؤمنوا بما جاء به من عند ربّه. ولم يحضر[2] بنفسه ذلك المجلس؛ حتى لا تدخل الشبهة في نفوس الحاضرين بحضوره. وكثيرٌ بين مَن يحضر في مثل هذا الموطن، وبين مَن لا يحضر.

---

١ ص ٨٦

٢ ف: "يخص" وعدلت في الهامش بقلم الأصل: "يحضر"

فإذا كانت المرأة لم تَخُنْ يوسف في غَيبته؛ لَمّا برّأته، وأضافت المراودة لنفسها؛ لِتُعْلِمَ أنّ يوسف لم يَخُن العزيز في أهله، وعلِمت أنّه أحقّ بهذا الوصف منها[1] في حقّه. فما برّأت نفسها؛ بل قالت: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾[2]. فمِن فُتوّة يوسف ﷺ إقامتُه في السجن، بعد أن دعاه الملِك إليه. وما علِم قدر ذلك إلّا رسول الله ﷺ حيث قال عن نفسه: «لأجبتُ الداعي» ثناءً على يوسف.

فقلت له: فالاشتراك في إخبار الله عنك إذ قال: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾[3] ولم يعيّن؛ فبماذا يدلّ في اللسان على أحديّة المعنى؟

فقال: ولهذا قلتُ للملِك -على لسان رسوله- أن يسأل عن النِّسوة، وشأن الأمر. فما ذَكَرَتِ المرأة إلّا أنّها راودته عن نفسه، وما ذُكِرَتْ أنّه راودها؛ فزال ما كان يُتوهّم من ذلك لمّا لم يُسَمّ الله في التعبير عن ذلك؛ أمرا، ولا عيّن في ذلك؛ حالا.

فقلت له: لا بدّ من الاشتراك في اللسان. قال: صدقت، فإنّها همّت بي؛ لتقهرني على ما تريده منّي، وهممت أنا بها؛ لأقهرها في الدفع عن ذلك. فالاشتراك وقع في طلب القهر منّي ومنها. فلهذا قال: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾ يعني في عين ما همّ بها؛ وليس إلّا القهر فيما يريد كلّ واحد من صاحبه. دليلُ ذلك قولها: ﴿الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ﴾[4] وما جاء في السورة قطّ أنّه راودها عن نفسها. فأراه اللهُ البرهان، عند إرادته القهرَ في دفعها عنه فيما تريده منه. فكان[5] البرهان الذي رآه: أن يدفع عن نفسه بالقول اللّين، كما قال لموسى وهارون: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا﴾[6] أي: لا تعنِّف عليها وتَسُبَّها؛ فإنّها امرأة موصوفة بالضعف على كلّ حال.

فقلت له: أفدتني أفادك الله.

---

١ ص ٨٦ب

٢ [يوسف : ٥٣]

٣ [يوسف : ٢٤]

٤ [يوسف : ٥١]

٥ ص ٨٧

٦ [طه : ٤٤]

السماء الرابعة:

- ثمّ ودّعته وانصرفت إلى إدريس عليه السلام فسلّمت عليه؛ فردّ وسهّل ورحّب، وقال: أهلا بالوارث المحمّديّ.

فقلت له :كيف أبهم عليك الأمر، على ما وصل إلينا؛ فما علمتَ أمر الطوفان بحيث لا تشكّ فيه، والنبيّ واقف مع ما يوحى به إليه؟!.

فقال: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾[1] فهذا مما أُوحي به إليّ.

قلت له: وَصَلني عنك أنّك تقول بالخرق.

فقال: فلولا الخرق ما رُفعت مكانا عليّا.

فقلت: فأين مكانتك من مكانك؟.

فقال: الظاهرُ عنوان الباطن.

قلت: بلغني أنّك ما طلبت من قومك إلّا التوحيد، لا غير.

قال: وما فعلوا. فإنّي كنت نبيّا ادعوا إلى كلمة التوحيد، لا إلى التوحيد؛ فإنّ التوحيد ما أنكره أحد.

قلت: هذا غريب!. ثمّ قلت: يا واضع الحِكَم؛ الاجتهاد في الفروع مشروع عندنا، وأنا لسان علماء الزمان.

قال: وفي الأصول مشروع، فإنّ الله أجلُّ أن يكلّف نفسا إلّا وسعها.

قلت: فلقد كثر الاختلاف في الحقّ والمقالات فيه.

١ [الصافات : ١٤٧]

قال: لا يكون إلّا كذلك، فإنّ الأمرَ تابعٌ للمزاج.

قلت: فرأيتكم، معاشرَ الأنبياء، ما[1] اختلفتم فيه.

فقال: لأنّا ما قلناه عن نظر؛ وإنما قلناه عن إلّي واحد. فمَن عَلِم الحقائق؛ علِم أنّ اتفاق الأنبياء أجمَعِهم على قول واحد في الله بمنزلة قول واحد من أصحاب النظر.

فقلت: فهل الأمر في نفسه كما قيل لكم؛ فإنّ أدلّة العقول تحيل أمورا مما جئتم به في ذلك؟.

فقال: الأمر كما قيل لنا، وكما قال مَن قال فيه؛ فإنّ الله عند قولة كلّ قائل. ولهذا ما دعونا الناس إلّا إلى كلمة التوحيد لا إلى التوحيد. ومَن تكلّم في الحقّ مِن نظره؛ ما تكلّم في محظور. فإنّ الذي شرع لعباده (هو) توحيد المرتبة، وما ثمّ إلّا مَن قال بها.

قلت: فالمشركون؟.

قال: ما أُخذوا إلّا بالوضع: فمن كونهم كذبوا في أوضاعهم، واتّخذوها قربة، ولم ينزلوها منزلة صاحب تلك الرتبة الأحديّة.

قلت: فإنّي رأيت في واقعتي شخصا بالطواف أخبرني أنّه من أجدادي، وسمّى لي نفسه. فسألته عن زمان موته، فقال: لي أربعون ألف سنة. فسألته عن آدم لمّا تقرّر عندنا في التاريخ لمدّته. فقال لي: عن أيّ آدم تسأل، عن آدم الأقرب؟

فقال (إدريس): صدق؛ إنّي نبيّ الله، ولا أعلم للعالَم مدّة نقف عندها بجملتها. إلّا أنّه بالجملة لم يزل خالقا ولا يزال دنيا وآخرة. والآجال في المخلوق بانتهاء المُدد، لا[2] في الخلق. فالخلق مع الأنفاس يتجدّد؛ فما أعلَمَناه علِمناه ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾[3].

١ ص ٨٧ب
٢ ص ٨٨
٣ [البقرة : ٢٥٥]

فقلت له: فما بقي لظهور الساعة؟

فقال: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾[1].

قلت: فعرّفني بشرط من شروط اقترابها.

فقال: وجود آدم من شروط الساعة.

قلت: فهل كان قبل الدنيا دارٌ غيرها؟

قال: دار الوجود واحدة، والدار ما كانت دنيا إلّا بكم، والآخرة ما تميّزتْ عنها إلّا بكم. وإنما الأمرُ في الأجسام؛ أكوان واستحالات، وإتيان وذهاب، لم يزل ولا تزال.

قلت: ما ثَمّ؟

قال: ما تدري وما لا تدري.

قلت: فأين الخطأ من الصواب؟

قال: الخطأ أمر إضافيٌّ، والصواب هو الأصل. فمن عرف الله وعرف العالَم؛ عرف أنّ الصواب هو الأصل[2] المستصحَب الذي لا يزال، وأنّ الخطأ بتقابل النظرين. ولا بدّ من التقابل، فلا بدّ من الخطأ. فَمَن قال بالخطأ قال بالصواب، ومَن قال بعدم الخطأ قال صوابا، وجعل الخطأ من الصواب.

قلت: من أيّ صفةٍ صدَر العالَم؟

قال: من الجود.

قلت: هكذا سمعت بعض الشيوخ يقول.

١ [الأنبياء : ١]
٢ "من عرف.. الأصل" ثابتة في الهامش بقلم الأصل

قال: صحيح ما قال.

قلت: وإلى ماذا يكون المآل بعد انتقالنا من يوم العرْض؟

قال: رحمةُ الله وسِعَتْ كلَّ شيء.

قلت: أيّ شيء؟

قال: الشيئيّتان[1]. فالباقي أبقاه برحمةٍ، والذي أوجده أوجده[2] برحمةٍ. ثمّ قال: محالٌ العوارض ثابتة في وجودها، والعوارض تتبدّل عليها بالأمثال والأضداد.

قلت: ما الأمر الأعظم[3]؟

قال: العالِم به أعظم.

- ثمّ ودّعته وانصرفتُ.

السماء الخامسة:

فنزلت بهارون ﵇ فوجدتُ يحيى قد سبقني إليه.

فقلت له: ما رأيتُك في طريقي؛ فهل ثَمّ طريق أخرى؟

فقال: لكلّ شخص طريقٌ لا يسلك عليها إلّا هو.

قلت: فأين هي هذه الطرق؟

فقال: تحدُث بحدوث السلوك.

فسلّمتُ على هارون ﵇، فردَّ وسهّل ورحّب، وقال: مرحبا بالوارث المكمّل.

١ هناك تصرف في الكلمة في ق وهي بين: "الشيئيتان، الشيئان" وغير واضحة في س، والترجيح من هـ.
٢ ص ٨٨ب
٣ لعلها: ما الأمر إلا عظيم

قلت: أنت خليفة الخليفة، مع كونك رسولا نبيّا؟.

فقال: أمّا أنا فَنَبِيٌّ بحكم الأصل، وما أخذتُ الرسالة إلّا بسؤال أخي، فكان يوحى إليّ بما كنتُ عليه.

قلت: يا هارون؛ إنّ ناسا من العارفين زعموا أنّ الوجود ينعدم في حقّهم؛ فلا يرون إلّا الله، ولا يبقى للعالَم عندهم ما يلتفتون به إليه في جنب الله. ولا شكّ أنّهم، في المرتبة، دون أمثالكم، وأخبرَنا الحقّ أنّك قلت لأخيك في وقت غضبه: ﴿لَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ﴾[1]، فجعلتَ لهم قدرا، وهذا حالٌ يخالف حال أولئك العارفين.

فقال: صدقوا؛ فإنّهم ما زادوا على ما أعطاه ذوقُهم. ولكن انظر: هل زال من العالَم ما زال عندهم؟.

قلت: لا.

قال: فنقصَهم من العلم بما هو الأمر عليه على قدر ما فاتهم. فعندهم عدم العالَم، فنقصَهم[2] من الحقّ على قدر ما انحجب عنهم من[3] العالَم. فإنّ العالَم كلّه هو عين تجلّي الحقّ لمن عرف الحقّ، ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ. إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾[4] بما هو الأمر عليه.

فَلَيْسَ الكَمَالُ سِوَى كَوْنِهِ ... فَمَـنْ فاتَـهُ لَـيْسَ بِالكَامِـلِ
فَيـا قـائِلًا بِالفَنَـاءِ اتَّئِـدْ ... وحَوْصِلْ مِنَ السُّنْبُلِ الحاصِلِ
وَلَا تَـرْكَنَنَّ إِلَى فائِـتٍ ... وَلَا تَبِـعِ النَّقْـدَ بِالآجِـلِ
وَلَا تُتْبِعِ النَّفْسَ أَغْرَاضَها ... وَلَا تَمْـزِجِ الحَـقَّ بِالباطِـلِ

١ [الأعراف : ١٥٠]
٢ "من العلم.. فنقصهم" ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب
٣ ص ٨٩
٤ [التكوير : ٢٦، ٢٧]

السماء السادسة:

- ثمّ ودّعته ونزلتُ بموسى عليه السلام فسلّمت عليه فردّ وسهّل ورحّب. فشكرته على ما صنع في حقّنا مما اتّفق بينه وبين نبيّنا محمد ﷺ في المراجعة في حديث فرض الصلوات.

فقال لي: هذه فائدةُ علم الذوق؛ فللمباشرة حالٌ لا يدرَك إلّا بها.

قلت: ما زلتَ تسعى في حقّ الغير؛ حتى صحّ لك الخيرُ كلّه.

قال: سعيُ الإنسان في حقّ الغير، إنما يسعى لنفسه، في نفس الأمر. فما يزيده ذلك إلّا شكر الغير، والشاكر ذاكرٌ لله بأحبّ المحامد لله، والساعي مُنَطِّقُه بتلك المحامد؛ فالساعي ذاكر لله[1] بلسانه ولسان غيره. قال الله -تعالى- لموسى عليه السلام: «يا موسى؛ اذكرني بِلسانٍ لم تعصني به» فأَمَرَهُ أن يذكره بِلسان الغير؛ فأمره بالإحسان والكرم.

ثمّ قلت له: إنّ الله اصطفاك على الناس برسالته وبكلامه، وأنت سألتَ الرؤية، ورسولُ الله ﷺ يقول: «إنّ أحدكم لا يرى ربَّه حتى يموت»؟.

فقال: وكذلك كان، لمّا سألته الرؤية أجابني؛ فخررتُ صعقا؛ فرأيته -تعالى- في صعقتي.

قلت: موتا؟!

قال: موتا.

قلت: فإنّ رسول الله ﷺ شكّ في أمرك إذا وجدك في يوم البعث؛ فلا يدري: أجوزيتَ بصعقة الطور؛ فلم تصعق في نفخة الصعق؟ فإن نفخة الصعق ما تعمّ.

فقال: صدقتَ، كذلك كان. جازاني الله بصعقة الطور؛ فما رأيته -تعالى- حتى متّ. ثمّ أَفَقْتُ؛ فعلمتُ مَن رأيتُ؛ ولذلك قلتُ: ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾[2] فإنّي ما رجعتُ إلّا إليه.

١ ص ٨٩ب
٢ [الأعراف : ١٤٣]

فقلت: أنت من جملة العلماء بالله؛ فما كانت رؤية الله عندك حين سألته إيّاها؟

فقال: واجبة وجوبا عقليّا.

قلت: فبماذا اختصصت به دون غيرك؟.

قال: كنت أراه، وما كنت أعلم أنّه هو. فلمّا اختلف عليّ الموطن ورأيته؛ علمتُ مَن رأيت. فلمّا أفقتُ؛ ما انحجبتُ، واستصحبتْني[1] رؤيتُه إلى أبد الأبد. فهذا الفرق بيننا وبين المحجوبين عن علمهم؛ بما يرونه. فإذا ماتوا رأوا الحقّ؛ فميّزه لهم الموطن. فلو رُدّوا لقالوا مثل ما قلنا.

قلت: فلو كان الموتُ موطنَ رؤيته؛ لَرآه كلّ ميّتٍ، وقد وصفهم الله بالحجاب عن رؤيته.

قال: نعم؛ هم المحجوبون عن العلم به أنّه هو. وإذا كان في نفسك لقاء شخص لست تعرفه بعينه، وأنت طالبٌ له من اسمه، وحاجتك إليه. فلقيتَه، وسلّمتَ عليه، وسلّم عليك في جملة مَن لقيت، ولم يتعرّف إليك؛ فقد رأيته وما رأيته. فلا تزال طالبا له، وهو بحيث تراه. فلا معوّل إلّا على العلم. ولهذا قلنا في العلم: إنّه عينُ ذاته. إذ لو لم يكن عينَ ذاته، لكان المعوَّل عليه غيرًا له، ولا معوّل إلّا على العلم.

قلت: إنّ الله دَكّ على الجبل، وذكر عن نفسه أنّه تجلّى للجبل.

فقال: لا يثبت شيء لتجلّيه، فلا بدّ من تغيُّر الحال. فكان الدكّ للجبل كالصعق لموسى. يقول موسى: فالذي دكّه أصعقني.

قلت له: إنّ الله تولّى تعليمي؛ فعلمت منه على قدر ما أعطاني.

فقال هكذا فِعله مع العلماء به؛ فخذ منه لا من الكون؛ فإنّك لن تأخذ إلّا على قدر استعدادك. فلا يحجبنك عنه بأمثالنا، فإنّك لن تعلم منه، من جهتنا، إلّا ما تعلم منه من تجلّيه.

[1] ص ٩٠

فإنّا لا نعطيك منه إلّا على قدر استعدادك[1]؛ فلا فرق؛ فانتسب إليه. فإنّه ما أرسلنا إلّا لندعوكم لندعوكم إليه، لا لندعوكم إلينا. فهي[2] ﴿كَلِمَة سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[3].

قلت: كذا جاء في القرآن.

قال: وكذلك هو.

قلت: بماذا سمعتَ كلام الله؟

قال: بسمعي.

قلت: وما سمعك؟.

قال: هو.

قلت: فبماذا اختصصتَ؟.

قال: بذوق في ذلك لا يعلمه إلّا صاحبُه.

قلت له :فكذلك أصحاب الأذواق؟

قال: نعم، والأذواق على قدر المراتب. ثمّ ودّعته وانصرفت.

السماء السابعة:

- فنزلتُ بإبراهيم الخليل ﷺ فسلّمتُ عليه؛ فردّ وسهّل ورحّب. فقلت: يا أبت؛ لِم قلتَ: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾[4].

[1] "فلا يحجبنك.. استعدادك" ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب
[2] ص ٩٠ب
[3] [آل عمران : ٦٤]
[4] [الأنبياء : ٦٣]

قال لأنّهم قائلون بكبرياء الحقّ على آلهتهم التي اتّخذوها.

قلت: فإشارتك بقولك: ﴿هَذَا﴾؟.

قال: أنت تعلمها.

قلت: إنّي أعلم أنّها إشارة ابتداء وخَبَرُهُ محذوف، يدلّ عليه قولك: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾ و﴿فَاسْأَلُوهُمْ﴾[1] إقامة الحجّة عليهم منهم.

فقال: ما زدتَ على ما كان عليه الأمر.

قلت: فما قولك في الأنوار الثلاثة؛ أكان عن اعتقاد؟

قال: لا؛ بل عن تعريفٍ لإقامة الحجّة على القوم. ألا ترى إلى ما قال الحقّ في ذلك: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾[2]؟! وما كان اعتقادُ القوم في الإلهِ إلّا أنّه نمروذ بن كنعان، لم تكن تلك الأنوار آلهتهم، ولا كان نمروذ إلها عندهم لهم. وإنّما كانوا يرجعون في عبادتهم؛ لما نحتوه آلهة، إليه. ولذلك[3] لمّا قال إبراهيم: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾[4] لم يجْرَأ نمروذ أن ينسب الإحياء والإماتة لآلهتهم التي وضعها لهم لئلّا يفتضح، فـ﴿قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾[5] فعدل إلى نفسه؛ تنزيها لآلهتهم عندهم حتى لا يتزلزل الحاضرون. ولمّا علم إبراهيم قصور أفهام الحاضرين عمّا جاء به لو فصّله وطال المجلس؛ فعدل إلى الأقرب في أفهامهم، فذكر حديث إتيان الله بالشمس من المشرق، وطلبه أن يأتي بها من المغرب ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾.

فقلت له: هذا إعجاز من الله، كونه بُهِت فيما له فيه مقال؛ وإن كان فاسدا. لأنّه لو قاله، قيل له: قد كانت الشمس طالعة من المشرق وأنت لم تكن، وأكذبه مَن تقدّمه بالسنّ على البديهة.

١ [الأنبياء : ٦٣]
٢ [الأنعام : ٨٣]
٣ ص ٩١
٤ [البقرة : ٢٥٨]
٥ [البقرة : ٢٥٨]

فقال: وما المقال؟

قلت: يقول: ما نفعلُ الأمر بحكمك، ولا نبطل الحكمة لأجلك.

قال: صدقتَ. فكان بَهْتُه إعجازا من الله -سبحانه- حتى علِم الحاضرون أنّ إبراهيم عليه السلام على الحقّ؛ ولم يكن لنمروذ أن يدّعي الألوهة.

ثمّ رأيت البيت المعمور. فإذا به قلبي، وإذا بالملائكة التي تدخله كلّ يوم: تجلّي الحقّ له -سبحانه- الذي وسعه في سبعين ألف حجاب من نور وظلمة. فهو يتجلّى فيها لقلب عبده، لو تجلّى دونها لأحرقت سبحات وجهه؛ عالم الخلق من ذلك العبد.

(سدرة المنتهى)

- فلمّا فارقته جئت سدرةَ المنتهى. فوقفت بين فروعها الدنيا والقصوى، وقد غشيتها[1] أنوارُ الأعمال، وصدحت في ذرى أفنانها طيورُ أرواح العاملين، وهي على نشأة الإنسان. وأمّا الأنهار الأربعة؛ فعلوم الوهب الإلهيّ الأربعة التي ذكرناها في جزء لنا سمّيناه: "مراتب علوم الوهب" ثمّ عاينتُ مُتّكآت رفارف العارفين؛ فغشيتني الأنوار حتى صرت كلّي نورا، وخلع عليّ خلعةً ما رأيت مثلها.

فقلت: إلهي؛ الآيات شتات. فأنزلَ عليّ، عند هذا القول: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[2] فأعطاني، في هذه الآية، كلَّ الآيات، وقرّبَ عليّ الأمر، وجعلها لي مفتاح كلّ علم.

فعلمتُ أنّي مجموع مَن ذكر لي، وكانت لي بذلك البشرى بأنّي محمديّ المقام، مِن ورثة جمعيّة محمد ﷺ فإنّه آخِر مرسَل، وآخِر مَن إليه تُنزّل. آتاه الله جوامع الكلم، وخُصّ بستٍّ لم يُخصّ بها

١ ص ٩١ب
٢ [آل عمران : ٨٤]

رسولُ أُمّة من الأمم. فعمّ برسالته لعموم ستّ جهاته؛ فمن أيّ جهة جئت؛ لم تجد إلّا نور محمد ينفهق عليك. فما أخذ أحد إلّا منه، ولا أخبر رسول إلّا عنه. فعندما حصل لي ذلك، قلت: حسبي[1] حسبي. قد ملأ أركاني؛ فما وسعني مكاني، وأزال عنّي به إمكاني.

فحصّلتُ، في هذا الإسراء معاني الأسماء كلّها؛ فرأيتها ترجع إلى مسمّى واحد، وعين واحدة. فكان ذلك المسمّى: مشهودي، وتلك العين: وجودي. فما كانت رحلتي إلّا فيّ، ودلالتي إلّا عليّ. ومن هنا علمتُ أنّي عبد محض، ما فيّ من الربوبيّة شيء أصلا.

وفتحت خزائن هذا المنزل:

فرأيت فيها من العلوم: عِلْمَ أحديّة عبودة التشريف، ولم أكن رأيته[2] قبل ذلك، وإنما كنت رأيت جمعيّة العبوديّة.

ورأيتُ عِلْمَ الغيب بعين الشهادة، وأين منقطع الغيب من العالم، ويرجع الكلُّ في حقّ العبد شهادة؟ وأعني بالغيب غيب الوجود، أي ما هو في الوجود وهو مغيّب عن بعض الأبصار والبصائر. وأمّا غيب ما ليس بموجود؛ فمفتاح ذلك الغيب لا يعلمه إلّا هو تعالى.

ورأيت فيه عِلْمَ القُرب والبُعد؛ ممن؟ وعمّن؟.

ورأيت فيه عِلْمَ خزائن مزيد العلوم وتنزّلها على قلوب العارفين؛ وبمن تَحُفُّ؟ ومن يقسمها على القلوب؟ وما ينزل منها عن سؤال، وعن غير سؤال؟ فإذا سأل الإنسان مزيد العلم فليَسأل كما أمر الله[3] -تعالى- نبيّه أن يَسأل، إذ قال له: ﴿قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[4] فنكّر ولم يعيّن؛ فعمَّ. فأيّ عِلْم نزل عليه؛ دخل تحت هذا السؤال؛ فإنّ النزول عن سؤال؛ أعظمُ لذّة من النزول عن غير سؤال. فإنّ في ذلك إدراكَ البُغية، وذِلّة الافتقار، وإعطاء الربوبيّة حقّها، والعبودة حقّها.

١ ص ٩٢
٢ ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٣ ص ٩٢ب
٤ [طه : ١١٤]

فإنّ العبدَ مأمور أن يعطي كلّ شيء حقّه، كما أعطى الله كلّ شيء خلقه. وفي العلم المنزّل عن السؤال مِن علوّ المنزلة ما لا يقدر قدر ذلك إلّا الله.

ورأيتُ عِلْمَ حصر الآيات في السمع والبصر؛ فإمّا شهود وإمّا خبر.

ورأيت التوراة، وعِلْمَ اختصاصها بما كتبها الله بيده، وتعجّبتُ من ذلك؛ كيف كتبها بيده، ولم يحفظها من التبديل والتحريف الذي حرّفه اليهود أصحاب موسى؟ فلمّا تعجّبتُ من ذلك، قيل لي في سرّي -أسمعُ الخطاب، بل أرى المتكلّم، وأشهده في اتّساع رحمةٍ أنا فيها واقف، وقد أحاطتْ بي- فقال لي: أعجبُ من ذلك أن[1] خلق آدم بيديه، وما حفظه من المعصية ولا من النسيان! وأين رتبة اليد من اليدين؟ فمن هذا فاعجبْ، وما توجّهتِ اليدان إلّا على طينته وطبيعته، وما جاءته الوسوسة إلّا من جهة طبيعته[2]؛ لأنّ الشيطان وسوس إليه، وهو مخلوق من جزءٍ ما خلق منه آدم. فما نسي- (آدم) ولا قَبِلَ الوسوسة إلّا من طبيعته، وعلى طبيعته توجّهت اليدان. ثمّ، مع هذا، فما حفِظه مما حمله في طينته مِن عُصاةِ بَنيه.

فلا تعجب لتغيير اليهود التوراةَ، فإنّ التوراةَ ما تغيّرتْ في نفسها؛ وإنما كتابتهم إيّاها، وتلفُّظهم بها؛ لَحِقه التغيير؛ فنسب مثل ذلك إلى كلام الله، فقال: ﴿يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[3] أنّ كلام الله معقول عندهم، وأبْدَوا في الترجمة عنه خلاف ما هو في صدورهم عندهم، وفي مصحفهم المنزّل عليهم. فإنّهم ما حرّفوا إلّا عند نَسْخِهم من الأصل، وأبقَوا الأصل على ما هو عليه؛ ليبقى لهم العلم ولعلمائهم. وآدم، مع اليدين، عصى- بنفسه، ولم يُحفظ حِفظ كلام الله؛ فهذا أعجب.

وإنما عُصم كلامُ الله لأنّه حُكْم، والحكم معصوم، ومحلّه العلماء به. فما هو عند العلماء محرَّف، وهم يحرّفونه لأتباعهم. وآدم ما هو حُكْمُ الله، فلا تلزمه العصمة في نفسه، وتلزمه العصمة فيما

١ ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٢ ص ٩٣
٣ [البقرة : ٧٥]

ينقله عن ربّه من الحكم؛ إذا كان رسولا هو وجميع الرسل. وهذا عِلْمٌ شريف؛ فإنّ الله ما جعل في العالم هُدًى؛ لا يصحّ أن يعود عمى؛ فإنّه أبان لمن أوصله إليه. فما اتّصف بالعمى[1] إلّا مَن لم يصل إليه الهدى من ربّه. ومن قيل له: "هذا هدى" لا يقال: إنّه وصل إليه، حتى يكون هو الذي أُنزل عليه الهدى، وحصل له العلم بذلك؛ فإنّ هذا لا يكون عنده عمى أبدا. فما استحبّ العمى على الهدى إلّا مَن هو مقلِّد في الأمرين لأبناء جنسه. فالعمى يوافق طبعَه، والهدى يخالف طبعَه؛ فلذلك يؤثره عليه.

فرأيت فيها عِلْمَ مَن اتّأَدَ؛ على الله اعتمد. وهذا هو التوكّل الخامس وهو قوله -تعالى- في سورة المزّمّل: ﴿فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾[2].

ورأيت فيها عِلْمَ ما يُنال بالورث وعِلْمَ ما ينال بالكسب.

ورأيت فيها عِلْمَ الفرق بين شكر المكلَّف وشكر العبد.

ورأيت فيها عِلْمَ تنوُّع الأحكام لتنوّع الأزمان؛ فإنّه من المحال أن يقع شيء في العالم إلّا بترتيب زمانيّ، وتقدُّم وتأخُّر، ومفاضلة. لأنّ الله أشهدني أسماءه؛ فرأيتها تتفاضل؛ لاشتراكها في أمور، وتميُّزها في أمور، مع الاشتراك. وكلّ اسم لا يقع فيه اشتراك مع اسم، لا مفاضلة بين ذينك[3] الاسمين، فاعلم ذلك فإنّه عِلْمٌ عزيز.

ورأيت[4] فيها عِلْمَ تسليط العالم بعضه على بعض، وما سببه؟ فرأيته من حكم الأسماء الإلهيّة في طلبها ظهورَها أو ولايتها، وما هي عليها من الغَيرة. ورأيتها تستعين بالمشارك لها من الأسماء؛ فهي المُعانة المُعِينة. ولذلك خرج الخلقُ على صورتها؛ فمنها المُعان والمُعِين. ولمّا وقع الأمر هكذا، خاطبهم (الحقّ) بحكم التعاون فقال: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾[5] فيكون ما فُطروا عليه،

١ ص ٩٣ب
٢ [المزمل : ٩]
٣ ق: "ذانك" وصححت تحتها بقلم آخر
٤ ص ٩٤
٥ [المائدة : ٢]

عباده، فإنّهم قد يتعاونون، بتلك الحقيقة، على الإثم والعدوان.

ورأيتُ عِلْمَ الجبر؛ فرأيته آخر ما تنتهي إليه المَعاذِر، وهو سببُ مآل الخلق إلى الرحمة؛ فإنّ الله يعذر خلقَه، بذلك، فيما كان منهم؛ فإنّه لا يبقى منهم إلّا التضرّع الطبيعيّ. ولولا أنّ نشءَ الآخرة مثل نشء الدنيا: ذو جسم طبيعيّ وروح، ما صحّ من الشقيّ طلبٌ ولا تضرُّع؛ إذ لو لم يكن هناك أمرٌ طبيعيّ، لم يكن للنفس -إذا جهلتْ- مَن ينبّهها على جهلها لعدم إحساسها؛ إذ لا حِسَّ لها إلّا بالجزء الطبيعيّ الذي هو الجسد المركّب. وبالجهل شقاؤها؛ فكانت النفس، بَعْدَ[1] المفارقة، إذا فارقتْ وهي على جهالة، كان شقاؤها جهلَها[2]، ولا تزال فيه أبدا. فمن رحمة الله بها أن جعل لها هذا المركّب الطبيعيّ في الدنيا والآخرة، وما كلُّ أحد يعلم حكمة هذا المركّب الذي لا يخلو حيوان عنه.

ورأيتُ عِلْمَ الرجعة، وهو عِلْمُ البعث وحشر الأجساد في الآخرة، وأنّ الإنسان إذا انتقل عن الدنيا لن يرجع إليها أبدا، لكنّها تنتقل معه بانتقاله. فمن هذه الدار (منها) مَن ينتقل إلى الجنّة، ومنها ما[3] ينتقل إلى النار؛ فالنار والجنّة تعمُّ الدار الدنيا وتضمّها، فإنّه ما يبقى دارٌ إلّا الجنّة والنار. والدنيا لا تنعدم ذاتُها بعد وجودها، ولا شيء موجود. فلا بدّ أن يكون في الدارين، أو في أحدهما؛ فأعطى الكشفُ أن تكون مقتسمة بين الدارين. وقد ورد في الخبر النبويّ، من ذلك، ما فيه غُنية. وكان بعض الصحابة يقول: "يا بحرُ؛ متى تعود نارا" وهو الحميم الذي يشربه أهلُ النار.

وقوله ﷺ في الأربعة الأنهار إنّها من الجنّة؛ فذكر سيحان، وجيحان، والنيل، والفرات. «وبين قبري ومنبري روضة من رياض الجنّة». ومجالس الذِّكْر، حيث كانت، روضات من روضات الجنّة، والأخبار في ذلك كثيرة. ولسنا من أهل التقليد بحمد الله؛ بل الأمر عندنا كما آمنّا به، من عند ربّنا؛ شهدناه عِيانا.

١ ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٢ ص ٩٤ب
٣ ق: "ومنهم من" وصححت في الهامش بقلم الأصل

ورأيت[1] فيها عِلْمَ مرتبة قول النبيّ ﷺ: «إنّي مكاثر بكم الأمم»، وأنّ ذلك من الشرف والمجد في موطنه؛ فلا يهمَل مثل هذا؛ فإنّ لكلّ موطن شرفا يخصُّه، لا يكون شرفه إلّا به. وهنا زلّتْ جماعةٌ من العارفين حيث لم يفرّقوا بين شرف النفوس وشرف العقول، وأنّهما لا يتداخلان، وأنّ الكمال في وجود الشرفين.

ورأيت فيها عِلْمَ ما يرى الإنسان إلّا ما كان عليه، سَواء عرف ذلك، أو جهِله؛ فإنّه لا بدّ أن يشهده. فيعرفه في الموضع الذي لا ينفعه العلم به، ولا مشاهدته إيّاه.

ورأيت فيها عِلْمَ التداخل والدّور، وهو أنّه لا يكون الحقُّ إلّا بصورة الخلق في الفعل، ولا يكون الخلق فيه إلّا بصورة الحقّ. فهو دَوْر لا يؤدّي إلى امتناع الوقوع، بل هو الواقع الذي عليه الأمر، «فإنّ الله لا يملّ حتى تملّوا»، فهذا حُكم خلقٍ في حقّ. وقال: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾[2]، فهذا منه، كما كان عَوْدُه ومَلَلُه منّا.

ورأيت فيها عِلْمَ منزلة القرآن من العالَم، ولمن جاء؟ ولِمَ[3] جاء؟ وإلى[4] أين يعود؟.

ورأيت فيها عِلْمَ التلبيس، وأنّ أصله العجلة من الإنسان. فلو اتّأدَ وتفكّر وتبصّر- لم يلتبس عليه أمرٌ، وقليل فاعل ذلك.

ورأيت فيها عِلْمَ الليل وَحَدَّهُ[5]، والنهارَ وَحَدَّهُ، والزمان وَحَدَّهُ، واليوم وَحَدَّهُ، والدهر وَحَدَّهُ، والعصر وَحَدَّهُ، والمدّة وَحَدَّها.

ورأيت فيها عِلْمَ التفصيل، وفيمَ[6] ظهر؟.

ورأيت فيها عِلْمَ ما لزم الإنسان من حكم الله الذي فصّله الشرع، فلا ينفكّ عنه.

---

١ ص ٩٥
٢ [الأنعام : ١٢٥]
٣ ق، س: ولما. ه: وبما
٤ ص ٩٥ب
٥ رسمها في ق: "وحده" بدون شدة على الدال، وكذلك في البقية في هذه العبارة
٦ ق، س، ه: وفيما

ورأيت فيها عِلْمَ تقابل النسختين، وأنّ الإنسانَ في نفسه كتابُ ربّه.

ورأيت فيها عِلْمَ سبب وجوب العذاب في الآخرة وهو جليٌّ. والعلم الخفيُّ إنما هو في وجوب سبب عذاب الدنيا، ولا سيما في حقّ الطفل الرضيع. وهل الطفل الرضيع، وجميع الحيوان، لهم تكليف إلهيٌّ برسول منهم في ذواتهم لا يُشعر به؟ وأنّ الصغير إذا كبر وكُلِّف، لا يشعُر ولا يتذكّر[1] تكليفه في حال صِغره لما يقوم به من الآلام وبالحيوان؟ فإنّه -تعالى- ما يعذِّب ابتداء، ولكن يعذِّب جزاء. فإنّ الرحمة لا تقتضي في العذاب إلّا الجزاء؛ للتطهير، ولولا التطهيرُ ما وقع العذاب. وهذا من أسرار العلم الذي اختصّ الله به مَن شاء من عباده. ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ﴾[2] ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[3]، وما من شيء في الوجود إلّا وهو أمّة من الأمم. قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾[4] في كلّ شيء. وقال ﷺ في الكلاب: «إنّها أمّة من الأمم». فعمّت الرسالة الإلهيّة جميع الأمم، صغيرهم وكبيرهم. فما من أمّة إلّا وهي تحت خطاب إلهيّ على لسان نذير بُعث إليها منها وفيها.

ورأيت فيها عِلْمَ حكم الوجوب الموسَّع المخيَّر؛ كأوقات الصلوات، والتخيير في الكفّارات.

ورأيت فيها عِلْمَ كون الحقّ مع إرادة العبد لا يخالفه، وهذه الصفةُ بالعبدِ أَوْلى. فكما أمر اللهُ عبدَه فعصاه، كذلك دعاه عبدُه فلم يجبه فيما سأل فيه، كما أمرَه فلم يطعه[5]. ألا ترى إلى الملائكة لَمّا لم تعص أمرَ الله؛ أجابها الله في كلّ ما سألته فيه؛ حتى أنّ «العبد إذا[6] وافق في الصلاة تأمينُه تأمينَ الملائكة غُفر له».

ورأيت فيها عموم العطاء الإلهيّ، وأنّه من الكرم الإلهيّ: إتيان الكبائر في العالَم المكلَّف، فإنّه لا بدّ لطائفة من التبديل، فيبدّل لها كبير بكبير.

---

١ ص ٩٦
٢ [يونس : ٤٧]
٣ [فاطر : ٢٤]
٤ [الأنعام : ٣٨]
٥ "فيما سأل..يطعه" ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب
٦ ص ٩٦ب

إحْياءُ نَفْسٍ بِقَتْلِ نَفْسٍ   فِي كُلِّ نَوْعٍ وَكُلِّ جِنْسِ

فمِن الناس مَن يبدّل له بالتوبة والعمل الصالح، ومن الناس من يبدّل له بعد أخذ العقوبة حقّها منه. وسببُ إنفاذ الوعيد في حقّ طائفة حُكْمُ المشيئة الإلهيّة، فإذا انتهت المدّة؛ طلبت المشيئة، في ذلك، تبديل العذاب الذي كانوا فيه بالنعيم المماثل له. فإنّ حكم المشيئة أقوى من حكم الأمر، وقد وقع التبديل بالأمر، فهو بالإرادة أحقّ بالوقوع.

وستَرَ الله هذا العلم عن بعض عباده، وأطلع عليه مَن شاء من عباده. وهو من عِلْم الحكمة التي مَن أُوتيها فقد أُوتي خيرا كثيرا. ولذلك قال الحقّ تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[1] "غفورا" أي يستر "رحيما" بذلك الستر بعد قوله: ﴿فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ وقال في المسرفين: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ[2] رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[3] فجاء بالمغفرة والرحمة في حقّ التائب وصاحب العمل الصالح؛ كما جاء بها في المسرفين الذين لم يتوبوا ونهاهم عن القنوط، وأكّد بقوله: ﴿جَمِيعًا﴾. وأكثر مِن هذا الإفصاح الإلهيّ في مآل عباده إلى الرحمة ما يكون. مع عمارة الدارين: الجنّة وجهنّم، وأنّ لكلّ واحدة منهما مِلؤها لا يخرجون منها. فعطاء الله لا مانع له، وإنما الاسم المانع؛ إنما متعلّقه أنّ نعيم زيد ممنوع عن عمرو، كما أنّ نعيم عمرو ممنوع عن زيد. فهذا حكم المانع، لا أنّه يمنع شمول الرحمة.

ورأيت فيها عِلْمَ الفرق بين مفاضلة المفضولين في الدنيا وبينهم في الآخرة.

ورأيت فيها عِلْمَ مَن تُرِك مع ما هو عليه: لماذا ترك؟ وسببه؟.

ورأيت فيها عِلْمَ أنّ الله هو المعبود، في كلّ معبود، من خلف حجاب الصورة.

ورأيت فيها عِلْمَ الرفق بالعالَم، ومعاملة كلّ صنف بما يليق به من الرفق.

ورأيت فيها عِلْمَ ما يجني الإنسانُ إلّا ثمرةَ غرسه، لا غير.

---

١ [الفرقان : ٧٠]
٢ ص ٩٧
٣ [الزمر : ٥٣]

ورأيت[1] فيها عِلْمَ الحدود في التصرّفات، ومقاديرها، وأوزانها.

ورأيت فيها عِلْمَ التخلّق بالأخلاق الإلهيّة، من كونه ربّا خاصّة.

ورأيت فيها عِلْمَ حكم مرتبة الجزء من الكلّ، وإن كان الجزء على صورة الكلّ.

ورأيت فيها عِلْمَ نتاج المقدّمتين الفاسدتين علما صحيحا، مثل: كلّ إنسان حجر، وكلّ حجر حيوان؛ فكلّ إنسان حيوان. فلم يلزم مِن فساد المقدّمتين أن لا تكون النتيجة صحيحة، وهذا لا يعرف ميزانه.

ورأيت فيها عِلْمَ تأثير المِثل في مِثله؛ بماذا أثّر فيه؟ وليس أحدهما بأَوْلَى من الآخر ولا أحقّ، بنسبة التأثير إليه، والمِثلان ضدّان، فافهم.

ورأيت فيها عِلْمَ العبث، وكيف يصحّ مع قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾[2] والعبثُ فيما بينهما، فبأيّ نظر يكون عبثا؟ وبأيّ نظر لا يكون باطلا؟ وقول الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾[3] فقيّد، وما قيّد الباطل.

ورأيتُ[4] عِلْمَ فضل الذكور على الإناث، وهي مفاضلة عرَضيّة لا ذاتيّة.

ورأيتُ فيها عِلْمَ أحكام المحالّ والحالّ، والمكان والمتمكّن فيه.

ورأيتُ فيها عِلْمَ الحجب المانعة من التأثير الإلهي في المحجوب بها.

ورأيتُ فيها عِلْمَ سلطنة الأحديّة، وأنّه لا يبقى لسلطانها أحد، وهل يصحّ فيها تجلٍّ أم لا؟ فالذي قال بالتجلّي فيها؛ ما يريد: هل أحديّة الواحد؟ أو أحديّة المجموع؟ وكذلك من لا يقول بالتجلّي فيها؛ هل يريد أحديّة الواحد؟ أو أحديّة المجموع؟.

---

١ ص ٩٧ب
٢ [ص : ٢٧]
٣ [المؤمنون : ١١٥]
٤ ص ٩٨

ورأيت فيها عِلْمَ آداب السماع، وترك الكلام عنده.

ورأيتُ عِلْمَ إلحاق[1] الأدنى بالأعلى في حكم ضرب المثل له، ومَن هو هذا الأعلى؟ وبماذا كان أعلى؟.

ورأيت فيها عِلْمَ المجبور على الثناء على مَن كان يذمّه قبل الجبر؟.

ورأيت فيها عِلْمَ السبب المانع الذي يمنع العاقل من سلوك الأسَدّ، والأخذ بالأَوْلى والأحقّ.

ورأيت[2] فيها عِلْمَ العروج والنزول من الشخص الواحد لاختلاف الأحوال؛ ومَن نزل؛ لماذا نزل؟ ومَن أنزله؟ ومَن صعد؛ لماذا صعِد؟ ومَن صعَّده؟.

ورأيت فيها عِلْمَ أحوال الناس في البرزخ؛ فإنّه تقابلتْ فيه الأخبار. فهل يعمّ التقابل، أو يخصّ؟ وهل العموم والخصوص (يكون) في الزمان، أو في الأشخاص؟.

ورأيت فيها عِلْمَ ما فائدة الآيات التي لا تأتي للإعجاز؛ فلأيّ شيء أتت؟.

ورأيت فيها عِلْمَ ما السبب الذي أجرأ الضعيفَ من جميع الوجوه، على القويّ من جميع الوجوه، مع علمه بأنّه قادر على إهلاكه؟.

ورأيت فيها عِلْمَ طاعة إبليس ربّه في كلّ شيء، إلّا في السجود لآدم، ولِمَ[3] ذُكِر آدم بأنّه "عصى" نَهْيَ الله، وقيل في إبليس: ﴿أَبَىٰ﴾[4]. ولم يقل فيه: عصى أمر الله؛ هل ذلك شرفٌ يرجع لآدم لكونه على الصورة، وما لإبليس هذا المقام؟ وذَكَر الله في آدم أنّه عصى ربّه، فذكر مَن عصى، ولم يذكر في حقّ إبليس إلّا "أَبَىٰ" ولم يذكر أنّه أبى امتثال أمر ربّه. وفي آية أخرى قيل: ﴿لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾[5] وفي آية أخرى قال: ﴿اسْتَكْبَرَ﴾[1] وفي آية أخرى قال[2]:

١ ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٢ ص ٩٨ب
٣ ق، س: ولما. هـ: وما
٤ [طه : ١١٦]
٥ [الأعراف : ١١]

﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾[3] وفي آية أخرى قيل: ﴿أَبَىٰ أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾[4] فانظر ما أفادك الحقُّ في هذه الآيات، وما في طيّها من الأسرار.

ورأيت فيها عِلْمَ الاغترار.

ورأيت فيها عِلْمَ مَن فضل آدم من المخلوقين، وأنّ فضله لم يعمّ، وهكذا أخبرني رسول الله ﷺ في واقعة رأيتها، وهكذا أخبرَ الخليلُ إبراهيم عليه السلام شيخنا أبا مدين بأنّ فضل آدمَ لم يَعُمّ.

ورأيت فيها عِلْمَ الإمامة والإمام.

ورأيت فيها عِلْمَ أنّ الدنيا عنوان الآخرة، وضَرْب مِثال لها، وأنّ حكم ما فيها هو أتمّ وأكمل في الآخرة.

ورأيت فيها عِلْمَ السبب الذي لأجله يميل قلبُ صاحبِ العلم بالشيء عمّا يعطيه عِلمه، وما حكمه.

ورأيت فيها عِلْمَ سُنّة الله في عباده لا تتبدّل.

ورأيت فيها عِلْمَ توقيت محادثة الحقّ التي لا بدّ لصاحب العناية منها، والجمع بين الشهود والمحادثة، وما يكون من المحادثة مسامرة، وأنّ الحقّ لا يمتنع من المسامرة ويمتنع من المحادثة في أوقات مّا؛ وهي خطاب إلهيّ من العبد لله، ومن الله للعبدِ. وما[5] ينتج هذا العلم لمن علمه يوم القيامة؟.

ورأيت فيها عِلْمَ أحوال الصادقين في حركاتهم في الدخول إلى الحضرة الإلهيّة[6] من العالَم،

١ [ص : ٧٤]
٢ ص ٩٩
٣ [الإسراء : ٦١]
٤ [الحجر : ٣١]
٥ ص ٩٩ب
٦ ثابتة في الهامش مع إشارة التصويب

والخروج منها إلى العالَم. وممن تَمَكَّن في هذا المقام أبو يزيد البسطامي.

ورأيت فيها عِلْمَ تشخُّص العدم حتى يقبل الحكم عليه بما يؤثّر فيه الوجود، وإن لم يكن كذلك فلا يُعقل. وصورته صورة تجلّي الحقّ في أيّ صورة ظهر، يحكم عليه بما يحكم به على تلك الصورة التي تجلّى فيها[1] ويستلزمه حكمها، ومِن ذلك نَسبَ الحقّ -تعالى- ما نَسبَ من كلّ ما جاءنا في الكتاب والسنّة، ولا يلزم التشبيه.

ورأيت فيها عِلْمَ الطبّ الإلهيّ في الأجسام الطبيعيّة، لا في الأخلاق. وقد يكون في الأخلاق؛ فإنّ مرض النفس بالأخلاق الدنيّة أعظم من مرض الأجسام الطبيعيّة.

ورأيت فيها عِلْمَ لا يتعدّى العامل ما يقتضيه طبعه ومزاجه، إن كان ذا مزاج. فإن كان العامل ممن لا مزاج له؛ فإنّ عمَلَه بحسب ما هو عليه في ذاته.

ورأيت فيها عِلْمَ من يُسأل عمّا يعلم[2] فيجيب إنّه لا يَعلم، فيكون ذلك علما به عند السائل أنّه يَعلم ما سأله عنه. فإن أجابه بما يَعلم كما هو الأمر في نفسه وعليه، عُلِمَ أنّه لا يَعْلم المجيبُ ما سأل عنه السائل.

ورأيت فيها عِلْمَ التعاون على حصول العلم إذا وُجِدَ؛ هل يحصل به كلُّ علم يُتعاون عليه؟ أو يحصل به علم بعض العلوم دون بعض؟

ورأيت فيها عِلْمَ سبب وضع الشرائع وإرسال الرُّسُل.

ورأيت فيها عِلْمَ التحكّم على الرُّسُل؛ ما سببه؟ وهل هو محمود، أو مذموم؟ أو لا محمود ولا مذموم؟ أو في موطنٍ محمود، وفي موطنٍ مذموم؟.

ورأيت فيها عِلْمَ المانع من وقوع الممكنات دفعة واحدة، أعني ما وقع منها، وهل ذلك ممكن

١ "التي تجلى فيها" ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب
٢ ص ١٠٠

أم لا؟ وفيما يمكن ذلك وفيما لا يمكن. والذي يمكن فيه؛ هل وقع أم لا؟ وما ثَمّ إلّا جوهر أو عرَض حامل ومحمول، قائم بنفسه وغير قائم بنفسه؛ فيدخل في ذلك التقسيم الجسمُ وغيره. وهل الجسم مجموع أعراض وصفات، والجوهر كذلك؛ أم ليس كذلك؟.

ورأيت فيها عِلْمَ مرتبة التسعة من العَدَدِ؟.

ورأيت[1] فيها عِلْمَ تعارُض الخصمين؛ ما أدّاهما إلى المنازعة: هل أمرٌ وجوديّ، أو عدميٌّ؟.

ورأيت فيها عِلْمَ الحقّ المخلوق به.

ورأيت فيها عِلْمَ تسمية الاسم الواحد من الأسماء بجميع الأسماء؛ كما ذهب إليه صاحب "خلع النعلين" أبو القاسم بن قَسِيّ -رحمه الله- في كتاب "خلع النعلين".

ورأيت فيها عِلْمَ مراتب المحامد وعواقبها.

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[2].

١ ص ١٠٠ب
٢ [الأحزاب : ٤]

الباب الثامن والستّون وثلاثمائة
في معرفة منزل: أتى، ولم يأت.
وحضرة الأمر وحده

إذا كانَ غَيْرُ الجِنْسِ مِثْلِيَ فِي الفَضْلِ	فَأَيْنَ امْتِيازِي بِالحَدِيْثِ مِنَ النَّحْلِ
أَنا نَاطِقٌ والطَّيْرُ مِثْلِيَ ناطِقٌ	كَمَا جاءَ فِي القُرآنِ فِي سُوْرَةِ "النَّمْلِ"
فَلا تَفْرَحَنْ إلّا بِمَا أَنْتَ واحِدٌ	بِهِ فَوُجُودُ الشَّكْلِ يَأْنَسُ بِالشَّكْلِ
لَقَدْ[1] كانَ لِي شَيْخٌ عَزِيْزٌ مُقَدَّسٌ	يَقُولُ بِتَفْصِيْلِ الأُمُورِ وبِالوَصْلِ

قال الله -تعالى-: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[2] وهذا القول لا يكون إلّا يوم القيامة. فما وقع؛ فعبّر بالماضي عن المستقبل؛ لتحقّق وقوعه، ولا بدّ. وزوال حكم الإمكان فيه إلى حكم الوجوب. وكلّ ما كان بهذه المثابة؛ فحكم الماضي فيه والمستقبل على السّوَاء. وسياقه بالماضي آكدُ في الوقوع وتحقّقه، من بقائه على الاستقبال.

اعلم -يا وليّ؛ أسعدك الله بالحقّ، ونطّقك به- أنّ جماعة من أهل الله غلِطوا في أمرٍ جاء من عند الله -تعالى-، وساعدناهم على غلطهم. وما ساعدناهم؛ ولكن مشّينا أقوالهم لانتمائهم إلى الله، حتى لا ينتمي إليه -سبحانه- إلّا أهلُ حقٍّ وصدق. وذلك أنّ الأمرَ الذي غلطوا فيه (هو) عِلْمُ الحقِّ المخلوقِ به، وجعلوا هذا المخلوق به عينا موجودة، لمّا سمعوا الله يقول إنّه[3]: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ وما أشبه هذه الآيات الواردة في القرآن. والباءُ هنا بمعنى[4] اللّام. ولهذا قال -تعالى- في تمام الآية: ﴿تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[5] من أجل الباء. والأمر في نفسه (هو) في حقّ السماء والأرض، وما أنزل ما بينهما حتى يعمّ الوجود كلّه مثل قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ

---

١ ص ١٠١
٢ [المائدة : ١١٦]
٣ ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٤ ص ١٠١ب
٥ [النحل : ٣]

وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1] كذلك ما خلق السماوات والأرض إلّا بالحقّ؛ أي للحقّ. فاللّام التي نابَتِ الباءُ هنا منابها عينُ اللام التي في قوله: ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾ فخلَق السماوات والأرض للحقّ، والحقّ أن يعبدوه. ولهذا قال: ﴿تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[2].

والشِّرك هو الظلمُ العظيم. وما ظهر (الشِّرك) من موجود إلّا من هذا النوع الإنسانيّ. وما ذكر الجنّ معه في الخلق للعبادة؛ إلّا لكونه أغواه بالشِّرك؛ لا أنّه أشرك، والإنس هو الذي أشرك. هذا إذا لم تكن الجنُّ عبارةً عن باطن الإنسان. فكأنّه يقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ﴾ وهو ما استتر من الإنسان، وما بطن منه ﴿وَالْإِنْسَ﴾ وهو ما يُبْصَر منه لظهوره ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ظاهرا وباطنا.

ثمّ قال: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾[3] أي: بيّنُ الخصومة، ظاهرٌ بها. وقال: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾[4] وذلك لدعواه في الربوبيّة، وما خلقه الله إلّا عبدا، فلا يتجاوز قدرَه. فنازع ربّه في ربوبيّته، وما[5] نازعه مخلوق إلّا هو. ووصف خصومته بالإبانة، دون مَن وصفه بالخصومة مِن الملإِ الأعلى وغيرهم. وفي دعوى غير الربوبيّة؛ فإنّه ما من خصام يكون من مخلوق في أمر، خلاف دعوى الربوبيّة؛ إلّا وهو ممكن أن يكون الحقّ بيده في ذلك، ويخفى على السامع والحاكم؛ فلا يُدْرَى: هل الحقّ معه، أو مع خصمه؟ وهل هو صادق في دعواه، أو هو كاذب؛ للاحتمال المتطرّق في ذلك؟ إلّا دعواه في الربوبيّة؛ فإنّه يعلم مِن نفسه، ويعلم كلّ سامع من خلق الله تعالى؛ أنّه كاذب في دعواه، وأنّه عبدٌ؛ ولذلك خلقه الله. فلهذا قيل فيه: إنّه ﴿خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ أي ظاهر الظلم في خصومته. فمَن نازع ربّه في ربوبيّته؛ كيف يكون حاله؟

ثمّ إنّ هذا الإنسان ليته يسعى في ذلك في حقّ نفسه؛ فإنّه يعلم من نفسه أنّه ليس له حظّ

---

١ [الذاريات : ٥٦]
٢ [النحل : ٣]
٣ [يس : ٧٧]
٤ [النحل : ٤]
٥ ص ١٠٢

في الربوبيّة؟ ثمّ يعترف بالربوبيّة لِخَلْقٍ مِن خلق الله: مِن حجر، أو نبات، أو حيوان، أو إنسان مثله، أو جانّ، أو ملَكٍ، أو كوكب. فإنّه ما بقي صنف من المخلوقات إلّا وقد عُبد منه، وما عبده إلّا الإنسان الحيوان. فأشقى الناسِ مَن باع آخرته بدنيا غيره، ومَن هلك فيما لا يحصل بيده منه شيء. فيشهد على نفسه؛ أنّه أجهل الناس بغيره، وأعلم الناس[1] بنفسه؛ لأنّه ما ادّعاها لنفسه. ومن ادّعاها لنفسه فإنّما استخفّ قومَه فأطاعوه لذلك، وهو يعلم خلاف ذلك من نفسه. ولذلك قال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾[2] في اعتقادكم.

واعلم أنّ الحقّ -تعالى- لا يخلق شيئا بشيء، لكن يخلق شيئًا عند شيء. فكلّ ما يقتضي- الاستعانة والسببيّة؛ فهي "لام". فما خلق الله شيئا إلّا للحقّ، والحقّ أن يعبده ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ وما ذاك إلّا من عمى القلوب التي في الصدور عن الحقّ. فلو كانت غير معرضة عن الحقّ، مقبلة عليه؛ لأبصرت الحقّ؛ فأقرّت بالربوبيّة له في كلّ شيء، ولم يشرك بعبادة ربّه أحدا. ولذلك قال: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ والصالح (هو) الذي لا يدخله خلل، فإن ظهر فيه خلل فليس بصالح. وليس الخلل في العمل وعدم الصلاح فيه إلّا الشرك فقال: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[3] فنكّر، فعمّ كلّ من ينطلق عليه اسم أحد؛ وهو كلّ شيء في عالم الخلق والأمر، وعمّ الشرك الأصغر؛ وهو الشرك الذي في العموم؛ وهو الربوبيّة المستورة المنتهكة في مثل: فعلتُ، وصنعتُ، وفعل فلانٌ، ولولا فلانٌ. فهذا هو الشرك المغفور. فإنّك إذا[4] راجعت أصحاب هذا القول فيه؛ رجعوا إلى الله -تعالى-. والشرك الذي في الخصوص؛ فهم الذين يجعلون مع الله إلها آخر. وهو الظلم العظيم الذي ظلموا به هذا المقول عليه؛ إنّه إله مع الله. فظلموا الله في وحدانيّة الألوهة له، وظلموا الشريك في نسبة الألوهة إليه. فيأخذهم الله بظلم الشريك، لا بظلمه في أحديّته[5]. فإنّ الذي جعلوه شريكا يتبرّأ منهم يوم القيامة؛ حيث تظهر الحقوق إلى أربابها المستحقّين لها.

---

1 ص ١٠٢ب
2 [القصص : ٣٨]
3 [الكهف : ١١٠]
4 ص ١٠٣
5 كتب مقابلها في الهامش بقلم آخر: "وحدانيته" مع إشارة التصويب، وحرف خ

فعلى الحقيقة إنّ الله لا يخلق شيئا بشيء؛ وإن خلقه لشيء فتلك اللام لام الحكمة. وعين خلقه عين الحكمة؛ إذ خَلقُه -تعالى- لا يُعلّل. فالخلق عَبْدٌ بالذات أثّرتْ فيه العوارض، ولا سيما الشخص الإنساني. بل ما أثّرت العوارض إلّا في الشخص الإنساني وحده دون سائر الخلق؛ وما سِواه فعلى أصله من تنزيه خالقه عن الشريك. ولذلك قال: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ﴾[1] وهذا ضميرُ الجمع في ﴿تَفْقَهُونَ﴾ إنّما هم الناس خاصة. فجميع المخلوقات عبدوا الله، إلّا بعض الناس. فالإنسان ألدّ الخصام؛ حيث خاصَمَ فيما[2] هو ظاهر الظلم فيه؛ وليس إلّا الربوبيّة. وهل رأيتم عبدا يخاصم ربّه؟ إلّا إذا خرج عن عبوديّته، وزاحم سيّده في ربوبيّته؛ فادّعى مُلكا لنفسه[3]. فإذا تصرّف فيه سيّده؛ نازعه فيه وخاصمه. فما وقعت خصومة من عبد في عبودته، وإنما وقعت فيما هو ربٌّ فيه ومالِكٌ له.

وكثير من أهل الله من العلماء منهم ممن لا أذكره ولا أسمّيه، فإنّ هذه النسبة إليه نسبة تنصّ على جهله، فلذلك تأدّبتُ معه. فقرّروا المخلوق به على وجهين: فمنهم من جعل هذا الحقَّ المخلوق به عينُ علّة الخلق، والحقّ -تعالى- لا يعلّل خلقه، هذا هو الصحيح في نفسه؛ حتى لا يُعقل فيه أمر يوجب عليه ما ظهر من خلقه. بل خَلْقُهُ الخلق مِنّةٌ منه على الخلق، وابتداءُ فضل، وهو الغنيّ عن العالمين. ومنهم من جعل هذا الحقّ المخلوق به عينا موجودة، بها خلق الله ما سِوَاها؛ وهم القائلون بأنّه ما صدر عن الواحد إلّا واحد، وكان صدور ذلك الواحد صدور معلول عن علّة، أوجبتِ العلّةُ صدوره. وهذا فيه ما فيه. والذي أقول به إنّه:

إذا[4] جاءَ أَمْرُ اللهِ فَالآمِرُ الأَمْرُ	وَذَلِكَ تَوْحِيدٌ إِلَى مَنْ لَهُ الأَمْرُ
فَلَا تُشْرِكُوا فالشِّرْكُ ظُلْمٌ مُبَرْهَنٌ	عَلَيْهِ وَهَذَا الظُّلْمُ قَدْ عَمَّهُ الحَجْرُ

ولمّا كان العلم تحيا به القلوب كما تحيا بالأرواح أعيانُ الأجسام كلّها؛ سُمّي العلم روحا، تنزل به الملائكة على قلوب عباد الله وتلقيه، وتوحي به من غير واسطة في حقّ عبادٍ أيضا. فأمّا

---

1 [الإسراء : ٤٤]
2 ص ١٠٣ب
3 رسمها في ق أقرب إلى: بنفسه
4 ص ١٠٤

إلقاؤه ووحيُه به؛ فهو قوله (تعالى): ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾[1] وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾[2]. وأمّا تنزيل الملائكة به على قلوب عباده فهو قوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾[3] فهم المعلِّمون والأستاذون في الغيب، يشهدهم مَن نزلوا عليه. فإذا نزل هذا الروح في قلب العبد بتنزيل الملَك، أو بإلقاء الله ووحيِه، حيي به قلبُ المنزَّل عليه؛ فكان صاحبَ شهود ووجود، لا صاحبَ فكر وتردُّد، ولا عِلْم يقبل عليه دَخَلًا؛ فينقل صاحبه من درجة القطع إلى حال النظر. والعبد العالِم المجتبى؛ إمّا يعرج فيرى، وإمّا[4] ينزل عليه في موضعه.

إنّ العُـــرُوجَ لِرُؤْيَـــةِ الآيَاتِ ... نَعْتُ المُحَقِّقِ فِي شُهُودِ الذَّاتِ
فَانْظُرْ بِفِعْلِ الحَالِ تَشْهَدْ كَوْنَهُ ... وانْظُرْ إِلَى المَاضِي يُرِيكَ الآتِي
إِنّ الوُجُودَ مُبَرْهِنٌ عَنْ نَفْسِـهِ ... بِوُجُـودِهِ فِي أَكْـثَرِ الحَـالاتِ
فَالحَالُ فِي الأَحْيَاءِ يُشْهَدُ دَائِمًا ... والمَاضِي والآتِي مَعَ الأَمْـوَاتِ

فإن قال المعتذر عن هؤلاء: فما فائدة خلق الإنسان الكامل على الصورة؟ قلنا: ليظهر عنه صدور الأفعال والمخلوقات كلّها، مع وجود عينه عندَه: إنّه عبدٌ. فإنّ غاية الأمر الإلهيّ أن يكون الحقُّ سمعَ[5] العبد، وبصرَه؛ بل جميع قُواه فقال -تعالى-: «فإذا أحببته كنت سمعَه وبصرَه ويدَه» الحديث. فأثبت بالضمير عينَه عبدا، لا ربوبيّة له. وجعل ما يظهر به وعليه ومنه أنّ ذلك هو الحقّ -تعالى- لا العبد. فهذا الخبر يؤيّد ما ذهبنا إليه. وهو عليهم؛ لو اعتذروا به محتجّين[6] علينا كما فعلتَ أنت، ولم يكن لهم هذا الخبر. فلا شيء أعلى من كلام النبوّة، ولا سيما فيما أخبرَتْ به عن الله ﷻ.

فإن قالوا: إنّ الإمكان جعلَنا أن نقول ما نقول. قلنا: الإمكان حُكمٌ وهميٌّ لا معقول، لا في

1 [غافر : ١٥]
2 [الشورى : ٥٢]
3 [النحل : ٢]
4 ص ١٠٤ب
5 ق: "مع" وما أثبتناه من س
6 ص ١٠٥

الله، ولا في المسمّى ممكنا. فإنّه لا يُعقل أبدا هذا المسمّى ممكنا إلّا مرجَّحًا، وحالة الاختيار لا تُعقل إلّا ولا ترجيح. وهذا غير واقع؛ فهو غير واقع عقلا. لكن يقع وهما؛ والوهم حكمٌ عدميٌّ. فما ثَمّ إلّا واجب بذاته، أو واجب به؛ فمشيئة الحقّ في الأشياء واحدة.

والحَــقُّ لَـيْسَ لَهُ إِلَّا مَشِـيْئَتُهُ ... وَحِيْدَةُ العَيْنِ لا شِرْكٌ يُثَنِّيهَا
والاخْتِيَـارُ مُحَـالٌ فَرْضُـهُ فَـإِذا ... أَتَى فَحِكْمَتُهُ الإِمْكَانُ يَـدْرِيهَا
فَلَا تَـزَالُ عَلَـى التَّرْجِيحِ نَشْـأَتُهُ ... واللهُ بِالحَالِ أَخْفَى نَفْسَهُ فِيهَا
فَزَالَ مِنْ عِلْمِنا الإِمْكَانُ عَنْ نَظَرٍ ... فِي المُمْكِنَاتِ فَيُبْـدِيهَا وَيُخْفِيهَـا

وإذا زال الإمكانُ زال الاختيار، وما بقي سِوَى عين واحدة؛ لأنّ[1] المشيئةَ الإلهيّةَ ما عندها إلّا أمر واحد في الأشياء، ولا يزال الإنشاء على حكم واحد معيّن من الحكمين؛ فما الأمر كما توهّمه القائل بالإمكان. فثبتَ أنّه ما ثَمّ إلّا حقٌّ لحقّ، وحقٌّ لخلق. فحقُّ الحقِّ ربوبيّته، وحقُّ الخلق عبوديّته. فنحن عبيد؛ وإن ظهرنا بنعوته. وهو ربّنا؛ وإن ظهر بنعوتنا. فإنّ النعوت، عند المحقّقين، لا أثر لها في العين المنعوتة؛ ولهذا تزول بمقابلها إذا جاء. ولا يذهب عينا؛ بل لا يزال كونها في الحالين.

فالقائمُ عينُ القاعد من حيث عينه، والقائمُ ليس القاعد من حيث حكمه. فالقائمُ لا يمكن أن يقعد في حال قيامه، والقاعدُ لا يمكن أن يقوم في حال قعوده. وما شاء الحقُّ إلّا ما هو الأمر عليه في نفسه. فمشيئةُ الحقّ في الأمور عينُ ما هي الأمور عليه؛ فزال الحكم. فإنّ المشيئةَ إن جعلتَها خلافَ عين الأمر؛ فإمّا أن تتبعَ الأمرَ؛ وهو محال، وإمّا أن يتبعَها الأمر؛ وهو محال. وبيان ذلك أنّ الأمرَ هو أمرٌ لنفسه، كان ما كان. فهو لا يقبل التبديل؛ فهو غير مشاء[2] بمشيئة ليست عينَه؛ فالمشيئةُ عينُه، فلا تابع ولا متبوع. فتحقّظْ من الوهم؛ فإنّ له سلطانا قويّا في

1 ص ١٠٥ب
2 كتب في الهامش مقابلها: "مشيء" مع إشارة التصويب

النفس يحول بينها وبين العلم الصحيح الذي يعطيه العقل[1] السليم.

ولمّا دخلتُ هذا المنزل عندما رُفِعَتْ إليّ أعلامُه، فاستدللتُ عليه بأعلامِه؛ حتى وصلتُ إليه، بعد ما قاسيتُ مشقّةً، وطالتْ عليّ الشُّقّة. فلمّا دخلته صَعُبَ عليّ التصرّف فيه؛ لما فيه من المهالك، وهو منزلٌ مظلِمٌ لا سراج فيه. فكنت أمشي- فيه بِجِسّ الرِّجْل والتثبّت؛ مخافة الوقوع في مَهلِكٍ من مهالكه. فإذا ثبتت قدمي في موضع أُحِسّ به ولا أُبصره؛ حينئذ شرعتُ في نقله أطلب موضعا أنتقل إليه. فإذا أَحسّتْ قدمي بفراغ؛ علمتُ أنّ هنالك مهلكا. فسرتُ أتتبّع بقدمي يمينا وشمالا؛ حتى أجد لقدمي موضعا تستقرّ فيه، وأنا معتمد على القدم الأخرى. وما زلت كذلك أنتقل من مكان إلى مكان في هذه الظلمة، ولا أبصر شيئا لعدم النور من الخارج[2] المقارِن لِنور بصري؛ فكان رِجلي بصري.

فعلمتُ مِن ذلك قدرَ ما تصرّفتُ فيه، وأنا على حذر: ما أدري ما يعرِض لي في طريقي من حيوان يؤذيني ولا أُحِسّ به؛ حتى يوقع الأذى بي. ومع هذا خاطرتُ بنفسي، لأنّي قلت: أنا في ظلمة على كلّ حال؛ فسَواءٌ عليّ قعدتُ أو تصرّفتُ. فإنّي إذا قعدتُ؛ لم آمن أن يأتيني حيوان يؤذيني، وإن تصرّفتُ[3]؛ لم آمن أيضا من حيوان يؤذيني، أو مَهلِكٍ أقع فيه. فالتثبّتُ في التصرّف أرجى لي. فرجّحتُه على القعود؛ طلب الفائدة.

فبينا أنا كذلك؛ إذ فَجِئني نور الشرع من خارج، بصورة سراجِ مصباحٍ لا تحرّكه الأهواء؛ لكونه في مشكاة، ومشكاته الرسول؛ فهو محفوظ من الأهواء التي تطفيه. وذلك المصباح في زجاجة قلبه وجسمه؛ المصباح: لسان ترجمته، والإمداد الإلهيّ: زَيْتُه، والشجرة: حضرة إمداده. فاجتمع نور البصر مع هذا النور الخارج. فكشفنا ما في الطريق من المهالك والحيوانات المضرّة؛ فاجتنبنا كلَّ ما نخاف منها ونحذر، وسلكنا محجّة بيضاء ما فيها مَهلك ولا حيوان مُضِرٌّ- ولو تعرّض إلينا عدلنا عنه؛ لاتّساع الطريق وسهولته، والموانع والحصون التي فيه المانعةُ ضَرَرَ تلك

---

[1] ص ١٠٦

[2] ق: "خارج" وفي الهامش "الخارج" مع حرف خ. ويتفق في ذلك مع ه، س

[3] ص ١٠٦ب

الحيوانات ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾[1]. وبعد أن ظهر هذا المصباح لم ينطفِ ولا زال.

فمن استدبره وأعرض عنه؛ مشى في ظلمة ذاته. وتلك الظلمة ظِلّه؛ فيكون ممن جنى على نفسه؛ بإعراضه عن المصباح واستدباره. فهذا حُكم مَن ترك الشرع واستقلّ بنظره. فهو -وإن تثبّت في سعيه، لِظلمة ذاته- على خطر من دوابّ الطريق؛ وإن[2] لم يقع في مَهلك. فينبغي للعاقل أن لا يستعجلَ في أمْرٍ له فيه أناةٌ، ولا يتأنّى في أمرٍ يكون الحقُّ في المبادرة إليه، والإسراع في تحصيله. هذا فائدة العقل في العاقل.

ورأيت في هذا المنزل علوما جمّة. منها عِلْمُ الحاصل في عين الفائت؛ لأنّه لولا ذلك ما علمتَ فضل الحاصل على الفائت في حقّك؛ إذا كان فيه سعادتك. ولا فضل الفائت على الحاصل، إذا كان الفائتُ مطلوبَك، ولو حصل لك أشقاك وأنت لا تعلم. فكان الفضل فيه، في حقّك؛ فَوْتُه. فإنّ بفوتِه سَعِدْتَ. وهذا لا يكون إلّا لمن أسعده الله. وهو قوله تعالى: ﴿وَعَسَى- أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[3].

ومنه ما روي أنّ رسول الله ﷺ قبل رسالته كان يرعى الغنم بالبادية، فيريد أن يدخل إلى مكة ليصيب فيها ما يصيبُ الشبّان. فإذا دخل مكة، وترك في الغنم بعضَ مَن يعرفه، يحفظها حتى يأتي إليه؛ يرسل اللهُ عليه النومَ؛ فيفوته تحصيلُ ما دخل من أجله. فيستعجلُ الرجوعَ إلى غنمه. فيخرج؛ وقد فاته ما دخل من أجله؛ وكانت في ذلك عِصمته وحفظه من حيث لا يشعر. ويقال في المثل في هذا المعنى: "من العصمة أن لا تجد".

وفي[4] هذا المنزل من العلوم:

عِلْمُ أحديّة الأفعال؛ وهو أمر مختلَف فيه. فمِن مثبِتٍ ذلك للحقّ -تعالى-، ومِن مثبِت ذلك

---

[1] [النور : ٤٠]

[2] ص ١٠٧

[3] [البقرة : ٢١٦]

[4] ص ١٠٧ب

للخلق؛ فهو أحديٌّ في الطائفتين. ومن مثبت في ذلك شِركا خفيًا؛ وهم القائلون بالكسب.

وفيه عِلْمُ ما لا يُعلم إلّا بالوهب، ليس للكشف فيه مدخل جملة واحدة، وهو ما لا يُدرَك إلّا بذات المدرِك -اسم فاعل- على حسب ما هو المدرِك -اسم فاعل- عليه. فإن كان ممن تُنتَسَب إليه الحواسّ؛ فالحواسّ له ذاتيّة لا مَحَالُّها المعيَّنة[1] لها. وإن كان ممن لا تُنتَسَب إليه الحواسّ؛ فإدراكه الأمورَ المحسوسةَ كصاحب[2] الحواسّ أيضا بذاته. ولا يقال: "إنّها محسوسة له" لأنّه لا يُنْتَسَبُ إليه حِسٌّ. فهي معلومة له، والحواسّ طريقٌ موصلة إلى العلم. والعلم بالأمر هو المطلوب، لا بما حصل. فقد رأيت الأكْمَهَ يدرك الفرق بين الألوان مع فَقْد حِسّ البصر، وجعل الله بصره في لمسه؛ فيبصر بما به يلمس.

وفيه عِلْمُ الإعلام بتوحيد الحقّ نفسه في ألوهيّته؛ بأيّ لسان أَعْلَمَ ذلك؟ وما السمع الذي أدرك هذا الإعلام الإلهيّ إذا تَبِعَهُ الفهم عنه؟ فإن لم يتبعه فَهْمٌ؛ فهل يقال فيه: إنّه سَمِع، أم لا؟

وفيه[3] عِلْمُ رتبة الإنسان الحيوان، ومزاحمته الإنسانَ الكامل بالقوّة؛ فيما لا يكون من الإنسان الكامل إلّا بالفعل. وإنّ الإنسان الكامل يخالف الإنسان الحيوان في الحكم؛ فإنّ الإنسان الحيوان يُرزق رزق الحيوان. وهو للكامل وزيادة. فإنّ الكامل له رزق إلهيّ لا يناله الإنسان الحيوان، وهو ما يتغذّى به من علوم الفكر الذي لا يكون للإنسان الحيوان، والكشف والذوق والفكر الصحيح.

وفيه عِلْمُ رحمةِ الله بالعالم حيث أحالهم على الأسباب، وما جعل لهم رزقا إلّا فيها؛ ليجدوا العذر في إثباتها. فَمَن أثبتها جَعْلًا فهو صاحبُ عبادة، ومن أثبتها عقلا فهو مشرك، وإن كان مؤمنا. فما كلّ مؤمنٍ موحِّدٌ عن بصيرة شهوديّة أعطاه الله إيّاها.

وفيه عِلْمُ رتبة المباح من الشرائع، وما حَدُّوه به -من أنّه لا أجرَ فيه ولا وِزْر- حَدٌّ[4] صحيح،

١ ق: "المعيّن" وصححت في الهامش مع إشارة التصويب
٢ ق: "لصاحب" وما أثبتناه من هـ، س
٣ ص ١٠٨
٤ ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب

أم لا؟ وهل فيه حصول الأجر في فِعله وتركه؟ وما يُنظر إليه من أفعال الله؟ وممّا يحكم به في الله؟ فإنّه لا يماثلها إلّا الاختيار المنسوب إلى الله. فإن لم يثبت هنالك اختيارٌ على حدّ الاختيار؛ فلا يثبت هنا مباح على حدّ المباح؛ لأنّه ما[1] هو ثَمّ.

وفيه عِلْمُ ما يعلمه المخلوق، وأنّه محدود مقيّد لا يُنسب إليه الإطلاق في العلم به؛ فإنّ ذلك من خصائص الحقّ ﷻ.

وفيه عِلْمُ اختلاف الطبائع فيمن تركَّبَ منها؛ وبماذا اختلف مَن لا طبيعة له؟ ولولا حكم الاختلاف فيمن لا طبيعة له، ما ظهر الاختلاف في الطبيعة. كما أنّه لولا اختلافُ الطبيعة ما ظهر خلافٌ فيما تألَّف منها. وهو عِلْمٌ عجيب في المفرد العين والمفرد الحُكم. فبالقوابل ظهر الخلاف بالفعل، وهو في المفرد بالقوّة.

وفيه عِلْمُ حكمة توقُّف العالم بعضه على بعض فيما يستفاد منه، مع التمكن من ذلك دونه.

وفيه عِلْمُ رتبة مَن كثرت علومه ممن قَلَّتْ علومه، ومَن قلّت علومه عن كثرة، أو من قلّت لا عن كثرة. وإن كان الشرف عند بعضهم في قلّة العلم؛ فلماذا أمر الله ﷻ رسوله ﷺ أن يطلب الزيادة من العلم؛ والزيادة كثْرة؟ ومَن كان عِلمه من المعلومات، وإن كثرت أحديّة كلّ معلوم[2]، التي هي عينُ الدلالة على أحديّة الحقّ؛ فهو صاحبُ علم واحد، ولا أقلّ من الواحد في معلومات كثيرة. يحمل كلُّ معلوم أحديّة هي معلومة للعالِم بالله وحده. وما نبّه على هذه المسألة إلّا ابن السيّد البطليوسي؛ فإنّه قال فيما وقفنا عليه من كلامه: إنّ الإنسان كلّما علا قدره في العالم؛ قلّت علومه. وكلّما نزل عن هذه الرتبة الشريفة؛ اتّسعتْ علومه. وأعني العلم: بالأفعال. وأعني بالقلّة: العلم بالذات من طريق الشهود.

وكان رأيه في علم التوحيد (هو) رأي الفيثاغوريّين، وهم القوم الذين أثبتوا التوحيد بالعدد، وجعلوه دليلا على أحديّة الحقّ. وعلى ذلك جماعة من العقلاء.

١ ص ١٠٨ب
٢ ص ١٠٩

وفيه عِلْمُ العلم الثابت الذي لا يقبل الزوال في الدنيا والآخرة.

وفيه عِلْمُ نصب الأدلّة لمن لا يعرف الأمر إلّا بالنظر الفكريّ.

وفيه عِلْمُ ما لا يمكن أن يُنسب إلّا إلى الله؛ فإن نُسِب إلى غير الله دلّ -عند من يعرف ذلك العلم- على جهل مَن يَنسبه إلى غير الله، بالله.

وفيه عِلْمُ كون الموجودات كلّها نِعما إلهيّة أنعم الله بها، وعلم من هو الذي أنعم الله بها عليه. وهل هو هذا المنعَم عليه من جملة النِّعم[1]؛ فيكون عينُ النعمة عينَ المنعَم -اسم مفعول-؟ فاعلم ذلك.

وفيه عِلْمُ الموت في الحياة، والحياة في الموت. ومَن هو الحيُّ الذي لا يموت؟ والميّت الذي لا يحيا؟ ومَن يموت ويحيا؟ ومَن لا يموت ولا يحيا؟

وفيه عِلْمُ سبب وجود الإنكار في العالَم؛ ولماذا (=وإلى ماذا) يَستند من الحضرة الإلهيّة؟ وهل قوله لعبده عندما ينسب إليه ما ظهر عليه من الأمور التي نهي أن يعملها إنكارٌ إلهيّ عن نِسبة ذلك الفعل إلى الله؟ ولماذا سُمّي منكرا؛ وهو معروف، وقوله: الذين ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ وهو الأمر بما هو معلوم له ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[2] وهو أن يأمر بما ليس معلوما عنده من النكرة التي لا تتعرّف؟ ولِمَ[3] كان المنكر: فِعل ما أُمر بتركه، أو ترك ما أمر بفعله، ولا يوصف بأنّه أتى منكرا إلّا حتى يعلم أنّه مأمور به ذلك العمل أو منهيّ عنه؛ فصحّ له اسم المنكَر لما يحصل للعبد من الحيرة في ذلك، وعدم تخلُّصه إلى أحد الجانبين. فإن نَسبه إلى الحقّ في بعض الأمور، عارَضه الأدبُ أو الدليل الحِسّيّ- والعقليّ والسمعيّ؛ فيسلب عن ذلك العمل نعت المعرفة ويلحقه بالنكرة. ولِمَ[4] اختصّ المنكَر بالمذموم من الأفعال لا بالمحمود؟

وفيه[5] عِلْمُ ذمّ اللهِ المتكبّرَ، والكبرياءُ صفتُه، وقد عَلِم الله ﷺ أنّه لا يدخلُ قلبَ إنسانٍ الكبرُ على الله، ولكن يدخله الكبرُ على خلق الله؛ وهو الذي يُزال منه، وحينئذ يدخل الجنّة.

---

[1] ص ١٠٩ب
[2] [التوبة : ٧١]
[3] ق، س، ه: ولما
[4] ق، ه: ولما
[5] ص ١١٠

فإنّه «لا يدخل الجنّة مَن في قلبه مثقال حبّة مِن كِبر» على غير الله؛ حتى تُزال. وأمّا على الله فمحال؛ فإنّ الله قد طبع على القلوب. وإن ظهر من بعض الأشخاص صورة الكبرياء على أمر الله، وهو الذي جاءت به الوسائط؛ وهم الرسل -عليهم السلام- من الله، لا على الله. فإنّه يستحيل الكبرياء من المخلوق عليه؛ لأنّ الافتقار له ذاتيٌّ؛ ولا يمكن للإنسان أن يجهل ذاته.

وفيه عِلْمُ الحميل والكفالة، وانتقال الحقّ إلى الكفيل مِن الذي عليه الحقّ، وبراءة من انتقل الحقّ عنه منه.

وفيه عِلْمُ السبب الذي أوجب للإنسان أن يؤخذَ من مأْمَنِهِ.

وفيه عِلْمُ التسليم والتفويض.

وفيه عِلْمُ اختلاف أحوال الخلق عند الموت؛ ما سبب ذلك؟ ولماذا لم يُقبضوا على الفطرة كما ولدوا عليها؟ وما الذي أخرجهم عن الفطرة، أو أخرج بعضَهم؟ وما هي الفطرة؟ وهل[1] يصحّ الخروج عنها، أو لا يصحّ؟ ورحمة الله -تعالى- بخلقه، في أخذ العهد على الناس[2] لمّا أخذهم الله من ظهور آبائهم وأشهدهم على أنفسهم بربوبيّته عليهم، فقالوا: "بلى أنت ربّنا" ولم يُشهدهم بتوحيده، إبقاءً عليهم؛ لِعلمه أنّ فيهم مَن يشرك به إذا خرج إلى الدنيا، وتبرّيه من الشريك في العقبى يوم العرض الأكبر.

وفيه عِلْمُ المحاجّة يوم القيامة، والفرق بين الحجّة الداحضة والحجّة البالغة، وما هو الموطن الذي يقال فيه للإنسان: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[3]؟

وفيه عِلْمُ ما يجب على المبلِّغين عن الله -تعالى- من رسول ووارث؟

وفيه عِلْمُ ما يؤتى عن أمر الله، وما يُجتنَبُ؟ وأحكامهم في ذلك عن بيّنة وعن غير بيّنة.

وفيه عِلْمُ ما لا يمكن التبدُّل فيه عقلا، مع إمكان ذلك عقلا. وكيف يدخل النسخ في أدلّة

---

[1] ص ١١٠ب
[2] "على الناس" ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب
[3] [الأنبياء : ٢٣]

العقول؟ كما يدخل في أحكام الشرائع؟

وفيه عِلْمُ التحكّم على الله: هل يَسُوغُ ذلك لأحد من أهل[1] الله، من غير أمر الله[2]؟ أو لا يسوغ؟

وفيه عِلْمُ كيف[3] يوجِد اللهُ مَن يوجِده من العالم.

وفيه عِلْمُ: هل عين الاعتماد على الله في دفع المكروه والضرّاء؛ عين الاعتماد عليه في إبقاء النِّعَم على المنعَم عليه -اسم مفعول-؟ وعلى أيِّ اسم إلهيّ يكون كلّ اعتماد من هذين الاعتمادين؟

وفيه عِلْمُ صفة الشخص الذي ينبغي أن يُسأل في العلم الذي يعطي السعادةَ العاملَ به.

وفيه عِلْمُ السبب الذي يوجب الخوف، عند مَن أعطاه الله الأمان في الدار الدنيا، وارتفاع ذلك عنه في الدار الآخرة، واختلاف وجوه الأخذ الإلهيّ مع الأمان.

وفيه عِلْمُ تنقُّل الصور[4] الموجودة عن الأشخاص؛ تطلب وجهَ الله في تنقُّلها، وهي كالظِّلال مع الأشخاص الظاهرة عنه عند استقبال النور واستدباره، أو يكون عن يمينه ذلك النور أو شماله.

وفيه عِلْمُ نفي[5] أن يتّخذ الحقّ إلها في المجموع. وهل يتّخذ بغير المجموع؟ أو لا يصحّ أن يكون متّخذا؟ فإنّه إلهٌ لعينه، لا بالاتّخاذ، فاعلم ذلك.

وفيه[6] عِلْمُ ما لله من الدّين وما للعبد منه؟ ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾[7] والدّين الذي تدخله

١ ص ١١١
٢ "من غير أمر الله" ثابتة في الهامش، مع إشارة التصويب
٣ ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٤ ق: "الظلال" وعليها إشارة مسح، وفي الهامش بقلم الأصل: "الصور"
٥ ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٦ ص ١١١ب
٧ [الزمر : ٣]

المشقّة؛ هل هو لله؟ فإنّه يقول: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[1] وقال: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[2] وقال رسول الله ﷺ: «دينُ الله يسر» وقال: «بعثت بالحنيفيّة السمحة» كما قال (تعالى) أيضا: ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا﴾[3] وقال (ص): «من يُشادَّ هذا الدّين يغلِبْه» وقال (تعالى): ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[4] فإنّه ما كلّفها إلّا ما آتاها من القوّة عليه.

وفيه عِلْمُ ردِّ النِّعم إلى الله؛ ولماذا يغلب على الإنسان شهودُ الضرّاء، حتى تحول بينه وبين ما فيها من طعم النِّعم، حتى يضجر من البلاء؟ وهذا كان مقام عمر بن الخطاب ﷺ: يشاهد نِعَمَ البلاء في البلاء، فيجمع بين الصبر والشكر في الآن الواحد. وكان صاحبَ عملين.

وفيه عِلْمُ الاستدراج بالنِّعم.

وفيه عِلْمُ حكم مَن عامل الحقّ بجهله، وهو يظنّ في نفسه أنّه على علم في ذلك.

وفيه عِلْمُ التعزية.

وفيه[5] عِلْمُ صفة المفتي والفتيا، ومتى يفتي المفتي: هل بعد الاستفتاء؟ أو يفتي، وإن لم يُسْتَفْتَ؟ وهل يفتقر المفتي إلى إذْنِ الإمام له في ذلك، أم لا؟

وفيه عِلْمُ استخراج العلوم من النظر في الموجودات، وتفاصيله.

وفيه عِلْمُ أنواع الوحي وضروبه، وما يختصّ بالأولياء الأتباع من ذلك؟ وما لا يشارك فيه النبيُّ من الوحي؟

وفيه عِلْمُ الإحاطة بوجوه كلِّ معلوم؛ مَن هو ذلك العالم بها؟ وما صفته؟

وفيه عِلْمُ تفاضل الصفات؛ لماذا (=إلى ماذا) يرجع؟

١ [الحج : ٧٨]
٢ [البقرة : ١٨٥]
٣ [النحل : ٥٢]
٤ [البقرة : ٢٨٦]
٥ ص ١١٢

وفيه عِلْمُ الأرزاق الروحانيّة. وما هو الرزق الذي في تناوله حياة القلوب، من الرزق الذي فيه موت القلوب؟ فإنّه قد يكون الموت من الجوع، وقد يكون من الشبع والامتلاء. وما هو الرزق الذي يُشبَع منه؟ والرزق الذي لا يُشبع منه؟ والرزق الذي يتساوى فيه جميع العالم؟ والرزق الذي يخصّ بعض العالم دون بعض؟

وفيه عِلْمُ العلم بالرازق، وأنّه أحقُّ بالعبادة لافتقار المرزوق إلى[1] الرزق.

وفيه عِلْمُ التحرُّك والسكون، ومَن أحقُّ بالمقام: هل المتحرِّك، أو الساكن؟ وحكاية المتحرّك والساكن لَمّا تحاكما، في ذلك، إلى العالِم بذلك ذوقا، وما جرى لهما. وأنّ صاحبَ الرزق مَن يأكله، لا مَن يجمعه. وأخبر -تعالى- عن لقمان الحكيم فيما أوصى به لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾[2] ولم يقل: "يأتِ إليها".

وفيه عِلْمُ العدل وأداء الحقوق.

وفيه عِلْمُ النسيان بعد العلم، بحيث لا يدري أنّه عَلِم ما قد نسيَه أصلا.

وفيه عِلْمُ الاسم الإلهيّ "الواقي" واختلاف صوره في العالم؛ مثل اختلاف الاسم "الرزّاق".

وفيه عِلْمُ اختلاف الحال على المُشاهِد، في حال رؤيته.

وفيه عِلْمُ مَن يدعو الناس إلى ما هو عليه؛ متى يكون داعي حقّ؟

وفيه عِلْمُ الأوامر الإلهيّة.

وفيه عِلْمُ المحسن والإحسان.

وفيه[3] عِلْمُ الأنساب، وقول النبيّ ﷺ: «إنّ ربّكم واحد، وإنّ أباكم واحد، فلا فضل لعربيّ على أعجميّ ولا لأعجميّ على عربيّ إلّا بالتقوى»، فإنّ الله يقول: «اليوم أضع نَسَبكم وأرفعُ نسبي.

١ ص ١١٢ب
٢ [لقمان : ١٦]
٣ ص ١١٣

أين المتقون؟» وقال -تعالى-: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1] فهل هو المتقي مَن يكون وقاية لله؟ أو مَن يتّخذ الله وقاية؟ ولهذا رجال، ولهذا رجال.

وفيه عِلْمُ الإيلاء وأقسامه، وأحكامه في المُولي، وصورة الإيلاء؛ وما يكون لله من ذلك؟ وما يكون للعبد؟

وفيه عِلْمُ كون العالِم العامل في دنياه في جنّة معجَّلة في نفسه، وإن كان زريّ الحال؛ فنعيمُه في نفسه أعظمُ النعيم.

وفيه عِلْمُ المداخلة في القرآن؛ مع كونه محفوظا من عند الله. فلا يصحّ في القرآن تحريف ولا تبديل، كما وقع في غيره من الكتب المنزلة.

وفيه عِلْمُ النسخ؛ ما هو؟

وفيه عِلْمُ حكم مَن يخالف ظاهرُه باطنَه عن شهود.

وفيه عِلْمُ دَفْع الإنسان عن نفسه إعظاما لها؛ لما رأى من تعظيم الله حقّها في تحريم الجنّة على مَن قتل نفسَه. وإن كان قاتل[2] نفسِه لا يدخل جهنّم إلّا بنفسه الحيوانيّة؛ لأنّ جهنّم ليست موطنا للنفس الناطقة، ولو أشرفتْ عليها؛ طفي لهبها بلا شكّ؛ لأنّ نورها أعظم. فإنّ الذي قتل نفسَه عظُم جُرمُه؛ لحقّ الجوار الأقرب؛ وحال بذلك بينها وبين ملكها. وما سِوى نفسِه، فبعيدٌ عن هذا القرب الخاصّ الذي لنفسه.

وفيه عِلْمُ ما حُلّل وحُرّم: هل حرّم أو حلّل لنفسه، أو لأمور مخصوصة، وأحوال في المحرَّم والمحرَّم عليه؟ ولا محلّل ولا محرّم إلّا الله بلسان الشرع، لسان الرسول ﷺ، أو المجتهد من علماء الرسوم كالفقهاء.

وفيه عِلْمُ تغيّر الإقبال الإلهيّ لتغيّر الأحوال.

١ [الحجرات : ١٣]
٢ ص ١١٣ب

وفيه عِلْمُ إقامة العظيم مقام الجماعة.

وفيه عِلْمُ السياسات في المخاطَبات من العلماء والعارفين الدعاة إلى الله.

وفيه عِلْمُ الجزاء بالمماثل؛ في أيّ نوع كان؟ وفيما يُحمد من ذلك كلّه؟ وفيما يُذمّ؟

وفيه عِلْمُ المعيّة الإلهيّة.

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[1].

---

١ [الأحزاب : ٤]

الباب[1] التاسع والستّون وثلاثمائة
في معرفة منزل مفاتيح خزائن الجود

قُلْتُ لَمّا أَنْ قالَ قَوْمِي بِأَنِّي ... قُلْتُ ما قُلْتُ والكئوسُ تُدارُ

مَنْ مُدِيرُ الكُئُوسِ؟ قُلْتُ: حَبِيْبِي ... وَهْوَ شُرْبِي الذِي عَلَيْهِ المَدارُ

ثُمَّ قالوا: فَمَا يَقُولُ حَبِيْبٌ ... فِي إِلَهٍ لَهُ القُلُوبُ تُغارُ

ولِسانُ الكَرِيْمِ يُعْطِيكَ مَالًا ... ثُمَّ يَأْتِيْكَ سائِلًا فتحارُ

كَرَمًا مِنْهُ وامْتِنانًا وفَضْلًا ... وَلَكَ الحُكْمُ بَعْدَ ذا والخِيارُ

إِنْ تَشَأْ قُلْتَ أَنْتَ مالِكُ هَذا ... أَوْ تَشَأْ ضِدَّهُ فَلَيْسَ يَغارُ

كُلُّ هَذا أَباحَهُ لَكَ فَضْلًا ... حَكَمَ الجَبْرُ فِيْهِ والاضْطِرارُ

اعلم[2] -أيّدنا الله وإيّاك- أنّه ما من شيء أوجد اللهُ في العالم الذي لا أُكمل منه في الإمكان، إلّا وله أمثال في خزائن الجود، وهذه الخزائن في كرسيّه. وهذه الأمثال، التي تحوي عليها هذه الخزائن، لا تنتهي أشخاصُها. فالأمثال، من كلّ شيء، توجَد في كلّ زمان فرد؛ في الدنيا والآخرة؛ لبقاء كلّ نوعٍ، وُجِد منه ما وُجِد. واختلف أصحابنا في هذا النوع الإنسانيّ؛ هل تنقطع أشخاصه بانتهاء مدّة الدنيا، أم لا؟ فمن لم يكشف قال بانتهائه، ومن كشف قال بعدم انتهائه.

وإنّ التوالد في الآخرة في هذا النوع الإنسانيّ باقٍ في المِثل، في نكاح الرجل المرأة الآدميّة الإنسانيّة على صورةٍ أذكُرها، والتوالد أيضا بين جنسينِ مختلفين؛ وهما بنو آدم والحور اللّاتي أنشأهنّ الله في الجِنان على صورة الإنسان، ولسن[3] بأناسيَّ؛ فتوالدهما بنكاح بينهما في الإنس والحور، ويتناكحان في الزمن الفرد: ينكح الرجلُ إذا أراد جميع من عنده من النساء والحور من

---

١ ص ١١٤

٢ ص ١١٤ب

٣ ق: "وليسوا" وصححت في الهامش بقلم الأصل

غير تقدُّم ولا تأخُّر، مثل فاكهة الجنّة ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾[1] بل بقطفٍ دانٍ من غير فَقْدٍ، مع وجود أكلٍ وطِيب طعم.

فإذا أفضى الرجل إلى الحوراء أو الإنسيّة، له في كلّ دفعةٍ شهوةٌ ولذّةٌ لا يُقْدَرُ قَدْرُها، لو وجدها في الدنيا غشي عليه من شدّة حلاوتها. فتكون[2] منه في كلّ دفعة ريحٌ مثيرة تخرج من ذَكَرِه، فيتلقّاها رَحِمُ المرأة، فيتكوّن من حينه فيها ولدٌ في كلّ دفعة، ويكمل نَشْؤُه ما بين الدفعتين، ويخرج مولودا مصوَّرا مع النفَس الخارج من المرأة؛ روحا مجرّدا طبيعيّا. فهذا هو التوالد الروحانيّ في البشريّ بين الجنسين المختلفَين والمتماثلين. فلا يزال الأمر كذلك دائما أبدا. ويشاهِد الأبوان[3] ما تولّد عنهما من ذلك النكاح، وهم كالملائكة الذين يدخلون البيت المعمور ولا يعودون إليه أبدا. هذا صورة توالُد هذا النوع الإنسانيّ.

ولا حَظَّ لهؤلاء الأولاد في النعيم المحسوس، ولا بلغوا مقام النعيم المعنويّ. فنعيمهم برزخيّ كنعيم صاحب الرؤيا بما يراه في حال نومه، وذلك لما يقتضيه النشء الطبيعيّ. فلا يزال النوع الإنسانيّ يتوالد، ولكن حكمه ما ذكرناه.

وأمّا توالد الأرواح البشريّة؛ فإنّ لهما في الآخرة مِثل ما لهما في الدنيا اجتماعات برزخيّات، مثل ما يرى النائم في النوم أنّه ينكح زوجته ويولَد له. فإذا أقيم العبد في هذا المقام، سَواء كان في الدنيا أو في الآخرة، ونكح الرجلُ من حيث روحه، زوجتَهُ من حيث روحها؛ يتولّد بينهما من ذلك النكاح أولادٌ روحانيّون، ما يكون حكمهم حكم المولَّدين من النكاح الحسّيّ-[4] في الأجسام والصور المحسوسات التي تقدّم ذِكْرُها. فيخرج الأولاد ملائكة كراما؛ لا بل أرواحا مطهَّرة. وهذا هو توالد الأرواح، ولكن لا بدّ أن يكون ذلك عن تجلٍّ برزخيّ. فتجلّي الحقّ في الصور المقيّدة؛ فإنّ البرزخ أوسع الحضرات جودا. وهو مجمع البحرين: بحر المعاني وبحر

---

١ [الواقعة : ٣٣]
٢ ص ١١٥
٣ كتب مقابلها في الهامش بقلم آخر: "الآباء" مع إشارة التصويب، وحرف خ
٤ ص ١١٥ب

المحسوسات. فالمحسوس لا يكون معنى، والمعنى لا يكون محسوسا. وحضرة الخيال -التي عبّرنا عنه بمجمع البحرين- هو يجسّد المعاني، ويلطّف المحسوس، ويقلب في عينِ الناظر عينَ كلِّ معلوم. فهو الحاكِمُ المتحكّم الذي يَحْكُم ولا يُحْكَم عليه، مع كونه مخلوقا.

إلّا أنّ الأنفاس التي تظهر مِن تنفُّس الحوراء أو الآدميّة، إذا كانت صورة ما ظهرت فيه من نفَس النكاح، يخرج مخالفا للنفَس الذي لا صورة فيه؛ يميّزه أهل الكشف، ولا يدرك ذلك في الآخرة إلّا أهل الكشف في الدنيا. وصورةُ هذا النشء المتولّد عن هذا النكاح في الجنّة (هي) صورةُ نشء الملائكة أو الصور من أنفاس الذاكرين الله، وما يخلق الله من صور الأعمال. وقد صحّتْ الأخبار بذلك عن رسول الله ﷺ.

وإنما جعلنا الكرسيَّ موضع هذه الخزائن؛ لأنّ الكرسيّ، لغةً، عبارةٌ عن "العلم" كما قال: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ[1] السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾[2] أي عِلمه. وكذلك هو هنا. فإنّ الخزائن فيها أشخاص الأنواع، وهذه الأشخاص لا تتناهى، وما لا يتناهى لا يدخل في الوجود؛ إذ كلّ ما يحصره الوجود فإنّه متناه. فلا بدّ أن يكون الكرسيّ هنا عِلمَه؛ فإنّ عِلمَه محيط بما لا يتناهى. فلا تتخيّل في الكرسيّ الذي ذكرناه أنّه هذا الكرسيّ الذي فوق السماوات ودون العرش؛ فإنّه كرسيّ محصور، موجود، متناهي الأجزاء.

واعلم أنّ أفضلَ ما جاد به الله -تعالى- على عباده: العلمُ. فمن أعطاه الله العلم، فقد منحه أشرف الصفات وأعظم الهبات. والعلمُ، وإن كان شريفا بالذات، فإنّ له شرفا آخر يرجع إليه من معلومه؛ فإنّها صفةٌ عامّة التعلّق، وتَشْرُف المفاتيح بشرف الخزائن، وتشرف الخزائن بقدر شرف ما اختُزن فيها. فالموجود الحقُّ أعظمُ الموجودات، وأجلُّها، وأشرفها. فالعلم به أشرفُ العلوم، وأعظمُها وأجلُّها[3]. ثمّ ينزل الأمر في الشرف إلى آخر معلوم. وما من شيء إلّا والعلم به أحسن من الجهل به. فالعلم شرفه ذاتيٌّ له، والشرف الآخر مكتسَب.

---

١ ص ١١٦
٢ [البقرة : ٢٥٥]
٣ "وأشرفها.. وأجلّها" ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب

والخزائن محصورة بانحصار أنواع المعلومات. ومرجِعها -وإن كثرت- إلى خزانتين: خزانة العلم بالله، وخزانة العلم بالعالَم. وفي كلّ خزانة من هاتين الخزانتين خزائن. كالعلم بالله من[1] حيث ذاته بالإدراك العقليّ، ومن حيث ذاته بالإدراك الشرعيّ[2] السمعيّ، والعلم به من حيث أسمائه، والعلم به من حيث نعوته، والعلم به من حيث صفاته، والعلم به من حيث النِّسب إليه. وكلّ ذلك من حيث النظر الفكريّ ومن حيث السمع. وهو من حيث السمع كما هو من حيث الكشف[3].

والخزانة الأخرى، التي هي العلم بالعالَم، تحوي على خزائن، وفي كلّ خزانة خزائن. فالخزائن الأُوَل: العلمُ بأعيان العالَم من حيث إمكانه، ومن حيث وجوبه، ومن حيث ذواته القائمة بأنفسها، ومن حيث أكْوانه، ومن حيث ألوانه، ومن حيث مراتبه، ومن حيث مكانه، وزمانه، ونسبه، وعدده، ووضعه، وتأثيره، وكونه مؤثَّرا فيه؛ منه ومن غيره، إلى أمثال هذا من العلوم. وعلم الدنيا، والبرزخ، والآخرة، والملأ الأعلى والأدنى.

فأوّل مفتاح من هذه الخزائن أعطاه العالِمَ بالله مفتاحُ خزانة العلم بالوجود مطلقا، من غير تقييد بحادث ولا قديم، وبماذا تميّز: هل بنفسه؟ أو بغيره[4]، وهو العدم؟. فالوجود: ظهور الموجود في عينه، فإنّ به تظهر جميع الأحكام: من نفي وإثبات، ووجوب وإمكان وإحالة، ووجود وعدم، ولا وجود ولا عدم. هذا كلّه لا يثبت ولا[5] يصحّ إلّا من موجود يكون عينه وماهيّته وُجُودَه، لا يقبل التكثّر إلّا بحكمه عليه. فإنّ الحقائق تبرز إليه فيه لوجوده: فنقول بالكثرة في عينه؛ وهو واحدٌ، ولكلّ حقيقة اسمٌ؛ فله أسماء.

تَجسَّدْتُ أَسْمَائِي فَكُنْتُ كَثِيرا ... وَلَمْ يَرَنِي غَيْرٌ فَكُنْتُ بَصِيرا
فَيا قائِلًا بِالغَيْرِ أَيْنَ وُجُودُهُ ... فَإنَّ بِكَوْنِ الغَيْرِ كُنْت غَيُورا

[1] ص ١١٦ب
[2] ثابتة في الهامش بقلم آخر
[3] ق: "الكيف" وصححت في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب
[4] كتب مقابلها في الهامش بقلم آخر: "بضده" مع إشارة التصويب
[5] ص ١١٧

تعالَى عَلَى مَنْ أَوْ يَعِزّ فَلَيْسَ ثَمّ ... فَبِالحَقِّ كَانَ الحَقُّ فِيْهِ غَفُورا
فَـوَاللهِ لَـوْلا اللهُ مَـا كَانَ كَوْنُـهُ ... غَنِيًّـا وَلا كَانَ الغَـنِيُّ فَقِـيرا
بِمَنْ أَوْ إِلَى مَنْ عَلَّقَ الفَقْرَ والغِنَى ... فَسَلْ، بِالَّذِي قَامَ الوُجُودُ، خَبِيرا

فإذا كان الوجودُ أوّلَ خزائن الجود، وأعطاك الحقُّ مفتاح هذه الخزانة، كالذي كان عرّفك بك فعرفته: فأنت أوّلُ معلوم، وهو آخر معلوم. وأنت آخر موجود، وهو أوّل[1] موجود. فإنّه ليس في قوّتك أن تعلم المعدوم؛ لأنّ العلم شُهود، وإن لم يكن كذلك؛ فليس بعلم. هذا هو الحق الذي ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[2].

فأوْجدَ مِن كلّ خزانة عينا قائمة، أوْ عينا في عين، أوْ لا عينًا في عينٍ. وأعني بقولي: "لا عينَ في عينٍ" النِّسب؛ فإنّه ليست لها أعيان، وحكمها يحكم[3] على الوجود. لأعيان بها، ولا وجود لها، إلّا بالحكم.

فلمّا أوجد ما ذكرناه عَمَدَ إليك فأوجدك كاملا لانتهاء[4] طرفي الدائرة؛ فظهرتَ في وجودك -وإن كنت آخِرا- بصورة الأوّل. فانحصر العالم بينك وبينه، فلا مخلص له منكما؛ فلم تتميّز عنه، ولا تميّز عنك في الحكم. وظَهَرتْ فيكَ صُوَرُ العالم كلّها التي أخرجها من تلك الخزائن؛ فشاهدتها[5]؛ لحصل لك العلم بها. فعلمتَ مِن العالَم ما لم يعلم العالَم من نفسه من الحكم[6] فردا فردا، وقال لك: كلّ ما بقي في الخزائن، مما لا يتناهى، فهو مِثْلُ ما علمتَ. فمن أحاط علما بواحد من الجنس، فقد أحاط علما بالجنس؛ فإنّه ما ثَمّ إلّا أمثال.

فما التقى طرفا الدائرة؛ حتى حدث المحيط. ودلّ المحيط على نقطة الدائرة، فحدثت الخطوط

[1] ص ١١٧ب
[2] [البقرة : ٢]
[3] كتب في الهامش بقلم آخر: "محكوم" مع "صح" وحرف خ
[4] كتب في الهامش بقلم آخر: "الالتقاء" مع "صح" وحرف خ
[5] ق: "فشاهدتك" وصححت في الهامش
[6] "من الحكم" ثابتة في الهامش

من النقطة إلى المحيط، ولم تتجاوزه. فإنّ انتهاء الخطّ إنما يكون[1] إلى نقطة من المحيط، فانتهى إلى ما منه خرج. فصورةُ أوّليّته عينُ صورة آخريّته. فيصير -مِن حُكم نقطة آخره الذي انتهى إليها من المحيط من كذا، إلى محيط آخر- نصفه من داخل المحيط الأوّل، ونصفه من خارجه؛ لحكم الظاهر والباطن. ويلتقي طرفاه، أيضا، كالتقاء المحيط الأوّل، حتى يكون على صورته؛ لأنّه من المحال أن يخرج على غير صورته. ثمّ يظهر من الحكم في المحيط ما ظهر في المحيط الأوّل إلى ما لا يتناهى؛ وهو ما يبرز من تلك الخزائن، الذي لا يتناهى ما تحوي عليه، وهو الخلق الجديد، الذي الكون فيه دائما أبدا. وبعض الناس، أو أكثر الناس، في لَبْسٍ من ذلك كما قال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[2] مع الأنفاس، ولكن بصورة ما ذكرناه.

فالنقطة سببٌ في وجود المحيط. والمحيط سببٌ في حصول العلم بالنقطة. فالمحيط حقٌّ وخلقٌ. والنقطة حقّ وخلق. فهذان حكمان يسريان في كلّ دائرة ظهرت من الدائرة الأُولَى. ولمّا ظهرت الدوائر، بالغا ما بلغَتْ، ولا تزال تظهر؛ صارت الدائرة الأُولَى التي أحدثت هذه الدوائر خفيّة، لا تُعرف ولا تُدرك. لأنّ كلّ دائرة قَرُبَتْ منها أو بَعُدَتْ عنها، فهي على صورتها. فكلّ دائرة يقال فيها: تَشهدها، ما تَشهدها. فهذا[3] هو غيبٌ في شهادة.

فالدوائر الظاهرة في الدائرة الأُولَى، عددها مساوٍ لعدد خزائن الأجناس، كانت ما كانت، لا يُزاد فيها ولا ينقص منها. وما يخرج ويحدث عنها، من الدوائر إلى ما لا يتناهى، دوائرُ أشخاص تلك الأجناس، إلى ما لا يتناهى. وتدلّ عين دائرة الشخص على أمر يسمّى نوعا، وهو ما بين الجنس والشخص، فيحدث عندك أنواع في أنواع، ولكن منحصرة ولا تُعرف إلّا من الأشخاص. لأنّ النوع معقول بين الجنس الأعمّ والشخص. وكلّ متوسّط بين طرفين، إن شئت قلت: إنّ الطرفين أظهرا له حكم التوسّط، وإن شئت قلت: إنّ التوسّط أظهرَ حُكم الطرفين. وهذا عين معرفة الحقّ بالخلق، والخلق بالحقّ.

---

[1] ص ١١٨
[2] [ق : ١٥]
[3] ص ١١٨ب

فَلَوْلا شُهُودُ الخَلْقِ بِالحَقِّ لَمْ يَكُنْ	وَلَوْلا شُهُودُ الحَقِّ بِالخَلْقِ لَمْ تَكُنْ
فَمَنْ قالَ: "كُنْ" فَهْوَ الذِي قَدْ شَهِدْتُهُ	وَما ثَمَّ إلَّا مَنْ يَقُولُ[1] بِقَوْلِ "كُنْ"
فَمَنْ عِلْمُهُ بِالخَلْقِ يَعْرِفُ حَقَّهُ	وَمَنْ عِلْمُهُ بِالحَقِّ كانَ وَلَمْ يَكُنْ

فالمحيط يحفظ النقطة علما، والنقطة تحفظ المحيط وجودا[2]. فكلّ واحد منهما حافظ محفوظ، ولاحِظٌ ملحوظ. قال تعالى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾[3]. فالكلّ مشهود وشاهد، والكلّ فاضل ومفضول. فإن قال أحدهما: أنا. قال الآخَر: أنا. وإن قال أحدهما: أنت. قال الآخر له: أنت. فلا يظهر كلٌّ واحد للآخر إلّا بما يبدأ به كلٌّ واحد، والقولان صحيحان.

فَيَا حَقِّي وَ يا خَلْقِي	لِمَنْ تُفْنِي لِمَنْ تُبْقِي
شَرِبْتُ شَرْبَةً مِنْهُ	وَقَدْ غُصَّ بِها حَلْقِي
وَمَا ثَمَّ سِوَى عَيْنٍ	فَمَنْ يَقْبَلُ ما تُلْقِي
فَقالَ لِي الَّذِي أَعْنِي	إذَا ما قُلْت فَاسْتَبْقِ
فَإنّ الأَمْرَ مَحْصُورٌ	بَيْنَ الخَلْقِ والحَقِّ
وَلَوْلا ذَاكَ ما كُنَّا	فَأَخْفِ الأَمْرَ فِي الحُقِّ

فأنت -يا وليّ- الذِّكْرُ المنزل، فأنت المحفوظ. وما نزل إلّا بك، فأنت الحافظ. فلا تُفْنِ عينَك، فإنّه في نفس الأمر ما يفنى. وغايتك أن تقول: أنا هو. فمدلول "هو" ما هو مدلول "أنا". فما يتخلّص لك ما ترومه أبدا. وإذا عزّ عن التخلّص فقل: "به" وقل: "بك" وتميّز عنه، وميّزه عنك: تميُّز الأوّل عن الآخر، والآخر عن الأوّل. وتميَّز عن العالَم، وميّزه عنك تميُّز[4] الظاهر من الباطن، والباطن من الظاهر. فإنّك -مِن العالَم- روحُ العالَم، والعالَم صورتك الظاهرة. ولا معنى للصورة بلا روح. فلا معنى للعالَم دونك. فإذا مَيَّزتَ عينَك من[5] الحقّ ومن العالَم؛ عرفتَ قدرَك بمعرفة الحقّ، وعرفتَ منزلتَك بمعرفة العالَم.

---

[1] كتب فوقها مباشرة بقلم الأصل: يكون
[2] ص ١١٩
[3] [البروج : ٣]
[4] "الأول عن.. تميز" ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب
[5] ص ١١٩ب

فَكُنْتَ لِذا رَبًّا وكُنْتَ لِذا عَبْدَا　　وأَنْزَلْتَ عَهْدًا مِثْلَ ما أَنْزَلَ العَهْدَا
فَإِنْ كُنْتَ ذا لُبٍّ وغَوْصٍ وفِطْنَةٍ　　فَلا تَلْتَزِمْ ذَمًّا وَلا تَلْتَزِمْ حَمْدَا
وَلا تَفْعَلَنْ شَيْئًا إذا ما فَعَلْتَهُ　　بِسَهْوٍ وحَرَّزْ[1] عِنْدَ فعْلَتِكَ القَصْدَا
فَما أَنْتَ ذَاكَ الشَّخْص إن كانَ سَهْوُكُمْ　　يُغَالِبُكُمْ فَاعْمَدْ إلَى تَرْكِهِ عَمْدَا

فهذا الذي أنبأتك به مفتاحٌ من مفاتح خزائن الجود؛ فلا تضيّعه؛ فإنّه يعمل عمل كلّ مفتاح، ولا يعمل مفتاحٌ عملَه. فبه يُفتح كلُّ مغلَق، ولا يُفتح بغيره ما غلَّقه هذا المفتاح. و﴿مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾[2]؛ فلا تُعلم إلّا منه؛ فلا تطمع أن تصل إلى علمها بك. ومَن طمع في غير مطمع، فقد شهِد على نفسه بالجهل. ولله المثل الأعلى في السماوات والأرض. وما ثَمّ إلّا سماء وأرض، وله المَثل؛ فله صورةٌ في كلّ سماء[3] وأرض ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾[4]، ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ﴾[5] من كونه في الأرض ﴿وَجَهْرَكُمْ﴾ من كونه في السماء. ومن حيث النشأةِ يعلم سِرَّكم من كونه في السماء؛ وهو معناكم الذي خفي عن الأبصار عينُه، وظهر حُكمُه. وله العلوّ فهو السماء، وهو الباطن. ويعلم أيضا جهرَكم من كونه في الأرض؛ وهو ظاهركم الذي ظهر للأبصار عينُه، وخفي حُكمه؛ لأنّ حكمه في روحه. فإنّه الذي تفيده العلوم بحواسّه، فله النزول، فهو الأرض، فهو الظاهر.

فَقَدْ بانَ أَنَّ الحَقَّ بِالحَقِّ يَنْطِقُ　　وَأَنَّ الذِي قُلْناهُ أَمْرٌ مُحَقَّقُ
فَلَا تَعْدِلَنْ إنْ كُنْتَ لِلحَقِّ طالِبًا　　فَعَكْسُ الذِي قُلناهُ لَفْظٌ مُلَفَّقُ

فيقول العبد الكامل الذي لا أكمل منه: «لي وقت لا يسعني فيه غيرُ ربّي» ويقول الأصل: "لي وقت لا يسعني فيه غير نفسي". فإنّ الأوقاتَ كلّها استغرقها العالم في الجانبين. ولهذا كان الإنسانُ الكامل خليفةً له -تعالى-؛ فلهذا سبق عِلمُه بنفسه على علمِه بربّه، وبهذا جاء الخبر:

١ كتب فوقها: "وحقّق"
٢ [الأنعام : ٥٩]
٣ ص ١٢٠
٤ [الزخرف : ٨٤]
٥ [الأنعام : ٣]

«مَن عَرَف نفسَه عَرَف ربَّه» فإنّ مَن استخلفه عَلِمَ[1] العالَمَ مِن عِلمه بنفسِه، والخليفة على صورة مَن استخلفه، فعلِم ربّه مِن عِلْمِهِ بنفسه، وعلِم أنّ كلّ مَن اتّصف بالوجود فهو متناهٍ، أي كلّ ما دخل في الوجود.

وبقيت الحَيرة في العلم بالله من كونه موجودا؛ هل يتّصف بالتناهي لكونه موجودا؟ أو لا يتّصف بالتناهي؟ فإن أرادوا بالتناهي كون عين الموجود موصوفا بالوجود؛ فهو متناهٍ، كما هو كلّ موجودٍ وإنّ عينه موجودة. وإن أرادوا بالتناهي انتهاء مدّة وجوده ثمّ ينقطع، فهذا لا يصحّ عقلا في الحقّ؛ لأنّه واجب الوجود لذاته. فلا يقبل التناهي وُجودُه، ولأنّ بقاءه ليس بمرور المُدَدُ عليه المتوهّمة؛ فهو محال من وجهين، تناهيه. وكذلك في أهل الآخرة أعني في أعيانهم، وفي الدار الآخرة سمعا؛ لا يتناهى بقاؤهم في الآخرة، ولا استمرار المُدد عليهم. فنِسبة البقاء إلى الله تخالف نِسبة البقاء للعالَم؛ فالإطلاقُ في العِلْمِ، والحصرُ في الوجود.

كُلُّ ما فِي الكَوْنِ مَحْصُور　　والذِي فِي العِلْمِ مُطْلَقْ
فَتَدَبَّرْ قَوْلَ حَبْرٍ　　بِوُجُودِهِ تَحَقَّقْ
إنّ عِلْمِي بِوُجُودِي　　مِنْ وُجُودِ الحَقِّ أَسْبَقْ
فَإذا عَلِمْتُ كَوْنِي　　جاءَ عِلْمُ اللهِ يَلْحَقْ

ولَمّا كان العالَم لا بقاء له إلّا بالله، وكان النعتُ الإلهيّ لا[2] بقاء له إلّا بالعالَم، كان كلٌّ واحد رزقا للآخر؛ به يتغذّى لبقاء وجوده، محكوما عليه بأنّه كذا.

فَنَحْنُ لَهُ رِزْقٌ تَغَذَّى بِكَوْنِنا[3]　　كَمَا أَنّهُ رِزْقُ الكِيانِ بِلا شَكِّ
فَيَحْفَظُنا كَوْنًا ونَحْفَظُ كَوْنَهُ　　إلَهًا وَهذا القَوْلُ ما فِيْهِ مِنْ إفْكِ
فَلا غَرْوَ أَنّ الكَوْنَ فِي كُلِّ حالَةٍ　　يُقِرُّ لِمُلْكِ المُلْكِ بِالرِّقِّ والمِلْكِ

فالوجود الحادث والقديم مربوط بعضه ببعضه، ربطَ الإضافة والحُكم، لا ربطَ وجود العين.

١ ص ١٢٠ب
٢ ص ١٢١
٣ "تغذى بكوننا" كتب مقابلها في الهامش بقلم الأصل: "يغذيه كوننا"

فالإنسان، مثلا، موجود العين من حيث ما هو إنسان، وفي حال وجوده معدوم[1] الأبوّة إذا لم يكن له ابنٌ يعطيه وُجودُه -أو تقدير وجودِه- نعتَ الأبوّة. وكذلك، أيضا، هو معدوم[2] نعت المالك، ما لم يكن له مِلك يملكه، به يقال: إنّه مالِك. وكذلك المِلك، وإن كان موجودَ العين، لا يقال فيه: مِلك، حتى يكون له مالِكٌ يملكه.

فالله، من حيث ذاته ووجوده، غنيّ عن العالمين. ومن كونه ربًا، يطلب المربوب، بلا شكّ. فهو من حيث العين لا يطلب، ومن حيث الربوبيّة يطلب المربوب وجودا[3] وتقديرا. وقد ذكرنا أنّ كلَّ حُكم في العالم لا بدّ أن يستند إلى نعت إلهيّ، إلّا النعت الذاتيّ الذي يستحقّه الحقّ لذاته، وبه كان غنيّا. والنعت الذاتيّ الذي للعالَم بالاستحقاق، وبه كان فقيرا، بل عبدا فإنّه أحقّ مِن نعت الفقر، وإن كان الفقر والذلّة على السّواء. ولهذا قال الحقّ لأبي يزيد: "تقرّب إليّ بما ليس لي: الذلّة والافتقار".

والقادر على الشيء، والانفعال الذاتيّ عن الشيء؛ لا يتّصف ذلك القادرُ، ولا الذي عنه انفعل ما انفعل؛ بالافتقار. بخلاف المنفعل؛ فإنّه موصوف بالذلّة والافتقار. فتميّز الحقّ من الخلق بهذا، وإن كان الخلق بالحقّ، والحقّ بالخلق مرتبطا بوجه. فالأمر كما قرّرناه، وهذا المنزل قد حواه.

فيقول القائل: فلماذا (=فإلى ماذا) يستند الحكم بالهوى وهو موجود في الكون والحقّ لا يحكم بالهوى؛ فالأهواء ما مستندها؟ قلنا: إن تفطّنتَ لقول الله -تعالى-: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾[4] فلم يصف نفسه بالتحجير عليه في حكمه، والكون موصوف بالتحجير. فيتوجّه عليه الخطاب بأنّه لا يحكم بكلّ ما يريد؛ بل بما شرع له. ثمّ إنّه لمّا قيل: ﴿احْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى﴾[5] أي لا تحكم بكلّ ما يخطر لك، ولا بما يهوى كلُّ أحد منك؛ بل احكم بما أوحي به

١ ق: "معلوم" وصححت في الهامش بقلم الأصل
٢ ق: "معلوم" وصححت في الهامش بقلم الأصل
٣ ص ١٢١ب
٤ [هود : ١٠٧]
٥ [ص : ٢٦]

إليك؛ فإنّ الله -تعالى- قال[1] جبرا لقلب خلفائه: ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ﴾[2] أي إذ وتفعل ما تريد. فليكن حكمك في الأمم يوم القيامة بما شرعتَ لهم، وبعثتنا به إليهم؛ فإنّ ذلك مما يراد؛ فإنّك ما أرسلتنا إلّا بما تريد؛ حتى يثبت صدقنا عندهم، وتقوم الحجّة عليهم إذا حكم الحقّ في كلّ أمّة بما أُرسل به نبيّه إليهم؛ وبهذا تكون لله الحجّة البالغة.

فدلّ التحجير على الخلق في الأهواء؛ أنّ لهم الإطلاق بما هم في نفوسهم، ثمّ حدث التحجير في الحكم والتحكّم. كما أنّه ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ ثم إنّه ما حكم إلّا بما شرع، وأمر عبده أن يسأله - تعالى- في ذلك حتى يكون حكمه فيه عن سؤال عبده، كما كان حكم العبد بما قيّده من الشرع عن أمر ربّه بذلك. فليست الأهواء إلّا مطلَق الإرادات. فقد علمتَ لماذا (=إلى ماذا) استندت الأهواء، واستند التحجير؟

ثمّ لتعلم أنّ الهوى، وإن كان مطلقا، فلا يقع له حكم إلّا مقيّدا. فإنّه من حيث القابل يكون الأثر، فالقابل لا بدّ أن يقيّده. فإنّه، بالهوى، قد يريد القيام والقعود من العين الواحدة التي تقبلها على البدل، في حال وجود كلّ واحد منها في تلك العين، والقابل لا يقبل ذلك؛ فصار الهوى محجورا عليه بالقابل. فلمّا قبل (الهوى) التحجير بالقابل، علمنا أنّ هذا القبول له قبول ذاتيٌّ؛ فحجر الشرع عليه[3]؛ فقبِل. وظهر حكم القابل في الهوى ظهورَه في مطلق الإرادة فيمن اتّصف بها.

فلمّا خلق الله النفس الناطقة أو الخليفة، قل ما شئتَ، خلق فيه قوى روحانيّة معنويّة نِسبيّة معقولة، وإن كانت هذه القوى عينَ مَن اتّصف بها؛ كالأسماء، والصفات الإلهيّة التي مرجعها وكثرتها إلى نِسبٍ، في عين واحدة لا تقبل الكثرة في عينها، ولا العدد الوجوديّ العينيّ. فكان من القوى التي خلقها في هذا الخليفة -بل في الإنسان الكامل والحيوان، وهو مطلق

١ ص ١٢٢
٢ [الأنبياء : ١١٢]
٣ ص ١٢٢ب

الإنسان- قوّة تسمّى الوهم، وقوّة تسمّى العقل، وقوّة تسمّى الفكر. وميّز الحضرات الثلاث[1] لهذا الخليفة، وولّاه عليها (وهي): حضرة المحسوسات، وحضرة المعاني المجرّدة في نفسها عن المواد -وإن لم يظهر بعضها إلّا في المواد- وحضرة الخيال.

وجعل الخيال حضرةً متوسّطة بين طرفي الحسّ والمعنى، وهو خزانة الجبايات التي تجبيها الحواسّ، وجعل فيه قوّة مصوِّرة تحت حكم العقل والوهم؛ يتصرّف فيها العقلُ بالأمر، وكذلك الوهمُ، أيضا، يتصرّف فيها بالأمر. وقوّى في هذه النشأة سلطانَ الوهم على العقل؛ فلم يجعل في قوّة العقل أن يُدرِك أمرا من الأمور التي ليس من شأنها أن تكون عين موادّ، أو تكون[2] لا تُعقل من جهة مّا إلّا في غير مادّة؛ كالصفات المنسوبة إلى الله المنزّه عن أن يكون مادّة، أو في مادّة. فعِلمه المنسوب إليه ما هو مادّة، ولا يُنسب إلى مادّة. فلم يكن في قوّة العقل، مع علمه بهذا، إذا خاض فيه أن يقبله إلّا بتصوُّر، وهذا التصوّر من حكم الوهم عليه، لا من حكمه.

فالحسّ يرفع إلى الخيال ما يدركه، وتركِّب القوّة المصوّرة في الخيال ما شاءته، مما لا وجود له في الحسّ من حيث جملته، لكن من حيث أجزاء تلك الجملة. فإن كانت القوّة المصوّرة قد صوّرت ذلك عن أمر العقل بقوّة الفكر؛ فذلك لطلبه العلم بأمر مّا، والعلم مقيّد بلا شكّ. وإن كان ما صوّرته المصوّرة عن أمر الوهم، لا من حيث ما تصرّف به العقل من حكم الوهم، بل من الوهم نفسه؛ فإنّ تلك الصورة لا تبقى؛ فإنّ الوهم سريع الزوال لإطلاقه، بخلاف العقل؛ فإنّه مقيّد محبوس بما استفاده.

ولمّا كان الغالبُ على الخلق حُكم الأوهام؛ لسلطنة الوهم على العقل؛ فإنّه أثّر فيه أنّه لا يقبل معنى -يعلم قطعا أنّه ليس بمادّة ولا في مادّة- إلّا بتصوُّر، وذلك التصوّر ليس غير الصورة التي لا يحكم بها إلّا الوهم. فصار العقل مقيّدا بالوهم -بلا شكّ- فيما هو به عالِمٌ بالنظر. وأمّا[3] علمه الضروريّ فليس للوهم عليه سلطان، وبه يعلم أنّ ثَمّ معاني ليست بموادّ، ولا في أعيان موادّ،

١ ق: الثلاثة
٢ ص ١٢٣
٣ ص ١٢٣ب

وإن لم يقبلها بالنظر إلّا في موادّ من خلف حجاب رقيق يعطيه الوهم.

ولمّا علم الحقّ ما ركّب عليه العالَمَ المكلَّف، مما ذكرناه، أرسل الرسل إلى الناس والمكلَّفين. فوقفوا في حضرة الخيال خاصّة؛ ليجمعوا بين الطرفين: بين المعاني والمحسوسات. فهو موقف الرُّسُل -عليهم السلام-. فقالوا لبعض الناس من هذه الحضرة: «اعبدِ اللهَ كأنّك تراه» ثمّ نبّه هذا المخاطِب المكلَّف بعد هذا التقرير، على أمرٍ آخرَ ألطف منه؛ لأنّه علِم أنّ ثَمّ رجالا علموا أنّ ثَمّ معانيَ مجرّدة عن الموادّ، فقال له: «فإن لم تكن تراه» أي تقف مع دليلك الذي أعلمك أنّك لا تراه؛ «فإنّه» يعني الله «يراك» أي: الزم الحياء منه، والوقوف عند ما كلّفك.

فعدل في الخطاب إلى حُكم وَهْمٍ ألطف من الحكم الأوّل. فإنّه لا بدّ لهذا المكلّف أن يعلم أنّه يراه: إمّا بعقله، أو بقول الشرع. وبكلّ وجهٍ فلا بدّ أن يقيّده الوهم؛ فإنّ العبد بحيث يراه الله؛ فأخرجه عنه؛ فحَدَّه إذ ميَّزَه، مع علمه أنّه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[1] فحيّره. وهذه الحيرة سارية في العالم النوريّ، والناريّ، والترابيّ. لأنّ العالَم ما ظهر إلّا[2] على ما هو عليه في العلم الإلهيّ، وما هو في العلم لا يتبدّل. والمرتبة الإلهيّة تنفي، بذاتها، التقييد عنها، والقوابل تنفي الإطلاق عنها بالوقوع؛ فعلمت سبب الحيرة في الوجود؛ ما هو؟ قال تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾[3] أي ما حَكم به العلم، وسَبق به الكتاب. ففرغنا من العلم والكتاب إذ كان له الحكم. والخلفاء؛ إنما هم خلفاء العلم والكتاب. فالعلم والكتاب حجابان عن الحقّ الذي هو غنيّ عن العالمين. فمرجع الكون إلى العلم والكتاب.

فتنتج الأهواء، مع إطلاقها، ما تنتجه العقول مع تقييدها. فلا يَسْلَم لعقلٍ حكمٌ أصلا بلا وَهْمٍ في هذه النشأة؛ لأنّ النشأة لها ولادة على كلّ مَن ظهر فيها. وما ثَمّ أعلى من الحقّ رتبة، ومع هذا تَخيّلَتْهُ. وقال لها: تخيّليني. أمَرَها بذلك؛ لكونه لا يكلّف الله نفسا إلّا وسعها، وَوُسْعُها ما

١ [الشورى : ١١]
٢ ص ١٢٤
٣ [ق : ٢٩]

تعطيه حقيقتَها، وجعل سعادتها في ذلك التخيُّل. ثمّ قال لها: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[1] فجمعتْ بين التنزيه؛ فقيّدَتْهُ، وبين التشبيه؛ فقيّدَتْهُ. فإنّها مقيّدة؛ فلا تعلم إلّا التقييد الذي هو حقيقتها.

فالعَقْـلُ يُنْـتِجُ مـا الأَهْـواء تُنْتِجُـهُ فإِنَّهُ عَنْ هَوًى قَدْ كانَ مَخْرَجُهُ
فَلَيْسَ[2] يَحْكُمُ فِي شَيْءٍ بِغَيْرِ هَـوًى إِلّا الضَّرُوْرِيّ والبَلْوى تُخْرِجُهُ

وقد نبّه الحقُّ عبادَه في كتابه العزيز أنّ عنديّته خزانة خزائن كلّ شيء، والخزائن تقتضي الحصر، والحصر يقتضي التقييد، ثمّ بيّن أنّه ما يُنزِل شيئًا منها إلّا بقدر معلوم؛ وهو تقييدٌ. ولولا التقييدُ بين المقدّمتين الذي يربطها؛ ما ظهرتْ بينهما نتيجةٌ أصلا، ولا ظهَر خَلْقٌ عن حقٍّ أصلا. ولهذا سرى النكاح في المعاني والمحسوسات؛ للتوالد، قديما وحديثا، ولكن لا يفقهون حديثا. أي: -يا محجوبون- لا تعلمون ما نحدّثكم به؛ فإنّ الشرع كلّه حديثٌ وخبرٌ إلهيّ بما يقبله العقل والوهم، حتى تعمّ الفائدة، ويكون كلّ مَن في الكون مخاطَبا.

ويا علماء بالله وبالأمر؛ لا تعلمون حديثا، بل تعلمون قديما. وإن حدَث عندكم؛ فما هو حديث العين ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ﴾[3] وما هو إلّا كلام الله المنعوت بالقِدَم؛ فحدَث عندهم حين سمعوه؛ فهو محدَثٌ: بالإتيان، قديمٌ: بالعين، وجاء في موادّ حادثة؛ ما وقع السمع ولا تعلّق إلّا بها. وتعلّق الفهم بما دلّتْ عليه هذه[4] الأخبار، والذي دلّت عليه: منه ما هو موصوف بالقِدم، ومنه ما هو موصوف بالحدوث. فله الحدوث من وجهٍ، والقِدم من وجهٍ. ولذلك قال مَن قال: إنّ الحقّ يسمع بما[5] به يبصِر، بما به يتكلّم، والعين واحدة، والأحكام تختلف. قال تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾[6] فعلّق الذهاب بالمشيئة وقال: ﴿وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾[7] فعلّق الذهاب بالاقتدار؛ فما به قدرته أرادَ وشاءَ.

---

١ [الشورى: ١١]
٢ ص ١٢٤ب
٣ [الأنبياء: ٢]
٤ ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٥ ص ١٢٥
٦ [النساء: ١٣٣]
٧ [المؤمنون: ١٨]

وهنا علمٌ شريف؛ وهو أنّ متعلَّق القدرة الإيجادُ، لا الإعدام. فيتعرّض هنا أمران: الأمر الواحد أنّ الذهاب، المراد هنا، ليس الإعدام، وإنما هو انتقال من حال إلى حال. فمتعلَّق القدرة (هو) ظهور المحكوم عليه، بالحال التي انتقل إليها؛ فأوجدتِ القدرةُ له ذلك الحال؛ فما تعلّقتْ إلّا بالإيجاد. والأمر الآخر أن وَصَفَهُ بالاقتدار على الذهاب، أي لا مُكرِه له على إبقائه في الوجود؛ فإنّه وجود عين القائم بنفسه -أعني بقاءه- إنما هو مشروط بشرطٍ، وُجودُ ذلك الشرط يبقي الوجود عليه، وذلك الشرط يمدّه الله به في كلّ زمان، وله أن يمنع وجود ذلك الشرط، ولا بقاء للمشروط إلّا به. فلَم يوجد الشرط؛ فالعدم المشروط. وهذا الإمساك ليس من متعلَّق القدرة، وقد وصف نفسه بالقدرة على ذلك، فلم يبق إلّا فرض المنازع الذي يريد بقاءه، فهو قادر على دفعه لما لم يُرِد الله بقاءه، فيقهر المنازع، فلا يبقى[1] ما أراد المنازع بقاءه، والقهر حكم من أحكام الاقتدار. ولمّا علمنا هذا، وتقرّر لدينا، عَلِمنا مَن تقدَّم وحكمه، ومَن تأخَّر وحكمه. كما قدّمنا أنّ الشيء يكون متقدِّما من وجهٍ، متأخِّرا من وجه.

وفي هذا المنزل من العلوم:

عِلْمُ المثلثات الواقعة في الوجود؛ ومن أين أصلها؟ وما يتّصل منها، وما ينفصل؟

وفيه عِلْمُ مناسبة القرآن للكتاب، وكون التوراة وغيرها كتابا وليست بقرآن.

وفيه عِلْمُ تقليل النظير في المحمود والمذموم.

وفيه عِلْمُ حكمةُ السبب في وجود ما لا يوجَد إلّا بسبب؛ هل يجوز وجوده بغير سبب، أم لا، عقلا؟

وفيه عِلْمُ تهيّؤ القوابل بذاتها لما يَرِد عليها مما تقبله.

وفيه تَرْك الإهمال مَن تَرَك ما يُتْرَك لمنفعة وكلّه ترْك.

---

١ ص ١٢٥ب

وفيه عِلْمُ تأخير الوعيد ممن لا مانع له، فهل ذلك لمانعٍ لا يمكن رفعه؟ أو هل هو عن اختيارٍ إن صحّ وجود الإنسان في العالم؟ فإنّه ليس له مستنَد وجوديّ في الحقّ، وإنما هو أمرٌ متوهَّم[1] ذكرناه في الباب الذي يليه هذا الباب، فقد تقدّم.

وفيه عِلْمُ الآجال في الأشياء، والترتيب في الإيجاد، مع تهيّؤ الممكِنات لقبول الإيجاد؛ فما الذي أخّرها؟ والفيض الإلهيّ غير ممنوع، والقوابل مهيّأة للقبول، والتأخير والتقديم مشهود؛ فلماذا (=فإلى ماذا) يرجع؟ فلا بدّ في هذا الموطن من حكمٍ يُسمّى المشيئة ولا بدّ، ولا يمكن رفع هذا الحكم بوجهٍ من الوجوه.

وفيه عِلْمُ ما ستر عن العالَم أن يعلمه؛ هل ينقسم إلى ما لا يزال مستورا عنه فلا يعلمه أبدا، وإلى ما يعلمه برفع الستور؟ وهل عِلْمُ ما لا يُرفع ستره ممكن أن يُعلم لو رُفع الستر، أو سترُهُ عينُه؛ فلا يمكن أن يُعلم لذاته؟

وفيه عِلْمُ سبب طلب البيّنة من المدَّعي -اسم فاعل- وقبول الطالب لذلك شهادة البيّنة من غير حكم الحاكم، ولا يكون ذلك حتى يتذكّر المدَّعى عليه بشهادة البيّنة؛ فهل قبوله شهادتهم للذكرى، أم لأمرٍ آخر؟ وهو عدم التهمة لهم فيما شهدوا به وجوّزوا النسيان منه لما شهدوا به عليه، وذلك لإنصافهم[2].

وفيه[3] عِلْمُ تأخير البيان عند الحاجة مع التمكّن منه لا يجوز.

وفيه عِلْمُ إقامة الجماعة مقام الواحد، وإقامة الواحد مقام الجماعة.

وفيه عِلْمُ ردّ الدلائل للأغراض النفسيّة؛ هل يكون ردّها عن خلل عنده في كون تلك الدلائل كما هي في نفسها صحيحة، أو لا عن خلل؟

١ ص ١٢٦
٢ كتب في الهامش: "لإنصافه" مع "صح" وحرف خ
٣ ص ١٢٦ب

وفيه عِلْمُ مَن حُفِظ من العالَم؟ وبماذا حُفِظ؟ وممن حُفِظ؟ ولماذا حُفِظ؟

وفيه عِلْمُ ما تحوي عليه الأرض من الكنوز، وما يظهر عليها مما يخرج منها أنّه على حدٍّ معلوم لا يقبل الزيادة والنقص؟

وفيه عِلْمُ رزق العالَم بعضه بعضا.

وفيه عِلْمُ ترك الادّخار مِن صفة أهل الله الذاكرين منهم.

وفيه عِلْمُ نشء الحيوان على اختلاف أنواعه، وفيماذا يشترك؟ وبماذا يتميّز صِنفٌ عن صنفٍ؟

وفيه عِلْمُ التعريف الإلهيّ مَن شاء الله مِن عباده.

وفيه[1] عِلْمُ سبب سجود الملائكة لآدم إنما كان لأجل الصورة، لا لأنْ علّمهم الأسماء. فأُمِروا بالسجود قبل أن يعرفوا فضلَه عليهم بما علّمه الله من الأسماء، ولو كان السجود بعد ظهوره بالعلم؛ ما أبى إبليس ولا قال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ ولا استكبر عليه، ولهذا قال: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾[2] وقال: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾[3] ثمّ بعد ذلك أَعْلَمَ اللهُ الملائكةَ بخلافته، فقالوا ما أخبر اللهُ عنهم. ولهذا قال -تعالى- في بعض ما كرّره من قصّته: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا﴾[4] فأتى بالماضي من الأفعال، وبأداة "إذ" وهي لما مضى- من الزمان. فاجعل بالَكَ لهذه المسألة؛ لتعلم فضل آدم بعلمه، على فضله بالسجود له لمجرّد ذاته، ولماذا نُهي في الشرع أن يسجد إنسانٌ لإنسانٍ؟ فإنّه سجود الشيء لنفسه؛ فإنّه مثله من جميع وجوهه، والشيء لا يخضع لنفسه. ولهذا لمّا «سئل ﷺ في الرجل إذا لقي الرجلَ؛ أينحني له؟ قال: لا. قيل له: أيصافحه؟ قال: نعم».

١ ص ١٢٧
٢ [الإسراء : ٦١]
٣ [الأعراف : ١٢]
٤ [البقرة : ٣٤]

وفيه عِلْمُ ما السبب في عداوة الأمثال: هل لكون المِثلين ضدّين؟ أو لأمرٍ آخر؟

وفيه[1] عِلْمُ ما جَهِلَ الأعلى من الأدنى حين افتخر عليه، وما له شرفٌ إلّا به. فإنّه لولا الأدنى ما ظهر فضلُ الأعلى، فأيّ فائدة لافتخاره؟ والحال يشهد له بذلك ولم يكتفِ ولهذا قال ﷺ: «أنا سيّد ولد آدم ولا فخر» أي ما قصدتُ الفخرَ عليكم بذلك؛ فإنّه معلوم بالمقام والحال أنّه سيّد الناس.

وفيه عِلْمُ حكمة مَن سأل أمرا فيه شقاؤه، فأجابه المسئول مع علمه بذلك، ولم ينبّهه على ما عليه من الشقاء في ذلك.

وفيه عِلْمُ المأمور يمتثل أمرَ سيّده، ثمّ يعاقبه السيّد على امتثال أمره؛ ما حكم هذا الفعل من السيّد؟

وفيه عِلْمُ الفرق بين من أُخِذ بالحجّة، وبين من أُخِذ بالقهر.

وفيه عِلْمُ الخمسة عشر.

وفيه عِلْمُ التساوي بين الضدّين فيما اجتمعا فيه.

وفيه عِلْمُ المبادرة لكرامة الضيف النازل عليك، وإن لم تعرفه؛ بماذا تقابله وأنت لا تعرف منزلته؟ فتكرمه بقدر ما تعرف من منزلته، وتعامله بذلك. فإنّ الكرامة على[2] قسمين: القسم الواحد يعمّ المعروف وغير المعروف، والقسم الآخر ما يفضُل به المعروفون.

وفيه عِلْمُ التعريف بما يقع به الأمان للخائف، والأنس للمستوحش.

وفيه عِلْمُ النصائح.

وفيه عِلْمُ التذكير والمواعظ.

---

١ ص ١٢٧ب
٢ ص ١٢٨

وفيه عِلْمُ مَن ينبغي أن يُصحب، ممن لا ينبغي أن يُصحب؟ ومَن ينبغي أن يتّبع، ممن لا ينبغي أن يتّبع؟ ومَن ينبغي أن يُعرف من غير صحبة ولا اتباع، ومَن يُصحب ويتّبع ولا يُعرف؟

وفيه عِلْمُ ما لا بدّ من العلم به، وهو العلم بطريق نجاتك.

* * *

وَصْلٌ: (الحجب)

هذا المنزل بينه وبين الباب السبعين ومائتين وُصْلَةٌ بِنِسْبَةٍ خاصّة، فألحقنا منه في هذا المنزل هذا القدر الذي أذكره -إن شاء الله-. وذلك أنّ الله -تعالى- لمّا خلق الأرواحَ النوريّة والناريّة، أعني الملائكة والجانّ، شرَّك بينهما في أمر، وهو الاستتار عن أعين الناس، مع حضورهم معهم في مجالسهم وحيث كانوا، وقد جعل الله ﷻ بينهما[1] وبين أعين الناس حجابا مستورا. فالحجاب مستور عنّا، وهم مستورون بالحجاب[2] عنّا؛ فلا نراهم[3] إلّا إذا شاءوا أن يظهروا لنا. ولهذا سمّى الله الطائفتين جِنًّا، أي مستورين عنّا، فلا نراهم.

فقال في حقّ الملائكة في الذين قالوا: إنّ الملائكة بناتُ الله: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾[4] يعني بالجِنّة هنا: الملائكة؛ لقولهم ما ذكرناه آنفا. وكانوا يكرهون نِسبة البنات إليهم، فأخبرَنا الله بذلك في قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾[5] فإنّهم كانوا يكرهون البنات[6]، وبهذا أخبرنا الله عنهم في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ. يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾[7] وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ. بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾[8] وأنكر الله عليهم نِسبة الأنوثة إلى الملائكة

---

١ ص ١٢٨ب
٢ "فالحجاب.. بالحجاب" ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب
٣ ق: "نراه" وكتب فوقها بقلم آخر: "نراهم"
٤ [الصافات : ١٥٨]
٥ [النحل : ٦٢]
٦ "فإنّهم.. البنات" ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب
٧ [النحل : ٥٨، ٥٩]
٨ [التكوير : ٨، ٩]

في قوله: ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾[1].

فلمّا شرّك الله -تعالى- بين الملائكة وبين الشياطين في الاستتار، سمّى الكلّ جِنًّا[2]. فقال في الشياطين: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ. الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ. مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾[3] يعني بالجِنّة هنا: الشياطين. وقال في الملائكة: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ يعني الملائكة ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾[4]، والملائكة[5] رُسُلٌ من الله إلى الإنسان، موكلون به، حافظون، كاتبون أفعالَنا. والشياطين مسلَّطون على الإنسان بأمر الله؛ فهم مرسلَون إلينا من الله. وقال عن إبليس: إنّه ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾[6] يعني الملائكة ﴿فَفَسَقَ﴾ أي خرج ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ أي من الذين يستترون عن الإنس مع حضورهم معهم، فلا يرونهم كالملائكة. فلمّا شرّك بينهم في الرسالة؛ أدخله، أعني إبليس، في الأمر بالسجود مع الملائكة، فقال: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾[7] فأدخله معهم في الأمر بالسجود. فصحّ الاستثناء، وجعله منصوبا بالاستثناء المنقطع، فقطعه عن الملائكة، كما قطعه عنهم في خلقِه من نار. فكأنّه يقول: إلّا مَن أبعده الله من المأمورين بالسجود. ولا ينطلق على الأرواح اسم جِنّ؛ إلّا لاستتارهم عنّا، مع حضورهم معنا؛ فلا نراهم؛ فحينئذٍ ينطلق عليهم هذا النعت.

فالجِنّة من الملائكة هم الذين يلازمون الإنسان، ويتعاقبون فينا بالليل والنهار، ولا نراهم عادة. وإذا أراد الله ﷻ أن يراهم مَن يراهم من الإنس، مِن غير إرادة منهم، لذلك رفع اللهُ الحجابَ عن عين الذي يريد الله أن يُدرِكهم؛ فيدركهم. وقد[8] يأمر اللهُ الملَكَ والجنَّ بالظهور لنا؛ فيتجسّدون لنا؛ فنراهم. أو يكشف اللهُ الغطاءَ عنّا؛ فنراهم رأيَ العين. فقد نراهم أجسادا على صور. وقد نراهم لا على صورٍ بشريّة؛ بل نراهم على صورهم في أنفسهم كما يدرِك كلُّ واحد منهم

١ [الصافات : ١٥٠]
٢ س، ه: جنّة
٣ [الناس : ٤ - ٦]
٤ [الصافات : ١٥٨]
٥ ص ١٢٩
٦ [الكهف : ٥٠]
٧ [الكهف : ٥٠]
٨ ص ١٢٩ب

نفسَه وصورته التي هو عليها.

وإنّ الملائكة أصلُ أجسامِها نور، والجانّ نار مارج، والإنسان ممّا قيل لنا. ولكن كما استحال الإنسُ عن أصل ما خُلِق منه، كذلك استحال الملَك والجنّ عن أصل ما خُلِقا منه، إلى ما هما عليه من الصور. فقد بان لك ما اشترك فيه الجانُّ والملَك، وما تميّزا به بعضها عن بعض. فيعتبر[1] الله، في التعبير لنا عن كلّ واحد منهما، إمّا بالصفة المشتركة بينهما، أو بما ينفرد كلُّ جنس منهما به كيف شاء، لمن نظر نظرا صحيحا في ذلك[2].

وخلق اللهُ الجانَّ شقيًّا وسعيدا، وكذلك الإنس. وخلق اللهُ الملَكَ سعيدا، لا حظّ له في الشقاء. فسمّى شقيّ الإنس والجانّ: كافرا، وسمّى السعيد من الجنّ والإنس: مؤمنا. وكذلك شرّك بينهما في الشيطنة، فقال -تعالى-: ﴿شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾[3] وقال: ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ. مِنَ الْجِنَّةِ[4] وَالنَّاسِ﴾[5] وقد علمنا أنّ النفس بذاتها -وإن كانت مقيّدة- لا تشتهي التقييد لذاتها، وتطلب السراح والتصرُّف بما يخطر لها من غير تحجير. فإذا رأيت النفسَ قد حُبّب إليها التحجير؛ فقامت به طيّبة، وكُرِه إليها تحجير آخر؛ فقامت به، إن قامت، غير طيّبة مكرَهة؛ فتعلم، قطعا، أنّ ذلك التحجير ممّا أُلقي إليها من غير ذاتها، كان التحجير ما كان.

فإذا حُبّب إلى نفوس العامّة القيامُ بتحجير خاص؛ فتعلم قطعا أنّ ذلك التحجير هو الباطل الذي يؤدّي العمل به إلى شقاوة العامل به والواقف عنده. فإنّ الشيطان الذي يوسوس في صدره، يوسوس إليه دائما ويحبّب إليه؛ لأنّ غرضه أن يشقيَه. وإذا رأيته يكره ذلك التحجير، ويطلب تأويلا في ترك العمل به؛ فتعلم أنّ ذلك تحجير الحقّ الذي تحصل للعامِل به السعادةُ. إلّا أهل الكشف الذين حبّب الله إليهم الإيمان وزيّنه في قلوبهم وكرّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان، وإن لم يَعرفوا أنّهم كُشِف لهم؛ ولكن علمناه نحن منهم، وهم لا يعلمونه من نفوسهم.

١ الحرفان الأوّلان مهملان
٢ "في ذلك" ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب
٣ [الأنعام : ١١٢]
٤ ص ١٣٠
٥ [الناس : ٥ - ٦]

ولهذا نرى مَن ليس بمسلم يثابر على دينه وملازمته -كأكثر اليهود والنصارى- أكثر مما يثابر المسلم[1] على إقامة جزئيّات دينه، ومثابرته على ذلك دليل على أنّه على طريق يشقى بسلوكه عليها؛ وهذا من مكر الله الخفيّ الذي لا يشعر به كلّ أحد إلّا مَن كان على بصيرة من ربّه.

وهذا الصنف قليل. ولا يوجد في الجنّ -لا في مؤمنهم، ولا في كافرهم- مَن يجهل الحقّ، ولا مَن يشرك. ولهذا أُلحقوا بالكفّار، ولم يُلحقهم الله بالمشركين، وإن كانوا هم الذين يجعلون الإنس أن يشركوا؛ فإذا أشركوا تبرّءوا ممن أشرك كما قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ﴾ وهو وَحْيُ الشيطان إلى وليّه ليجادل بالباطل أهلَ الحقّ، فإذا كفر يقول له: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾[2] فوَصف الشيطان بالخوف من الله؛ ولكن على ذلك الإنسان، لا على نفسه. فخوف الشيطان (هنا هو خوفٌ) على الذي قبل إغواءه؛ لا على نفسِه، كما تخاف الأنبياء -عليهم السلام- يوم القيامة على أُممهم؛ لا على أنفسهم.

وسبب ارتفاع الخوف من الشيطان على نفسه (هو) عِلمه بأنّه من أهل التوحيد، ولهذا قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[3] فأقسم به -تعالى- لِعلمه بربّه، كأنّه يرى الحقّ أنّه قد علِم من نشأة الإنسان قبولَه لكلّ ما يلقى إليه. فلما سأل ذلك، أجاب الله سؤاله؛ فأمره بما أغوى به الإنس، فقال له: ﴿اذْهَبْ﴾[4] يعني إلىّ[5] ما سألته منّي، وذكر له جزاءه وجزاء مَن اتّبعه من الإنس. فكان جزاء الشيطان أن ردّه إلى أصله الذي منه خلقَه، وجزاء الإنسان الذي اتّبعه؛ كذلك. ولكن غلب جزاء الإنسان على جزاء إبليس؛ فإنّ الله ما جعل جزاءهما إلّا جهنّم، وفيها عذاب إبليس. فإنّ جهنّم بَرْدُ كلّها، ما فيها شيء من الناريّة؛ فهو عذاب لإبليس أكثر منه لمتّبِعه. وإنما كان ذلك لأنّ إبليس طلب أن يشقي الغير، فحار[6] وباله عليه لما قصده. فهو تنبيهٌ من الحقّ لنا أن لا نقصد وقوع ما يؤدّي إلى الشقاء لأحدٍ؛ فإنّ ذلك نعتٌ إلهيّ؛ ولذلك أبان الله طريق

1 ص ١٣٠ب
2 [الحشر : ١٦]
3 [ص : ٨٢]
4 [الإسراء : ٦٣]
5 ص ١٣١
6 حار: اجتمع ووقف

الهدى من طريق الضلالة.

فالعبد المستقيم هو الذي يكون على صراط ربّه، مع أنّ الشيطان تحت أمرِ ربّه في قوله: ﴿اذْهَبْ﴾ ﴿وَاسْتَفْزِزْ .. وَأَجْلِبْ .. وَشَارِكْهُمْ .. وَعِدْهُمْ﴾[1] وهذه كلّها أوامر إلهيّة. فلو كانت ابتداء من الله ما شقي إبليس. و(لكن) لمّا كانت إجابة له لمّا قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾[2] و: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ﴾[3] شقي بها، كما تعب المكلَّف فيما سأله من التكليف. فإنّ الشرعَ: منه ما نزل ابتداء، ومنه ما نزل عن سؤال. ولولا أنّ الرحمةَ شاملةٌ، لكان الأمر كما ظهر في العموم.

ولمّا قيّدتُ هذا الوصل؛ غفوت؛ فرأيت في المبشّرة يُتلى عليّ: ﴿شَرَعَ لَكُمْ[4] مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى- أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾[5] من الوحدة. فهو كثير بالأحكام؛ فإنّ له الأسماء الحسنى. وكلُّ اسمٍ علامةٌ على حقيقة معقولة، ليست الأخرى، ووجوه العالَم في خروجه من العدم إلى الوجود كثيرة، تطلب تلك الأسماء، أعني المسمّيات، وإن كانت العين واحدة، كما أنّ العالَم من حيث هو عالَم واحد، وهو كثير بالأحكام والأشخاص. ثمّ تُلي عليّ: ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾[6] وما ذكر للشقيّ هنا نعتا ولا حالا؛ بل ذكر الأمر بين اجتباءٍ وهدايةٍ.

ثمّ قيل لي: مَن علِمَ الهداية والاجتباء عَلِمَ ما جاءت به الأنبياء[7]، وكِلا الأمرين إليه. فَمن اجتباه إليه؛ جاء به إليه، ولم يَكِلْهُ إلى نفسه، ومَن هداه إليه؛ أبان له الطريق الموصلة إليه؛ ليسعده، وتركه ورأيه: فـ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[8] ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ ولمّا جاء -تعالى- في

1 [الإسراء : ٦٤]
2 [ص : ٨٢]
3 [الإسراء : ٦٢]
4 ص ١٣١ب
5 [الشورى : ١٣]
6 [الشورى : ١٣]
7 ق: "الأنباء" والترجيح من ه، س
8 [الإنسان : ٣]

هذه الآية العامّة، ولم يذكر للشقاوة اسما ولا عينا، وذكر الاجتباء والهداية، وهو البيان هنا، وجعل الأمرين إليه؛ علِمنا أنّ الحكم للرحمة التي وَسِعت كلّ شيء.

وما ذكر في المشرك إلّا كون هذا الذي دعا إليه كَبُرَ[1] عليه؛ لأنّه دُعي مِن وجهٍ واحد، وهو يشهد الكثرة من وجوده الذي جعله الحقُّ دليلا عليه، في قوله: «مَن عَرَف نفسَه عَرَف ربَّه» وما عرف نفسَه إلّا واحدا في كثير، أو كثيرا في واحد؛ فلا يعرف ربَّه إلّا بصورة معرفته بنفسه؛ فلذلك كَبُرَ عليه دعاء الحقّ إلى الأحديّة[2]، دون سائر الوجوه. وذلك لأنّ المشرك ما فهم، عن الله، مراد الله بذلك الخطاب. فلمّا علِمَ الحقُّ أنّ ذلك كَبُرَ عليه؛ رَفَقَ به، وجعل الأمر إليه - تعالى- بين اجتباء وهداية. فشرَّك بالاجتباء والهداية، ووحَّد بـ"إليه" في الأمرين: رِفقا به، وأُنْسًا له؛ ليعلم أنّه الغفور الرحيم بالمسرفين على أنفسهم.

ولمّا رأى إبليسُ مِنّةَ الله قد سَرَتْ في العالم، طمع في رحمة الله من عين المنّة، لا من عين الوجوب الإلهيّ؛ فعبّده مطلقًا، لا مقيّدا. ففي أيّ وجهة تصرَّف لم يخرج عن حقٍّ، كما أنّ الشرع الذي وصّى به مَن ذَكَره في هذه الآية (وهم الأنبياء المذكورون فيها) متنوِّع الأحكام، ينسخ بعضُه بعضا. والكلُّ قد أُمروا بإقامته، وأن لا يُتفرَّق فيه؛ للافتراق الذي فيه. فهو يدعو بالكثرة إلى عينٍ واحدة، أو بالوحدة إلى حقائقَ كثيرة، كيف شئت فقل ما شئت، مما لا يغيّر المعنى.

فالكُلُّ[3] في حُكْمِ الوُجودِ	كالكُلِّ في عَيْنِ الشُّهودْ
لِتَعُمَّ رَحْمَتُهُ الوَرَى	وتَبِينَ أعْلامُ الجُحُودْ
فَيَكُونُ رَحْمانًا بِمَنْ	يُدْعَى الشَّقِيُّ أو السَّعيدْ
هَذا بِدَارِ جَهَنَّمٍ	هَذا بِجَنّاتِ الخُلُودْ
واللهُ جَلَّ بِذاتِهِ	عَنِ الانحِصارِ عَنِ الحُدُودْ

١ ص ١٣٢
٢ كتب مقابلها في الهامش بقلم آخر: "بالوحدانية" مع إشارة التصويب، وحرف خ
٣ ص ١٣٢ب

وهذا الوصلُ واسع المجال.

فيه عِلْمُ الأوامر المختصّة بالشارع وحده، وهو الرسول.

وعِلْمُ ما يتّقى به من الأسماء الإلهيّة.

وعِلْمُ مالكِ المُلْك، ومدلول اسم الإله ونعته بالأحديّة، في قوله: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾[1] وإضافته إلى الضمير، مثل: ﴿إِلَٰهُكُمْ﴾ وإلى الظاهر، مثل: ﴿وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾[2] و﴿إِلَٰهِ النَّاسِ﴾[3] هل الحكم واحد؟ أو يتغيّر بتغيّر الإضافة، أو بالنعت؟

وعِلْمُ الربوبيّة، وكونها لم تأت قطّ من عند الله من غير تقييد.

وعِلْمُ الإلهام، واختلاف الاسم[4] عليه بالطرق التي منها يأتي.

* * *

الوصل الثاني من هذا الباب

وهو ما يتّصل به من المنزل الثاني، من المنازل المذكورة في هذا الكتاب، وهو يتضمّن علوما منها:

عِلْم الفصل بين ما يقع به الإدراك للأشياء، وبين ما لا يدرك به إلّا نفسه خاصّة.

وعِلْم اختزان البزرة، والنواة، والحبّة، ما يظهر منها إذا بذرت في الأرض، وكيف تدلّ على عِلْمِ خروج العالَم من الغيب إلى الشهادة؟ لأنّ البزرة لا تعطي ما اختزن الحقّ فيها إلّا بعد دفنها في الأرض؛ فتنفلق عمّا اختزنته: من ساق، وأوراق، وبزور أمثالها: من النواة: نوى، ومن الحبّة: حبوب، ومن البزرة: بزور؛ فتظهر عينها في كثير مما خرج عنها. فتعلم من هذا: ما الحبّة التي

١ [المائدة : ٧٣]
٢ [طه : ٨٨]
٣ [الناس : ٣]
٤ ص ١٣٣

خرج منها العالَم؟ وما أعطت بذاتها فيما ظهر من الحبوب؟ ولماذا (=وإلى ماذا) يستند ما ظهر منها، من سِوَى أعيان الحبوب؟ فلولا ما هو مختزن فيها "بالقوّة" ما ظهر "بالفعل". فاعلم ذلك، وهذا كلّه من خزائن الجود.

ويتضمّن عِلْمَ الأمر المطلَق في قوله (تعالى): ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾[1] والمقيّد بعمل مخصوص، واختلاف الصيغ في ذلك.

ويتضمّن عِلْمَ إضافة الشرور إلى غير الله؛ لأنّها معقولةٌ عند العالم[2]؛ فقال ﷺ: «والشرّ ليس إليك» فأثبته في عينه، ونفى إضافته إلى الحقّ. فدلّ على أنّ الشرّ ليس بشيء، وأنّه عدم. إذ لو كان شيئا لكان بيد الحقّ؛ فإنّ بيده ملكوتَ كلّ شيء، وهو خالق كلّ شيء. وقد بيّن لك ما خَلق بالآلة، وبغير الآلة، وبكن، وبيده، وبيديه، وبأيد. وفصَّل، وأعلم، وقدَّر، وأوجد، وجمع، ووحَّد، فقال: ﴿إِنِّي﴾[3] و﴿نَحْنُ﴾[4] و﴿أَنَا﴾[5] و﴿إِنَّا﴾[6] ولهذا كَبُرَ على المشركين. فإنّ معقول "نحن" ما هو معقول "إنّي" وجاء الخطاب بـ"إليه" فوحَّد. وما رأوا للجمع عينا، فكَبُرَ ذلك عليهم. ونُونُ العظمة في الواحد (هو) قولُ من لا علم له بالحقائق ولا بلسان العرب.

ويتضمّن عِلْمَ ظلمة الجهل إذا قامت بالقلب، فأعمته عن إدراك الحقائق التي بإدراكها يسمّى عالما. قال تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ﴾[7] أراد العلمَ والجهلَ، وما كلُّ ما يدرَك ولا يدرَك به يكون ظلمة. فإنّ النور إذا كان أقوى من نور البصر؛ أدركه (الإنسان) ولم يدرِك به. ولهذا ذكر رسول الله ﷺ في الله أنّ «حجابه النور» فلا يقع الكشف إلّا بالنور الذي يوازي نور البصر. ألا[8] ترى الخفافيش لا تظهر

١ [فصلت : ٤٠]
٢ ص ١٣٣ب
٣ [البقرة : ٣٠]
٤ [يوسف : ٣]
٥ [طه : ١٤]
٦ [البقرة : ١١٩]
٧ [الأنعام : ١٢٢]
٨ ص ١٣٤

إلّا في النور الموازي نورَ بَصرِها، وهو نور الشفق؟

ويتضمّن عِلْمَ الشبهات، وهو كلّ معلوم يظهر فيه وجهٌ للحقّ ووجهٌ لغير الحقّ. فيكون في الأرزاق ما هو حلال بيّن وحرام بيّن، وبينهما مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس. فمن لاحت له وقف عندها حتى يتبيّن له أمرها: فإمّا أن يلحقها بالحلال، وإمّا أن يلحقها بالحرام. فلا يقدم عليها ما دامت في حقّه شبهة، فإنّها، في نفس الأمر، مخلصة لأحد الجانبين. وإنما اشتبه على المكلَّف؛ لتعارض الأدلّة الشرعيّة عنده في ذلك. وفي المعقولات، كالأفعال الظاهرة على أيدي المخلوقين: فيها وجهٌ يدلّ أنّها لله، ووجهٌ يدلّ أنّها للمخلوق الذي[1] ظهرت في الشهادة عليه. وهي، في نفس الأمر، مخلَصة لأحد الجانبين.

وكذلك السِّحر والمعجزة. فالسِّحر له وجهٌ إلى الحقّ؛ فيشبه الحقّ، وله وجهٌ إلى غير الحقّ؛ فيشبه الباطل. (والسحر) مشتقٌّ من السَّحَر؛ وهو اختلاط الضوء والظُّلمة؛ فلا يتخلّص لأحد الجانبين. ولمّا سُحِر ﷺ فكان يخيّل إليه أنّه يأتي نساءه وهو لم يأتِهنّ[2]؛ فأتاهنّ حقيقة[3] في عين الخيال، ولم يأتِهنّ حقيقة في عين الحِسّ؛ فهو لما حكم عليه. وهذه مسألة عظيمة.

وإذا أراد مَن أراد إبطال السِّحر؛ ينظر إلى ما عقده الساحر؛ فيعطي لكلّ عُقدةٍ كلمةً يحلّها بها، كانت ما كانت. فإن نقص عنها بالكلمات؛ بقي الأمر عليه؛ فإنّه ما يزول عنه إلّا بحلّ الكلّ. وهو علم إلهيّ؛ فإنّ النبيّ ﷺ يقول: «إنّ روح القدس نفث في روعي» ولا يكون النفث إلّا ريحا[4] بريقٍ، لا بدّ من ذلك حتى يعمّ. فكما أعطاه من روحه بريحه، أعطاه من نشأته الطبيعيّة[5] من ريقه؛ فجمع له الكلّ في النفث. بخلاف النفخ؛ فإنّه ريح مجرَّد.

وكذلك السَّحْر، وهو الرئة، وهي التي تعطي الهواء الحارّ الخارج، والهواء البارد الداخل. وفيها القوّتان: الجاذبة، والدافعة. فسمّيت سَحْرا لقبولها النفَس الحارّ والبارد، وبما فيها من

١ س، ه: التي
٢ ق: يأتيهنَ
٣ ص ١٣٤ب
٤ ق: "ريح" وصححت في الهامش
٥ ق: "الطبيعة" والترجيح من ه، س

الرطوبة لا تحترق بقبول النفَس الحار؛ ولهذا يخرج النفَس وفيه نداوة. فذلك مثل الريق الذي يكون في النفث، الذي ينفثه الروح في الروع، والساحر في العقدة.

ويتضمّن عِلمَ الفرق بين من يريد بسط[1] رحمة الله على عباده: طائعهم وعاصيهم، وبين من يريد إزالة رحمة الله[2] من بعض عباد الله، وهو الذي يحجر رحمة الله التي وسعتْ كلّ شيء، ولا يحجرها على نفسه. وصاحب هذه الصفة لولا أنّ الله سبقتْ رحمتُه غضبَه؛ لكان هذا الشخص ممن لا تناله رحمة الله أبدا.

واعلم أنّ الله -تعالى- لمّا أوجد الأشياء عن أصلٍ هو عينه؛ وصف نفسه بأنّه مع كلّ شيء، حيث كان ذلك الشيء؛ ليحفظه -بما فيه من صورته، لإبقاء ذلك النوع- في الوجود. فظهرت كثرة الصور عن صورة واحدة: هي عينُها بالحدّ، وغيرُها بالشخص، كما قلنا في الحبوب عن الحبّة الواحدة. فهي خزانة من خزائن الجود: لما يشبهها، ولما يلزمها، وإن خالفها في الصورة. إذ الخزانة تخزن خزائن، وتخزن ما في تلك الخزائن من المخزون فيها. فهو، وإن خرج عن غير صورتها، فلا بدّ من جامع يجمع بينها، وأظهرُها: الجسميّة في الحبّة، والورق، والثمر، والجسد، والفروع، والأصول. وهذا مشهود لكلّ عينٍ من الحبّة الواحدة، أو البزرة الواحدة زائدا على الأمثال.

فالكامل من الخلفاء؛ كالحبوب من الحبّة، والنوى من النواة، والبزور من البزرة. فتعطي كلٌّ[3] حبّة ما أعطته الحبّة الأصليّة؛ لاختصاصها بالصورة على الكمال، وما تميّزت إلّا بالشخص خاصّة. وما عدا الخلفاء من العالَم، فلهم من الحقّ ما للأوراق، والأغصان، والأزهار، والأصول، من النواة أو البزرة أو الحبّة. ومن هنا يعلم فضل الإنسان الخليفة على الإنسان الحيوان، الذي هو أقرب شبها بالإنسان الكامل، ثُمّ على سائر المخلوقات. فافهم ما بيّنّاه؛ فإنّه مِن لُباب العلم بالله الذي أعطاه الكشف والشهود.

---

1 ثابتة في الهامش بقلم الأصل
2 ص ١٣٥
3 ص ١٣٥ب

فإن قلت: بماذا أعلم[1] من نفسي: هل أنا من الكمّل، أو من الحيوان الذي يسمّى إنسانا؟ قلنا: نِعمَ ما سألت عنه. اعلم أنّك لا تعلم أنّك على الصورة ما لم تعلم قوله ﷺ: «المؤمن مرآة أخيه» فيرى المؤمنُ نفسَه في مرآة أخيه، ويرى الآخرُ نفسَه فيه، وليس ذلك إلّا في حضرة الاسم الإلهيّ "المؤمن". وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ وقال: «المؤمن كثير بأخيه» كما أنّه واحد بنفسه. فيُعلم أنّ الأسماء الإلهيّة كلّها، كالمؤمنين إخوة ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[2] يعني إذا تنافروا؛ كالمُعِزّ والمذلّ، والضارّ والنافع. وأمّا ما عدا الأسماء المتقابلة فهم إخوان على سرر فاكهون. وليس يُصلح بين الأسماء[3] إلّا الاسم "الربّ" فإنّه المصلح، والمؤمن من حيث ما هو مرآة. فمن رأى نفسه هكذا؛ علم أنّه خليفة من الخلفاء، بما رآه من الصورة. ولهذا؛ الإنسان الحيوان لا مرآة له، وإن كان له شكل المرآة، لكن ما فيها جِلاء[4] ولا صقالة. قد طلع عليها الصدأ والران، فلا تقبل صورة الناظر؛ فلا تسمّى مرآة إلّا بالرؤية.

فإذا أقامك الحقّ في العبودة المطلقة، التي ما فيها ربوبيّة؛ فأنت خليفة له حقّا. فإنّه لا حكم للمستخلِف فيما ولّى فيه خليفةً عنه جملة واحدة؛ فاستخلفه في العبودة؛ فلا حظّ للربوبيّة فيها؛ لأنّ الخليفة استقلّ بها استقلالا ذاتيّا؛ فهو بيد الله، وفي ملك الله. قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾[5] فجعله عبدا محضا، وجرّده عن كلّ شيء حتى عن الإسراء؛ فجعله يُسرى به، وما أضاف السُّرى إليه. فإنّه لو قال: سبحان الذي دعا عبده لأن يسري إليه، أو إلى رؤية آياته؛ فَسَرَى؛ لكان له أن يقول. ولكنّ المقام منع من ذلك، فجعله مجبورا لا حظّ له من الربوبيّة في فعل من الأفعال.

---

1 ق: "تعلم" مع إهمال الحرف الأول. وما أثبتناه من هـ، س
2 [الحجرات : ١٠]
3 ص ١٣٦
4 ق: "جلى" وصححت في الهامش
5 [الإسراء : ١]

الوصل الثالث من خزائن الجود، فيما يناسبه ويتعلّق به من المنزل الثالث

وهو[1] يتضمّن علم الأمر الواقع عند السؤال. فإنّ الأوامر: منها ما يقع ابتداء، ومنها ما يقع جوابا.

ويتضمّن عِلْمَ الهويّة، والفرق بين: الهويّة، والأحديّة، والواحد.

ويتضمّن عِلْمَ مسمّى "الله" ما هو؟ ولماذا يُنعت، ولا يُنعت به؟ وحقيقة الهويّة؛ هل لها شَبَهٌ بشيء من العالم في شيء من الوجوه؟ أو لا شَبَهَ فيها بوجه من الوجوه؟ وصورة ما يتقيّد به الاسم "الله" إذا ورد بقرائن الأحوال.

ويتضمّن عِلْمَ ظهور العالَم؛ هل هو ظهور ذاتيٌّ لذات الحقّ؟ أو لحكم ما تقرّر في العلم الإلهيّ؟ أو ظهر بحكم الاختيار، فيكون العالم لما يضاف إليه حتى تتبيّن المراتب؟

ويتضمّن عِلْمَ نفي المماثل الذي لو ثبت صحّ أن يكون العالم بينهما؛ فما هو أبٌ ولا نحن أبناء؛ بل هو الربّ ونحن العبيد؛ فيطلبنا عبيدا ونطلبه سيّدا.

تعـالَى عَـنِ التَّحْديـدِ بِالفِكْـرِ والخَـبَرْ　　كَمَا جَلَّ عَنْ حُكْمِ البَصِيْرَةِ والبَصَرْ
فَلَـيْسَ لَنـا مِنْـهُ سِـوَى مـا يَرُومُـهُ　　عَلَى كُلِّ حالٍ فِي الدَّلالاتِ والعِبَرْ
فــأَعْلَمَ[2] أَنِّي مـــا تَحَقَّقْـتُ غَـيْرَهُ　　وأَعْلَمَ أَنِّي ما عَلِمْتُ سِوَى البَشَـرْ
لِنا مَنَـعَ الـرحمنُ فِي وَحْيِـهِ عَـلَى　　لِسانِ رَسُولِ اللهِ فِي ذَاتِهِ النَّظَرْ
فَقالَ: "وَلا تَقْفُ الذِي لَسْتَ عالِمًا"[3]　　بِهِ فَيَكُونَ الناظِرُونَ عَلَى خَطَرْ
فَـلَمْ يُـولَدِ الـرحمن عِلْمًـا وَلَـمْ يَـلِدْ　　وُجُودًا فَحَقِّقْ مَنْ نَهاكَ وَمَنْ أَمَرْ

ولَمّا لم يكن في الإمكان أن يخلق الله، فيما خلق، قوّة في موجودٍ، يحيطُ ذلك الموجود بالله علما من حيث قيامها به، (لذلك) لم يُدْرَك بعقلٍ كنهُ جلاله، ولم يُدرَك ببصرٍ كنهُ ذاته عند

---

١ ص ١٣٦ب
٢ ص ١٣٧
٣ إشارة إلى الآية القرآنية: "وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ" [الإسراء : ٣٦]

تجلّيه، حيثما تجلّى لعباده. فهو -تعالى- المتجلّي الذي لا يدرَك الإدراكَ الذي يدرِكُ فيه هو نفسه لا علما ولا رؤية. فلا ينبغي أن يقفو الإنسانُ عِلْمَ ما قد علم أنّه لا يبلغ إليه. قال الصدّيق: "العجز عن درك الإدراك إدراك" فمن لا يدرَك إلّا بالعجز، فكيف يوصفُ المدرِك له بتحصيله؟

كُلُّ ما فِيْهِ نِكَاحٌ وازْدِواجْ　　هُوَ مَقْصُودٌ لأَرْبابِ الحِجَاجْ
فَــإذا[1] أَنْتَجَـنِي أَنْتِجُــهُ　　فَــتَرانا فِي نِــكاحٍ ونتــاجْ
فالّذِي يظهر مِنْ أَحْوالِنـا　　هُوَ ما بَيْنَ اتِّضاحٍ وانْدِماجْ
فَكَمـا نَحْـنُ بِـهِ فَهْـوَ بِنـا　　إِنَّ عَيْنَ الضِّيقِ عَيْنُ الانْفِراجْ

واعلم أنّه من خزائن الجود أن يعلم الإنسانُ أنّه لا جامع له بين العبودة والربوبيّة بوجه من الوجوه، وأنهما أشدّ الأشياء في التقابل. فإنّ المِثْلين، وإن تقابلا، فإنّهما يشتركان في صفات النفس. والسواد والبياض، وإن تقابلا، ولم يكن اجتماعهما. والحركة والسكون، وإن تقابلا، ولم يكن[2] اجتماعها؛ فإنّ الجامع للبياض والسواد: اللونُ، والجامع للحركة والسكون: الكون، والجامع للأكوان والألوان: العرَضيّة. فكلُّ ضدّين، وإن تقابلا، أو مختلفين من العالم؛ فلا بدّ من جامع يجتمعان فيه؛ إلّا العبد والربّ؛ فإنّ كلّ واحد لا يجتمع مع الآخر في أمر مّا من الأمور جملة واحدة.

فالعبد (هو) مَن لا يكون فيه من الربوبيّة وجهٌ، والربّ (هو) من لا يكون فيه من العبوديّة وجهٌ؛ فلا يجتمع الربُّ والعبدُ أبدا. وغايةُ صاحبِ الوهمِ أن يجمع بين الربِّ والعبدِ الوجودُ، وذلك ليس بجامع. فإنّي لا أعني بالجامع إطلاق الألفاظ، وإنما أعني بالجامع نسبة المعنى إلى كلّ واحد على حدّ نِسبته إلى الآخر. وهذا غير موجود في[3] الوجود المنسوب إلى الربّ، والوجود المنسوب إلى العبد. فإنّ وجودَ الربّ (هو) عينُه، ووجودَ العبد (هو) حكمٌ يُحْكم به على العبد، ومن حيث عينه؛ قد يكون موجودا وغير موجود. والحدّ، في الحالين، على السواء في عينه. فإذَنْ ليس وجودُه عينَه، ووجودُ الربِّ عينُه.

---

١ ص ١٣٧ب
٢ "ولم يكن.. ولم يكن" ألصقت نقطتا الياء لكل منها بحيث يمكن قراءتهما بعدئذ: يمكن
٣ ص ١٣٨

فينبغي للعبد أن لا يقوم في مقام تشمّ منه فيه رائحة ربوبيّة؛ فإنّ ذلك زورٌ وعينُ جهل، وصاحبه ما حصل له مقام العبودة كما هو الأمر في نفسه. ولا أريد من قولي: "لا تُشمّ فيه رائحة ربوبيّة" إلّا عنده في نفسه، لا يغفل عن مشاهدة عبودته. وأمّا غيرُه فقد ينسبون إليه ربوبيّة لما يرونه عليه من ظهور آثارها؛ فذلك لله، لا له، وهو في نفسه على خلاف ما يظهر للعالم منه؛ فإنّ ذلك محال أن لا يظهر للربوبيّة أثر منها عليه.

وإذا عرف التلميذُ من الشيخ أنّه بهذه المثابة، فقد فتح الله على ذلك التلميذ بما فيه سعادته؛ فإنّه يتجرّد إلى جانب الحقّ تجرُّد الشيخ؛ فإنّه عرف منه، واتّكل على الله، لا عليه، وبقي ناظرا في الشيخ ما يُجري الله عليه من الحال في حقّ ذلك التلميذ؛ مِن نُطق بأمر يأمره به، أو ينهاه، أو بعلم يفيده؛ فيأخذه التلميذ من الله على لسان هذا الشيخ، ويعلم التلميذ في نفسه من الشيخ، ما يعلمه الشيخ[1] من نفسه؛ أنّه محلُّ جريان أحكام الربوبيّة، حتى لو فُقِد الشيخ لم يقم فَقْدُهُ عند ذلك التلميذ ذلك القيام؛ لِعلمه بحال شيخه.

كأبي بكر الصدّيق مع رسول الله ﷺ حين مات رسول الله ﷺ فما بقي أحدٌ إلّا اضطرب، وقال ما لا يمكن أن يُسمع، وشَهد على نفسه في ذلك اليوم بقصوره وعدم معرفته برسوله الذي اتّبعه، إلّا أبو بكر؛ فإنّه ما تغيّر عليه الحال؛ لعلمه بما ثَمّ، وما هو الأمر عليه. فصعد المنبر، وقال قارئا: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾[2]. فتراجَع مَن حكم عليه وَهْمُهُ، وعرف الناس، حينئذ، فضلَ أبي بكر على الجماعة؛ فاستحقّ الإمامة والتقديم. فما بايعه، مَن بايعه، سُدى، وما تخلّف عن بيعته إلّا مَن جَهل منه ما جَهل أيضا مِن رسول الله ﷺ، أو مَن كان في محلّ نظر في ذلك، أو متأوّلا.

فإنّه ﷺ قد شهد له رسول الله ﷺ، في حياته، بفضله على الجماعة بالسرّ- الذي وقر في صدره. فظهر حكمُ ذلك السرّ في ذلك اليوم، وليس إلّا ما ذكرناه؛ وهو استيفاء مقام العبودة؛

١ ص ١٣٨ب
٢ [آل عمران : ١٤٤]

بحيث أنّه لم يُخِلّ منه بشيء في حقّه وفي[1] حقّ رسول الله ﷺ. فعلم محمد ﷺ أنّ أبا بكر الصدّيق مع مَن دعاه إليه، وهو الله -تعالى-، ليس (أبو بكر) معه (ص) إلّا بحكم أنّه يرى ما يخاطبه الحقّ -سبحانه- به على لسان رسوله ﷺ في كلّ خطاب يسمعه منه، بل مِن جميع مَن يخاطبه. وقد علّمه الحقّ في نفسه ميزان ما يقبل من خطابه وما يَرِدّ.

ونرجو -إن شاء الله- أن يكون مقامنا هذا، ولا يجعلها دعوى غير صادقة. فإنّي ذقت هذا المقام ذوقا لا مزاج فيه؛ أعرفه، من نفسي، وما سمعته عن أحد ممن تقدّمني بالزمان غير أبي بكر الصدّيق، إلّا واحد من الرجال المذكورين في رسالة القشيري. فإنّه حكى عنه أنّه قال: "لو اجتمع الناس أن ينزلوا نفسي منزلتها منّي من الخِسّة لم يستطيعوا ذلك" وهذا ليس إلّا لمن ذاق طعم العُبوديّة، لغيره لا يكون. ولمّا شَهِدَتْ لي جماعة أنّي على قدم أبي بكر الصدّيق من الصحابة، علمتُ أنّه ليس إلّا مقام العبودة المحضة. لله الحمد والشكر على ذلك. فالله يجعل مَن نظر إليّ مرّة واحدة من عمره، أن يكون هذا نعتُه في نفسه؛ دنيا وآخرة.

وكذلك حكى صاحبُ "البياض والسواد" في كتابه عن بعض الرجال، أنّه قال: العارف مسودّ الوجه في الدنيا والآخرة. فإن[2] كنى عن نفسه فهو صاحب المقام، وإن عثر[3] عليه من غير أن يكون نعتُه فقد وفّى ما خلق الله الإنسان له حقّه، لأنّه قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[4] يعني: ظاهرا وباطنا؛ فما جعل لهم في الربوبيّة قدما. فهكذا ينبغي أن يكون الإنسان في نفسه؛ فيقوم بحقّ ما خُلِق له. وإن لم يفعل فهو إنسان حيوان. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[5].

١ ص ١٣٩
٢ ص ١٣٩ب
٣ حرف الثاء مهمل
٤ [الذاريات : ٥٦]
٥ [الأحزاب : ٤]

الوصل الرابع من خزائن الجود، فيما يناسبه ويتعلّق به من المنزل الرابع

وقد ذكرنا ما يتضمّنه من العلوم في موضعه في الباب الثالث والسبعين ومائتين.

فاعلم أنّه من خزائن الجود ما يجب على الإنسان أن يعلمه ذوقا، وهو علِمُ ما يُستغنى به مما لا يُستغنى به، وذلك أن يعلم أنّ غاية درجة الغنى في العبد أن يستغني بالله عمّا سِوَاه. وليس ذلك عندنا مقاما محمودا في الطريق؛ فإنّ في ذلك قدرا لما سِوَى الحقّ، وتمييزا عن نفسه.

وصاحب مقام العبودة يسري ذوقه في كلّ ما سِوَى الله، أنّه عبدٌ؛ كَهُوَ لا فرق. ويرى أنّ كلّ ما سِوَى الله (هو) محلُّ جريان تعريفات الحقّ له؛ فيفتقر إلى كلّ شيء؛ فإنّه ما يفتقر إلّا إلى الله، ولا يرى أنّ شيئا يفتقر إليه في[1] نفسه. وإن أفاد اللهُ الناسَ على يديه؛ فهو عن ذلك في نفسه بمعزل. ويرى أنّ كلّ اسم تسمّى به شيءٌ مما يعطيك فائدة؛ أنّ ذلك اسم "الله"، غير أنّه لا يطلقه عليه حكما شرعيًّا، وأدبا إلهيًّا.

والاسم الإلهيّ "المغني" هو يعطي مقام[2] الغِنى للعبد بما شاء، مما تستغني به نفسُه. فالغِنى، وإن كان بالله، فهو محلّ الفتنة العمياء؛ فإنّه يعطي الزهوَ على عباد الله، ويورث الجهل بالعالَم وبنفسه، كما قال صاحب الجنيد: "وَمَنِ العالَم حتى يُذكر مع الله؟" هذا، وإن كان الذي قال هذا القول صاحب حال، وعَلِمَ أنّ الله ما خاطب عبادَه إلّا بقدر ما جعل فيهم من القبول لمعرفة خطابه؛ فيتنوّع خطابُه: ليتّسع الأمر ويَعُمّ. فما خلق الله العالَم على قدم واحدة إلّا في شيء واحد، وهو الافتقار. فالفقر له ذاتيٌّ، والغِنى له أمرٌ عرَضيٌّ. ومَن لا علم له؛ يغيب عن الأمر الذاتيّ له، بالأمر العارض. والعالِم المحقِّق، لا يزال الأمرُ الذاتيُّ -من كلّ شيء، ومن نفسه- مشهودا له دائما؛ دنيا وآخرة؛ فلا يزال عبدا فقيرا تحت أمر سيّده، لا يستغني في نفسه عن ربّه أبدا.

١ ص ١٤٠

٢ ثابتة في الهامش بقلم الأصل

ألا ترى أنّ السجود لله -تعالى- عامٌّ في كلّ مخلوق، إلّا هذا النوع الإنسانيّ[1]؛ فإنّه لم يعمّه السجود لله. ومع هذا فقد عمّه السجود؛ فإنّه لا يخلو أن يكون ساجدا؛ لأنّ السجود له ذاتيٌّ؛ لأنّه عبد، فقير، محتاج، يتألّم. فالحاجة به منوطة قائمة؛ فإمّا أن يسجد لله، وإمّا أن يسجد لغير الله. على أنّ ذلك السجود له عنده إمّا لله، وإمّا لمن يقرّب[2] إلى الله في زعمه، لا بدّ من هذا التوهّم. ولهذا رحم اللهُ عبادَه بما كلّفهم وأمرهم به من السجود لآدم، وللكعبة، ولصخرة بيت المقدس؛ لِعلمه بما جعل في عباده أنّ منهم مَن يسجد للمخلوقات عن غير أمر الله. فأمَر مَن أمر من ملَك وإنسان بالسجود للمخلوق، وجعل ذلك عبادةً يُتقرّب بها إليه -سبحانه- ليقلّ السؤال يوم القيامة عن الساجدين لغير الله عن غير أمر الله. فلا يبقى للحقّ عليهم مطالبة إلّا بالأمر، فيقول لهم: مَن أمركم بذلك؟ ما يقول لهم: لا يجوز السجود لمخلوق؛ فإنّه قد شرع ذلك في مخلوق خاصّ حِسًّا وخيالا.

كرؤيا يوسف عليه السلام الذي رأى الشمس والقمر وأحد عشر كوكبا ساجدين له، فكان ذلك: أباه[3]، وخالته، وإخوته. فوقع حِسًّا؛ ما كان إدراكه خيالا. والقصّة فيه معروفة متلوّة قرآنا في صور كوكبيّة. فلمّا دخلوا عليه ﴿خَرُّوا[4] لَهُ سُجَّدًا﴾ فقال يوسف عليه السلام لأبيه: ﴿هَـٰذَا تَأْوِيلُ﴾ أي مآل ﴿رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾[5] أي حقًّا في الحسّ، وقد كانت حقًّا في الخيال في موطن الرؤيا. فما ثَمّ إلّا حقٌّ، وما كان الله ليسرمد عذابا على مَن أتى حقًّا.

فإنّ[6] الله لمّا قسم الحقّ إلى مأمورٍ به ومنهيّ عنه، فأراد الحقّ أن يفرّق بين مَن أتى المأمور به، وبين من أتى[7] المنهيّ عنه؛ ليتميّز الطائع من العاصي؛ فتتميّز المراتب. فإذا عرف كلٌّ أحدٍ[8] قدرَه وما أتى؛ عمّت الرحمة الجميع: كلّ صنف في منزله، من حيث إنّه ما جاء إلّا بحقّ، وإن كان

١ ص ١٤٠ب

٢ "السجود.. يقرب" كتب مقابلها في الهامش بقلم آخر: "المسجود له إما لله وإما من يقرّب" وبجانبها حرف خ

٣ ق: "أخاه" والترجيح من ه، س

٤ ص ١٤١

٥ [يوسف : ١٠٠]

٦ كتب مقابلها في الهامش بقلم آخر: "إلا أنّ" مع حرف خ

٧ ق، س: "عصى"، والترجيح من ه

٨ رسمها في ق: أحور

منهيّا عنه. فإنّ المفتري صاحبُ حقٍّ خياليّ، لا حَقٍّ حِسِّيٍّ. فإنّه لا يفتري المفتري؛ حتى يُحْضِر- في خياله الافتراء والمفترَى عليه، ويقيمه في صورة ما افترى به عليه. فإذا تخيّله، مِثل صورة النوم سَوَاء، أخبر عنه بحقٍّ خياليّ. لكنّه سكت عن التعريف بذلك للسامع، فأخذه السامع على أنّه حقٌّ محسوس.

فأراد الله الفُرقان بين طبقات العالَم ومراتبه. فلذلك أعقب صاحب هذا النعت بالعقوبة على ذلك، أو بالمغفرة؛ بأيّهما شاء. لأنّ مِن هؤلاء[1] العصاة: المعاقَبُ والمغفور له، كما أنّه من الطائعين[2]: العالِم بالأمر بما هو عليه في نفسه، وهم العاملون على بصيرة: أهل الكشف والوجود، ومنهم المحجوب مع كونه مطيعا. فلم يجعل اللهُ أهلَ الطاعة على رتبة واحدة؛ فما في الوجود المعنويّ والحسّيّ والخياليّ إلّا حَقٌّ؛ فإنّه موجود عن حقٍّ، ولا يوجِد الحقُّ إلّا الحقَّ.

ولهذا قال ﷺ في دعائه يخاطب ربّه -تعالى-: «والخير كلّه في يديك، والشرّ ليس إليك» فإنّه ضدّ الخير. فما صدر عن الخير إلّا الخير، والشرُّ إنما هو عدم الخير. فالخير وجودٌ كلّه، والشرّ عدمٌ كلّه؛ لأنّه ظهور ما لا عين له في الحقيقة. فهو حكم، والأحكام نِسب. وإنما قلنا: "ظهور" فيه لأنّ ذلك لغة غريبّة. قال امرؤ القيس:

لَوْ يُشِرُّونَ مَقْتَلي[3]

أي: يُظهرون. ولذلك قال -تعالى- عن نفسه: إنّه ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ﴾ وهو إخفاءُ[4] ما له عينٌ ﴿وَأَخْفَى﴾[5] وهو إظهارُ ما لا عين له، فيتخيّل الناسُ أنّ ذلك حقّ، والله يعلم أنّه ليس له وجود عين في نفس الحكم. فـ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ أي أظهر في الخفاء، كما قال: ﴿مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾[6] يعني في الصِّغَر. وهكذا هذا، هو أظهر في الخفاء من السرّ، والشيء الخافي هو

١ ثابتة في الهامش بقلم الأصل، مع إشارة التصويب
٢ ص ١٤١ب
٣ وردت ضمن بيت لامرئ القيس وهي: تجاوزتُ أحراسا وأهوالَ معشرٍ عليَّ حِراصٌ لو يشرّون مقتلي
٤ ق: اخفى
٥ [طه : ٧]
٦ [البقرة : ٢٦]

الظاهرُ لغة منقولة.

قال -تعالى- في تأييد ما ذكرناه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا[1] وَجْهَهُ﴾[2] فكلّ شيء هو موجود: نشاهده حِسًّا، ونعلمه عقلًا؛ فليس بهالك. فكلّ شيء (هو) وجهه[3]، ووجهُ الشيء حقيقتُه؛ فما في الوجود إلّا الله؛ فما في الوجود إلّا الخير وإن تنوّعتِ الصور. فإنّ رسول الله ﷺ قد أخبرنا أنّ التجلّي الإلهيّ يتنوّع، وقد أخبرنا اللهُ -تعالى- أنّه كلّ يوم في شأن؛ فنكّر، وما هو إلّا اختلاف ما هو فيه. فكلّ ما ظهر فما هو إلّا هو، ولنفسه ظهر. فما يشهده أمر، ولا يكثّره غيرٌ. ولذلك قال: ﴿لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي مَن يعتقد أنّ كلّ شيء جعلناه هالكا، وما عرف ما قصدناه إذا رآه ما يهلك، ويرى بقاءَ عينه مشهودا له دنيا وآخرة؛ عَلِمَ ما أردنا بالشيء الهالك. وأنّ كلّ شيء لم يتّصف بالهلاك؛ فهو وجهي؛ فعلِم أنّ الأشياء ليست غير وجهي؛ فإنّها لم تهلك؛ فردَّها إليَّ حكمًا. فهذا معنى قوله: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ وهو معنى لطيف يخفى على مَن لم يستظهر القرآن.

فإذا كان الغنيّ عبارة عمّن هذه صفته، والغنى عبارة عن هذه الصفة؛ فلا غنيّ إلّا الله، وكذلك الغنى صفته. ونحن ما تكلّمنا إلّا في العبد، لا في الحقّ. فالعبد له الفقر المطلَق إلى سيّده، والحقّ له الغنى المطلَق عن العالم. فالعالم لم يزل مفقودَ العين، هالكا بالذات في حضرة إمكانه، وأحكامه يظهر[4] بها الحقّ لنفسه بما هو ناظر من حقيقة حكمِ ممكنٍ آخر. فالعالم هو الممدّ بذاته ما يظهر في الكون من الموجودات؛ وليس إلّا الحقّ، لا غيره.

فتحقّق -يا وليّ- هذا الوصل، فإنّه وصلٌ عجيبٌ. حُكمه خَلْقٌ في حقٍّ بحقٍّ، ولا خلق في نفس العين مع وجود الحكم. وقبول الحقّ لحكم الخلق، وهو قبول الوجود لحكم العدم، وليس يكون إلّا هكذا. ولولا ذلك لم يظهر للكثرة عين؛ وما ثَمّ إلّا الكثرة مع أحديّة العين. فلا بدّ من

١ ص ١٤٢
٢ [القصص : ٨٨]
٣ "هو موجود... وجهه" ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب
٤ ص ١٤٢ب

ظهور أحكام الكثير، وليس إلّا العالَم فإنّه الكثير المتعدّد. والحقُّ واحدُ العين؛ ليس بكثير. وقد رميتُ بك على الطريق؛ لتعلم ما الأمر عليه؛ فتعلم مَن أنت، ومَن الحقّ؛ فيتميّز الربُّ من العبد. ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾[1].

* * *

الوصلُ الخامس من خزائن الجود، فيما يناسبه ويتعلّق به من المنزل الخامس

ويتضمّن هذا المنزلُ الخامس من العلوم الإلهيّة: عِلْمَ تفصيل الرجوع الإلهيّ بحسب المرجوع إليه من أحوال العباد، وهو علم عزيز، فإنّ الله يقول: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ[2] الأَمْرُ كُلُّهُ﴾[3] ويقول: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ وهنا رجوعُ الحقّ إلى العباد من نفسه، مع غناه عن العالمين. فلمّا خلقهم لم يمكن إلّا الرجوع إليهم، والاشتغال بهم، وحفظ العالَم؛ فإنّه ما أوجده عبثا. فيرجع إليه -سبحانه- بحسب ما يطلبه كلّ شخص شخص من العالَم به؛ إذ لا يقبل منه إلّا ما هو عليه في نفسه من الاستعداد؛ فيحكم باستعداده على مواهب خالقِه؛ فلا يعطيه إلّا ما يقتضيه طلبه.

ولمّا كان الأمر على ما ذكرناه، وأدخل الحقُّ نفسَه تحت طلب عباده؛ فأطاعهم؛ كلّفهم أن يطيعوه على ألسنة الرسل. فمَن أطاعه منهم، ظهر (هذا المطيع) له بصفة الحقّ التي ظهر للعباد بها في إعطاء ما طلبوه منه. ومَن عصاه عُلِم، عند ذلك، ما السبب الذي أدّى هذا العاصي إلى أن يعصي ربّه؟ فلم يكن ذلك إلّا إظهارا لحكمة عموم الرجوع الإلهيّ إلى العباد بحسب أحوالهم؛ فإنّه عامّ الرجوع. فرجع على الطائعين بما وعد، ورجع على العاصين بالمغفرة، وإن عاقب.

وظهرت المعصية في أوّل إنسان، والإباية في أوّل جانّ، ثمّ انتشرت المعاصي في الأناسيّ والجنّ بحسب الأوامر والنواهي، وكان ذلك على قدر ما علم الحقُّ من الرجوع الإلهيّ إليهم بهذه المخالفات. فلم يقدر مخلوق على أن يطيع الله -تعالى- طاعةً[4] الله، لما يطلبه العبد منه بحاله بما يسوءُ وبما يَسُرُّ. فإنّ الحال الذي قام فيه العبد إذا كان سوءا؛ فإنّ لسان الحال يطلب من الحقّ

١ [النحل : ٩]
٢ ص ١٤٣
٣ [هود : ١٢٣]
٤ ص ١٤٣ب

ما يجازيه به ويرجع به عليه: إمّا على التخيير، وذلك ليس إلّا لحالِ المعصية القائم بالعاصي، وإمّا على الوجوب بالتعيين. فالرجوع الإلهيّ على العاصي (يكون) إمّا بالأخذ وإمّا بالمغفرة، والرجوع على الطائع (يكون) بالإحسان. فما أعطى الحقّ برجوعه للعبد إلّا ما طلب منه العبد بلسان حاله؛ وهو أفصح الألسنة وأقوم العبارات. فأصل المعاصي في العباد يستند إلى نِسبة إلهيّة؛ وهي أنّ الله هو الآمرُ عبادَه والناهي -تعالى-.

والمشيئة لها الحكم في الأمر الحقّ المتوجّه على المأمور؛ إمّا بالوقوع أو بعدم الوقوع. فإن توجّهتْ بالوقوع سُمّي ذلك العبد طائعا، ويسمّى ذلك الوقوع طاعة؛ فإنّه أطاعتِ الإرادةُ الأمرَ الإلهيّ. وإن لم تتوجّه المشيئة بوقوع ذلك الأمر؛ عصتِ الإرادةُ الأمرَ. وليس في قوّة الأمر الحكمُ على المشيئة. فظهر حكم المشيئة في العبد المأمور؛ فعصى- أمرَ ربّه أو نهيَه، وليس ذلك إلّا للمشيئة الإلهيّة. فقد تبيّن لك مَن العاصي ومَن الطائع، وإلى أيّ أصل ترجع معصيةُ المكلَّف، أو طاعتُه.

فلا[1] رجوع إلّا لله على العباد، ورجوع العباد إلى الله (يكون) برجوع الحقّ عليهم، كما قال -تعالى-: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾[2] فلولا توبةُ اللهِ عليهم ما تابوا، والتوبةُ (هي) الرجوعُ. فالله أكثر رجوعا إلى العباد، من العباد إليه. فإنّ رجوع العباد إلى الله (يتحقّق) بإرجاع الله، فما رجعوا إلى الله إلّا[3] بالله.

وبعد أن أوجد اللهُ العالَمَ وأبقى الوجود عليه؛ لم يمكن إلّا حفظُه؛ فإنّه لا بقاء له إلّا بالحفظ الإلهيّ. فالعبد يرجع إلى الله من نفسه، ويرجع إلى نفسه من الله. والحقّ ما له رجوع إلّا إلى عباده مِن عباده، فما كانت له رجعة من نفسه إلّا الأُولى، المعبَّر عن ذلك بابتداء العالَم. ولو كانت المشيئة تقتضي الاختيار لجوّزنا رجوع الحقّ إلى نفسه، وليس الحقّ بمحلّ للجواز؛ لما يطلبه الجواز من الترجيح من المرجّح. فمحالٌ على الله الاختيار في المشيئة، لأنّه محالٌ عليه

١ ص ١٤٤
٢ [التوبة : ١١٨]
٣ ثابتة في الهامش بقلم الأصل

الجواز؛ لأنّه محالٌ أن يكون لله مرجّحٌ يرجّحُ له أمرا دون أمر؛ فهو المرجّح لذاته. فالمشيئة أحديّة التعلُّق، لا اختيار فيها. ولهذا لا يُعقل الممكن أبدا إلّا مرجَّحا. إلّا أنّ الحقّ، من كونه غفورا، أرسل سِتره وحجابه بين بعض عباده، وبين إحالة رجوع الحقّ إلى نفسه في غناه عن[1] العالم، فقال في ذلك الستر: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[2] وهذا ليس يتمكن الحكم به إلّا ولا عالَم، أو يكون متعلّق المشيئة (هو) الاختيار، وكِلا الأمرين -مع وجود العالَم- لا يكون، ولا واحد منهما.

فالمحجوب بهذا الحجاب يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ ولا يعلم صورة الأمر كيف هو؟ والمرفوعُ عنه من العباد هذا الستر، إذا قالها؛ قالها تلاوةً، وعَلِمَ متعلَّقها، وما هو الأمر عليه الآن، وما كان عليه الأمر. وترك متعلّق غناه فيما بقي من الممكنات لم يوجد؛ فإنّها غير متناهية بالأشخاص. فلا بدّ من بقاء ما لم يوجد؛ فبه تتعلّق صفة الغنى الإلهيّ عن العالم؛ فإنّ بعض العالم يسمّى عالَمًا. فمَن فهم الغنى الإلهيّ هكذا؛ فقد علِمه.

وأمّا تنزيه الحقّ عمّا ينزّهه عبادُه ممّا[3] سِوى العبوديّة، فلا عِلم لهم بما هو الأمر عليه؛ فإنّه يكذّب ربّه في كلّ حال يجعل الحقُّ فيه نفسَه مع عباده. وهذا أعظم ما يكون من سوء الأدب مع الله: أن ينزّهه عمّا نَسبه -سبحانه- إلى نفسِه، بما نَسبه إلى نفسِه. فهو يؤمن ببعض وهو قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[4] ويكفر ببعضٍ (وهو قوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾) فـ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾[5] فيجعل العبدُ نفسَه أعلم منه بربّه نفسه. وأكثر من هذا الجهل فلا يكون. والعبد[6] المؤمن ينبغي له أن يَنسب إلى الحقّ ما نَسبه الحقّ إلى نفسه، على حدّ ما يعلمه الله من ذلك؛ إذا لم يكن ممن كشف الله عن بصيرته حتى رأى الأمر على ما هو عليه.

وهذا هو الشرك الخفيّ؛ فإنّه نزاع لله -تعالى- خفي في العبد، لا يشعر به كلُّ أحد ولا سيما

١ ص ١٤٤ب
٢ [آل عمران : ٩٧]
٣ ق: "ما" ولم ترد في س، والترجيح من ه
٤ [الشورى : ١١]
٥ [النساء : ١٥١]
٦ ص ١٤٥

الواقع فيه، ويتخيّل أنّه في الحاصل؛ وهو في الفائت. ولهذا أَمَرَ الحقُّ -تعالى- أن يسبّح بحمده أي بما أثنى على نفسه، وما وصف -تعالى- نفسَه بشيء إلّا في معرض الثناء عليه بذلك الوصف. وهذا المنزِّهُ الجاهل ينزّهه عن ذلك الوصف الذي وصف به الحقُّ نفسَه، وأخذ يُثني عليه بما يرى أنّه ثناء على الله، والله ما أمره أن ينزّهه إلّا بحمده، أي بما أثنى على نفسه به؛ في كتبه، وعلى ألسنة رُسله. ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ إلّا هذا الإنسان؛ فإنّ بعضه يسبّحه بغير حمده، ويُكذّبُ الحقَّ في بعض ما أثنى به على نفسه، وهو لا يشعر بذلك. ولهذا قال: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا﴾ فلم يؤاخذكم على ما تركتم من الثناء عليه بما أثنى به على نفسه، ولم يعجّل عليكم بالعقوبة ﴿غَفُورًا﴾[1] بما ستره عنكم مِن علم ذلك، ممن هو بهذه المثابة.

فإذا أراد[2] العبدُ نجاةَ نفسه، وتحصيلَ أسباب سعادته؛ فلا يحمد الله إلّا بحمده، كان ما كان، على عِلم الله في ذلك من غير تعيين. فإن قَبَضَه الله -تعالى- على ذلك؛ اطّلع على الأمر على ما هو الأمر عليه، إذا لم يكن من أهل الكشف في الحياة الدنيا. وإن لم يفعل، وتأوّل؛ فهو لما تأوّل، وحرمه الله كلّ ما خرج عن تأويله؛ فلم يره فيه؛ وهذا أعظم الحرمان. وعند الكشف الأخراويّ يرى ما كان عليه من سوء الأدب مع الله، والجهل به. كما ورد أنّ أهل هذا المقام إذا تجلّى لهم الحقّ -تعالى- في الآخرة ينكرونه ولا يُقرّون به؛ لأنّهم ما عبدوا ربّا إلّا مقيّدا بعلامة؛ فإذا أظهر لهم تلك العلامة أقرّوا له بالربوبيّة؛ وهو عين ما أنكروه. وأيّ جهل أعظم من أن يقرّ بما هو له منكر؟!.

ويتضمّن هذا المنزلُ عِلمَ الوافدين على الله. وعِلمَ أنواع الفتوح، ومجيء المعاني بمجيء مَن قامت به؛ فينسب المجيء إليها لا إليه. وعِلمَ الزمان.

١ [الإسراء : ٤٤]
٢ ص ١٤٥ب

الوصل السادس من خزائن الجود فيما يناسب ويتعلّق به المنزل السادس

مَنْ[1] سَتَرَ الحَقَّ وَلَمْ يُفْشِهِ | فَذَلِكَ الشَّخْصُ الذِي قَدْ كَفَرْ
وَلَيْسَ مَخْفِيًّا عَلَى ناظِرٍ | فِيْهِ بِعَيْنِ العَقْلِ أَوْ بِالبَصَرْ
تَبَارَكَ اللهُ الذِي لَمْ يَزَلْ | يَظْهَرُ فِيْمَا قَدْ بَدَا مِنْ صُوَرْ
فإِنّهُ مُنْشِئُها دائِمًا | فِي كُلِّ مَا يَظْهَرُ أَوْ قَدْ ظَهَرْ

اعلم -أيّدك الله- أنّ عبادةَ الله بالغيب عينُ عبادته بالشهادة. فإنّ الإنسانَ وكُلَّ عابد لا يصحّ أن يعبد معبودَه إلّا عن شهود؛ إما بعقل، أو ببصر. فالبصيرةُ يَشهده العابد بها؛ فيعبده، وإلّا فلا تصحّ له عبادة. فما عَبَد إلّا مشهودا، لا غائبا. فإن أَعلمه بتجلّيه في الصور للبصر، حتى يميّزه؛ عَبَدَهُ أيضا على الشهود البصريّ -ولا يكون ذلك إلّا بعد أن يراه بعين بصيرته-؛ فيرجع بين البصيرة والبصر؛ فقد كملت عبادته؛ ظاهرا وباطنا. ومَن قال بحلوله في الصور؛ فذلك جاهل بالأمرين[2] جميعا.

بل الحقُّ أنّ الحقَّ عينَ الصور؛ فإنّه لا يحويه ظرف، ولا تُغَيّبُه صورة؛ وإنما غيّبه الجهل به من الجاهل؛ فهو يراه ولا يعلم أنّه مطلوبه. فقال له الرسول ﷺ: «اعبد الله كأنّك تراه» فأمره بالاستحضار؛ فإنّه يعلم أنّه لا يُسْتَحْضَرْ إلّا مَن يَقبل الحضور. فاستحضار العبدِ رَبَّه في العبادة عينُ حضور المعبود له. فإن لم يعلمه إلّا في الحدّ والمقدار: حدَّه وقدَّره، وإن علِمه منزَّها عن ذلك: لم يحدّه ولم يقدّره، مع استحضاره كأنّه يراه. وإنما لم يحدّه ولم يقدّره العارف به؛ لأنّه يراه جميعَ الصور. فمهما حَدَّهُ بصورة؛ عارضَتْه صورة أخرى؛ فانخرم عليه الحدُّ. فلم ينحصر له الأمر؛ لعدم إحاطته بالصور الكائنة وغير الكائنة له؛ فلم يحط به علما. كما قال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾[3] مع وصفِه بأنّه أقرب إلى الإنسان من حبل وريده. فالحقُّ أقرب إليه من نفسه؛ فإنّه أتى بـ"أفعل مِن" فثمّ قريب وأقرب. وأقرب الأشياء قربُ الظاهر من الباطن؛ فلا أقرب من الظاهر إلى الباطن؛ إلّا الظاهر عينه. ولا أقرب من الباطن إلى الظاهر؛ إلّا الباطن عينه.

---

[1] ص ١٤٦
[2] ص ١٤٦ب
[3] [طه : ١١٠]

وهو[1] أقرب من حبل الوريد؛ فهو عين المنعوت بأنّ له حبل الوريد. فعلِمنا أنّه عين كلّ صورة، ولا نحيط بما في الوجود من صور؛ فلا نحيط به علما.

فإن قلتَ: فأنتَ من الصور؟ قلنا: وكذلك نقول. إلّا أنّ الصور، وإن كانت عين المطلوب، فإنّها أحكام الممكنات في عين المطلوب؛ فلا تُبَالِ بما يُنسب إليها من الجهل والعلم وكلّ وصف. فإنّي أعلم كيف أنسب وأصف وأنعت، فـ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾[2] فالحقُّ حقٌّ وإن لم تكن، كما هو الحقُّ حقٌّ وإن كنت، لا فُرقان. فللظاهر حكمٌ لا يكون للباطن من حيث ما قلتَ فيه باطن في العبادة. وللباطن حكم لا يكون للظاهر من حيث ما قلت فيه ظاهرٌ في العبادة. وكلُّ حكم له مقام معلوم، وكلُّ مقام له حكم معلوم، فلا يُعلم شيء إلّا به، فلا يُعبد إلّا به. ولهذا نبّه الحقُّ مَن لا علم له بما ذكرناه على رتبة العلماء بالله، فقال: إنّه سَمْعُ العبدِ وبصرُه. فما أبصرتَه إلّا به، ولا سمعتَه إلّا به، فعينُه عينُ سمعِك وبصرِك، فما عبدتَه إلّا به. وليس بعد إعلام الحقّ -عزّ اسمه، وجَلَّ ذِكْره- إعلامٌ، ولا بعد أحكامه -فيما حكم فيه- أحكامٌ.

فَلَيْسَ[3] إِلَّا عَيْنُهُ بِالخَبَرْ | وَلَيْسَ إِلَّا غَيْرُهُ بِالبَصَرْ
فَأَيْنَ أَهْلُ الفِكْرِ فِي ذاتِهِ | قَدْ رَكِبُوا فِيْهِ عَظِيْمَ الخَطَرْ
تَعارَضَ الأَمْرُ لَدَيْهِمْ فَمَا | لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ بِحُكْمِ النَّظَرْ
إِنْ قِيْلَ: هُوْ، قِيْلَ لَهُمْ: لَيْسَ هُوْ | لأَنَّهُ مَطْلُوبُكُمْ بِالفِكَرْ
أَوْ قِيْلَ: ما هُوْ، قِيْلَ: هُوْ، إِنّهُ | عَيْنُ الذِي تَشْهَدُهُ فِي الصُّوَرْ

* * *

واقعة

أُرِيت عينًا من لبن حليب، ما رأيت لبنا مثله في البياض والطِّيب، في جومة[4]. دخلت فيه حتى بلغ ثديي، وهو يتدفّق. فعجبتُ لذلك، وسمعت كلاما غريبا إلهيّا يقول: مَن سجد لغير

---

[1] ص ١٤٧
[2] [الروم : ٤]
[3] ص ١٤٧ب
[4] الجام: إناء من فضة، وجمعها: جامات، وجومٌ. ولعلها: "حومة" كما وردت في س، والحومة: أكثر موضع ماء وأغمره

الله، عن أمر الله؛ قربة إلى الله، طاعة لله؛ فقد سعد ونجا. ومَن سجد لغير الله، عن غير أمر الله؛ قربة إلى الله؛ فقد شقي؛ فإنّ الله ﷻ يقول: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ[1] لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[2] فإنّ الله مع الخلق، ما الخلق مع الله؛ لأنّه يعلمهم، فهو معهم أينما كانوا في ظرفيّة أمكنتهم، وأزمانهم، وأحوالهم. ما الخلق معه -تعالى جلاله-؛ فإنّ الخلق لا تعرفه حتى تكون معه. فمن دعا الله مع الخلق، ما هو كمَن دعا الخلق مع الله. ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ ولا يصحّ السجود إلى غير الله؛ إلّا لكون الله مع الخلق حيث كانوا. فلا نعلمه ولا نجده إلّا بالخلق؛ فالسجود، على الحقيقة، لله الموصوف بالمعيّة مع الخلق. ولهذا شُرعت القِبلة، كما قال ﷺ: «إنّ الله في قِبلة المصلّي» فالقبلة ما هي الله، والله فيها. فأُمِرنا بالسجود لها، لكون الله فيها ومعها.

فمَن رأى الخلق ببصره؛ فقد رأى الحقّ ببصيرته مطلقا. وليس له، إذا رأى ذلك، أن يسجد له؛ إلّا إذا أمره بالسجود، وإن كان لله، فلا يقع في الحسّ إلّا لغير الله أبدا. لأنّه لا يصحّ أن يقع السجود لله؛ لأنّ الله بكلّ شيء محيط. فالجهات كلّها، نِسبتها أو نِسبة الحقّ إليها، على السّواء. ومَن خرَّ على قفاه؛ فما سجد لله؛ وإن كان الله خلفه كما هو أمامه. لَكِنِ اللهُ ما راعى[3] إلّا وجهه، لم يراعِ من جهات العبد سِوَى وجهه. فلذلك لا يصحّ السجود إلّا لغير الله، عن أمر الله. قال الله تعالى: ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾[4] فالسجود لغير الله والعبادة لله؛ لا تكون لغير الله أبدا؛ فإنّه لا أعظم من الشِّرك. وقد قال المشرك: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[5] فما عبدوا الشركاء لأعيانهم. فما أُخِذوا إلّا لكونهم عبدوهم. فإنّ الله لا يأمر خلقَه، ولا يصحّ أن يأمر خلقَه بعبادة مخلوق، ويجوز أن يأمر بالسجود للمخلوق.

فمَن سجد عبادةً لمخلوق عن أمر الله، أو عن غير أمر الله؛ فقد شقي. ومَن سجد غيرَ عابدٍ لمخلوقٍ: فإن كان عن أمر الله؛ كان طاعة؛ فسعد. وإن سجد لمخلوق غير عابد إيّاه، عن غير أمر

١ ص ١٤٨
٢ [الجن : ١٨]
٣ ص ١٤٨ب
٤ [البقرة : ٣٤]
٥ [الزمر : ٣]

الله؛ كانت رهبانيّة ابتدعها فما رعاها حقّ رعايتها إلّا ابتغاء رضوان الله؛ لأنه ما قصدها إلّا قربة إلى الله؛ فما خَلَتْ هذه الحالة عن الله، «والله عند ظنّ عبده به» لا يخيّبه «فليظنّ به خيرا».

فلا بدّ مِن أخذِ المشركين لتعدّيهم بالاسم غير محلّه ولا موضوعه، ولم يَرِد عليه أمرٌ بذلك من الله، ومن المحال أن ترد عبادة[1]، وإن ورد سجودٌ. ولولا وضعُ اسم الألوهة على الشريك ما عبدوه، فإنّ نفوس الأناسيّ بالأصالة تأنف من عبادة المخلوقين، ولا سيما من أمثالها؛ فأصحبوا عليها الاسم الإلهيّ حتى لا يتعبّدهم غيرُ الله، لا يتعبّدهم مخلوقٌ.

فما جعل المشرك يشرك بالله في وضع هذا الاسم على المخلوق؛ إلّا التنزيه لله الكبير المتعالي. لأنّ المشرك لا بدّ له في عبادته من حركات ظاهرة تطلب التقييد، ولا بدّ من تصوّر خياليّ؛ لأنّه ذو خيال، ولا بدّ مِن علم عن دليل عقليّ يقضي- بتنزيه الحقّ عن التقييد ونفي المماثلة؛ فلذلك نقلوا الاسم للشريك. والنبيّ ﷺ يقول لجبريل عليه السلام في معرض التعليم لعباد الله: «اعبد الله كأنّك تراه» فأمره بتصوُّره في الخيال مَرْئِيًّا. فما حجر اللهُ على العباد تنزيهه ولا تخيُّله، وإنما حجر عليه أن يكون محسوسا له، مع علمه بأنّ الخيال من حقيقته أن يُجَسِّد ويُصوِّر ما ليس بجسد ولا صورة؛ فإنّ الخيال لا يدركه إلّا كذلك. فهو حِسٌّ باطنٌ بين المعقول والمحسوس، أعني الخيال.

وما قرّر الحقُّ هذا كلّه إلّا للرحمة التي وَسِعَتْ كلّ[2] شيء، حتى إذا رحم مَن وقع الأخذ به؛ عرف الخلق أنّ هذه الرحمة الإلهيّة قد تقدَّم الإعلام بها من الحقّ في الدار الدنيا، دار التكليف؛ فلا ينكرها العالمون. فما أخرج اللهُ العالَم من العدم، الذي هو الشرّ، إلّا للخير الذي أراده به، وليس إلّا الوجود. فهو للسعادة[3] موجودٌ بالأصالة، وإليها ينتهي أمره بالحكم. فإنّ الدار التي أشرك فيها دار مزجٍ، فهي دار شبهة، وهي الدنيا؛ فلها وجهٌ إلى الحقّ بما هي موجودة، ولها وجهٌ لغير الحقّ بما ينعدم ما فيها، وينتقل عنها إلى الأخرى. والشبهةُ نِسْبةُ الحِلِّ إليها والحرمةِ على السَّواء،

١ ص ١٤٩
٢ ص ١٤٩ب
٣ ق: "إلى السعادة" وصححت في الهامش بقلم الأصل

وما جعلها الله على هذه الصفة إلّا لإقامة عذر العباد إذا أراد أن يرحمهم رحمةَ العموم. فما ألطفَ الله بخلقه؛ فإنّ الصانع له اعتناءٌ بصنعته.

فالمؤمن العالم ما جحد أنّ المشرك عبَدَ الله؛ فإنّه سمعه يقول: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ﴾. والمشرك ما جحد الله -تعالى- بل أقرّ به، وأقرّ له بالعظمة والكبرياء على مَن اتّخذه قربة إليه. فإذا علمتَ من أين أُخِذ مَن أُخِذ، وأنّ الأخذ الأُخراويّ كالحدود في الدنيا، لا تؤثّر في الإيمان بوجود الله، ولا في أحديّة العظمة له التي تفوق كلّ عظمة عند الجميع، فإنّه مِن رحمة الله أن جعل الله[1] مَن يعظّم شعائر الله وحرمات الله -والشعائرُ الأعلامُ والمناسكُ- قربةً إلى الله، وأنّ ذلك من تقوى القلوب. فهذا أيضا من المشاركة في العظمة، مشروعة لنا. فما عظّم المشركِ الشريكَ إلّا لعظمة الله، لمّا رأى أنّ العظمة في المخلوقات سارية، يجدها كلّ إنسان في جِبلّته. ومع ذلك فأفرد المشركُ عِظَم عظمة الله في قلبه إلى الله، فما وقعت المؤاخذة إلّا لكون ما وقع من ذلك، عن غير أمر الله في حقّ أشخاص معيّنين، ونقل الاسم إلى أولئك الأشخاص.

* * *

وَصْلٌ: (الأصول محفوظة بالفطرة التي فطر الله الخلق عليها)

وأمّا الأصول فمحفوظة بالفطرة التي فطر الله الخلق عليها. ألا ترى إلى ما قال بعضهم: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾[2] فقال الله -تعالى- في الوحي الصريح الصحيح: «لا تسبّوا الدهر فإنّ الله هو الدهر» تُراه قال هذا، وجاء به سُدى؟! لا والله؛ بل جاء به رحمة لعباده. فإنّ الدهر، عند القائلين به؛ ما هو محسوس عندهم، وإنما هو أمرٌ متوهَّم؛ صورته في العالم وجودُ الليل والنهار عن حركة كوكب الشمس في فلكها المحرَّك بحركة الفلَك الأعظم؛ فلَك البروج الذي له اليوم بحركته، كما الليل والنهار بظهور كوكب[3] الشمس فيه. فقد كان اليومُ ولا ليل ولا نهار مع وجود

١ ص ١٥٠
٢ [الجاثية : ٢٤]
٣ ص ١٥٠ب

الدرجات والدقائق، وأقلّ من ذلك. فلم يصحّ -مع هذا- شِرك عامّ، ولا تعطيل عامّ، وإنما هي أسماء سمّوها؛ أطلقوها على أعيان محسوسة وموهومة، عن غير أمر الله، فأُخذوا بعدم التوقيف. فقد وجدنا الأمرَ عينَ ما وُجد منهم عن غير أمرٍ، فتحقّق هذا الوصل؛ فإنّه دقيق جدّا.

انتهى السفر الخامس والعشرون، بانتهاء الوصل السادس من الباب التاسع والستين وثلاثمائة، يتلوه الوصل السابع من خزائن الجود، من الباب عينه، والحمد لله على ذلك.[1]

١ كتب في الهامش: "عورض هذا السفر بالنسخة الأولَى من خطّ الشيخ ﷺ، في شهر ذي القعدة سنة تسع وثلاثين وستمائة، والحمد لله، وصلواته على صفوته من خلقه خصوصا على محمد وآله وصحبه وسلم". وأسفل المتن ختم الأوقاف الإسلامية برقم ١٧٤١

المحتويات

السفر السادس والعشرون من الفتوح المكّيّ[1]

[1] العنوان ص ١ب، ويتلوه بقلم الشيخ الأكبر: "إنشاء الفقير إلى الله تعالى محمد بن علي العربي الطائي. رواية مالك هذه المجلدة محمد بن إسحق القونوي عنه" وبخط آخر: "وقف هذا الكتاب مع مجلداته الباقية إلى تمام السبع وثلاثين الذي بمؤخّر الكتاب، صاحبه المذكور اسمه فوق هذا المسطور بخط المؤلف رضي الله عنهما وأثابهما رضاه إلى يوم يلقاه في المكان والشرط المذكور في بعض هذا الكتاب. وليس لأحد تغيير شرطه ولا مكانه، إن شاء الله تعالى". ثم طابع دمغة برقم ١٨٧٠، وختم الأوقاف الإسلامية برقم ١٧٦٦، وإشارة إلى عدد صفحاته: ٢٩٤ صحيفة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الوصل السابع من خزائن الجود

من الباب التاسع والستين وثلاثمائة

من هذه الخزانة فما فوقه تنزيه العبد عن نسبة سيره وتخليص
عبوديته لله من غيره فما أوله من ذلك ما يقتضيه الدرجة من بين
الخيرات يستصحبه ذلك في تلك الإمارة في حياته الدنيا موضع
الحجاب والستر فإن المولى المتقدم على الخلق بالوجود من جميع
الوجوه وبالمكانة والرتبة وكان لا يعلو من تقدمه الوجود
رفعة وفضلا وحكما وإمضاء أمضى لا يرد ولا ينقض عليه فهذا
تقدم الرتبة فما يتشاورون إلا أن يشاء الله أن يتشاوروا فوجب
التأخر عن رتبة المتقدم من جميع الوجوه فإن العدد أعطى الكثرة
لتكون الأحدية للعلو وأعطى حال العلو أحدية التمييز للكثرة
عنه لا أحدية ذوقا فنعلم أن ثم أحدية لنعلم منها الأحدية
الإلهية من شهودها للتعلق إذ لو لم تكن للعلو أحدية
ذوقا يميزها عما سواه ما علم أن لله أحدية يتميز بها عن خلقه
فلا مرتبة للكثرة أحدية الكثرة ولكل عدد أحدية لا تكون
لعدد آخر فالاثنين والثلاثة إلى ما لا يتناهى [illegible] لا يشبه هي

إمضاء

بعو

الصفحة الثانية من مخطوط قونية

الصفحة الأخيرة من مخطوط قونية

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

الوصل السابع من مفاتح خزائن الجود، من الباب التاسع والستّين وثلاثمائة

(وجوب تأخّر العبد عن رتبة سيّده، وتخليص عبوديّته لله من غيره)

هذه الخزانة فيها وجوب تأخّر العبد عن رتبة سيّده، وتخليص عبوديّته لله من غيره، كما أقرّ له بذلك في قبضة الذرّيّة. يريد الحقّ أن يستصحبه ذلك الإقرار في حياته الدنيا موضع الحجاب والستر. فإنّ الحقّ له التقدّم على الخلق بالوجود من جميع الوجوه، وبالمكانة، والرتبة؛ فكان ولا مخلوق؛ هذا تقدُّم الوجود. وقدّر، وقضى، وحكم، وأمضى- إمضاء[2] لا يُردّ ولا يقضى- عليه؛ فهذا تقدُّم الرتبة. فـ﴿مَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾[3] أن تشاءوا. فوجب التأخّر عن رتبة الحقّ من جميع الوجوه.

فإنّ العبد أعطى الكثرة؛ لتكون الأحديّة له -تعالى- وأعطى كلَّ مخلوق أحديّة التمييز؛ لتكون عنده الأحديّة ذوقا؛ فيَعلم أنّ ثَمّ أحديّة؛ ليعلَمَ منها الأحديّة الإلهيّة حتى يشهَد[4] بها لله -تعالى-. إذ لو لم تكن لمخلوق أحديّةٌ ذوقا يتميّز بها عمّا سِوَاه؛ ما علم أنّ لله أحديّة يتميّز بها عن خلقه، فلا بدّ منها. فللكثرة أحديّة الكثرة، ولكلّ عدد أحديّة لا تكون لعدد آخر؛ كالاثنين والثلاثة إلى ما فوق ذلك مما لا يتناهى وجودا[5] عقليًّا؛ فلكلّ كثرة من ذلك أحديّة تخصّه.

وعلى كلّ حال أوجبَ الحقُّ على عبده أن يتأخّر عن رتبة خالقه، كما أخّر -سبحانه- عِلمنا به عن عِلمنا بأنفسنا. فوجود العلم المحدَث به متأخّر بالوجود عن وجود العلم المحدَث بنا، وجعل المفاضلة في العالم، بعضه على بعض، لنعرف المفاضلة ذوقا من نفوسنا؛ فنعلم من ذلك فضل الحقّ علينا، وأنّ تأخّر علمنا به عن علمنا بنفوسنا؛ لِنَعلم أنّ عِلمنا بنفوسنا إنما كان للدلالة على عِلمنا به. فعلِمنا أنّا مطلوبون له، لا لأنفسنا وأعياننا؛ لأنّ الدليل مطلوبٌ للمدلول، لا لنفسه. ولهذا لا يجتمع الدليل والمدلول أبدا، فلا يجتمع الخلقُ والحقّ أبدا في وجه من الوجوه.

---

١ البسملة ص ٢

٢ كانت في ق: "مضاء" وصححت في الهامش بقلم الأصل، مع حرف ت

٣ [الإنسان: ٣٠]

٤ كتب مقابلها في الهامش بقلم آخر: يقر

٥ ص ٢ب

فالعبد عبدٌ لنفسه، والربّ ربٌّ لنفسه. فالعبودة لا تصحّ إلّا لمن يعرفها؛ فيعلم أنّه ليس فيها من الربوبيّة شيء. والربوبيّة لا تصحّ إلّا لمن يعرفها؛ فيعلم أنّه ليس فيها من العبودة شيء.

فأوجب (الحقُّ) على عباده التأخّرَ عن ربوبيّته؛ فشرع له الصلاة ليسمّيه بالمصلّي؛ وهو المتأخّر عن رتبة ربّه. ونَسب الصلاة إليه -تعالى- ليُعلم أنّ الأمر يعطي تأخّر العلم الحادث به عن العلم الحادث بالمخلوق، فقال: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾[1] وقال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾[2].

ولمّا[3] علمنا أنّه مَن تأخّر عن أمرٍ فقد انقطع عنه؛ علمنا أنّ كلّ واحد قد تميّز في رتبته عن الآخر، بلا شكّ، وإن أطلق على كلّ واحد ما أطلق على الآخر؛ فيتوهّم الاشتراك، وهو لا اشتراك فيه؛ فإنّ الرتبة قد ميّزته؛ فيقبل كلُّ واحد ذلك الإطلاق على ما تعطيه الرتبة التي تميّز بها.

فإنّا نعلم، قطعا، أنّ الأسماء الإلهيّة التي بأيدينا تطلَق على الله وتطلَق علينا، ونعلم، قطعا -بعلمنا برتبتنا وبعلمنا برتبة الحقّ- أنّ نسبة تلك الأسماء التي وقع في الظاهر الاشتراكُ في اللفظ بها إلى الله، غير نسبتها إلينا. فما انفصل عنّا إلّا بربوبيّته، وما انفصلنا عنه إلّا بعبوديّتنا. فمَن لزم رتبته منّا؛ فما جنى على نفسه؛ بل أعطى الأمرَ حقَّه.

فَقَدْ بَانَ لَكَ الحَقُّ ... وَقَدْ بَانَ لَكَ الخَلْقُ
فَقُلْ ما شِئتَ أَوْ سَمِّهْ ... فَكُلٌّ قَولُهُ حَقُّ
فَما في كَوْنِهِ مَيْنٌ ... وَما في كَوْنِنا صِدْقُ

وفي هذا المعنى قول لَبيد:

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهَ بَاطِلُ

قال رسول الله ﷺ في هذا البيت: «أصدقُ بيت قالته العرب» يعني هذا النّصف منه. قلنا: وهذه رتبة ما خصّ الله بها أحدا من الناس وأثنى عليه بها؛ إلّا[4] الذاكر. وذلك أنّ الذاكر

١ [الأحزاب : ٤٣]
٢ [الكوثر : ٢]
٣ ص ٣
٤ ص ٣ب

هو الذي كان له علمٌ بأمر مّا، ثمّ نسيه لِمَا جُبل عليه الإنسان من النسيان، كما قال الله ﷻ: ﴿نَسُوا اللَّهَ﴾[1] وصورة نسيانهم أنّهم توهّموا -بما أضاف الله إليهم من الأعمال والأموال والتمليك- أنّ لهم حظّا في الربوبيّة، أو ضرب الله لهم بسهم فيها، بقوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾[2].

فلمّا اعتنى الله -تعالى- بمن اعتنى منهم، وآتاه رحمةً من عنده، ذَكَر اسمَ ربّه، والله يقول: «أنا جليس مَن ذكرني» والذاكرون هم جلساءُ الحقّ. فأورثه الذِّكرُ مجالسةَ الحقّ، وأورثته المجالسةُ مشاهدةَ الحقّ ورؤيته في الأشياء. يقول الصِّدّيق: "ما رأيت شيئا إلّا رأيت الله قبله"، عُمَرُ (يقول): "معه"، غيره (يقول): "بعده"، غيره (يقول): "فيه"، غيره (يقول): "ما رأيت شيئا" من غير ارتباط بشيء. وأورثته رؤيةُ الحقّ تأخّره عمّا كان يتوهّم من أنّ الله -تعالى- ضرب له بسهم في الربوبيّة، وأنّها مِنْ نعوته، وله فيها قدمٌ بوجهٍ مّا؛ فتأخّر عن ذلك بالذِّكر. فقال: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾[3] أي تأخّر إلى مقام عبودته، وأفرد الربوبيّة لله -تعالى-؛ فأفلح من جميع وجوهه.

وليست هذه الصفة مشاهدَة لغير الذاكر؛ فالذاكر عبدٌ مخلَّص لله تعالى. ألا ترى إلى ما قال (الله) في الذي اتّصف بنقيض هذه الحال، لمّا جاءه ذِكْر ربّه[4]؛ وهو القرآن: يذكِّره بنفسه وبربّه: ﴿فَلَا صَدَّقَ﴾ مَن أَتَى به أنّه من عند ربّه ﴿وَلَا صَلَّى﴾[5] يقول: ولا تأخّر عن دعواه وتكبُّره، وقد سمع قول الله الحقّ، ولو لم يكن من عند الله.

فينبغي للعاقل إذا سمع الحقّ -ممن سمعه- أن يرجع إليه ويقول به؛ ليكون من أهله. ومَن ردّ الحقّ فما صدَّق ذلك القول فيما دلَّ عليه، قاله مَن قاله؛ فذمّه الله وقال: ﴿وَلَكِنْ﴾ استدراك لتمام القصّة ﴿كَذَّبَ﴾ مَن أتى به إليه، وهو الرسول ﷺ وكذَّب الحقَّ: إمّا بجهله؛ فلم يعلم أنّه الحقّ، وإمّا بعنادٍ وهو على يقين أنّه حقٌّ في نفس الأمر؛ فغالط نفسه لكون هذا الرسول جاء

١ [التوبة : ٦٧]
٢ [النساء : ٣]
٣ [الأعلى : ١٥]
٤ ص ٤
٥ [القيامة : ٣١]

به، كما قال في حقّ مَن هذه صفته: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[1]. ثمّ قال: ﴿وَتَوَلَّى﴾[2] بعد تكذيبه بالحقّ، وبمن جاء به، فتولّى عن الحقّ، ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾[3] وهذا شغل المتكبّر المشغول الخاطر المفكّر الحائر، الذي كَسَّله ما سمعه. فإنّه بالوجه الظاهر يعلم أنّه الحقّ؛ لأنّ المعجزة لم يأت بها الله إلّا لمن يعلم أنّ في قوّته قبولَها، بما ركّب الله فيه من ذلك.

ولذلك اختلفت الدلالات من كلّ نبيّ وفي حقّ كلّ طائفة. ولو جاءهم بآيةٍ ليس في وسعهم أن يقبلوها لجهلهم؛ ما[4] أخذهم الله بإعراضهم، ولا بتولّيهم عنها؛ فإنّ الله عليم حكيم عادل. ومَن تأخّر عن حقّ غيره إلى ما يستحقّه في نفسه، فقد أنصف مِن نفسه، ولم يتوجّه لصاحب حقّ عليه طلبٌ؛ فحاز الخيرَ بكلتا يديه؛ فوقفه الله على جوامع الخير كلّه؛ فإنّه مَن أوتي الحكمة ﴿فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[5].

فإنّ الحكيم هو الذي يُنزل كلَّ شيء في مرتبته، ويعطي كلَّ ذي حقّ حقّه. فله الحجّة البالغة، والكلمة الدامغة، ولم تنقطع مشاهدته، ولم تتأخّر المعونة الإلهيّة في عبادته عن مساعدته؛ فإنّا فرضناه عبدا لسيّد، ما فرضناه مِلكا. فإنّ المِلك قد يكون فيمن يعقل عبوديّته، وفيمن لا يعقلها. فالعبد حاله السمع والطاعة لسيّده، وما عدا العبد فهو مِلك يتصرّف فيه المالك كيف يشاء، من غير أن يتعلّق به ثناء بعدم منعه من التصرّف فيه. بخلاف مَن يعقِل وهو العبد. فإذا قام في تصريف الحقّ فيه مقام الأموال؛ أثنى الله عليه بذلك؛ لأنّ الله قد خصّه في نشأته؛ بقوّة المنع والردّ لكلمة الحقّ، ومكّنه من الطاعة والمعصية؛ فهو لما استعمله من ذلك. فوقع الثناء عليه كما أثنى الله على الملائكة بقوله: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ[6] مَا يُؤْمَرُونَ﴾[7] فلو لم يكن في قوّتهم ونشأتهم، ما يقتضي ردّ أمر الله وما يقتضي قبوله؛ ما أثنى الله عليهم بما أثنى به، من

١ [النمل : ١٤]
٢ [القيامة : ٣٢]
٣ [القيامة : ٣٣]
٤ ص ٤ب
٥ [البقرة : ٢٦٩]
٦ ص ٥
٧ [التحريم : ٦]

نفي العصيان عنهم وفِعلهم ما أمرَهم به؛ فإنّ المجبور لا ثناء عليه.

ألا ترى إلى المصلّي إذا وقف بين يدي ربّه في الصلاة يتكتّف؛ شُغل العبد الذليل بين يدي سيّده في حال مناجاته، والسنّة قد وردت بذلك، وهو أحسن من الإسبال. وذلك لأنّ الله -تعالى- لمّا قسم الصلاة بينه وبين عبده بنصفين؛ فجزءٌ منها مخلَصٌ له -تعالى- من أوّل الفاتحة إلى قوله: ﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾[1] فهذا بمنزلة اليد اليمنى من العبد؛ لأنّ ﴿الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[2] فأعطيناه اليمين. والجزء الآخِر مخلَصٌ للعبد من قوله ﴿اهْدِنَا﴾[3] إلى آخر السورة. فهذا الجزء بمنزلة اليد اليسرى، وهي الشمال؛ فإنّه الجناب الأضعف. والعبدُ هذه مرتبته؛ فإنّه خُلِق من ضعف: ابتداءً، وَرُدّ إلى ضعف: انتهاءً. وجزء منها بين الله وبين عبده؛ فجمع هذا الجزء بين الله وعبده، وهو قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[4]. فلهذا الجمع؛ جمع العبد بين يديه في الصلاة إذا وقف؛ فكمُلت صلاة العبد بجمعه بين يديه.

وصورة هذا التكتيف أن يجعل اليمنى على اليسرى، كما قرّرناه، من أنّ اليمين لله؛ فلها العلوّ على الشّمال. وصورتها: أن[5] يجعل باطنَ كفّه اليمنى على ظهر كفّه اليسرى والرسغ والساعد؛ ليجمع، بالإحاطة، جميع اليد التي أمر الله عبدَه في الوضوء للصلاة، أن يعمّها بالطهارة؛ فأخذ الرسغ وما جاوره من الكفّ والساعد. فانظر إلى هذه الحكمة ما أجلاها لذي عينين.

ثمّ نهى النبيُّ ﷺ أن يرفع المصلّي عينيه إلى السماء في صلاته؛ فإنّ الله في قِبلة العبد، ولا يقابله في وقوفه إلّا الأُفُق؛ فهو قِبْلته التي يستقبلها. ويُحمد له أن ينظر إلى موضع سجوده؛ فإنّه المنبّه له على معرفة نفسه وعبوديّته؛ ولهذا جعل الله القربة في الصلاة في حال السجود. وليس الإنسان بمعصوم من الشيطان في شيء من صلاته إلّا في السجود؛ فإنّه إذا سجد اعتزل عنه الشيطان يبكي على نفسه، ويقول: أُمِرَ ابنُ آدم بالسجود فسجد؛ فله الجنّة، وأُمِرتُ بالسجود فأبيتُ؛ فلي النار.

١ [الفاتحة : ٤]
٢ [البقرة : ١٦٥]
٣ [الفاتحة : ٦]
٤ [الفاتحة : ٥]
٥ ص ٥ب

الوصل الثامن من خزائن الجود
(العبد متأخّر في نفس الأمر عن رتبة خالقه)

وهو متعلّق بهذا الوصل الذي فرغنا منه. وهو أنّ العبد متأخّر في نفس الأمر عن رتبة خالقه، وقد حيل بينه وبين شهود ذلك؛ بما جعل الله فيه من النسيان والسهو والغفلة[1]؛ فيتخيّل أنّ له قدما في السيادة، والحال تشهد بخلاف ذلك. فهو بالحال محقّق، وفي نفس الأمر على ما هو عليه صاحبُ الشهود. ولا سعادة له في ذلك؛ بل له الشقاء، وهذا غاية الحِرمان. ولا يزال كذلك، حتى ينكشف الغطاء، فيحتدّ البصر؛ فيرى الأمر على ما هو عليه؛ فيؤمن به؛ فما ينفعه إيمانه. فإنّ الإيمان لا يكون إلّا بالخبر، لا بالعيان. فليس المؤمن إلّا من يؤمن بالغيب؛ وهو الخبر الذي جاء من عند الله. فإنّ الخبر بما هو خبر؛ يقبل الصدق والكذب، كالممكن: يقبل الوجود والعدم.

واعلم أنّه ما أُتِيَ على أحد إلّا[2] من الغفلة عمّا يجب عليه من الحقوق، التي أوجب الشرع عليه أداءها. فمن أحضرها نُصب عينيه، وسعى جُهده في أدائها، ثمّ حالتْ بينه وبين أدائها موانعُ تقيم له العذر عند الله؛ فقد وفّى الأمرَ حقَّه، ووفّى لله بذمّته، ولا حرج عليه ولا جناح، ولا خاطبه الحقُّ بوجوب حقٍّ عليه، مع ذلك المانع.

والموانع على نوعين: نوع يكون مع الحضور، ونوع يكون مع عدم الحضور؛ وهو الغفلة. فأمّا النوع الذي يكون مع الحضور فينقسم قسمين: قسم يرجع إلى النظر في ذلك الواجب؛ هل هو واجب عليه، أم لا؟ فيجتهد جُهد وُسْعِه الذي[3] كلّفه الله في طلب الدليل على وجوب ذلك الأمر؛ فلا يجده، وهو من أهل الاجتهاد؛ فلا يجب عليه إلّا ما يقتضيه دليله، وهو واجبٌ في نفس الأمر عند الله، ولكن أخطأ هذا المجتهد. فهو مأجور عند الله بنصّ الله، ونصّ رسوله ﷺ، وما كلّفه الله إلّا ذلك. وقد أدّى ما كلّفه الله من الاجتهاد في طلب الدليل؛ فلم يجد.

وليس للمجتهد أن يقلّد غيرَه، في حكمٍ لا يعرف دليله. ولكن، من اجتهاده إذا لم يعثر على

١ ص ٦
٢ ثابتة في الهامش
٣ ص ٦ب

دليل، أن يسأل في ذلك الأمر أهلَ الاجتهاد الذين حكموا عليه بالوجوب. وصورة سؤاله أن يقول لهم: ما دليلكم على ما أوجبتموه في هذا الأمر؟ لا يقلّدهم في الحكم. فإذا عرّفوه بدليلهم؛ فإن كان ذلك الدليل مما قد حصل له في اجتهاده؛ فقدَح فيه؛ فلا يجب عليه النظر فيه ولا الحكم به؛ فإنّه قد تركه وراءه. وإن كان لم يعثر عليه، فيما غَبَر مِن نظرِه؛ فله، عند ذلك، النظر في دليل ذلك المجتهد المسئول؛ هل هو دليل في نظر هذا السائل المجتهد؟ أو ليس بدليل؟ فإن أدّاه اجتهادُه في أنّ ذلك هو دليل، كما هو عند مَن اتّخذه دليلا؛ تعيّن عليه العملَ به. وإن قدح فيه بوجهٍ لم يعثر ذلك[1] الآخر عليه؛ فإنّه ليس له الأخذ به ولا تقليد ذلك المسؤول في الحكم الذي حكم هذا الدليل عليه عند ذلك المجتهد. فهذا مانع.

والقسم الآخر (هو) أن يعلم وجوب ذلك عليه مِن فعلٍ أو تركٍ. ثمّ يحول بينه وبين ذلك؛ إن كان تركا: اضطرارٌ، وإن كان أمرا: فعدمُ استطاعة، وما ثَمّ مانع آخر، هذا مع الحضور.

والنوع الآخر من الموانع: الغفلة؛ وهي على نوعين: غفلة عن كذا، وغفلة في كذا. فالغفلة عن كذا: ترك ذلك بالكلّيّة، وهو غير مؤاخَذ بذلك عند الله؛ فـ«إنّ الله قد رفع عن عباده» رحمةً بهم «الخطأ» وهو حال المجتهد الذي ذكرناه آنفا، «والنسيان» وهو الغفلة «وما حدّثتْ به أنفُسَها ما لم تعمل أو تتكلّم به» فإنّ الكلام عمل. فيؤخَذ به من حيث ما هو متلفّظ به. فإن كان ليس لذلك المتلفّظ به عمل إلّا عين التلفُّظ، كالغيبة والنميمة؛ فإنّه يؤخذ بذلك بحسب ما يؤدّي إليه ذلك التلفّظ. وإن كان تلفّظ به وله عمل زائد على التلفّظ به، فلم يعمل به، فما عليه إلّا عين ما تلفّظ به؛ فهو مسئول عند الله من حيث لسانه.

ولا يدخل الهمُّ بالشيء في حديث النفس؛ فإنّ الهمَّ بالشيء له حكم آخر في الشرع، خلاف[2] حديث النفس. فإنّ لذلك مَواطن. فإنّه ﴿مَنْ يُرِدْ﴾ في الحرم المكي ﴿بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[3] سَواء وقع منه ذلك الظلم الذي أراده، أو لم يقع. وأمّا في غير المسجد الحرام المكي؛ فإنّه غير مؤاخَذ بالهمّ. فإن لم يفعل ما همَّ به، كُتب له حسنة إذا ترك ذلك من أجل الله

١ ص ٧
٢ ص ٧ب
٣ [الحج : ٢٥]

خاصة. فإن لم يتركها من أجل الله، لم تكتب له ولا عليه. فهذا الفرق بين الحديث النفسي- والإرادة؛ التي هي الهمّ. فهذا وأمثاله رحمةٌ من الله بعباده.

وأمّا الغفلة في كذا، فهو تكليفٌ صعبٌ لو كُلّفه الإنسان. لكنّ الله ما أخذ عباده بالغفلة في كذا، كما لم يؤاخذهم بالغفلة عن كذا. فإنّه إذا "غفل في كذا"، فإنّه غفل عن جزء من أجزاء ما هو فيه شارع أو عامل؛ فهو من غفلت عن كذا. وقد شرع الله "للغافل في كذا" في بعض الأعمال حكما كالساهي في صلاته؛ فإنّه قد شرع له سجود السهو جبرا لما سها عنه، وترغيما للشيطان الذي وسوس له حتى وقع منه السهو والغفلة فيما هو فيه عامل. فإن تغافل حتى أوجب له، ذلك التغافل، الغفلة؛ أخذه الله بها؛ فإنّه متعمّل قاصد فيما يحول بينه وبين ما أوجب الله عليه فعله أو تركه.

فإذا غفل الإنسان أو سها عن عبوديّته، ورأى[1] له فضلا على عبد آخر مثله، ولا سيما إن كان العبد الآخر ملك يمينه، أو يكون هذا الغافل من أُولي الأمر؛ كالسلطان والوالي؛ فيرى لنفسه مزيّة على غيره، ما يرى تلك المزيّة للمرتبة التي أقيم فيها، إن كان من أُولي الأمر، ولا للصفة القائمة به من حيث الاختصاص الإلهيّ له بها؛ كالعلم وكريم الأخلاق؛ فلم يفرّق بين نفسه والمرتبة، ولا بين الصفة والموصوف بها؛ فإنّه صاحب جهل وغفلة مُردية. ولهذا يقول في حالها: وأنتَ مثلي، أو فلان مثلي، أو يعادلني، ومَن هو فلان؟ وأيّ شيء قيمة فلان؟ وهل هو إلّا عبدي؟ أو من رعيّتي؟ أو هو كذا؟ من كلّ أمر مذموم ينزّه نفسه عنه، وينوطه بذلك الآخر. بخلاف مَن ليس بغافل عن نفسه؛ فإنّه يجعل الفضل للصفة والمرتبة، لا لنفسه. لأنّه لم ينلها باستحقاق، وإنما نالها بامتنان إلهيّ: إمّا لشقاوته إن كفَرَها، أو لسعادته إن شكرها.

ولولا حكم الجهل، فيمن هذه صفته، ما اتّصف بهذا. فإن كان عالما بهذا كلّه، وتغافل فإنّه مباهِت. فهذا أعظم في الجَوْر، بل هو -في هذه الحالة- كصاحب اليمين الغموس، والغافل كصاحب لغو[2] اليمين. فإذا كان مستحضِرا لحقيقته، عالما بأنّ الذي هو عليه مما حُرِمَهُ غيرُه؛

١ ص ٨
٢ ص ٨ب

جائزٌ أن يُسْلَب عنه، ويُخْلَع على ذلك الغير الذي قد ازدراه لإهمال الله إيّاه؛ فشكر نعمة الله عليه، ودعا الله لذلك الغير أن يُنيلَه مثل ما أعطاه الله، وأدركته الشفقة. فإنّه، إن كان (ذلك الغير) كافرا، فهو أخوه، من حيث أنّه وإيّاه من نفس واحدة. وإن كان مؤمنا، فهو أخوه؛ أخوّة اختصاص دينيّ سعاديّ. فعلى كلّ حال وجبت عليه الشفقة على خلق الله، والرحمة بعباد الله. يقول رسول الله ﷺ: «انصر أخاك ظالما أو مظلوما» فأمّا نصرة المظلوم فمعلومة عند الجميع، وأمّا نصرة الظالم فرحمة نبويّة خفيّة. فإنّه علِم أنّ الظلم ليس من شيم النفوس، لأنّها طاهرة الذات بالأصالة، فكلّ ما ينقض طهارتها فهو أمرٌ عرَضيّ عرض لها، لما عندها من القبول في جِبلّتها. والذي من شيمها إنما هو القهر والظهور؛ ومن هنا دخل عليها إبليس بوسوسته. ولقد جهل القائل الذي قال[1]:

الظُّلْمُ مِنْ شِيَمِ النُّفُوسِ فَإِنْ تَجِدْ   ذا عِفَّةٍ فَلِعِلَّةٍ ما يَظْلِمُ

وما أنصف، وما قال حقّا. فلو قال بدل الظلم: "القهر من شيم النفوس" فالظلم[2] الذي يصدر من زيد في حقّ مَن كان، ما هو منه، وإنما هو ممن يلقي إليه؛ وهو الشيطان. وللإنسان فيه مدافعة يجدها من نفسه؛ لأنّ ذلك ليس من شيم النفوس، وإنما الذي من شأنها إنما هو جلب المنافع ودفع المضار. فدفع المضار به يشارك الحيوان كلّه، وجلب المنافع مما تختصّ به النفس الإنسانيّة. فإذا رأيت الحيوان يجلب المنافع، فليس ذلك إلّا لدفع المضارّ، لا لأمر آخر. فكلّ ضرر يطرأ من الحيوان في حقّ حيوان آخر، أو في حقّ إنسان؛ إنما هو لدفع المضارّ عن نفسه خاصّة. ولمّا كانت نفس الإنسان بهذه المثابة، ووقع منه الظلم في حقّ أحد؛ فسمّي ظالما.

فنصرة الظالم؛ أن تنصره على إبليس الذي يوسوس في صدره، بما يقع منه من الظلم، بالكلام الذي تستحليه النفوس، وتنقاد إليه؛ فتعينه على ردّ ما وسوس إليه الشيطان من ذلك؛ فهذه نصرته إذا كان ظالما. ولذا جاء في الخبر في نصرة الظالم؛ أن يأخذ على يده؛ والمراد به ما ذكرناه. ولهذا جاء بلفظ النصرة التي أوجبتها الأخوّة، لأنّه لا بدّ أن تكون النصرة على

١ القائل هو أبو الطيب المتنبي
٢ ص ٩

شيء، وما ثَمّ إلّا ما ذكرناه. لأنّ العدوّ الموسوس إليه[1] في صدره يقول مقسما بربّه: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. إِلَّا[2] عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[3] وهم الذين أخلصهم الله إليه، بما[4] ألقى إليهم وفيهم من نور الحفظ والعصمة، ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾[5] أي قوّةٌ وقهرٌ وحجّةٌ، لأنّ الله تولّى حفظهم وتعليمهم؛ بما جعل فيهم من التقوى.

فلمّا اتّخذوا الله ﷻ وقاية؛ لم يجد اللعين من أين يدخل عليهم بشيء. فإنّه أينما تولّى منه، ليدخل عليه بما يُخرجه عن دينه وعِلمه، وجد في تلك الجهة وجهَ الله يحفظه؛ فلا يستطيع الوصول إليه بالوسوسة. فيتجسّد له في صورة إنسان مثله، فيتخيّل أنّه إنسان. ويأتيه (هذا الشيطان المتجسّد) بالإغواء من قِبَلِ أُذنه؛ فيدخل له فيما حجر عليه تأويلا؛ أدناه أن يبيح له ذلك. فلا يضرُّه الوقوع فيه؛ بسبب ذلك التأويل؛ لِعلمه بأنّ الإنسان لا يقدم على معصية الله ابتداء، دون وسوسةٍ من العدوّ، الذي يزيّن له سُوءَ عمله فيراه حسنا.

فإذا جاء بهذه المثابة للعالِم الذي ما له عليه سلطان، بما ذكرناه من التأويل فيما يريد إيقاعه به؛ صار ذلك العالم من أهل الاجتهاد: فإن أخطأ فله أجر، وإن أصاب فله أجران؛ فهو مأجور على كلّ حال. فما تَمّ له (أي للشيطان) مراده.

وإن نسي كما نسي آدم؛ فإنّ الله -تعالى- الذي[6] شرع[7] المعصية والطاعة وبيّن حكمها؛ رفع حكم الأخذ بالمعصية في حقّ الناسي والمخطئ، كما رفعها في حقّ المجتهد؛ فما تحرّك الإنسان إلّا في أمر مشروع. فقد أحاط بالإنسان وجهُ الله ظاهرا وباطنا. فأينما تولّاه الشيطان من ظاهر وباطن ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾[8] يحفظه؛ فما له عليه سلطان. وهو قوله ﷺ في حقّ القرين: «أعانني الله عليه فأَسْلَمُ» -برفع الميم- على جهة الخبر. فما له عليه سلطان، أي حجّة؛ لأنّ الحجّة هنا

---

١ ثابتة في الهامش مع إشارة التصويب
٢ ص ٩ب
٣ [الحجر : ٣٩، ٤٠]
٤ ق: "مما" وكتب فوقها: "بما"
٥ [الحجر : ٤٢]
٦ ص ١٠
٧ ق: "فرّق، بيّن" وعليها إشارتا شطب، وكتب فوقها بقلم آخر: "شرع" مع إشارة التصويب
٨ [البقرة : ١١٥]

شرعيّة. فهو لو ألقى على ظاهره أو باطنه، وفي الشرع حكم برفع المؤاخذة فيما أتى به هذا العدوّ؛ فما له عليه سلطان؛ لأنّ الحجّة الشرعيّة له ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾[1] وقوله (ص): «فأعانني الله عليه» هي نصرة الله له بالحجّة؛ فلا يبالي. ولهذا شرع لعباده أن يقولوا: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[2] أي بك نستنصر. وما ثَمّ إلّا العلم؛ فهو خير ناصر يعطيه اللهُ عبدَه.

والذي نسي آدمُ إنما هو قوله -تعالى- له: ﴿إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ﴾[3] فنسي- ما أخبره الله به من عداوته؛ فقبِل نصيحتَه. ولمّا علم إبليس أنّ آدم محفوظ من الله، ورأى اللهَ قد نهاه عن قُرب الشجرة، لا قُرب الثمرة؛ جاءه بصورة الأكل، لا بصورة القُرب؛ فإنّه علِم أنّه لا يفعل؛ لنهي ربّه إيّاه عن[4] قُرب الشجرة؛ فأتاه بثمرها؛ فأكلَ آدمُ وزوجتُه حوّاء، وصَدَق إبليسُ، وهو الكذوب، في قوله: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾[5] وكذلك كان: أورثه ذلك الأكلُ منها الخلدَ في الجنّة، والمُلكَ الذي لا يبلى. وما قال له "متى (يكون ذلك)" وجعل ذلك من خاصّيّة تلك الشجرة، فيمن أكل منها؛ فأورثه الاجتباء الإلهيّ.

فأهبطه اللهُ للخلافة في الأرض تصديقا لما قاله للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[6]، وأهبطَ حوّاء للنسل، وأهبطَ إبليس للإغواء؛ ليحور عليه جميع ما يُغوي به بني آدم، إذا عمّتِ الناس رحمةُ الله. فجعل اللهُ كلَّ مخالفة تكون من الإنسان من إلقاء العدوّ وإغوائه فقال: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾[7] أي بإظهارها، يعني بذلك وقوعها منكم، لمّا علم أنّ الإنسان قد رفع عنه الحقُّ ما حدَّث به نفسَه، وما همَّ به من السُّوء، إلّا أن يظهر ذلك على جوارحه بالعمل، وهو الفحشاء. فقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ﴾ لما وقع منكم من الفحشاء التي أمركم بها الشيطان ﴿وَفَضْلًا﴾ لما وعدكم به من الفقر. وهذه أعظم آية وأشدّها مرّت على

---

١ [الأنعام : ١٤٩]
٢ [الفاتحة : ٥]
٣ [طه : ١١٧]
٤ ص ١٠ب
٥ [طه : ١٢٠]
٦ [البقرة : ٣٠]
٧ [البقرة : ٢٦٨]

سمع إبليس؛ فإنّه علم أنّه[1] لا ينفعه إغواؤه.

ولهذا لا يحرص إلّا على الشرك خاصّة؛ لكونه سمع الحقّ يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾[2]، وتخيّل أنّ العقوبة على الشرك[3] لا ينتهي أمدُها. والله ما قال ذلك، فلا بدّ من عقوبة المشرك، ومِن سكناه في جهنّم؛ فما هو بخارج من النار؛ فهو مؤبّد السكنى، ولم يتعرّض لانتهاء مدّة العذاب فيها. وليس الخوف إلّا من ذلك، لا من كونها دار إقامة لمن يعمرها. فصدق الله بكون المشرك مأخوذا بشركه. فهو بمنزلة إقامة الحدّ على من تعيّن عليه، سواء كان ذلك في الدنيا أو في الآخرة. فهي حدود إلهيّة يقيمها الحقّ على عبده[4] إذا لم يغفر له أسبابها. وجهل إبليس انتهاء مدّة عقوبة المشرك من أجل شركه، وهذا أطمعَ إبليس في الرحمة الإلهيّة التي وسعت كلّ شيء، وطمعُه فيها من عين المنّة؛ لإطلاقها؛ لأنّه علم في نفسه أنّه موحّد.

وإنما سمّاه الله كافرا في قوله -تعالى-: ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[5] لأنّه يستر عن العباد طُرُق سعادتهم، التي جاء بها الشرع في حقّ كلّ إنسان، بما يقدر عليه من ذلك. فقال فيه: ﴿أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[6] ولم يقل: "من المشركين" لأنّه يخاف الله ربّ العالمين، ويعلم أنّ[7] الله واحد، وقد[8] علم مآل[9] الموحّدين إلى أين يصير، سواء كان توحيده عن إيمان أو عن نظر من غير إيمان. كما قال عيسى- عليه السلام- لإبليس لمّا عجز إبليس أن يطيعه عيسى- عليه السلام-، فقال له إبليس: يا عيسى؛ قل: لا إله إلّا الله. حرصا أن يطيعه. فقال له عيسى عليه السلام: أقولها، لا لقولك: لا إله إلّا الله.

وقد علم إبليس أنّ جهنّم لا تقبل خلود أهل التوحيد فيها، وأنّ الله لا يترك فيها موحّدا، بأيّ طريق كان توحيده. فعلى هذا القدر اعتمد إبليس في حقّ نفسه؛ فعلِم من وَجْهٍ، وجهل من

[1] ص ١١
[2] [النساء : ٤٨]
[3] كتب في الهامش مقابلها بقلم آخر: "الإنسان في ذلك" مع إشارة التصويب، ويتفق في ذلك مع س
[4] ق، س: عباده
[5] [البقرة : ٣٤]
[6] [البقرة : ٣٤]
[7] ص ١١ب
[8] ثابتة في الهامش
[9] ق: "حال" وعليها إشارة شطب، وفوقها بقلم آخر: "مآل" وإشارة التصويب

وجه؛ إذ لا يعلم الشيء من جميع وجوهه إلّا الله عزّ وجلّ الذي ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[1] سواء كان الشيء ثابتا أو موجودا، ومتناهيا أو غير متناهٍ.

قالَ لِي الحَقُّ فِي ضَمِيْرِي: ... ما أَجْهَلَ الخَلْقَ بالأُمُورِ
ما عَرَفَ الأَمْرَ غَيْرُ شَخْصٍ ... مُنَبّـأٍ عَـالِمٍ خَبِـيرِ
مُهَيَّـأٍ لِلهُـدَى مُعَـدٍّ ... نَدْبٍ بِأَمْرِ الوَرَى بَصِيرِ
قَدْ[2] عَلِمَ الحَقَّ عِلْمَ ذَوْقٍ ... لَيْسَ بِحَدْسٍ وَلا شُعُورِ
وَلا تَنَـاءٍ وَلا تَـدَانٍ ... وَلا خَفَـاءٍ وَلا ظُهُـورِ

* * *

الوصل التاسع من خزائن الجود
(التفاف أمر الدنيا بأمر الآخرة، لا عين الدنيا بعين الآخرة)

قال الله تعالى: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾[3] فهو التفافٌ لا ينحلّ؛ لأنّه -تعالى- تمّم فقال: ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾[4] فأتى بالاسم الذي يعطي الثبات، والأمر ملتفٌّ بالأمر، وإلى الربّ المساق. فلا بدّ من ثبات هذا الالتفاف في الدار الآخرة[5]. فعينُ أمر الدنيا عينُ أمر الآخرة؛ غير أنّ موطن الآخرة لا يشبه موطن الدنيا لما في الآخرة من التخليص القائم بوجود الدارين، فوقع التمييز بالدار، والكلُّ آخرة. فالتفّ أمر الدنيا بأمر الآخرة، لا عين الدنيا بعين الآخرة.

ولكلٍّ دار أهلٌ وجماعة، والأمر ما هو عليه ذلك الجمع، وإن اختلفت الأحوال. فلا يزال الناس في الآخرة[6] ينتقّلون بالأحوال، كما كانوا في الدنيا ينتقلون بالأحوال[7]، والأعيان ثابتة؛ فإنّ الربّ[8] يحفظها، فالانتقال هو الجامع. وفيما ذا ينتقلون؟ فذلك علم آخر يُعلم من وجه آخر. فمن كون الآخرة دار جزاء، كما كانت الدنيا دار جزاء في الخير والشرّ، ظهر في الآخرة ما ظهر من

[1] [الطلاق : ١٢]
[2] ص ١٢
[3] [القيامة : ٢٩]
[4] [القيامة : ٣٠]
[5] ق "الدنيا" وعليها إشارة الشطب، واستبدلت في الهامش بقلم الأصل
[6] ق "في الدنيا" وشطبت وصححت في الهامش بقلم الأصل
[7] ص ١٢ب
[8] "فإن الرب" ثابتة في الهامش، مع إشارة التصويب

سعادة وشقاء. فالشقاءُ للغضب الإلهيّ، والسعادةُ للرضا الإلهيّ.

فالرضا (هو) بَسْط[1] الرحمة من غير انتهاء، والغضب الإلهي منقطع بالخبر النبويّ. فينتهي حكمه، ولا ينتهي حكم الرضا؛ ولا سيما، وقد قدّمنا في كتابنا هذا، أنّ الإنسان وُلِدَ على الفطرة؛ وهي العلم بوجود الربّ: أنّه ربّنا، ونحن عبيد له. وأنّ الإنسان لا يُقبض حين يُقبض إلّا بعد كشف الغطاء؛ فلا يقبض إلّا مؤمنا، ولا يحشر إلّا مؤمنا. غير أنّ الله لمّا قال: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾[2] فما آمنوا إلّا لينبدفع عنهم ذلك البأس. فما اندفع عنهم، وأخذهم اللهُ بذلك البأس، وما ذكر أنّه لا ينفعهم في الآخرة.

ويؤيّد ذلك قوله: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا﴾ حين رأوا البأس ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[3] فهذا معنى قولنا: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ﴾ في رفع البأس عنهم في الحياة الدنيا، كما نفع قوم يونس، فما تعرّض إلى[4] الآخرة. ومع هذا، فإنّ الله يقيم حدوده على عباده، حيث شاء ومتى شاء. فثبت انتقال الناس في الدارين في أحوالهم: من نعيم إلى نعيم، ومن عذاب إلى عذاب، ومن عذاب إلى نعيم، من غير مدّة معلومة لنا؛ فإنّ الله ما عرّفنا، إلّا أنّا استروحنا من قوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[5] أنّ هذا القدر مدّة إقامة الحدود، والله أعلم. فإنّه لا عِلم لي بذلك من طريق الكشف. فرحم الله عبدا أطلعه الحقّ على انتهاء مدّة الشقاء، فيلحقها في هذا الموضع من كتابي هذا؛ فإنّي علمت ذلك مجملا من غير تفصيل.

ولمّا كان ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾[6]، والربُّ المصلح، فإنّ الله يصلح بين عباده يوم القيامة. هكذا جاء في الخبر النبويّ في «الرجلين؛ يكون لأحدهما حقّ على الآخر، فيقفان بين يدي الله -تعالى- فيقول: ربّ خذ لي بمظلمتي من هذا. فيقول له: ارفع رأسك. فيرى خيرا كثيرا.

1 في ق هي أقرب إلى: "ببسط" أو "يبسط" مع إهمال الحروف المعجمة، والترجيح من هـ، س
2 [غافر : ٨٥]
3 [يونس : ٩٨]
4 ص ١٣
5 [المعارج : ٤]
6 [القيامة : ٣٠]

فيقول المظلوم: لمن هذا يا رب؟ فيقول: لمن أعطاني الثمن. فيقول: يا ربّ؛ ومن يقدر على ثمن هذا؟ فيقول له: أنت؛ بعفوك عن أخيك. فيقول: قد عفوت عنه. فيأخذ بيده، فيدخلان الجنّة. فقال رسول الله ﷺ عند إيراده هذا الخبر: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾[1] فإنّ الله يصلح بين عباده يوم القيامة». والكريم[2] إذا كان من شأنه، أن يصلح بين عباده بمثل هذا الصلح، حتى يُسقِط المظلومُ حقَّه، ويعفو عن أخيه؛ فالله أَوْلَى بهذه الصفة من العبد، في ترك المؤاخذة بحقوقه من عباده؛ فيعاقب من شاء بظلم الغير، لا بحقّه المختصّ به.

ولهذا (فإنّ) الأخذ بالشرك (هو) من ظلم الغير، فإنّ الله ما ينتصر لنفسه، وإنّما ينتصر لغيره، والذي شاء -سبحانه- أن ينتصرَ له. فإنّ الشركاء يتبرّءون من أتباعهم يوم القيامة، والربّ أيضا المغذّي والمربّي. فهو يربّي عباده، والمربّي من شأنه إصلاح حال من يربّيه. فمن التربية ما يقع بها الألم؛ كمن يضرب ولده ليؤدّبه، وذلك من جملة تربيته، وطلب المصلحة في حقّه؛ لينفعه ذلك في موطنه.

كذلك حدودُ الله تربيةٌ لعباده حيث أقامها الله عليهم. فهو يربّيهم بها لسعادة لهم في ذلك من حيث لا يشعرون، كما لا يشعر الصغير بضرب مَن يربّيه إيّاه. والربّ أيضا (هو) السيّد، والسيّد أشفق على عبده من العبد على نفسه، فإنّه أعلم بمصالحه. ولن يسعى سيّدٌ في إتلاف عبده، لأنّه لا تصحّ له سيادة إلّا بوجود العبد، فإنّها صفة إضافيّة، فعلى قدر ما يزول من المضاف، يزول من حكم المضاف إليه.

كالسلطان إذا لم يكن شغله دائما في[3] أمور رعيّته، وإلّا فما له من السلطنة إلّا الاسم، وهو معزول في نفس الأمر، فإنّ المرتبة لا تقبله سلطانا، إلّا بشروطها. فعلى قدر ما يشتغل عن رعيّته بنفسه؛ في لهوه وطربه؛ فهو إنسانٌ من جملة الناس، لا حظّ له في السلطنة. وينقصه في الآخرة من أجر السلطنة، وعزّها وشموخها، على قدر ما فرّط فيه من حقّها في الدنيا: بلهوه، ولعبه، وصيده، وتغافُله عن أمور رعيّته. وإذا سمع السلطان استغاثة بعض رعيّته عليه؛ فلم

1 [الأنفال : ١]
2 ص ١٣ب
3 ص ١٤

يلتفت لذلك المستغيث، ولا قضى فيه بما تعطيه مسألَتُه؛ إمّا له وإمّا عليه، فقد شهد على نفسه بهذا الفعل أنّه معزول، وأنّه ليس بسلطان، ولا فرق بينه وبين العامّة. فما يقع مثل هذا إلّا من سلطان جاهل، لا معرفة له بقدر ما ولّاه الله عليه. ولا غرو أنّ هذا الفعلَ يوجب أن يحور عليه وَبالُه يوم القيامة، وتقوم عليه الحجّة عند الله لرعيّته. فيبقى موبقا بعمله، ولا ينفعه عند ذلك لَهْوُه، ولا مالُه ولا بَنوه، ولا كلّ ما شغله عمّا تطلبه السلطنة بذاتها.

وأمّا الربّ، الذي هو المالك، فلِشدّة ما يعطيه هذا الاسم من النظر فيما تستحقّه المرتبة، فيوفّيها حقَّها. فقد بان لك في هذا المساق معنى اختصاص الاسم "الربّ" الذي إليه المساق عند التفاف الساق[1] بالساق. فبه انتظمَ الأمران، وثبتَ الانتقالان. ومَن عَلِم ثبوت الوجود، ومَن هو مالكه، وسيّده، ومُصلحه، والثابت له حكمه فيه؛ عَلِم أنّ الربّ مالكه. ومَن عَلِم منزلة عبوديّته عَلِم منزلة سيادة سيّده؛ فخافه، ورجاه، وصدَّقه في أمنِه إذا أمّنه، لعلمه بأنّه السيّد الوفيّ، الصادق الغنيّ.

ومهما تهدّم شيء من بيت الوجود رَمَّمهُ هذا السيّدُ بيد عبده، لأنّه آلته في ذلك والمستخدَم. فعلى يده يكون صلاح ما تهدّم منه، وبأمر[2] سيّده في ذلك إمّا بمشافهة، أو بتبليغ مبلِّغ؛ يبلّغ إليه من السيّد بإصلاحه، أو صورة حال تعطيه إصلاح ذلك، من غير توقّف على الأمر الآتي من عند السيّد؛ كالرهبانيّة الحسنة التي ابتدعها مَن ابتدعها، فهو مأجور فيها، موافقة بصورة الحال لما في نفس السيّد، وإن لم يأمر بها في النواميس في أهل الفترات؛ فإنّ الشرع ما جاء إلّا لمصالح الدنيا والآخرة. فالآخرة لا تُعرف إلّا بإخبار خالقها، وأنّها في حكم العقل ممكنة. والدنيا ومصالحها معلومة؛ لأنّها واقعة مشهودة. فللنظر في مصالحها مجالٌ بخلاف الآخرة؛ فلا تتوقّف مصالح الدنيا على ما تتوقّف عليه مصالح الآخرة. ولهذا ما خلت طائفةٌ من[3] ناموسٍ تكون عليه؛ لأنّ طلب المصالح ذاتيّ في الحيوان، فكيف في الإنسان صاحب الفكر والرويّة؟.

فمن تدبّر هذا الوصل رأى عجبا، وعَلِم علما يعطيه الرفعة في الدنيا والآخرة، وينضمّ إليه عِلْم

---

[1] ص ١٤ب
[2] س، ه: ويأمره
[3] ص ١٥

الجمع، والفرق الذي في عين الجمع. وعِلمُ الأحوال والشئون. وعِلمُ الزمانين. وعِلمُ ما يختصّ بالكون. وعِلمُ القلوب التي وسعت الحقّ ﷻ. وعِلمُ ما يقع به البقاء لهذا الوجود، أعني الموجودات كلّها. وعِلمُ العاقبة. وهو وصلٌ شريف.

إذا صَحَّتْ عُبُودَةُ كُلِّ عَبْدٍ ... تَصِحُّ لَهُ السِّيادَةُ فِي الوُجُودِ
فَيَحْكُمُ مِثْلَ سَيِّدِهِ وَتَبْدُو ... عَلَيْهِ بِذاكَ أَعْلامُ المَزِيدِ
وَيُخْبِرُنا لِسانُ الحالِ عَنْهُ ... بأنَّ الأَمْرَ فِيْهِ مِنَ الشُّهُودِ
لَهُ تَعْنُو الوُجُوهُ إذا تَبَدَّى ... كَما عَنَتِ المَلائِكُ بِالسُّجُودِ
فَيَسْمُو رِفْعَةً[1] وَيَذِلُّ عِزًّا ... فَيُدْعَى بِالمُرادِ وبِالمُرِيدِ

* * *

الوصل[2] العاشر من خزائن الجود
(وصل الأذواق، وهو العلم بالكيفيّات)

وهذا وصل الأذواق، وهو العلم بالكيفيّات. فهي لا تنقال إلّا بين أربابها، إذا اجتمعوا على اصطلاح معيّن فيها، وأمّا إذا لم يجتمعوا على ذلك فلا تنقال بين الذائقين. وهذا لا يكون إلّا في العلم بما سِوَى الله، مما لا يُدرك إلّا ذوقا؛ كالمحسوسات واللذّة بها. وبما يجده من التلذّذ بالعلم المستفاد من النظر الفكريّ، فهذا يمكن فيه الاصطلاح بوجه قريب.

وأمّا الذوقُ الذي يكون في مشاهدة الحقّ، فإنّه لا يقع عليه اصطلاح؛ فإنّه ذوق الأسرار، وهو خارج عن الذوق النظريّ والحسّيّ. فإنّ الأشياء -أعني كلّ ما سِوَى الله- لها أمثال وأشباه، فيمكن الاصطلاح فيها للتفهيم عند كلّ ذائق، له فيها طعم ذوق، من أيّ نوع كان من أنواع الإدراكات. والباري ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[3]، فمن المحال أن يضبطه اصطلاح؛ فإنّ الذي يشهد منه شخص، ما هو عين ما شهده شخص آخر جملة واحدة، وبهذا يعرفه العارفون. فلا يقدر عارفٌ بالأمر أن يوصل إلى عارف آخر ما شهده من ربّه؛ لأنّ كلّ واحد من العارفين

---

[1] كتب فوقها "صح" وفي الهامش بقلم الأصل: "ذلة"
[2] ص ١٥ب
[3] [الشورى: ١١]

شَهِد مَن لا مِثل له، ولا يكون التوصيل إلّا بالأمثال. فلو[1] اشتركا في صورة، لاصطلحا عليها بما شاءا، وإذا قبل ذلك واحدٌ جاز أن يقبل جميع العالَم. فلا يتجلّى في صورة واحدة لشخصين من العارفين.

ولكن قد رفع الله بعض عباده درجات، لم يعطها لغير عباده الذين لم تصحّ لهم هذه الدرجات؛ وهم العامّة من أهل الرؤية فيتجلّى لهم في صور الأمثال؛ ولهذا تجتمع الأمّة في عقد واحد في الله. فيعتقد كلّ واحد من تلك الطائفة المعيّنة في الله، ما يعتقده الآخر منها؛ كمَن اتّفق من الأشاعرة، والمعتزلة، والحنابلة، والقدماء. فقد اتّفقوا على أمر واحد لم تختلف فيه تلك الطائفة، فجاز أن يصطلحوا فيما اتّفقوا عليه.

وأمّا العارفون، أهل الله؛ فإنّهم علموا أنّ الله لا يتجلّى في صورة واحدة لشخصين، ولا في صورة واحدة مرّتين؛ فلم ينضبط لهم الأمر لمّا كان لكلّ شخص تجلٍّ يخصّه، ورآه الإنسان من نفسه. فإنّه إذا تجلّى له في صورة، ثمّ تجلّى له في صورةٍ غيرها؛ فعلِم من هذا التجلّي ما لم يعلمه من هذا التجلّي الآخر من الحقّ، هكذا دائمًا في كلّ تجلٍّ؛ علِم أنّ الأمر في نفسه كذلك، في حقّه وحقّ غيره، فلا يقدر أن يعيّن، في ذلك، اصطلاحا تقع به الفائدة بين المتخاطبين؛ فهم يعلمون ولا ينقال ما يعلمون. ولا في قوّة أصحاب هذا المقام[2] الأبهج، الذي لا مقام في الممكنات أعلى منه، أن يضع عليه لفظا يدلّ على ما علمه منه، إلّا ما أوقعه -تعالى-، وهو قوله ﷺ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ فنفى المماثلة؛ فما صورة يتجلّى فيها لأحد، تماثل صورة أخرى.

فَعَزَّ الأَمْرُ أَنْ يُدْرَى فَيُحْكَى ... وَجَلَّ فَلَيْسَ يَضْبُطُهُ اصْطِلاحُ
فَتَجْهَلُهُ العُقُولُ إذا تَراهُ ... تُعَبِّرُ عَنْهُ أَلْسِنَةٌ فِصاحُ
مِنَ اقْوامٍ مُقَلِّدَةٍ عُقُولًا ... لإمْكانٍ يَكُونُ بِهِ[3] الصَّلاحُ
فَهُمْ بِالفِكْرِ قَدْ جَمَعُوا عَلَيْهِ ... عَلَى جَهْلٍ فَخانَهُمُ الفَلاحُ

١ ص ١٦
٢ ص ١٦ب
٣ كتب فوقها بقلم آخر: "الأفكار يكون بها" مع إشارة التصويب وحرف خ، وفي س: "بأفكار يكون به"

وَقالَ العارِفُونَ بِما رَأَوْهُ ... فَما اصْطَلَحُوا فَجاءَهُمُ النَّجاحُ
فَلَيْسَ كَمِثْلِهِ فِي الكَوْنِ شَيْءٌ ... وَلَيْسَ لَهُ بِنا إلّا السَّراحُ

فبتقييدنا حكمنا عليه بالإطلاق. وأمّا الأمر، في نفسه، فغير[1] منعوت بتقييد ولا إطلاق؛ بل وجود عام. فهو عين الأشياء، وما الأشياء عينه؛ فلا ظهور لشيء لا تكون هويّته عينَ ذلك الشيء. فمن كان وجوده بهذه المثابة؛ كيف يقبل الإطلاق أو التقييد؟ هكذا عرفه العارفون. فمن أطلقه فما عرفه، ومَن قيّده فقد جهله.

فاللهُ لَيْسَ سِواهُ مَشْهُودًا لَنا ... وَهُوَ المُنَزَّهُ والمُجَمِّعُ بَيْنَنا
فالقَيْدُ والإطْلاقُ فِيهِ واحِدٌ ... وَكِلاهُما حُكْمٌ عَلَيْهِ لَهُ بِنا
فانْظُرْ إلَيْهِ بِعَيْنِهِ إن كُنْتَ ذا ... لُبٍّ تَجِدْهُ بِالسَّرِيرَةِ مُعْلِنا
هَذا هُوَ الحَقُّ الصَّرِيحُ لِمَنْ يَرَى ... ما قَدْ رَأَيْتُ مُبَرْهَنًا ومُبَيَّنا

واعلم أنّ الله -تعالى- ما جعل للأرواح أجنحة إلّا للملائكة منهم؛ لأنّهم السفراء من حضرة الأمر إلى خلقه؛ فلا بدّ لهم من أسباب، يكون لهم بها النزول والعروج؛ فإنّ موضوع الحكمة يعطي[2] هذا. فجعل لهم أجنحة بقدر مراتبهم في الذي يَسْرُون به من حضرة الحقّ، أو يرجعون إليه من حضرة الخلق؛ فهم بين الخلق والأمر يتردّدون. ولذلك قالوا: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾[3] فاعلم ذلك.

فإذا نزلت هذه السَّفَرة على القلوب، فإن رأتها قلوبا طاهرة قابلة للخير؛ أعطتها من علم ما جاءت به على قدر ما يسعها استعدادها. وإن رأتها قلوبا دنسة، ليس فيها خير؛ نهتها عن البقاء على تلك الحال، وأمرتها بالطهارة بما نصّ لها الشارع: إن كان في العلم بالله؛ فبالعلم به، مما يطلبه الفكر وجاء به الخبر النبويّ عن الله، وإن كان في الأكوان؛ فبعلم الأحكام واعتقاداتها. هذا يلزمه، وحكمها في ذلك؛ إذا وجدت القلوب. وإذا لم تجدها؛ كقلوب العارفين الذين هم في

١ ص ١٧
٢ ص ١٧ب
٣ [مريم : ٦٤]

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[1] فلا تعرف الملائكة أين ذهبوا. فهؤلاء هم الذين يأخذون عن الله، من الوجه الخاصّ، ما هم عليه من الأحوال؛ فَيُجهلون، ويؤخذ عليهم ما يأتون به. ومن هنا أخذ خَضِرٌ علمه. فهؤلاء يُنْكَر عليهم ولا يُنْكِرون على أحد إلّا بلسان شرع؛ فلسان الشرع هو الذي أنكر، لا هم. كالمسبّح بحمد الله، فالله هو الذي أثنى على نفسه، بما يعلم نفسه عليه. فإن قام فضول[2] بالإنسان، واستنبط له ثناء، لم يجيء بذلك اللفظ خطابٌ الهيّ، فما سبّحه بحمده؛ بل بما استنبطه من عنده؛ فينقص عن درجة ما ينبغي. فقل ما قاله عن نفسه، ولا تزد في الرقم، وإن كان حسنا. فقد أبنتُ لك ما إذا عملتَ به، كنت من أهل الحقّ ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[3].

* * *

الوصل الأحد عشر من خزائن الجود
(العبد مُنشِئ النارين)

التّــارُ نارانِ: نارُ اللهِ واللّهَــبِ — والدارُ داران: دارُ الفَــوْزِ والعَطَــبِ
وكُلّها سَبَبٌ مِنْ كَوْنِ مُنْشِئها — فاجْزَعْ مِنَ الكَوْنِ لا تجْزَعْ مِنَ السَّبَبِ
وخَفْ مِنَ العِلْمِ إنَّ العِلْمَ يَحْكُمُهُ — واجْنَحْ إلَى السِّلْمِ لا تَجْنَحْ إلَى الحَرَبِ

اعلم -علّمك الله- أنّ النار جاء بها الحقُّ مطلَقة، مثل قوله تعالى: ﴿النَّار﴾ -بالألف واللام- حيث جاءت. وجاء بها مضافة؛ فمنها نارٌ أضافها إلى الله مثل قوله: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾[4] ونارٌ أضافها إلى غير الله مثل قوله: ﴿لَهُمْ نَارُ[5] جَهَنَّمَ﴾[6]. ثمّ نعتَ هذه النار بنعوت، وأخبر عنها بأخبار من الوقد والإطباق، وغير ذلك. وجعل لها حُكْمًا في الظاهر؛ فجعلها ظرفا، مثل قوله:

[1] [الشورى : ١١]
[2] ص ١٨
[3] [الأحزاب : ٤]
[4] [الهمزة : ٦]
[5] ص ١٨ب
[6] [فاطر : ٣٦]

﴿فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا﴾[1] فجاء بالظرف، وحُكْمًا في الباطن، وهو أن يكون ظاهر العبد ظرفا لها، وهي: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ. الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾[2] والأفئدةُ باطنُ الإنسان؛ فهي تظهر في فؤاد الإنسان، وعن هذه النار الباطنة ظهرت النار الظاهرة. والعبد مُنشئ النارين في الحالين؛ فما عذّبه سِوَى ما أنشأه. كذلك ما أغضب الحقّ سِوَى ما خلقه، فلولا الخلقُ ما غضب الحقُّ. ولولا المكلَّفُ الذي أنشأ صورة النارين بعمله الظاهر والباطن؛ ما تعذّب بنارٍ. فما جنى أحدٌ على أحدٍ، في الحقيقة والنظر الصحيح.

فَلا تَعْمَلْ فَلَا تَشْقَى — فَكُنْ عَبْدًا وَكُنْ حَقًّا
فَمَــا ثَمَّ سِــوَى مَــا قُلْتُــهُ فَــانْظُرْ تَــرَ الحَقَّــا
عَذَاب الخَلْقِ بِالخَلْقِ — حَقًّا كُنْتَ أَوْ خَلْقَا

ومن ذلك:

فالنَّــارُ مِنْــكَ وبِالأَعْمَــالِ تُوقِــدُها — كَمَا بِصَــالِحِها فِي الحَــالِ تُطْفِؤُهــا
فأَنْتَ[3] بِالطَّبْعِ مِنْها هارِبٌ[4] أَبَدًا — وأَنْتَ فِي كُلِّ حالٍ فِيْكَ تُنْشِؤُها
أَمــا لِنَفْسِــكَ عَقْــلٌ فِي تَصَرُّفِهــا — وَقَــدْ أَتَيْــتُ إِلَيْهــا اليَــوْمَ أُنْبِؤُهــا
قَبْــلَ المَمَــاتِ فَــإِنَّ اللهَ قَــالَ لَنَــا — بِأَنَّهُ يَوْمَ عَــرْضِ الخَلْــقِ يَمْلَؤُهــا

واعلم أنّه -تعالى- لمّا ذكر على ألسنة رسله -عليهم السلام-: «أنّ الله يغضب يوم القيامة غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعدَه مثله» وأنّ الحقّ إذا قالت النار: ﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾[5] لأنّه وعدها أن يملأها، وهي دار الغضب، قال: «فيضع الجبّارُ فيها قَدَمَهُ، فتقول: قطْ قطْ» أي قد امتلأت. وليست تلك القدم إلّا غضب الله، فإذا وضعه فيها امتلأتْ؛ فإنّها دار الغضب. واتّصف الحقّ بالرحمة الواسعة، فوسعتْ رحمتُه جهنّم، بما ملأها به من غضبه؛ فهي ملتذّة بما

[1] [التوبة : ٦٣]
[2] [الهمزة : ٦، ٧]
[3] ص ١٩
[4] ق: "هاربا" وعليها إشارة شطب وصححت فوقها
[5] [ق : ٣٠]

اختزنته. ورحم الله مَن فيها، أعني في النار، الذين هم أهلها؛ فيجعل لهم من هذه الرحمة نعيما فيها، كما نَعَّمَ جهنّم بما وضع فيها من الغضب الإلهيّ. فإنّ المخلوق[1] الذي من حقيقته أن يُفني، لا يملؤه مخلوق؛ فإنّه كلّ ما حصل منه فيه أفناه؛ كما ورد في نضج الجلود. فلا يملأ مخلوقا إلّا الحقّ، وغضبُ الله حقٌّ؛ فأنعم على جهنّم به؛ فوضعه فيها؛ فامتلأتْ بحقٍّ، كما امتلأت الجنّةُ برضا الحقّ ورحمته.

قَدْ وَسِعَ الحَقّ كُلَّ شَيْءٍ لأَنَّـهُ عَـيْنُ كُلِّ شَيٍّ
فَمَا تَرَى فِيْهِ غَيْرَ حَقٍّ فِي كُلِّ نُـوْرٍ وَكُلِّ فَيِّ

ومن ذلك:

فَنَارُ اللهِ لَيْسَ سِوَى وُجُودِي وَنَارِ جَهَنَّمٍ ذَاتِ الوَقُـودِ
بِآلِهَـــةٍ تَعَبَّـــدَها أُنَاسٌ وَهُمْ فِيْهَا عَلَى حُكْمِ الخُلُودِ

ولقد رأيت في هذا الوصل مشهدا هالني في الواقعة، وتُليت عليّ سورة "الواقعة" بلسان امرأة من صالحات المؤمنات عرضا عليّ. فكان من صورة ما تَلَتْهُ: ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ.. ثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ﴾[2] بحذف واو العطف. ولم يكن عندي من ذلك سرٌّ قبل هذا. فرددتُ[3] عليها لتقرأ ذلك بحرف الواو؛ فلم تفعل. فرجعتُ إلى نفسي، وعلمتُ ما نبّهني الحقّ به في ذلك الحذف، من الاقتطاع بين العالَم. فإذا جاء بالواو؛ راعى ما يقع فيه الاشتراك، في الصورة الظاهرة والمفهوم الأوّل. وإذا أزال الواو؛ راعى ما يقع به التمييز، والانفراد الذي به حقيقة ذلك الشيء؛ لأنّه لا حقيقة له إلّا بما يتميّز به. فعلمتُ ما أراد بحذف الواو مَن نطّقها بذلك، وهو اللهُ؛ ليُعْلِمَ أنّه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[4] مع وجود الأشياء، وأنّه بِعَدَمِها ووجودها منفيّ المماثلة، وما بقي الأمر إلّا: هل هو منفيّ المناسبة، أم لا؟ لأنّ الإيجاد بغير المناسِب لا يُتصوّر، وقد حصل الإيجاد وظهر المخلوق. فعلِمنا أنّ المناسِب لا بدّ منه، ولا يعطي المماثلة أصلا؛ لأنّ الخلقَ كلّه لله،

١ ص ١٩ب
٢ [الواقعة : ٣٩، ٤٠]
٣ ص ٢٠
٤ [الشورى : ١١]

والأمرَ كلّه لله؛ فلا شركة. فارتفعت المماثلة، مع وجود المناسِب الذي يطلبه الخلق بذاته.

وكلّ خلق أضيف إلى خلق فمَجاز وصورة حجابيّة؛ ليعلم العالِم من الجاهل. وفضل الخلق بعضهم على بعض؛ ليتحقّق الشكرُ من الفاضل، والطلَبُ والافتقار من المفضول. فيزاد الفاضل لشكره، ويُعطى المفضول لطلبه؛ فكلٌّ في مزيد. ولا يرتفع التفاضل: كلّما ارتقى الفاضل بالمزيد درجة؛ ارتقى المفضول خلفَه يطلبه درجة؛ فالكلّ في ارتقاء[1] من[2] غير لحوق.

نادانِيَ الحَقُّ مِنْ وُجُودِي فِي كُلِّ حالٍ عَلَى الشُّهُودِ
امْـتَلأَتْ ذاتُـكُمْ فَقُلْنَـا مِلْئِي مُحالٌ هَلْ مِنْ مَزِيدِ
ما يَمْلأُ الكَوْنَ غَيْرُ مَنْ قَدْ جادَ عَلَى الخَلْقِ[3] بِالوُجُودِ
وذَلِكَ الحَــقُّ لا سِــوَاهُ مــا رُتْبَــةُ الــرَّبِّ كالعَبِيــدِ
مَنْ عَلِمَ الحَقَّ عِلْمَ ذَوْقٍ لَمْ يَـدْرِ مـا لَذَّةُ السُّجُودِ

فنارُ جهنّم لها تُنضج الجلود وحَرق الأجسام، ونار الله نار ممثّلة مجسّدة؛ لأنّها نتائج أعمال معنويّة باطنة. ونار جهنّم (هي) نتائجُ أعمال حِسّيّة ظاهرة؛ ليجمع لمن هذه صفته بين العذابين، كما فعل بأهل الجزية في إعطائها عن يدٍ وهم صاغرون. فعذّبهم بعذاب إخراج المال من أيديهم، وبين الصَّغار والقهر الذي هو عذاب نفوسهم؛ مما يجدون في[4] ذلك من الحرج. ألا ترى المنافق في الدرك الأسفل من النار؟ فهو في نار الله لِمَا كان عليه من إصرار الكفر، وما له في الدرك الأوّل مقعدٌ لِمَا أتى به من الأعمال الظاهرة. بخلاف الكافر؛ فإنّ له من جهنّم أعلاها وأسفلها؛ فما عنده مَن يعصمه من نار الله، ولا من نار جهنّم.

وأمّا حكم الذي جحدها واستيقنَ الحقَّ واعتقدَه، فإنّه على ضدّ أو عكس عذاب المنافق؛ فإنّه عالِمٌ بالحقّ، يتحقّق به في نفسه، ولم يظهر ذلك على ظاهر نشأته. فأظهر خلاف ما أضمر، والنار إنما تطلب من الإنسان مَن لم تَظهر عليه صورةُ حَقٍّ، من ظاهر وباطن. فالعلم

١ ثابتة في الجوار بقلم آخر مع إشارة التصويب
٢ ص ٢٠ب
٣ كتب فوقها بقلم آخر: "الكون" مع إشارة التصويب، وحرف خ
٤ ص ٢١

للباطن كالعمل للظاهر، والجهل للباطن كترك الواجب للظاهر. وهنا تتبيّن للإنسان مراتبُ وأسباب المؤاخذات الإلهيّة لعباده في الدار الآخرة.

فإذا استُوفِيَتْ الحدود: عمّت الرحمة من خزانة الجود، وهو قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ... خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾[1]. وهذا هو الحدّ الزماني. لأنّ التبديل لا بدّ أن يقع بالسماوات والأرض، فتنتهي المدّة عند ذلك. وهو في حقّ كلّ إنسان، من وقت تكليفه إلى يوم التبديل؛ لأنّه غير مخاطب ببقاء السماوات والأرض قبل التكليف. وهذا في حقّ السعيد والشقيّ[2]، فهما في نتائج أعمالهما هذه المدّة المعيّنة. فإذا انتهت انتهى نعيم الجزاء الوفاق، وعذاب الجزاء، وانتقل هؤلاء إلى نعيم المنن الإلهيّة التي لم يربطها الله بالأعمال، ولا خصّها بقوم دون قوم، وهو "عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ"[3] ما له مدّة ينتهي بانتهائها، كما انتهى الكفر والإيمان هنا، بانتهاء عُمُر المكلّف. وانتهت إقامة الحدود في الأشقياء، والنعيم الجزائي في السعداء، بانتهاء[4] مدّة السماوات والأرض ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ في حقّ الأشقياء ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾[5] وكذا وقع الأمر بحسب ما تعلّقت به المشيئة الإلهيّة.

وما قال -تعالى- في الأشقياء: "عذابا غير مجذوذ" كما قال في السعداء. فعلمنا -بذِكْر مدّة السماء والأرض، وحكم الإرادة في الأشقياء، والإعراض عن ذِكْر العذاب- أنّ للشقاء مدّة ينتهي إليها حكمه، وينقطع عن الأشقياء بانقطاعها، وأنّ جزاء السعيد على مثل ذلك، ثمّ تعمّ المنن والرضا الإلهيّ عن الجميع، في أيّ منزل كانوا. فإنّ النعيم ليس سِوَى ما يقبله المزاج وغرض النفوس، لا أثر للأمكنة في ذلك. فحيثما وجد ملاءمة الطبع ونَيْل الغرض، كان ذلك نعيما لصاحبه، فاعلم ذلك.

ومتعلّق الاستثناء معلوم في الطائفتين لما كان عليه الكافر[6] من نعيم الحياة الدنيا؛ مِن نَيْلِ

١ [هود : ١٠٦، ١٠٧]
٢ ص ٢١ب
٣ انظر الآية [هود : ١٠٨] وفيها: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾
٤ ق: وانتهاء
٥ [هود : ١٠٧]
٦ ص ٢٢

أغراضه وصحّة بدنه، ولِمَا كان عليه المؤمن من عدم نيل أغراضه، وأمراضه في الدنيا؛ كلّ ذلك من زمان تكليف كلّ واحد من الطائفتين ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[1].

* * *

الوصل الثاني عشر من خزائن الجود
(الإهمال الإلهيّ)

وهو الإهمال الإلهيّ، فلا يدري صاحِبُه ما لَه. فإنّ كلّ عبد استحقّ العقاب على مخالفته لمّا جاء الرسول إليه به؛ فقد أمهله الله وما أخذه، وهو تحت حكم سلطان الاسم "الحليم" فهو كالمهمَل؛ فلا يُدْرَى هل تَسبق له العناية بالمغفرة والعفو قبل إقامة الحدّ الإلهيّ عليه بالحكم؟ أو يؤخذ، فتقام عليه حدود جناياته إلى أجلٍ معلوم؟

ولمّا كان هذا الاحتمال يسوغ فيمن أمهله الله؛ كانت صورةُ صاحب هذا الوصف صورةُ المهمَل. فإنّ الإهمال من جانب الحقّ ما يصحّ؛ فإنّه في علم الله السابق: إمّا مغفور له، وإمّا مؤاخَذ بما جنى على نفسه. فهو على خطر، وعلى غير عِلم بما سبق له في الكتاب الماضيّ الحكم. فإنّ الحكَمَ يَحكم على الحاكم العادل، كما يَحكم على المحكوم عليه: فإمّا بالأخذ، وإمّا بالعفو[2] في الشخص الذي هو على نعتٍ وحالٍ يوجبُ له أحدَ الأمرين مما ذكرناه. وليس إلّا مَن أمهله الله؛ فلم يؤاخذه في وقت المخالفة. وكفى بالترقّب للعارف العاصي المهمَل -الذي هو في صورة المهمَل- عذابا[3] في حقِّه؛ لأنّه لا يدري ما عاقبة الأمر فيه.

وما من طائفة إلّا وهي تحت ناموس شرعيّ حُكْميّ، أو وَضْع حِكَميّ. فلا تخلو أُمّة من مخالفة تقع منها لناموسها، كان ما كان. فلا ينفكُّ صاحب هذه المخالفة من مراقبة العفو أو المؤاخذة، على ما قرّره عليه واضعُ ناموسه؛ فقد عمّت النواميس جميعَ الأمم، وهو قوله -تعالى-: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[4] فهو إمّا نذيرٌ بأمر الله وإرادته، أو نذيرٌ بإرادة الله، لا بوحي نزل عليه، يعلم به أنّه مِن عند الله. فأَمْرُ الله إنما متعلّقه عين إيجاد إنذاره فيه، فقيل

١ [الأحزاب : ٤]
٢ ص ٢٢ب
٣ رسمها في ق: عذبا
٤ [فاطر : ٢٤]

لإنذاره: ﴿كُنْ﴾ في هذا العبد؛ فكان. فوجد الإنذار في نفسه، ولم يدر من أين جاء. فهذا الفَرق بين الشرع الإلهيّ الذي جاءت به الرسل من عند الله، وبين ما وضعته حكماء الأعصار لأتباعها لمصالحهم.

فمن وفّى بحقّ ناموسه واحترمه، ووقف عند حدّه ابتغاء رضوان الله؛ فقد أحسن في عمله، وأنّ الله لا يضيع أجر من أحسن عملا. و«الإحسان أن تعبد الله كأنّك تراه[1]» أو تعلم أنّه يراك. فهذا هو الحدّ الضابط للإحسان في العمل، وما عدا هذا فهو سوء عمل. فإن كان ممن ﴿زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾[2] فلا يخلو: إمّا أن تكون رُؤيةُ سوءِ العمل حسنا بعد اجتهادٍ يفي بما في وُسْع ذلك الشخص المجتهد؛ فقد وفّى الأمر حقّه، وهو صاحب عمل حسن. ويكون كونه سوء عمل، يراه سوءا، عين حُكم المصيب للحقّ صاحب الأجرين، ويكون هذا المزيّن له بهذه الصفة صاحب الأجر الواحد.

وإن لم يكن عن استيفاء الاجتهاد بقدر الوسع، ورآه حسنا عن غير اجتهاد؛ فهو في المشيئة: فلا يدري بما ختم له، ولماذا (=وإلى ماذا) يؤول أمره في مدّة إقامة الحدود في الدنيا والآخرة؛ فإنّه ممن أسرف على نفسه. فإن قنط من رحمة الله، فما وفّى الأمر حقّه، وساء ظنًّا بربّه، والربّ عند ظنّ عبده به. وقد نهى الله المسرفَ على نفسه عن القنوط. فهل قنوطه بارتكاب هذا المنهيّ عنه الآتي بعد حصول إسرافه معتبرٌ، له أثر يحول بين المغفرة وبين صاحبه؟ أو حكمه حكم كلّ إسراف سِوَاهُ؟ فهذا أيضا محمَل، لا يُدرى ما الأمر فيه إذا أنصف الناظر؛ لأنّه قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[3] مع ارتفاع القنوط[4] أو مع وجوده، إلّا المشرك الذي لم يبذل وُسْع نفسه، في طلبه، عدم الكثرة في الاسم، الإله؛ فإنّه لا بدّ من مؤاخذته.

فتعيّن على العاقل معرفة المدد الزمانيّة، واختلاف الأزمان والدهور والأعصار، وما يجري من ذلك إلى أجل مسمّى، في الأشخاص المقول عليها: إنّها أزمان، وما يجري منها إلى غير أجل

١ ص ٢٣
٢ [فاطر : ٨]
٣ [الزمر : ٥٣]
٤ ص ٢٣ب

مسمّى، وما الحقّ الذي يوجب الشكر، وما الحقّ الذي يوجب الصبر. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[1].

وأمّا الإيمان فهو أمر عامّ، وكذلك الكفر الذي هو ضِدُّه. فإنّ الله قد سمّى مؤمنا: مَن آمن بالحقّ، وسمّى مؤمنا: مَن آمن بالباطل، وسمّى كافرا: مَن يكفر بالله، وسمّى كافرا: مَن يكفر بالطاغوت، وبيّن مآلَ هؤلاء وهؤلاء، والطريق التي جاءت بِبَيَانِها أيّده بالدلالات على صحّته أنّه من عند الله، المرجوّ في كلّ ملّة ونِحْلَة، وعند كلّ طائفة. والأعمالُ الصالحة رأسُها الإيمان، فهي تابعة له، كان الإيمان بما كان. وما في الأمور الوجوديّة أغمض من هذه المسألة، لأنّ الله قرن العمل السيّئ بالتزيين، حتى يراه العامل حسنا فيتخذه صالح عمل، ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾[2] فجاء بالألف واللام للشمول في السُّبل، فإنّها كلّها سُبُل يراها[3] من جاهد في الله، فأبان له، ذلك الجهاد، السُّبُلَ الإلهيّة؛ فسلك منها الأَسَدَّ في نفسه، وعذر الخلق فيما هم عليه من السبل، وانفرد بالله؛ فهو على نور من الله.

إذا عُرِفَ اللهُ مِنْ فِعْلِهِ ... فإهْمَالُهُ عَيْنُ إمْهَالِهِ
فَعَيْنٌ تَرَاهُ بِتَفْصِيلِهِ ... وعَيْنٌ تَرَاهُ بِإجْمَالِهِ
فَقَوْمٌ عَلَى حُكْمِ إحْسانِهِ ... وقَوْمٌ عَلَى حُكْمِ إجْلَالِهِ
فَيَقبِضُ شَخْصًا بِتَعْرِيفِهِ ... وَيَبسطُ شَخْصًا بِإهْمَالِهِ
فَسُبْحَانَ مَنْ حُكْمُهُ واحِدٌ ... بِإعْرَاضِهِ وبِإقْبَالِهِ
وسُبْحَانَ مَنْ عَمَّ إحْسانُهُ ... بِإذْلالِهِ وبِإدْلالِهِ
وكُلٌّ بِإعْدادِهِ قابِلٌ ... لِخُسْرانِهِ ولإفْضالِهِ

﴿وَاللَّهُ[4] يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[5].

١ [الأحزاب : ٤]
٢ [النحل : ٩]
٣ ص ٢٤
٤ ص ٢٤ب
٥ [يونس : ٢٥]

الوصل الثالث عشر من خزائن الجود
(مآلُ الأمرِ الرجوعُ من الكثرة إلى الواحد)

مآلُ الأمرِ الرجوعُ من الكثرة إلى الواحد، من مؤمن ومشرك. لأنّ الموطن الذي يعطي كشف الأمور على ما هي عليه يعطي ذلك، وهو قوله تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[1] وذلك قبل خروجه من الدنيا. فما قُبض أحدٌ إلّا على كشف حين يُقبض، فيميل إلى الحقّ عند ذلك. وألحق التوحيد والإيمان به.

فمن حصل له هذا اليقين قبل الاحتضار، فمقطوعٌ بسعادته واتّصالها. فإنّ اليقين عن النظر الصحيح والكشف الصريح يمنعه من العدول عن الحقّ؛ فهو على بيّنة من الأمر وبصيرة. ومَن حصل له هذا اليقين عند الاحتضار فهو في المشيئة، وإن كان المآلُ إلى السعادة، ولكن بعد ارتكاب شدائد في حقّ من أُخذ بذنوبه. ولا يكون الاحتضار إلّا بعد أن يشهد الأمر الذي ينتقل إليه الخلق، وما لم يشاهد ذلك؛ فما حضره[2] الموت، ولا يكون ذلك احتضارا.

فمن آمن قبل ذلك الاحتضار بنفَس واحد، أو تاب؛ نفَعه ذلك الإيمان والمتاب عند الله في الدار الآخرة، وحاله عند قبض روحه؛ حالُ مَن لا ذنب له، وسَوَاءٌ ردّه لذلك شدّةُ ألم ومرض أوجب له قطع ما يرجوه من الحياة الدنيا (أو غيره)[3] فهو مؤمنٌ تائبٌ ينفعه ذلك؛ فإنّه غير محتضر. فما آمن ولا تاب؛ إلّا لخميرةٍ كانت في باطنه وقلبه، لا يشعر بها. فما مال، إلى ما مال إليه؛ إلّا عن أمرٍ كان عليه في نفسه، لم يظهر له حكمٌ على ظاهره، ولا له في نفسه، إلّا في ذلك الزمن الفرد، الذي جاء في الزمان الذي يليه الاحتضار، الذي يوجب له الإيمان المحصّل في المشيئة.

فَكَمْ بَيْنَ مَحْكُومٍ لَهُ بِسَعادَةٍ ... وَمَا بَيْنَ مَنْ تَقْضِي عَلَيْهِ مَشِيئَتُهْ
فَذَلِكَ تَخْلِيصٌ عَزِيزٌ مُقَدَّسٌ ... وَهَـذَا عَلَى حَالٍ أَرَتْهُ حَقِيقَتُهْ
فَلَوْلاهُ مَا بَانَتْ عَلَيْهِ طَرِيقَتُه ... وَلا شَهِدَتْ يَوْمًا عَلَيْهِ سَلِيقَتُهْ

١ [ق: ٢٢]
٢ ص ٢٥
٣ أثبتناها من ه، س

فإذا[1] انتقل العبد من الحياة الدنيا إلى حياة العرْض الأكبر، فإنّ الله ﷻ قد جعل في الكون قيامتين: قيامة صغرى، وقيامة كبرى. فالقيامة الصغرى: انتقالُ العبد من الحياة الدنيا إلى حياة البرزخ، في الجسد الممثَّل، وهو قوله ﷺ: «من مات فقد قامت قيامته» ومَن كان من أهل الرؤية، فإنّه يرى ربّه، فإنّ رسول الله ﷺ يقول لمّا حذّر أمّته الدجّال: «إنّ الله لا يراه أحدٌ حتى يموت». والقيامة الكبرى هي قيامة البعث، والحشر الأعظم الذي يُجمَع الناس فيه. وهو في القيامة الكبرى، أعني الإنسان، ما بين مسئول ومحاسَب، ومناقَش في حسابه، وغير مناقَش؛ وهو الحساب اليسير، وهو عرض الأعمال على العبد من غير مناقشة.

والمناقشةُ: السؤالُ عن العلل في الأعمال. فالسؤال عامٌّ في الجميع حتى في الرسل، كما قال: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾[2] فالسؤال على نوعين: سؤال على تقرير النِّعم، على طريق مباسطة الحقّ للمسئول؛ فهو ملتذٌّ بالسؤال. وسؤال على طريق التوبيخ، أيضا، لتقرير النِّعم؛ فهو في شدّة. فقال ﷺ لأصحابه، وقد أكلوا تمرا وماء عن جوع: «إنّكم لَتُسألون عن نعيم[3] هذا اليوم» وهذا السؤال موجّه للإنذار والبشارة في قوم مخصوصين، وهم أهل ذلك المجلس. وهو تنبيه بما هو الأمر عليه في حقّ الجميع. فما خلق الله العالَم، بعد هذا التقرير، إلّا للسعادة بالذات. ووقع الشقاء في حقّ من وقع به، بحكم العرَض. لأنّ الخير المحض، الذي لا شرَّ فيه، هو وجود الحقّ الذي أعطى الوجود للعالَم، لا يصدر عنه إلّا المناسِب، وهو الخير خاصّة.

فلهذا كان للعالَم الخيرُ بالذات، ولكون العالم كان الحكم عليه بالإمكان، لاتصافه بأحد الطرفين على البدل. فلم يكن في رتبة الواجب الوجود لذاته، عرض له من الشرّ -الذي هو عدم نَيْلِ الغرض، وملاءمة الطبع- ما عرض، لأنّ إمكانه لا يحول بينه وبين العدم. فبهذا القدر ظهر الشرُّ في العالَم، فما ظهر إلّا من جهة الممكن، لا من جانب الحقّ. ولذلك قال رسول الله ﷺ لله في دعائه ﷺ: «والخيرُ كلّه في يديك، والشرُّ ليس إليك» وإنما هو إلى الخلق من حيث إمكانه.

فَلِذَاتِ الحَقِّ نَحْنُ السُّعَدا ... ولإِمْكانِ الـوَرَى كانَ الشَّـقَا

١ ص ٢٥ب
٢ [المائدة: ١٠٩]
٣ ص ٢٦

ولقاءُ[1] الحَقِّ حَقٌّ واجِبٌ ... فابْشِروا بِكُلِّ خَيْرٍ فِي اللِّقا
فَلَنا مِنّا فَناءٌ وبَقا ... ولَنا مِنْهُ وُجودٌ وَلِقا
فَهْوَ خَيْرٌ ما لَهُ ضِدٌّ يُرَى ... فإذا ما الخَيْرُ بِالخَيْرِ الْتَقى
كانَ خَيْرًا كُلُّ ما كانَ بِهِ ... مذهب الشرّ وأسباب التُّقَى

واعلم أنّ الأجسام نواويس[2] الأرواح ومدافنها، وهي التي حجبتها أن تُشهد وتَشهد، فلا تَرى ولا تُرى إلّا بمفارقة هذه الضرائح، فناءً عنها لا انفصالا. فإذا فنيتْ عن شهودها، وهي ذات بصر، شهدتْ موجِدَها بشهودها نفسَها، فـ«مَن عَرَف نفسَه عَرَف ربَّه». كذلك مَن شهد نفسَه شهد ربَّه؛ فانتقل من يقين علمٍ إلى يقين عينٍ. فإذا رُدَّ إلى ضريحه؛ رُدّ إلى يقين حقٍّ من يقين عينٍ، لا إلى يقين علمٍ. ومن هنا يعلم الإنسان تفرقة الحقّ بإخباره الصدق: بحقِّ اليقين، وعين اليقين، وعِلْم اليقين. فاستقرّ عنده كلُّ حُكمٍ[3] في رتبته، فلم تلتبس عليه الأشياء، وعلم أنّه لم تكذبه الأنباء.

فمن عرف الله بهذا الطريق، فقد عرف، وعَلِم حكمة تكوين الجوهر في الصَّدَف، عن ماءٍ فراتٍ في ملحٍ أجاجٍ. فصدَفَتُهُ جِسْمُهُ، ومِلْحُهُ طَبيعتُه. ولهذا ظهر حكم الطبيعة على صَدَفته، فإنّ المِلحةَ البياضُ؛ وهو بمنزلة النور الذي يكشف به. فتحقَّق بهذا الدليل ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾[4].

الوصل الرابع عشر من خزائن الجود، يقرع الأسماع ويعطي الاستمتاع، ويجمع بين القاع واليفاع

لَمّا كان المقصودُ من العالَم الإنسانَ الكامل، كان من العالَم أيضا، الإنسانُ الحيوان المشبه للكامل في النشأة الطبيعيّة، وكانت الحقائق التي جمعها الإنسان متبدّدة في العالَم؛ فناداها الحقّ من جميع العالَم؛ فاجتمعتْ. فكان من جمعيّتها الإنسان؛ فهو خزانتها. فوجوهُ العالَم مصروفةٌ إلى

[1] ص ٢٦ب
[2] النواويس: المقابر
[3] ص ٢٧
[4] [النحل : ٩]

هذه الخزانة الإنسانيّة؛ لترى ما ظهر عن نداء الحقّ بجمع هذه الحقائق. فرأتْ صورةً منتصبةَ القامة، مستقيمةَ الحركة، معيَّنةَ الجهات. وما رأى أحدٌ، من العالَم، مثل هذه الصورة[1] الإنسانيّة. ومن ذلك الوقت تصوَّرت الأرواح الناريّة والملَكيّة في صورة الإنسان، وهو قوله تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾[2] وقول رسول الله ﷺ: «وأحيانا يتمثّل لي الملَكُ رَجُلًا».

فإنّ الأرواح لا تتشكّل إلّا فيما تعلمه من الصور، ولا تعلم شيئا منها إلّا بالشهود؛ فكانت الأرواح تتصوَّر في كلّ صورة في العالَم، إلّا في صورة الإنسان قبل خلق الإنسان. فإنّ الأرواح، وإن كان لها التصوّر، فما لها القوّة المصوِّرة كما للإنسان؛ فإنّ القوّة المصوِّرة تابعةٌ للفكر الذي هو صفة للقوّة المفكِّرة. فالتصوّر للأرواح من صفات ذات الأرواح النفسيّة، لا المعنويّة، لا لقوّة مصوِّرة تكون لها. إلّا أنّها، وإن كان لها التصوُّر ذاتيًّا، فلا تتصوّر إلّا فيما أدركته من صور العالَم الطبيعيّ.

ولهذا كان ما فوق الطبيعة من الأرواح لا يقبلون التصوُّر؛ لكونهم لا علم لهم بصور الأشكال الطبيعيّة؛ وليس إلّا النفس، والعقل، والملائكة المهيَّمون دنيا وآخرة. فما فوق الطبيعة لا يشهدون صور العالَم، وإن كان بعضهم -كالنفس الكلّ- يعطي الإمداد، بذاته، لعالَم[3] الطبيعة من غير قصد، كما تعطي الشمسُ ضوءها لذاتها من غير قصد منها لمنفعة أو ضرر؛ هذا معنى الذاتيّ لها.

ونِسبة العلم والعمل نِسبة ذاتيّة لها لِعلمها بنفسها، لا بما فوقها من عِلّتها وغيرها. وأمّا عملها؛ فينسب إليها العمل، كما يُنسب إلى الشمس تبييض الشقّة، وسواد وجه القَصّار، وكما يُنسب إلى النار التسخين والإحراق، فيقال: بيَّضتِ الشمسُ كذا، وأظهرتِ الشمسُ كذا، وأحرقتِ النارُ كذا، وأنضجتْ كذا، وسخّنتْ كذا. فهكذا هو الأمر في العالَم إن كنت ذا لُبٍّ وفطنة ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[4] و﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[5] ولهذا يتجلّى في كلّ صورة.

[1] ص ٢٧ب
[2] [مريم : ١٧]
[3] ص ٢٨
[4] [البقرة : ٢٨٢]
[5] [البقرة : ٢٠]

فجميع العالم برز من عدمٍ إلى وجود، إلّا الإنسان وحده؛ فإنّه ظهر من وجود إلى وجود؛ مِن وجودِ فَرْقٍ إلى وجود جَمْعٍ؛ فتغيَّر عليه الحال من افتراق إلى اجتماع، والعالَم تغيّر عليه الحال من عدم إلى وجود. فبين الإنسان والعالَم ما بين الوجود والعدم، ولهذا ليس كمثل الإنسان من العالم شيء.

فَمَا أَنَا مُخْضَةُ الوُجُودِ   إلّا لِكَوْنِي مِنَ الوُجُودِ
لَيْسَ[1] لأَمْرٍ عَلَيَّ حُكْمٌ   مِنْ عَدَمٍ يقضي فِي وُجُودِي
فَلَيْسَ لِي فِي الكِيَانِ مِثْلٌ   أذاقَـهُ لَذَّةَ المَزِيدِ
لِذَلِكَ اخْتُصَّ بِالسُّجُودِ   كَوْنِي وَكَوْنُتُ لِلسُّجُودِ
أَسْجَدَ لِي الأَمْرُ كُلَّ كَوْنٍ   إلّا الَّذِي قَالَ بِالجُحُودِ

ولمّا تحلّل الجامد تغيّرت الصور؛ فتغيّر الاسم؛ فتغيّر الحكم. ولمّا تجمّد المائع تغيّرت الصورة؛ فتغيّر الاسم؛ فتغيّر الحكم؛ تنزّلت الشرائع تخاطب الأعيان بما هي عليه من الصور والأحوال والأسماء. فالعينُ لا خطاب عليه من ذاته، ولا حكم عليه من حقيقته؛ ولهذا كان له المباح من الأحكام المشروعة، وفعل الواجب، والمندوب، والمحظور، والمكروه من اللمّات الغريبة في وجوده؛ وذلك مما قرن به من الأرواح الطاهرة الملَكيّة، وغير الطاهرة الشيطانيّة. فهو يتردّد بين ثلاثة حُكّام: حَكَمٌ ذاتيّ له منه عليه، وحَكَمان قُرنا به، وله القَبولُ والردّ[2]، بحسب ما سبق به الكتاب، وفصّله الخطاب. ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾[3] كما كان من القرناء مقرَّبٌ وطريد. فهو لمن أجاب، وعلى الله تبيان الخطأ من الصواب.

وغاية الأمر أنّ الله ﴿عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾[4] وما قرن اللهُ قطّ بالمآب إليه سوءًا تصريحًا، وغايةُ ما ورد في ذلك في معرض التهديد في الفهم الأوّل: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ

١ ص ٢٨ب
٢ ص ٢٩
٣ [هود : ١٠٥]
٤ [آل عمران : ١٤]

يَنقَلِبُونَ﴾[1] فيعلمون مِن كرم الله ﴿مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾[2]: قبل المؤاخذة؛ لمن غفر له، وبعد المؤاخذة؛ لانقطاعها منه. فرحمته واسعة، ونعمته سابغة جامعة، وأَنْفُسُ العالم فيها طامعة؛ لأنّه كريم من غير تحديد، ومطلَق الجود من غير تقييد.

ولذلك حشر العالم يوم القيامة ﴿كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾[3] لأنّ الرحمة منبثّة في المَواطن كلّها، فانبثَّ العالَمُ في طلبها؛ فكان العالم على أحوال مختلفة، وصور متنوّعة الوجوه. فتطلب، بذلك الانبثاث، من الله الرحمةَ، التي تُذْهِب منه تلك الصورة التي تؤدّيه إلى الشقاء؛ فهذا سبب انبثاثهم في ذلك اليوم. وكذلك الجبال الصلبة تكون ﴿كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾[4] لمّا خرجت عنه من القساوة إلى اللين الذي يعطي الرحمة بالعباد. ولا يدري ما قلناه إلّا أهل الشهود، والمتحقّقون بحقائق الوجود[5].

وأمّا من بقي مع ثُقْلِيّته؛ فإنّ الثَّقَلين ما سمّاهما الله بهذا الاسم إلّا ليميّزها به عمّن سِواهُما دائمًا حيث كانوا؛ فلا تزال أرواحهما تدبّر أجساما طبيعيّة وأجسادا: دنيا، وبرزخا، وآخرة. وكذلك منازلها التي يسكنونها (هي) من جنس نشأتها؛ فما لهما نعيم إلّا بالمُشاكل لطبعهما.

وأمّا القائلون بالتجريد فهم مصيبون؛ فإنّ النفس الناطقة مجرَّدة، في الحقيقة، عن هذه الأجسام والأجساد الطبيعيّة، وما لها فيها إلّا التدبير؛ غير أنّهم ما عرفوا أنّ هذا التدبير (هو) لهذه النفوس دائمًا أبدا. فهم مصيبون من هذا الوجه؛ إن قصدوه، مخطئون؛ إن قالوا بأنّها تنفصل عن التدبير. فالنفوس الناطقة[6]، عندنا، متّصلة بالتدبير، منفصلة بالذات، والحدّ، والحقيقة الشخصيّة. فلا (هي) متّصلة، ولا منفصلة، والتدبير لها ذاتيٌّ. كمثل الشمس؛ فإنّ لها التدبيرُ الذاتيُّ فيما تنبسط عليه أنوار ذاتها. غير أنّ الفرق بين الشمس، والقمر، والكواكب، وأكثر الأسباب التي جعل الله فيها مصالح العالم لذاتها (فإنّهم) لا علم لهم بذلك. والنفوس الناطقة، وإن كان تدبيرها ذاتيا، فهي عالمة بما تدبّره.

١ [الشعراء : ٢٢٧]
٢ [الزمر : ٤٧]
٣ [القارعة : ٤]
٤ [القارعة : ٥]
٥ ص ٢٩ب
٦ ق: - الناطقة

فالنفوس الفاضلة منها، التي لها الكشف، تطّلع على جزئيّات ما هي مدبّرة[1] لها بذاتها. وغير الفاضلة لا تعلم بجزئيّات ذلك، وقد تعلم ولا تعلم أنّها تعلم. وهكذا كلّ روح مدبّر. فمن له تدبير العالم هو أعلم بجزئيّات العالَم، وهو الله -تعالى- العالِم بالجزء المعيَّن والكلّ مع التدبير الذاتيّ الذي لا يمكن إلّا هو.

فالنفوسُ السعيدةُ مراكبها النفوسُ الحيوانيّة في ألذّ عيش وأرغده يوم القيامة؛ أعطاها ذلك الموطن. كما أنّها في أشدّ ألم وأضيق حبس؛ إذا شقيتْ وحُبستْ في المكان الضيّق، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا﴾ يعني من جهنّم ﴿مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾[2] هذه أحوال النفوس الحيوانيّة. والنفوس الناطقة ملتذّة بما تعلمه من اختلاف أحوال مراكبها، لأنّها في مزيد علم -بذلك- إلهيّ مناسِب.

ألا ترى ذوقا، هنا، في شخصين؛ لكلّ واحد منهما نفس ناطقة ونفس حيوانيّة؛ فيطرأ على كلّ واحد من الشخصين سبب مؤلِم؛ فيتألّم به الواحد ويتنعّم به الآخر؟ لكون الواحد، وإن كان ذا نفس ناطقة، فحيوانيّته غالبة عليه؛ فتبقى النفس الناطقة منه معطّلة الآلة الفكريّة النظريّة، والآخر لم تتعطّل نفسُه الناطقة عن نظرها، وفكرها، ومشاهدتها. ومن أين قام بنفسها الحيوانيّة ذلك الأمر المؤلِم؛ حتى يوصلها ذلك إلى السبب الأوّل؛ فتستغرق فيه؛ فتتبعها، في[3] ذلك، النفس الحيوانيّة؛ فيزول عنها الألم مع وجود السبب. وكلا الشخصين، كما قلنا، ذو نفس ناطقة وسببٍ مؤلِم. فارتفع الألم في حقّ أحد الشخصين، ولم يرتفع في حقّ الآخر.

فإنّ الحيوانَ بنور النفس الناطقة يستضيء، فإذا صَرَفتِ النفسُ الناطقة نظرَها إلى جانب الحقّ تبعها نورُها كما يتبعُ نورُ الشمسِ الشمسَ بغروبها وأفولها؛ فتلتذّ النفس الحيوانيّة بما يحصل لها من الشهود لمّا لم تره قبل. فلا ألم، ولا لذّة إلّا للنفوس الحيوانيّة: إن كان كما ذكرناه فلذّة علميّة، وإن كان عن ملاءمة طبع، ومزاج، ونيل غرض؛ فلذّة حِسّيّة. والنفس الناطقة علمٌ مجرَّد لا تحمل لذّة ولا ألمًا. ويطرأ على الإنسان، الذي لا علم له بالأمر على ما هو عليه في نفسه،

١ ص ٣٠
٢ [الفرقان : ١٣]
٣ ص ٣٠ب

تلبيس وغلط؛ فيتخيّل أنّ النفس الناطقة لها التذاذ بالعلوم، حتى قالوا، بذلك، في الجناب الإلهيّ، وأنّه بكماله مبتهج.

فانظر -يا أخي- ما أبعد هؤلاء من العلم بحقائق الأمور؟! وما أحسن قول الشارع: «مَن عَرَف نفسَه عَرَف ربَّه» فلم يَنسب إليه إلّا ما يَنسبه لنفسِه. فتعالى الله وجلّ عن أن يحكم عليه حالٌ أو محلٌّ، بل ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾[1]. عصمنا الله وإيّاكم من الآفات، وبلغ بنا أرفع[2] الدرجات وأبعدَ النهايات.

* * *

الوصلُ الخامس عشر من خزائن الجود
(ما تخزنه الأجسام الطبيعيّة من الأنوار التي بها يضيء كونُها)

وهو ما تخزنه الأجسام الطبيعيّة من الأنوار التي بها يضيء كونُها، وإن ظهرت في أعيننا مظلمة كما يخرج اللّبَن ﴿مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾[3] تخزنه ضروع مواشيهم وإبلهم لهم، يخرج من بطون النحل ﴿شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾[4] والله يقول: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[5] ولولا النورُ ما ظهر للمكنات عينٌ. وقولُ رسول الله ﷺ في دعائه: «اللهم اجعل في سمعي نورا، وفي بصري نورا، وفي شعري نورا» حتى قال: «واجعلني نورا» وهو كذلك. وإنما طلب مشاهدة ذلك حتى يظهر للأبصار؛ فإنّ النور المعنويّ خفيٌّ لا تدركه الأبصار. فأراد رسول الله ﷺ أن يدرك بالحسّ ما أدرك بالإيمان والعقل، وذلك لا يظهر إلّا لأرباب المجاهدات.

والنارُ في أحجارها مَخْبوءةٌ ... لا تُصطَلَى ما لَمْ تُثِرْها الأزْنُدُ[6]

فنحن نعلم أنّ ثَمّ نارا، ولا نرى لها تسخينا في الحجر، ولا إحراقا في[7] المَرْخ والعَفار[1].

١ [الروم : ٤]
٢ ص ٣١
٣ [النحل : ٦٦]
٤ [النحل : ٦٩]
٥ [النور : ٣٥]
٦ البيت للشاعر علي بن الجهم: (١٨٨ - ٢٤٩ هـ / ٨٠٣ - ٨٦٣ م) شاعر، رقيق الشعر، أديب، من أهل بغداد
٧ ص ٣١ب

وهكذا جميع الموجودات لمن نظر واستبصر، أو مَن شاهد فاعتبَر. فالحقّ مخبوء في الخلق؛ من كونه نورا. فإذا قدحتْ زناد الخلق بالفكر، ظهر نور الحق «من عرف نفسه عرف ربّه» فمن عرف القدْح وميّز الزناد؛ فالنار عنده؛ فهو على نور من ربّه: متى شاء أظهرها فهو الظاهر، ومتى شاء أخفاها فهو الباطن. فإذا بطن فـ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[2] وإذا ظهر فـ﴿هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ فالقادح ما جاء بنورٍ من عنده. فالحقّ معنا أينما كنّا؛ في عدم أو وجود. فبمعيّته ظهرنا؛ فنحن ذو نور ولا شعور لنا.

فَلِلّهِ ما للهِ مِنْ عَيْنِ كَوْنِنا ... ولِلْكَوْنِ ما لِلْكَوْنِ مِنْ نُورِ ذاتِهِ
فَنَحْنُ كَثِيرٌ والمُهَيْمِنُ واحِدٌ ... تَوَحَّدَ فِي أَسْمائِهِ وصِفَاتِهِ

وإنما قلنا: "نحن كثير وهو واحد" لأنّ الأزنُد كثير، والنار من كلّ زناد منها واحد العين، فسواء كان الزناد حجرا أو شجرا. ولهذا اختلفت المقالات في الله، والمطلوب واحد. فكلّ ما ظهر لكلّ طالب:

فَلَيْسَ إلّا الله، لا غَيْرُهُ ... فَالْكُلُّ مِنْهُ بَدَا وَإِلَيْهِ يَعُودُ[3]

وإنما سمّي طالبُ النار في الزناد: قادحا؛ لأنّ طلب الحقّ من الخلق ليعرفوا ذاته[4]؛ قَدْحٌ في العلم الصحيح بذاته؛ فإنّه لا يُعلَم منه إلّا المرتبة؛ وهي كونه إلها واحدا خاصّة. فإن رام العلمَ بذاته؛ وهي المشاهدة؛ ولا تكون المشاهدة إلّا عن تجلّيه، ولا يكون ذلك إلّا بالقدْح فيه؛ فإنّك لا تراه إلّا مقيّدا؛ قيّده عقلك بنظره؛ وتجلّى لك في صورة تقييدك؛ وهذا قدح فيما هو عليه في نفس الأمر.

ولولا ما أنت في نفسك: ذو نور عقليّ؛ ما عرفته، وذو نور بصريّ؛ ما شهدته. فما شهدته إلّا بالنور؛ وما ثَمّ نور إلّا هو؛ فما شهدته ولا عرفته إلّا به. فهو ﴿نُورُ السَّمَاوَاتِ﴾ من حيث العقول ﴿وَالْأَرْضِ﴾[5] من حيث الأبصار. وما جعل الله ﷻ صفة نوره إلّا بالنور الذي هو

١ المرخ: الزند وهو الأسفل، والعفار: الزند وهو الأعلى. وفي المثل: في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار
٢ [الشورى : ١١]
٣ ذكر في الهامش بقلم الأصل: "بيت غير مقصود"
٤ ص ٣٢
٥ [النور : ٣٥]

المصباح؛ وهو نور أرضيٌّ، لا سماويٌّ. فشبّه نوره بالمصباح، ورؤيتنا إيّاه كرؤيتنا الشمسَ والقمرَ. أي: وإن كان كالمصباح؛ فإنّه يعلو في الرؤية والإدراك عن رؤية المصباح. فهو بنفسه أرضيٌّ؛ لأنّه لولا نزوله إلينا ما عرفناه، وهو بالرؤية سماويٌّ. فانظر؛ ما أحكم علم الشارع بالله؛ أين هو من نظر العقل؟ ولهذا قال: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ لأنّه نور، والنور لا يدرَك إلّا بالنور؛ فلا يدرَك إلّا به. ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ لأنّه نور، ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ لأنّه يلطف ويخفى في عين ظهوره؛ فلا يُعرف ولا يُشهَدُ كما[1] يعرف نفسَه ويشهدها ﴿الْخَبِيرُ﴾[2] علم ذوق، وما قال: لا تدركه الأنوار.

فَلَوْلا النُّورُ لَمْ تَشْهَدْهُ عَيْنٌ ... ولَوْلا العَقْلُ لَمْ يَعْرِفْهُ كَوْنُ

فبالنور الكونيّ والإلهيّ كان ظهور الموجودات التي لم تزل ظاهرة له في حال عدمها، كما هي لنا في حال وجودها. فنحن ندركها عقلا في حال عدمها، وندركها عينا في حال وجودها، والحق يدركها عينا في الحالين. فلولا أنّ الممكن -في حال عدمه- على نور في نفسه؛ ما قبِل الوجود، ولا تميّز عن المحال. فبنور إمكانه شاهده الحقّ، وبنور وجوده شاهده الخلق؛ فبين الحقّ والخلق ما بين الشهودين.

فالحقُّ نور في نور، والخلق نور في ظلمة في حال عدمه، وأمّا في حال وجوده فهو نور على نور؛ لأنّه عين الدليل على ربّه. وما يحتمل هذا الوصل أكثر من هذا؛ فإنّ فيه مكرا خفيّا؛ لعدم المِثل للحقّ، ولا يتمكن أن يُشهد ويُعلم إلّا بضرب مَثَل. ولهذا جعل لنا ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ في السماوات والأرض ﴿كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ[3] زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ ثمّ قال: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ﴾ من هذين النورين؛ فيعلم المشبّه والمشبّه به ﴿مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾[4] فجعله ضرب مَثَل للتوصيل.

١ ص ٣٢ب
٢ [الأنعام : ١٠٣]
٣ ص ٣٣
٤ [النور : ٣٥]

ويجوز في ضرب الأمثال المحالُ الذي لا يمكن وقوعُه. فكما لا يكون المحالُ الوجودِ وجودا بالفرض؛ كذلك لا يكون الخلق حقّا بضرب المَثَل. فما هو موجود بالفرض؛ قد لا يصحّ أن يكون موجود العين. ولو كان عين المشبَّه ضرب المَثل؛ لما كان ضرب مَثَل إلّا بوجه. فلا يصحّ أن يكون، هنا -ما وقع به التشبيه وضرب المثل- موجودا إلّا بالفرض. فعلِمنا بضرب هذا المثل أنّنا على غاية البعد منه -تعالى- في غاية القرب أيضا تعالى؛ ولهذا قبِلنا ضرب المثل. فجمعْنا بين البُعد والقُرب، وتَسمّى لنا: بالقريب البعيد. فكما هو ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[1] هو أقرب من حبل الوريد ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. فهو القريب بالمَثَل، البعيد بالصورة؛ لأنّ فرض الشيء لا يكون كهو، ولا عين الشيء.

وفي هذا الوصل إفاضةُ الحاجّ من عرفة إلى جَمْعٍ، ومِن جمع إلى مِنى. فإنّ "إفاضة عرفات" ليلا، و"إفاضة جمع" نهار الصائم، وإن شئت قلت: نهارا، من غير إضافة، والحجّ[2] يجمع ذلك كلّه؛ فقبِل تفصيل اليوم الزماني الذي هو الليل والنهار. كما أنّ فيه ما يشوّش العقول عن نفوذ نورها إلى رؤية المطلوب. وهو حجابٌ لطيف لِقربه من المطلوب؛ فإنّ الشوق أبرح ما يكون؛ إذا أبصر المحبُّ دارَ محبوبه. قال الشاعر:

وأَبْرَحُ ما يَكُونُ الشَّوْقُ يَوْمًا إذا دَنَتِ الدِّيارُ مِنَ الدِّيارِ

فمن أعجب الأمور أنّ بالإنسان استتر الحقُّ فلم يُشْهَد، وبالإنسان ظهر حتى عُرِف؛ فجمع الإنسانُ بين الحجاب والظهور؛ فهو المُظهِر الساتر، وهو السيف الكهّام الباتِر. يشهد الحقّ منه ذلك؛ لأنّه على ذلك خلقه، ويشهد الإنسان من نفسه ذلك؛ لأنّه لا يغيب عن نفسه، وأنّه مريد للاتّصال بما قد علم أنّه لا يتّصل به. فهو كالحقّ في أَمْرِهِ مَن أراد منه أن يأمره بما لا يقع منه؛ فهو مريد لا مريد. فلولا ما هو الحقّ صَدَفة أعياننا، ما كنّا صَدَفةَ عينِ العلم به، وفي الصَّدَف يتكوّن اللؤلؤ. فما تكوّنّا إلّا في الوجود؛ وليس الوجود إلّا هو؛ ولكنّه ستر علينا سِتر حفظ، ثمّ أظهرنا، ثمّ تعرّفَ إلينا[3] بنا، وأحالنا في المعرفة به علينا. فإذا علِمنا بنا؛ ستر على عِلمنا به. فلم

[1] [الشورى : ١١]
[2] ص ٣٣ب
[3] ص ٣٤

يخرج الأمر عن صدفٍ ساترٍ لؤلؤًا؛ ولكن تارة وتارة.

فَذَلِكَ القَبْرُ ونَحْنُ الصَّدَى وَما لَنا كَوْنٌ بِغَيْرِ النِّدَا
فَمَنْ يُنادِيْهِ بِـ"كُنْ" كانَهُ ولَيْسَ ذاكَ الكَوْنُ مِنْهُ ابْتِدَا
لأنَّهُ يَحْدُثُ عَنْ قَوْلِهِ وَقَوْلُهُ: "كُنْ" لا يَكُونُ سُدَى
فَمِنْهُ كُنَّا وَبِهِ قَدْ بَدَا هَذَا الّذِي فِي عَيْنِهِ قَدْ بَدَا
فَهُوَ النَّدَى لَيْلًا إذا كُنْتُهُ كَمَا أَنَا مِنْهُ نَهارًا سَدَى[1]
وإنْ تَشَأْ عَكْسَ الذِي قُلْتُهُ فإِنَّهُ اللَّيْلُ ونَحْنُ النَّدَى

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[2].

* * *

الوصل السادس عشر من[3] خزائن الجود
(ما خلق الله شيئا من الكون إلّا حيّا ناطقا)

اعلم أنّ الله -تعالى- ما خلق شيئا من الكون إلّا حيّا ناطقا، جمادا كان أو نباتا، أو حيوانا. مصداق ذلك قوله -تعالى-: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا﴾ فلم يعجّل عليكم بالعقوبة ﴿غَفُورًا﴾[4] ساترا تسبيحهم عن سمعِكم. فكلّ شيء في عالم الطبيعة جسمٌ متغذٍّ حسّاسٌ، فهو حيوان ناطق بين جليٍّ وخفيّ، في كلّ فصل فصل من فصول هذا الحدّ. فكلّ ما نقص منه في حقٍّ محدود؛ فذلك النقص هو ما خفي منه في حقّ بعض الناس، وما ظهر منه؛ فهو الجليّ. ولذلك اختلفت الحدود في الجماد والنبات والحيوان والإنسان، والكلُّ عند أهل الكشف حيوان ناطق مسبّح بحمد الله.

ولمّا كان الأمر هكذا جاز، بل وقع وصَحّ، أن يخاطِب الحقُّ جميعَ الموجودات، ويوحي إليها من سماء، وأرض، وجبال، وشجر، وغير ذلك من الموجودات، ووصفها بالطاعة لما أمرها به،

[1] السّدى: ندى الليل، خلاف اللُّحمة.
[2] [الأحزاب : ٤]
[3] ص ٣٤ب
[4] [الإسراء : ٤٤]

وبالإباية لقبول عَرْضه. وأسجد له كلَّ شيء؛ لأنّه تجلّى لكلِّ شيء، وأوحى إلى كلِّ شيء بما خاطب ذلك الشيء به. فقال للسماء والأرض: ﴿ائْتِيَا﴾ فقالتا ﴿أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾[1] فـ﴿أَوْحَى[2] فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾[3] والأرض كذلك ﴿أَوْحَى لَهَا﴾[4] ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾[5] و﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾[6] يعني محمدا، بالخطاب ﷺ ﴿رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾[7] فعمّ وحيُه الجميع. ولكن بقي مَن يطيع ومن لا يطيع، وكيف فضل السميعُ السميعَ؛ فمن أعجب الأشياء: وصف السامع بالصمم، والبصير بالعمى، والمتكلّم بالبكم؛ فما عقل، وما رجع؛ وإن فهم.

فالجَحْدُ مِنْ صِفَةِ النُّفُوسِ إذا أَبَتْ ... كالنَّارِ تَحْرِقُ بالقبولِ وإنْ خَبَتْ

لَـوْلا وُجُـودُ الاختيـارِ وَجَبْرِهـا ... فِيهِ لَمَا أَبَتِ النُّفُوسُ إذا أَبَتْ

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[8] وكذلك يقولون لجلودهم إذا شَهِدَتْ عليهم: ﴿لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾ فتقول الجلود: ﴿أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[9] فعمّتْ. فكانت الجلود أعلمَ بالأمر ممن جعل النطق فصلا مقوّما للإنسان خاصّة، وعرّى غير الإنسان عن مجموع حدّه في الحيوانيّة والنطق. فمن فاته الشهود؛ فقد فاته العلم الكثير. فلا تحكم على ما لم تر، وقل: الله أعلم بما خلق. وأرضُ[10] الإنسان جسدُه، وقد شهد عليه بما عمل؛ أتُراه يشهد بما لم يعلم؟ أتُراه علِم من غير وحي إلهيّ جاءه من عند الله ﷻ، كما نشهد نحن على الأمم بما أوحى الله -تعالى- به إلينا من قصص أنبيائه مع أممهم؟.

فَيَشْهَدُ الشَّخْصُ بِمَا لَمْ يَرَى ... إذا أَتَاهُ الخَـبَرُ الصـادِقُ

فالكُلُّ قَدْ أَوْحَى إِلَيْهِ الَّذِي ... أَوْحَى بِـهِ فَكُلُّـهُ ناطِـقُ

١ [فصلت : ١١]
٢ ص ٣٥
٣ [فصلت : ١٢]
٤ [الزلزلة : ٥]
٥ [النحل : ٦٨]
٦ [النساء : ١٦٣]
٧ [الشورى : ٥٢]
٨ [النور : ٢٤]
٩ [فصلت : ٢١]
١٠ ص ٣٥ب

فـانْظُرْ فَمَـا فِي كَوْنِـهِ غَـيْرُهُ ... فَهْوَ وُجُودُ الخَلْقِ والخَالِقُ

فإذا انحصر الأمر بين خبرٍ صادقٍ وشهود، علمنا أنّ العالَم كلّه مكشوفٌ له.

ما ثَمّ سِتْرٌ وَلا حِجَابُ ... بَلْ كُلُّهُ ظَاهِرٌ مُبِينُ

فَيَعْلَمَ الحَقَّ دُونَ شَـكٍّ ... وَسِرُّهُ فِي الحَشا دَفِينُ

فيوحي بالتكوين؛ فيكون، ويُشهده ما شاء؛ فيرى. فشهادته بالخبر[1] الصادق؛ كشهادته بالعيان الذي لا ريب فيه، مثل شهادة خزيمة. فأقامه رسول الله ﷺ، في شهادته؛ مقام رجلين؛ فحكم بشهادته وحده. فكان الشهادة بالوحي؛ أتمّ من الشهادة بالعين. لأنّ خزيمة لو شهد شهادة عين؛ لم تقم شهادته مقام اثنين. وبه حفظ الله علينا ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾[2] إلى آخر السورة. إذ كان الجامعُ القرآنَ لم يقبل آية منه إلّا بشهادة رجلين فصاعدا؛ إلّا هذه الآية: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ فإنّها ثبتت بشهادة خزيمة وحده ﷺ.

وصلٌ وتنبيهٌ: (التحدّث بالأمور الذوقيّة يصحّ، لكن لا على جهة الإفهام)

وأمّا التحدّث بالأمور الذوقيّة فيصحّ، لكن لا على جهة الإفهام، ولكن كلّ مذوق له مثال مضروب، فتفهم منه ما يناسب ذلك المثال خاصة. فإذَنْ ما ينبئ عن حقيقة إلّا في الذوق المشترك، الذي يمكن الاصطلاح عليه. كالتحدّث بالأمور المحسوسة مع كلّ ذي حسّ، أدرك ذلك المخبَر عنه بحِسّه، وعرف اللفظ الذي يدلّ عليه بالتواطي بين المخاطبين. فنحن لا نشكّ إذا تلي علينا القرآن[3]؛ أنّا قد سمعنا كلام الله. وموسى عليه السلام لمّا كلّمه الله، قد سمع كلام الله؛ وأين موسى منّا في هذا السماع؟ فعلى مثل هذا تقع الأخبار الذوقيّة. فإنّ الذي يدركه مَن يسمع كلام الله في نفسه من الله برفع الوسائط، ما يمكن أن يساوي، في الإدراك، مَن يسمعه بالترجمة عنه.

فإنّ الواحد صاحب الواسطة هو مخيّر في الإخبار بذلك عن الواسطة إن شاء، وعن صاحب الكلام إن شاء، وهكذا جاء في القرآن. قال -تعالى- في إضافة الكلام إليه: ﴿فَأَجِرْهُ

١ ص ٣٦
٢ [التوبة : ١٢٨]
٣ ص ٣٦ب

حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾[1] فأضاف الكلام إلى الله، وقال في إضافة ذلك الكلام إلى الواسطة والمترجِم، فقال مُقسِما: ﴿إِنَّهُ﴾ يعني القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ. ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾[2] وقال: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ. وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾[3] فإن فهمتَ عن الإله ما ضمّنه هذا الخطاب، وقفتَ على علم جليل. وكذلك: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾[4] فأضاف الحدوث إلى كلامه.

فمن فرّق بين الكلام والمتكلَّم به -اسم مفعول- فقد عرف بعض معرفةٍ. وما أسمع الرحمن كلامه بارتفاع الوسائط؛ إلّا ليتمكن الاشتياق في السامع إلى رؤية المتكلِّم؛ لما[5] سمعه من حسن الكلام. فتكون رؤية المتكلّم أشدُّ، ولا سيما ورسول الله ﷺ يقول: «إنّ الله جميل يحبّ الجمال» والجمال محبوب لذاته، وقد وصف الحقُّ نفسه به؛ فشوّق النفوسَ إلى رؤيته.

وأمّا العقول؛ فبين واقف في ذلك موقفَ حيرة؛ فلم يحكم، أو قاطع بأنّ الرؤية محالٌ؛ لما في الأبصار من التقييد العاديّ؛ فتخيّلوا أنّ ذلك التقييدَ في رؤية الأبصار أمر طبيعيٌّ ذاتيٌّ لها؛ وذلك لعدم الذوق. وربما يتقوّى عند المؤمنين منهم إحالة ذلك بقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾[6] وللأبصار إدراك، وللبصائر إدراك؛ وكلاهما محدَث. فإن صحّ أن يدرَك بالعقل وهو محدَث، صحّ أو جاز أن يدرَك بالبصر؛ لأنّه لا فضل لمحدَث على محدَث في الحدوث. وإن اختلفت الاستعدادات؛ فجائز على كلّ قابل للاستعدادات، أن يقبل استعداد الذي قيل فيه: إنّه أدرك الحقّ بنظره الفكريّ. فإمّا أن ينفوا ذلك نفيًا جملة واحدة، وإمّا أن يجوّزوه جملة واحدة، وإمّا أن يقفوا في الحكم؛ فلا يحكمون فيه بإحالةٍ ولا جوازٍ حتى يأتيهم تعريفُ الحقّ نصًا، لا يشكّون فيه، ويشهدونه من نفوسهم.

وأمّا الذي يزعم أنّه يدركه عقلا ولا يدركه بصرا[7]؛ فمتلاعِب، لا علم له بالعقل، ولا بالبصر،

١ [التوبة: ٦]
٢ [التكوير: ١٩، ٢٠]
٣ [الحاقة: ٤٠، ٤١]
٤ [الأنبياء: ٢]
٥ ص ٣٧
٦ [الأنعام: ١٠٣]
٧ ص ٣٧ب

ولا بالحقائق على ما هي عليه في أنفسها، كالمعتزليّ؛ فإنّ هذه رتبته. ومَن لا يفرّق بين الأمور العاديّة والطبيعيّة، فلا ينبغي أن يُتكلّم معه في شيء من العلوم، ولا سيما علوم الأذواق. وما شوّق الله عبادَه إلى رؤيته بكلامه سُدَى. ولولا أنّ موسى عليه السلام فهِمَ من الأمر -إذ كلّمه بارتفاع الوسائط- ما أجراه على طلب الرؤية؛ ما فعل. فإنّ سماعَ كلام الله -تعالى- بارتفاع الوسائط عينُ الفهم عنه، فلا يفتقر إلى تأويل وفكر في ذلك، وإنما (الذي) يفتقر (هو) مَن كلّمه الله بالوسائط؛ من رسول أو كتاب. فلمّا كان عينُ السمع في هذا المقام عينُ الفهم سأل (موسى عليه السلام) الرؤية؛ ليعلم التابعُ ومَن ليست له هذه المنزلة عند الله؛ أنّ رؤية الله ليست بمحال.

وقد شهد الله لموسى أنّه اصطفاه على الناس برسالته وبكلامه، ثمّ قال له: ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾[1] وهو -تعالى- يقول: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[2] ولا شكّ أنّ موسى قد شكر الله على نعمة الاصطفاء ونعمة الكلام؛ شكرا واجبا مأمورا به، فيزيده الله، لشكره، نعمة رؤيته إيّاه. فهل رآه في وقت سؤاله، بالشرط الذي أقامه له، كما ورد في نصّ القرآن، أو لم يره؟ والآية محتملة المأخذ[3]؛ فإنّه ما نفى زمان الحال عن تعلّق الرؤية، وإنما نفى الاستقبال بأداة "سوف". ولا شكّ أنّ الله تجلّى للجبل وهو محدَث، وتدكدك الجبل لتجلّيه؛ فحصل لنا، من هذا، رؤيةُ الجبل ربّه التي[4] أوجبت له التدكدك. فقد رآه محدَث؛ فما المانع إن رآه موسى عليه السلام في حال التدكدك، ووقع النفي على الاستقبال؟ ما لذلك مانعٌ لمن عقل، ولا سيما وقد قام الصعق لموسى عليه السلام مقام التدكدك للجبل.

ثمّ لتعلم أنّه مَن أدرَك الحقّ علما؛ لم تَفُتْهُ من العلم الإلهيّ مسألة. ومَن رأى الحقّ ببصره؛ رأى كلّ نوع من العالم، لا يفوته من أنواعه شيء إذا رآه في غير مادّة. وإذا علمه بصفة إثبات نفسيّة: فإن علِمه بصفة تنزيه؛ لم يكن له هذا المقام، وإن رآه في مادّة؛ لم يكن له هذا المقام.

وأمّا مَن ذهب إلى أنّ رؤية الحقّ إنما هي عبارة عن مزيد وضوح في العلم النظريّ بالله، لا

١ [الأعراف: ١٤٤]
٢ [إبراهيم: ٧]
٣ ص ٣٨
٤ ق: الذي

غير؛ فهذه قولةُ مَن لا علم له بالله من طريق الكشف والتجلّي، إلّا أن يكون قال ذلك لمعنى؛ إن[1] كان حاضرا مَن لا ينبغي أن يسمع مثل هذا. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[2].

* * *

الوصل السابع عشر من خزائن الجود
(فناءَ مَن لم يكن، وبقاءَ مَن لم يزل)

قال[3] بعض السادة في هذه الخزانة: "إنّها تتضمّن فناءَ مَن لم يكن، وبقاءَ مَن لم يزل". وهذه مسألةٌ تخبّط فيها مَن لم يستحكم كشفه، ولا تحقّق شهودُه. فإنّ من الناس من تلوح له بارقة من مطلوبه؛ فيكتفي بها عن استيفاء الحال واستقصائه؛ فيحكم على المقام بما شاهد منه، ظنّا منه أو قطعا، أنّه قد استوفاه. وقد رأيتُ ممن هذه صفته رجالا.

وقد طرأ مثلُ هذا لسهل بن عبد الله التستري المبرّز في هذا الشأن في علم البرزخ، فمرّ عليه لمحة؛ فأحاط علما بما هم الناسُ عليه في البرزخ، ولم يتوقّف حتى يرى؛ هل يقع فيما رآه تبديل في أحوال مختلفة على أهله، أو يستمرّون على حالة واحدة؟ فحكم ببقائهم على حالة واحدة كما رآهم. فرؤيته صحيحة صادقة، وحكمه بالدوام فيما رآهم عليه إلى يوم البعث ليس بصحيح.

وأمّا الذين رأيت أنا من أهل هذه الصفة، لمّا رأيتهم سريعي[4] الرجعة، غير ثابتين عندما يؤخذ عن نفسه؛ سألت واحدا منهم: ما الذي يَرُدّك بهذه السرعة؟ فقال لي: أخاف أن تنعدم عيني لما نراه. فخاف على نفسه. ومَن تكون هذه حالته فلا تثبت له قدم في تحقيق أمر، ولا يكون من الراسخين فيه. فلو اقتصروا على[5] ما عاينوه، ولم يحكموا؛ لكان أَوْلَى بهم. فيتخيّل الأجنبيُّ -إذا سمع مثل هذا من صادق، وسمع عدم الثبوت في البرزخ على حالة واحدة- أنّ بين القوم خلافًا في مثل هذا. وليس بخلاف؛ فإنّ الراسخ يقول بما شاهده، وهو مَبْلَغُه من العلم وغير الراسخ يقول، أيضا، بما شاهده، ويزيد في الحكم بالثبوت الذي ذهب إليه. ولو أقام قليلا؛

---

١ مضافة بين السطرين بقلم آخر
٢ [الأحزاب : ٤]
٣ ص ٣٨ب
٤ ق: سريعون
٥ ص ٣٩

لرأى التغيير والتبديل في البرزخ كما هو في الدنيا؛ فإنّ الله في كلّ يوم -وهو الزمن الفرد- في شأن. يقول -تعالى-: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[1] والخلق جديد حيث كان: دنيا، وآخرة، وبرزخا. فمن المحال بقاء حال على عينٍ نفَسين أو زمانين للاتّساع الإلهيّ؛ لبقاء الافتقار على العالم إلى الله. فالتغيُّر له واجب في كلّ نفَس، والله خالقٌ فيه في كلِّ نفَس. فالأحوال متجدّدة مع الأنفاس على الأعيان، أو حكم الأعيان يعطي في العين الواحدة، بحسب حقائقها، أن لو صَحَّ وجودها لكانت بهذه الأحوال.

فمن أصحابنا مَن يرى أنّ عين الوجود هو الذي يحفظ[2] عليه أحوال أعيان الممكنات الثابتة، وأنّها لا وجود لها ألَبتّة، بل لها الثبوت والحكم في العين الظاهرة[3] التي هي الوجود الحقيقي. ومن أصحابنا مَن يرى أنّ الأعيان اتّصفت بالوجود واستفادته من الحقّ -تعالى- وأنّها واحدة بالجوهر وإن تكثّرت، وأنّ الأحوال يكسوها الحقُّ بها مع الأنفاس؛ إذ لا بقاء لها إلّا بها؛ فالحقُّ يجدّدها على[4] الأعيان في كلّ زمان.

فعلى الأوّل يكون قوله: "حتى يفنى مَن لم يكن" فلا يبقى له أثرٌ في عين الوجود؛ فيكون مسلوب النعوت، وذلك حال التنزيه، "ويبقى مَن لم يزل" على ما هي عليه عينُه؛ وهو الغنيّ عن العالمين. فإنّ العالم ليس سِوَى الممكنات، وهو -تعالى- غنيّ عنها أن تدلّ عليه؛ فإنّه ما ثَمّ من يطلب -على ما قلناه- الدلالة عليه. فإنّ الممكنات، في أعيانها الثابتة، مشهودةٌ للحقّ، والحقّ مشهود للأعيان الممكنات: بعينها، وبصرها الثابت، لا الموجود. فهو يشهدها ثبوتا، وهي تشهده وجودا.

وعلى القول الآخر؛ الذي يرى وجود أعيان الممكنات، وآثار الأسماء الإلهيّة فيها، وإمداد الحقّ لها بتلك الآثار؛ لبقائها؛ فتفنى تلك الآثار والأعيان القابلة لها، عن صاحب هذا الشهود حالا، والأمر في نفسه موجود على ما هو عليه، لم يَفْنَ في نفسه كما فني في حقّ هذا القائل به.

---

١ [الرحمن : ٢٩]
٢ كتب في الهامش بقلم آخر: "تختلف" مع إشارة التصويب، ويتفق في ذلك مع س
٣ ص ٣٩ب
٤ ق: "مع" وعليها إشارة شطب، وصححت في الهامش بقلم الأصل

فلا يبقى له مشهود إلّا الله -تعالى-، وتندرج الموجودات في وجود الحقّ. وتغيب (هذه الموجودات) عن نظر صاحب هذا[1] المقام، كما غابت أعيانُ الكواكب عند الناظر بطلوع النيّر الأعظم، الذي هو الشمس. فيقول بفناء أعيانها من الوجود، وما فَنِيَتْ في نفس الأمر؛ بل هي على حالها في أماكنها من فلكها، على حكمها وسَيْرِها. وكلا القولين قد عُلِم من الطائفة.

ومن أصحاب هذا المقام، مَن يجعل أمر الخلق مع الحقّ، كالقمر مع الشمس في النور الذي يظهر في القمر، وليس في القمر نور من حيث ذاته، ولا الشمس فيه ولا نورها، ولكنّ البصر -كذلك يدركه؛ فالنور الذي في القمر ليس غير الشمس. كذلك الوجودُ الذي للممكنات ليس غير وجود الحقّ، كالصورة في المرآة. فما هو الشمس في القمر، وما ذلك النورُ المنبسط ليلا من القمر على الأرض بمغيبِ عينِ الشمس غير نور الشمس، وهو يضاف إلى القمر. كما قيل في كلام الله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾[2] وقيل في قول الرسول ﷺ إنّه كلام الله -تعالى- إذا تلاه، وقول كلّ تالي القرآن. ولكلّ مقالة وجهٌ من الصحة، والكشف يكون في كلّ ما ذكرناه.

فأهلُ الله اختلافُهم اتّفاق، لأنّهم يرمون عن قوس واحد. فالأمر متردّد بين فناء عينٍ وفناء حال، ولا جامع في العالم بين الضدّين إلّا أهلُ الله خاصة. لأنّ الذي تحقّقوا به[3] هو الجامع بين الضدّين، وبه عرفه العارفون. فـ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾[4] من عينٍ واحدة ونسبة واحدة، لا من نسبتين مختلفتين. ففارقوا المعقول ولم تقيّدهم العقول؛ بل هم الإلهيّون المحقّقون: حقّقهم الحقّ بما أشهدهم؛ فهُمْ وما هُمْ، ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾[5] فأثبت ونفى، وحسبنا الله وكفى. فكان الشيخ أبو العباس بن العرّيف الصنهاجي، الإمام في هذا الشأن، يقول: "وإنما يتبيّن الحقّ عند اضمحلال الرسم" وكان الشيخ أبو مدين يقول: "لا بدّ من بقاء رسم العبوديّة ليقع التلذّذ بمشاهدة الربوبيّة" وكان القاسم بن القاسم، من شيوخ رسالة القشيري، يقول: "مشاهدة الحقّ فناء ليس فيها لذّة" وكلّ قائل صدق.

---

١ ص ٤٠
٢ [الحاقه : ٤٠]
٣ ص ٤٠ب
٤ [الحديد : ٣]
٥ [الأنفال : ١٧]

فإنّه قد قدّمنا قبل هذا، في هذا الكتاب، أنّ شخصين لا يجتمعان أبدا في تجلٍّ واحد، وأنّ الحقّ لا يكرّر على شخص التجلّي في صورة واحدة. وقدّمنا أنّ تجلّياته تختلف لأنّها تعمّ الصور المعنويّة، والروحانيّة، والملَكيّة، والطبيعيّة، والعنصريّة. ففي أيّ صورة شاء ظهر، كما أنّه: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾[1] وفي الطريق: "في أيّ صورة ما شاء أقامك". فالمراكب مختلفة، والراكب واحد.

فمن تجلّى له في الصور المعنويّة؛ قال بفناء الرسم، ومن تجلّى له في الصور الطبيعيّة أو العنصريّة؛ قال باللذّة في المشاهدة، ومن قال بعَدم اللذّة في[2] المشاهدة؛ كان التجلّي له في الصور الروحانيّة. فكلٌّ صَدَق، وبما شاهد نطق. وأيّ الشهود أعلى؟ وكَّلناك، في ذلك، لذوقك حتى تعلم، من ذلك، ما علِمناه.

ومن هذا الوصل تعلم المفارق وغير المفارق، ومَن يفرق ومن لا يفرق؟ وتعلم منه من هو على بيّنة من ربّه؟ وما هي البيّنة؟ وتعلم أنواع الطهارات لكلّ موصوف بالطهارة، وتعلم الميل المحمود والميل المذموم، وتعلم ما يقع به الاشتراك في الدّين، وما نُسخ منه فلم يجتمع فيه رسولان. وتعلم مَن خُلِق من المخلوقات من شيءٍ موجود، ومَن خُلِق لا من شيء موجود، ومراتب العالَم في ذلك؟ وتعلم أنّ كلّ ما طلب الحقّ من عباده أن يعاملوه به عامَلَهم به؛ فعمّ أحكامَ الشرائع كلّها، حَكم بذلك على نفسه كما حَكم على خلقه، وأنّ مكارم الأخلاق في الأكوان هي الأخلاق الإلهيّة.

* * *

الوصل الثامن عشر من خزائن الجود
(فضل الطبيعة على غيرها)

يتضمّن فضل الطبيعة على غيرها، وذلك لِشبهها بالأسماء الإلهيّة؛ فإنّ العجب ليس من موجود يؤثّر، وإنما العجب من معدوم يؤثّر، والنِّسب كلّها أمور عدميّة، ولها الأثر والحكم.

---

١ [الإنفطا. ٨]
٢ ص ٤١

فكلّ[1] معدوم العين، ظاهر الحكم والأثر؛ فهو على الحقيقة المعبَّر عنه بالغيب. فإنّه مَن غاب في عينه فهو الغيب، والطبيعة غائبة العين عن الوجود، فليس لها عين فيه، و(غائبة العين) عن الثبوت، وليس لها عين فيه؛ فهي عالَمُ الغيبِ المحقَّق. وهي معلومة، كما أنّ المحال معلوم. غير أنّ الطبيعة -وإن كانت مثل المُحال في رفع الثبوت عنها والوجود- فلها أثر، ويظهر عنها صورٌ. والمُحال ليس كذلك.

ومفاتح هذا الغيب هي الأسماء الإلهيّة التي لا يعلمها إلّا الله العالِم بكلّ شيء. والأسماء الإلهيّة نِسب غيبيّة؛ إذ الغيب لا يكون مفتاحه إلّا غيبا[2]. وهذه الأسماء تُعقل منها حقائق مختلفة، معلومة الاختلاف كثيرة، ولا تضاف إلّا إلى الحقّ، فإنّه مسمّاها، ولا يتكثّر بها. فلو كانت أمورا وجوديّة قائمة به؛ لتكثَّر بها. فعلمها -سبحانه- من حيث كونه عالما بكلّ معلوم، وعلمناها نحن باختلاف الآثار منها فينا؛ فسمّيناه: كذا؛ من أثرٍ مّا وُجِد فينا. فتكثَّرت الآثار فينا؛ فكثُرت الأسماء، والحقّ مسمّاها؛ فنُسبت إليه، ولم يتكثّر في نفسه بها؛ فعلمنا أنّها غائبة العين. ولمّا فتح الله بها عالَم الأجسام الطبيعيّة باجتماعها بعد ما كانت مفترقة في الغيب، معلومة الافتراق في العلم؛ إذ لو كانت مجتمعة لذاتها، لكان وجود عالم الأجسام أزلا لنفسه، لا[3] لله. وما ثَمّ موجود ليس هو الله، إلّا عن الله. وما ثَمّ واجب الوجود لذاته إلّا الله، وما سِوَاهُ فموجود به، لا لذاته. فالسرّ (هو) معقول النِّسب، والأخفى منها (هو) أعيانُها. فبالمشيئة ظهر أثر الطبيعة، وهي غيب؛ فالمشيئة مفتاح ذلك الغيب. والمشيئة نِسبة إلهيّة لا عين لها، فالمفتاح غيب. وإن لم تثبت هذه النِّسب في العلم، وإن كانت غيبا وعدما؛ فلم يكن يصحّ الوجود لموجود أصلا، ولا كان خلقٌ ولا حقّ؛ فلا بدّ منها. فالغيب هو النور الساطع العام الذي به ظهر الوجود كلّه، وما له في عينه ظهور. فهو الخزانة العامّة التي خازنُها منها.

وإن أردت أن يَقْرُب عليك تصوُّر ما قلته، فانظر في الحدود الذاتيّة للمحدود، التي لا يُعقل المحدود إلّا بها، وينعدم المعلوم بعدمها، ويكون معلوما بوجودها اتّساعا وإن لم توصف بالوجود.

١ ص ٤١ب
٢ ق: غيب
٣ ص ٤٢

وذلك إذا أخذتَ في حدّ الجوهر مثلا، أعني الجوهر الفرد، فتقول فيه: "هو الشيء" فجئتَ بالجنس الأعمّ، والشيئيّة للأشياء ليست وجوديّة ولا بدّ، فدخل فيها كلّ ما هو محدود بشيء؛ مما يقوم بنفسه ومما لا يقوم بنفسه. فإذا أردتَ أن تبيّنه، ولا تبيّن المعلومات إلّا بذاتها[1]؛ وهو الحدّ الذاتيّ لها، فتقول: "الموجود" فجئتَ بما هو أخصّ منه؛ فدخل فيه كلُّ موجود، وانفصل عنه كلُّ مَن له شيئيّةٌ ولا وجودَ له. ثمّ[2] قلتَ: "القائم بنفسه" وهذه كلّها معانٍ معلومة، هي للمحدود المعلوم بها صفات، والصفة لا تقوم بنفسها، وباجتماع هذه المعاني؛ جاء منها أعيانٌ وجوديّة تدرَك حِسًّا وعقلا. فخرج منه كلُّ موجود لا يقوم بنفسه. ثمّ تقول: "المتحيِّز" فيشركه غيره، ويتميّز عنه بهذا غيرُ آخر. والتحيُّز حكم؛ وهو ما له قدرٌ في المساحة أو القابل للمكان. ثمّ تقول: "الفرد الذي لا تنقسم ذاته" فخرج عنه الجسم وكلّ ما ينقسم. ثمّ تقول: "القابل للأعراض" فخرج منه مَن لا يقبل الأعراض، ودخل معه في الحدّ مَن يقبل الأعراض.

وبمجموع هذه المعاني؛ كان المسمّى جوهرا فردا[3]. كما بالتأليف مع بقيّة الحدود ظهر الجسم. فلمّا ظهر من ائتلاف المعاني صورا قائمة بنفسها، وطالبةً مَحالّا تقوم بها كالأعراض والصفات؛ عَلِمنا، قطعا، أنّ كلّ ما سِوَى الحقّ عرَضٌ زائلٌ، وغرضٌ ماثلٌ، وأنّه -وإن اتّصف بالوجود، وهو بهذه المثابة في نفسه- في حكم المعدوم. فلا بدّ من حافظ يحفظ عليه الوجود، وليس إلّا الله -تعالى-.

ولو كان العالَم -أعني وجوده- لذات الحقّ، لا للنِّسب؛ لكان العالَم مساوِقًا للحقّ في الوجود، وليس كذلك. فالنِّسب حكم لله أزلا، وهي تطلب تأخّر وجود العالَم عن وجود الحقّ؛ فيصحّ حدوث العالَم، وليس ذلك إلّا بِنسبة المشيئةِ وسَبْق[4] العلم بوجوده. فكان وجود العالَم مرجَّحا على عدمه، والوجود المرجَّح لا يساوق الوجود الذاتي الذي لا يتّصف بالترجيح.

ولمّا كان ظهور العالَم في عينه (هو) مجموع هذه المعاني، فكان هذا المعقولُ المحدود؛ عرَضٌ،

١ "إلّا بذاتها" ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب
٢ ص ٤٢ب
٣ "جوهرا فردا" في ق: "جوهر فرد"
٤ ص ٤٣

له جميعُ هذه المعاني؛ فظهر. فما هو في نفسه غير مجموع هذه المعاني، والمعاني تتجدّد عليه، والله هو الحافظ وجوده بتجديدها عليه. وهي نفس المحدود، فالمحدودات كلّها في خلق جديد، الناس منه في لَبْسٍ. فاللهُ خالقٌ دائما، والعالَم في افتقار دائم له في حفظ وجوده؛ بتجديده. فالعالَم معقول لذاته، موجود بالله -تعالى-؛ لحدوده النفسيّة عينُهُ.

وهذا هو الذي دعا الحسبانيّة إلى القول بتجديد أعيان[1] العالَم في كلّ زمان فرد دائما، وذهلتْ عن معقوليّة العالَم من حيث ما هو محدود. وهو أمر وهميٌّ لا وجود له إلّا بالوهم، وهو القابل لهذه المعاني. وفي العلم ما هو غير جمع هذه المعاني؛ فصار محسوسًا؛ أمرٌ هو في نفسه مجموع معقولات. فأشكل تصوّره، وصعب على مَن غلَب عليه وَهْمُهُ؛ فحار بين علمه ووهمه، وهو موضع حَيرة.

وقالت طائفة بتجدّد الأعراض على الجوهر، والجوهر ثابت الوجود وإن كان لا بقاء له[2] إلّا بالعرض. وما تفطّن صاحب هذا القول لما هو مُنْكِرٌ له. فغاب عنه شيء فجهلَه، وظهر له شيء فعلِمَه. وقالت طائفة أخرى بتجدّد بعض الأعراض، وهي المسمّاة عندهم: أعراضا. وما عداها - وإن كانت، في الحقيقة، على ما يعطيه العلم أعراضا- فيسمّونها صفات لازمة؛ كصفرة الذهب، وسواد الزنجي. هذا كلّه في حقّ مَن يثبتها أعيانا وجوديّة. وثَمّ من يقول: إنّ ذلك كلّه نِسَبٌ لا وجود لها إلّا في عين المدرِك لها، لا وجود لها في عينها. وإلى هذا ذهب القاضي أبو بكر بن الطيّب الباقلاني على ما وصل إلينا، والعهدة على الناقل.

وأهلُ الكشف لهم الاطّلاع على جميع المذاهب كلّها، والنِّحَلِ، والمِلَلِ، والمقالات في الله؛ اطّلاعا عامّا لا يجهلون منه شيئا. فما تظهر نحلةٌ من منتحِل، ولا ملّة بناموس خاصّ تكون عليه، ولا مقالة في الله أو في كون من الأكوان؛ ما تناقض منها، وما اختلَف، وما تماثل، إلّا ويعلم صاحب الكشف من أين أحدث هذه المقالة، أو الملّة، أو النّحلة؛ فينسبها إلى موضِعها[3]، ويقيمُ عذرَ القائل بها، ولا تخطّئه ولا تجعل قولَه عبثا؛ فإنّ الله ما خلق سماء وأرضا، وما بينهما

1 ثابتة في الهامش بقلم آخر
2 ص ٤٣ب
3 ق: كتب في الهامش مقابلها بقلم الأصل: "واضعها" من غير إشارة الاستبدال، وهي في جميع النسخ: "موضعها"

باطلا. ولا خَلَق الإنسانَ[1] عبثا؛ بل خلقه ليكون وحده على صورته. فكلُّ مَن في العالم جاهل بالكلّ، عالِمٌ بالبعض، إلّا الإنسان الكامل وحده؛ فإنّ الله علّمه الأسماء كلّها، وآتاه جوامع الكلم؛ فكملت صورته؛ فجمع بين صورة الحقّ وصورة العالَم؛ فكان[2] برزخا بين الحقّ والعالَم، مرآة منصوبة؛ يَرى الحقُّ صورتَه في مرآة الإنسان، ويرى الخلقُ أيضا صورتَهُ فيه. فمَن حصل في هذه المرتبة؛ حصّل رتبة الكمال الذي لا أكمل منه في الإمكان.

ومعنى "رؤية صورة الحقّ فيه": إطلاق جميع الأسماء الإلهيّة عليه، كما جاء في الخبر. «فبهم تُنصرون» والله الناصر «وبهم تُرزقون» والله الرزّاق «وبهم تُرحمون» والله الراحِم. وقد ورد في القرآن فيمن علِمنا كماله، واعتقدنا ذلك فيه أنّه ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[3]: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[4] أي لترحمهم لَمّا دعا على رَعل وذكوان وعُصَيّة. والتخلّق بالأسماء يقول به جميع العلماء؛ فالإنسان متّصفٌ يسمّى بالحيّ، العالم، المريد، السميع، البصير، المتكلّم، القادر. وجميع الأسماء الإلهيّة، من أسماء تنزيه وأفعال، تحت إحاطة هذه الأسماء السبعة التي ذكرناها، لا يخرج عنها جملةً واحدة؛ فلهذا لم نأت بها على التفصيل، وقد ذكرنا منها طرفا شافيا في[5] كتابنا المسمّى "إنشاء الجداول والدوائر" صوّرنا فيه العالَم، والحضرتين، ممثّلتين في أشكال؛ ليقرب العلم بها على صاحب الخيال.

إذ لا يخلو الإنسان، مع عقله، عن حكم الوهم فيما يعلم أنّه محال. ومع هذا فيتصوّره، ويُغلّب عليه حكم الوهم؛ إذ كان لا ينضبط لها[6] العلم بذلك إلّا بعد تصوّره، وحينئذ تضبطه القوّة الحافظة، وتحكم عليه القوّة المذكّرة إذا غلب على القوّة الحافظة فخرج من تحت حكمها؛ فإنّ المذكّرة لا تفرّط فيه. فلا يزال المعلوم محصورا في العلم، ولهذا كان المعلوم محاطا به. قال تعالى: ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[7].

1 ص ٤٤
2 لم ترد في ق، وأثبتناها من هـ، س
3 [التوبة : ١٢٨]
4 [الأنبياء : ١٠٧]
5 ص ٤٤ب
6 كتب فوقه بقلم آخر: له
7 [الطلاق : ١٢]

فمَن علِم ما ذكرناه في هذا الوصل، وما حوَتْ عليه هذه الخزانة؛ علِم نفسَه، وعَلِم ربّه، وعَلِم العالَم، وما أصله؟ وإذا بدا له منه ما بدا، علِمَ من أين جاء؟ وإلى أين يعود؟ وعَلِم بما يستحقّه منه، فوفّاه حقّه، فأعطى كلّ ذي حقّ حقّه، كما أنّ الله ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾[1] فالذي انفرد به الحقّ؛ إنما هو الخلق. والذي انفرد به مِن العالَمِ الكامل؛ إنما هو الحقّ؛ فيعلم ما يستحقّه كلّ موجود؛ فيعطيه حقّه، وهو المسمّى بالإنصاف. فمن أعطيته حقّه؛ فقد أنصفته، فإن تغاليتَ؛ فما كملتَ، وأنت ناقص. فإنّ الزيادة في الحدّ؛ نقصٌ من المحدود؛ فلا يتعدّى الكاملُ بالشيء[2] رتبته.

وقد ذمّ الله -تعالى- تعليما لنا في إقامة العدل في الأشياء- مَن تغالى في دينه، ونزّه الحقّ -تعالى- عمّا يستحقّه. فهو وإن قصد تعظيما بذلك الفعل في التغالي؛ فقد وقع في الجهل، وجاء بالنقص في موضع الكمال. فقال (تعالى): ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾[3] فالغلوّ مثل أن ينسب إلى الله الأحوال، وهي ليست إلّا أحكام المعاني. فالمعاني لله (هو) وجودها، وإذا وُجدت فيمن وُجدت فيه أعطت، بذاتها، الحال المنعوت به ذلك المحلّ، الذي قام به هذا المعنى. فهذا من التغالي.

وهذا مثل العالِم والقادر، والأبيض والأسود، والشجاع والجبان، والمتحرّك والساكن. فهذه هي الأحوال وهي أحكام المعاني المعقولة أو النِّسب، كيف شئت فقل، وهي العلم والقدرة، والبياض والسواد، والحماسة والجبن، والحركة والسكون. فقال لنا: ﴿لَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ كان ما كان. كما نسبوا إليه -تعالى- الصاحبة والولد، وضربوا له الأمثال، وجعلوا له أنداداً؛ غُلُوًّا في دينهم، وتعظيما لِرُسلهم. فقالوا: عيسى هو الله. وقالت طائفة: هو ابن الله. وقال مَن لم يغلُ في دينه: هو عبد الله ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾[4] فلم يتعدّ[5] به ما هو

١ [طه : ٥٠]
٢ ص ٤٥
٣ [النساء : ١٧١]
٤ [النساء : ١٧١]
٥ ق: يتعدّى

الأمر عليه. فمن سلك مسلكنا؛ فقد سلك طريق النجاة والإيمان[1]، وأعطى الإيمانَ حقّه، ولم يجر على العقل والفكر في حقّه ولا فيما له ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[2].

وفي هذه الخزانة من العلوم:

عِلْمُ مقام الملائكة كلّها.

وعِلْمُ الأنوار، والأسرار، والفضل الزمانيّ لا الفضل بالزمان. ومن هنا تنزل الملائكة على قلوب الأرسال من البشر بالوحي المشروع، وعلى قلوب الأولياء بالحديث والإلهام. وكلّ مَن أدرك هذا سِرّا أو غيبا، كان له جهرا وشهادة؛ فمن هذه الخزانة. فسبحان مرتّب الأمور، وشارح الصدور، وباعث مَن في القبور بالنشور، لا إله إلّا هو العليم القدير.

* * *

الوصل التاسع عشر من خزائن الجود
(خزانة التعليم)

هذه خزانة التعليم، ورفعة المعلّم على المتعلّم، وما يلزم المتعلّم من الأدب مع أستاذه.

اعلم أنّ المعلّم، على الحقيقة، هو الله -تعالى- والعالَم كلّه مستفيدٌ، طالبٌ، مفتقر، ذو حاجة؛ وهو كماله. فمن لم تكن هذه أوصافه فقد جهِل نفسَه، ومن جهل نفسه فقد جهل ربّه[3]. ومن جهل أمرا فما أعطاه حقّه، ومَن لم يعط أمرا حقّه؛ فقد جار عليه في الحكم، وعري عن ملابسة العلم. فقد تبيّن لك أنّ الشرف كلّه إنما هو في العلم. والعالِم به بحسب ذلك العلم. فإن أعطى عملا في جانب الحقّ؛ عَمِل به، وإن أعطى عملا في جانب الخلق؛ عَمِل به. فهو يمشي في بيضاء نقيّة سمحاء، لا يرى فيها عوجا ولا أمتا.

وأوّل متعلّم قبِل العلم بالتعلّم، لا بالذات (هو) العقل الأوّل. فعقل عن الله ما علّمه، وأمره أن يكتب ما علِمه في اللوح المحفوظ الذي خلقه منه، فسمّاه: قلما. فمن علِمه الذي عَلِمه أن قال له أدبا مع المعلّم: ما أكتب: هل ما علّمتني، أو ما تمليه عليّ؟ فهذا من أدب المتعلّم إذا قال له

١ ص ٤٥ب
٢ [الأحزاب : ٤]
٣ ص ٤٦

المعلّم قولا مجمَلا يطلب التفصيل. فقال له: اكتب ما كان، وما قد علِمْتَه، وما يكون مما أمليه عليك؛ وهو علمي في خلقي إلى يوم القيامة، لا غير. فكتب ما في علمه مما كان. فكتب العماءَ الذي كان فيه الحقُّ قبل أن يخلق خلقه، وما يحوي عليه ذلك العماء من الحقائق، وقد ذكرناه في هذا الكتاب في باب النفَس -بفتح الفاء- وكتبَ وجودَ الأرواح المهيّمة، وما هيّمَهم، وأحوالهم، وما هم عليه؛ وذلك كلّه لنعلمه. وكتب تأثيرَ أسمائه فيهم. وكتب نفسَه، ووجوده، وصورة وجوده، وما يحوي عليه من العلوم. وكتبَ[1] اللوحَ.

فلمّا فرغ من هذا كلّه؛ أملى عليه الحقُّ ما يكون منه إلى يوم القيامة. لأنّ دخول ما لا يتناهى في الوجود محال، فلا ينكتب؛ فإنّ الكتابة أمر وجوديّ؛ فلا بدّ أن يكون متناهيا. فأملى الحقّ -تعالى- وكتب القلمُ منكوس الرأس؛ أدبا مع المعلّم؛ لأنّ الإملاء لا تعلّق للبصر به؛ بل متعلَّق البصر الشيء الذي يكتب فيه. والسمعُ من القلم هو المتعلّق بما يمليه الحقُّ عليه. وحقيقةُ السمع أن لا يقيّد المسموع بجهة معيّنة، بخلاف البصر الحسّيّ؛ فإنّه يقيّد: إمّا بجهة خاصّة معيّنة[2]، وإمّا بالجهات كلّها. والسمعُ ليس كذلك؛ فإنّ متعلّقه الكلام. فإن كان المتكلّم ذا جهةٍ، أو في جهة؛ فذلك راجع إليه، وإن كان لا في جهة، ولا ذا جهة؛ فذلك راجع إليه، لا للسامِع. فالسمعُ أدلُّ في التنزيه من البصر، وأَخرَجُ عن التقييد، وأوسعُ في الإطلاق.

فأوّلُ أستاذ من العالَم هو العقلُ الأوّل، وأوّلُ متعلّم أخذ عن أستاذ مخلوق هو اللوحُ المحفوظ. وهذه الاسميّة شرعيّة. واسمُ اللوح عند العقلاء (هو) النفس الكلّيّة، وهي أوّل موجود انبعاثيّ، منفعل عن العقل، وهي للعقل بمنزلة حوّاء لآدم: منه خُلِق، وبه[3] زُوّج فثنّى؛ كما ثنّى الوجود بالحادث وثنّى العلم بالعلم[4] الحادث.

ثمّ رتّب الله الخلق بالإيجاد، إلى أن[5] انتهت النوبةُ والترتيب الإلهيّ، إلى ظهور هذه النشأة

١ ص ٤٦ب
٢ ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب
٣ في متن ق: "منه" وعدلت فوقها مباشرة
٤ هـ: بالقلم
٥ ص ٤٧

الإنسانيّة الآدميّة؛ فأنشأها في أحسن تقويم. ثمّ نفخ في آدم مِن روحِه، وأمر الملائكة بالسجود له؛ فوقعتْ له ساجدة عن الأمر الإلهيّ بذلك؛ فجعله لملائكته قِبلة. ثمّ عرّفهم بخلافته في الأرض، فلم يعرفوا عمّن هو خليفة؛ فربما ظنّوا أنّه خليفة في عمارتها عمّن سلف. فاعترضوا لمّا رأوا مِن تقابل طبائعه في نشأته؛ فعلموا أنّ العجلة تسرع إليه، وأنّ تقابُل ما تركّب منه جسده؛ ينتج منه نزاعًا؛ فيؤثّر فسادا في الأرض وسفكَ دماءٍ. فلمّا أعلمَهم أنّه خلقه -سبحانه- على صورته، وعلّمه الأسماء كلّها المتوجّهة على إيجاد العالم العنصريّ وغيره مما[1] فوقه، ثمّ عرض المسمّون على الملائكة فقال: ﴿أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾[2] الذين توجّهتم على إيجادهم، أي توجّهت الأسماء: هل سبّحتموني بها وقدّستموا لي؟ فإنّكم زعمتم أنّكم تسبّحوني بحمدي وتقدّسون[3] لي. فقالت الملائكة: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾[4] فقال لآدم: ﴿أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾[5] فجعله أستاذا لهم؛ فعلّمهم الأسماء كلّها؛ فعلموا عند ذلك أنّه خليفة عن الله في أرضه، لا خليفة عن سلف[6].

ثمّ ما زال يتلقّاها كاملٌ عن كاملٍ حتى انتهت إلى السيّد الأكبر، محمد ﷺ الذي عرف بنبوّته وآدم بين الماء والطين. فالماء لوجود البنين، والطين وجود آدم. وأُوتي ﷺ جوامع الكلِم، كما أُوتي آدم جميع الأسماء. ثمّ علّمه اللهُ الأسماءَ التي علّمها آدم؛ فعلم علم الأوّلين والآخرين. فكان محمد ﷺ أعظمَ خليفة، وأكبرَ إمام. وكانت أُمّته ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[7].

وجعل اللهُ ورثته في منازل الأنبياء والرسل؛ فأباح لهم الاجتهاد في الأحكام؛ فهو تشريع عن خبر الشارع. فكلُّ مجتهد مصيب، كما أنّه كلّ نبيّ معصوم. وتعبّدهم الله بذلك؛ ليحصل لهذه الأمّة نصيب من التشريع، وتَثْبُتَ لهم فيه قَدَمٌ. فلم يتقدّم عليهم سِوَى نبيّهم ﷺ فيحشر علماء هذه الأمّة، حفّاظ الشريعة المحمديّة، في صفوف الأنبياء، لا في صفوف الأمم. فهم شهداء على

١ ق: "فما" وفوقها بقلم الأصل: مما
٢ [البقرة : ٣١]
٣ ق: وتقدسوا
٤ [البقرة : ٣٢]
٥ [البقرة : ٣٣]
٦ ص ٤٧ب
٧ [آل عمران : ١١٠]

الناس، وهذا نصٌّ في عدالتهم. فما من رسول إلّا ولجانبه عالم من علماء هذه الأمّة، أو اثنان، أو ثلاثة، أو ما كان.

وكلّ عالِم منهم فله درجة الأستاذيّة في عِلْم الرسوم، والأحوال، والمقامات، والمنازل، والمنازلات، إلى أن ينتهي الأمر في ذلك إلى خاتم الأولياء؛ خاتم المجتهدين المحمّديّين[1]، إلى أن ينتهي إلى الختم العام؛ الذي هو روح الله وكلمته. فهو آخر متعلّم، وآخر أستاذ لمن أخذ عنه. ويموت هو وأصحابه من أمّة محمد ﷺ في نَفَس واحد، بريح طيّبة تأخذهم من تحت آباطهم؛ يجدون لها لذّة كلذّة الوَسنان الذي قد جَهَدَهُ السهر وأتاه النوم في السَّحَر، الذي سمّاه الشارع: العسيلة؛ لحلاوته؛ فيجدون للموت لذّة لا يُقدر قدرها. ثمّ يبقى رعاع كغثاء السيل أشباه البهائم؛ فعليهم تقوم الساعة.

وكان الروح الأمين جبريل عليه السلام معلّمَ الرسل وأستاذهم، فلمّا أوحى إلى محمد ﷺ كان يعجَل بالقرآن قبل أن يقضى إليه وحيه، ليُعْلِم الله بالحال؛ أنّ الله تولّى تعليمه من الوجه الخاص الذي لا يشعر به الملَك، وجعل الله الملَكَ النازل بالوحي صورة حجابيّة. ثمّ أمره -تعالى- فيما أوحى إليه: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾[2] أدبا مع أستاذه؛ فإنّه ﷺ يقول: «إنّ الله أدّبني فأحسن أدبي» وهذا مما يؤيّد أنّ الله تولّى تعليمَه بنفسه. ثمّ قال مؤيّدا أيضا لذلك: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾[3] فما ذكر سِوَى نفسه، وما أضافه إلّا إليه، ولم يَجرِ لغير الله في هذا التعريف ذِكر[4]. وبهذا جاء لفظ النبيّ ﷺ في قوله: «إنّ الله أدّبني فأحسن أدبي» ولم يذكر إلّا الله، ما تعرّض لواسطة ولا لملَك؛ فإنّ الله هكذا عرّفنا.

ثمّ وجدنا ذلك ساريا في ورثته من العلماء في كلّ طائفة، أعني من علماء الرسوم وعلماء القلوب؛ فرجوع التعليم بالواسطة وغير الواسطة إلى الربّ. ولذلك قال الملَك: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا

١ ص ٤٨
٢ [القيامة : ١٦]
٣ [القيامة : ١٧ - ١٩]
٤ ص ٤٨ب

بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾[1]. فتبيّن لك من هذا الوصل صورة التعليم. ثمّ إنّه شرع -تعالى- لكلّ أستاذ أن لا يَرى له مزيّة على تلميذه، وأن لا تغيّبه مرتبة الأستاذيّة عن علمه بنفسه وعبوديّته. هذا هو الأصل المرجوع إليه. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[2].

الوصل العشرون من خزائن الجود
(خزانة الأحكام الإلهيّة، والنواميس الوضعيّة والشرعيّة)

هذه خزانة الأحكام الإلهيّة، والنواميس الوضعيّة والشرعيّة، وأنّ لله -تعالى- في وحيه إلى قلوب عباده، بما يشرّع في كلّ أمّة، طريقين: طريقا بإرسال الروح الأمين المسمّى: جبريل، أو مَن كان من الملائكة إلى عبد من عباد الله؛ يسمّى ذلك العبد -لهذا النزول عليه- رسولا ونبيّا، يجب على من بُعث إليهم الإيمانُ به، وبما جاء به من عند ربّه. وطريقا[3] آخر على يدي عاقل زمانه؛ يلهمه الله في نفسه، وينفث الروح الإلهيّ القدسيّ في روعه، في حال فترة من الرسل ودَرْس من السُّبُل. فيلهمه الله، في ذلك، لما ينبغي من المصالح في حقن الدماء، وحفظ الأموال والفروج لِمَا ركّب الله في النفوس الحيوانيّة من الغَيرة. فيمهّد لهم طريقة يرجعون بها، إذا سلكوا عليها، إلى مصالحهم؛ فيأمنون على أهليهم، ودمائهم، وأموالهم. ويحدّ لهم حدودا في ذلك، ويخوّفهم، ويحذّرهم، ويرجّيهم، ويأمرهم بالطاعة لما أمرهم به ونهاهم عنه، وأن لا يخالفوه. ويعيّن لهم زواجر من قتل وضرب وغرم ليردع، بذلك، ما تقع به المفسدة والتشتيت. ويرغّب في نظم شمل الكلمة، وأنّ الله -تعالى- يأجره على ذلك في أصحاب الفترات. وأمّا في الأُمّة التي فيها رسول، أو هُمْ تحت خطاب رسول؛ فحرام عليه ذلك، وحرام عليه خروجه عن شرع الرسول.

ولم تظهر هذه الطريقة الوضعيّة التي تطلبها الحكمة في نوع من الأنواع إلّا في النوع الإنسانيّ خاصّة؛ لخلقه على الصورة؛ فيجد في نفسه قوّة إلهيّة تدعوه لتشريع المصالح. فإن شرّعها أحد غيره، وهو الرسول، فلا يزال يؤيّده ويمهّد لأُمّته ما وضعه لها ذلك الرسول، ويبيّن[4] لهم ما خفي

١ [مريم : ٦٤]
٢ [الأحزاب : ٤]
٣ ص ٤٩
٤ ص ٤٩ب، والكلمة في ق: وتبين

عنهم من رسالته لقصور فهمهم، وإن لم يفعل ذلك -مع قدرته عليه- لم يزل في سفال إلى يوم القيامة. كما جاء في الإمام إذا صلّى، ويعلم أنّ خلفه مَن هو أحقّ بالإمامة منه، فلم يقدّمه وتقدّم عليه؛ لم يزل في سفال إلى يوم القيامة؛ إلّا أن يقدّمه ذلك الأفضل؛ فيتقدّم عن أمره، كصلاة أبي بكر برسول الله ﷺ، وصلاة عبد الرحمن بن عوف برسول الله ﷺ لمّا جاء وقد فاتته ركعة، وتقدّم لأجل خروج الوقت، فجاء رسول الله ﷺ وقد صلّوا ركعة؛ فصلّى خلفه، وشكرهم على ما فعلوا، وقال: «أحسنتم»، ولولا (أنّ) الشارع ما قرّر حكم المجتهد من علماء هذه الأمّة؛ ما ثبت له حكمٌ.

واعلم أنّ العلماء بالله على مراتب في أخذهم العلم الإلهيّ. فمنهم من أخذ العلم بالله من الله، وهم الذين قيل لهم: فاعلموا أنّه إلهٌ واحد. ومنهم مَن أخذ العلم بالله عن نظر واستدلال، وهم الذين نصب الله لهم الأدلّة والآيات في الآفاق وفي أنفسهم، وأمرهم بالنظر في ذلك ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[1] مثل قوله: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾[2] وقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[3] وقوله ﷺ[4]: «مَن عرَف نفسه عرَف ربّه». ومنهم من أخذ العلم بالله من تقوى الله، مثل قوله تعالى: ﴿إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾[5] تفرّقون به بين الله وبين الآلهة التي عبدها المشركون، وتعرفون ما عبدوا من ذلك، مع علمهم -إذا سمّوهم- أنّهم أحجار، وأشجار، وكواكب، وملائكة، وناس، وجانّ. ويعلمون حقيقة كلّ مسمّى، ولماذا اختصّوا بالعبادة ما اختصّوا منها، وهي وما لم يتّخذوه معبودا من أمثالها في الحدّ والحقيقة على السّواء؟.

وما في هذه الطوائف أعلى ممن حصّل العلم بالله عن التقوى؛ فهذا المأخذ أعلى المراتب في الأخذ؛ فإنّ له الحكم الأعمّ؛ يحكم على كلّ حكم، وعلى الحاكم بكلّ حكم؛ فهو خير الحاكمين. ولا يكون هذا العلم ابتداء، ولهذا لا يختصّ به إلّا المؤمنون العاملون؛ الذين علموا أنّ ثمّ واحدا

١ [فصلت : ٥٣]
٢ [الأعراف : ١٨٥]
٣ [الأنبياء : ٢٢]
٤ ص ٥٠
٥ [الأنفال : ٢٩]

يُرجَعُ إليه ويُوصَل إلى شهوده. وإن لم يعلموا ذلك قصرتْ هممهم، ولو تجلّى لهم الحقّ بنفسه أنكروه وردّوه؛ فإنّه عندهم مقيّدٌ بأمر مّا، مهما لم يجدوا ذلك الأمر الذي قيّدوه به -فيمن تجلّى لهم وقال لهم، أو قيل لهم: إنّه الله- ردّوه، ولا بدّ. فلمّا قصرت هممهم، وأعطاهم نظرهم أنّ الحقّ لا يراه أحد -كالفيلسوف والمعتزليّ، وإن علم- فبالضرورة ينكرونه في تجلّيه لهم.

فلا بدّ للمؤمن أن[1] يعطيه نور إيمانه ما أعطى لموسى عليه السلام في نفسه حتى سأل الرؤية، ثمّ أخبر اللهُ أنّه تجلّى للجبل، والجبل من العالَم، وتدكدك الجبل عند رؤيته ربّه. وإذا تجلّى لمحدَث؛ جاز أن يراه كلّ محدَث إذا شاء، وجاز أن يتجلّى له. فإذا علموا وآمنوا، وانبسط نور الإيمان على المراتب والمقامات؛ فعلموها كشفا ووجودا، وانبسط على نفوسهم؛ فشاهدوا نفوسهم؛ فعرفوها؛ فعرفوا ربّهم بلا شكّ علما وإيمانا، ثمّ عملوا بتقوى الله؛ فجعل الله لهم فرقانا بين ما أدركوه من الله: بالعلم الخبريّ، وبالعلم النظريّ، وبالعلم الحاصل عن التقوى؛ وعلموا، عند ذلك، ما هو التامُّ من هذه العلوم، والأتمّ.

فمن ادّعى التقوى ولم يحصل له هذا الفُرقان؛ فما صدق في دعواه؛ فإنّ الكذب كلّه عدم؛ أي مدلوله عدم، وإن كان مذموما بالإطلاق عُرفا، محمودا بالتقييد الذي يحمد به. والصدق كلّه حقٌّ، أي مدلوله حقّ، وإن كان محمودا بالإطلاق عرفا، مذموما بالتقييد الذي يذمّ به.

أَوْقَفَنِي الحَقُّ فِي شُهُودِي ... جُودًا وفَضْلًا عَلَى وُجُودِي
فَقُمْتُ شُكْرًا بِهِ إِلَيْهِ ... أَرْغَبُ فِي لَذَّةِ المَزِيدِ
فَزَادَنِي[2] جُودُهُ عُلُومًا ... بِاللهِ فِي نِسْبَةِ الوُجُودِ
إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ تَعَالَى ... تُرَى عَلَى الكَشْفِ والشُّهُودِ
لا يَعْرِفُ اللهَ غَيْرُ قَلْبٍ ... كَالبَدْرِ فِي مَنْزِلِ السُّعُودِ
يَرْقَى إِلَيْهِ يَجِيءُ مِنْهُ ... مَا بَيْنَ بِيضٍ وبَيْنَ سُودِ

فأمّا العلماءُ بالله من طريق الخبر فلا يعلمون من الله إلّا ما ورد به خبرُ اللهِ عن الله، في

١ ص ٥٠ب
٢ ص ٥١

كتابٍ أو سنّة. فَهُمْ بين مشبِّه بتأويل، وبين واقف؛ وهو الأسلمُ والأنجى من الرَّجُلين. فإنّه لا يتمكن له ردّ الألفاظ، ولا ردّ ما تدلّ عليه؛ فيقع في التشبيه. والآخر، وإن لم يكن له رَدُّ الألفاظ، ولا رَدُّ ما تدلُّ عليه؛ فإنّه ما نزل، ما نزل من ذلك، إلّا بلُغَتِه، ورأى التقابل فيما نزل من نفي التشبيه؛ فآمن، وصرف علم ذلك إلى الله من غير تعيين؛ لأنّ المسمّى والموصوف لم يره، ولم يعلم ما هو عليه إلّا من هذه الأخبار الواردة عنه.

وأمّا علماء النظر فهم طوائف كثيرة[1]؛ كلُّ طائفة نزعتْ في الله منزعا بحسب ما أعطاها نظرُها في الذي اتخذَتْ دليلا على العلم به؛ فاختلفتْ مقالاتهم في الله اختلافا شديدا. وهم أصحاب العلامات لمّا ارتبطوا بها.

وأمّا علماء الكشف والشهود، وهم المؤمنون المتقون؛ فإنّ الله جعل لهم فرقانا؛ أوقفهم، ذلك الفرقانُ، على ما دعا أهل كلّ مقالة في الله -من علماء النظر والخبر- أن يقولوا بها، وما الذي تجلّى لقلوبهم وبصائرهم من الحقّ؟ وهل كلّها حقّ؟ أو فيه ما هو حقّ، وما ليس بحقّ؟ كلُّ ذلك معلوم لهم كشفا وشهودا. فيعبده مَن هذه صفته عبادة أمر، وعبادة ذاتيّة. وليس ذلك إلّا لهم وللملائكة. وأمّا الأرواح التي لا تعرف الأمر فعبادتهم ذاتيّة. وأمّا علماء النظر والخبر فعبادتهم أمريّة. قال رسول الله ﷺ: «نِعْمَ العبدُ صهيبٌ؛ لو لم يَخَفِ اللهَ لم يَعْصِهِ» وهذه هي العبادة الذاتيّة. فاخبر أنّه ذو عبادتين: عبادةُ أمر، وذات. وبالعبادة الذاتيّة يعبده أهل الجنان وأهل النار؛ ولهذا يكون المآل في الأشقياء إلى الرحمة؛ لأنّ العبادة الذاتيّة قويّة السلطان. والأمر عارض، والشقاء عارض. وكلّ عارض زائل؛ يجري إلى أجل مسمّى.

واعلم أنّه ما تقدّم لنبيّ قطّ، قبل نبوّته، نظرٌ عقليٌّ في العلم بالله[2]، ولا ينبغي له ذلك. وكذلك كلّ وليّ مصطفى؛ لا يتقدّم له نظرٌ عقليٌّ في العلم بالله[3]. وكلّ مَن تقدّمه، من الأولياء، عِلْمٌ بالله من جهة نظرٍ فكريّ؛ فهو، وإن كان وليّا، فما هو مصطفى، ولا هو ممن أورثه الله الكتاب الإلهيّ. وسبب ذلك أنّ النظرَ يقيّده في الله بأمر مّا يميّزه به عن سائر الأمور، ولا

---

١ ص ٥١ب

٢ ص ٥٢

٣ "ولا ينبغي.. بالله" لم يرد في ق، وأثبتناه من هـ، س، وواضح من سياقه أنه سقط سهوا.

يقدر على نسبة عموم الوجود لله؛ فما عنده سِوَى تنزيه مجرَّد. فإذا عقد عليه؛ فكلُّ ما أتاه من ربّه مخالفٌ عقدَه؛ فإنّه يردُّه، ويقدح في الأدلّة التي تعضد ما جاءه من عند ربّه.

فمن اعتنى الله به عَصَمَهُ، قبل اصطفائه، من علوم النظر، واصطنعه لنفسه، وحال بينه وبين طلب العلوم النظريّة، ورزقه الإيمان بالله، وبما جاء من عند الله، على لسان رسول الله. هذا في هذه الأمّة التي عمّت دعوة رسولها. وأمّا في النبوّة الأُولَى، ممن كان في فترة من الرسل، فإنّه يُرزق، ويحبّب إليه الشغل بطلب الرزق، أو بالصنائع العمليّة، أو الاشتغال بالعلوم الرياضيّة: من حساب، وهندسة، وهيئة، وطبّ، وشبه ذلك من كلّ علم لا يتعلّق بالإله. فإن كان مصطفًى، ويكون نبيّا في زمان النبوّة في علم الله؛ فيأتيه الوحي وهو طاهر القلب من التقييد بإله محصور في إحاطة عقله. وإن لم يكن نبيّا، وجاء رسول إلى أمّة هو منها؛ قَبِلَ ما جاءه به نبيُّه ذلك لسذاجة محلّه. ثمّ عمل[1] بإيمانه، واتّقى ربّه؛ رزقه الله، عند ذلك، فرقانا في قلبه. وليس لغيره ذلك. هكذا أجرى الله عادته في خلقه. وإن سعد صاحب النظر العقليّ، فإنّه لا يكون أبدا في مرتبة الساذج الذي لم يكن عنده علمٌ بالله إلّا من حيث إيمانه وتقواه. وهذا هو وارث الأنبياء في هذه الصفة؛ فهو معهم وفي درجتهم هذه، فاعلم ذلك. ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[2].

وأمّا علوم الملائكة -وما عدا النفوس الناطقة المدبّرة لهذه الهياكل الإنسانيّة، والهياكل الإنسانيّة- فكلّهم علماء بالله بالفطرة، لا عن تفكّر ولا استدلال. ولهذا تَشهدُ الجلودُ -من هذه النشأة- والأسماعُ، والأبصارُ، والأيدي، والأرجل، وجميع الجوارح، على مدبّرها بما أمرها به من التعدّي حدودَ ربّه. وما شهادتُها إلّا إخبار بما جرى فيها من أفعال الله؛ لأنّها لا تعرف تعدّي الحدود، ولا العصيان. فيكون ذلك التعريف، بتعيين هذه الأفعال، شهادةً على النفوس المصرّفة لها في تلك الأفعال. فإنّ كلّ ما سِوَى هذه النفوس المشهود عليها ما تعلم إلّا التسبيح بحمد ربّها، لا غير ذلك؛ بِمَا[3] تجده في فطرتها. وما في العلوم أصعب تصوُّرا من هذا العلم؛ لطهارة النفوس

---

١ ص ٥٢ب

٢ [طه: ١١٤]

٣ س، هـ: لما

الناطقة بحكم الأصل، ولطهارة الأجسام وقواها بما فُطِرت عليه. ثمّ باجتماع النفس والجسم حدث[1] الإنسان، وتعلّق التكليف، وظهرت الطاعات والمخالفات.

فالنفوس الناطقة لا حظّ لها في المخالفة لعينها. والنفوس الحيوانيّة تجري بحكم طبعها في الأشياء، ليس عليها تكليف. والجوارحُ ناطقةٌ بحمد الله، مسبّحة له -تعالى-. فَمَن المخالف والعاصي المتوجّه عليه الذمّ والعقوبة؟ فإن كان قد حدث بالمجموع -للجمعيّة القائمة بالإنسان- أمر آخر، كما حدث له اسم الإنسان؛ فهو المذموم بالمخالفة خاصة. فإنّ الإنسان العاقل البالغ هو المكلّف، لا غير. ومَن زالت عنه هذه الشروط من هذا النوع؛ فليس بمكلّف، ولا مذموم على ترك، أو فعل منهيٌّ عنه.

ثمّ العلماء بالله انقسموا على أربعة أقسام، لا خامس لها: فمنهم من أخذ العلم بالله من الله، من غير دليل ظاهر ولا شبهة باطنة. ومنهم مَن أخذه بدليل ظاهر وشبهة باطنة، وهم أهل الأنوار. والطائفة الأُولَى (هم) أهل الالتذاذ بالعلوم. والقسم الثالث هم الراسخون في العلم، ولهم، في علمهم بالله، ميلٌ إلى خلق الله؛ ليروا ما قَبِلَ الخلقُ من صورة الحقّ، لا شبهة لهم في علمهم بالله، ولا بالخلق. وهم أهل الأسرار، وعِلمِ الغيوب، وكنوز المعارف، والعلوم، والثبات في حال الأمورِ المزلزلةِ أكثرَ العقول عمّا عقدت عليه. والقسم الرابع هم أهل الجمع[2] والوجود، والإحاطة بحقيقة كلّ معلوم؛ فلا يغيب عنهم وجهٌ فيما علموه. ولهم التصريف بذلك العلم في العالَم حيث شاءوا، ولهم الأمان؛ فلا أثرَ لشبهة قادحة في علمهم. وهم، أيضا، من أهل الأسرار. وما عدا هؤلاء العلماء؛ فخلقٌ من خلق الله، يتصرّفون فيما يُصَرَّفون، مجبورون في اختيارهم مَن كان منهم من أهل الاختيار. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[3].

١ ص ٥٣
٢ ص ٥٣ب
٣ [الأحزاب : ٤]

الوصل الأحد والعشرون من خزائن الجود
(خزانة إظهار خفيّ المنن)

وهذه خزانة إظهار خفيّ المنن التي لأهل الله في الورود والصدور، ووضع الآصار والأغلال، والأعباء والأثقال. ولها رجال أيّ رجال، ولهم مشاهدُ راحة عند حطّ الرحال، وهم البيوت التي أذن الله أن تُرفع، ويُذكر فيها اسمه بالغدوّ والآصال. ومن هذه الخزانة يعلم إحاطة الرحمة بجميع الأعمال؛ في الأحوال، والأقوال، والأفعال، وما ينبغي للعبد أن يكون عليه من التوجّه إلى ربّه والإقبال، والفراغ إليه -تعالى- من جميع ما يشغل عنه من الأشغال. فهي خزانة الكرم، ومعدن الهمم، وقابلة أعذار الأُمم، وناطقة بكلّ طريق هو العالَم عليه أنّه هو الطريق الأَمَم. فأقول[1] -والله الموفّق للصواب- مترجما عن هذه الخزانة بما كشف لنا الجود الإلهيّ والكرم:

اعلم أنّ كلّ موجود من العالَم (هو) في مقامه الذي فطره الله عليه، لا يرتقي عنه ولا ينزل، قد أَمِن من التبديل والتحويل، وقطع يأسه من الزيادة التي يطلبها التأميل إلّا هذا المسمّى بالإنسان، فإنه في ترقٍّ دائمًا أبدا[2]. ﴿سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴾[3] ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾[4] فيئس من الزيادة التي يطلبها مَن لا علم له بما أشرنا إليه، وصار الأمر مثل الأجل المسمّى بالإنسان. فإنّه في تَرَقٍّ دائم أبدا؛ شقيّه وسعيده. فأمّا السعيد فمعلوم عند جميع الطوائف، وأمّا ارتقاء الشقيّ في العلم بالله؛ فلا يعرفه إلّا أهل الله. والشقيّ لا يعرف أنّه كان في ترقٍّ في أسباب شقائه؛ حتى تعمّه الرحمة، ويحكم فيه الكرم الإلهيّ، ويفتح له الفتح في المآل. فيعرف، عند ذلك، ما ترقّى فيه من العلم بالله، في تلك المخالفات التي شقي بها؛ فيحمد الله عليها.

وقد أعطى الله منها أنموذجا في الدنيا في مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِ

١ ص ٥٤
٢ "وقطع... أبدا" ثابتة في الهامش بقلم آخر مع إشارة التصويب، وحرف خ
٣ [غافر : ٨٥]
٤ [فاطر : ٤٣]

حَسَنَاتٍ[1]، ومعنى ذلك أنّه[2] يريه عين ما كان يراه سيّئة؛ حسنةً، وقد كان حُسنها غائبا عنه بحكم الشرع، فلمّا وصل إلى موضع ارتفاع[3] الأحكام المشروعة[4]، وهو الدار الآخرة، رأى، عند كشف الغطاء، حُسن ما في الأعمال كلّها؛ لأنّه يكشف له أنّ العامل هو الله، لا غيره. فهي أعماله، وأعماله كلّها كاملة الحسن، لا نقص فيها ولا قبح؛ فإنّ السوء والقبح الذي كان يُنسب إليها؛ إنما كان ذلك حكم الله، لا أعيانها. فكلُّ مَن كُشف الغطاءُ عن بصيرته وبصره، متى كان، رأى ما ذكرناه.

ويختلف زمان الكشف؛ فمن الناس من يرى ذلك في الدنيا، وهم الذين يقولون: "أفعال الله كلّها حسنة، ولا فاعل إلّا الله، وليس للعبد فعلٌ إلّا الكسب المضاف إليه؛ وهو عبارةٌ عن ما له في ذلك العمل من الاختيار". وأمّا القدرة الحادثة فلا أثر لها عندهم في شيء[5]؛ فإنّها لا تتعدّى محلّها. وأمّا العارفون من أهل الله، فلا يرون أنّ ثَمّ قدرة حادثة أصلا، يكون عنها فِعلٌ في شيء، وإنما وقع التكليف والخطاب من اسم إلهيّ على[6] اسم إلهيّ في محلّ عبد كيانيّ؛ فسمّي ذلك العبد مكلّفا، وذلك الخطاب تكليفا. وأمّا الذين يقولون: إنّ الأفعال الصادرة من الخلق هي خلقٌ لهم، كالمعتزلة. فعند كشف الغطاء يتبيّن لهم ما هو الأمر عليه: فإمّا لهم، وإمّا عليهم. ومنهم مَن يكون له الكشف عند[7] الموت، وفي يوم القيامة (يكون) عند كشف الساق، والتفاف الساق بالساق، وبعد نفوذ الحكم بالعقاب؛ فتنكشف لهم نِسبة تلك الأعمال إلى الله.

فللإنسان وحده ورودٌ على الله، وصدور عن الله؛ هو ورود على الله من طريقٍ آخر غير الورود الأوّل. فهو بين إقبال على الله للاستفادة، وصدور عن الله بالإفادة، وهذا الصدور هو عين إقبالٍ على الله لاستفادة أخرى. وأكثر ما يكون الفتح في الصدور عن الله من حيث ما هو عين إقبال على الله؛ فهو ممن يرى الحقّ في الخلق.

---

١ يشير في ذلك إلى الآية الكريمة في: " مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ" [الفرقان : ٧٠]
٢ ق: "أنه كان" مع وجود علامة شطب على "كان"
٣ ص ٥٤ب
٤ ثابتة أعلى السطر بقلم آخر، مع إشارة التصويب
٥ "في شيء" ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب
٦ ق: "إلى" وصححت في الهامش بقلم الأصل
٧ ص ٥٥

فمن ثَقُل عليه -من أهل الله- رؤية الحقّ في الخلق لِمَا فيه مِن بُعد المناسبة التي بين الواجب الوجود بالذات وبين الواجب الوجود بالغير. فإذا كان ذوقُ هذا العبدِ هذا الشهودَ؛ أراه الحقُّ عينَ ما ثقل عليه ليس إلّا الله وحده وجودا، وسمّي: خلقا؛ لِحُكمِ الممكن في تلك العين. فإذا علِم العبدُ ما هي العين الموجودة، وما هو الحكم، وأنّه عن عين معدومة؛ لم يُبَالِ، وزال ما كان يجده من ثقل الكون الذي من أجله سُمّي الجنُّ والإنس بالثّقلين؛ وهو اسم لكلّ موجود طبيعيّ، وزال عنه ما كان يُحِسُّ به من الألم النفسيّ والحسّي؛ ورفعه الله، عند هذا، مكانا عليّا؛ وهو نصيبه من مقام إدريس ﷺ. فارتفعت مكانته، وزالت زمانته، وحَمد[1] مسراه، وعلم ما أعطاه سُراه. فتميّزت المراتب، واتّحدت المذاهب، وتبحّرت الجداول والمذانب، واستوى القادر وغير القادر والكاسب.

فأعظمُ الإقبال وأعلاه؛ مَن يكون إقبالُه على الله عينَ نفَسه الخارج، وصدوره عن الله -وهو عين إقباله- عين نفَسه الداخل. فهو مقبِل على الله، من كونه محيطا بالنفَس الخارج، ومقبِل على الله في صدوره بنفَسه الداخل؛ من كون الحقّ وَسِعه قلبه. فيكون مستفيدا في كلّ نفَس، بين اسمٍ إلهيّ ظاهر وبين اسم إلهيّ باطن. فالنفَس الخارج إلى الحقّ المحيط (هو) الظاهرُ؛ ليريه عينَ الحقّ في الآيات في الآفاق، والنفَس الداخل إلى الحقّ (هو) الباطنُ؛ ليريه عينَ الحقّ في نفسه؛ فلا يشهد ظاهرا ولا باطنا إلّا حقًّا. فلا يبقى له، في ذاته، اعتراضٌ في فعلٍ من الأفعال، إلّا بلسان حقٍّ لإقامة أدب. فالمتكلّم والمكلّم عينٌ واحدة في صورتين بإضافتين.

ثمّ لتعلم -يا وليّ- أنّ الله لمّا خلق العالَم وملأ به الخلاء؛ لم يبق في العالَم جوهرٌ يزيد ولا ينقص؛ فهو بالجوهر واحد. غير أنّ هذا الجوهر الذي قد ملأ الخلاء، لا يزال الحقُّ -تعالى- فيه خلّاقا على الدوام؛ بما يفتح فيه من الأشكال، ويلطّف فيه من الكثائف، ويكثّف فيه من اللطائف، ويظهر فيه من[2] الصور، ويحدث فيه من الأعراض؛ من أكوان وألوان، ويميّز كلّ صورة فيه بما يوجده فيها من الصفات، وعلى الصورة التي تفتح فيه؛ تقع الحدود الذاتية

---

١ ص ٥٥ب
٢ ص ٥٦

والرسميّة، وفيه تظهر أحكام النِّسب والإضافات. فما أحدث الله بعد ذلك جوهرا، لكن يحدث فيه.

فإذا علمتَ هذا، فاعلم مَن تقع عليه العين؟ وما هي العين؟ وما تسمعه الأذن؟ وما هي الأذن؟ وما يصوّت[1] به اللسان؟ وما هو الصوت؟ وما تلمسه الجوارح؟ وما هي الجارحة؟ وما يذوق طعمه الحنك؟ وما هو الحنك؟ وما يشمّه الأنف؟ وما هو الأنف؟ وما يدركه العقل؟ وما هو العقل؟ وما هو السمع، والبصر، والشمّ، والطعم، واللمس، والحسّ؟ وما هو المتخيِّل، والمتخيَّل، والخيال؟ وما هو التفكُّر، والمتفكِّر، والفِكر، والمتفكَّر فيه؟ وما هو المصوِّر، والمصوَّر، والصورة؟ والذاكر، والذِّكر، والمذكور؟ والوهم، والمتوهِّم، والتوهُّم، والمتوهَّم؟ والحافظ، والحفظ، والمحفوظ؟ وما هو المعقول؟ فما يحصل لك إلّا علم بأعراض ونِسب وإضافات في عين واحدة، هي الواحدة والكثيرة، وعليها تنطلق الأسماءُ كلُّها بحسب ما أحدث الله فيها مما ذكرناه. وهي بالذات، أعني هذا الجوهر الذي ملأ الخلاء، قابلٌ لكلّ ما ذكرناه، وفيه يظهر الجوهر الصوري والعرَض[2]، والزمان والمكان.

وهذه أمّهات الوجود، ليس غيرها. وما زاد عليها فإنّه مركَّب منها؛ من فاعل، ومنفعل، وإضافة، ووَضْع، وعدد، والكيف. ومِن هنا يُعرف: هل تقوم المعاني بالمعاني؟ أو الجوهر القابل للمعنى الذي يُظَنُّ أنّ المعنى الآخر قائم به، إنما هو قائم بالجوهر الذي قام به المعنى الموصوف؛ مثل إشراق السواد، فنقول: سواد مشرق، أو علم حسن، أو خُلُق كريم، أو حمرة في بياض مُشربة به؟.

فإذا علمتَ هذا؛ علمتَ من أنت، وما هو الحقّ الذي جاد عليك بما ذكرناه كلّه وأشباهه، وعلمتَ أنّه لا يمكن أن يماثله شيء من خلقه؛ مع معقوليّة المناسبة التي ربطتْ وجودَك بوجوده، وعينك بعينه؛ كما ربط وجود علمك به بعلمك بك، في قوله: «مَن عرف نفسه عرَف ربَّه» فإنّ أعرَف الخلق بالخلق؛ أعرفهم بالله. وعلمتَ أحديّة الواحد من أحديّة الكثرة، وانحصار الوجود

[1] ق: "يتكلم" وفوقها بقلم الأصل: يصوت"
[2] ص ٥٦ب

قديمه وحديثه؛ فيماذا ينحصر؟ وتمييز القديم من المحدَث؛ بماذا يتميّز؟ وما يُنسب إلى القديم الأزليّ من الأسماء والأحكام؟ وما يُنسب إلى المخلوق المحدَث من الأسماء والأحكام؟ ولماذا (=وإلى ماذا) يرجع عينُ العالَم؟ وما تشهد من الحقّ إذا تجلّى لك ورأيته؟ ولماذا (=وإلى ماذا) يرجع اختلاف التجلّي وتغايره: هل لِتغاير إدراكك في عين واحدة تختلف رؤيتك[1] فيه، وهو غير متنوّع في نفسه؟ أو ذلك التنوّع في التجلّي راجع إلى نِسبة، لا إليك، ولا إليه؟ فأمّا إليه؛ فمحال عند أهل الله، وما بقي إلّا لأحد أمرين[2]: أوّلها إمّا إليك، أو إلى أمر آخر: ما هو هو، ولا هو أنت. وكذا تشهده.

فما كلُّ مَن رأى؛ عَرَف ما رأى، وما حار أهل الحيرة سُدَى. فإنّ الأمرَ عظيم، والخطبَ جسيم، والمشهدَ عامّ، والوجودَ تامّ، والكمالَ حاصل، والعلمَ فاصل، والحكمَ نازل، والتجدّدَ مع الأنفاس في الأكوان معقول، وما يقال على الحقّ منقولٌ بين معقول وغير معقول. وليس يدرك هذه الأغوار إلّا أهلُ الأسرار والأنوار، وأُولُو البصائر والأبصار. فمن انفرد بِسِرٍّ بلا نور، أو بنورٍ بلا سِرٍّ، أو ببصيرة دون بصر، أو ببصر دون بصيرة، أو بظاهر دون باطن، أو بباطن دون ظاهر؛ كان لِمَا انفرد به، ولم يحصل على كمال؛ ولا اتّصف به، وإن كان تامّا فيما هو عليه. ولكنَّ الكمال هو المطلوب، لا التمام؛ فإنّ التمام في الخلق، والكمال (هو) فيما يستفيده التامّ ويفيده. ومتى لم تحصل له هذه الدرجة مع تمامه، فإنّ الله ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ فقد تمّ ﴿ثُمَّ هَدَى﴾[3] لاكتساب الكمال. فمَن اهتدى فقد كمل، ومَن وقف مع تمامه فقد حُرِم. رزقنا الله وإيّاكم الفوز، والوصول إلى مقام العجز، إنّه الوليّ المحسان.

* * *

الوصل[4] الثاني والعشرون من خزائن الجود
(خزانة الفترات)

وهذه خزانة الفترات. فتَوَهُّمُ انقطاعَ الأمور، وما هي الأمور منقطعة، وما يصحّ أن تنقطع؛

[1] ص ٥٧
[2] ق، س: الأمرين
[3] [طه : ٥٠]
[4] ص ٥٧ب

لأنّ الله لا يزال العالَم محفوظا به؛ فلا يزال حافظا له؛ فلو انقطع الحفظ لَزال العالم. فإنّ الله ما هو غنيٌّ عن العالم إلّا لظهوره بنفسه للعالم؛ فاستغنى أن يُعرف بالعالَم. فلا يدلّ عليه الغير؛ بل هو الدليل على نفسه بظهوره لخلقه. فمنهم من عرفه وميّزه مَن خلقه، ومنهم مَن جعله عينَ خلقه، ومنهم مَن حار فيه فلم يدر: أهو عين خلقه؟ أم هو متميِّز عنه؟ ومنهم مَن علِم أنّه متميّز عن الخلق، والخلق متميّز عنه، ولكن لا يدري بماذا تميّز خلقٌ عن حقٍّ؟ ولا حقّ عن خلق؟

ولهذا حار أبو يزيد؛ فإنّه علم أنّ ثمّ في الجملة تمييزا، وما عرف ما هو؟ حتى قال له الحقُّ: التمييز في الذلّة والافتقار. فحينئذ سكن. وما قال له النصف الآخر من التمييز؛ وهو الغنى الإلهيّ عن العالَم. فإن قلتَ: الذلّة والافتقار يُغني!. قلنا في الشاهد: لا يغني؛ لما نشاهده من الذلّة لذليل، ومن الافتقار لفقير. فإنّ الله قد جعل العالم على مراتب ودرجات، مفتقرا بعضُه إلى بعضِه، ورفع بعضكم[1] فوق بعض درجات ليتّخذ بعضكم بعضا سخريّا. فجعل العالم فاضلا مفضولا.

ولمّا كان الأمر الحقّ فيما نبّه الله عليه أبا يزيد[2]، نبّهنا بذلك على علم قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[3] أي المثنى عليه بكلّ ما يُفتقَر إليه. فالعالَم، كلّه، أسماؤه الحسنى وصفاتُه العلى. فلا يزال الحقّ متجلّيا ظاهرا، على الدوام، لأبصار عباده في صورٍ مختلفة، عند افتقار كلِّ إنسان إلى كلّ صورة منها. فإذا استغنى مَن استغنى عن تلك الصورة؛ فهي عند ذلك المستغني خلقٌ. فإذا عاد افتقاره إليها؛ فهي حقٌّ، واسمها هو اسم الحقّ، وفي الظاهر لها. فيتخيّل المحجوب أنّه افتقر إليها، وذلّ من أجل حاجتِه إليها، وما افتقر وذلّ إلّا لله، الذي بيده ملكوت كلّ شيء. فالناس في واد، والعلماء بالله في واد.

وأمّا التفاضل الظاهر في العالَم؛ فمجهول عند بعض الناس، ومعلوم عند بعضهم، ومنهم المخطئ فيه والمصيب. وذلك أنّ العالم قسّمه الله في الوجود بين غيب وشهادة، وظاهر وباطن، وأوّل وآخر. فجعل الباطن والآخر والغيب نمطًا واحدا، وجعل الأوّل والظاهر والشهادة نمطًا آخر. فمن الناس مَن فضّل النمط الذي فيه الأوّليّة، ومن الناس[4] مَن فضّل النمط الذي فيه

١ ص ٥٨، وهو هنا يشير إلى الآية القرآنية: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢]
٢ ق: أبو يزيد
٣ [فاطر: ١٥]
٤ ص ٥٨ب

الآخريّة، ومن الناس مَن سوّى مطلقا، ومن الناس مَن قيّد؛ وهم أهل الله خاصّة.

فقالوا: النمط الذي فيه الآخريّة؛ في حقّ السعداء خير، وفي حقّ الأشقياء ما هو خير، وإنّ أهل الله تعلّقهم بالمستقبل أَوْلَى مِن تعلّقهم بالماضي؛ فإنّ الماضي والحال قد حصلا، والمستقبل آتٍ فلا بدّ منه؛ فتعلّق الهمّة به أَوْلَى. فإنّه إذا ورد عن همّة متعلّقة به؛ كان لها، لا عليها. وإذا ورد عن غير همّة متعلّقة به؛ كان إمّا لها، وإمّا عليها. وإنما أثّر فيه تعلُّق الهمّة؛ أن يكون لها، لا عليها؛ لِمَا يتعلّق[1] من صاحب الهمّة من حسن الظنّ بالآتي، والهمم مؤثّرة. فلو كان إتيانه عليه، لا له؛ لعاد بالهمّة له، لا عليه. وهذه فائدةُ مَن حفظ عليها؛ حاز كلّ نعيم.

فإذا ورد الآتي على ذي همّة متعلّقة بإتيانه؛ بادر إلى الكرامة به، والتأدّب معه على بصيرة وسكون، وحسن تَأَتٍّ في ذلك. بخلاف مَن يفجؤه الآتي؛ فيدهش، ويحار في كيفيّة تلقّيه ومعاملته. وهو سريع الزوال؛ فربما فارق الحال ومضى، وما قام صاحب الدهش بحقّه وبما يجب عليه من الأدب معه، بخلاف المستعِدّ. غير أنّ المستعدّ للآتي لا بدّ، إن كان كاملا، أن يحفظ الماضي؛ فإنّه[2] إن لم يحفظه؛ فاتَهُ خَيْرُه.

وقد جعل الله في العبد من خزائن الجود؛ خزانة الحفظ؛ فتكون مُضِيئةً؛ جَعَلَهُ في تلك الخزانة؛ فهو صاحب حال؛ في الحال وفي الماضي، فما يبقى له إلّا الآتي مع الأنفاس. فلا تزال القوّة الحافظة، على باب خزانة الحفظ، تمنع أن يخرج منها ما اختزنته فيها، وتأخذ ما فارق الحال فتخزنه فيها. ولهذه القوّة الحافظة سادنان: الواحد: الذِّكْرُ، قد وكّلْتهُ بحفظ المعاني المجرَّدة عن الموادّ، والسادن الآخرُ: الخيالُ، قد وَكّلْتهُ بحفظ المُثُل في تلك الخزانة، وبقيتْ هي مشتغلة بقبول ما يأتي إليها عند مفارقة زمان الحال. وحُكم الزمان الماضي على هذا الآتي. فتأخذه؛ فتلقيه في الخزانة؛ خزانة الحفظ.

وإنما سمّيت خزانة الحفظ؛ لأنّها تحفظ على الآتي زمانَ الحال، وهو الدائم؛ فلا يحكم عليه الزمان الماضي. بخلاف مَن ليس له هذا الاستعداد، ولا هذا التهيّؤ؛ فإنّ الماضي يأخذه؛ فينساه العبد؛ فلا يدري أين ذهب، وهو الذي يستولي عليه سلطان الغفلة، والسهو، والنسيان. فيكون الحقّ يحفظه له أو عليه، والعبد لا يشعر لهذا الحفظ الإلهيّ، بل أكثر العبيد،

١ ق: "لا يتعلق" مع إشارة شطب على: "لا"
٢ ص ٥٩

لا كلّهم. وهو قوله: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا[1] يَرَهُ. وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[2] وقال -تعالى- أيضا في كتابه[3]: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾[4]. فالعبدُ الكامل ربُّ الحفظ يحضُر، والغافل الذي لا حِفظ له يُحضَرُ له. فبين الرجلين بونٌ بعيد. فالحكم العامّ إنما هو لزمان الحال، وهو الدائم؛ يُحْضِر المستقبل قبل إتيانه، ويمسك ما أتى به الماضي؛ فإنّ الزمان صورةٌ زوْجُها (هو) ما يأتي به، لا غير. فزمانُ الحال حيٌّ بحياة كلّ زمان؛ لأنّه الحافظ والضابط لكلّ ما أتى به كلّ زمان.

ولَمّا كانت الأزمنة ثلاثة؛ كانت الأحوال ثلاثة: حال اللّين والعطف؛ فإنّه يأتي باللين ما يأتي بالقهر والفظاظة، ولا يأتي بالقهر ما يأتي باللين. فإنّ القهر لا يأتي بالرحمة والمودّة في قلب المقهور، وباللين ينقضي المطلوب ويأتي بالمودّة؛ فيلقيها في قلب من استعمله باللّين، وصاحبُ اللين لا يقاوَم؛ فإنّه لا يقاوِم لِمَا يعطيه اللين من الحكم.

والحالُ الثاني حال هداية الحائر. فإنّ الحائر إذا سأل؛ يسأل إمّا بحاله وإمّا بقوله. فإنّ العالِم بما حار فيه يجب عليه أن يبيّن له ما حار فيه. فإن كان المسئول فيه مما تكون حقيقته الحيرة فيه؛ أبان له هذا العالِم أنّ العلم به أنّه يحار فيه؛ فأزال[5] عنه الحيرة في الحيرة. وإن كانت من العلوم التي إذا أُبينت؛ زالت الحيرة فيه، وبان بيان الصبح لذي عينين؛ أبانه له؛ فعلِمه؛ فأزال عنه الحيرة. ولا يردّه، ولا يقول له: ليس هذا عُشّك فادرج، ولا: سألت ما لا يعطيه مقامك. فإنّ الإنسان إذا قال مثل هذا القول لمن سأله عن علمٍ مّا؛ فليس بعالم، وهو جاهل بالمسألة وبالوجه الذي ينبغي من هذه المسألة أن يقابل به هذا السائل. والعلم وسُوء الخلق ما يجتمعان في موفّق. فكلّ عالِم فهو واسع المغفرة والرحمة، وسوء الخلق إنما هو من الضّيق والحرج؛ وذلك لجهله. فلا يَعلم قدر العلم إلّا العلماء بالله، فله السعة التي لا نهاية لها مددا ومدّة.

ولقد شفعتُ عند ملِك في حقّ شخص أذنب له ذنبا، اقتضى ذلك الذنب في نفس ما يطلبه الملِك أن يقتل صاحبه. فإنّ الملِك يعفو عن كلّ شيء، إلّا عن ثلاثة أشياء؛ فإنّه لا يعفو عنها؛ إذ لا عفو فيها، وما يتفاضل الملوك فيها إلّا في صورة العقوبة. والثلاثة الأشياء التي لا عفو فيها

١ ص ٥٩ب
٢ [الزلزلة : ٧، ٨]
٣ ق: "كتاب" وفي الهامش بقلم آخر: "كتابه" وحرف خ
٤ [الكهف : ٤٩]
٥ ص ٦٠

عند الملوك (هي): التعرّض للحُرَم، وإفشاء سِرّه، والقدح في المُلْك. وكان هذا الشخص قد جاء لهذا الملِك بما يقدح في الملك؛ فعزم على قتله. فلمّا بلغتني قصّته؛ تعرّضت عند[1] الملِك للشفاعة فيه أن لا يقتله. فتغيّر وجه الملِك، وقال: هو ذنب لا يُغفر؛ فلا بدّ من قتله. فتبسّمتُ، وقلت له: أيّها الملِك؛ والله لو علمتُ أنّ في مُلكك ذنبا يقاوِم عفوك ويغالبه؛ ما شفعتُ عندك، ولا اعتقدتُ فيك أنّك ملِك. واللهِ؛ إنّي من عامّة المسلمين، واللهِ؛ ما أرى في العالَم كلّه ذنبا يقاوِم عفوي.

فتحيّر في قولي، ووقّع لي بالعفو عن ذلك الشخص. فقلت له: فاجعل عقوبته إنزالَه عن الرتبة التي أوجبَتْ له عندك أن تطلِعه على أسرارك؛ حتى ركب مركبا يقدح في المُلْك. فإنّي كما كنت له في دفع القتل عنه، أنا أيضا للملِك معين فيما يدفع عن القدح في مُلكِه. ففرح الملِك بذلك، وسُرَّ، وقال لي: جزاك الله خيرا عنّي. ثمّ صعد من عندي إلى قلعته، وأخرج ذلك المحبوس، وبعث به إليّ حتى رأيته. فوصّيته بما ينبغي، وتعجّبت من عقل الملِك، وشكرته على صنيعه.

والحال الثالث إظهارُ المنعَم عليه نعمةَ المنعِم عليه؛ فإنّ إظهارَها عينُ الشكر وحقُّه؛ وبمثل هذا يكون المزيد. كما يكون بالكُفران لها زوالُ النّعم، والكفران سَترُها؛ فإنّ الكفرَ معناه الستر. قال -تعالى-: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ وهذا غاية النّعم من المنعِم ﴿فَكَفَرَتْ﴾ يعني الجماعة التي أنعم عليها المنعِم بهذه النّعم[2] ﴿بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ﴾ بإزالة الرزق ﴿وَالْخَوْفِ﴾ بإزالة الأمن ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[3] من ستر النّعم وجحدِها، والأشر والبطر بها. وقال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[4] وقال: ﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[5] هذا مع غناه عن العالمين، فكيف بالفقير المحتاج إذا أنعم على مِثله من نعمة الله التي أعطاه إيّاها وامتنّ عليه بها؟ فهو أحوج إلى الشكر، وأفرح به من الغنيّ المطلق الغنى عن العالمين. وهذه خزانة شريفة: العلمُ بها شريف، ومقامها مقام منيف.

١ ص ٦٠ب
٢ ص ٦١
٣ [النحل : ١١٢]
٤ [إبراهيم : ٧]
٥ [البقرة : ١٥٢]

الوصل الثالث والعشرون من خزائن الجود
(خزانة الاعتدال، وإعطاء كلّ ذي حقّ حقّه)

وهذه خزانة الاعتدال، وإعطاء كلّ ذي حقّ حقّه؛ فهي خزانة العدل، لا خزانة الفضل. من هذه الخزانة يقيم الله العدل في العالَم بين عباده، وهي خزانة ينقطع حكمها، ويُغلق بابها، وأنّ خزانة الفضل تنعطف عليها. و﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾[1] لما فيه من الفصل لمن أخذ له الحقّ ﴿وَالْإِحْسَانِ﴾ معطوف على العدل في الأمر به. فيكون مَن ظهر فيه سلطان العدل وأُخِذ بجريمته، أن يُعْطَف عليه بالإحسان؛ فينقضي أمر المؤاخذة، ولا ينقضي أَمَدُ الإنعام والإحسان. وقد يكون الإحسان ابتداء وجزاء للإحسان الكونيّ، كما جاء في قوله تعالى: ﴿هَلْ[2] جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾[3] وقوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى﴾ جزاء ﴿وَزِيَادَةٌ﴾[4] الإحسان بعد العدل. والإحسان قبل المؤاخذة ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ﴾ ولم يجازِ بالسيّئة على السيّئة فهو أَوْلى ﴿فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾[5] أي هذه صفة الحقّ فيمن عفا عنه، فيما هو حقّ له معرّى عن حقّ الغير. فإقامةُ العدل إنما هو في حقّ (=يختص بـ) حقّ الغير، لا فيما يختصّ بالجناب الإلهيّ. فما كان الله ليأمر بمكارم خُلق ولا يكون الجناب الإلهيّ موصوفا به؛ ولهذا جعل أجرَ العافين عن الناس على الله.

وهذه الخزانة أرسلتْ حجب الأسرار دون أعين الناس، وهو ما أخفى الحقُّ عنهم من الغيوب، وهو قوله: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا. إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾[6] فإنّه لا يحيط من علم غيب الله إلّا بما شاء. كما رُفعت الستور، وانكشفت الأنوار؛ فأدركت البصائرُ بها كلَّ معقول، وأدركت الأبصار بها كلَّ مبصَر؛ فأحاط العقل بهذه الأنوار كلَّ ما يمكن أن يدرَك عقلا، وأحاط البصرُ بهذه الأنوار كلَّ ما يمكن أن يدرَك حسًّا. وهذا لخصوص عباده المصطفين الأخيار؛ فلهم الكشف الدائم للخلق الجديد؛ فلا يتناهى كشفهم، كما لا يتناهى الخلق الجديد في العالَم.

١ [النحل : ٩٠]
٢ ص ٦١ب
٣ [الرحمن : ٦٠]
٤ [يونس : ٢٦]
٥ [الشورى : ٤٠]
٦ [الجن : ٢٦، ٢٧]

ثمّ إنّ هذه الخزانة تعطي في العالَم الإلهيّ عِلْم الفاعل[1]، والفعل، والمفعول، والمفعول فيه، والمفعول به، والمفعول معه؛ فيقف على التكوين الإلهيّ، والتكوين الكيانيّ؛ فيعلم أنّ لكلّ فاعل طريقا يخصّه في نِسبة الفعل إليه. فأمّا أهل الكرم والجود على الغير؛ فإنّ الله يمكّنه من أسباب الخير، ويهوّن عليه الشدائد، ويرفع عنه الأمور المحرجة، ويخرجه من الظلمات إلى النور، ومن الضّيق إلى السعة، ومن الغيّ إلى الرشد.

وأمّا مَن نظر في الحقائق، ورأى نفسَه أحقّ بنظره إليها من نظره إلى غيره، وأنّ نظره إلى غيره إنما جعله الله ليعود بما فيه من الخير على نفسه -فغفل عن كلّ شيء سِوَاهُ؛ فشغل نفسه بنفسه، وصرف همّته إلى عينه، وأعطاها من كلّ شيء- أعطاه الحقّ حقّها؛ فاستغنى بربّه، وكشف له عن ذاته؛ ورأى جميع العالم في حضرته، ورأى الرقائق بينه وبين كلّ جزء من العالم؛ فعمد يُحْسِنُ إلى العالَم من نفسه، على تلك الرقيقة التي بين ما يناسب من العالَم وبين المناسب له. فيوصل الإحسان لكلّ ما في العالَم بهمّته من الغيب، كما يوصله الحقُّ من الأسباب.

فيجهله العالَم؛ لأنّه لا يشهده في الإحسان، كما يُجهل الحقّ بالأسباب؛ فيقول: "لولا كذا ما كان كذا" ونسي الحقَّ في جنب السبب؛ فلا بدّ أن يُنسى هذا العبد الكامل. وكما أنّ لله عبادا، وإن وقفوا مع الأسباب، يقولون[2]: هذا من عند الله، ليس للسبب فيه حكم؛ كذلك لله عباد يقولون: هذا ببركة فلان وهمّته، ولولا همّته ما جرى كذا وما دفع الله عنّا كذا، ومنهم من يقول ذلك عقدا وإيمانا، ومنهم من يقول ذلك غلبة ظنّ.

فهذا عبد قد أقامه الحقُّ في قلوب عباده مقامه في الحالين، فالناس ينطقون بذلك ولا يعرفون أصله. وقد ورد في الحديث الصحيح أنّ رسول الله ﷺ قال لأصحابه من الأنصار، في واقعة وقعتْ في فتح مكة، في غزوة حنين، فقال لهم: «ألم تكونوا ضُلّالا فهداكم الله بي» فذكر نفسه «ووجدتكم على شفا حفرة من النار فأنقذكم الله بي» وهذا معنى قول الناس: هذا ببركة فلان، وهذا بهمّة فلان، وقولهم: اجعلني في خاطرك وفي همّتك، ولا تنساني، وأشباه هذا. فَمن أعرض عن هذه المشاهِد ولم يفرّق بين المشهود والشاهد؛ فذلك الجائر[3] الخاسر، كما أنّ الآخر هو الرابح في تجارته، المقسط بصفقته.

١ ص ٦٢
٢ ص ٦٢ب
٣ الحرف الثاني مهمل

والرابحون انقسموا إلى قسمين: إلى عامِلين على الجزاء، وإلى عامِلين على الوفاء. فالعاملون على الجزاء لهم نعوت تخصّهم، والعاملون على الوفاء على قسمين: عمّال لا عُمّال، وعُمّال عُمّال. والعُمّال العُمّال على قسمين: عمّال بحقّ، وعمّال بأنفسهم، وكلاهما قائل بالجزاء. والعُمّال لا عُمّال يرون الجزاء للعمل لا للعامل، والعمل لا[1] يقبل نعيم الجزاء؛ فيعود عليهم جزاء العمل. وأمّا جزاء العامل فهم[2] يرون العامل هو الله، وليس بمحلٍّ للجزاء؛ فهل الجزاء على قدر العامل. فيحصلون على الجزاء الإلهيّ؛ وهو القصور عن الوفاء بما يستحقّه العامل. فهو جزاء لما قام بالعلماء بالله في الثناء عليه بمحامده، وهو قول النبيّ ﷺ «لا أُحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» ولكن عند مَن: عند نفسك؟ أو عند خلقك؟ فانظر فيما نبّهتُك عليه؛ فإنّه ينفعك إن قبلتَ مقالتي وأصغيتَ إلى نصيحتي.

وهذا[3] وصلّ الكلامُ فيه يطول جدًّا؛ فإنّه يحوي على أسرار وأنوار، ومزج واختلاط، وتخليص وتمييز، وما يُردي وما يُنجي. ويكفي هذا القدر من هذا الباب. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[4].

---

[1] ص ٦٣
[2] ق: وهم
[3] ثابتة في الهامش بقلم آخر، وحرف ب (أي بيان) وكانت في ق: وقد
[4] [الأحزاب : ٤]

الباب السبعون وثلاثمائة
في معرفة منزل المزيد، وسِرّ وسِرّين من أسرار الوجود والتبدّل -وهو من الحضرة المحمديّة

إنّ الزِّيادَةَ فِي الأَعْمَالِ صُورَتها ... مِثْلُ الزيادَةِ فِي الإِنْعامِ يا رَجُلُ
ولَيْسَ[1] يَعْرِفُهَا إِلّا رجالُ حِجَى ... ولَيْسَ يَحْصُرُها عَدٌّ وَلا أَجَلُ
للهِ فِي طَيِّهَا مَكْرٌ لِذِي نَظَرِ ... مُحَقَّقٍ وَلَنَا فِي مَكْرِهِ أَمَلُ
فإِنّهُ صادِرٌ مِنْ سِرِّ حَضْرَتِهِ ... ولَيْسَ يَعْصِمُ إِلّا العِلْمُ والعَمَلُ
إِنّ الفُرُوعَ لَهَا أَصْلٌ يُبَيِّنُها ... لِلناظِرِيْنَ بِهِ قَدْ جاءَنا المَثَلُ

اعلم أنّ الحكم في الأشياء كلِّها والأمور أجمعها إنما هو للمراتب، لا للأعيان. وأعظمُ المراتبِ الألوهةُ، وأنزلُ المراتبِ العبودةُ؛ فما ثَمّ إلّا مرتبتان؛ فما ثَمّ إلّا ربٌّ وعبد. لكن للألوهة أحكام؛ كلّ حكم منها يقتضي رتبة. فإمّا يقوم ذلك الحكم بالإله؛ فيكون هو الذي حكم على نفسه، وهو حكم المرتبة في المعنى. ولا يحكم بذلك الحكم إلّا صاحب المرتبة؛ لأنّ المرتبة ليست وجود عين، وإنما هي أمر معقول، ونِسبة معلومة محكوم بها، ولها الأحكام. وهذا من أعجب الأمور: تأثير المعدوم، وإمّا أن يقوم ذلك الحكم بغيره في الموجود: إمّا أمرا وجوديًا، وإمّا نِسبة؛ فلا تؤثّر إلّا المراتب[2].

وكذلك للعبودة أحكام؛ كلّ حكم منها رتبة. فإمّا يقوم ذلك الحكم[3] بنفس العبد؛ فما حَكَم عليه سوى نفسه؛ فكأنّه نائبٌ عن المرتبة التي أوجبتْ له هذا الحكم، أو يحكم على مثله أو على غيره، وما ثَمّ إلّا مِثل أو غير في حقّ العبد، وأمّا في الإله فما ثَمّ إلّا غيرٌ، لا مِثلٌ؛ فإنّه لا مِثل له.

فأمّا الأحكام التي تعود عليه (تعالى) من أحكام الرتبة (فهي) وجوب وجوده لذاته، والحكم

---

[1] ص ٦٣ب
[2] ص ٦٤
[3] ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب

بغناه عن العالم، وإيجابه على نفسه بنصر المؤمن، وبالرحمة، ونعوت الجلال كلّها التي تقتضي التنزيه، ونفي المماثلة. وأمّا الأحكام التي تقتضي بذاتها طلب الغير؛ فمِثل نعوت الخلق كلّها؛ وهي نعوت الكرم، والإفضال، والجود، والإيجاد؛ فلا بدّ (أنّها): في مَن؟ وعلى مَن؟ فلا بدّ من الغير؛ وليس إلّا العبد. وما منها أثرٌ يطلب العبدَ إلّا ولا بدّ أن يكون له أصل في الإله؛ أوجبَتْهُ المرتبة؛ لا بدّ من ذلك. ويختصّ -تعالى- بأحكامٍ من هذه المرتبة لا تطلب الخلق، كما قرّرنا.

ومرتبة العبد تطلب، من كونه عبدا، أحكاما لا تقوم إلّا بالعبد، من كونه عبدا خاصّا؛ فهي عامّة في كلّ عبد لذاتها. ثمّ لها أحكام، تطلب -تلك الأحكامُ- وجودَ الأمثال ووجودَ الخلق[1].
فمنها إذا كان العبد نائبا وخليفة عن الحقّ، أو خليفة عن عبد مثله، فلا بدّ أن[2] يخلع عليه مَن استخلفه مِن صفاته ما تطلبه مرتبة الخلافة؛ لأنّه إن لم يظهر بصورة مَن استخلفه، وإلّا فلا يتمشّى له حكم في أمثاله. وليس ظهوره بصورة مَن استخلفه سِوَى ما تعطيه مرتبة السيادة. فأعطته رتبةُ العبودة ورتبةُ الخلافة أحكاما لا يمكن أن يصرّفها إلّا في سيّده والذي استخلفه، كما أنّ له أحكاما لا يصرّفها إلّا فيمن استخلف عليه. والخلافة صغرى وكبرى. فأكبرها، التي لا أكبر منها، الإمامةُ الكبرى على العالم. وأصغرها: خلافته على نفسه. وما بينهما ينطلق عليها صغرى بالنسبة إلى ما فوقها، وهي بعينها كبرى بالنظر إلى ما تحتها.

فأمّا تأثير رتبة العبد في سيّده؛ فهو قيام السيّد بمصالح عبده ليبقي عليه حكم السيادة. ومَن لم يقم بمصالح عبده فقد عزلته المرتبة؛ فإنّ المراتب لها حكم التولية والعزل؛ بالذات، لا بالجَعل، كانت لمن كانت. وأمّا التأثير الذي يكون للعبد من كونه خليفة فيمن استخلفه، كان المستخلف ما كان، أن يُبقي له عينَ مَن استخلفه عليه لينفذ حكمه فيه، وإن لم يكن كذلك فليس بخليفة، ولا يصدّق إذا لم يكن ثَمّ على من؟ ولا في من؟ لأنّ الخليفة لا بدّ له من مكان يكون فيه حتى يُقصَد بالحاجات.

ألا ترى مَن[3] لا يقبل المكان؛ كيف اقتضت المرتبة له أن يَخلق سماء جعله عرشا، ثمّ ذكر أنّه

١ هـ، س: الحق
٢ ص ٦٤ب
٣ ص ٦٥

استوى عليه حتى يُقصد بالدعاء وطلب الحوائج، ولا يبقى العبد حائرا لا يدري أين يتوجّه؟!
لأنّ العبد خلقه الله ذا جهة، فنَسب الحقُّ الفوقيّة لنفسه: من سماء، وعرش، وإحاطة بالجهات كلّها، بقوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾[1] وبقوله: «ينزل ربّنا إلى السماء الدنيا فيقول: هل من تائب؟ هل من داعٍ؟ هل من مستغفر؟» ويقول عنه رسوله (ص): «إنّ الله في قبلة المصلّي»
هذا كلّه حكم المراتب إن عقلتَ. فلو زالت المراتب من العلم[2] لم يكن للأعيان وجودٌ أصلا، فافهم.

فإذا أراد الأعلى أن يعرفه الأدنى، لأنّ الأدنى لا قدم له في العلوّ، والأعلى له الإحاطة بالأدنى؛ فلا بدّ أن يتعرّف الأعلى إلى الأدنى، ولا يمكن ذلك إلّا بأن يتنزّل إليه الأعلى؛ لأنّ الأدنى لا يمكن أن يترقّى إليه؛ لأنّه ينعدم عينُه؛ إذ لا قدم له في العلوّ. فالأدنى أبدا لا يزال في رتبته ثابتا، والأعلى له النزول، وله الثبوت في رتبته. ومِن ثبوته في رتبته حَكَم على نفسه بالنزول؛ فهو ثابتٌ في مرتبته العالية في عين نزوله؛ لأنّ النزول من أحكامها.
وكذلك فعل -تعالى- في سُفَرائه، الذين هم رسله إلى خلقه، من خلقه. فما أرسل رسولا ﴿إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[3]. فإذا أرسله عامّة[4]؛ كانت العامّةُ قَوْمَهُ؛ فأعطاه جوامع الكلم؛ وهو فصل الخطاب. وما كمل إلّا آدم بالأسماء، وكمال محمد ﷺ بجوامع الكلم؛ فنزل إليهم برسالة ربّهم بلسانهم؛ فما دعاهم إلّا بهم. ثمّ أنّه ما شرع لهم من الأحكام إلّا ما كانوا عليه؛ فما زادهم في ذلك إلّا كونها من عند الله. فيحكمون بها على طريق القربة إلى الله؛ لتورثهم السعادة عند الله.
وإنما قلنا: "ما شرع لهم من الأحكام إلّا ما كانوا عليه" لأنّه لم تَخْلُ أمّةٌ من الأمم عن ناموس تكون عليه؛ لمصالح أحوالها؛ وليست إلّا خمسة. فلا بدّ من واجب، أوجبه إمامهم وواضع ناموسهم عليهم، وهو: الواجب والفرض عندنا، وكذلك المندوب، والمحظور، والمكروه، والمباح؛ لأنّه لا بدّ لهم من حدود في الأحكام يقفون عندها عليها. وما جاءهم الشرع من عند الله، إلّا

١ [البقرة : ١١٥]
٢ هـ، س: العالم
٣ [إبراهيم : ٤]
٤ ص ٦٥ب

بهذا الذي كانوا عليه، من حكم نظرهم فيما يزعمون، وهو في نفس الأمر، مِن جَعْلِ اللهِ ذلك في نفوسهم من حيث لا يشعرون. ولذلك كان لهم بذلك أجرٌ من الله من حيث لا يعلمون، لكن إذا انقلبوا إليه وجدوا ذلك عنده.

فلمّا رأينا أنّه ما أرسل رسولا إلّا بلسان قومه، علِمنا أنّه ما تعرّف إلينا حين أراد منّا أن نعرفه، إلّا بما نحن عليه؛ لا[1] بما تقتضيه ذاته، وإن كان تعرَّف إلينا بنا مما تقتضيه ذاته. ولكن يختلف اقتضاء ذاته بين ما يتميّز به عنّا، وبين ما يتعرّف به إلينا.

ولمّا كان الخلق على مراتب كثيرة، وكان أكمل مرتبة فيه الإنسان؛ كان كلُّ صنف من العالم جزءا بالنظر إلى كمال الإنسان، حتى الإنسان الحيوان جزءٌ[2] من الإنسان الكامل. فكلُّ معرفة لجزء من العالَم بالله (هي) معرفة جزئيّة، إلّا الإنسان فإنّ معرفته بالله (هي) معرفة العالَم كلّه بالله؛ فعِلمه بالله عِلمٌ كلّيٌّ، لا علم كلّ. إذ لو كان علما كُلّا؛ لم يؤمر أن يقول: ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[3] أترى ذلك علما بغير الله؟ لا واللهِ؛ بل بالله.

فَخلق (اللهُ) الإنسانَ الكامل على صورته، ومكّنه، بالصورة، من إطلاق جميع أسمائه عليه: فردا فردا، أو بعضا بعضا. لا ينطلق عليه مجموع الأسماء معًا في الكلمة الواحدة؛ ليتميّز الربُّ من العبد الكامل. فما من اسم من الأسماء الحسنى، وكلّ أسماء الله حسنى، إلّا وللعبد الكامل أن يُدْعَى بها، كما له أن يدعو سَيِّدَهُ بها. ومن هذه الأسماء الإلهيّة ما يدعوه الحقُّ -تعالى- بها على طريق الثناء على العبد بها؛ وهي أسماء الرحمة، واللطف، والحنان. ومنها ما يدعوه بها على طريق المذمّة، مثل قوله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾[4] وكذلك كان في قومه يُدعى بهذا الاسم، ودعاه الحقُّ[5] به هنا سخريّة به على جهة الذمّ. قال -تعالى-: ﴿فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ. فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[6].

---

١ ص ٦٦
٢ ق: جزءا
٣ [طه : ١١٤]
٤ [الدخان : ٤٩]
٥ ص ٦٦ب
٦ [هود : ٣٨، ٣٩]

فلمّا أوجد (اللهُ) الكاملَ منّا على الصورة؛ عرفه الكاملُ من نفسه بما أعطاه من الكمال. وكان العبدُ الكاملُ حقًّا كلّه، وفني عن عينه في نفسه؛ لأنّه قابله بذاته. وقد جعل الله له مثالا في باب المحبّة؛ فعشَّق إليه ما عشَّق من العالم، من أيّ شيء كان: من فرس، أو دار، أو دينار، أو درهم. فما قابله به إلّا بالجزء المناسب؛ ففني منه ذلك الجزء المناسب لعشقه في ذلك، وبقي سائره صاحيا، لا حكم له فيه، إلّا إذا عشق شخصا مثله من جارية أو غلام؛ فإنّه يقابله بذاته كلّها، وبجميع أجزائه. فإذا شاهده؛ فني فيه بكلّه، لا بجزء منه؛ فيُغشى عليه؛ وذلك لكونه قابله بكلّه. كذلك العبدُ؛ إذا رأى الحقّ أو تخيّله؛ فني فيه عند مشاهدته؛ لأنّه على صورته؛ فقابله بذاته. فما بقي فيه جزءٌ يصحو حتى يَعْقِلَ به ما فني منه فيه.

وهكذا كلّ جزء من العالم مع الحقّ؛ إذا تجلّى له خشع له وفني فيه؛ لأنّ كلَّ ما هو عليه شيء من العالم هو صورةُ الحقّ بِمَا أعطاه منه. إذ لا يصحّ أن يكون[1] شيء من العالم له وجودٌ ليس هو صورة الحقّ. فلا بدّ أن يفنى العالَم في الحقّ إذا تجلّى له. ولا يفنى الحقّ في الخلق؛ لأنّ الخلق[2] من الحقّ، ما هو الحقُّ من الخلق. فنسبة الحقّ إلى الخلق نسبةُ الإنسان إلى كلّ صنف من العالَم، ما عدا نوع الإنسان. فتفطّن لما ذكرته لك من فناء كلّ شيء من العالَم عن نفسه عند تجلّيه -سبحانه- له، ولا يفنى الحقّ بمشاهدة الخلق. وقد جاء الشرع بِتَدَكْدُكِ الجَبَلِ، وصَعْقِ موسى عليه السلام عند التجلّي الربّاني[3]، فما عرفنا من الحقّ إلّا ما نحن عليه، وفينا الكامل والأكمل؛ فإنّ الله ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾[4].

فلمّا قرّر اللهُ هذه النّعم على عبده، وهداه السبيل إليها، قال: ﴿إِمَّا شَاكِرًا﴾ فيزيده منها؛ لأنّا قلنا: "إنّه[5] ما أعطاه إلّا منه" ما أعطاه مطلقًا ﴿وَإِمَّا كَفُورًا﴾[6] بِنِعَمِهِ؛ فيسلبها عنه، ويعذّبه على ذلك. فليحترز الإنسان لنفسه[7] في أيّ طريق يمشي؛ فما بعد بيان الله بيان. وقال موسى

---

١ ق: "تكوين" مع مسح نقطتي التاء وتحويلهما إلى فتحة، وما أثبتناه هنا فمن هـ، س
٢ ص ٦٧
٣ ق: "الزماني" وما أثبتناه فمن هـ، س
٤ [طه : ٥٠]
٥ ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب
٦ [الإنسان: ٣٠]
٧ ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب

ﷺ لبني إسرائيل: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ﴾[1] ينبّه أنّ الله - تعالى- ما أوجد العالَم إلّا للعالَم، وما تعبّده، بما تعبّده به، إلّا ليعرفه بنفسه؛ فإنّه إذا عرف نفسه عرف ربّه؛ فيكون جزاؤه، على علمه بربّه، أعظم الجزاء. ولذلك قال: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2] ولا يعبدونه حتى يعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه عبادة ذاتيّة، فإذا أمرهم عبدوه عبادة خاصّة، مع بقاء العبادة العامّة الذاتيّة؛ فجازاهم على ذلك؛ فما[3] خَلَقَهم إلّا لهم؛ ولهذا قال -تعالى- عن نفسه إنّه ﴿غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[4].

وما ذكر موسى الأرضَ إلّا لكمالها بوجود كلّ شيء فيها؛ وهو الإنسان الجامع حقائقَ العالَم بقوله: ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ لأنّها الذلول؛ فهي الحافظة مقام العبودة. فكأنّه قال: "إن تكفروا أنتم وكلٌّ عبد لله؛ فإنّ الله غنيّ عن العالمين". ولذلك جعل الله الأرض محلّ الخلافة ومنزلها، فكأنّه كنى، أي: "إنّي جاعل في الأرض[5] خليفة منهم، لا يزول عن مقام عبوديّته في نفسه"، أي لا تحجبه مرتبة الخلافة -بالصفات التي أمره بها- عن رُتبته؛ ولهذا جعلناه خليفة، ولم نذكره بالإمامة. لأنّ الخليفة يطلب -بحكم هذا الاسم عليه- مَن استخلفه؛ فيعلم أنّه مقهور، محكوم عليه. فما سَمّاه إلّا بما له فيه تذكرة؛ لأنّه مفطور على النِّسيان والسهو والغفلة؛ فيذكِّره اسم الخليفة لمن استخلفه.

فلو جعله إماما، من غير أن يسمّيه خليفة مع الإمامة؛ ربما اشتغل، بإمامته، عمّن جعله إماما، بخلاف خلافته؛ لأنّ الإمامة ليست لها قوّة التذكير في الخلافة. فقال في الجماعة الكمَّل: ﴿جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾[6] فوقع هذا في مسموعهم؛ فتصرّفوا في العالَم بحكم الخلافة. وقال لإبراهيم ﷺ بعد أن أَسْمَعَهُ خِلافةَ آدم ومَن شاء اللهُ من عباده: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾[7]

١ [إبراهيم : ٨]
٢ [الذاريات : ٥٦]
٣ ص ٦٧ب
٤ [آل عمران : ٩٧]
٥ كتب فوقها "صح" وفي الهامش بقلم آخر: "العبودية" مع صح أصل أول. وهي كذلك "العبودية" في س
٦ [فاطر : ٣٩]
٧ [البقرة : ١٢٤]

لمّا علِم أنّ الخلافة قد أُشْرِبها؛ فلا يُبالي بعد[1] ذلك أن يسمّيه بأيّ اسم شاء، كما يسمّى يحيي بسيِّد.

ولمّا عرفه العارفون به؛ تميّزوا عمّن عرفه بنظره. فكان لهم الإطلاق، ولغيرهم التقييد. فيشهده العارفون به في كلِّ شيء، أو عين كلّ شيء. ويشهده مَن عرفه بنظره منعزلا عنه بِبُعْدِ اقتضاه له تنزيهه؛ فجعل نفسَه في جانب، والحقَّ في جانب؛ فيناديه مِن مكان بعيد.

ولمّا كانت الخلافة تطلب الظهور بصورة مَن استخلفه والذي جعله خليفةً عنه؛ ذكر عن[2] نفسه أنّه على صراط مستقيم. فلا بدّ أن يكون هذا الخليفة على صراط. فنظر في الطرق فوجدها كثيرة: منها "صراط الله"، ومنها "صراط العزيز"، ومنها "صراط الربّ"، ومنها "صراط محمد" ﷺ، ومنها صراط النِّعم؛ وهو ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾[3]؛ وهو قوله: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[4]. فاختار هذا الإمام المحمدي سبيل محمد ﷺ وترك سائرِ السُّبُل، مع تقريرها وإيمانه بها. ولكن ما تعبّد نفسه إلّا بصراط محمد ﷺ، ولا تعبّد رعاياه إلّا به. وَرَدَّ جميع الأوصاف التي لكلِّ صراطٍ إليه؛ لأنّ شِرْعَتَهُ عامّة. فانتقل حكم الشرائع كلِّها إلى شرعه؛ فشرعُه يتضمّنها، ولا تتضمّنه.

فمنها صراط الله؛ وهو الصراط العام الذي عليه تمشي- جميع[5] الأمور فيوصلها إلى الله. فيدخل[6] فيه كلُّ شرع إلهيّ، وموضوع عقليّ. فهو يوصل إلى الله؛ فيعمّ الشقيّ والسعيد. ثمّ إنّه لا يخلو الماشي عليه إمّا أن يكون صاحبَ شهودٍ إلهيّ، أو محجوبا[7]. فإن كان صاحب شهود إلهيّ؛ فإنّه يَشهد أنّه مَسْلُوكٌ به؛ فهو سالك بحكم الجبر، ويرى أنّ السالك به هو رَبُّهُ -تعالى-، وربُّه على صراط مستقيم. كذا تلاه علينا ﷺ أنّ هودا ﷺ قاله، وهو رسولٌ من رسل الله.

١ ص ٦٨
٢ ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب
٣ [الفاتحة : ٧]
٤ [المائدة : ٤٨]
٥ ق: "جمع" والاختيار من ه، س
٦ ص ٦٨ب
٧ ق: أو محجوب

فلهذا يكون مآله إلى الرحمة. وإن أدركه في الطريق نَصَبٌ؛ فتلك أعراضٌ عرَضت له من الشئون التي الحقُّ فيها كلّ يوم، وذلك قوله -تعالى-: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[1] ولا يمكن أن يكون الأمر إلّا هكذا.

وما أَحَدٌ أكْشَفُ للأمور، وأَشْهَدُ للحقائق، وأَعْلَمُ بالطرق إلى الله؛ من الرسل -عليهم السلام- ومع هذا، فما سَلِموا من الشئون الإلهيّة؛ فعرَضتْ لهم الأمور المؤلمة النفسيّة: من ردّ الدعوة في وجهه، وما سمعه في الحقّ -تعالى- مما نزّه جلاله عنه، وفي الحقّ الذي جاء به من عند الله، وكذلك الأمور المؤلمة المحسوسة من الأمراض، والجراحات، والضرب في هذه الدار. وهذا أمر عامٌّ له ولغيره. وقد تساوى في هذه الآلام: السعيدُ والشقيُّ، وكلٌّ يجري فيه إلى أجل مسمّى عند الله.

فمنهم من يمتدّ أجلُه إلى حين موته، ويحصل في الراحة الدائمة، والرحمة[2] العامّة الشاملة. وهم الذين ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾[3] ولا يخافون على أنفسهم، ولا على أممهم؛ لأنّهم كانوا مجهولين في الدنيا والآخرة[4]، وهم الذين تغبطهم الرسل في ذلك لِمَا هم فيه من الراحة. لأنّ الرسل -عليهم السلام- يخافون يوم الفزع الأكبر على أممهم وأتباعهم، لا على أنفسهم. ومنهم مَن يمتدّ أجله إلى دخول الجنّة من العرْض، ومنهم من يمتدّ أجله في الآلام إلى أن يشفع فيه من الخروج إلى الجنّة من النار.

ومنهم مَن يمتدّ أجله في الآلام إلى أن يخرجه الله بنفسه، لا بشفاعة شافع؛ وهم الموحّدون بطريق النظر؛ الذين ما آمنوا، ولا كفروا، ولا عملوا خيرا لقول الشارع قطّ. فإنّهم لم يكونوا مؤمنين، ولكنّهم وحّدوا الله ﷻ وماتوا على ذلك. ومَن كان له علم بالله منهم، ومات عليه؛ جنى ثمرة علمه. فإن قدحتْ له فيه شبهة؛ حيّرته، أو صرفته عن اعتقاد ما كان يظنّ أنّه عِلْمٌ، وهو عِلْمٌ في نفس الأمر، ثمّ بدا له ما حيّره فيه، أو صرفه عنه؛ فعلِم يوم القيامة أنّ ذلك حقٌّ في

---

1 [الرحمن : ٢٩]
2 ص ٦٩
3 [الأنبياء : ١٠٣]
4 كتب في الهامش بقلم آخر: "ومعلومون للآخرة" مع إشارة التصويب، وفي س: "وهم في الآخرة معلومون"

نفس الأمر، وهو ممن أخرجه الله إلى الجنّة من النار؛ عاد عليه ثمرة ذلك العلم، ونال درجته.

ومنهم مَن يمتدّ أجلُه في الآلام ممن ليس بخارج من النار، وهو من أهلها القاطنين فيها، ومدّته معلومة عندنا، ثمّ[1] تعمُّه رحمةُ الله وهو في جهنّم؛ فيجعل الله له فيها نعيما بحيث أنّه يتألّم بنظره إلى الجنّة كما يتألّم أهل الجنّة بنظرهم إلى النار. فهؤلاء إن كان لهم عِلْمٌ بوجود الله، وقد دخلتهم شبهة في توحيد الله، أو في علم مما يتعلّق بجناب الله؛ حيّرته، أو صرفته إلى نقيض ما كان يعتقده. فإنّه يوم القيامة إذا تبيّن له أنّ ذلك كان علما في نفس الأمر؛ لا ينفعه ذلك التبيّن، كما لم ينفع الإيمان في الدنيا عند رؤية البأس. فذلك العلم هو الذي يُخلع على المؤمن الذي لم يكن له علم بالإله من الموحّدين المؤمنين، ويؤخذ جهل ذلك المؤمن الموحّد ويُلقى على هذا الذي هو من أهل النار؛ فيتنعّم في النار بذلك الجهل، كما كان يتنعّم به المؤمن الجاهل في الدنيا. ويتنعّم بذلك العلم المؤمنُ الذي خُلع عليه، الذي كان لهذا العالِم بوجود الله لا بتوحيده، وأنّه لَمّا وَحَّدَهُ؛ قدحتْ له شبهة في توحيده وعلمه بالله؛ حيّرته وصرفته.

وهذا آخر المُدَدْ لأصحاب الآلام في النار. وبعد انقضاء هذا الأجل؛ فنعيمٌ بكلّ وجهٍ أينما تولّى، ولا فرق بينه وبين عمّار جهنّم من الخزنة، والحيوانات. فهي تلدغه لما للحيّة والعقرب في ذلك اللدغ من النعيم والراحة. والملدوغ يجد، لذلك اللدغ[2]، لذّة واسترقادا في الأعضاء، وخَدَرًا في الجوارح؛ يلتذّ بذلك التذاذا. هكذا دائما أبدا؛ فإنّ الرحمة سبقتْ الغضب. فما دام الحَقُّ منعوتا بالغضب، فالآلام باقية على أهل جهنّم، الذين هم أهلها. فإذا زال الغضب الإلهيّ، كما قدّمنا، وامتلأ به النار؛ ارتفعت الآلام، وانتشر ذلك الغضب فيما في النار من الحيوانات المضرّة؛ فهي تقصد راحتها بما يكون منها في حَقِّ أهل النار، ويجد أهلُ النار من اللذّة ما تجده تلك الحيّة من الانتقام لله؛ لأجل ذلك الغضب الإلهيّ الذي في النار، وكذلك النار. ولا تعلم النار ولا مَنْ فيها أنّ أهلها يجدون لذّة لذلك، لأنّهم لا يعلمون متى أعقبتْهم الراحة، وحكمتْ فيهم الرحمة.

وهذا الصراط الذي تكلّمنا فيه (وهو صراط الله)، هو الذي يقول فيه أهل الله: "إنّ

---

1 ص ٦٩ب
2 ص ٧٠

الطرق إلى الله على عدد أنفاس الخلائق" وكلّ نفَس إنما يخرج من القلب، بما هو عليه القلب من الاعتقاد في الله؛ فالاعتقاد العامّ وجوده. فمن جعله الدهر؛ فوصوله إلى الله من اسمه "الدهر"؛ فإنّ الله هو الجامع للأسماء المتقابلة وغير المتقابلة. وقد قدّمنا أنّه -سبحانه- تسمّى بكلّ اسم يُفْتَقَرُ إليه، في قوله ﷻ في الكتاب العزيز: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[1] فإن[2] أنكر ذلك؛ فما أنكره الله ولا الحال. وكذلك مَن اعتقد أنّه الطبيعة؛ فإنّه يتجلّى له في الطبيعة. ومَن اعتقد أنّه كذا، كان ما كان، فإنّه يتجلّى له في صورة اعتقاده، وتجري الأحكام كما ذكرنا، من غير مزيد، فافهم.

وأمّا صراط العزّة. وهو قوله تعالى: ﴿إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[3] فاعلم أنّ هذا صراط التنزيه؛ فلا ينالُ ذوقا إلّا من نزّه نفسَه أن يكون ربّا أو سيّدا من وجهٍ مّا، أو من كلّ وجه. وهذا عزيز؛ فإنّ الإنسان يغفل ويسهو وينسى، ويقول: "أنا" ويرى لنفسه مرتبة سيادة، في وقت غفلته، على غيره من العباد. فإذ ولا بدّ من هذا؛ فليجهد أن يكون عند الموت عبدا محضًا ليس فيه شيء من السيادة على أحد من المخلوقين، ويرى نفسه فقيرةً إلى كلّ شيء من العالَم، من حيث أنّه عينُ الحقّ، من خلف حجاب الاسم الذي قال الله فيه لمن لا علم له بالأمر: ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾[4]. وَلَمّا كان الإنسان فقيرا بالذات، احتجب الله له بالأسباب، وجعل نظر هذا العبد إليها وهو من ورائها. فأثبتها عينا، ونفاها حكما، مثل قوله -تعالى- لمحمد ﷺ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾[5] ثمّ أعقبَ هذه[6] الآية بقوله: ﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا﴾[7] فجعل ذلك بلاء، أي اختبارا.

وهذا الصراط العزيز الذي ليس لمخلوقٍ قَدم في العلم به؛ فإنّه صراط الله الذي عليه ينزل

١ [فاطر : ١٥]
٢ ص ٧٠ب
٣ [إبراهيم : ١]
٤ [الرعد : ٣٣]
٥ [الأنفال : ١٧]
٦ ص ٧١
٧ [الأنفال : ١٧]

إلى خلقنا، وعليه يكون معنا أينما كُنّا، وعليه نزل من العرش إلى السماء الدنيا وإلى الأرض، وهو قوله: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾[1]، وعليه يقرب من عبده أضعاف ما يتقرّب إليه عبده، إذا سعى إليه بالطريق التي شرع له. فهو يهرول إليه إذا رآه مقبِلا ليستقبله؛ تَهَمُّمًا بعبده، وإكراما له، ولكن على صراط العزّة. وهو صراط نزول، لا عروج لمخلوق فيه. ولو كان لمخلوق فيه سلوكٌ؛ ما كان عزيزا. وما نزل إلينا إلّا بنا؛ فالصفة لنا، لا له. فنحن عين ذلك الصراط، ولذلك نعتَه بالحميد، أي بالحامد المحمود. لأنّ "فعيل" إذا وَرَدَ (فإنّه) يطلب اسم الفاعل والمفعول؛ فإمّا أن يُعطي الأمرين معا، مثل هذا، وإمّا أن يعطي الأمر الواحد لقرينة حال؛ وقد أثنى على نفسه؛ فهو الحامد المحمود.

وأعظمُ ثناء أثنى (الله) به على نفسه عندنا (هو) كونه خلق آدم على صورته، وسمّاه بأمّهات الأسماء التي يدخل كلّ اسم تحت إحاطتها. ولذلك قال ﷺ: «أنت كما أثنيتَ على نفسك» فأضاف النفْسَ[2] الكاملة إلينا إضافة مِلك وتشريف لمّا قال: «مَن عرف نفسَه عرف ربّه». فكلّ ثناء أثنى الله به على الإنسان الكامل -الذي هو نفسه، لكونه أوجده على صورته- كان ذلك الثناءُ عينَ الثناء على الله، بشهادة رسول الله ﷺ وتعريفه إيّانا، في قوله ﷺ: «أنت كما أثنيت على نفسك» أي: كلّ ما أثنيت به على مَن خلقته على صورتك؛ هو ثناؤك عليك. ولَمّا كان الإنسان الكامل (هو) صراط العزيز الحميد؛ لم يكن للصراط؛ فهو يسلك فيه، ولا يتّصف الصراط بالسلوك؛ فلهذا سمّاه بالعزيز؛ أي ذلك ممنوع لنفسه. فالحقّ -سبحانه- يختصّ بالنزول فيه، كما أخبر عن نفسه: من النزول، والهرولة. والعبد العارف، على الحقيقة، ما يسلك إلّا في الله؛ فالله صراطه، وذلك شرعه:

بِـهِ رِباطِـي وبِنَـا رِباطُـهُ ... فَهْوَ صِراطِي وأَنا صِراطُهُ
فانْظُرْ مَقالِي فَهْوَ قَوْلٌ صادِقٌ ... مُحَـكَّمٌ مُحَقَّـقٌ مَناطُـهُ
فَهْـوَ حَبِيْـبِي وأَنا بِـهِ فَقَـدْ ... حَـوَاهُ قَلْبِي فَـأَنا فُسْـطاطُهُ

١ [الأنعام : ٣]
٢ ص ٧١ب

عَـزَّ[1] فَمَـا تُدْرِكُـهُ أَبْصَـارُنا ... لِقُرْبِـهِ فَقَـدْ طُـوِيْ بِسَـاطُهُ

فَبُعْـدُهُ لِقُرْبِـهِ لَـيْسَ سِـوَى ... هَذَا، وَما قَدْ قُلْتُهُ اسْتِنْبَاطُهُ

فهو على صراط عزيز لأنّه الخالق؛ فلا قدم لمخلوقٍ فيه. ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ لا يجدونه أصلا: لا علما ولا عينا ﴿بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[2] لأنّه كلّ ما عُلِم فقد بان. والله -تعالى- أخرجنا من ظلمة العدم إلى نور الوجود؛ فكنّا نورا بإذن ربّنا إلى صراط العزيز الحميد؛ فنقلّنا من النور إلى ظلمة الحيرة. ولهذا، إذا سمعناه يثني على نفسه؛ فنرى ذلك في نفوسنا، وإذا أثنى علينا؛ فنرى ما أثنى به علينا هو ثناؤه على نفسه. ثمّ ميّزنا عنه، وميّز نفسه عنّا بـ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[3]. وبما عَلِمَ وجهلناه، وبما نحن عليه من الذلّة ويتعالى عن هذا الوصف في نفسه؛ فنقول: "نحن هو، ما نحن هو" بعد ما قلنا إذ أخرجنا من الظلمات إلى النور: "هو هو، ونحن نحن" فتميّزنا.

فلمّا جاء بالثناء بعد وجودنا، ثناءً منه على نفسه وعلينا، وكلّفنا بالثناء عليه؛ أوقفنا في الحيرة: فإن أثنينا عليه بنا؛ فقد قيّدناه، وإن أطلقناه كما قال: «لا أُحصي ثناء عليك»؛ فقد قيّدناه بالإطلاق؛ فميّزناه. ومَنْ[4] تَقيَّدَ؛ فلا يوصف بالغنى؛ فإنّ التقييد يربطه؛ إذ قد أدرك المحدَث إطلاقه -تعالى-، وقد قال عن نفسه: إنّه ﴿غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[5] فحيّرنا؛ فلا ندري ما هو ولا ما نحن. فما أظنُّ، والله أعلم، (أنّه) أمرنا بمعرفته، وأحالنا على نفوسنا في تحصيلها؛ إلّا لعلمه أنّا لا ندرك ولا نعلم حقيقة نفوسنا، ونعجز عن معرفتنا بنا؛ فنعلم أنّا به أعجز؛ فيكون ذلك معرفةً به، لا معرفة.

وَغَيْرُ هَذَا فَلا يَكُونُ ... فإنَّـهُ ظَـاهِرٌ مُبِـينُ

فاصْغ إلَى قَوْلِنا تَجِدْهُ ... عِلْمًا وَقَد جاءَكَ اليَقِينُ

---

[1] ص ٧٢

[2] [لقمان : ١١]

[3] [الشورى : ١١]

[4] ص ٧٢ب

[5] [آل عمران : ٩٧]

فالجهل صفة ذاتيّة للعبد، والعالَم كلّه عبد، والعلم صفة ذاتيّة لله. فخذ مجموع ما أشرتُ إليه في هذا؛ تجده الصراط العزيز.

وأمّا "صراط ربّك" فقد أشار إليه -تعالى- بقوله: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ يقول: كأنّما يخرج عن طبعه، والشيء لا يخرج عن حقيقته ﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ. وَهَذَا﴾ فأشار إلى ما تقدّم ذِكْره ﴿صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾[1] وما ذكر إلّا إرادته الشرحَ والضِّيق؛ فلا بدّ منهما في العالَم؛ لأنّه ما يكون إلّا ما يريد، وقد وُجِدَ. ثمّ وصف[2] نفسه، يعني بالغضب، والرضا، والتردّد، والكراهة. ثمّ أوجب، فقال: ومع الكراهة «فلا بدّ له من لقائي» فهذا عين قوله: ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ فهو كالجبر في الاختيار. فمن ارتفع عنه أحد الوصفين من عباد الله؛ فليس بكامل أصلا. ولنا قال في حقّ الكامل: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾[3] ﴿فَاصْبِرْ﴾[4] وهو الصبور على أذى خلقه.

وسمّى هذا الصراط: صراط الربّ؛ لاستدعائه المربوب. وجعله مستقيما؛ فمن خرج عنه فقد انحرف وخرج عن الاستقامة. ولهذا شرع لنا الودّ في الله، والبغض في الله. وجعل ذلك من العمل المختصّ له، ليس للعبد فيه حَظٌّ إلّا ما يعطيه اللهُ من الجزاء عليه؛ وهو أن يعادي اللهُ مَن عادى أولياءه، ويُوالي مَن والاهم. فالسالك على صراط الربّ هو القائم بالصفتين، ولكن بالحقّ المشروع له لله، لا لنفسه. فإنّ الله لا يقوم لأحد من عباده إلّا لمن قام له، ولهذا قال: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾[5] وحقُّ الله أحقُّ بالقضاء من حقِّ المخلوق إذا اجتمعا؛ فإنّه ليس لمخلوق حقٌّ إلّا بجعل الله. فإذا تعيَّن الحقّان في وقتٍ مّا؛ بدأ العبد الموفَّق بقضاء حقّ الله الذي هو له، ثمّ أخذ في أداء حقّ المخلوق الذي أوجبه الله. وهذا خلاف ما عليه اليوم الفقهاء[6] في

---

[1] [الأنعام : ١٢٥، ١٢٦]

[2] ص ٧٣

[3] [الحجر : ٩٧]

[4] [الروم : ٦٠]

[5] [المائدة : ٥٤]

[6] ص ٧٣ب

الوصيّة والدَّيْن؛ فإنّ الله -تعالى- قدَّم الوصيّة على الدَّيْنِ، والوصيّةُ حقُّ الله. وقال ﷺ: «حقُّ الله أحقُّ أن يقضى». فمن سامح في حقّ الله؛ عاد عليه عملُه؛ فيسامَح في حقِّه. فإن تكلَّم، قيل له: كذلك فعلتَ، فاجْنِ ثمرة غرسك.

وصراط الربّ لا يكون إلّا مع التكليف؛ فإذا ارتفع التكليف لم يبق لهذا الصراط عينٌ وجوديّة. ولهذا يكون المآل إلى الرحمة، وإزالة حكم[1] الغضب الإلهيّ في العاصين. وقول هود عليه السلام: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[2] يعني فيما شَرَع مع كونه -تعالى- آخذا بنواصي عباده إلى ما أراد وقوعه منهم، وعقوبته إيّاهم مع هذا الجبر. فاجعل بالك، وتأدّب، واسلك سواء السبيل.

وأمّا صراط النِّعم، وهو صراط الذين أنعم الله عليهم وهو قوله -تعالى-: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى-﴾[3] وذكر الأنبياء والرسل ثمّ قال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[4] وهذا هو الصراط الجامع لكلّ نبيّ ورسول، وهو إقامة الدين، وأن لا يُتفرّق فيه، وأن يُجتمَعَ عليه. وهو الذي بوّب عليه البخاري باب: "ما جاء أنّ الأنبياء دِيْنُهُمْ واحِدٌ" وجاء بالألف واللام في الدِّين للتعريف؛ لأنّه كلّه من عند الله وإن اختلفت بعض أحكامه. فالكلّ[5] مأمور بإقامته، والاجتماع عليه. وهو المنهاج الذي اتّفقوا عليه. وما اختلفوا فيه من الأحكام؛ فهو الشِّرعة التي جعل الله لكلّ واحد من الرسل. قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾[6] فلم تختلف شرائعكم، كما لم يختلف منها ما أُمرتم بالإجماع[7] فيه وإقامته.

فلمّا كان الاختلاف منه، وهو أهل العدل والإحسان، وكان في الناس الدّعوى: في نسبة أفعالهم إليهم، واختيارهم فيما اختاروه، ولم يسندوا الأمر إلى أهله وإلى مَن يستحقّه؛ نزل الحكم

١ ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٢ [هود : ٥٦]
٣ [الشورى : ١٣]
٤ [الأنعام : ٩٠]
٥ ص ٧٤
٦ [المائدة : ٤٨]
٧ هـ، س: بالاجتماع

الإلهيّ على الرسل؛ بكون هذا سيّئا وهذا حسنا، وهذا طاعة وهذا معصية، ونزل الحكم الإلهيّ على العقول؛ بأنّ هذا -في حقّ مَن يلائم طبعه ومزاجه، أو يوافق غرضه- حسنٌ، وهذا -الذي لا يوافق غرضه، ولا يلائم طبعه- ليس بحسنٍ. ولم يسندوا الأمر إلى عين واحدة؛ فجوزوا بما جُوزوا لهذا الأمر. فعدل، فيما حكم به من الجزاء، بالسُّوء، وأحسن بعد الحكم ونفوذه؛ بما آل إليه عباده من الرحمة، ورَفْع الأمور الشاقّة عليهم؛ وهي الآلام. فعمّت رحمتُه كلَّ شيء.

وأمّا الصراط الخاص، وهو صراط النبيّ ﷺ الذي اختصّ به دون الجماعة، وهو القرآن؛ حبل الله المتين وشرعه الجامع، وهو قوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ[1] وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[2] يعني هذا الصراط المضاف إليه. وذلك أنّ محمدا ﷺ كان نبيّا وآدم بين الماء والطين، وهو سيّد الناس يوم القيامة؛ بإخباره إيّانا بالوحي الذي أوحي به إليه، وبعثته العامّة؛ إشعارا بأنّ جميع ما تقدّمه من الشرائع بالزمان إنما هو من شرعه؛ فنَسخ ببعثته منها ما نَسخ، وأبقى منها ما أبقى، كما نَسخ ما قد كان أثبته حكما. ومن ذلك كونه أوتي جوامع الكلِم، والعالم كلمات الله؛ فقد آتاه الله الحكم في كلماته. وعمّ وختم به الرسالة والنبوّة؛ كما بدأ به باطنا خَتَم به ظاهرا. فله الأمر النبويّ مِن قبل ومن بعد.

فورثته الذين لهم الاجتهاد في نَصْبِ الأحكام (هم) بمنزلة الرسل الذين كانوا قبله بالزمان. فمَن ورث محمدا ﷺ في جمعيّته؛ فكان له من الله تعريفٌ بالحكم؛ وهو مقامٌ أعلى من الاجتهاد؛ وهو أن يعطيه الله بالتعريف الإلهيّ أنّ حكم الله الذي جاء به رسولُ الله ﷺ في هذه المسألة هو كذا؛ فيكون في ذلك الحكم بمنزلة مَن سَمِعه من رسول الله ﷺ وإذا جاءه الحديث عن رسول الله ﷺ رجع إلى الله فيه؛ فيعرف صحّة الحديث من سَقمه، سَوَاء[3] كان الحديث عند أهل النقل من الصحيح أو مما تُكلِّم فيه. فإذا عرف هذا؛ فقد أخذ حكمه من الأصل.

١ ص ٧٤ب
٢ [الأنعام : ١٥٣]
٣ ص ٧٥

وقد أخبر أبو يزيد بهذا المقام، أعني الأخذ عن الله، عن نفسه أنّه ناله، فقال، فيما روينا عنه، يخاطب علماء زمانه: "أخذتم علمكم ميّتا عن ميّت، وأخذنا علمنا عن الحيّ الذي لا يموت". ولنا -بحمد الله- في هذا المقام ذوقٌ شريف فيما تَعَبَّدَنا به الشرعُ من الأحكام. وهذا مما بقي لهذه الأمّة من الوحي، وهو التعريف، لا التشريع. وأمّا أهلُ الاجتهاد فأَحكامُهُمْ (هي) تشريعُ الشرع. إذا أخطؤوا؛ فإنّ رسول الله ﷺ هو المقرّر لذلك الحكم. فما هو تشريع لهم، وإنما هو تشريع رسول الله ﷺ وإذا أصاب المجتهد؛ فهو صاحب نقل شرع، كلُّ ذلك في نفس الأمر. فإنّ المخطئَ من المجتهدين والمصيبَ واحدٌ، لا بعينه. لكنّ المصيبَ، في نفس الأمر، ناقلٌ، والمخطئَ، في نفس الأمر، مقرِّرُ حكمٍ مجهول لم يُعلم إلّا عند نظر هذا المجتهد؛ فهو معلوم عند الله قبل كونه.

فما قرّر الشارع، وهو الرسول، إلّا الحكم المعيَّن، المعلوم عند الله، وما هو عنده بمعلوم على التفصيل والتعيين؛ فكأنّ حكمَ المجتهد المخطئ تشريعٌ لا تشريع. وأهل الله ما لهم حكم في الشرع إلّا ما هو المحكوم به على التعيين عند رسول الله ﷺ. وهم[1] الورثة على الحقيقة. فإنّ الوارث لا يرث إلّا ما كان مِلكا للموروث عنه إذا مات عنه. وحكم المجتهد المخطئ ما هو مِلك له عينه حتى يورث عنه؛ فليس بوارث؛ لأنّ ما عنده سِوَى تقرير ما أدّاه إليه نظرُهُ، ذلك أباحَ له رسول الله ﷺ فهو كالعَصَبَة؛ لا نصيب لهم في الميراث على التعيين، إنما لهم ما بقي بعد إلحاق الفرائض بأهلها، وكتوريث أُولي الأرحام والمسلمين بعد أخذ الفرائض.

فإن مات عن غير صاحب فريضة؛ كرسول ونبيّ؛ مات وما اتّبعه واحد؛ فيحشر مفردا. فقد يرثه -في خُلُقِهِ، أو في حاله، لا في حكمه- مِن هذه الأمّة مَنْ صادف ذلك الحال أو الحكم. وأمّا الإيمان به، فقد آمن به كلُّ مَنْ آمن بمحمد ﷺ، فأمّة محمد ﷺ المؤمنة به (هم) أتباع كلّ نبيّ، وكلّ كتاب، وكلّ صحيفة جاء أو نزل من عند الله؛ في الإيمان به، لا بالعمل بالحكم. فما بقي نبيّ إلّا وقد أُومِنَ به. فالنبيُّ محمد ﷺ له الأمام والتقدُّم، وجميع الرسل والأنبياء خلفه في صفٍّ، ونحن

١ ص ٧٥ب

خلف الرسل وخلف محمد (ص).

ومن الرسل من تكون له صورتان في الحشر: صورة معنا، وصورة مع الرسل؛ كعيسى. وجميع الأمم خلفنا، غير أنّ لنا صورتين[1]: صورة في صفّ الرسل -عليهم السلام- وليست[2] إلّا لعلماء هذه الأمّة، وصورة خلف الرسل من حيث الإيمان بهم. وكذلك سائر الأمم لهم صورتان: صورة يكونون بها خلفنا، وصورة يكونون بها خلف رسلهم. فوقتا يقع نظر الناظر على صورهم خلفنا، ووقتا خلف رسلهم، ووقتا على المجموع. فهذه أحوال العلماء في الآخرة في حشرهم.

وأمّا ورثةُ[3] الأفعال؛ فهم الذين اتّبعوا رسولَ الله ﷺ في كلّ فعل، كان عليه، وهَيْئَةٍ، مما أبيح لنا اتّباعه، حتى في عدد نكاحه، وفي أكله وشربه، وجميع ما يُنسب إليه مِن الأفعال التي أقامه الله فيها: مِن أوراد، وتسبيح، وصلاة؛ لا ينقص من ذلك. فإن زاد عليها بعد تحصيلها؛ فما زاد عليها إلّا مِن حكم قوله ﷺ. فهذه وراثة أفعاله.

وأمّا وراثة أحواله فهو ذوقُ ما كان يجده في نفسه في مثل الوحي بالمَلَك؛ فيجد الوارث ذلك في اللمّة الملكيّة، ومِن المَلَك الذي يسدّده، ومِن الوجه الخاصّ الإلهيّ بارتفاع الوسائط، وأن يكون الحقُّ عينَ قوله، وأن يقرأ القرآن منزّلا عليه؛ يجد لذّة الإنزال ذوقا على قلبه عند قراءته؛ فإنّ للقرآن -عند قراءة كلّ قارئ، في نفسه أو بلسانه- تنزُّلا إلهيّا، لا بدّ منه.

فهو محدَث التنزّل والإتيان عند قراءة كلّ قارئ، أيّ[4] قارئ كان. غير أنّ الوارث بالحال يُحِسُّ بالإنزال، ويلتذّ به التذاذًا خاصّا لا يجده إلّا أمثاله. فذلك صاحب ميراث الحال. وقد ذقناه حالا بحمد الله. وهو الذي قال فيه أبو يزيد: "لم أمت حتى استظهرتُ القرآن" وهو وجود لذّة الإنزال من الغيب على القلوب.

وما عدا هؤلاء فإنما يقرءون القرآن من خيالهم؛ فهم يتخيّلون صور حروفه المرقومة -إن كان

١ ق: صورتان
٢ ص ٧٦
٣ ق: "وراثة" وما أثبتناه فمن هـ، س
٤ ص ٧٦ب

حفظ القرآن من المصاحف والألواح- أو يتخيّلون صور حروف ما تلقّنوه من معلّميهم، هذا إذا كانوا عاملين به. وأمّا إذا قرءوه من غير إخلاص فيه؛ فلا يجاوز حناجرهم، أي لا يقبل الله منه شيئا؛ فيبقى في محلّ تلاوته، وهو مخرج الصوت. فلا يقرأ القرآن من قلبه إلّا صاحب التنزّل، وهو الذوق الميراثيّ. فَمن وَجَدَ ذلك فهو صاحبه؛ يَعرف ذلك عند وجوده إيّاه؛ فلا يحتاج فيه إلى معرِّف؛ فإنّه يفرّق، عند ذلك، بين قراءته من خياله، وبين قراءته عن تنزيل ربّه مشاهدة.

وما ثَمّ أَمْرٌ آخرُ لنبيّ أو رسول يقع فيه ميراث. إنما هو قولٌ، أو فعلٌ، أو حالٌ. فالوارث الكامل مَنْ جَمَعَ، والوارث الناقص مَنْ اقتصر على بعض هذه المراتب.

واعلم أنّ هذا المنزل هو منزل مَن اتّصف بالخلّة من الأنبياء -عليهم السلام- فمن حصل له؛ حصل له نصيبٌ من الخُلّةِ الإلهيّةِ، وضُرِبَ[1] له فيها بِسهم. والكلام فيها طويل لا يفي الوقت بتفصيله.

فلنذكر ما فيه من العلوم كسائر المنازل؛ فنقول:

فيه عِلْمُ رحمة الخِلّان، والفرق بينها وبين رحمة المحبوبين والأبناء والآباء والمستلذّات كلّها.

وفيه عِلْمُ حلاوة التنزّل؛ وأين يُحِسُّ بها من نفسه مَن ينزل عليه القرآن جديدا عند تلاوته؟

وفيه عِلْمُ الأغيار، والأسرار، والأنوار، والهداية، وأنواع المحامد، والمراتب الخاصّة بكلّ نفس مما لا يقع لأحد معه فيها اشتراكٌ. وذلك أنّا نعلم أنه لكلّ نفس صفة، أو حقيقة، تختصّ بها، تميّز عن كلّ شيء في العالَم، لا بدّ من ذلك. فإذا جاءها الأمر الإلهيّ من طريق تلك الحقيقة الخاصّة، فإنّ ذوقه ذلك مقصور عليها. وهذا أدنى حظّ النفس من مقام العزّة الإلهيّة؛ فإنّه لكلّ نفس وإن لم تشعر به، وهو كفعل الأمور الطبيعيّة بالخاصّيّة؛ كالمغناطيس وأشباهه. غير أنّ الخاصّيّة في الأمور الطبيعيّة على نوعين: بالأفراد وبالمجموع، وفي المزاج الخاص: فإنّ الخواصّ الطبيعيّة ما تسري في كلّ مزاج ولا في كلّ صورة، وخاصّيّة أهل الله -إذا وقفوا عليها ذوقا من أنفسهم- سَرَى حكمها في كلّ ما في العالَم.

١ ص ٧٧

وفيه[1] عِلْمُ الملكوت، والمشاهدة، ورؤية المعدوم في حال عدمه؛ من غير تخيُّل، ولا تمثُّل، ولا بإدراك خيال؛ بل بالبصر الحسّيّ.

وفيه عِلْمُ أسباب التحيُّر والحيرة.

وفيه عِلْمُ ما يعلم الإنسان إلّا ما يعطيه استعداده إذا استعمله، أو فِجّه؛ لا يقبل فوق ذلك؛ فإنّه ليست له قوّة القبول.

وفيه عِلْمُ الرسل والرسالة.

وفيه عِلْمُ أنّ الإنسان عالم بالذات، إلّا أنّه ينسى. فكلّ علم يحصل له إنما هو تذكُّرٌ، ولا يَشعر به أنّه تَذكُّرٌ إلّا أهلُ الله.

وفيه عِلْمُ البلايا والنِّعم.

وفيه عِلْمُ الفُرقان في التعريف بين التقرير والتوبيخ، وما يكون على طريق المنّة أو المطالبة؟

وفيه عِلْمُ صفات التنزيه في الأفعال، وأنّ كلَّ طَلَبٍ في العالَم، أو مِن كلّ طالب، إنما هو طلب ذاتيّ؛ ما ثَمّ طلب عارض لا يكون بالذات. هذا لا يكون، وإنما يعرِض للشخص أمرٌ مّا لم يكن عنده، فهذا الأمر الذي حصل عنده هو الذي يكون له الطلب الذاتيّ للمطلوب، وانحجب الناس بمن قام به ذلك الأمر العارض[2]، وهو الذي يسمّونه طالبا. وليس الطالب إلّا ذلك الأمر.

فالطلب له ذاتيّ، والشخص الذي قام به هذا الأمر مستخدَم له؛ إذ قد كان موجودا وهو فاقد لهذا الطلب؛ فعلمنا أنّه طلب مستخدم في أمرٍ مّا؛ أوجب عليه هذا الأمر الذي حلّ به. فالطلب ذاتيٌّ لذلك الأمر، وقد استخدم في تحصيله هذا الشخص الذي نزل به، ولا شعور للناس بذلك.

وفيه عِلْمُ النظر، والتفكّر، والاعتبار. وأنّ العالَم بعضه لبعضه عبرة.

وفيه عِلْمُ ما يختصّ به الله من العلوم المتفرّقة في العالَم، وذلك جمعيّتها. لا يعلم ذلك إلّا الله،

١ ص ٧٧ب
٢ ص ٧٨

هذا فيما دخل في الوجود منه، مع علمه بما لم يدخل في الوجود، ولا اتّصف بالعلم به مخلوق. فله من علم الدنيا علم الجمعيّة بما أضيف إليه مِن عِلمِ الأُخرى، لا بدّ من ذلك.

وفيه عِلمُ الاستدلال بالمحدَث على القديم، وما يحصل في النفس من ذلك. فإنّ القديم لا يحصل في النفس، وإن حصل المحدَث فما هو المطلوب. وكلُّ حاصل محدَث.

وفيه عِلمُ ما يكون التوكّلُ فيه شكرا[1] لله -تعالى-.

وفيه عِلمُ مَن قام به معنى أوجب له اسما يستحقُّه، ومِن هنا تعرف أسماء الله الحسنى من أسمائه؛ فإنّ أسماء الله في الكون (هي) عن آثار هذه النفوس، وأسماء الكون (هي) عن المعاني القائمة به. فالحقُّ منزّهٌ في أسمائه، واحد العين. والكون متكثّر بأسمائه؛ لقيام المعاني به التي أوجبتْ له الأسماء.

وفيه عِلمُ أسباب الميراث.

وفيه عِلمُ مَنْ ظفر، ومَنْ خاب، والكلُّ طالب.

وفيه عِلمُ مشاهدة الموت مع كونه نِسبة عدميّة، وفي مَن يحكم؟ وأنّه لا حكم للموت في مَن لا تركيب فيه. وكلُّ مركّب بالوضع فإنّه يقبل الموت، فإن لم يمت فذلك لأمر آخر اقتضته المشيئةُ الإلهيّة، وقد يجعل له سببا ظاهرا أو معلوما، وقد لا يكون إلّا حكم عين المشيئة خاصّة.

وفيه عِلمُ الحكم على الله بما يقتضيه، من حيث ما هو ممكن، لا بما هو الله عليه. وقد ورد في القرآن من ذلك كثيرٌ، ولكن لا يعلم معنى ذلك إلّا العلماء بما تعطيه حقائق الموجودات، والعالِمون بماهيّة الأشياء.

وفيه[2] عِلمُ يوم القيامة، والحشر، والنشر، وما يختصّ به ذلك اليوم من الحكم؟ ومَن هو الحاكم فيه؟ ومراتب المتصرّفين فيه.

وفيه عِلمُ الأمر المقضيّ في ذلك اليوم؛ ما هو؟

وفيه عِلمُ تشبيه الإنسان بالنبات، من حيث ما هو شجر، لا من حيث ما هو نجمٌ. ومن هنا

١ ص ٧٨ب
٢ ص ٧٩

نُهي أن يقرب الشجرة آدمُ؛ فهو تنبيه على نهيه أن يقرب أغراض نفسه وهواها، وهو قوله: ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾[1] وهو إرادة النفس ما لم يشرع لها العمل به، أو تركه.

وفيه عِلمُ التمكين والثبات[2] على علم ما تعطيه الحقائق في القول والفعل.

وفيه عِلمُ ما يحمد من التبديل والتلوين؟ وما يُذمّ؟

وفيه عِلمُ الإمهال والإهمال المقصود.

وفيه عِلمُ حكمة التسخير الكونيّ والإلهيّ.

وفيه عِلمُ إفراد ذات الحقّ بالألوهة.

وفيه عِلمُ الاقتداء، وبمن ينبغي (أن) يُقتدى؟

وفيه عِلمُ تقييد الثناء بالحال، وإطلاقه بالقول.

وفيه عِلمُ ما يظهر في الوجود أنّه معلوم وظاهر عن علم متعلّق به أوجب له ذلك الظهور.

وفيه[3] عِلمُ كون الإنسان مع علمه أنّ الله لا يتقيّد بالجهات، وهو أقرب من حبل الوريد، وهو -مع هذا كلّه- يُتوهّم فيه جهة الفوق، والتحديد لا تعطيه نشأته أن يخلو عن حكم الوهم على عقله؛ فيعقل حقيقةَ الأمر مع حُكم وَهْمِهِ من غير تأخُّر؛ فيجمع في الآن بين حكم العقل والوهم، كما جمع بين الأمور التي كان بها إنسانا؛ كذلك يجمع بين أحكامها.

وفيه عِلمُ مراتب القرآن في الناس؛ فيكون في حكم طائفة على غير حكمه في طائفة أخرى.

فهذا بعض ما يحوي عليه هذا المنزل من العلوم مجملا

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[4].

١ [النازعات : ٤٠]
٢ رسمها في ق: والنبات
٣ ص ٧٩ب
٤ [الأحزاب : ٤]

الباب الأحد والسبعون وثلاثمائة
في معرفة منزل سرٍّ وثلاثة أسرار لوحيّة أُمّيّة محمّديّة

لَوْ وَجَدْنا مَلِكًا نَسْتَعْبِدُهُ ... أَوْ فَتًى ذَا كَرَمٍ نَسْتَرْفِدُهُ
لَبَذَلْنا مُهَجَ النَّفْسِ لَهُ ... واتَّخَذْناهُ إِمَامًا نَقْصِدُهُ
إِنَّمَا الخَلْقُ عِيالٌ كُلُّهُ ... والذي قامَ بِهِمْ لا أَجْحَدُهُ
وَكَمَا قامَ بِهِمْ قاموا بِهِ ... فالتَفِتْ رَمْزِي تَرَى ما أَقْصِدُهُ
وَكَمَا كُنّا بِهِ كانَ بِنا ... وبِهَذا القَدْرِ كُنّا نَعْبُدُهُ
وإذا[1] لَمْ يَكُ عَيْنِي لَمْ يَكُنْ ... وإذا ما لَمْ يَكُنْ لا أَشْهَدُهُ
فَغِناهُ غَيْرُ مَعْلُومٍ لَنا ... إِذْ تَعالَى وَتَعالَى مَشْهَدُهُ
إِنَّمَا الحَقُّ الذي أَعْرِفُهُ ... والِدُ الكَوْنِ وكَوْنِي وَلَدُهُ

قوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾[2].

اعلم أنّ الله هو اللطيف، الخبير، العليّ، القدير، الحكيم، العليم، الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[3] فنزّه وشبّه؛ فتخيّل مَن لا علم له أنّه شبّه، لكن اللفظ المشترك هو الذي ضُمّن ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[4] مرجع الدرك.

ولمّا خلق الله الأشياء، وذكر أنّ ﴿لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[5] وضع الأسباب، وجعلها له كالحجّاب؛ فهي توصّل إليه -تعالى- كلّ مَن علمها حجّابا، وهي تصدّ عنه كلّ مَن اتّخذها أربابا. فذكرت الأسبابُ في أنبائها: أنّ الله من ورائها، وأنّها غير متصلة بخالقها؛

١ ص ٨٠
٢ [الحجر : ٨٥]
٣ [الشورى : ١١]
٤ [ق : ٣٧]
٥ [الأعراف : ٥٤]

فإنّ الصنعة لا تعلمُ صانعَها، ولا منفصلة عن رازقها؛ فإنّها عنه تأخذ مضارّها ومنافعها. فخلَق الأرواحَ[1] والأملاكَ، ورفعَ السماوات قبّة فوق قبّة على عَمَدِ الإنسان، وأدار الأفلاك، ودَحى الأرض؛ ليميّز بين الرفع والخفض، وعيّن الدنيا طريقا للآخرة، وأرسل بذلك رسلَه تترى؛ لِمَا خلق في العقول من العجز والقصور عن معرفة ما خلق الله من أجرام العالم وأرواحه، ولطائفه وكثائفه. فإنّ الوضع والترتيب ليس العِلْمُ به مِن حظّ الفكر، بل هو موقوف على خبر الفاعل لها والمنشئ لِصُوَرِها. ومتعلّق علم العقل من طريق الفكر (هو) إمكانُ ذلك خاصّة، لا ترتيبه؛ فإنّ الترتيبَ لا يُعرف إلّا بالشهود في الأشخاص؛ حتى يقول: هذا فوق هذا، وهذا تحت هذا، وهذا قبل هذا، وهذا بعد هذا، والعقل يحكم بالإمكان في ذلك كلّه.

ثمّ إنّ الله -تعالى- قدّر في العالم العُلويّ المقاديرَ والأوزان، والحركات والسكون، في الحالّ والمحلّ، والمكان والمتمكّن. فخلق السماوات، وجعلها كالقِباب على الأرض: قبّة فوق قبّة على الأرض. كما سنوقفك في هذا الباب على شكل وَضْعِ عالَم الأجرام. وجعل هذه السماوات ساكنة، وخلق فيها نجوما؛ جعل لها -في سيرها وسباحتها في هذه السماوات- حركات مقدّرة، لا تزيد ولا تنقص. وجعلها عاقلة، سامعة، مطيعة[2] ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾[3].

ثمّ إنّ الله لمّا جعل السباحة للنجوم في هذه السماوات، حدثت لسيرها طُرق؛ لكلّ كوكب طريق، وهو قوله: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾[4]. فسُمّيَتْ تلك الطرق أفلاكا؛ فالأفلاك تحدث بحدوث سير الكواكب. وهي سريعة السير في جرم السماء الذي هو مساحتها؛ فتخترق الهواء المماسّ لها؛ فتحدث لسيرها أصوات ونغمات مطربة؛ لكون سيرها على وزن معلوم؛ فتلك نغماتُ الأفلاكِ الحادثةُ من قطع الكواكب المسافات السماويّة. فهي تجري في هذه الطرق بعادة مستمرّة، قد عُلِم بالرصد مقاديرُ تلك الحركات، ودخولُ بعضها على بعض في السير. وجعل سيرها للناظر بين بُطءٍ وسرعة، وجعل لها تقدُّما وتأخُّرا في أماكن معلومة من السماء؛ تعيّن تلك الأماكن أجرام

١ ص ٨٠ب
٢ ص ٨١
٣ [فصلت : ١٢]
٤ [الذاريات : ٧]

الكواكب؛ فإنّ أجرام السماوات متماثلة الأجزاء. فلولا إضاءة الكواكب ما عُرف تقدُّمها ولا تأخّرها، وهي التي يدركها البصر ويدرك سيرها ورجوعها.

فجعل أصحابُ علم الهيئة للأفلاك ترتيبا جائزا، ممكنا في حكم العقل، أعطاهم عِلمَ ذلك عِلمُ رصد الكواكب وسيرُها، وتقدُّمها وتأخُّرها، وبطؤها وسُرْعتُها. وأضافوا ذلك[1] إلى الأفلاك الدائرة بها. وجعلوا الكواكب في السماوات كالشامات على سطح جسم الإنسان، أو كالبَرَص لبياضها. وكلّ ما قالوه يعطي ذلك ميزان حركاتها، وأنّ الله -تعالى- لو فعل ذلك كما ذكروه، لكان السَّيْرُ السَّيْرَ بعينه. ولذلك يصيبون في علم الكسوفات، ودخول الأفلاك بعضها على بعض، وكذلك الطرق يدخل بعضها على بعض في المحلّ الذي يحدث فيه لسير السالكين. فهم مُصيبون في الأوزان، مخطئون في أنّ الأمر كما رتّبوه.

وأنّ السماوات كالأُكر[2]، وأنّ الأرض في جوف هذه الأكر[3]، وجعل الله لهذه الكواكب ولبعضها وقوفا معلوما مقدّرا في أزمان مخصوصة، لم يخرق الله العادة فيها؛ ليعلم صاحب الرَّصد بعضَ ما أوحى الله من أمره في السماء. وذلك كلّه ترتيبٌ وضعيٌّ يجوز في الإمكان خلافه مع هذه الأوزان، وليس الأمر في ذلك إلّا على ما ذكرناه شهودا وكشفا.

ثمّ إنّ الله -تعالى- يُحدِثُ -عند هذه الحركات الكوكبيّة، في هذه الطرق السماويّة، في عالم الأركان، وفي المولّدات- أمورا مما أوحى في أمر السماء، وجعل ذلك عادةً مستمرّةً؛ ابتلاء[4] من الله؛ ابتلى بها عبادَه. فمن الناس مَن جعل ذلك الأثر عند هذا السير لله -تعالى-، ومن الناس مَن جعل ذلك لحركة الكوكب وشعاعه لَمّا رأى أنّ عالم الأركان مَطارحُ شعاعات الكواكب. ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾[5] بالله، وأمّا ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ﴾ فزادتهم إيمانا

1 ص ٨١ب
2 هناك إشارة شطب عليها، وفي الهامش بقلم آخر "كالكور" مع إشارة التصويب
3 كتب فوقها بقلم آخر: الكور
4 ص ٨٢
5 [التوبة : ١٢٤]

بالباطل، ﴿وَكَفَرُوا بِاللَّهِ﴾، وهم ﴿الْخَاسِرُونَ﴾[1] الذين ﴿فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾[2].

ثمّ إنّ الله -تعالى- وَكّلَ ملائكةً بالأرحام عند مساقط النُّطَف، فيقلّبون النُّطف من حال إلى حال كما قد شرع لهم الله، وقدَّر ذلك التنقّل بالأشهر، وهو قوله: ﴿وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ﴾ أي ما تنقص عن العدد المعتاد ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ على العدد المعتاد ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾[3] فهو -سبحانه- يعلم شخصيّة كلّ شخص، وشخصيّة فعله، وحركاته وسكونه، وربط ذلك بالحركات الكوكبيّة العُلويّة. فنَسب مَن نسب الآثارَ لها. وجعله الله عندها، لا لها. فلا يَعلم ما في الأرحام، ولا ما تَخَلّق مما لم يتخلّق من النُّطف على قدر معلوم إلّا الله -تعالى- ومَن أعلمه الله -تعالى- من الملائكة الموكّلة بالأرحام. ولهذا تكون الحركة الكوكبيّة العُلويّة واحدة، وتحدث عندها في الأركان والمولّدات أمور[4] مختلفة لا تنحصر، ولا يبلغها نظر في جزئيّات أشخاص العالم العنصريّ؛ لأنّ الله قد وضعه على أمزجة مختلفة وإن كان عن أصل واحد؛ كما نعلم أنّ الله خلق الناس من نفس واحدة، وهو آدم، وجعلنا مختلفين في عقولنا، متفاوتين في نظرنا؛ والأصل واحد. ومنّا الطيّب والخبيث، والأبيض والأسود وما بينهما، والواسع الخُلُق والضيّق الخُلُق الحرج.

فالأَصْلُ فَرْدٌ والفُرُوعُ كَثِيرَةٌ   فالحَقُّ أَصْلٌ والكِيانُ فُرُوعُ

وما خلق اللهُ العالَم الخارجَ عن الإنسان إلّا ضَرْبَ مِثال للإنسان؛ ليعلم أنّ كلّ ما ظهر في العالم هو فيه، والإنسان هو العين المقصودة من الوجود. فهو مجموع الحِكَم، ومن أجله خُلقت الجنّة والنار، والدنيا والآخرة، والأحوال كلّها، والكيفيّات، وفيه ظهر مجموع الأسماء الإلهيّة وآثارها. فهو المُنعَمُ والمعذَّب، والمرحوم والمعاقَب، ثمّ جُعِلَ له أن يُعَذِّب ويُنْعِم، ويَرحم ويعاقِب. وهو المكلَّف المختار، وهو المجبور في اختياره. وله يتجلّى الحقُّ بالحكم، والقضاء، والفصل،

1 [العنكبوت : ٥٢]
2 [البقرة : ١٦]
3 [الرعد : ٨]
4 ص ٨٢ب

وعليه[1] مدار العالم كلّه، ومن أجله كانت القيامة، وبه أخذ الجانّ، وله سَخَّرَ ما في السماوات وما في الأرض. ففي حاجته يتحرّك العالَمُ كُلُّهُ: علوا وسفلا، دنيا وآخرة. وجعل نوع هذا الإنسان متفاوت الدرجات؛ فسخّر بعضَه لبعضه، وسخّره لبعض العالَم؛ ليعود نفع ذلك عليه؛ فما سُخِّرَ إلّا في حقّ نفسه، وانتفع ذلك الآخر بالعَرَض.

وما خَصّ أحدا مِن خَلق الله بالخلافة إلّا الإنسان، وملّكه أَزِمَّةَ المنع والعطاء. فالسعداء خُلَفَاءُ ونُوّابٌ، ومَن دون السعداء فنوّابٌ، لا خلفاء؛ ينوبون عن أسماء الله، في ظهور حكم آثارها في العالم، على أيديهم. فهم خلفاء في الباطن، نوّابٌ في الظاهر. فالنائب هو الظاهر بالليل -لأنّه نائبٌ، لا خليفة إلهيّ بوضع شرعيّ- ومستترٌ بالنهار؛ فَيُعْلَم مِن حكمه بغير الحكم المشروع؛ أنّ الشرعَ الإراديّ في جوره مستورٌ.

ولمّا كان الحكّامُ في الخلق خلفاءَ ونوّابا، كما قرّرناه؛ بيّنَ الله -بما شرعه- الحقَّ من الباطل، وما ينفع مما يضرّ من الأفعال الظاهرة والباطنة، وقسّم العمل بين الجوارح والقلب؛ فجعل الله القلوب محلًّا للحق والباطل، والإيمان والكفر، والعلم والجهل. فالباطل[2] والكفر والجهل مآله إلى اضمحلال وزوال؛ لأنّه حُكْمٌ لا عين لَهُ في الوجود؛ فهو عَدَمٌ: له حُكْمٌ ظاهر، وصورة معلومة. فيطلب ذلك الحكمُ وتلك الصورةُ أمرا وجوديّا يَستنِدانِ إليه؛ فلا يَجِدَانِهِ؛ فيضمحلّان وينعدمان. فلهذا يكون المآلُ إلى السعادة.

والإيمانُ والحقُّ والعلم يستندون إلى أمر وجوديّ في العين، وهو الله ﷻ. فيثبت حكمهم في العين، أي في عين المحكوم عليه بهم؛ لأنّ الذي يحفظ وجود هذا الحكم هو موجود؛ بل هو عين الوجود؛ وهو الله المسمّى بهذه الأسماء، المنعوت بهذه النعوت[3]؛ فهو الحقّ، العالِم، المؤمن. فيستند الإيمانُ للمؤمن، والعِلمُ إلى العالِم، والحقُّ إلى الحقّ. والله -تعالى- ما تَسمّى بالباطل؛ لوجوده، ولا بالجاهل والكافر -تعالى الله عن هذه الأسماء علوّا كبيرا-. فنزلت الكتب الإلهيّة

١ ص ٨٣
٢ ص ٨٣ب
٣ ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب

والصحف على قلوب المؤمنين الخلفاء، والرعايا الورثة؛ فَسَرَتْ منفعتُها في كلّ قلب كان محلّا لكلّ طيّب.

وأمّا الأمور العوارض -التي ليست مُنَزَّلَة عن أمر إلهيّ مشروع- فهي أهواءٌ عرَضت للنوّاب والرعايا تسمّى جَوْرًا، والعوارض لا ثبات لها؛ فيزول حكمها[1] بزوالها. وإذا زال، والعينُ الذي كان قَبِلَها واتّصف بها موجود، ولا بدّ له من حال يتّصف به، وقد زال عنه الشقاء لزوال موجِبِهِ؛ إذ كان المُوجِبُ عارضا عرَض؛ فلا بدّ من نقيضه؛ وهو المسمّى سعادة. ومَن دخل النار منهم، فما دخلها إلّا لتنفي عنه خَبَثَهُ وتبقي طَيِّبَه. فإذا ذهب الخبث وبقي الطيّب فذلك المعبَّر عنه بالسعيد، الذي كان سَعْدُهُ[2] مستهلكا في خَبَثِهِ. هكذا هو الأمر في نفسه.

ولا يَعلم ما قرّرناه إلّا ذو عينين، لا ذو عين واحدة. ومَن وقف بين النجدين فرأى غاية كلّ طريق؛ فسلك طريق سعادته التي لا يتقدّمها شقاء؛ فإنّها طريق سهلة، بيضاء، مُثْلى، نقيّة، لا شَوْبَ فيها، ولا عوجا، ولا أمتا. والطريق الأخرى، وإن كانت غايتها سعادة، ولكن في الطريق مفاوز ومهالك، وسِباع عاديَة وحيّات مضرَّة؛ فلا يصل مخلوق إلى غايتها حتى يقاسي هذه الأهوال. والطريقان متجاوران، ينبعثان من أصلٍ واحد، وينتهيان إلى أصل واحد، ويفترقان ما بين الأصلين: ما بين البداية والغاية، وصورتها في الهامش كما[3] تراه.

فشاهَدَ صاحبُ المحجّة البيضاء ما في طريق صاحبه؛ لأنّه بصير وصاحبه أعمى؛ فليس يرى الأعمى طريقَ البصير. فيطرأ على البصير، من مشاهدة تلك الآفات التي في طريق الأعمى، مخاوفُ؛ لما يرى من الأهوال، ويتوهّم في نفسه (أن) لو كان فيها ما كان يقاسيه، ويرى (أنّ) الأعمى ليس عنده خبر من هذا كلّه؛ لما هو عليه من العمى، فلا يبصر شيئا. فيسير (الأعمى) ملتذًّا بسيْره حتى يتردّى في حفرة، أو تلدغه حيّةٌ من تلك الحيّات؛ فحينئذ يُحِسُّ بالألم، ويستغيث بصاحبه. فمن الأصحاب مَن يغيثه، ومَن الأصحاب مَن يكون قد سبقه؛ فلا يسمعه.

١ ص ٨٤
٢ مصحفة في ق
٣ ص ٨٤ب

فيبقى (الأعمى) مضطرًا، ما شاء الله؛ فيرحمه الله؛ فيسعده.

والحيوان، بما هو حيوان، يُحِسُّ بالألم واللذّة، وبما هو عاقل، وهو الإنسان، يعلم السبب المؤلِم والسبب الملِذّ ذوقا من العادة. حتى أنّ جماعة غَلطتْ، في ذلك، فجعلوا الألم للسبب المؤلم؛ ذاتيّا. وليس كذلك. وإنما الذي يتألّم به الإنسان، أو يلتذّ؛ إنما هو قيام الألم به، أو اللذّة، لا سببها. هذا في الآلام واللذّات العاديّة العقليّة. وثَمّ أسباب أُخَر لا يستقلّ العقل بإدراكها؛ فيخبره الله بها على لسان رسوله بالوحي؛ فيعلمها؛ فيأتي من ذلك ما أمره الله به أن يأتيه، ويجتنب من[1] ذلك ما أمره الله به أن يجتنبه. وقد علِم الألم واللذّة عقلا؛ فيتذكّرها عند علمه بهذه الأسباب الشرعيّة الموجبة لها.

فَمَن أطاع؛ أطاع على بصيرة من أمره، ومَن عصى وعلِم أنّه عاصٍ؛ عصى على بصيرة من المعصية، وليس هو على بصيرة من المؤاخذة عليها، كما هو على بصيرة في الطاعة من الجزاء عليها. فما أجراه على المعصية بالقدَر السابق إلّا كونه على غير بصيرة من المؤاخذة. ولا ينبغي للمؤمن، بل لا يصحّ، أن يكون على بصيرة في المؤاخذة بالمعصية؛ فإنّ الرحمة الإلهيّة والمغفرة؛ ما هو الانتقام والأخذ، بأَوْلَى من المغفرة، إلّا ما عيّن الله من صفة خاصّة، يستحقّ مَن مات وهي به قائمة، المؤاخذة ولا بدّ؛ وليس إلّا الشِّرك، وما عدا الشِّرك فإنّ الله أدخله في المشيئة، فلا يصحّ أن يكون أحد على بصيرة في العقاب. فهذا هو الذي أجرأ النفوسَ على ارتكاب المحارم، والدخول في المآثم؛ إلّا مَن عصم الله: بخوفٍ، أو رجاءٍ، أو حياءٍ، أو عصمةٍ -في علم الله به- خارجةٍ عن هذه الثلاثة. ولا خامس لهذه الأربعة المانعة من وقوع المخالفة، والتعرّض للعقوبة. والممكنُ قد عهد الله على قبوله لكلّ ممكن بذاته. فَمن وفّى بهذا[2] العهد مع الله؛ فإنّه يُسعده بلا شكّ ابتداء. فإن نقض عهد الله في ذلك، وصَيَّر الممكن محالا أو واجبا؛ فقد خرج عمّا عاهد عليه الله، وعَرَّض بذاته لما تخيّل أنّه لا يصيبه. ومثل هذا هو الذي ردّ دعوة الحقّ التي جاء بها الرسول من عند الله، كالبراهمة ومن قال بقولهم.

١ ص ٨٥
٢ ص ٨٥ب

واعلم أنّه لمّا كان الإنسان الكامل (هو) عَمَدُ السماء الذي يمسك اللهُ بوجوده السماءَ أن تقع على الأرض، فإذا زال الإنسانُ الكامل وانتقل إلى البرزخ؛ هَوَتِ السماء، وهو قوله -تعالى-: ﴿وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾[1] أي ساقطة إلى الأرض. والسماءُ جِسْمٌ شفّافٌ صَلْبٌ، فإذا هَوَتِ السماء حَلَّلَ جِسْمَها حَرُّ النار؛ فعادت دخانا أحمر كالدهان السائل، مثل شعلة نار، كما كانت أوّل مرّة، وزال ضوءُ الشمس؛ فطمست النجوم؛ فلم يبق لها نور؛ إلّا أنّ سباحتها لا تزول في النار، لا؛ بل انتثرتْ؛ فهي على غير النظام الذي كان سيرها في الدنيا. فتُعطي من الأحكام في أهل النار، على قدر ما أوحى فيها الله -تعالى- لأنّ الأخرى؛ تجديد نشأة أخرى في الكلّ؛ لا يعرفها العقل الأوّل، ولا اللوح المحفوظ. ولذلك قال ﷺ إنّه يحمد الله يوم القيامة في المقام المحمود بمحامد لا يعلمها الآن، يعلّمه الله إيّاها في ذلك اليوم، بحسب ما[2] يظهر في ذلك من حكم أسماء إلهيّة، لا يعلمها أحد اليوم. فنشأة الخلق وأحوالهم، وما يكون منهم في القيامة والدارين (هو) على غير نشأة الدنيا، وإن أشبهها في الصورة. ولذلك قال: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾[3] أنّها كانت على غير مثال، كذلك ﴿نُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[4] يوم القيامة.

فلنذكر في هذا الباب طَرَفا من هيئة جهنّم، وهيئة الجنّات، وما فيها مما لم نذكره في بابها فيما تقدّم، ولنجعل ذلك كلّه في أمثلة ليقرب تصوُّرها على مَن لا يتصوّر المعاني من غير ضرب مثل، كما ضرب الله للقلوب مَثلا بالأودية بقدَرها في نزول الماء، وكما ضرب المثل لنوره بالمصباح؛ كلّ ذلك ليقرِّبَ إلى الإفهام الضعيفة الأمرَ، وهو قوله: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ. عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[5] بما بيّن له؛ فعلم كيف يبيّن لغيره.

فنقول: إنّ الجسم لمّا ملأ الخلاء، كان أوّلُ شكل قَبِلَهُ الاستدارة؛ فسمّى تلك الاستدارة:

١ [الحاقة : ١٦]
٢ ص ٨٦
٣ [الواقعة : ٦٢]
٤ [الواقعة : ٦١]
٥ [الرحمن : ٣، ٤]

فَلَكا. وفي تلك الدائرة ظهرت صور العالَم كلّه: أدناه وأعلاه، ولطيفه وكثيفه، وما يتحيَّز منه وما لا يتحيّز. فالذي ملأ الخلاء غير متحيّز، ولا في مكان، ولا يقبل المكان. ولولا اتّصاف الحقّ بالإحاطة؛ ما توهّم العقلُ انحصاز هذا الجسم الكلّ في الخلاء، ولا توهّم الخلاء[1] إلّا مِن شهود الجسم المحسوس، كما لم يتوهّم انحصار الممكنات، وإن كانت لا تتناهى في نفس الأمر، وما وُجِدَ منها هو متناهٍ، ويدخل فيها: العقل الأوّل، وكلّ ما لا يتحيّز، ولا يقبل المكان.

وكان ينبغي أن يقال فيما لا يتحيّز: إنّ ذلك غير متناهٍ؛ لأنّ التناهي لا يُعقل إلّا في المكان والزمان الموجود، وقد وُجِد ما لا يتحيَّز. فيعقل فيه التناهي. وكذلك ما دخل في الوجود من المراتب، وإن كانت عدما، فإنّها مُتوهَّمة الوجود؛ فإنّ المراتب نِسَبٌ عدميّة، وهي المكانة؛ تُنزل كلَّ شيء موجودٍ أو معدومٍ بالحكم، في رتبته، سَواء كان واجب الوجود لذاته، أو واجب الوجود بغيره، أو محال الوجود. فللعدم الخالص مرتبة، وللوجود المحض مرتبة، وللمكن المحض مرتبة؛ كلّ مرتبة متميِّزة عن الأخرى. فلا بدّ من الحصر المتوهَّم والمعقول. والمعلومات كلّها في علم الله، على ما هي عليه. فهو يَعلم نفسه ويَعلم غيره، ووجودُه لا يتّصف بالتناهي. وما لم يدخل في الوجود فلا يتّصف بالتناهي، والأجناس متناهية، وهي معلومة؛ فَعِلْمُهُ، أو العلم محيط بما يتناهى وما لا يتناهى، مع حصر العلم له. وهنا حارت العقول من حيث أفكارها.

ثمّ إنّ الحقّ، إن حقّقتَ الأمر، قد أدخل نفسَه في الوصف الذي وُصِف به من الظرفيّة. فوصف[2] نفسه بأنّه في العماء، وعلى العرش، وفي السماء، وفي الأرض، ووصف نفسه بالقبل، وبالمعيّة، وبكلّ شيء، وجعل نفسَه عين كلّ شيء بقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ ثمّ قال: ﴿لَهُ الْحُكْمُ﴾ وهو ما ظهر في عين الأشياء، ثمّ قال: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[3] أي مَرَدُّكُمْ، من كونكم أغيارا، إليّ. فيذهبُ حكمُ الغير؛ فما في الوجود إلّا أنا. ونبيِّن ذلك مَثَلا باسم الإنسان؛ بجملة تفاصيله، واتّصافه بأحكامٍ متغايرة: من حياة، وحِسّ، وقوى، وأعضاء مختلفة في الحركات، وكلّ

١ ص ٨٦ب
٢ ص ٨٧
٣ [القصص : ٨٨]

ما يتعلّق بهذا المسمّى إنسانا. وليست هذه الأعيان التي تظهر فيها هذه الأحكام بأمرٍ غير الإنسان؛ فإلى الإنسان ترجع هذه الأحكام. والأحكام في الحقّ (هي) صور العالَم كلّه: ما ظهر منه، وما يظهر، والأحكام منه، ولهذا قال: ﴿لَهُ الْحُكْمُ﴾ ثمّ يرجع الكلّ إلى أنّه عينُه؛ فهو الحاكم بكلّ حُكم، في كلّ شيء؛ حكما ذاتيّا، لا يكون إلّا هكذا.

فسمّى نفسَه بأسمائه؛ فحُكم عليه بها. وسمّى ما ظهر به من الأحكام الإلهيّة في أعيان الأشياء؛ ليميِّز بعضها عن بعض، كما ميَّز جسمَ الإنسان عن روحه، وليس إنسانا إلّا بمجموعِهِ، كما تَسَمّى خالقًا به وبخلقه. فلا يقال في روح الإنسان: إنّها عين الإنسان، ولا غيره. وكذلك في حقائقه، ولوازمه، وعوارضه؛ لا يقال في[1] يد الإنسان ولا في شيء من أعضائه: إنّه عين الإنسان، ولا غير الإنسان. كذلك أعيان العالَم لا يقال: إنّها عين الحقّ، ولا غير الحقّ؛ بل الوجود كلّه حقّ.

ولكن من الحقّ ما يَتَّصِفُ بأنّه مخلوق، ومنه ما يوصف بأنّه غير مخلوق؛ لكنّه كلّ موجود؛ فإنّه موصوف بأنّه محكوم عليه بكذا؛ فنقول في الله: إنّه ﴿غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[2] فحكمنا عليه بهذا النعت. وقلنا في المسمّى سِوَاهُ: إنّه فقير إلى الله. فحكمنا عليه؛ فالكلّ محكوم عليه. كما حكمنا على كلّ شيء بالهلاك، وحكمنا على وجهه بالاستثناء من حكم الهلاك؛ فهو أوّلُ محكوم عليه من عين هويّته. فممّا حكم به على هويّته أن وصَف نفسه بأنّ له نفَسا -بفتح الفاء- وأضافه إلى الاسم الرحمن؛ لنعلم -إذا ظهرتْ أعيانُنا، وبلّغَتنا سُفَرَاؤُهُ هذا الأمر- شمول الرحمة وعمومها، ومآل الناس والخلق كلّه إليها؛ فإنّ الرحمن لا يظهر عنه إلّا المرحوم، فافهم.

فالنفَسُ أوّلُ غيب ظهر لنفسه، فكان فيه الحقُّ من اسمه "الربّ" مِثل العرش اليوم الذي استوى عليه بالاسم "الرحمن" وهو أوّل كثيف شفّاف نوريّ ظهر. فلمّا تميّز عمّن ظهر عنه، وليس غيره، وجعله -تعالى- ظرفا له؛ لأنّه لا يكون ظرفا[3] له إلّا عينه؛ فظهر حكم الخلاء بظهور

١ ص ٨٧ب
٢ [آل عمران : ٩٧]
٣ "لأنه لا يكون ظرفا" ثابتة في الجوار بقلم آخر

هذا النفَس؛ ولولا ذلك[1] ما قلنا: خلاء. ثمّ أوجد في هذا العماء جميع[2] صور العالَم الذي قال فيه: إنه ﴿هَالِكٌ﴾ يعني من حيث صُوَرِهِ ﴿إِلَّا وَجْهَهُ﴾ يعني إلّا من حقيقته؛ فإنّه غير هالك. فالهاء في "وجهه" يعود على الشيء. فـ﴿كُلُّ شَيْءٍ﴾ من صور العالم ﴿هَالِكٌ إِلَّا﴾ من حقائقه؛ فليس بهالك، ولا يمكن أن يهلك.

ومثال ذلك للتقريب: أنّ صورة الإنسان إذا هلكتْ، ولم يبق لها في الوجود أثر؛ لم تهلك حقيقته التي يميّزها الحدُّ؛ وهي عينُ الحدِّ له. فنقول: الإنسان حيوان ناطق. ولا نتعرّض لكونه موجودا أو معدوما، فإنّ هذه الحقيقة لا تزال له، وإن لم تكن له صورة في الوجود. فإنّ المعلوم لا يزول من العلم؛ فالعلم ظرف المعلومات. فصورةُ العالَم بجملته صورةُ دائرةٍ فلكيّةٍ، ثمّ اختلفتْ فيها صورُ الأشكال من تربيع، وتثليث، وتسديس، إلى ما لا يتناهى حكما، لا وجودا. والملائكة الحافّون من حول العرش؛ ما لهم سباحة إلّا في هذا العماء المستدير، الذي ظهر فيه أيضا عينُ العرش على التربيع بقوائمه وحَمَلَتِهِ؛ من صور المعاني، وصور أجسامها؛ التي هي الحروف الدالّة عليها. فإنّ المعنى لا يُستدلُّ عليه إلّا من حكم صورته؛ وهو الحرف. والحرف لا يُعلم إلّا من معناه؛ فهو العالِمُ[3] المعلم المعلومُ.

فما في الوجود إلّا الواحد الكثير، وفيه ظهرت الملائكة المهيّمة، والعقل، والنفس، والطبيعة. والطبيعة هي أحقّ نِسبة بالحقّ مما سِوَاهَا؛ فإنّ كلّ ما سِوَاهَا ما ظهر؛ إلّا فيما ظهر منها؛ وهو النفَس -بفتح الفاء- وهو الساري في العالَم، أعني في صور العالَم. وبهذا الحكم يكون تجلّي الحقّ في الصور التي ذكرها عن نفسه لمن عقل عنه ما أخبر به عن نفسه -تعالى-. فانظر في عموم حكم الطبيعة، وانظر في قصور حكم العقل؛ لأنّه، في الحقيقة، صورة من صور الطبيعة، بل من صور العماء، والعماء هو من صور الطبيعة.

وإنّما جَعل، مَن جعل، رتبة الطبيعة دون النفْس وفوق الهيولي؛ لعدم شهوده الأشياء. وإن

١ ص ٨٨
٢ ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب
٣ ص ٨٨ب

كان صاحبَ شهود، ومشّى هذه المقالة؛ فإنّه يعني بها: الطبيعة التي ظهرت بحكمها في الأجسام الشفّافة من العرش فما حواه. فهي بالنِّسبة إلى الطبيعة نِسبةُ البنت إلى المرأة، التي هي الأمّ؛ فتلد كما تلد أُمَّها، وإن كانت البنت مولودة عنها؛ فلها ولادة على كلّ مَن يولد عنها. وكذلك العناصر، عندنا، القريبة إلينا؛ هي طبيعةُ ما تولّد عنها، وكذلك الأخلاط في جسم الحيوان. فلهذا سمّيناها طبيعة، كما نسمّي البنت والبنات والأمّ: أنثى ونجمعها[1] إناثا. وإنّما ذكرنا هذا لما نظهره من الأشكال لضرب الأمثال؛ للتقريب على الأفهام القاصرة عن إدراك المعاني من غير مُثُل؛ فإنّ الله ما جعل معرفة الإنسان نفسَه إلّا ضَرْب مثال لمعرفة ربّه؛ إذ لو لم يعرف نفسه لم يعرف ربّه.[2]

وهذا صورة العماء، الذي هو الجسم الحقيقيّ العامّ الطبيعيّ، الذي هو صورةٌ من قوّة الطبيعة؛ تجلّى لما يظهر فيه من الصور. وما فوقه رتبةٌ إلّا رتبة الربوبيّة التي طلبت صورة العماء من الاسم "الرحمن" فتنفّس؛ فكان العماء. فشبّه لنا الشرع بما ذكر عنه من هذا الاسم. فلمّا فهمنا صورته بالتقريب قال: «ما فوقه هواء» يعلو عليه، فما فوقه إلّا حقٌّ «وما تحته هواء» يعتمد عليه. أي ما تحته شيء، ثُمّ ظهرت فيه الأشياء. فالعماء أصلُ الأشياء والصورِ كلِّها، وهو أوّل فرع ظهر من أصلٍ؛ فهو نجمٌ، لا شجر. ثمّ تفرّعتْ منه أشجار إلى منتهى الأمر والخلق، وهو الأرض. وذلك بتقدير العزيز العليم.

فهذا المثل المضروب المشكّل الممثَّل الذي نضربه ونشكّله؛ هو العماء، وهو الدائرة المحيطة، وهو فلَك الإشارات. والنقطُ التي في الدائرة مثالُ أعيان الأرواح المهيّمة. والنقطة العظمى في هذه النقط[3]: العقل. والدائرة التي إلى جانب النقطة العظمى التي في داخلها نقطتان هي: النفس الكلّ واللوح المحفوظ. وتانك النقطتان فيها: القوّتان العِلميّة والعَمليّة. والأربع النقط المجاورات لدائرة النفس: رتبة الطبيعة، التي هي بنت الطبيعة العظمى.

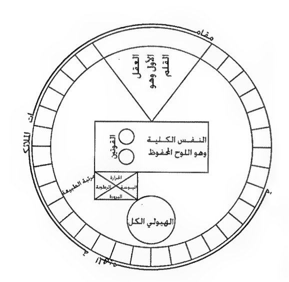
١ ص ٨٩
٢ كتب في الهامش بقلم آخر: "بلغ قراءة"
٣ ص ٨٩ب

والدائرة في جوف هذه الدائرة العظمى هي جوهر الهيولي، وهو الهباء. والشكل المربَّع فيه هو العرش. والدائرة في جوف هذا الشكل المربّع هو الكرسيّ موضع القدمين. والدائرة التي في جوفه هي الفلَك الأطلس. والدوائر الثانية هي الجنّات. والدائرة التي تحت الثانية هو الفلَك المكوكب، فلَك المنازل. وما تحت مقعَّره هو جهنّم، وفيها تحت مقعَّره انفتحت أشكال السماوات والأرض وما بينهما من الأركان والكواكب الثابتة[1]؛ كلّ ذلك جهنّم. فإذا بدّلت السماء والأرض؛ فإنما يقع التبديل في الصور، لا في الأعيان، وإن كانت الأعيان صورا. ولكن إذا عُلِمَ المراد فلا مشاحّة في الألفاظ والعبارات. والخطّان اللذان تحت الشكل المربّع المسمّى عرشا: الخطّ الواحد الماء، والآخر الهواء. وأنصاف[2] الدوائر التي في جوف فلَك الكواكب هي السماوات، والخطوط التي تستقرّ عليها أطراف أنصاف الدوائر: الأرض.

وما بين القبّة التي في أوّل خطّ من خطوط الأرض ثلاثة خطوط بالحمرة هي الثلاثة الأركان: الماء، والهواء، والنار. والمقادير المعيّنة في الفلَك الأطلس هي البروج، والمقادير المعيّنة في الفلَك المكوكب هي المنازل. وكلّ قبّة من القباب السبع فيها نقطة حمراء؛ هي صورة كوكب كلّ قبّة. ثمّ جميع ما في جوف الفلَك المكوكب يستحيل في الآخرة إلى صور غير هذه الصور. وفي جوف الفلَك المكوكب يكون الحشر، والنشر، والحساب، والعرش الذي يجيء فيه الحقُّ للفصل والقضاء. والملائكة في تلك الأرض سبعة صفوف بين يدي ذلك العرش، والناس والجانّ[3] بين العرش وصفوف الملائكة. والصراط منصوب كالخطّ الذي يقسم الدائرة نصفين، وينتهي إلى المَرْج الذي خارج سور الجنّة موضع المأدبة التي يأكلها أهل الجنّة، قبل دخول الجنّة وبعد الجواز على الصراط. وسأشكّل هذا كلّه وأمثاله، وأكتب على كلّ شكل اسم المراد به. فمن ذلك:

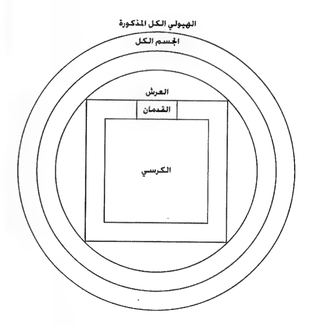
١ مصحفة ويمكن قراءتها أيضا: الثاقبة، الباقية
٢ ص ٩٠
٣ ثابتة في الهامش بقلم الأصل

صورة[1] العماء وما يحوي عليه إلى عرش الاستواء، فإنّ موضع صور الأشكال ضيّق هنا، لا يتّسعُ لصور ما نريد تشكيلَهُ واحدة؛ فإنّه لو اتّسع كان أبيَن للناظر فيه



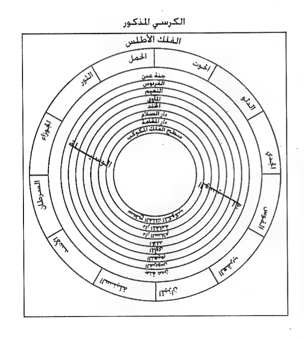
١ ص ٩٠ب

ومن[1] ذلك صورة عرش الاستواء، والكرسيّ، والقدمان، والماء الذي عليه العرش، والهواء الذي يمسك الماء، والظلمة



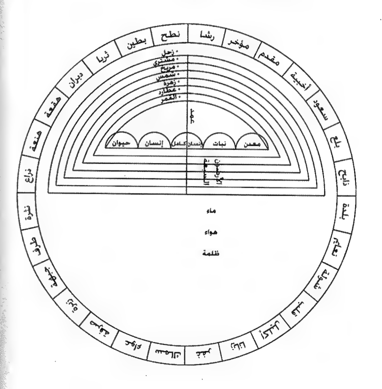
١ ص ٩١

ومن[1] ذلك صورة الفلك الأطلس، والجنّات، وسطح فلك الكواكب، وشجرة طوبى



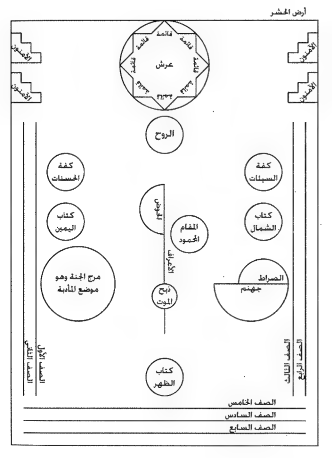
١ ص ٩١ب

ومن[1] ذلك صورة الفلك المكوكب، وقباب السماوات، وما تستقرّ عليه؛ وهو الأرض والأركان الثلاثة، والعَمَد الذي يمسك الله به القبّة، والمعدن، والنبات، والحيوان، والإنسان



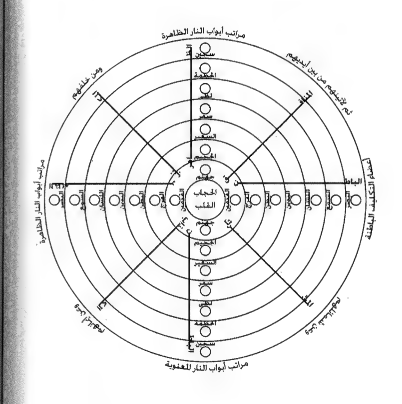
١ ص ٩٢

ومن[1] ذلك صورة أرض الحشر، وما يحوي عليه من الأعيان والمراتب؛ وعرش الفصل والقضاء وحملته، وصفوف الملائكة



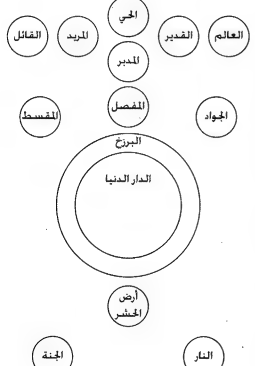
١ ص ٩٢ب

ومن[1] ذلك صورة جهنّم، وأبوابها، ومنازلها، ودركاتها



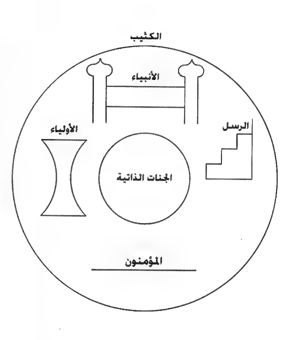
١ ص ٩٣

ومن[1] ذلك صورة حضرة الأسماء الإلهيّة، والدنيا، والآخرة، والبرزخ



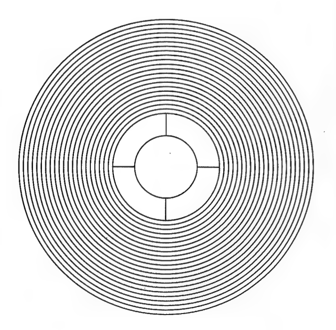
١ ص ٩٣ب

ومن[1] ذلك صورة كثيب الرؤية، ومراتب الخلق فيه



[1] ص ٩٤


ومن[1] ذلك صورة العالم كلّه، وترتيب طبقاته روحا وجسما، وعلوا وسفلا



[1] ص ٩٤ب

وصل[1]

فلنتكلّم على كلّ صورة صورة منها على ما هو الأمر عليه في نفسه في فصول تسعة كما رسمناها في وجوه تسعة من التصوير، وما جعلتها على الترتيب من التقديم والتأخير، ولكنّ الكلام عليها يبيّن المتقدّم من ذلك والمتأخّر، والمجمل والمفصّل.

* * *

الفصل الأوّل

في ذِكر العماء وما يحوي عليه إلى عرش الاستواء

اعلم أنّ الله موصوف بالوجود، ولا شيء معه موصوف بالوجود من الممكنات. بل أقول: "إنّ الحقّ هو عينُ الوجود" وهو قول رسول الله ﷺ: «كان اللهُ ولا شيء معه» يقول: الله موجود ولا شيء من العالَم موجود. فذكر عن نفسه بَدْءَ هذا الأمر، أعني ظهور العالَم في عينه. وذلك أنّ الله -تعالى- أحبّ أن يُعرف ليجود على العالم بالعلم به ﷻ، وعلم أنّه -تعالى- لا يُعْلَم من حيث هُوِيَّتِه، ولا من حيث يعلمُ نفسَه، وأنّه لا يحصل من العلم به -تعالى- في العالَم إلّا أن يَعلم العالم أنّه لا يُعْلَم. وهذا القدر يسمّى علما. كما قال الصدّيق: "العجز عن درك الإدراك إدراك".

إذ قد عُلِم أنّ في الوجود أمرا مّا لا يُعلم وهو الله، ولا سيما للممكنات[2] من حيث أنّ لها أعيانا ثابتة لا موجودة، مساوقة لواجب الوجود في الأزل، وكما أنّ لنا تعلّقا سمعيًا ثبوتيًا لا وجوديًا، بخطاب الحقّ إذا خاطبنا، وأنّ لها قوّة الامتثال، كذلك لها جميع القوى من عِلْمٍ وبصرٍ وغير ذلك. كلُّ ذلك أمرٌ ثبوتيّ، وحكمٌ محقّقٌ غير وجوديّ. وعلى تلك الأعيان وبها؛ تتعلّق رؤية مَن يراها من الموجودات؛ كما ترى هي نفسَها رؤية ثبوتيّة. فلمّا اتّصف لنا بالمحبّة؛ والمحبّةُ حكمٌ يوجب رحمة الموصوف بها بنفسه؛ ولهذا يجد المتنفّسُ راحةً في تنفّسه؛ فبروز النفَس من المتنفّس عينُ رحمته بنفسه. فما خرج عنه -تعالى- إلّا الرحمة التي وسعت كلّ شيء؛ فانسَحَبَتْ

١ ص ٩٥
٢ ص ٩٥ب

على جميع العالم: ما كان منه، وما لا يكون إلى ما لا يتناهى.

فأوّلُ صورة قَبِلَ نَفَسَ الرحمن صورةُ العماء؛ فهو بخار رحمانيّ فيه الرحمة، بل هو عين الرحمة؛ فكان ذلك أوّلَ ظرف قَبِلَهُ وجودُ الحقّ. فكان الحقُّ له كالقلب للإنسان، كما أنّه -تعالى- لقلب الإنسان العارف المؤمن؛ كالقلب للإنسان. فهو قلب القلب، كما أنّه مُلْكُ المُلْك. فما حواه غيره؛ فلم يكن إلّا هو.

ثمّ إنّ جوهر ذلك العماء قَبِل صُوَر الأرواح -من الراحة والاسترواح إليها- وهي الأرواح المهيّمة؛ فلم تعرف غير الجوهر الذي ظهرتْ فيه وبه، وهو أصلها، وهو باطن الحقّ وغيبه[1] ظهر؛ فظهر فيه وبه العالَم. فإنّه من المحال أن يظهر العالَم من حكم الباطن، فلا بدّ من ظهور حقّ؛ به يكون ظهور صور العالَم؛ فلم يكن غير العماء؛ فهو الاسم الظاهر الرحمن. فهامت في نفسها.

ثمّ أيّدَ واحدا من هذه الصور الروحيّة بتجلٍّ خاصّ علميّ انتقش فيه عِلْمُ ما يكون إلى يوم القيامة مما لا تعلمه الأرواح المهيّمة؛ فوجد في ذاته قوّةً امتاز بها عن سائر الأرواح؛ فشاهدهم وهم لا يشاهدونه، ولا يشهدُ بعضهم بعضا؛ فرأى نفسه مركّبا: منه، ومن القوّة التي وجدها عَلِم بها صدورَه؛ كيف كان. وعلم أنّ في العلم حقائق معقولات سمّاها معقولات، من حيث أنّه عقَلَها، لَمّا تميّزتْ عنده؛ فلم يكن لها أن تكون كلّ واحدة منها عين الأخرى. فهي للحقّ معلومات، وللحقّ ولأنفسها معقولات، ولا وجود لها في الوجوب الوجوديّ ولا في الوجوب الإمكانيّ. فيظهر حكمها في الحقّ؛ فتنسب إليه، وتُسَمّى أسماءً إلهيّة؛ فيُنسب إليها من نعوت الأزل ما يُنسب إلى الحقّ. وتُنسب أيضا إلى الخلق بما يظهر من حكمها فيه؛ فيُنسب إليها من نعوت الحدوث ما يُنسب إلى الخلق؛ فهي الحادثة القديمة، والأبديّة الأزليّة.

وعَلِم، عند ذلك، هذا العقلُ، أنّ الحقَّ ما أوجد العالَم إلّا في العماء، ورأى أنّ العماء نَفَسُ الرحمن، فقال: لا بدّ من أمرين -يسمّيان[2] في العلم النظريّ: مقدّمتين- لإظهار أمر ثالث؛ هو

١ ص ٩٦
٢ ص ٩٦ب، والكلمة في ق، س: يسمّى

نتيجة ازدواج تينك المقدّمتين. ورأى أنّ عنده من الحقّ ما ليس عند الأرواح المهيّمة؛ فعلم أنّه أقرب مناسبة للحقّ من سائر الأرواح. ورأى، في جوهر العماء، صورةَ الإنسان الكامل الذي هو للحقّ بمنزله ظلّ الشخص من الشخص. ورأى نفسه ناقصا عن تلك الدرجة، وقد علم ما يتكوّن عنه من العالَم إلى آخره؛ في الدنيا وفي المولّدات. فعلم أنّه لا بدّ أن تحصل له درجة الكمال التي للإنسان الكامل، وإن لم يكن فيها مثل الإنسان؛ فإنّ الكمال في الإنسان الكامل "بالفعل" وهو في العقل الأوّل "بالقوّة"، وما كان بالقوّة والفعل (فإنّه) أكملُ في الوجود ممن هو بالقوّة دون الفعل. ولهذا وُجد العالَم في عينه، فأخرجه من القوّة إلى الفعل ليتّصف بكمال الاقتدار. ولو كان في الإمكان إيجادُ الممكنات كلّها، لما ترك منها واحدا منعوتا بالعدم. لكن يستحيل ذلك لعدم التناهي. وما يدخل في الوجود فلا بدّ أن يكون متناهيا.

فتجلّى له الحقّ؛ فرأى لذاته ظِلًّا، لأنّ ذلك التجلّي كان كالكلام لموسى من جانب الطور، كذلك كان التجلّي الإلهيّ لهذا العقل من الجانب الأيمن؛ فإنّ لله يدين مباركتين مبسوطتين، يعني فيهما: الرحمة. فلم يقرن بهما شيئا من العذاب. فيعطي رحمة بِبَسْطِها، ويعطي[1] رحمة بِقَبْضِها. فإنّ القبضَ ضَمٌّ إليه، والبسطَ انفساحٌ فيه. فكان ذلك الظلّ الممتدّ عن ذات العقل من نور ذلك التجلّي و(من) كثافة المحدَث، بالنظر إلى اللطيف الخبير: نفْسا؛ وهو اللوح المحفوظ. والطبيعة الذاتيّة مع ذلك كلّه، وتسمّى هناك: حياة، وعلما، وإرادة، وقولا. كما تسمّى في الأجسام: حرارة، وبرودة، ويبوسة، ورطوبة. كما تسمّى في الأركان: نارا، وهواء، وماء، وترابا. كما تسمّى في الحيوان: سوداء، وصفراء، وبلغما، ودما. والعين واحدة، والحكم مختلف:

العَيْنُ واحِدَةٌ والحُكْمُ مُخْتَلِفٌ   وَذاكَ سِرٌّ لأَهْلِ العِلْمِ يَنْكَشِفُ

ثمّ صَرف العقلُ وجهَه إلى العماء، فرأى ما بقي منه لم تظهر فيه صورة. وقد أبصر ما ظهرت فيه الصور منه قد أنار بالصور، وما بقي دون صورة رآه ظلمة خالصة، ورأى أنّه قابل للصور والاستنارة. فأُعْلِمَ: أنّ ذلك لا يكون إلّا بالتِحامِكَ بظلّك. فعمّه التجلّي الإلهيّ كما تعمّ لذّة الجماع نفس الناكح حتى تغيّبه عن كلّ معقول ومعلوم سِوَى ذاتها. فلمّا عمّه نور التجلّي، رجع ظلُّه إليه

١ ص ٩٧

واتّحد به. فكان نكاحا معنويّا صدر عنه[1] العرش الذي ذكر الحقّ أنّه استوى عليه الاسم "الرحمن" فقال: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[2] فما أنكره مَن أنكره، أعني الاسم "الرحمن" إلّا للقرب المفرط، ولم يُقرّوا بالله إلّا لما يتضمّنه هذا الاسم من الرحمة والقهر فعُلِم، وجُهِل الرحمن فـ﴿قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ﴾[3] ولو قالها بلسان غير العربي، لقال ما يشبه هذا المعنى، ويقع الإنكار منهم أيضا. فلا أقرب من الرحمة إلى الخلق؛ لأنّه ما ثمّ أقرب إليهم من وجودهم؛ ووجودهم رحمة بلا شكّ.

* * *

الفصل الثاني

في صورة العرش، والكرسيّ، والقدمين، والماء الذي عليه العرش، والهواء الذي عليه الماء، والظلمة التي ظهر عنها الهواء الذي يمسك الماء ويمسك عليه الجرية، والحَمَلَة، والحافّين

اعلم أنّ هذه الظلمة هي ظلمة الغيب، ولهذا سُمّيت ظلمة. أي لا يظهر ما فيها. فكلّ ما برز من الغيب ظهر لنا. فنحن ننظر إلى ما ظهر من صور العالَم في مرآة الغيب، ولا نعرف أنّ ذلك في مرآة غيب. وهي للحقّ كالمرآة؛ فإذا تجلّى الحقّ لها؛ انطبع فيها ما في العلم الإلهيّ من صور العالم وأعيانه. وما زال الحقّ متجلّيا لها، فما زالت صور العالم[4] في الغيب. وكلّ ما ظهر لمن وُجِد من العالَم؛ فإنما هو ما يقابله في نظره في هذه المرآة، التي هي الغيب. فلو جاز أن يعلم جميع ما في علم الحقّ -وذلك لا يجوز- فلا يجوز أن يرى من صور العالم في هذه المرآة، إلّا ما تراءى له منها.

فكان مما رآه فيها صورة العرش الذي استوى الرحمن عليه؛ وهو سريرٌ ذو أركان أربعة، ووجوه أربعة هي قوائمه الأصليّة، التي لو استقلّ بها لثبت عينه[5]. إلّا أنّه جعل في كلّ وجه من

١ ص ٩٧ب
٢ [طه : ٥]
٣ [الفرقان : ٦٠]
٤ ص ٩٨
٥ س: عنه

الوجوه الأربعة التي له، قوائم كثيرة على السَّواء في كلّ وجهٍ؛ معلومة عندنا أعدادُها، زائدة على القواعد الأربعة. وجعله مجوّفا، محيطا بجميع ما يحوي عليه: من كرسيّ، وأفلاك، وجنّات، وسماوات، وأركان، ومولّدات. فلمّا أوجده؛ استوى عليه الرحمن، واحد الكلمة لا مقابل لها. فهو رحمة كلّه، ليس فيه ما يقابل الرحمة.

وهو صورة في العماء؛ فالعقلُ أبوه، والنفس أمّه؛ ولذلك استوى عليه الرحمن؛ فإنّ الأبوين لا ينظران أبدا لولدهما إلّا بالرحمة، والله أرحم الراحمين. والنفس والعقل موجودان، كريمان على الله، محبوبان لله. فما استوى على العرش إلّا بما تقرّ به أعين الأبوين؛ وهو الرحمن؛ فعلمنا أنّه ما يصدر عنه إلّا ما فيه رحمة. وإن وقع ببعض العالم غصص، فذلك لرحمةٍ فيه لولا ما جرّعه إيّاها. اقتضى[1] ذلك مزاج الطبع، ومخالفة الغرض النفسيّ. فهو كالدواء الكره الطعم، الغير مستلذّ، وفيه رحمة للذي يشربه ويستعمله، وإن كرهه. فـ﴿بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾[2].

وما استوى عليه الرحمن -تعالى- إلّا بعد ما خلق الأرض، وقدّر فيها أقواتها، وخلق السماوات ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾[3] وفرغ من خلق هذه الأمور كلّها، ورتّب الأركان ترتيبا يقبل الاستحالات؛ لظهور التكوين، والتنقّل من حال إلى حال، وبعد هذا استوى على العرش. قال تعالى: ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾[4] الضمير في قوله: ﴿بِهِ﴾ يعود على الاستواء. أي: فاسأل بالاستواء خبيرا. يعني: كلّ مَن حصل له ذلك ذوقا كأمثالنا. فإنّ أهل الله ما علموا الذي علموه إلّا ذوقا، ما هو عن فكر، ولا عن تدبّر. فهو -تعالى- النازل الذي لا يفارق المنزل ولا النزول. فهو مع كلّ شيء؛ بحسب حال ذلك الشيء.

١ ص ٩٨ب
٢ [الحديد : ١٣]
٣ [فصلت : ١٢]
٤ [الفرقان : ٥٩]

مبشّرة[1]

وفي ليلة تقييدي هذا الوجه، أراني الحقُّ، في واقعتي، رجلا رَبْعَ القامة، فيه شقرة. فقعد بين يديّ وهو ساكت. فقال لي الحقُّ: هذا عبدٌ من عبادنا؛ أَفِدْهُ ليكون هذا في ميزانك. فقلت له: مَن هو؟ فقال لي: هذا أبو العبّاس بن جودي، من ساكني البُشْرّات. وأنا إذ ذاك في دمشق. فقلت له: يا ربّ؛ وكيف يستفيد منّي؟! وأين أنا منه؟! فقال لي: قل؛ فإنّه يستفيد منك[2]؛ فكما أَرَيْتُكَ إيّاه، أَرَيْتُهُ إيّاك؛ فهو الآن يراك كما تراه. فخاطبه يسمع منك، ويقول هو مثل ما تقول أنت؛ يقول: أُرِيتُ رجلا بالشام يقال له: محمد بن العربي -وسمّاني- أفادني أمرا لم يكن عندي؛ فهو أستاذي. فقلت له: يا أبا العبّاس؛ ما الأمر؟ قال: كنت أجهد في الطلب، وأنصَبُ، وأبذل جهدي. فلمّا كُشف لي؛ علمتُ أنّي مطلوبٌ؛ فاسترحتُ من ذلك الكدّ.

فقلت له: يا أخي؛ مَن كان خيرا منك، وأَوْصَلَ بالحقّ، وأَتَمَّ في الشهود، وأَكْشَفَ للأمر، قيل له: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[3] فأين الراحة في دار التكليف؟ ما فهمتُ ما قيل لك قولَك: "علمتُ أنّي مطلوب" ولم تَدْرِ بماذا؟ نَعَمْ أنت مطلوب بما كنت عليه من الاجتهاد والجدّ. ما هذه الدار دار راحة. ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ من أمرٍ أنت فيه ﴿فَانْصَبْ﴾[4] في أمر يأتيك في كلّ نفس. فأين الفراغ؟ فشكرني على ما ذكّرته به. فانظر عنايةَ الله بنا وبه.

* * *

ثمّ نرجع فنقول: ثمّ إنّه -تعالى- خلق ملائكة من أنوار العرش يحفّون بالعرش، وجعل فيما خلق من الملائكة أربع حملة تحمل العرش، من الأربع القوائم الذي هو العرش عليها. وكلّ قائمة مشتركة بين كلّ وجهين إلى حدّ كلّ نصف وجه، وجعل أركانه متفاضلة في الرتبة. فأنزلني في أفضلها، وجعلني من جملةِ حملَتِه. فإنّ الله، وإن[5] خلق ملائكة يحملون العرش، فإنّ له من الصنف الإنسانيّ أيضا صورا تحمل العرش، الذي هو مستوى "الرحمن" أنا منهم. والقائمة التي

١ ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٢ ص ٩٩
٣ [طه : ١١٤]
٤ [الشرح : ٧]
٥ ص ٩٩ب

هي أفضل قوائمه هي لنا. وهي خزانة الرحمة؛ فجعلني رحيما مطلقا مع علمي بالشدائد. ولكن علمت أنّه ما ثَمّ شدّة إلّا وفيها[1] رخاوة، ولا عذاب إلّا وفيه رحمة، ولا قبض إلّا وفيه بسط، ولا ضيق إلّا وفيه سعة؛ فعلمتُ الأمرين. والقائمةُ التي على يميني قائمةُ رحمة أيضا؛ لكن ما فيها عِلم شدّة؛ فينقص حاملها في الدرجة عن حامل القائمة العظمى، التي هي أعمّ القوائم. والقائمة التي على يساري قائمةُ الشدّة والقهر؛ فحاملُها لا يعلم غير ذلك[2]. والقائمة الرابعة التي تقابلني أفاضتْ عليها القائمة التي أنا فيها مما هي عليه؛ فظهرتْ بصورتها؛ فهي نور وظلمة، وفيها رحمة وشدّة.

وفي نصف كلّ وجهٍ قائمة؛ فهي ثمانية قوائم، لا حامل لتلك الأربعة اليوم إلى يوم القيامة، فإذا كان في القيامة؛ وكّل الله بها من يحملها. فيكونون في الآخرة ثمانية، وهم في الدنيا أربعة. وما بين كلّ قائمتين قوائم: العرشُ عليها، وبها زينته، وعددها معلوم عندنا؛ لا أُبيّنه؛ لئلّا يسبق إلى الأفهام القاصرة عن إدراك الحقائق؛ أنّ تلك القوائم عين ما توهّموه، وليست كذلك؛ فلهذا لم نتعرّض لإيضاح كمّيتها.

وبين مقعّر العرش وبين الكرسيّ فضاء واسع، وهواء مخترقٌ. وصور أعمال بعض بني آدم، من[3] الأولياء، في زوايا العرش؛ تطير من مكان إلى مكان في ذلك الانفساح الرحمانيّ. وقوائمُ هذا العرش (ثابتة) على الماء الجامد، ولذلك يضاف البرْد إلى الرحمة، كما قال ﷺ: «وجدت برد أنامله» فأعطاه العلمَ الذي فيه الرحمة. فالعرش إنما يحمله الماء الجامد، والحملة التي له إنما هي خدمة له تعظيما وإجلالا. وذلك الماء الجامد مقرّه على الهواء البارد، وهو الذي جمّد الماء. وذلك الهواء نفْس الظلمة التي هي الغيب، ولا يعلم أحد ما تلك الظلمة إلّا الله. كما قال: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾[4]. وفيها يكون الناس على الجسر- إذا بُدّلت الأرض غير الأرض. والتبدُّل في الصفة، لا في العين؛ فتكون أرض صلاح، لا أرض فساد. وتُمدُّ مَدّ الأديم فـ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾[5]. وسيأتي ذِكْر ذلك في فصلِه من هذه الفصول، إن شاء الله.

---

١ ق: فيها

٢ "والقائمة التي على يساري.. ذلك" ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب، وأصل

٣ ص ١٠٠

٤ [الجن : ٢٦]

٥ [طه : ١٠٧]

وخلق الكرسيّ في جوف هذا العرش؛ مربّع الشكل، ودَلّى إليه القدمين. فانقسمت الكلمة الواحدة، التي هي في العرش واحدة. فهي في العرش رحمة واحدة؛ إليها مآلُ كلّ شيء، وانقسمتْ في الكرسيّ إلى: رحمة، وغضب مشوب برحمة، اقتضى ذلك التركيب لما يريد الله أن يظهر في العالَم من القبض والبسط والأضداد كلّها. فإنّه المعزُّ المذلُّ، والقابض الباسط، والمعطي[1] المانع. قال -تعالى-: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾[2] فهذا من انقسام الكلمة. غير أنّ الأمر إذا كان ذاتيا لم يمكن إلّا هذا.

أنْظُرْ إِلَى الكَوْنِ فِي تَفْصِيلِهِ عَجَبَا ... وَمَرْجِعُ الكُلِّ فِي العُقْبَى إِلَى اللهِ

فِي الأَصْلِ مُتَّفِقٌ فِي الصُّورِ مُخْتَلِفٌ ... دُنْيَا وآخِرَةً فَالحُكْمُ للهِ

فِي اللهِ مِنْ كَوْنِهِ مَجْلَى لِعَالَمِهِ ... وَلا يَرَى الكَوْنِ إلّا الله باللهِ

فاعْلَمْ وُجُودَكَ إِنّ الجُودَ مُوجِدُهُ ... وَكُنْ بِذاكَ عَلَى عِلْمٍ مِنَ اللهِ

فكما استوى الرحمنُ على العرش؛ استوت القدمان على الكرسيّ. وهو على شكل العرش، في التربيع لا في القوائم. وهو في العرش كحلقةٍ ملقاة. فالكرسيُّ موضع راحة الاستواء؛ فإنّه ما تدلّى إليه ما تدلّى إلّا مباسطة. والقدم: الثبوتُ؛ فتانك: قدمُ الصدق وقدمُ الجبّار، وقدمُ الجبر وقدمُ الاختيار. ولهاتين القدمين مراتبُ كثيرةٍ في العلم الإلهيّ، لا يتّسع الوقت لإيرادها؛ لما ذهبنا إليه في هذا الكتاب من الإيجاز والاختصار!.

ومقرّ[3] هذا الكرسيّ، أيضا، على الماء الجامد. وفي جوف هذا الكرسيّ جميعُ المخلوقات من سماء وأركان؛ هي فيه كهو في العرش سواء. وله ملائكة من المقسّمات؛ ولهذا انقسمت الكلمة فيه؛ لأنّ هذا الصنف لا يعرفون أحديّة، وإن كانت فيهم؛ فإنّ الله وكّلهم بالتقسيم مع الأنفاس. فلو أشهدهم الأحديّة -منهم، ومن الأمور كلّها- ربما شُغلوا بها نفسا واحدا عن التقسيم الذي خلقوا له، وهم المطيعون -كما أخبر الله عنهم- فحيل بينهم وبين مشاهدة الوحدات. فأيّة وحدة تجلّت لهم قسّموها بالحكم، فلا يشهدون إلّا القسمة في كلّ شيء. ولا غفلة، عندهم، ولا نسيان

---

١ ص ١٠٠ب

٢ [الزمر : ١٩]

٣ ص ١٠١

لما علموه.

وأمّا ملائكة التوحيد والوحدات إذا جمعهم مع المقسّمات مجلس إلهيّ، وجرت بينهما مفاوضات في الأمر؛ اختصما؛ لأنّهما على النقيض؛ وهذا من جملة ما يختصم فيه الملأ الأعلى. فيقول الصنف الواحد بالوحدة، ويقول الآخر بالانقسام. والثنويّةُ لم توجد أرواحهم؛ إلّا من هذه الأرواح، ولم توجَد هذه الأرواح؛ إلّا من القوّتين اللتين في النفس الكلّيّة.

فالنَّفْسُ لا تُعْرَفُ إلّا بِهِ   والحَقُّ لا يُعْرَفُ إلّا بِهَا

وأيضاً[1]:

فَكُنْ لَهُ مِنْ ذَاتِهِ مُنَزِّهَا   وَكُنْ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ مُشَبِّهَا
وَمَنْ يَكُنْ عَلَى الذِي وَصَيْتُهُ   كَانَ بِمَا أَوْصَيْتُهُ مُنْتَبِهَا

واعلم -علّمك الله- أنّ ألوهيّة المخلوقين مِن هذه الحضرة ظهرت في العالَم؛ لما تعطيه من انقسام كلّ شيء. فما ظهر في العالم إلّا ما خلق -تعالى- فيه، وعلِمه. وما اختصّ العلماء بالله، وحصل لهم الشفوف على غيرهم؛ إلّا بمصادر الأشياء: من أين ظَهَرَت في العالم؟ والتقابل، لا نشكّ أنّه انقسام في مقسوم، فلا بدّ من عينٍ جامعة تقبل القسمة.

ولمّا كان عذر العالم مقبولا في نفس الأمر -لكونهم مجبورين في اختيارهم- لذلك جعل الله مآل الجميع إلى الرحمة. فهو الغفور بما سبق من ذلك عن قلوب مَن لم يُعْلِمه بصورة الأمر؛ رحمة به؛ لأنّه الرحيم في غفرانه؛ لعلمه بأنّ مزاجه لا يقبل.

فالمنعُ (هو) من القابل؛ لتضمّنه مشيئة الحقّ؛ لكون العين قابلة لكلّ مزاج. فما اختصّت واحدة على التعيين بمزاج دون غيره، مع كونها قابلة كلّ مزاج، إلّا لحكم المشيئة الإلهيّة. وإلى هنا، إذا سعِدت أرواحُ الثنويّة[2]، يكون معراجها، ليس لها قدم في غيره، فلها طريق خاصّ ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾[3].

١ ص ١٠١ب
٢ ص ١٠٢
٣ [النحل : ٩]

فصل ثالث

في الفلك الأطلس، والبروج، والجنّات، وشجرة طوبى، وسطح الفلك المكوكب

اعلم أنّ الله خلق في جوف هذا الكرسيّ، الذي ذكرناه، جسما شفّافا مستديرا، قسّمه اثني عشر قسما. سمّى الأقسام بروجا، وهي التي أقسم بها لنا في كتابه، فقال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾[1] وأسكن كلّ برج منها ملَكا، هم لأهل الجنّة كالعناصر لأهل الدنيا. فهم ما بين مائيّ، وترابيّ، وهوائيّ، وناريّ. وعن هؤلاء يتكوّن في الجنّات ما يتكوّن، ويستحيل فيها ما يستحيل، ويفسد ما يفسد. وأعني بـ"يَفْسُدُ": يتغيّر نظامه إلى أمر آخر، ما هو الفساد المذموم المستخبَث. فهذا معنى "يفسد" فلا تتوهّم.

ومن هنا قالت الإماميّة باثني عشر إماما؛ فإنّ هؤلاء الملائكة أئمّةُ العالم الذي تحت إحاطتهم. ومن كون هؤلاء الاثني عشر لا يتغيّرون عن منازلهم؛ لذلك قالت الإماميّة بعصمة الأئمّة. لكنّهم لا يشعرون أنّ الإمداد[2] يأتي إليهم من هذا المكان. وإذا سعِدوا سَرَتْ أرواحهم في هذه المعارج، بعد الفصل والقضاء النافذ بهم، إلى هذا الفلَك تنتهي، لا تتعدّاه؛ فإنّها لم تعتقد سِوَاهُ. فهم، وإن كانوا اثني عشر، فهم على أربع مراتب؛ لأنّ العرش على أربع قوائم. والمنازل ثلاثة: دنيا، وبرزخ، وآخِرة. وما ثَمّ رابع. ولكلّ منزل من هذه المنازل أربعة، لا بدّ منهم، لهم الحكم في أهل هذه المنازل. فإذا ضربتَ ثلاثة في أربعة كان الخارج من هذا الضرب اثني عشر؛ فلذلك كانوا اثني عشر برجا.

ولمّا كانت الدار الدنيا تعود نارا في الآخرة، بقي حكم الأربعة عليها التي لها، والبرزخ في سوق الجنّة ولا بدّ فيه من حكم الأربعة، والجنّة لا بدّ فيها من حكم الأربعة؛ فلا بدّ من البروج. فالحمل والأسد والقوس على مرتبة واحدة من الأربعة في مزاجهم، والثور والسنبلة والجدي على مرتبة أخرى ولاة أيضا، والجوزاء والميزان والدالي على مرتبة أخرى ولاة أيضا، والسرطان والعقرب والحوت على مرتبة أخرى ولاة أيضا. لأنّ كلّ واحد من كلّ ثلاثة على طبيعة واحدة في

١ [البروج : ١]
٢ ص ١٠٢ب

مزاجهم، لكن منازل أحكامهم ثلاثة. وهم أربعة ولاة[1] في كلّ منزل، وكلّ[2] واحد منهم له الحكم في كلّ منزل من الثلاثة، كما أنّ اليوم والليلة لواحد من السبع الجواري الخُنّس الكُنَّس، هو واليها وصاحبها الحاكم فيها. ولكن للباقي من الجواري فيه حكم مع صاحب اليوم؛ فلا يستقلّ دون الجماعة إلّا بأوّل ساعة من يومه، وثامن ساعة.

وكذلك الليل والآخرة مثل ذلك. وإن كان لها الأسد كما كان للدنيا السرطان، وهو برجٌ منقلب والأسد برج ثابت؛ فإنّ كلّ واحد من الاثني عشر له حكم فيها. كذلك الدنيا، وإن كان لها السرطان، فلا بدّ لباقي البروج مِن حكم فيها. كذلك البرزخ، وإن كان له السنبلة، فلا بدّ لكلّ واحد من الباقين من حكم فيها. وما ثمّ منزل ثالث إلّا تبدّل الدنيا بالنار. فإنّه قد كان صاحب الدنيا، بحكم الأصل، السرطان، فلمّا عادت نارا عُزِل السرطان ووليَها برج الميزان، وتبعه الباقون في الحكم. فانظر ما أعجب هذا. فإذا انقضى عذاب أهل النار، وَلِيَها برج الجوزاء ولا بدّ لمن بقي من البروج حكم في ولاية هذا الوالي.

وإذا كان الحكم لواحد من هؤلاء في وقت نظرِه فيهم، كان مزاج القابل في الآخرة على حكم النقيض، حتى يتنعّم به إذا حكم عليه هذا في المآل خاصّة؛ لأنّ[3] المآل رحمة مطلقة عامّة ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ أعني بفضل الله ورحمته فإنّه ﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[4]. ولمّا أدار الله الفلَك الأطلس بما جعل فيه من الولاة والحكّام، وجعل منتهى دورته يوما كاملا؛ لا ليل فيه ولا نهار؛ أوجدَ ما فيه عند حركته، وبما ألقى وأوحى به إلى النوّاب من الحكم في ذلك، وجعل لأحكامهم في كلّ عين مدّة معلومة محصورة؛ تتنوّع تلك المدد بحسب المنزل: الدنياوي، والأخراوي، والبرزخي. والحكم البرزخي أسرعُه مدّة وأكبره حكما، وسيّئُهُ على قدر أيّامه. والأيّام متفاضلة: فيوم نصف دورة، ويوم دورة كاملة، ويوم من ثمان وعشرين دورة، وأكثر من ذلك إلى يوم المعارج، وأقلّ من ذلك إلى يوم الشئون، وما بين هذين اليومين درجات للأيّام متفاضلة.

---

١ ص ١٠٣
٢ ق: "والكل" مع وجود إشارة حذف الألف واللام
٣ ص ١٠٣ب
٤ [يونس : ٥٨]

وجعل لكلّ نائب من هؤلاء الأملاك الاثني عشر، في كلّ برج ملّكه إيّاه: ثلاثين خزانة. تحوي كلّ خزانة منها على علوم شتّى. يَهَبون، منها، لمن نزل بهم عن قراه ما تعطيه رتبة هذا النازل. وهي الخزائن التي قال الله فيها: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾[1] وهذا النازل بهم ما يصرّف ما حصل له من هذه الخزائن من العلوم في نفسه، فإنّ حظّه منها (هو) حظُّ حصولها، ويصرّف ما حصل له في عالم الأركان والمولّدات[2] والإنسان. فمن النازلين مَن يقيم عندهم يوما في كلّ خزانة وينصرف، وهو أقلّ النازلين إقامة. وأمّا أكثر النازلين إقامة فهو الذي يقيم عند كلّ خزانة ليحصل منها على قدر رتبته عند الله، وما يعطيه استعداده: مائة سنة. وباقي النازلين ما بين مائة سنة واليوم. وأعني باليوم قدر حركة هذا الفلَك الأطلس، وأعني بالمائة سنة؛ كلّ سنة ثلاثمائة وستين يوما من أيّام هذه الحركة، فاعلم ذلك.

وهذه الخزائن تسمّى عند أهل التعاليم: درجات الفلَك، والنازلون بها هم الجواري، والمنازل وعيّوقاتها من الثوابت، والعلوم الحاصلة من هذه الخزائن الإلهيّة هي ما يظهر في عالم الأركان من التأثيرات، بل ما يظهر من مقعّر فلَك الكواكب الثابتة إلى الأرض. وسُمّيت ثابتة لِبُطئها عن سرعة الجواري السبعة.

وجَعل لهؤلاء الاثني عشر نظرا في الجنّات وأهلها وما فيها، مخلصا من غير حجاب. فما يظهر في الجنّات من حكم، فهو عن تولّي هؤلاء الاثني عشر بنفوسهم، تشريفا لأهل الجنّة. وأمّا أهل الدنيا وأهل النار، فما يباشرون ما لهم فيها من الحكم إلّا بالنوّاب؛ وهم النازلون عليهم الذين ذكرناهم. فكلّ ما يظهر في الجنّات: من تكوين، وأكل، وشرب، ونكاح، وحركة، وسكون، وعلوم[3]، واستحالة مأكول، وشهوة؛ فعلى أيدي هؤلاء النوّاب الاثني عشر، من تلك الخزائن، بإذن الله ﷻ الذي استخلفهم.

ولهذا (كان) بين ما يحصل عنهم بمباشرتهم، وبين ما يحصل عنهم بغير مباشرتهم، بل بوساطة

---

١ [الحجر : ٢١]
٢ ص ١٠٤
٣ ص ١٠٤ب

النازلين بهم -الذين هم لهم في الدنيا والنار، كالحجّاب والنوّاب- بَونٌ عظيم وفُرقان كبير. يحصل[1] عِلم ذلك الفُرقان في الدنيا لمن اتّقى الله، وهو قوله في هذا وأمثاله: ﴿إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ وهو علم هذا وأمثاله ﴿وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ أي يستر عنكم ما يسوءكم؛ فلا ينالكم ألم من مشاهدته. فإنّ رؤية السُّوء إذا رآه مَن يمكن أن يكون محلّا له، وإن لم يحلّ به، فإنّه تسوءه رؤيته؛ وذلك لحكم الوهم الذي عنده، والإمكان العقليّ ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ أي ويستر من أجلكم عن من لكم به عناية في دعاء عامّ أو خاصّ معيّن. فالدعاء الخاصّ (هو) ما تعيّن به شخصا بعينه، أو نوعا بعينه. والعامّ ما ترسله مطلقا على عباد الله ممن يمكن أن يحلّ بهم سُوءٌ ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[2] بما أوجبه على نفسه من الرحمة، وبما امتنّ به منها على مَن استحقّ العذاب؛ كالعصاة في الأصول والفروع.

وهؤلاء النوّاب الاثنا عشر هم الذين تولّوا[3] بناء الجنّات كلّها، إلّا جنّة عدن؛ فإنّ الله خلقها بيده، وجعلها له كالقلعة للملِك، وجعل فيها الكثيب الأبيض من المسك، وهو الظاهر من الصورة التي يتجلّى فيها الربّ لعباده عند الرؤية كالمَسْك -بفتح الميم- من الحيوان وهو الجلد، وهو الغشاء الظاهر للأبصار من الحيوان. وجعل بأيديهم غراس الجنّات، إلّا شجرة طوبى؛ فإنّ الحقّ -تعالى- غرسها بيده في جنّة عدن، وأطالها حتى علَتْ فروعُها سُوَرَ جنّة عدن، وتدلّت مُظَلِّلة على سائر الجنّات كلّها. وليس في أكمامها ثمرٌ إلّا الحليّ والحلل؛ لباس أهل الجنّة وزينتهم زائدا في الحسن والبهاء على ما تحمِل أكمام شجر الجنّات من ذلك؛ لأنّ لشجرة طوبى اختصاص فضلٍ بِكَوْنِ الله خلقها بيده. فإنّ لباس أهل الجنّة ما هو نَسيج يُنسج، وإنما تَشَقَّقُ عن لباسهم ثمرُ الجنّة كما تشقّق الأكمام هنا عن الورد وعن شقائق النعمان وما شاكلها من الأزهار كلّها.

ورد في الخبر الصحيح كشفا والحَسَنِ نقلا: «إنّ رسول الله ﷺ كان يخطب الناسَ فدخل رجل، فقال: يا رسول الله؛ أو قام رجل من الحاضرين -الشكّ منّي- فقال: يا رسول الله: ثياب

[1] رسمها في ق قريب من: "فحصل" مع إهمال الحرف الأول، والترجيح من س، ه
[2] [الأنفال: ٢٩]
[3] ص ١٠٥

أهل الجنّة؛ أَتُخْلَقُ تُخْلَق؟ أم[1] نسج تُنسج؟ فضحك الحاضرون من سؤاله. فكره ذلك رسول الله ﷺ وقال: تضحكون أن سأل جاهل عالما؟ يا هذا؛ -وأشار إلى السائل-: بل تَشَقَّقُ عنها ثمر الجنّة». فحصل لهم عِلم لم يكونوا عرفوه.

ودارَ بجنّة عَدْنٍ سائر الجنّات، بين كلّ جنّة وجنّة سور يميّزها عن صاحبتها، وسمّى كلّ جنّة باسمِ معناهُ سارٍ في كلّ جنّة، وإن اختصّتْ هي بذاك الاسم، فإنّ ذلك الاسم الذي اختُصّت أمكنُ ما هي عليه من معناه وأفضله -مثل قوله ﷺ: «أقضاكم عليّ، وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضكم زيد» وإن كان كلّ واحد منهم يعلم القضاء، والحلال والحرام، والفرائض؛ ولكن هو بمن تسمّى به أخصّ- وهي: جنّة عدن، وجنّة[2] الفردوس، وجنّة النعيم، وجنّة المأوى، وجنّة الخلد، وجنّة السلام، وجنّة المقامة، والوسيلة؛ وهي أعلى جنّة في الجنّات؛ فإنها في كلّ جنّة من جنّة عدن إلى آخر جنّة. فلها في كلّ جنّة صورة، وهي مخصوصة برسول الله ﷺ وحده؛ نالها بدعاء أُمّته؛ حكمةً من الله، حيث نال الناسُ السعادة ببركة بعثته، ودعائه إيّاهم إلى الله، وتبيينه ما نزّل الله إلى الناس من أحكامه "جزاء وفاقا". وجعل أرض هذه الجنّات سطح الفلَك المكوكب، الذي هو سقف النار[3]. وسيأتي فصله في هذه الفصول -إن شاء الله تعالى-.

وجعل في كلّ جنّة مائةَ درجة؛ بعدد الأسماء الحسنى، والاسم الأعظم المسكوت عنه؛ لوِتْرِيّة الأسماء. وهو الاسم الذي يتميّز به الحقُّ عن العالم، هو الناظر إلى درجة الوسيلة خاصّة، وله في كلّ جنّة حكم، كما له حكم كلّ اسم إلهيّ. فافهم. ومنازل الجنّة على عدد آي القرآن: ما بلغ إلينا منه نلنا تلك المنزلة بالقراءة، وما لم يبلغ إلينا منه نلناه بالاختصاص في جنّات الاختصاص، كما نلنا بالميراث جنّات أهل النار، الذين هم أهلها.

وأبواب الجنّة ثمانية؛ على عدد أعضاء التكليف. ولهذا ورد في الخبر أنّ النبيّ -صلّى عليه وسلّم- قال في مَن توضّأ وصلّى ركعتين ولم يحدّث نفسه بشيء: «فُتِحَتْ له أبواب الجنّة الثمانية يدخل من أيّها شاء» فقال له أبو بكر الصدّيق ﷺ: "فما عليه أن لا يدخلها من أبوابها كلّها؟"

[1] ص ١٠٥ب
[2] "عدن وجنة" ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب
[3] ص ١٠٦

فقرّر رسول الله ﷺ قولَ أبي بكر وأثبته. وفي خبرٍ جعله صاحبَ هذا الحال. فلكلّ عضو باب، والأعضاء ثمانية: العين، والأذن، واللسان، واليد، والبطن، والفرج، والرجل، والقلب. فقد يقوم الإنسان في زمن واحد بأعمال هذه الأعضاء كلّها؛ فيدخل من أبواب الجنّة الثمانية، في[1] حال دخوله من كلّ باب منها. فإنّ نشأة الآخرة تشبه البرزخ وباطن الإنسان من حيث ما هو ذو خيال (كذلك).

وأمّا خوخات الجنّات فتسع وسبعون خوخة؛ وهي شُعَب الإيمان «بضع وسبعون شعبة» والبضع هنا: تسعة؛ فإنّ البضع في اللسان: من واحد إلى تسعة. فأدنى شُعَب الإيمان: «إماطةُ الأذى عن الطريق، وأعلاه: لا إله إلّا الله»، وما بينهما مما يتعلّق من الأعمال ومكارم الأخلاق. فمن أتى شيئا من مكارم الأخلاق فهو على شعبة من الإيمان، وإن لم يكن مؤمنا؛ كمن يوحَى إليه في المبشّرات -وهي جزء من أجزاء النبوّة- وإن لم يكن صاحب المبشّرة نبيّا. فتفطّنْ لعموم رحمة الله. فما تطلَق النبوّة إلّا لمن اتّصف بالمجموع؛ فذلك النبيّ. وتلك النبوّة التي حجرتْ علينا وانقطعت؛ فإنّ من جملتها التشريع بالوحي الملَكيّ، في التشريع، وذلك لا يكون إلّا لنبيّ خاصّة.

فلا بدّ أن يكون لهذه الشعبة حكم فيمن قامت به، واتّصف بها، وظهر أثرها عليه. فإنّ اللهَ لمّا أخبر بهذه الشعبة على لسان الرسول؛ أضافها إلى الإيمان إضافةَ إطلاق. لم يقيّد إيمانا بكذا، بل قال: «الإيمان» والإيمانُ بكذا (هو) شعبةٌ من شعب الإيمان المطلَق، فكلّ شعبةٍ إيمان، كالذين آمنوا بالباطل خاصّة، وهو الإصلاح[2] بين الناس بما لم يكن، والخديعة في الحرب.

فكان للكذب دخول في الإيمان؛ فهو في موطنٍ شعبةٌ من شُعَب الإيمان، وقد يوجد هذا من المؤمن وغير المؤمن. على أنّه ما ثَمّ غير مؤمن فإنّ الله ما تركه، كما أنّه ما ثَمّ غير كافر. فإنّ الأمر محصور بين مؤمن بالله ومؤمن بالباطل، وكافر بالله وكافر بالباطل. فكلّ عبد لله؛ فهو مؤمنٌ كافرٌ معًا، يعيّن إيمانَه وكفرَه ما تقيّد به. فلكلّ شعبة من الإيمان طريق إلى الجنّة.

فأهل الجنان في كلّ جنّة. وأهل النار، من حيث ما قام بهم من شُعَب الإيمان -وهم أهل

١ ص ١٠٦ب
٢ ص ١٠٧

النار الذين لا يخرجون منها- فلهم -بما كانوا فيه من شُعَب الإيمان- جميعَ الجنّات في النار، إلّا جنّة الفردوس، والوسيلة؛ لا قدم لهم فيها؛ فإنّ الفردوس لا عين له في النار. فلهم النعيم، والخلد، والمأوى، والسلام، والمقامة، وعدْن.

ولأهل الجنان الرؤية متى شاءوا، ولأهل النار -في أحيان مخصوصة- الرؤية؛ فإنّ الله ما أرسل الحجاب عليهم مطلقا، وإنما قال: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ في قوله: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾[1] لما تعوّذ عليهم، وأغلظ في حال الغضب. والربوبيّة لها الشفقة؛ فإنّ المرَبّى ضعيف يتعيّن اللطف به؛ فلذلك كان، في حال الغضب، عن ربّه محجوبا، فافهم. فأورثه ذلك الحجاب أن[2] جعله يَصْلَى الجحيم، لأنّه قال -بعد قوله: ﴿لَمَحْجُوبُونَ﴾-: ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ﴾[3] فأتى بقوله: ﴿ثُمَّ﴾ فما صَلَى الجحيم إلّا بعد وقوع الحجاب، ولذلك قيّده بـ﴿يَوْمَئِذٍ﴾.

كذلك، أيضا، لم يَخْلُ إنسانٌ ولا مكلَّفٌ أن يكون على خُلُق من أخلاق الله، وأنّ لله ثلاثمائة خُلُق؛ فلا بدّ أن يكون الإنسان، من مؤمن وكافر، على خُلُق من أخلاق الله، وأخلاق الله كلّها حسنة حميدة. فكلُّ ذاتٍ قام بها خُلُق منها، وصرّفه في الموضع الذي يستحقّه ذلك الخُلُق؛ فلا بدّ أن تسعد به حيث كانت، من نار أو جِنان، فإنّه «في كلّ ذي كبد رطبة أجر» ولا بدّ أن يحنو كلُّ إنسان على أمر مّا من خَلْق الله، فله أجرٌ من ذلك. فدركات النار هي دركات ما لم ينقطع العذاب، فإذا انتهى إلى أجله المسمّى؛ عاد ذلك الدرك في حقّ المقيم فيه درجة؛ للخُلُق الإلهيّ الذي كان عليه يوما مّا.

اللهُ أكْرَمُ أنْ تَنْساكَ مِنَّتُهُ   وَمَنْ يَجُودُ إذا الرحمنُ لَمْ يَجُدِ؟

ولمّا جعل اللهُ في المكلّف عقلا وتجلّى له؛ كان له من جهة عقله ونظره عقد وعهد لله، ألزمه ذلك النظر العقليّ وهو الافتقار إلى الله بالذات وأمثاله. ثمّ بعث إليه رسولا[4] من عنده؛ فأخذ عليه عهدا آخر على ما تقرّر في الميثاق الأوّل. فصار الإنسانُ مع الله بين عهدين: عهْدٍ

١ [المطففين : ١٥]
٢ ص ١٠٧ب
٣ [المطففين : ١٦]
٤ ص ١٠٨

عَقْلِيٌّ، وعهْدٍ شَرْعِيٍّ. وأمره الله بالوفاء بهما؛ بل طلبه الحال بذلك لقبوله. فلمّا وقفتُ على هذين العهدين، وبلغ منّي علمي بهما المبلغ الذي يبلغه مَن شاهده، قلت:

فِي القَلْبِ عَقْدُ حِجًى وَعَقْدُ هِدايَةٍ … أَتُرَاهُ يَخْلُصُ مَنْ لَهُ عَقْدانِ

رَبِّي بِمَا أَعْطَيْتَنِيهِ عَلِمْتُهُ … ما لِي لِمَا حَمَّلْتَنِيهِ تدَانِي[1]

ما كُلُّ ما كَلَّفْتَنِيهِ أُطِيقُهُ … مَنْ لِي بِتَحْصِيلِ النَّجاةِ وَذَانِ

عَقْلًا وَشَرْعًا بِالوَفَاءِ يُنادِيا … قَلْبِيْ فَمَا لِي بِالوَفَاءِ يَدَانِ

إِنْ كُنْتَ نَعْتِي فَالوَفَاءُ مُحَصَّلٌ … أَوْ كُنْتُ أَنْتَ فَمَا هُمَا عَنَيانِي

أما قولي: "إن كنتَ نعتي" فهو قول رسول الله ﷺ عن ربّه: إنّه قال: «كنت سمعَه وبصرَه ويدَه ومُؤيِّدَه» وكذلك: "إن كنتُ[2]" أعني نفسي- "أنت" أي: أنت الفاعل والموجِد للعمل والوفاء، لا أنا؛ إذ لا إيجاد لمخلوق في عقدنا، بل الأمر كلّه لله "فما هما" يعني: العقل والشرع بحكمها عليّ "عَنَياني" وإنما عَنَيا مَن له خَلق الأعمال والأحوال والقدرة عليها. وإنما قلنا هذا لِتُحقِّق عند السامعين صدق الله في قوله: ﴿وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾[3] وأقوى الجدال ما يجادَل به الله.

واعلم أنّ شجرة طوبى لجميع شجر الجنّات كآدم لِمَا ظهر منه من البنين. فإنّ الله لمّا غرسها بيده وسوّاها؛ نفخ فيها من روحه، وكما فعل في مريم: نفخ[4] فيها من روحه؛ فكان عيسى- يحيي الموتى، ويبرئ الأكمه والأبرص؛ فشرُف آدم باليدين، ونفْخ الروح فيه. فأورثه -نفخ الروح فيه- علمَ الأسماء لكونه مخلوقا باليدين. فبالمجموع نال الأمر، وكانت له الخلافة، والمالُ والبنون زينةُ الحياة الدنيا. وتولّى الحقُّ غرسَ شجرة طوبى بيده، ونفخ الروح فيها؛ زيّنها بثمر الحليّ والحلل اللذين فيهما زينة للابسهما. فنحن أرضُها؛ فإنّ الله جعل ما على الأرض زينة لها، وأعطت في ثمر الجنّة كلّه، من حقيقتها، عين ما هي عليه، كما أعطت النواةُ النخلةَ وما تحمله مع النّوى الذي في

---

١ كتب فوقها بقلم آخر: "تراني" مع حرف خ.
٢ ص ١٠٨ب
٣ [الكهف : ٥٤]
٤ ق: "ثم نفخ" مع إشارة مسح بسيطة لـ "ثم"، وفي س: "نفخ فيها ثم نفخ فيها من روحه"

ثمرها. وكلُّ مَن تولّاه الحقّ بنفسه من وجهه الخاصّ بأمر مّا من الأمور؛ فإنّ[1] له شفوفا وميزة على مَن ليس له هذا الاختصاص ولا هذا التوجّه. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[2].

* * *

الفصل الرابع في فلَك المنازل

وهو المكوكب، وهيئة السماوات والأرض، والأركان، والمولّدات، والعَمَد الذي مسك الله السماء به أن تقع على الأرض؛ لرحمته بمن فيها من الناس مع كفرهم بِنِعَمِه؛ فلا تهوي السماء ساقطة واهية حتى يزول الناس منها

اعلم أنّ الله خلق هذا الفلَك المكوكب في جوف الفلَك الأطلس، وما بينهما خلق الجنّات بما فيها. فهذا الفلَك أرضُها، والأطلس سماؤها، وبينهما فضاء لا يَعلم منتهاه إلّا مَن أعلمه الله؛ فهو فيه كحلقة في فلاةٍ فَيْحاء. وعيَّن في مقعَّر هذا الفلَك ثماني وعشرين منزلة، مع ما أضاف إلى هذه الكواكب التي سمّيت منازل بقطع السيّارة فيها. ولا فرق بينها وبين سائر الكواكب الأُخر التي ليست بمنازل، في سيرها وفيما تختصّ به من الأحكام، في نزولها الذي ذكرناه في البروج. قال تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾[3] يعني هذه المنازل[4] المعيّنة في هذا الفلَك المكوكب. وهي كالمنطقة بين الكواكب من الشرطين إلى الرِّشا، وهي تقديرات وفروض في هذا الجسم، ولا تُعرف أعيان هذه المقادير إلّا بهذه الكواكب. كما أنّه ما عُرفتْ أنّها منازل إلّا بنزول السيّارة فيها، ولولا ذلك ما تميّزتْ عن سائر الكواكب إلّا بأشخاصها. ومن مقعّر هذا الفلَك هي الدار الدنيا؛ فإنّه من هنا إلى ما تحته يكون استحالة ما تراه إلى الأخرى؛ فللأخرى صورة فيها غير صورة الدنيا. فينتقل، مَن ينتقل منها، إلى الجنّة: من إنسان، وغير إنسان. ويبقى، بما يبقى فيها، من إنسان وغير إنسان. وكلُّ من يبقى فيها فهو من أهل النار الذين هم أهلها.

وجعل الله لكلّ كوكب من هذه الكواكب قَطْعا في الفلَك الأطلس ليحصل من تلك الخزائن التي في بروجه، وبأيدي ملائكته الاثني عشر من علوم التأثير، ما تعطيه حقيقة كلّ كوكب. وقد

---

١ ص ١٠٩
٢ [الأحزاب : ٤]
٣ [يس : ٣٩]
٤ ص ١٠٩ب

بيّنّا ذلك. وجعلها على طبائع مختلفة. والنور الذي فيها وفي سائر السيّارة (يأتيها) من نور الشمس، وهو الكوكب الأعظم القلبيّ. ونور الشمس ما هو من حيث عينها، بل هو من تجلٍّ دائم لها من اسمه "النور" فما ثَمّ نور إلّا نور الله الذي هو ﴿نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[1] فالناس يضيفون ذلك النور إلى جِرم[2] الشمس. ولا فرق بين الشمس والكواكب في ذلك، إلّا أنّ التجلّي للشمس على الدوام؛ فلهذا لا يذهب نورها إلى زمان تكويرها؛ فإنّ ذلك التجلّي المثاليّ النوريّ يستتر عنه، في أعين الناظرين، بالحجاب الذي بينها وبين أعينهم. وبسباحة هذه الكواكب تحدث أفلاكا في هذا الفلك، أي: طُرُقًا.

والهواء يعمّ جميع المخلوقات؛ فهو حياة العالم، وهو حارٌّ رطبٌ. فما أفرطتْ فيه الحرارة والسخف سمّي نارا، وما أفرطتْ فيه الرطوبة وقلّتْ حرارته سمّي ماء، وما بقي على حكم الاعتدال بقي عليه اسم الهواء. وعلى الهواء امتسك الماء، وبه جرى وانساب وتحرّك. وليس في الأركان أقبلُ لسرعة الاستحالة من الهواء؛ لأنّه الأصل. وهو فرع لازدواج الحرارة والرطوبة على الاعتدال والطريقِ المستقيم؛ فهو الأسطقس الأعظم أصل الأسطقسات كلّها. والماء أقرب اسطقس إليه، ولهذا جعل الله منه كلّ شيء حيّ، ويقبل بذاته التسخين. ولا تقبل النار برودة ولا رطوبة، لا بالذات ولا بالعرَض، بخلاف الماء.

* * *

وَصْلٌ:
(البروج الهوائيّة أعظم البروج)

فأعظمُ البروجِ (هي) البروجُ الهوائيّة؛ وهي الجوزاء، والميزان، والدالي. ولمّا خلق الله الأرض سبعَ طباق جعل كلّ أرض أصْغَرَ من[3] الأخرى، ليكون على كلّ أرضٍ قبّة سماء. فلمّا خلق الأرض وقدّر فيها أقواتها، وكسا الهواء صورة النحاس الذي هو الدخان؛ فمن ذلك الدخان خلق سبع سموات طباقا، أجساما شفّافة، وجعلها على الأرض كالقباب على كلّ أرض سماء، أطرافها

[1] [النور: ٣٥]
[2] ص ١١٠
[3] ص ١١٠ب

عليها نصف كرة، والأرض لها كالبساط. فهي مدحيّة؛ دحاها من أجل السماء أن تكون عليها، فمادتْ. فقال بالجبال عليها؛ فثقلتْ؛ فسكنتْ بها.

وجعل في كلّ سماء منها كوكبًا؛ وهي الجواري. منها القمر في السماء الدنيا، وفي السماء الثانية الكاتب وهو عطارِد، وفي الثالثة الزهرة، وفي الرابعة الشمس، وفي الخامسة الأحمر وهو المريخ، وفي السادسة المشتري وهو بهرام[1]، وفي السابعة زحل وهو المقاتل[2]؛ كما رسمناها في المثال المتقدّم. فلمّا سبَحت الكواكب كلّها، ونزلتْ بالخزائن التي في البروج، ووهبتها ملائكة البروج من تلك الخزائن ما وهبتْها؛ أثّرت في الأركان ما تولّد فيها من جماد -الذي هو المعدن- ونبات، وحيوان، وآخر موجودِ الإنسان الحيوان[3]؛ خليفة الإنسان الكامل، وهو الصورة الظاهرة التي[4] بها جمع حقائق العالَم.

والإنسان الكامل هو الذي أضاف إلى جمعيّة حقائق العالَم، حقائق الحق التي بها صحّت له الخلافة، ظهر ذلك[5] فيمن ظهر من هذه الصورة. فجعل في كلّ صنف من المولّدات؛ كاملًا من جنسها. فأكملُ صورة ظهرتْ في المعدن صورةُ الذهب، وفي النبات شجرُ الوقواق، وفي الحيوان الإنسانُ. وجعل بين كلّ نوعين متوسّطات؛ كالكمأة بين المعدن والنبات، والنخلة بين النبات والحيوان، والنسناس والقرد بين الحيوان والإنسان. ونفخ في كلّ صورة أنشأها روحًا منه؛ فحييتْ؛ وتعرّف إليها بها؛ فعرفته بأمرٍ جُبِلتْ عليه تلك الصورة. وما تعرّف إليها إلّا من نفسها، فما تراه إلّا على صورتها؛ وكانت الصور على أمزجة مختلفة، وإن كانت خلقتْ من نفس واحدة؛ كقلوب بني آدم خلقها الله من نفس واحدة، وهي مختلفة.

فمن الصور من بَطُنَت حياته، فأخذ الله بأبصار أكثر الناس عنها؛ وهي على ضربين: ضربٌ له نموّ وغذاء، ونوعٌ لا غذاء له. فسمّينا الصنف الواحد: معدنا وحجرا، والآخر: نباتا. ومن الصور من ظهرت حياته، فسمّيناه: حيوانا، وحيًّا. والكلُّ حيٌّ، في نفس الأمر، ذو نفس ناطقة. ولا

[1] هناك إشارة شطب عليها، وفوقها: أورمز
[2] هناك إشارة شطب عليها، وفوقها: كيوان
[3] ثابتة في الهامش بقلم آخر
[4] ثابتة في الهامش بقلم الأصل
[5] ص ١١١

يمكن أن يكون في العالَم صورةٌ لا نفْس لها، ولا حياة، ولا عبادة ذاتية وأمريّة، سَوَاء كانت تلك الصورة مما يُحَدُّ بها الإنسان من الأشكال، أو تُحَدُّ بها الحيوانات. أو مَن أحدثها من الخلق عن قصد وعن غير قصد[1]؛ فما هو إلّا أن تتصوّر الصورة: كيف تصوّرتْ؛ وعلى يدي مَن ظهرتْ؛ إلّا ويُلبسها اللهُ -تعالى- روحا من أمره، ويتعرّف إليها من حينه؛ فتعرفه منها، وتشهده فيها. هكذا هو الأمر دائمًا؛ دنيا وآخرة يكشفه أهلُ الكشف.

فظهر الليل والنهار بطلوع الشمس وغروبها، كما حدث اليوم بدورة الفلَك الأطلس، كما حدث الزمان بمقارنة الحوادث عند السؤال بمتى؟ والزمان، واليوم، والليل، والنهار، وفصول السنة كلّها أمور عدميّة، نِسبيّة، لا وجود لها في الأعيان. وأوحى في كلّ سماء أمرَها، وجعل إمضاء الأمور التي أودعها السماوات، في عالم الأركان، عند سباحة هذه الجواري، وجعلهم نوّابا متصرّفين بأمر الحقّ لتنفيذ هذه الأمور التي أخذوها من خزائن البروج في السنة بكمالها، وقدَّرها المنازل المعلومة التي في الفلَك المكوكب، وجعل لها اقترانات وافتراقات، كلُّ ذلك بتقدير العزيز العليم. وجعل سيرَها في استدارة، ولهذا سمّاها أفلاكا. وجعل في سطح السماء السابعة الضراح؛ وهو البيت المعمور، وشكله كما رسمته في الهامش:

وخلق في كلّ سماء عالَمًا من الأرواح والملائكة يعمرونها. فأمّا الملائكة فهم السفراء النازلون بمصالح العالَم[2] الذي ظهر في الأركان، والمصالح أمورٌ معلومة. وما يحدث عن حركات هذه الكواكب كلّها، وعن حركة الأطلس؛ لا عِلم لهؤلاء السفراء بذلك حتى تحدث؛ فلكلّ واحد منهم مقام معلوم لا يتعدّاه. وباقي العالم شغلهم التسبيح والصلاة والثناء على الله -تعالى-.

و(خلق) بين السماء السابعة والفلك المكوكب كراسيّ عليها صور كصور المكلّفين من الثقلين، وستور مرفوعة بأيدي ملائكة مطهّرة، ليس لهم إلّا مراقبة تلك الصور، وبأيديهم تلك الستور. فإذا نظر الملَك إلى الصور قد سمجتْ وتغيّرتْ عمّا كانت عليه من الحُسن؛ أرسل الستر بينها

١ ص ١١١ب
٢ ص ١١٢

وبين سائر الصوَر؛ فلا يعرفون ما طرأ، ولا يزال الملَك من الله مراقِبا تلك الصورة؛ فإذا رأى تلك الصورة قد زال عنها ذلك القُبح وحسنتْ؛ رفع الستر؛ فظهرتْ في أحسن زينة. وتسبيح تلك الصور، وهؤلاء الأرواح الملَكيّة الموكّلة بالستور: «سبحان من أظهر الجميل، وستر القبيح» وأطلع أهل الكشف على هذا ليتخلّقوا بأخلاق الله، ويتأدّبوا مع عباد الله؛ فيُظهِرون محاسنَ العالم، ويَسترون مساويهم؛ وبذلك جاءت الشرائع من عند الله. فإذا رأيتَ مَن يدّعي الأهليّة لله، ويكون مع العالَم على خلاف هذا الحكم؛ فهو كاذبٌ في[1] دعواه. وبهذا وأمثاله تسمّى -سبحانه- بالغافر، والغفور، والغفّار.

ولمّا كوّن الله ملكوتَه مما ذكرناه؛ خلق آدم بيديه من الأركان، وجعل أعظم جزء فيه: التراب؛ لبرده ويُبْسِه، وأنزله خليفة في أرضه التي خُلق منها. وقد كان خلق قبله الجانّ من الأركان، وجعل أغلبَ جزء فيه: النارَ. وكان من أمر آدم وإبليس والملائكة ما وصف الله لنا في القرآن، فلا يُحتاج إلى ذِكْر ذلك. وأمسكَ الله صورة السماء على السماء؛ لأجل الإنسان الموحِّد، الذي لا يمكن أن ينفي؛ فذِكْرُه: "الله الله" لأنّه ليس في خاطره إلّا الله، فما عنده أمر آخر يدّعي عنده ألوهيّة فينفيه بـ"لا إله إلّا الله" فليس إلّا الله الواحد الأحد. ولهذا قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى لا يبقى على وجه الأرض من يقول: الله الله» وهو الذّكْر الأكبر الذي قال الله فيه: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[2] فما قال الرسول ﷺ: "مَن يقول لا إله إلّا الله". فهذا الاسم هو هِجّير هذا الإمام الذي يُقبض آخرا، وتقوم الساعة؛ فتنشقّ السماء. فإنّ هذا وأمثاله كان العَمَد؛ لأنّ الله ماسِكُها من أجله أن تقع على الأرض، ولذلك قال فيها: إنّها "واهية" أي واقعة ساقطة.

ثمّ ما زالت النوّاب تتحرّك في طُرُقها[3]، والصور تظهر بالاستحالات في عالم الأركان: دنيا، وبرزخا، وآخرة، إلى أن يرث اللهُ الأرض ومن عليها؛ فلا يبقى إلّا ما في الآخرة؛ وهو يوم القيامة، والداران: الجنّة والنار، ولكلّ واحدة منها ملؤها؛ من الجنّ والإنس، ومما شاء الله. وفي

١ ص ١١٢ب
٢ [العنكبوت: ٤٥]
٣ ص ١١٣

الجنّة قدمُ الصدق، وفي النار قدمُ الجبّار؛ وهما القدمان اللتان في الكرسيّ. وقد مرَّ من الكلام -في هذا الفنّ، من هذا الكتاب- ما فيه غنية للعاقل، وبُلْغَة زادٍ للمسافر؛ توصله إلى مقصوده.

الفصل الخامس في أرض الحشر، وما تحوي عليه من العالَم والمراتب، وعرش الفصل والقضاء وحملته، وصفوف الملائكة عليها بين يديْ الحَكَم العَدْل

اعلم أنّ الله -تعالى- إذا نُفِخ في الصور، وبُعثِر ما في القبور، وحُشِر الناس والوحوش ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾[1] ولم يَبْقَ في بطنها سِوى عينها؛ إخراجا لا نباتا؛ وهو الفرق بين نشأة الدنيا الظاهرة وبين نشأة الآخرة الظاهرة؛ فإنّ الأُولَى أنبتنا فيها من الأرض؛ فنبتنا نباتا كما ينبت النبات على التدريج[2]، وقبول الزيادة في الجِرْم طولا وعرضا. ونشأة الآخرة إخراجٌ من الأرض على الصورة التي شاء الحقُّ أن يخرجنا عليها. ولذلك علّق المشيئةَ بنشر الصورة التي أعادها في الأرض الموصوفة بأنّها نبتتْ؛ فنبتتْ على غير مِثال؛ لأنّه ليس في الصور صورة تشبهها. فكذلك نشأة الآخرة يظهرها الله على غير مثالِ صورةٍ تقدّمتْ تشبهها. وذلك قوله: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾[3] ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾[4] ﴿وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[5].

فإذا ﴿أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾[6] وحدّثتْ أنّها ما بقي فيها مما اختزنته شيء؛ جيء بالعالَم إلى الظلمة التي دون الجسر؛ فأُلقوا فيها حتى لا يرى بعضهم بعضا، ولا يبصرون كيفيّة التبديل في السماء والأرض؛ حتى تقع. فتُمَدُّ الأرض أوّلًا مَدَّ الأديم، وتُبْسَط فـ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾[7] -وهي الساهرة فلا نوم فيها؛ فإنّه لا نوم لأحد بعد الدنيا- ويرجع ما تحت مقعّر فلك الكواكب: جهنّم. ولهذا[8] سمّيت بهذا الاسم لِبُعْدِ قَعْرِها؛ فأين المقعّر من الأرض؟ ويوضع الصراط

١ [الزلزلة : ٢]
٢ ص ١١٣ب
٣ [الأعراف : ٢٩]
٤ [الواقعة : ٦٢]
٥ [الواقعة : ٦١]
٦ [الزلزلة : ٢]
٧ [طه : ١٠٧]
٨ ق، س: وبهذا

من الأرض علوا على استقامة إلى سطح الفلَك المكوكب؛ فيكون منتهاه إلى المَرْج الذي خارج سور الجنّة.

وأوّل جنّة يدخلها الناس هي جنّة النعيم. وفي ذلك المَرج هي المَأدبة؛ وهو درمكة بيضاء نقيّة[1]؛ منها يأكل أهل المأدبة، وهو قوله -تعالى- في المؤمنين إذا أقاموا التوراة والإنجيل من بني إسرائيل: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾[2] فنحن أمّة محمد ﷺ نقيم كلّ ما أنزل إلينا من ربّنا بالإيمان به، ونعمل، من ذلك، بما أُمرنا من العمل به. وغيرنا من الأمم: منهم من آمن كما آمنّا، ومنهم من آمن ببعض وكفر ببعض. فمن نجا منهم قيل فيه: ﴿لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ وهو ما خرج من فروع أشجار الجنان على السور، فظلّل على هذا المرج؛ فقطفه السعداء ﴿وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ هو ما أكلوه من الدرمكة البيضاء التي هم عليها.

ووضع الموازين في أرض الحشر؛ لكلّ مكلَّف ميزان يخصّه. وضُرِب بسور يسمّى: الأعراف؛ بين الجنّة والنار، وجعله مكانا لمن اعتدلت كِفّتا ميزانه؛ فلم ترجح إحداهما على الأخرى، ووقفت الحفَظة: بأيديهم الكتب التي كتبوها في الدنيا من أعمال المكلّفين وأقوالهم، ليس فيها شيء من اعتقادات قلوبهم إلّا ما شهدوا به على أنفسهم بما تلفّظوا به من ذلك؛ فعلّقوها في أعناقهم بأيديهم. فمنهم من أخذ كتابه بيمينه، ومنهم من أخذه بشماله، ومنهم من أخذه من وراء ظهره؛ وهم الذين نبذوا الكتاب في الدنيا وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا[3]؛ وليس أولئك إلّا الأئمّة الضُّلّال المضِلُّون؛ الذين ضَلُّوا وأَضَلُّوا.

ويجيء بالحوض يتدفّق ماءً، عليه من الأواني على عدد الشاربين منه؛ لا تزيد ولا تنقص، ترمي فيه أنبوبان: أنبوب ذهب، وأنبوب فضّة. وهو لزيقٌ بالسور، ومن السور تنبعث هذان الأنبوبان؛ فيشرب منه المؤمنون.

ويؤتى بمنابر من نور، مختلفة في الإضاءة واللون؛ فتُنصب في تلك الأرض. ويؤتى بقوم

١ ص ١١٤
٢ [المائدة : ٦٦]
٣ ص ١١٤ب

فيقعدون عليها، قد غشيتهم الأنوار، لا يعرفهم أحد في رحمة الأبد، عليهم من الخِلع الإلهيّة ما تقرّ به أعينهم. ويأتي مع كلّ إنسان قرينُه من الشياطين والملائكة. وتنشر الألوية، في ذلك اليوم، للسعداء والأشقياء بأيدي أئمّتهم الذين كانوا يدعونهم إلى ما كانوا يدعونهم إليه من حقّ وباطل، وتجتمع كلّ أُمّة إلى رسولها: مَن آمن منهم به، ومَن كفر. ويحشر الأفراد والأنبياء بمعزل من الناس، بخلاف الرسل؛ فإنّهم أصحاب العساكر؛ فلهم مقام يخصّهم.

وقد عيَّن الله في هذه الأرض، بين يدي عرش الفصل والقضاء، مرتبةً عظمى امتدّتْ من الوسيلة التي في الجنّة، يسمّى ذلك: "المقام المحمود" وهو لمحمد ﷺ خاصّة. وتأتي الملائكة، ملائكة السماوات، ملائكة كلّ سماء على حِدَة، متميّزة عن غيرها؛ فيكونون سبعة صفوف؛ أهلُ كلّ سماءٍ صفٌّ. والروح[1] قائم مقدَّم الجماعة، وهو الملَك الذي نزل بالشرائع على الرسل، ثمّ يجاء بالكتب المنزلة والصحف، وكلّ طائفة -ممن نزلت من أجلها- خلفها. فيمتازون عن أصحاب الفترات، وعمّن تعبّد نفسه بكتاب لم ينزل من أجله؛ وإنما دخل فيه، وترك ناموسه لكونه من عند الله، وكان ناموسه عن نظر عقليّ من عاقل مهديّ.

ثمّ يأتي الله ﷻ على عرشه، والملائكة الثمانية تحمل ذلك العرش؛ فيضعونه في تلك الأرض. والجنّة عن يمين العرش، والنار من الجانب الآخر. وقد علَتِ الهيبة الإلهيّة، وغلبت على قلوب أهل الموقف؛ من إنسان، وملَك، وجانّ، ووحش؛ فلا يتكلّمون إلّا همسا: بإشارة عين، وخفيّ صوت. وتُرفع الحجب بين الله وبين عباده؛ وهو كشف الساق، ويأمرهم داعي الحقّ عن أمر الله بالسجود لله. فلا يبقى أحدٌ سجد لله خالصا، على أيّ دين كان، إلّا سجد السجود المعهود، ومَن سجد اتّقاءً ورياءً: خَرَّ على قفاه. وبهذه السجدة يرجح ميزان أصحاب الأعراف؛ لأنّها سجدة تكليف؛ فيسعدون، ويدخلون الجنّة.

ويشرع الحقُّ في الفصل والحكم بين عباده، فيما كان بينهم. وأمّا ما كان بينهم وبين الله؛ فإنّ الكرم الإلهيّ قد أسقطه؛ فلا يؤاخِذ اللهُ أحدا من عباد الله في ما لم يتعلّق به حقّ الغير. وقد

---

[1] ص ١١٥

ورد مِن[1] أخبار الأنبياء -عليهم السلام- في ذلك اليوم ما قد ورد على ألسنة الرسل، ودوَّن الناس فيه ما دوَّنوا؛ فمَن أراد تفاصيل الأمور فلينظرها هنالك.

ثمّ تقع الشفاعة الأُولَى من محمد ﷺ في كلّ شافع أن يَشفع. فيشفع الشافعون، ويقبل الله من شفاعتهم ما شاء، ويردّ من شفاعتهم ما شاء؛ لأنّ الرحمة في ذلك اليوم يبسطها الله في قلوب الشفعاء. فمن رَدَّ اللهُ شفاعتَه من الشافعين لم يردَّها انتقاصًا بهم، ولا عدم رحمة بالمشفوع فيه؛ وإنما أراد بذلك إظهار المنّة الإلهيّة على بعض عباده؛ فيتولّى اللهُ سعادتَهم، ورفع الشقاوة عنهم. فمنهم من يرفع ذلك عنه بإخراجه من النار إلى الجِنان، وقد ورد. وشفاعته بشفاعة أرحم الراحمين عند المنتقم الجبّار؛ فهي مراتب أسماء إلهيّة، لا شفاعة محقَّقة. فإنّ الله يقول في ذلك اليوم: «شفعتِ الملائكة والنبيّون والمؤمنون، وبقي أرحم الراحمين» فدلّ بالمفهوم أنّه لم يَشفع. فيتولّى بنفسه إخراج مَن شاء من النار إلى الجنّة، ونَقْل حالِ مَن هو من أهل النار، من شقاء الآلام إلى سعادة إزالتها[2]؛ فذلك قدر نعيمه. وقد شاء[3]. ويملأ الله جهنّم بغضبه المشوب وقضائه[4]، والجنّة برضاه؛ فتعمّ الرحمة، وتُبسط النّعمة؛ فيكون الخلق كما هم في الدنيا على[5] صورة الحقّ؛ فيتحوّلون لتحوُّله. وآخر صورة يتحوّل إليها في الحكم في عباده (هي) صورة الرضا، فيتحوّل الحقّ في صورة النعيم. فإنّ الرحيم والمعافي أوّل مَن يَرحم ويعفو وينعم على نفسه بإزالة ما كان فيه من الحرج والغضب على من أغضبه، ثمّ سَرَى ذلك في المغضوب عليه. فمن فَهِمَ فقد أمنّاه، ومَن لم يفهم فسيعلم ويفهم؛ فإنّ المآل إليه.

والله، من حيث يعلم نفسه، ومِن هويّته وغناه، فهو على ما هو عليه. وإنما هذا الذي وردث به الأخبار، وأعطاه الكشف؛ إنما ذلك أحوال تظهر، ومقامات تشخّص، ومعان تجسّد؛ لِيُعْلِمِ الحقُّ عبادَه معنى الاسم الإلهيّ "الظاهر" وهو ما بدا من هذا كلّه، والاسم الإلهيّ "الباطن" وهو هويّته؛ وقد تسمّى لنا بهما. فكلُّ ما هو العالَم فيه من تصريف، وانقلاب، وتحوُّل

---

[1] ص ١١٥ب
[2] ق: إزالتها
[3] رسمها في ق أقرب إلى: "يشاء" مع ملاحظة أنّ الحروف المعجمة مهملة، س: مشى
[4] "المشوب وقضائه" ثابتة في الهامش بقلم الأصل
[5] ص ١١٦

في صور: في حقٍّ وخلقٍ؛ فذلك من حكم الاسم "الظاهر" وهو منتهى علم العالَم والعلماء بالله. وأمّا الاسم "الباطن" فهو إليه، لا إلينا. وما بأيدينا منه سِوَى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[1] على بعض وجوه محتملاته، إلّا أنّ أوصاف التنزيه لها تعلُّق بالاسم الباطن، وإن كان فيه تحديد، ولكن ليس في الإمكان أكثر من هذا؛ فإنّه غاية الفهم عندنا الذي يعطيه استعدادُنا.

وأمّا[2] قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾[3] فإنّ الطريق إلى الجنّة عليها؛ فلا بدّ من الورود. فإذا لم يبق في أرض الحشر من أهل الجنّة أحدٌ، عاد كلّه نارا؛ أي دار النار، وإن كان فيها زمهرير. فجهنّم من مقعَّر فلك الكواكب إلى أسفل سافلين.

* * *

الفصل السادس

في جهنّم، وأبوابها، ومنازلها، ودركاتها

اعلم أنّ جهنّم تحوي على السماوات والأرض، على ما كانت عليه السماء والأرض إذ ﴿كَانَتَا رَتْقًا﴾[4] فرجعت إلى صِفتها من الرتق. والكواكب كلّها فيها طالعة وغاربة على أهل النار بالحرور والزمهرير: بالحرور على المقرورين بعد استيفاءِ المؤاخذة بما أجرموا، وبالزمهرير على المحرورين ليجدوا في ذلك نعيما ولذّة، ما لهم من النعيم إلّا ذلك، وهو دائم عليهم أبدا. وكذلك طعامهم وشرابهم، بعد انقضاء مدّة المؤاخذة، يتناولون من شجرة الزقُّوم، لكلّ إنسان بحسب ما يبرّد عنه ما كان يجده أو يسخّنه. كالظمآن بحرارة العطش فيجد ماء باردا؛ فيجد له من اللذّة لإذهابه بحرارة العطش، وكذلك ضدّه.

وأبوابها سبعة بحسب أعضاء التكليف الظاهرة؛ لأنّ[5] باب القلب مطبوع عليه، لا يُفتح من حين طبع الله عليه، عندما أقرّ له بالربوبيّة، وعلى نفسه بالعبوديّة. فللنار على الأفئدة اطّلاع لا دخول؛ لِغلق ذلك الباب؛ فهو كالجنّة حُفّت بالمكاره. فما ذكر الله من أبواب النار إلّا السبعة

---

١ [الشورى : ١١]
٢ ص ١١٦ب
٣ [مريم : ٧١]
٤ [الأنبياء : ٣٠]
٥ ص ١١٧

التي يدخل منها الناس والجانّ. وأمّا الباب المغلَق الذي لا يدخل عليه أحد، هو في السور: ف﴿بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ بإقراره بوجود الله ربّا له وعبوديّته لربّه ﴿وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾[1] وهي النار[2] ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾[3].

وأمّا منازلها ودركاتها وخوخاتها فعلى ما ذكرناه في الجنّة على السّواء، لا تزيد ولا تنقص. وليس في النار نار ميراث، ولا نار اختصاصٍ؛ وإنما ثمّ نار أعمال. فمنهم من عَمَرها بنفسه وعمله؛ الذي هو قرينه. ومَن كان مِن أهل الجنّة بقي عمله الذي كان في الدنيا على صورته في المكان من النار، الذي لو كان من أهلها صاحِبُ ذلك العمل؛ لكان فيه؛ فإنّه من ذلك المكان كان وجود ذلك العمل؛ وهو خلاف ما كُلّف مِن فعل وترك؛ فعاد إلى وطنه كما عاد الجسم عند الموت إلى الأرض التي خُلق منها، وكلّ شيء إلى أصله يعود وإن طالت المدّة؛ فإنّها أنفاسٌ معدودة، وآجال مضروبة محدودة، يبلغ الكتاب فيها أجلَه، ويرى كلّ مؤمّل ما أمّله. فإنما نحن به وله؛ فما[4] خرجنا عنّا، ولا حللنا إلّا بنا حيث كنّا.

وحُشِرت الوحوش كلّها فيها (أي في جهنّم) إنعاما من الله عليها، إلّا الغزلان وما استعمل من الحيوان في سبيل الله؛ فإنّهم في الجِنان على صور يقتضيها ذلك الموطن، و(كذلك) كلّ حيوان تغذّى به أهل الجنّة في الدنيا خاصّة.

وإذا لم يبق في النار أحد إلّا أهلها، وهم في حال العذاب، «يُجَاءُ بالموت على صورة كبش أملح، فيوضع بين الجنّة والنار: ينظر إليه أهلُ الجنّة وأهلُ النار، فيقال لهم: تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت. فيُضجِعه الروح الأمين، ويأتي يحيى عليه السلام وبيده الشفرة فيذبحه. ويقول الملَك لساكني الجنّة والنار: خلود فلا موت». ويقع اليأس لأهل النار من الخروج منها، ويرتفع الإمكان من قلوب أهل الجنّة من وقوع الخروج منها، وتغلق الأبواب؛ وهي عين فتح أبواب الجنّة؛ فإنّها على شكل الباب الذي إذا فُتح انسدّ به موضع آخر؛ فعينُ غَلْقِه لِمنزلٍ عينُ

---

١ [الحديد : ١٣]
٢ ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب
٣ [الهمزة : ٧]
٤ ص ١١٧ب

فتحِه منزلا آخر. وأمّا أسماء أبوابها السبعة: فباب جهنّم، وباب الجحيم، وباب السعير، وباب سقر، وباب لظى، وباب الحطمة، وباب سجّين، والباب المغلَق وهو الثامن الذي لا يُفتح فهو الحجاب.

وأمّا خوخات شُعب الإيمان؛ فَمن كان على شعبةٍ منها[1] فإنّ له منها تجلّيا بحسب تلك الشعبة، كانت ماكانت. ومنها ما هي خُلُق في العبد جُبِل عليه، ومنها ما هي مكتسَبة. وكلٌّ خيرٌ؛ فإنّها عن الخير المحضِ؛ فمن عمل خيرا، على أيّ وجهٍ كان، فإنّه يراه[2] ويجازَى به، ومن عمل شرّا، فلا بدّ أن يراه؛ وقد يجازى به، وقد يُعفى عنه ويبدّل له بخير إن كان في الدنيا قد تاب؛ وإن مات عن غير توبة فلا بدّ أن يبدّل بما يقابله بما تقتضيه ندامته، يوم يُبعثون ويرى الناس أعمالهم والجانّ وكلٌّ مكلّف. فما كان يستوحش منه المكلّف عند رؤيته يعود له أنسٌ به.

وتختلف الهيئات في الدارين مع الأنفاس، باختلاف الخواطر هنا في الدنيا؛ فإنّ باطن الإنسان في الدنيا هو الظاهر في الدار الآخرة، وقدكان غيبا هنا؛ فيعود شهادة هناك، وتبقى العين غيبا باطن هذه الهيئات. والصور لا تتبدّل ولا تتحوّل، فما ثَمّ إلّا صور وهيئات تخلع عنه وعليه، دائمًا أبدا، إلى غير نهاية ولا انقضاء.

* * *

الفصل السابع
في حضرة الأسماء الإلهيّة، والدنيا، والآخرة، والبرزخ

اعلم أنّ أسماء الله الحسنى نِسَبٌ وإضافاتٌ، وفيها أئمّةٌ وسَدَنَةٌ[3]، ومنها ما تحتاج إليها الممكنات احتياجا ضروريًّا، ومنها ما لا تحتاج إليها الممكنات ذاك الاحتياج الضروريّ. وقوّة نِسبتها إلى الحقّ أوْجَهُ مِن طلبها للخلق. فالذي لا بدّ للمكن منها: الحيُّ، والعالم، والمريد، والقائل؛ كشفا، وهو في النظر العقليّ: القادر. فهذه أربعة يطلبها الخلق بذاته، وإلى هذه الأربعة تستند الطبيعة، كما تستند الأركان إلى الطبيعة، كما تستند الأخلاط إلى الأركان. وإلى الأربعة

---
١ ص ١١٨
٢ ق: يره
٣ ص ١١٨ب

تستند في ظهورها أُمّهات المقولات، وهي الجوهر، والعرَض، والزمان، والمكان. وما بقي من الأسماء فكالسدنة لهذه الأسماء.

ثمّ يلي هذه الأسماء اسمان (هما) المدبّر والمفصّل، ثمّ الجواد والمقسط. فعن هذين الاسمين كان عالم الغيب والشهادة، والدار الدنيا والآخرة، وعنهما كان البلاء والعافية، والجنّة والنار، وعنهما خلق من كلّ زوجين اثنين، والسرّاء والضرّاء، وعنهما صدر[1] التحميدان في العالم: التحميد الواحد: «الحمد لله المنعِم المفضِل» والتحميد الآخر: «الحمد لله على كلّ حال». وعن هذين الاسمين ظهرت القوّتان في النفس: القوّة العِلميّة والقوّة العَمليّة، والقوّة والفعل، والكون والاستحالة، والملأ الأعلى والملأ[2] الأسفل، والخلق والأمر.

ولمّا كانت الأسماء الإلهيّة نِسبا تطلبها الآثار، لذلك لا يلزم ما تعطّل حكمُهُ منها وما لم يتعطّل، وإنما يقدح ذلك لو اتّفق أن يكون أمرا وجوديا؛ فالله إلَهٌ سَوَاء وُجِد العالَم أو لم يوجَد. فإنّ بعض المتوهّمين تخيّل أنّ الأسماء للمسمّى تدلّ على أعيان وجوديّة قائمة بذات الحقّ، فإن لم يكن حكمها يعمّ، وإلّا بقي منها ما لا أثر له معطّلا. فلذلك قلنا: إنّه -سبحانه- لو رحم العالم كلّه لكان، ولو عذّب العالم كلّه لكان، ولو رحم بعضَه وعذّب بعضه لكان، ولو عذّبه إلى أجل مسمّى لكان، فإنّ الواجب الوجود لا يمتنع عنه ما هو ممكن لنفسه، ولا مكره له على ما ينفّذه في خلقه؛ بل هو الفعّال لما يريد.

فلمّا خلق الله العالم، رأيناه ذا مراتب وحقائق مختلفة، تطلب كلُّ حقيقة منه من الحق نِسبة خاصّة؛ فلمّا أرسل -تعالى- رسله؛ كان مما أرسلهم به -لأجل تلك النِّسب- أسماء تَسمّى بها لخلقه، يفهم منها دلالتها على ذاته -تعالى-، وعلى أمر معقول لا عين له في الوجود، له حكم هذا الأثر والحقيقة الظاهرة في العالم مِن خلقٍ ورزقٍ، ونفع وضرٍّ، وإيجاد واختصاص، وأحكام وغلبة، وقهر ولطف، وتنزّل واستجلاب، ومحبّةٍ[3] وبُغض، وقُرْبٍ وبُعْدٍ، وتعظيم وتحقير. وكلُّ صفة ظاهرة في العالَم تستدعي نِسبة خاصّة لها اسم معلوم عندنا من الشرع. فمنها مشتركة،

---
١ رسمها في ق أقرب إلى: صور
٢ ص ١١٩
٣ ص ١١٩ب

وإن كان لكلّ واحد من المشتركة معنى، إذا بيّن ظهر أنّها متباينة. فالأصل في الأسماء التباين، والاشتراك فيه لفظيّ. ومنها متباينة ومنها مترادفة، ومع ترادفها، فلا بدّ أن يفهم من كلّ واحد معنى لا يكون في الآخر. فعلِمنا ما سُمّي به نفسه، واقتصرنا عليها.

فأوجد الدارَ الدنيا، وأسكنَ فيها الحيوان، وجعل الإنسانَ الكامل فيها إماما وخليفة؛ أعطاه عِلم الأسماء لما تدلّ عليه من المعاني. وسخّر لهذا الإنسان وبنيه وما تناسل منه، جميعَ ما في السماوات وما في الأرض. وخلق خلقا؛ إن قلت فيه: "موجود" صدقتَ، وإن قلت فيه: "معدوم" صدقتَ، وإن قلت فيه: "لا موجود ولا معدوم" صدقتَ؛ وهو الخيال. وله حالان: حال اتّصال؛ وهذا الحال له بوجود الإنسان وبعض الحيوان، وحال انفصال؛ وهو ما يتعلّق به الإدراك الظاهر منحازًا عنه، في نفس الأمر، كجبريل في صورة دحية، ومَن ظهر من عالم السّتر من الجنّة، مِن ملَك وغيره.

وخلق الجنّة، والمنزل الذي يكون يوم القيامة نارا. فخلق من النار ما خلق، وبقي منها ما بقي في[1] القوّة، وجعل ذلك، فيما جعل الله، في هذا الوجود الطبيعيّ من الاستحالات. فالذي هو اليوم دار دنيا؛ يكون غدا في القيامة دار جهنّم، وذلك في علم الله. وقد بيّنّا ذلك في الصورة المثاليّة المتقدمة في هذا الباب على التقريب.

* * *

الفصل الثامن
في الكثيب، ومراتب الخلق فيه

اعلم أنّ الكثيب هو مِسكٌ أبيض في جنّة عدن. وجنّةُ عدن هي قصبة الجنّة، وقلعتها، وحضرة الملِك وخواصّه؛ لا تدخلها العامّة إلّا بحكم الزيارة. وجعل في هذا الكثيب منابر، وأسرّة، وكراسي، ومراتب؛ لأنّ أهل الكثيب أربع طوائف: مؤمنون، وأولياء، وأنبياء، ورسل. وكلُّ صنف ممن ذكرنا؛ أشخاصه يفضل بعضهم بعضا. قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ

[1] ص ١٢٠

عَلَى بَعْضٍ﴾[1] وقال: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾[2] فتفضُلُ منازلهم بتفاضُلهم، وإن اشتركوا في الدار. ومِن هذا الباب قوله: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾[3] يعني الخلق. فدخل فيه جميع بني آدم، دنيا وآخرة.

فإذا أخذ الناس منازلهم في الجنّة؛ استدعاهم الحقُّ إلى رؤيته؛ فيسارعون على قدر مراكبهم ومشيهم هنا في طاعة[4] ربّهم. فمنهم البطيء، ومنهم السريع، ومنهم المتوسّط، ويجتمعون في الكثيب. وكلّ شخص يعرف مرتبته، علما ضروريًا، يجري إليها ولا ينزل إلّا فيها؛ كما يجري الطفل إلى الثدي، والحديد إلى المغناطيس. لو رام أن ينزل في غير مرتبته لما قدر، ولو رام أن يتعشّق بغير منزلته ما استطاع؛ بل يرى في منزلته أنّه قد بلغ منتهى أمله وقصده. فهو يتعشّق بما هو فيه من النعيم تعشّقا طبيعيًا ذاتيًا لا يقوم بنفسه، ما هو عنده أحسن من حاله. ولولا ذلك لكانت دارَ ألم وتنغيص، ولم تكن جنّة ولا دار نعيم. غير أنّ الأعلى له نعيم بما هو فيه في منزلة، وعنده نعيم الأدنى، وأدنى الناس منزلة -على أنّه ليس ثَمّ مَن دَني- مَن لا نعيم له إلّا بمنزلة خاصّة، وأعلاهم، من لا أعلى منه، له نعيم بالكلّ. فكلّ شخص مقصور عليه نعيمه. فما أعجب هذا الحكم!.

ففي الرؤية الأُولَى يعظم الحجاب على أهل النار، والتنغيص، والعذاب، بحيث أنّهم لا يكون عندهم عذاب[5] أشدّ عذابا من ذلك. فإنّ الرؤية الأُولَى تكون قبل انقضاء أجل العذاب وعموم الرحمة الشاملة؛ وذلك ليعرفوا ذوقا عذابَ الحجاب. وفي الرؤية الثانية، إلى ما يكون بعد ذلك، تعمّ[6] الرحمة. ولهم، أعني لأهل الجحيم، رؤية من خوخات أبواب[7] النار، على قدر ما اتّصفوا به في الدنيا من مكارم الأخلاق.

فإذا نزل الناسُ في الكثيب للرؤية، وتجلّى الحقّ -تعالى- تجلّيا عاما على صور الاعتقادات،

[1] [البقرة : ٢٥٣]
[2] [الإسراء : ٥٥]
[3] [الأنعام : ١٦٥]
[4] ص ١٢٠ب
[5] ق: عذابا
[6] ص ١٢١
[7] ق: "أهل" وشطبت وكتب فوقها بقلم الأصل: "أبواب"

في ذلك التجلّي الواحد؛ فهو واحد من حيث هو تجلٍّ، وهو كثير من حيث اختلاف الصور. فإذا رأوه انصبغوا عن آخرهم بنور ذلك التجلّي، وظهر كلُّ واحد منهم بنور صورة ما شاهده. فَمَن عَلِمه في كلّ معتقَد فله نور كلّ معتقَد، ومَن عَلِمه في اعتقاد خاص معيَّن لم يكن له سِوَى نور ذلك المعتقَد المعيَّن، ومَن اعتقد وجودا لا حكم له فيه بتنزيه ولا تشبيه؛ بل كان اعتقاده أنّه على ما هو عليه؛ فلم ينزِّه ولم يُشبِّه، وآمن بما جاء من عنده -تعالى- على عِلمه فيه -سبحانه- فله نور الاختصاص، لا يُعلم إلّا في ذلك الوقت؛ فإنّه في عِلم الله. فلا يُدرَى هل هو أعلى ممن عمّ الاعتقادات كلّها عِلمُه، أو مساوٍ له؟ وأمّا دونه، فلا.

فإذا أراد الله رجوعَهم إلى مشاهدة نعيمهم بتلك الرؤية في جنّاتهم، قال لملائكته؛ وَزَعَةِ الكثيب: «رُدُّوهم إلى قصورهم» فيرجعون بصورة ما رأوا، ويجدون منازلهم وأهليهم منصبغين بتلك الصورة؛ فيتلذّذون بها؛ فإنّهم[1] في وقت المشاهدة كانوا في حال فناءٍ عنهم؛ فلم تقع لهم لذّة في زمان رؤيتهم؛ بل اللذّة، عند أوّل التجلّي، حَكَم سلطانُها عليهم؛ فأفنَتْهم عنها وعن أنفسهم. فهم في اللذّة في حال فناء لعظيم سلطانها. وإذا أبصروا تلك الصورة في منازلهم وأهليهم؛ استمرت لهم اللذّة، وتنعّموا بتلك المشاهدة. فتنعّموا في هذا الموطن بعين ما أفناهم في الكثيب، ويزيدون في ذلك التجلّي وفي تلك الرؤية علما بالله؛ أعطاهم إيّاه العيان، لم يكن عندهم. فإنّ المعلوم إذا شوهد؛ تعطي مشاهدتُه أمرا لا يمكن أن يحصل من غير مشاهدة، كما قيل:

ولكِنْ لِلعَيانِ لَطِيْفُ مَعْنًى ... لِذا سَأَلَ المُعايَنَةَ الكَلِيْمُ

وهذا ذوقٌ يعرفه كلُّ من أقيم في هذه الحال، لا يقدر على إنكاره من نفسه.

١ ص ١٢١ب

الفصل التاسع

في العالم؛ وهو كلّ ما سِوَى الله، وترتيبه ونضده؛ روحا وجسما، وعلوا وسفلا

اعلم أنّ العالَم عبارة عن كلّ ما سِوَى الله، وليس إلّا الممكنات؛ سَوَاء[1] وُجِدت، أم لم توجد. فإنّها بذاتها علامة على عِلمنا، أو على العلم بواجب الوجود لذاته، وهو الله. فإنّ الإمكان حكم لها لازم في حال عدمها أو وجودها؛ بل هو ذاتيٌّ لها؛ لأنّ الترجيح لها لازم. فالمرجّح معلوم؛ وبهذا سمّي عالَمًا، من العلامة؛ لأنّه الدليل على المرجِّح، فاعلم ذلك.

وليس العالَم في حال وجوده بشيءٍ، سِوَى الصور التي قَبِلها العماءُ وظهرتْ فيه. فالعالم، إن نظرتَ حقيقتَه، إنما هو عرَضٌ زائلٌ، أي في حكم الزوال، وهو قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[2] وقال رسول الله ﷺ: «أصدق بيت قالته العرب قول لبيد:

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهَ باطِلُ

يقول: ما له حقيقة يثبت عليها من نفسه؛ فما هو موجود إلّا بغيره. ولذلك قال ﷺ: «أصدق بيت قالته العرب: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهَ باطِلُ».

فالجوهر الثابت هو العماء؛ وليس إلّا نَفَس الرحمن، والعالَم (هو) جميعُ ما ظهر فيه من الصور؛ فهي أعراض فيه يمكن إزالتها. وتلك الصور هي الممكنات، ونسبتُها من العماء؛ نِسبةُ الصور من المرآة تظهر فيها لعين الرائي، والحقّ -تعالى- هو بصرُ العالَم. فهو الرائي، وهو العالِم[3] بالممكنات، فما أدرك إلّا ما في عِلمه من صور الممكنات. فظهر العالَم بين العماء وبين رؤية الحقّ؛ فكان ما ظهر دليلا على الرائي وهو الحقّ، فتفطّن. واعلم من أنت.

وأمّا نضده على الظهور والترتيب، فأرواح نوريّة إلهيّة، مهيّمة في صور نوريّة خلقيّة إبداعيّة، في جوهر نَفَس هو العماء؛ من جملتها العقل الأوّل وهو القلم، ثمّ النفسُ وهو اللوح المحفوظ، ثمّ الجسم، ثمّ العرش ومقرّه وهو الماء الجامد، والهواء والظلمة ثمّ ملائكته، ثمّ الكرسيّ ثمّ ملائكته، ثمّ الأطلس ثمّ ملائكته، ثمّ فلك المنازل، ثمّ الجنّات بما فيها، ثمّ ما يختصّ بها وبهذا

١ ص ١٢٢
٢ [القصص : ٨٨]
٣ ص ١٢٢ب

الفلَك من الكواكب، ثمّ الأرض، ثمّ الماء، ثمّ الهواء العنصريّ، ثمّ النار، ثمّ الدخان وفتق فيه سبع سموات: سماء القمر، وسماء الكاتب، وسماء الزهرة، وسماء الشمس، وسماء الأحمر، وسماء المشتري، وسماء المقاتل، ثمّ أملاكها المخلوقون منها، ثمّ ملائكة النار والماء والهواء والأرض، ثمّ المولّدات: المعدن، والنبات، والحيوان، ثمّ نشأة جسد الإنسان، ثمّ ما ظهر من أشخاص كلّ نوع من الحيوان، والنبات، والمعدن، ثمّ الصور المخلوقات من أعمال المكلّفين، وهي آخر نوع. هذا ترتيبه بالظهور في[1] الإيجاد.

وأمّا ترتيبه بالمكان الوجوديّ أو المتوهّم: فالمكانُ المتوهّم: المعقولاتُ التي ذكرناها إلى الجسم الكلّ، ثمّ العرش، ثمّ الكرسيّ، ثمّ الأطلس، ثمّ المكوكب وفيه الجنّات، ثمّ سماء زحل، ثمّ سماء المشتري، ثمّ سماء المرّيخ، ثمّ سماء الشمس، ثمّ سماء الزهرة، ثمّ سماء الكاتب، ثمّ سماء القمر، ثمّ الأثير، ثمّ الهواء، ثمّ الماء، ثمّ الأرض.

وأمّا ترتيبه بالمكانة: فالإنسان الكامل، ثمّ العقل الأوّل، ثمّ الأرواح المهيّمة، ثمّ النفس، ثمّ العرش، ثمّ الكرسيّ، ثمّ الأطلس، ثمّ الكثيب، ثمّ الوسيلة، ثمّ عدْن، ثمّ الفردوس، ثمّ دار السلام، ثمّ دار المقامة، ثمّ المأوى، ثمّ الخُلْد، ثمّ النعيم، ثمّ فلَك المنازل، ثمّ البيت المعمور، ثمّ سماء الشمس، ثمّ القمر، ثمّ المشتري، ثمّ زحل، ثمّ الزهرة، ثمّ الكاتب، ثمّ المرّيخ، ثمّ الهواء، ثمّ الماء، ثمّ التراب، ثُمّ النار، ثُمّ الحيوان، ثُمّ النبات، ثمّ المعدن.

وفي الناس: الرسل، ثُمّ الأنبياء، ثمّ الأولياء، ثمّ المؤمنون، ثمّ سائر الخلق.

وفي الأمم: أمّة محمد ﷺ ثمّ أمّة موسى عليه السلام ثمّ الأمم على منازل رسلها.

وأمّا ترتيبه بالتأثير: فمنه المؤثّر بالحال، ومنه ما هو المؤثّر بالهمّة، ومنه ما هو المؤثّر بالقول[2]، ومنه ما هو المؤثّر بالفعل، أعني بالآلة، ومنهم المؤثّر بمجموع الكلّ، ومنهم المؤثّر بمجموع البعض، ومنهم المؤثّر بغير قصد لما ظهر منه من الأثر: كتأثيرات الرياح بهبوبها في الرّمال وغيرها، وهي صور الأشكال. وما في الوجود إلّا مؤثِّر ومؤثَّر فيه مطلقا، ومؤثَّر -اسم مفعول- يكون له أثر

١ ص ١٢٣
٢ ص ١٢٣ب

بالحال؛ كصورٍ تحدث، فتؤثّر بالحال في واهبِ الأرواح لها.

وقد ذكرنا في نضد العالَم خطبةً، وهي هذه التي أنا ذاكرها.

ذِكْرُ الخطبة في نضد العالم

الحمد لله الذي ليس لأوّليّته افتتاح كما لسائر الأوليّات. الذي له الأسماء الحسنى والصفات العُلَى الأزليّات. الكائن ولا عقل، ولا نفس، ولا بسائط، ولا مركّبات. ولا أرض، ولا سماوات. العالِم في العماء بجميع المعلومات. القادر الذي لا يعجز عن الجائزات. المريد الذي لا يقصر فتُعجزه المعجزات. المتكلّم ولا حروف ولا أصوات. السميع الذي يسمع كلامه؛ ولا كلام مسموع بالحروف والآلات والنغمات. البصير الذي رأى ذاته ولا مرئيّات مطبوعة الذوات. الحيّ الذي وجبتْ له صفات الدوام الأحديّ والمقام الصمديّ[1]، فتعالى بهذه السّمات. الذي جعل الإنسان الكامل أشرف الموجودات، وأتمّ الكلمات المحدَثات.

والصلاة على سيّدنا محمد خير البريّات، وسيّد الجسمانيّات والروحانيّات. وصاحب الوسيلة في الجنّات الفردوسيّات. والمقام المحمود في اليوم العظيم البليّات، الأليم الرّزيّات.

أما بعد: فإنّه لمّا شاء -سبحانه- أن يوجِد الأشياء من غير موجود، وأن يبرزها في أعيانها بما تقتضيه من الرسوم والحدود؛ لظهور سلطان الأعراض والخواصّ، والفصول والأنواع والأجناس، الدافعين شُبَه الشكوك والرافعين حجب الالتباس؛ بوسائط العبارات الشارحة والصفات الرسميّة والذاتيّة النيّرة النبراس؛ فانجلى في صورة العلم صور الجواهر المتماثلات، والأعراض المختلفات، والمتماثلات[2]، والمتقابلات. وفصل بين هذه الذوات؛ بين المتحيّزات منها وغير المتحيّزات.

كما انجلى في ذوات الأعراض والجواهر صور الهيئات والحالات بالكيفيّات. وصور المقادير والأوزان المتّصلات، والمنفصلات بالكميّات. وصور الأدوار والحركات الزمانيّات. وصور الأقطار والأكوار المكانيّات[3]. والصور الحافظات الماسكات نظامَ العالَم، الحاملات أسباب المناقب والمثالب الغرضيّات. وأسباب المدائح والمذامّ الشرعيّات. وأسباب الصلاح والفساد الوضعيّات الحكميّات. وصور الإضافات بين المالك والمملوك والآباء والأبناء والبنات. وصور

١ ص ١٢٤
٢ الحرف الثامن مهمل في ق
٣ ص ١٢٤ب

التمليك بالعبِيد والإماء الخارجات. والحسن والجمال والعلم وأمثال ذلك الداخلات. وصور التوجّهات الفعليّة القائمة بالفاعلات، وصور المنفعِلات التي هي بالفعل والفاعلات مرتبطات.

وقال عندما جلّاها بـ﴿الشَّمْسِ وَضُحَاهَا. وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا. وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا. وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا. وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا. وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾[1]: هذه حقائق الآباء العلويّات، والأمّهات السفليّات. ولها البقاء بالإبقاء مع استمرار التكوينات والتلوينات بالتغيير والاستحالات. ليثبت عندها عِلْم[2] ما هي الحضرة الإلهيّة عليه من العزّة والثبات. فهذا هو الذي أبرز -سبحانه- من المعلومات. ولا يجوز غير ذلك؛ فإنّه لم يبق سِوَى الواجبات والمحالات.

فأوّل موجود أداره -سبحانه- فلَك الإشارات. إدارة إحاطةٍ معنويّة[3]؛ وهو أوّل الأفلاك الممكنات، المحدَثات المعقولات. وأوّل صورة ظهر في هذا الفلَك العمائيّ صورُ الروحانيّات المهيّمات. الذي منها القلم الإلهيّ الكاتب العلّام في الرسالات. وهو العقل الأوّل الفيّاض في الحكميّات والإنباءات. وهو الحقيقة المحمّديّة، والحقّ المخلوق به، والعدل عند أهل اللطائف والإشارات. وهو الروح القدسيّ الكلّ عند أهل الكشوف والتلويحات. فجعله عالما، حافظا، باقيا، تامّا، كاملا، فيّاضا، كاتبا مِن دَواة العلم، تحرّكه يمين القدرة عن سلطان الإرادة العلوم الجاريات إلى نهايات، وهو مستوى الأسماء الإلهيّات.

ثمّ أدار معدن فلَك النفوس دون هذا الفلَك؛ وهو اللوح المحفوظ في النبوّات. وهو النفس المنفعلة عند أصحاب الإدراكات والإشارات والمكاشفات. فجعلها باقية تامّة غير كاملة، وفائضة غير مفِيضة فيضَ العقل؛ فهي في محلّ القصور والعجز عن بلوغ الغايات.

ثمّ أوجد الهباء -في الكشف- والهيوليّ -في النظر- والطبيعة في الأذهان، لا في الأعيان. فأوّل صورة أظهر في ذلك الهباء؛ صور الأبعاد الثلاثة فكان المكان. فوجّه عليه -سبحانه- سلطان الأربعة الأركان. فظهرت البروج الناريّات، والترابيّات، والهوائيّات، والمائيّات[4]؛ فتميّزت الأكوان. وسمّى هذا الجسم الشفّاف اللطيف المستدير، المحيط بأجسام العالم: العرش العظيم الكريم، واستوى عليه باسمه الرحمن. استواءً منزّهًا عن الحدّ، والمقدار معلوم عنده، غير مكيّف

١ [الشمس : ١ - ٦]
٢ ثابتة في الهامش، مع إشارة التصويب
٣ ص ١٢٥
٤ ص ١٢٥ب

ولا معلوم للعقول والأذهان. ثمّ أدار -سبحانه- في جوف هذا الفلَك الأوّل فلكا ثانيا سمّاه الكرسيّ؛ فتدلّت إليه القَدمان. فانفرق فيه كلُّ أمر حكيم بتقدير عزيز عليم، وعنده أوجدَ الخيرات الحسان، والمقصورات في الخيام الحسان[1]؛ خيام الجنان. ثمّ رتّب فيه منازل الأمور، وأحكمها في روحانيّات سخّرها وحكمها بالتأثيرات السّبْعيّة من ألف إلى ساعة عن اختلاف الملَوان[2]. وجعل هذه المنازل بين وسط ممزوج، وطرفي سعد مستقرّ ونحس مستمرّ؛ بنزول المقدَّر المفرَّد الإنسان.

ثمّ أدار -سبحانه- في جوف هذا الفلَك الثاني فلَكا ثالثا، وخلق فيه كوكبا سابحا من الخنّس الكنّس، مسخَّرا فقيرا، أودع لديه كلّ أسود حالك، وقرن به ضيق المسالك، والوعْر والحَزْن[3]، والكرب والحُزْن، وحسرات الفَوْت وسكرات الموت، وأسرار الظلمات والمفازات المهلِكات، وأشجار السّمُرات[4]، والأفاعي والحيّات، والحيوانات المضرّات، والحرّات الموحِشات، والطرق[5] الدارسات، والعناءَ والمشقّات. وخلق عند مساعدته النفس الكلّيّة الجبالَ[6] لتسكين الأرضين المدحيّات. وأسكن في هذا الفلَك روحانيّة خليله إبراهيم ﷺ عبده ورسوله.

ثمّ أدار في جوف هذا الفلَك فلَكا رابعا خلق فيه كوكبا سابحا من الخنّس الكنّس، أودع لديه النخل الباسِقات. والعدل في القضايا والحكومات. وأسباب الخير والسعادات. والبيض الحسان المنعَّمات، والاعتدالات والتمامات، وأسرار العبادات والقربات، والصدقات البرهانيّات، والصلوات النوريّات، وإجابة الدعوات، والناظرين إلى الواقفين بعرفات، وقبول النسك بموضع رمي الجمرات. وخلق عند مساعدته النفس الكلّيّة تحليل المياه الجامدات. وأسكنَ في هذا الفلَك روحانيّة نبيّه موسى ﷺ عبده ونجيّه.

ثمّ أدار في جوف هذا الفلك فلكا خامسا، خلق فيه كوكبا سابحا من الخنّس الكنّس، أودع لديه حماية المذاهب بالقواضِب المرهَفات، والموازن السمهريّات، وتجمير قدور راسيات،

١ "الخيام الحسان" لم ترد في س، ه، وهناك إشارة بسيطة في ق فوق أل التعريف للخيام، وقريبا من ذلك فوق الحسان لتدل ربما على الشطب وتصبح فقط: خيام
٢ الملوان: الليل والنهار
٣ الحَزْن: السهل
٤ السمُرات: شجر الطلح
٥ ص ١٢٦
٦ ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب

وملء[1] جفونٍ كالجواب المستديرات. والتعصّبات والحميّات. وإيقاع الفتن والحروب بين أهل الهدايات والضّلالات. وتقابُل[2] الشُّبهِ المُضِلّات والأدلّة الواضحات بين أهل العقول السليمة والتخيّلات. وخلق عند مساعدته النفس الكلّ لتلطيف الأهوية السَّخيفات. وأسكن في هذا الفلك روح رسوليه هارون ويحيى -عليهما السلام- مُوضِحَي سبيليه.

ثمّ أدار في جوف هذا الفلَك فلكا سادسا، خلق فيه كوكبا عظيما مشرقا سابحا، أودع لديه أسرار الروحانيّات، والأنوار المشرقات، والضّياءات اللامعات، والبروق الخاطفات، والشعاعات النيّرات، والأجساد المستنيرات، والمراتب الكاملات، والاستواءات المعتدلات، والمعارف اللؤلؤيّات، واليواقيت الغاليات، والجمع بين الأنوار والأسرار الساريات، ومعالم التأسيسات وأنفاس النور الجاريات، وخلع الأرواح المدبّرات، وإيضاح الأمور المبهَمات، وحَلِّ المسائل المشكلات، وحسن إيقاع السماع في النغمات، وتوالي الواردات، وترادف التنزّلات الغيبيّات، وارتقاء المغاني[3] الروحانيّات إلى أوْجِ الانتهاءات، ودفع العِلل بالعُلالات النافعات، والكلمات المستحسنات، والأعراف العطريّات، وأمثال ذلك ممّا[4] يطول ذِكْره، قد ذكرنا منه طرفا في الباب السادس والأربعين من كتاب "التنزّلات الموصليّات". وخلق عند مساعدته النفس الكلّ تحريكَ الفلَك الأثير لتسخين العالم بهذه الحركات. وأسكن في هذا الفلك إدريس النبيّ المخصوص بالمكان العَليّ.

ثمّ أدار في جوف هذا الفلك فلكا سابعا، خلق فيه كوكبا سابحا من الخنّس الكنّس، أودع لديه التصوير التامّ وحُسن النظام، والسماع الشهيّ والمنظر الرائق البهيّ، والهيبة والجمال والأُنس والجلال. وخلق عند مساعدته النفس الكلّ تقطير ما رطب من ركن البخارات. وأسكن في هذا الفلك روحانيّة النبيّ الجميل التامّ، يوسف عليه السلام.

ثمّ أدار في جوف هذا الفلك فلَكا ثامنا، خلق فيه كوكبا سابحا من الخنّس الكنّس، أودع لديه الأوهام والإلهام والوحي والإلمام، ومهالك الآراء الفاسدة والقياسات والأحلام الرديئة والمبشّرات، والاختراعات الصناعيّات والاستنباطات العمليّات، وما في الأفكار من الغلطات

[1] رسمها في ق: وملى
[2] ص ١٢٦ب
[3] س: المعاني
[4] ص ١٢٧

والإصابات، والقوى الفعّالات الوهميّات، والزجر والكهانات والفراسات، والسحر والعزائم والطلسميّات. وخلق عند مساعدته النفس الكلّ مزج البخارات الرطبة[1] بالبخارات اليابسات. وأسكن في هذا الفلك روحانيّة روحه وكلمته عيسى عليه السلام عبده ورسوله وابن أَمَتِه.

ثمّ أدار في جوف هذا الفلك فلكا آخر تاسعا، خلق فيه كوكبا سابحا، أودع الله لديه الزيادة والنقصان، والربو والاستحالات بالاضمحلالات. وخلق عند مساعدته النفس الكلّ إمداد المولّدات بركن العصارات. وأسكن في هذا الفلَك روحانيّة نبيّه آدم عليه السلام عبده ورسوله وصفيّه.

وأسكن هذه الأفلاك المستديرات، أصناف الملائكة الصافّات التاليات: فمنها القائمات والقاعدات، ومنها الراكعات والساجدات. كما قال -تعالى- إخبارا عنهم: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾[2] فهم عمّار السماوات. وجعل منهم الأرواح المطهَّرات، المعتكفين بأشرف الحضرات. وجعل منهم الملائكة المسخّرات، الوكلاء على ما يخلقه الله من التكوينات.

فوكّل بالإزجاء: الزاجرات، وبالإنباء: المرسلات، وبالإلهام واللمّات: المُلقِيات، وبالتفصيل والتصوير والترتيب: المقسِّمات، وبالترغيب والترحيب: الناشرات، وبالترهيب: الناشطات، وبالتشتيت: النازعات، وبالسَّوْق: السابحات. وبالاعتناء: السابقات، وبالإحكام: المدبّرات[3].

ثمّ أدار في جوف هذا الفلك كرة الأثير، أودع فيها رجوم المسترقّات الطارقات. ثمّ جعل دونه كرة الهواء، أجرى فيه: الذاريات، العاصفات، السابقات، الحاملات، المعصِرات. وموّج فيه البحور الزاخرات، الكائنات من البخارات المستحيلات. يسمّى دائرة الزمهرير، تُتَعَلَّم منه صناعة التقطيرات. وأمسك في هذه الكرة أرواحَ الأجسام الطائرات. وأظهر في هاتين الكرتين الرعود القاصفات، والبروق الخاطفات، والصواعق المهلكات، والأحجار القاتلات، والجبال الشامخات، والأرواح الناريّات الصاعدات النازلات، والمياه الجامدات.

ثمّ أدار في جوف هذه الكرة، كرةً أودع فيها -سبحانه- ما أخبرنا به في الآيات البيّنات من أسرار إحياء الموات. وأجرى فيها الأعلام الجاريات. وأسكنها الحيوانات الصامتات.

ثمّ أدار في جوفها كرة أخرى، أودع فيها ضروب التكوينات من المعادن والنباتات والحيوانات. فأمّا المعادن فجعلها ﷻ ثلاث طبقات؛ منها المائيّات، والترابيّات، والحجريّات.

[1] ص ١٢٧ب
[2] [الصافات : ١٦٤]
[3] ص ١٢٨

ومِلء[1] جفونٍ كالجواب المستديرات. والتعصّبات والحميّات. وإيقاع الفتن والحروب بين أهل الهدايات والضّلالات. وتقابُل[2] الشُّبهِ المُضِلّات والأدلّة الواضحات بين أهل العقول السليمة والتخيّلات. وخلق عند مساعدته النفس الكلّ لتلطيف الأهوية السَّخيفات. وأسكن في هذا الفلك روح رسوليه هارون ويحيى -عليهما السلام- مُوضحَي سبيليه.

ثمّ أدار في جوف هذا الفلَك فلكا سادسا، خلق فيه كوكبا عظيما مشرقا سابحا، أودع لديه أسرار الروحانيّات، والأنوار المشرقات، والضّياءات اللامعات، والبروق الخاطفات، والشعاعات النيّرات، والأجساد المستنيرات، والمراتب الكاملات، والاستواءات المعتدلات، والمعارف اللؤلؤيّات، واليواقيت الغاليات، والجمع بين الأنوار والأسرار الساريات، ومعالم التأسيسات وأنفاس النور الجاريات، وخلع الأرواح المدبّرات، وإيضاح الأمور المبهَمات، وحَلّ المسائل المشكلات، وحسن إيقاع السماع في النغمات، وتوالي الواردات، وترادف التنزّلات الغيبيّات، وارتقاء المغاني[3] الروحانيّات إلى أوَج الانتهاءات، ودفع العِلل بالعُلالات النافعات، والكلمات المستحسنات، والأعراف العطريّات، وأمثال ذلك مما[4] يطول ذِكْره، قد ذكرنا منه طرفا في الباب السادس والأربعين من كتاب "التنزّلات الموصليّات". وخلق عند مساعدته النفس الكلّ تحريكَ الفلَك الأثير لتسخين العالم بهذه الحركات. وأسكن في هذا الفلك إدريس النبيّ المخصوص بالمكان العَليّ.

ثمّ أدار في جوف هذا الفلك فلكا سابعا، خلق فيه كوكبا سابحا من الخنّس الكنّس، أودع لديه التصوير التامّ وحُسن النظام، والسماع الشهيّ والمنظر الرائق البهيّ، والهيبة والجمال والأُنس والجلال. وخلق عند مساعدته النفس الكلّ تقطير ما رطب من ركن البخارات. وأسكن في هذا الفلك روحانيّة النبيّ الجميل التامّ، يوسف عليه السلام.

ثمّ أدار في جوف هذا الفلك فلَكا ثامنا، خلق فيه كوكبا سابحا من الخنّس الكنّس، أودع لديه الأوهام والإلهام والوحي والإلمام، ومهالك الآراء الفاسدة والقياسات والأحلام الرديئة والمبشّرات، والاختراعات الصناعيّات والاستنباطات العمليّات، وما في الأفكار من الغلطات

١ رسمها في ق: وملى
٢ ص ١٢٦ب
٣ س: المعاني
٤ ص ١٢٧

والإصابات، والقوى الفعّالات الوهميّات، والزجر والكهانات والفراسات، والسحر والعزائم والطلسميّات. وخلق عند مساعدته النفس الكلّ مزج البخارات الرطبة[1] بالبخارات اليابسات. وأسكن في هذا الفلك روحانيّة روحه وكلمته عيسى عليه السلام عبده ورسوله وابن أَمَتِه.

ثمّ أدار في جوف هذا الفلك فلكا آخر تاسعا، خلق فيه كوكبا سابحا، أودع الله لديه الزيادة والنقصان، والربو والاستحالات بالاضمحلالات. وخلق عند مساعدته النفس الكلّ إمداد المولّدات بركن العصارات. وأسكن في هذا الفلَك روحانيّة نبيّه آدم عليه السلام عبده ورسوله وصفيّه.

وأسكن هذه الأفلاك المستديرات، أصناف الملائكة الصافّات التاليات: فمنها القائمات والقاعدات، ومنها الراكعات والساجدات. كما قال -تعالى- إخبارا عنهم: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾[2] فهم عمّار السماوات. وجعل منهم الأرواح المطهَّرات، المعتكفين بأشرف الحضرات. وجعل منهم الملائكة المسخّرات، الوكلاء على ما يخلقه الله من التكوينات.

فوكّل بالإزجاء: الزاجرات، وبالإنباء: المرسلات، وبالإلهام واللمّات: المُلقيات، وبالتفصيل والتصوير والترتيب: المقسّمات، وبالترغيب والترحيب: الناشرات، وبالترهيب: الناشطات، وبالتشتيت: النازعات، وبالسَّوْق: السابحات. وبالاعتناء: السابقات، وبالإحكام: المدبّرات[3].

ثمّ أدار في جوف هذا الفلك كرة الأثير، أودع فيها رجوم المسترقّات الطارقات. ثمّ جعل دونه كرة الهواء، أجرى فيه: الذاريات، العاصفات، السابقات، الحاملات، المعصِرات. وموّج فيه البحور الزاخرات، الكائنات من البخارات المستحيلات. يسمّى دائرة الزمهرير، تُتَعَلَّم منه صناعة التقطيرات. وأمسك في هذه الكرة أرواحَ الأجسام الطائرات. وأظهر في هاتين الكرتين الرعود القاصفات، والبروق الخاطفات، والصواعق المهلكات، والأحجار القاتلات، والجبال الشامخات، والأرواح الناريّات الصاعدات النازلات، والمياه الجامدات.

ثمّ أدار في جوف هذه الكرة، كرةً أودع فيها -سبحانه- ما أخبرنا به في الآيات البيّنات من أسرار إحياء الموات. وأجرى فيها الأعلام الجاريات. وأسكنها الحيوانات الصامتات.

ثمّ أدار في جوفها كرة أخرى، أودع فيها ضروب التكوينات من المعادن والنباتات والحيوانات. فأمّا المعادن فجعلها عزّ وجلّ ثلاث طبقات؛ منها المائيّات، والترابيّات، والحجريّات.

١ ص ١٢٧ب
٢ [الصافات : ١٦٤]
٣ ص ١٢٨

وكذلك النبات منها النابتات، والمغروسات، والمزروعات. وكذلك الحيوانات منها المولّدات المرضعات، والحاضِنات، والمعفّنات[1].

ثمّ كوّن الإنسان مضاهيًا جميعَ ما ذكرناه من المحدَثات، ثمّ وهبه معالم الأسماء والصفات. فمهّدت له هذه المخلوقات المعجزات، ولهذا كان آخر الموجودات. فمن روحانيّته؛ صحّ له سرّ الأوّليّة في البدايات، ومن جسميّته؛ صحّ له الآخريّة في الغايات. فبه بُدِئَ الأمرُ وخُتِمَ؛ إظهارا للعنايات. وأقامه خليفة في الأرض؛ لأنّ فيها ما في السماوات، وأيّده بالآيات والعلامات والدلالات والمعجزات، واختصّه بأصنافِ الكرامات، ونصب به القضايا المشروعات ليميز الله به الخبيثات من الطيّبات؛ فيلحق الخبيث بالشقاوات في الدركات، ويلحق الطيّب بالسعادات في الدرجات، كما سبق في القبضتين اللتين هما صفتان للذات. فسبحان مبدئ هذه الآيات، وناصب هذه الدلالات، على أنّه واحدٌ قهّارُ الأرض والسماوات.

فهذا ترتيب نضد العالم على طريق خاص لبعض النظّار أنفرِدُ به. وسنذكر بعدَ القصيدة التي أذكرها آنفًا بعد هذا، ما وافقونا فيه. وأمّا نظمنا فيه أيضا على طريقة أخرى في الوضع الأوّل فاعلم، وهذه[2] هي القصيدة:

الحمدُ للهِ الذي بِوُجُودِهِ   ظَهَرَ الوُجُودُ وعالَمُ الهَيَمانِ

والعُنْصُرُ الأعْلَى الذي بِوُجُودِهِ   ظَهَرَتْ ذَواتُ عَوالِمِ الإمْكانِ

مِنْ غَيْرِ تَرْتِيْبٍ فَلَا مُتَقدِّمٌ   فِيْهِ وَلا مُتأخِّرٌ بِالآنِ

حَتَّى إذا شاءَ المُهَيمِنُ أنْ يَرَى   ما كانَ مَعْلُوْمًا مِنَ الأكْوانِ

فَتَحَ القَدِيْرُ عَوالِمَ الدّيْوانِ   بِوُجُودِ رُوْحٍ ثُمَّ رُوْحٍ ثَانِ

ثُمَّ الهيُولي[3] ثُمَّ جِسْمٌ قابِلٌ   لِعَوالِمِ الأفْلاكِ والأرْكانِ

فأَدَارَهُ فلكًا عَظِيْمًا واسْمُهُ   العَرْشُ الكَرِيْمُ ومُسْتَوَى الرَّحْمَنِ

يَتْلُوهُ كُرْسِيٌّ انْقِسامِ كَلامِهِ   فَتَلُوحُ مِنْ أقْسامِهِ القَدَمانِ

[1] ص ١٢٨ب
[2] ص ١٢٩
[3] كتب فوقها بقلم الأصل: الهباء

مِنْ[1] بَعْدِهِ فَلَكُ البُرُوجِ وبَعْدَهُ   فَلَكُ الكَواكِبِ مَصْدَرُ الأزْمانِ

ثُمَّ النُّزُولُ مَعَ الخَلاءِ لِمَرْكِزٍ   لِيُقِيْمَ فِيْهِ قَواعِدَ البُنْيانِ

فأَدارَ أَرْضًا ثُمَّ ماءَ فَوْقَهُ   كُرَةُ الهَواءِ وَعُنْصُرُ النِّيْرانِ

مِنْ فَوْقِهِ فَلَكُ الهِلالِ وَفَوْقَهُ   فَلَكٌ يُضافُ لِكاتِبِ الدّيْوانِ

مِنْ فَوْقِهِ فَلَكٌ لِزُهْرَةَ، فَوْقَهُ   فَلَكُ الغَزَالَةِ[2] مَصْدَرُ المَلَوَانِ[3]

مِنْ فَوْقِهِ المِرِّيْخُ ثُمَّ المُشْتَرِي   ثُمَّ الذِي يُعْزَى إلَى كَيْوَانِ

ولِكُلِّ جِسْمٍ ما يُشاكِلُ طَبْعَهُ   خَلْقٌ يُسَمَّى العَالَمَ النّورانِي

فَهُمُ المَلائِكَةُ الكِرامُ شِعارُهُمْ   حِفْظُ الوُجُودِ مِن اسْمِهِ المِحْسَانِ

فَتَحَرَّكَتْ نَحْوَ الكَمالِ فَوَلّدَتْ   عِنْدَ التَّحَرُّكِ عَالَمَ الشَّيْطانِ

ثُمَّ[4] المَعَادِنَ والنَّباتَ وَبَعْدَهُ   جاءَتْ لَنا بِعَوالِمِ الحَيَوانِ

والغايَةُ القُصْوَى ظُهُورُ جُسُومِنَا   فِي عَالَمِ التَّرْكِيْبِ والأَبْدَانِ

لَمّا اسْتَوَتْ وَتَعَدّلَتْ أرْكانُهُ   نَفَخَ الإلَهُ لَطِيْفَةَ الإنْسانِ

وَكَساهُ صُوْرَتَهُ فَعَادَ خَلِيْفَةً   يَعْنُو لَهُ الأمْلاكُ والثّقّلانِ

وبِدَوْرَةِ الفَلَكِ المُحِيْطِ وحُكْمِهِ   أبْدَى لَنا فِي عَالَمِ الحَدَثانِ

فِي جَوْفِ هَذَا الأرْضِ مَاءَ أَسْوَدًا   نَتِنًا لأهْلِ الشّرْكِ والطُّغْيانِ

يَجْرِي عَلَى مَتْنِ الرِّياحِ وَعِنْدَها   ظُلُماتُ سُخْطِ القاهِرِ الدَّيّانِ

دارَتْ بِصَخْرَةِ مَرْكِزٍ سُلْطانُهُ   الرّوحُ الإلَهِيُّ العَظِيْمُ الشّانِ

فهذا ترتيبُ الوضع الذي أنشأ اللهُ عليه العالَمَ ابتداء.

اعلم[5] أنّ التفاضل في المعلومات على وجوهٍ أعَمُّها التأثير؛ فكلُّ مؤثّر أفضل من أكثر المؤثّر

[1] ص ١٢٩ب
[2] الغزالة: الشمس
[3] الملوان: الليل والنهار
[4] ص ١٣٠
[5] ص ١٣٠ب

فيه، من حيث ذلك التأثير خاصّة، وقد يكون المفضول أفضلَ منه من وجهٍ آخر. وكذلك فضل العلّة على معلولها، والشرط على مشروطه، والحقيقة على المحقَّق، والدليل على المدلول؛ من حيث ما هو مدلول له، لا من حيث عينه. وقد يكون الفضل بعموم التعلُّق، على ما هو أخصّ تعلّقًا منه؛ كالعالِم والقادر.

ولمّا كان الوجود كلّه فاضلا مفضولا؛ أدّى ذلك إلى المساواة، وأن يقال: لا فاضل ولا مفضول، بل وجودٌ شريفٌ كامل تامّ، لا نقص فيه، ولا سيما وليس في المخلوقات -على اختلاف ضروبها- أمرٌ إلّا وهو مستنِد إلى حقيقة ونِسبة إلهيّة. ولا تفاضل في الله؛ لأنّ الأمرَ لا يفضل نفسه؛ فلا مفاضلة بين العالَم من هذا الوجه. وهو الذي يرجع إليه الأمر مِن قبل ومن بعد، وعليه عوّل أهل الجمع والوجود، وبهذا سُمّوا أهل الجمع؛ لأنّهم أهل عين واحدة كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ﴾[1]. ومَن كشف الأمرَ على ما هو عليه، عَلِم ما ذكرناه في ترتيب العالم في هذا الباب؛ فإنّه متنوّع المساق. في الخطبة ترتيب ليس في المنظوم، وكذلك في سائر الباب.

وصل[2]: في ذِكر ما في هذا المنزل من العلوم:

فمن ذلك عِلْمُ الاتّصال الكونيّ، والانفصال الإلهيّ والكونيّ.

وفيه عِلْمُ تنزيه الحقّ مع ثبوت النزول والمعيّة عمّا للنزول والمعيّة من الحركة والانتقال.

وفيه عِلْمُ الفُرقان بين الكتب المنزلة من عند الله، وإن كانت كلّها كلام الله، ولماذا تكثّرتْ وتعدّدتْ آياتُها وسورها: هل لكونها كلاما؟ أو لكونها متكلَّما بها؟

وفيه عِلْمُ افتراق الناس إلى مؤمن بكذا، وغير مؤمن به.

وفيه عِلْمُ الملأ الأعلى.

وفيه عِلْمُ الآجال.

وفيه عِلْمُ حكمة التفضيل[3] في العالَم.

وفيه عِلْمُ إنشاء الفروع من أصل واحد.

وفيه عِلْمُ قول القائل[4]:

---

١ [القمر : ٥٠]
٢ ص ١٣١
٣ الحروف المعجمة مهملة
٤ القائل هو أبو نواس (١٤٦-١٩٨هـ) ونص البيت هو: وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

وَما عَلَى اللهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْعَلَ العالَمَ فِي واحِدِ

وهذا هو عِلْمُ الإنسان الكامل الجامع حقائق العالَم، وصورة الحقّ ﷺ.

وفيه عِلْمُ الفرق بين المبدأ والمعاد، وما معنى المعاد: هل هو أمر وجوديٌّ؟ أو نِسبة مَرْتَبِيّة؛ كَوالٍ يُعزَل ثمّ يُرَدُّ إلى ولايةٍ؟

وفيه[1] عِلْمُ السبب الذي لأجله أنكر مَن أنكر المعاد، وما المعاد الذي أنكر؟ وما صفة المنكِر؟

وفيه عِلْمُ نِسبة الأشياء إلى الله نِسبة واحدة؛ فكيف سبقت الرحمةُ الغضبَ حتى عمّت الرحمةُ كلّ شيء، فلم يبق للغضبِ محلٌّ يظهر فيه؟

وفيه عِلْمُ هداة الحقّ.

وفيه عِلْمُ إنشاء العالَم من العالَم، ولماذا (=وإلى ماذا) يرجع ما فيه من الزيادة والنقص؟ فلا بدّ من العلم بكمالٍ أو تمامٍ؛ به يتميّز ما زاد عليه وما نقص عنه، وهل كلّ زيادة على التمام نقصٌ، أم لا؟

وفيه عِلْمُ هل يوجد أمران متجاوران ليس بينهما وسط مثل الغيب والشهادة، وكالنفي والإثبات، ومثل قولنا: أنت ما أنت، ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾[2]؟

وفيه عِلْمُ الأمر الذي يحفظ الله به المكلَّف من حيث عينه، ومن حيث أفعاله.

وفيه عِلْمُ كمال العالم الكمالَ الذي لا يحتمل الزيادة فيه، فلا يظهر فيه مما لم يظهر، إلّا ما خرج عنه، فيعود عليه؛ فيظهر فيه أمرٌ لم يكن فيه، وهو منه. فما ظهر في العالَم بعد تمامه إلّا العالَم، فأمرُ الله واحدة فيه، وهو المعبَّر عنه بالاستحالات، والاستحالات[3] متنوّعة بحسب الحقائق: فالماء يستحيل بخارا، والملَك يستحيل إنسانا بالصورة، وكذلك التجلّي. فمَن عرف ذلك عرف الأمر على ما هو عليه، والولد على شبه أبيه؛ فإنّ الولد إذا خرج على شبه أبيه؛ برَّأَ الأُمَّ مما يتطرّق إليها من الاحتمال إذا لم يكن الشَّبَه. ومن هنا تعلم أنّه لا خالق إلّا الله. وقد نبّه الشارع بحديث الصورة الكاملة الإماميّة.

وفيه عِلْمُ نفي الأسباب بإثباتها.

---

١ ص ١٣١ب
٢ [الأنفال : ١٧]
٣ ص ١٣٢

وفيه عِلْمُ الأمر الذي دعا المشرك إلى إثبات الشريك.

وفيه عِلْمُ غيرة الحقّ على الرتبة الإلهيّة.

وفيه عِلْمُ ما يقول المعلّم من العالَم إذا سأله العالَم -بفتح اللام-.

وفيه عِلْمُ ما هو من القول حجّة، وما ليس بحجّة؛ فهل الحجّة على الخصم عين القول خاصّة؟ أو ما يدلُّ عليه القول؟ أو في موطنٍ يكون القول، وفي موطن يكون ما يدلّ عليه القول؟ فإذا كان القول يُعجز السامع؛ فهو عين الحجّة.

وفيه عِلْمُ الفضل بالعلم بين المخلوقين، وأنّه لا رتبة أشرف من رتبة العلم.

وفيه عِلْمُ أنّ الملائكة كلَّهم علماءُ بالله ليس فيهم من يَجهل، بخلاف[1] الناس، ولذلك قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ ثمّ قال في حقّ الناس: ﴿وَأُولُو الْعِلْمِ﴾[2] وما أطلق مثل ما أطلق الملائكة، وهو علم التوحيد هنا، لا علم الوجود. فإنّ العالَم كلَّه عالِمٌ بالوجود، لا بالتوحيد؛ لا في الذات، ولا في الرتبة؛ وإن كان المشرِك قد جَعل له الرتبة العليا مع الاشتراك في معنى الرتبة.

وفيه عِلْمُ ما لا يمكن لمخلوقٍ جحدُه؛ وهو افتقار الممكن إلى المرجِّح.

وفيه عِلْمُ ما يجوز نقضه من المواثيق والعهود، وما لا يجوز.

وفيه عِلْمُ ما يسبِق إلى الوهم من تكذيب شخصٍ من الناس يدّعي أنّه موجود من غير أب ولا أُمّ، عند مَن يؤمن بوجود آدم عليه السلام، وينكره في حقّ شخص مّا قد أشبهه في الصورة، ولا يتوقّف في تكذيبه، ولا في ردّ ما قاله وجاء به، وهو ممكن في نفس الأمر، ويُقِرُّ به مَن يقول بحدوث العالَم وبِقِدَمِه[3].

وفيه عِلْمُ ما تفيده الملائكة من العلم إذا دخلوا على أهل السعادة في منازلهم.

وفيه عِلْمُ فصل الدنيا من الآخِرة داراً[4] وحياة، وهي دار واحدة وحياة واحدة.

وفيه عِلْمُ القلوب، ولماذا (=وإلى ماذا) ترجع نِسبة السكون إليها: هل إلى علمها باستحالة ثبوتها على أمر واحد زمانين لمّا علِمت أنّ خالقها -إذا تذكَّرتْ وفكَّرتْ أنّه- كلّ يوم في شأن،

١ ص ١٣٢ب
٢ [آل عمران: ١٨]
٣ ق: ويقدمه
٤ ص ١٣٣

فتقطع عند ذلك أنّها لا تبقى على حال واحد لأنّها محلّ التصريف والتقليب.

وفيه عِلْمُ العلم الجامع المفصِّل للمضارّ والمنافع، وهل الإنسان الجاهل يقاوم بقوّته قوّة كلام الله حتى لا يؤثّر فيه؟ أو قوّته على نفسه أن يستر ما أثّر فيه كلام الله؛ فلم يقاوم إلّا نفسَه، لا كلام الله؟

وفيه عِلْمُ انتظار الحقّ بإظهار الأمور ما حكم به عِلمه فيها من الترتيب في الإيجاد مع الجواز، وكيف يجتمع المحال والإمكان في أمر واحد؛ فيحكم عليه بأنّه محال بالدليل العقليّ، ممكن بالدليل العقليّ؟ وأدلّة العقول لا تتعارض إلّا في هذا الموطن.

وفيه عِلْمُ تلقين الحجّة لإظهار الحقّ، وهل للحاكم إذا علم صدق أحد الخصمين في دعواه، ويعلم أنّه يبطل حقَّه لجهله بتحرير الدعوى؛ هل له أن يُعلِمه كيف يدّعي حتى يثبت له الحقّ كما[1] هو في نفس الأمر؟ أو ليس له ذلك؛ لا في حضور الخصم ولا في غيبته؟ وهذا مع علم الحاكم بصاحب الحقّ.

وفيه عِلْمُ حجج الرسل -عليهم السلام- ليست عن نظرٍ فكريّ؛ وإنما هي عن تعليم إلهيّ.

وفيه عِلْمُ ما حظُّ الرسول من الرسالة؟

وفيه عِلْمُ لا يعارض الحقّ الإلهيّ إلّا الحقّ الإلهيّ، فهو مقابلة المِثلين لا مقابلة غير المِثلين. وإن ظهرت المعارضة من جانب المخلوق؛ فما ظهر الحقّ إلّا على لسان المخلوق. فإنّ الله ما كلّم عباده على رفع الحجاب، لأنّه يقول: ﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾[2] وقد وقع في الدنيا المعقِّب، فلا بدّ أن يكون المعقِّبُ اللهُ، لا غيره. فهو مثل النسخ في الشرائع: هو الذي شرع، وهو الذي رفع ما شرع؛ بشرعٍ آخر أنزله؛ فالناسخ والمنسوخ من الله. كذلك أمر العالم فيما جاء من الحقّ بالدلالة، وفيما رَدَّ به ذلك الحقّ من غير دلالة؛ فيعلم العالِم بالله أنّه من الحقّ؛ فالحقُّ يتلو بعضه بعضاً. فإنّ زمان دعوى الواحد، ما هو زمان دعوى الآخر الرادّ له. والمعارَضة، على الحقيقة، إن لم يشتركا في الزمان؛ فما هي معارضة، فافهم.

وفيه[3] عِلْمُ إنزال الحقّ العالِم بالشيء منزلة نفسه منه في ذلك العلم، ولهذا نقول: لا منزلة

١ ص ١٣٣ب
٢ [الرعد: ٤١]
٣ ص ١٣٤

أشرف من العلم؛ لأنّه ينزلك منزلة الحقّ.

لَقَدْ حُزْتُ كُلَّ الطّيْبِ فِيْمَا لَثِمْتُهُ　　وَقَدْ عَلِمَ الأَقْوامُ مَنْ قَدْ لَثِمْتُهُ

وإنّ الّذِي فِي الكَوْنِ مِنْ كُلِّ طَيِّبِ　　مِنَ العَقْلِ والإحْساسِ فِيْمَا طَعِمْتُهُ

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[1].

[1] [الأحزاب: ٤]

الباب الثاني والسبعون وثلاثمائة
في معرفة منزل سِرٌّ وسِرّين، وثنائك عليك بما ليس لك، وإجابة الحقّ إيّاك في ذلك لمعنى شرّفك به ـمن حضرة محمديّة

مَنْ حازَ شَطْرَ الكَوْنِ فِي خَلْقِهِ　　وشَطْرَهُ الآخَرَ فِي خُلْقِهِ

فَذاكَ عَيْنُ الوَقْتِ فِي وَقْتِهِ　　وبَدْرُهُ الطَّالِعُ فِي أُفْقِهِ

فَبَدْرُهُ[1] يَطْلَعُ مِنْ غَرْبِهِ　　وَضَوْءُهُ يَغْرُبُ فِي شَرْقِهِ

فَكُلُّ مَخْلُوقٍ بِهِ هائِمٌ　　وكُلُّنَا نَهْلِكُ فِي حقِّهِ

ورد في الخبر الصحيح في صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «إنّ الله جميل يحبّ الجمال» وهو -تعالى- صانِع العالَم وأوجده على صورته. فالعالَم كلّه في غاية الجمال ما فيه شيء من القبح، بل قد جمع الله له الحسن كلّه والجمال. فليس في الإمكان أجمل ولا أبدع ولا أحسن من العالَم. ولو أوجد ما أوجد إلى ما لا يتناهى، فهو مِثل لما أوجد؛ لأنّ الحسن الإلهيّ والجمال قد حازه وظهر به. فإنّه كما قال تعالى: ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ فهو جماله. إذ لو نقص منه شيء لنزل عن درجة كمال خلقه؛ فكان قبيحا ﴿ثُمَّ هَدَى﴾[2] أي بيّن ذلك لنا.

ولَمّا رأَيْنا الحَقَّ فِي صُورَةِ البَشَرْ　　عَلِمْنَا بِأَنَّ العَقْلَ فِيْهِ عَلَى خَطَرْ

فَمَنْ قَيَّدَ الحَقَّ المُبِيْنَ بِعَقْلِهِ　　ولَمْ يُطْلِقِ التَّقْيِيدَ ما عِنْدَهُ خَبَرْ

إذا[3] ما تَجَلّى لِي عَلَى مِثْلِ صُورَتِي　　تَجَلّيْتُ فِي التَّنْزِيْهِ عَنْ سائِرِ الصُّوَرْ

فإِنْ قالَ: ماذا؟ قُلْتُ: أَنْتَ ذَكَرْتَ لِي　　بِأَنَّكَ تَعْفُو عَنْ ظَلُومٍ إذا انْتَصَرْ

وَما أَنْتَ مِثْلِي قُلْ فَلِمْ حُزْتَ صُورَتِي　　ورُؤْيَتِي إيّاكُمْ كَما نُبْصِرُ القَمَرْ

[1] ص ١٣٤ب
[2] [طه: ٥٠]
[3] ص ١٣٥

فَـإِنْ كُنْـتَ مِـثْلِي فَالتَّمَاثُـلُ حَـاكِمٌ ... عَلَى كُلِّ مِثْلٍ كَالَّذِي يَقْتَضِي النَّظَرْ
فَـكُلُّ شَـبِيهٍ لِلشَّـبِيهِ مُشَـاكِلٌ ... عَلَى كُلِّ حَالٍ فِي القَدِيمِ وَفِي البَشَـرْ
لَقَـدْ شَرَعَ اللهُ السُّـجُودَ لِسَـهْوِنا ... بِإِرْغَامِ شَـيْطانٍ وجَـبْرٍ لِمَا انْكَسَـرْ
فَمَـا لَكَ لَـمْ تَسْـجُدْ وأَنْـتَ إِمامُنـا ... فأَنْـتَ جَـدِيرٌ بِالسُّـجُودِ كَمَا ذَكَـرْ
أَتَيْنَـاكَ نَسْـعَى فانْثَنَيْـتَ مُهَـرْوِلًا ... وَأَيْنَ خُطَى الأَقْدامِ مِنْ خَطْوَةِ البَصَرْ

ومنها أيضا:

فَمِمَّنْ[1] فُصِلْنَا أَوْ بِمَنْ قَدْ وَصَلْتَنا ... وَمَـا هُـوَ إِلَّا اللهُ بِالعَـيْنِ والأَثَـرْ
فَشُكْرًا لِمَا أَخْفَى وشُكْرًا لِمَا بَدَا ... وحَـازَ مَزِيـدَ الخَـيْرِ عَبْـدٌ إِذا شَـكَرْ
وَمـا هُـوَ إِلَّا الحَـقُّ يَشْـكُرُ نَفْسَـهُ ... ولكِنْ حِجَابَ القُرْبِ أَرْسـلَ فاسْـتَتَرْ

فالعالَم كلّه جماله ذاتيٌّ، وحسنه عينُ نفسه؛ إذ صَنعَه صانعه عليه. ولهذا هام فيه العارفون، وتحقّق بمحبّته المتحقّقون، ولهذا قلنا فيه في بعض عباراتنا عنه: "إنّه مرآة الحقّ" فما رأى العارفون فيه إلّا صورة الحقّ. وهو -سبحانه- الجميل، والجمال محبوب لذاته، والهيبة له في قلوب الناظرين إليه ذاتيّة؛ فأورثَ المحبّة والهيبة. فإنّ اللهَ ماكثّر لنا الآيات في العالَم وفي أنفسنا -إذ نحن من العالَم- إلّا لنصرف نظرنا إليه: ذِكْرا، وفكرا، وعقلا، وإيمانا، وعلما، وسمعا، وبصرا، ونُهًى، ولُبًّا. وما خلقنا إلّا لنعبده ونعرفه، وما أحالنا في ذلك على شيء إلّا على النظر في العالَم؛ لجَعْلِهِ عين الآيات والدلالات على العلم به: مشاهدة وعقلا.

فإنْ نظرنا فإليه، وإن سَمِعْنا فمنه[2]، وإن عقلنا فعنه، وإن فكّرنا ففيه، وإن علمنا فإيّاه، وإن آمنّا فبِه. فهو المتجلّي في كلّ وجهٍ، والمطلوب من كلّ آيةٍ، والمنظور إليه بكلّ عين، والمعبود في كلّ معبود، والمقصود في الغيب والشهود، لا يفقده أحد من خلقه بفطرته وجبلّته. فجميع العالَم له مصلٍّ، وإليه ساجد، وبحمده مسبّح. فالألسنة به ناطقة، والقلوب به هائمة عاشقة، والألباب فيه حائرة. يروم العارفون أن يفصِلوه من العالَم فلا يقدرون، ويرومون أن

[1] ص ١٣٥ب
[2] ص ١٣٦

يجعلوه عين العالَم فلا يتحقّق لهم ذلك؛ فهم يعجزون. فتكِلُّ أفهامُهم، وتتحيّر عقولُهم، وتتناقض عنه في التعبير ألسنتُهم؛ فيقولون في وقتٍ: هو، وفي وقت: ما هو، وفي وقت: هو ما هو. فلا تستقرّ لهم فيه قدم، ولا يتّضح لهم إليه طريقٌ أَمَم؛ لأنّهم يشهدونه عينَ الآية والطريق؛ فتحول هذه المشاهدة، بينهم وبين طلب غاية الطريق؛ إذ لا تُسلك الطريق إلّا إلى غايتها، والمقصود معهم؛ وهو الرفيق؛ فلا سالك ولا سلوك؛ فتذهب الإشارات وليست سِوَاهُ، وتطيح العبارات وما هي إلّا إيّاه؛ فلا ينكر على العارف ما يهيم فيه من العالم، وما يُتوّهُه من المعالِم.

ولولا أنّ هذا الأمر كما ذكرناه؛ ما أحبَّ نبيّ[1] ولا رسول أهلا ولا ولدا، ولا آثر على أحدٍ أحدا؛ وذلك لتفاضل الآيات، وتقلُّب العالَم هو عين الآيات، وليست غير شئون الحقّ التي هو فيها، وقد رفع بعضها فوق بعض درجات؛ لأنّه بتلك الصورة ظهر في أسمائه؛ فعلمنا تفاضل بعضها على بعض بالعموم والخصوص. فهو الغنيّ عن العالمين وهو القائل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2] فأين الخالق من الغنيّ؟ وأين القابض منه والمانع؟ وأين العالِم في إحاطته من القادر والقاهر؟ فهل هذا كلّه إلّا عين ما وقع في العالَم؟ فما تصرَّف رسول ولا عارف إلّا فيه ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[3] وذلك لأنّ مِن الناس مَن في أذنه وقر، وعلى بصره غشاوة، وعلى قلبه قُفل، وفي فكره حَيرة، وفي علمه شبهة، وبسمعه صمم. ووالله؛ ما هو هذا كلّه عند العارف إلّا القرب المفرط ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾[4] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[5] وأين الوسوسة من الإلهام؟ وأين اسم الإنسان من اسم العالم؟

فَمَـنْ لَـيْلَى ومَـنْ لُبـنَى ... ومَـنْ هِنْـدٌ ومَـنْ بَثْنَـهْ
ومَنْ[6] قَيْسٌ وَمَنْ بِشْـرٌ ... أَلَيْسُـوا كُلُّهُـمْ عَيْنَـهْ

[1] ص ١٣٦ب
[2] [الذاريات : ٥٦]
[3] [الأعراف : ١٨٧]
[4] [الواقعة : ٨٥]
[5] [ق : ١٦]
[6] ص ١٣٧

لَقَـدْ أَصْبَحْتُ مَشْـغُوفًا ‏ ‏ ‏ بِـــهِ إِذْ كَانَ لِي كَوْنَــهْ
فَـكُلُّ الخَلْـقِ مَحْبُـوبِي ‏ ‏ ‏ فَـــأَيْنَ مُهَيِّمِــي أَيْنَــهْ؟
فَمَـنْ يَبْحَـثْ عَـلَى قَـوْلِي ‏ ‏ ‏ يَجِـــدْ فِي بَيْنِـــهِ بَيْنَـــهْ

وأمّا أهل الجمال الغَرَضيّ والحبّ العرَضيّ؛ فظلٌّ زائل، وغرَض مائل، وجدار مائل. بخلاف ما هو عند العلماء بالله؛ فإنّ الظلّ عند العالم بالله ساجدٌ، والعارِض للوجود مستعدٌّ، والجدار لم يَمِلْ إلّا عبادة؛ لِيُظهر ما تحته من كنوز المعارف التي يستغني بها العارفُ الواقف. فخلق الله الغيرة في صورة الخَضِرْ؛ فأقامه (أي أقام الجدار) من انحنائه لَمّا علم أنّ الأهليّة ما وُجِدت في ذلك الوقت في ربّ المال؛ فيقع التصرُّف فيه على غير وجهه ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾[1] فلو ظهر اتُّخِذَ عبثا، وعاثت فيه الأيدي.

فسبحان واضع الحِكَم، وناصِب الآيات، ومُظهِر جمال الدلالات. ومِن أجملها عينا، وأكملها كونا: عالم الخيال، وبه ضرب الله الأمثال؛ وبيّن -تعالى- أنّه المنفرِد بعلمه؛ فإنّه قال ناهيا: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[2] وما جاء بهذه الآية إلّا عندما ضرب لنا الأمثال[3] منه؛ فظهر الكون، وهو مقدّمته. ألا ترى الرؤيا، وبعينها يدرِك الخيال؛ يرى ما يكون قبل كونه، وما كان، وما هو الوقت عليه؟! وأيّ حضرة تجد فيها هذه الجمعيّة إلّا حضرة الخيال؟! وكلُّ مَن تعشّق بأمر مّا فما تعشّق به إلّا بعد أن حصّله في خياله، وجعل له في وهمه مِثالا، وطبّق محبوبَه على مثاله. ولو لم يكن الأمر كذلك؛ لكان إذا فارقه -مَن تعلّق بصرُه به، أو سَمْعُهُ، أو شيءٌ من حواسّه- فارَقَ التعلّق به، ونحن لا نجد الأمر كذلك. فدلّ على أنّ المحبوب عند المحبّ على مثالٍ صوّرَهُ، وأنشأه في خياله؛ فلزم مشاهدته؛ فتضاعف وُجْدُه، وتزايد حُبُّه. وصار ذلك المِثال الذي صوّره يحرِّض[4] مصوِّرَه على طلبِ مَن صوّره على صورته؛ فإنّ ذلك

[1] [ص : ٨٨]
[2] [النحل : ٧٤]
[3] ص ١٣٧ب
[4] الحروف المعجمة مهملة

الأصل هو روح هذا الخيال، وبه بقاؤه، وهو الذي يحفظه. وما اشتدّ حبُّ المحبّ إلّا في صنعته وفعله؛ فإنّ الصورة التي تعشّق بها في خياله، هي من صنْعَتِهِ. فما أحبّ إلّا ما هو راجع إليه؛ فبنفسه تعلّق، وعلى فعله أثنى.

فمن عَلِم هذا عَلِم حبَّ اللهِ عبادَه، وأنّه -تعالى- أشدُّ حبّا فيهم؛ منهم فيه. بل لا يحبّونه عينا، وإنما يحبّون إحسانه؛ فإنّ الإحسانَ هو مشهودُهم. ومَن أحبّه عينا، فإنما أحبَّ[1] مثالا صوّره في نفسه وتخيَّله، وليس إلّا المشبِّهة خاصّة. فكلّ محبٍّ؛ فلولا التشبيه ما أحبّه، ولولا التخيّل ما تعلّق به. ولهذا جعله الشارع في قِبلته، ووسعه قلبُ عبده، وجعله من القرب به كهو أو كبعض أجزائه. فمثل هؤلاء عبدوه ممثَّلا، وشاهدوه محصَّلا.

وأمّا المنزّهة فحائرةٌ في عمياء، يخبطون فيها عَشواء، لا ظلَّ في ظُلمتها، ولا ما يمنعهم الدليل من التشبيه، وما ثَمّ إيمانٌ يفوق نورُه نورَ الأدلّة حتى يدرجها فيه. فلا يزال المنزِّهُ غيرَ قابض على شيء، ولا محصّل لأمرٍ؛ فهم أهل البث؛ لأنّ همّهم متفرّق والوهم منهم بعيد. فنقصَهم من كمال معرفة الوجود حكمُ الأوهام فيهم، ولا حكمَ للأوهام إلّا في الكمّل من الرجال. ولهذا جاءت الشرائع في الله بما تحيله الأدلّة؛ فمَن تقوّى نورُ إيمانه على نور عقله (كان) كما تقوّى نور الشمس على نور غيره من الكواكب؛ فما أذهب عينَ أنوارها، وإنما أدرَجها في نوره. فالعالم مستنير كلّه بنور الشمس ونور الكواكب، ولكنّهم لا يبصرون إلّا نور الشمس، ولا يبصرون المجموع.

كذلك الكامل من أهل الله؛ إذا درج نور عقله في نور إيمانه[2]: صوَّب رأيَ المنزّهة إذ ما تعدَّتْ ما كشفتْهُ لهم أنوارُها، وصوَّبَ رأيَ المشبِّهة إذ ما تعدَّتْ ظاهر ما أعطاها نورُ إيمانها، بما ضرب الله لها من المَثل. فعرفه الكامل عقلا وإيمانا؛ فحاز درجة الكمال، كما حاز الخيال درجة الحِسّ والمعنى؛ فلطّف المحسوس وكثّف المعنى؛ فكان له الاقتدار التامّ. ولذلك قال يعقوب لابنه: ﴿لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾[3] لَمّا علم من عِلمهم بتأويل ما مَثَّل الحقُّ له في رؤياه؛ إذ ما كان ما رآه وما مُثّل له إلّا عين إخوته وأبويه. فأنشأ الخيالُ صُوَرَ

[1] ص ١٣٨
[2] ص ١٣٨ب
[3] [يوسف : ٥]

الإخوة: كواكبَ، وصُوَرَ الأبوين: شمسا وقمرا، وكلّهم لحمٌ، ودمٌ، وعروقٌ، وأعصابٌ.

فانظر هذه النقلة من عالم السفل إلى عالم الأفلاك، ومِن ظلمة هذا الهيكل إلى نور هذا الكوكب! فقد لطَّف الكثيف، ثمّ عمد إلى مرتبة التقدُّم وعلوّ المنزلة والمعاني المجرَّدة؛ فكساها صورة السجود المحسوس؛ فكثَّف لطيفَها، والرؤيا واحدة. فلولا قوّة هذه الحضرة ما جرى ما جرى. ولولا أنّها في الوسَط؛ ما حكمتْ على الطرفين؛ فإنّ الوسط حاكمٌ على الطرفين؛ لأنّه حَدٌّ لهما، كما أنّ الآنَ (هو) عينُ الماضي والمستقبَل.

كما أنّ الإنسان الكامل جعل اللهُ رتبتَه وسَطًا بين[1] كينونته مستويا على عرشه، وبين كينونته في قلبه الذي وَسِعه. فله نظرٌ إليه في قلبه؛ فيرى أنّه نقطة الدائرة، وله نظرٌ إليه في استوائه على عرشه؛ فيرى أنّه محيط الدائرة؛ فهو بكلّ شيء محيط. فلا يظهرُ خطٌّ من النقطة إلّا ونهايته إلى المحيط، ولا يظهر خطٌّ من المحيط من داخله إلّا ونهايته إلى النقطة؛ وليست الخطوط سِوَى العالَم؛ فـ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾[2]، والكلّ في قبضته ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾[3].

فالخلاء (هو) ما فُرِض بين النقطة والمحيط، وهو الذي عمر العالم بعينه وكونه، وفيه ظهرت الاستحالات: من نقطة إلى محيط، ومن محيط إلى نقطة. فما خرج عنه ﷻ شيءٌ، ولا ثَمّ شيء خارج عن المحيط؛ فيدخل في إحاطته. بل الكلّ منه انبعثَ وإليه ينتهي، ومنه بدأ وإليه يعود. فمحيطُه أسماؤه، ونقطته ذاته. فلهذا هو الواحد العدد، والواحد الكثير. فما كلُّ عين له ناظر إلّا عين الإنسان، ولولا إنسانُ العين ما نظرتْ عينُ الإنسان؛ فبالإنسان نظر الإنسانُ؛ فبالحقّ ظهر الحقُّ.

فقُلْنا فِيْهِ حَقٌّ   وَقُلْنا فِيْهِ خَلْقُ
وَقُلْنا فِيْـهِ دُرٌّ   وَقُلْنا فِيْهِ حُقّ

ومن ذلك:

١ ص ١٣٩
٢ [فصلت : ٥٤]
٣ [هود : ١٢٣]

فَهُوَ[1] المُلْكُ والمَلِكْ   وَهُوَ الفُلْكُ والفَلَكْ
فــإذا مــا هَوَيْتُــهُ   قال لِلْحبِّ هِيتَ لَكْ

أي حسّنتُ هيئتي إذ هيّئتُ لك. إذ لولا حُسنُ العالَم؛ ما عُلِم حُسن القديم ولا جماله. ولولا جمالُ الحقّ؛ ما ظهر في العالَم جَمالٌ. فالأمر دوريّ، وبه دار الفلك. فدوران الفلك سعيُه؛ وما برح من مكانه. فهو بكلّيته المنتقل الذي لم يفارق مكانه؛ تنبيها من الله لعباده وضَرْب[2] مَثَل: إنّ الحقّ -وإن أوجد العالم، ووصف نفسه بما وصف- ما زال في منزلة تنزيهه، وتمييزه عن خلقه بذاته؛ مع معيّته بكلّ خلقٍ مِن خلقِه. بخلاف الخطوط؛ فإنّها متحرّكة من الوسط وإلى الوسط؛ فهي مفارقة وقاطعة منازل، وحركة الوسط لم تفارق منزلتها، ولا تحرّكتْ في غيرها. وهي أعجوبة المسائل التي حار فيها المجيب والسائل.

ألا أيُّهــا الفــلَكُ الدائِــرُ   لِمَنْ أَنْتَ فِي سَيْرِكُمْ سائِرُ؟
إِلَيْنــا؟ فَــنَحْنُ بِأَحْشــائِكُمْ   إِلَيْــهِ؟ فَســيْرُكُمْ بائِــرُ
تَعــالَى عَــنِ الحَــدِّ فِي نَفْسِــهِ   وقالَ هُوَ الباطِنُ الظاهِرُ
تَــدُورُ[3] عَلَيْنــا بِأَنْفاسِــنا   وَأَنْـتَ لَنـا الحَكَمُ القـاهِرُ
فَشُــغْلُكَ بِي شُــغْلٌ شــاغِلٌ   وأَنْتَ إذا ما انْقَضَى خاسِرُ
فإنْ كُنْتَ فِي ذاكَ عَنْ أَمْرِهِ   فأَنْـتَ بِـهِ الـرَّابِحُ التَّـاجِرُ
ومِــنْ فَــوْقِكُمْ ثُمَّ مِــنْ فَوْقِــهِ[4]   إلَهٌ لِــــرَتْقِكُمْ فــــاطِرُ
تَعَــيَّنَ بِالفَتْــقِ فِي رَتْقِــكُمْ   فَعَقْـلُكَ فِي صُـنْعِهِ حـائِرُ
لِذاكَ تَــدُورُ وَمَــا تَــبْرَحَنْ   بِمَثْـواكَ والمُقْبِـلُ الغَـابِرُ
فَقِف فَأَبَى الجَبْرُ إِلّا السُّرَى   وَقـالَ: أَنا الكاسِرُ الجابِرُ
سَتَرْتُ عُيُونَ النُّهَى فانْثَنَتْ   وقَدْ عَلِمَتْ أَنَّنِي الساتِرُ
فَسُبْحانَ[5] مَنْ حُكْمُهُ حِكْمَةٌ   ومَنْ عَيْنُهُ الوارِدُ الصادِرُ

١ ص ١٣٩ب
٢ كانت في ق: "أو ضرب" مع إشارة مسح لحرف الألف
٣ ص ١٤٠
٤ كتب بعده بقلم الأصل: "الضمير في فوقه" يعود على الفوق الأول
٥ ص ١٤٠ب

فَلَـوْلاكَ مـا لاحَ فِي أُفْقِـهِ   بِدَوْرَتِـهِ كَوْكَـبٌ زاهِـرُ

ولَمّا خلق اللهُ العالَمَ، واقتضت ذاتُ العالم أن يستحيل بعضه لبعضِه بما ركّبه الله عليه من الحقائق، والاستعداد لقبول الاستحالة؛ طلبَ، بذاتِه، العوارضَ الإمكانيّة التي يراها[1] في العالم. فمِن العالَم من له قصد في ذلك الطلب؛ وهو تعيين عارض خاصّ؛ كقائمٍ يطلب القعود ممن يعقِل. ومنهم من يطلبه من غير قصد؛ كالشجرة تطلب السَّقي من أجل الثمرة التي خُلِقت لها، وطلبُها لذلك ذاتيٌّ على مقدار معلوم، إن زاد على ذلك كان حكمه حكمَ نقصانه؛ في الهلاك. وما الماء يحكمها؛ فلا بدّ من حافظ يحفظ عليها القدر المعلوم، وليس إلّا خالقُها.

وهذه الأمور العوارض -التي تعرض لجوهر العالم- منها ما يقال فيه: صلاح، ومنه ما يقال فيه: فساد، ولكن في نفس الأمر لا يصحّ أن يعرض للعالَم فسادٌ لا صَلاح فيه؛ فإنّه يكون خلاف ما أُريد له وجوده. وأمّا صلاح لا فَساد فيه فهو[2] الواقع المراد لصانع العالم؛ فإنّه لذلك خلق العالَم.

وأمّا الأحوال فذاتيّة للمعاني؛ فإنّها أحكامها. وليس لها وجود، ولا هي معدومة؛ كالأحمر لمن قامت به الحمرة. وهذا حكم لا يتّصف بالخلق؛ لأنّه معقول، لا عين له في الوجود العيني. بل المعاني كلّها التي أوجبتْ أحكامها لمن اتّصف بها نِسبٌ عدميّة، لا عين لها في الوجود. ولها الحكم والحال، ولا عين لحكمها ولا لحالها في الوجود. فصار الحاكمَ والمحكومَ به، في الحقيقة، أمورٌ عدميّة، مع أنّها معقولة. فعلى الحقيقة؛ لا أثر لموجود في موجود؛ وإنّما الأثر للمعدوم في الموجود؛ وفي المعدوم. لأنّ الأثر للنِّسَبِ كلّه، وليست النِّسب إلّا أمور عدميّة. يظهر ذلك، بالبديهة، في أحكام المراتب: كرتبة السلطنة، ومرتبة السُّوقة في النوع الإنساني مثلا. فيتحكم السلطان في السُّوقة بما تريد رتبة السلطنة، وليس للسلطنة وجودٌ عينيّ.

وإذا كان الحكم للمراتب؛ فالأعيان التي من حقيقتها أن لا تكون على صورة طبيعيّة جسميّة في نفسها، إذا ظهرت، لمن ظهرت له، في صورة طبيعيّة جسديّة في عالم التمثّل -كالمَلَك يتمثّل

1 الحرف الأول مهمل في ق، وفي ه: تراها، والترجيح من س
2 ص ١٤١

بشرا سويّا، وكالتجلّي الإلهيّ في الصور- فهل تقبلُ تلك الصورة الظاهرة[1] في عين الرائي حُكمَ ما لتلك الصورة في التي هي له حقيقة كصورة الإنسان والحيوان؛ فتحكم عليه بالتفكّر، وقيام الآلام واللذّات به؛ فهل تلك الصورة التي ظهرتْ تشبه الحيوان أو الإنسان أو ما كان؛ تقبلُ هذا الحكم في نفس الأمر؟ أو الرائي إذا لم يعلم أنّها إنسان أو حيوان مّا أن يحكم عليها بما يحكم على مَن تلك الصورة عينه؟ كيف الأمر في ذلك؟.

فاعلم أنّ المَلَك على صورةٍ تخالف البشر في نفسه وعينه. وكما يخالف البشر، فقد خالفه، أيضا، البشر؛ مثل جبريل ظهر بصورة أعرابي: بكلامه، وحركته المعتادة من تلك الصورة في الإنسان؛ هي في الصورة المثلّة كما هي في الإنسان، أو هي من الصورة كما هي الصورة متخيّلة أيضا. ويتبع تلك الصورة جميع أحكامها من القوى القائمة بها في الإنسان، كما قام بها الكلام، والحركة، والكيفيّات الظاهرة. فهو في الحقيقة إنسان خياليّ -أعني المَلَك- في ذلك الزمان، وله حكم تلك الصورة في نفس الأمر أيضا، على حدّ الصورة من كونها إنسانا خياليًّا. فإذا ذهبت تلك الصورة؛ ذهبت أحكامها لذهابها.

وسبب ذلك أنّ جوهر العالم، في الأصل، واحد[2] لا يتغيّر عن حقيقته، وأنّ كلّ صورة تظهر فيه؛ فهي عارضة تستحيل، في نفس الأمر، في كلّ زمانٍ فَرْدٍ. والحقُّ يوجِد الأمثال على الدوام؛ لأنّه الخالق على الدوام. والممكنات في حال عدمها؛ مهيّأة لقبول الوجود. فمهما ظهرت صورةٌ في ذلك الجوهر؛ ظهرتْ بجميع أحكامها؛ سواء كانت تلك الصورة محسوسة أو متخيّلة؛ فإنّ أحكامها تتبعها. كما «قال الأعرابي لمّا سمع رسول الله ﷺ يصِفُ الحقَّ ﷻ بالضحك، قال: لا نعدم خيرا من ربٍّ يضحك». إذ من شأن مَن يضحك أن يُتوقّع منه وجود الخير. فكما أتبع الصورة الضحك؛ أتبعها وجود الخير منها. وهذا في الجناب الإلهيّ؛ فكيف في جوهر العالَم؟!

ولا يَهُون مثلُ هذا عند عالِمٍ، ولا يقبله متّسع الخاطر؛ إلّا مَن عرف أنّ جوهر العالَم هو النفَس الرحمانيّ الذي ظهرتْ فيه صور العالَم. ومَن لم يعلم ذلك؛ فإنّه يدركه في نفسه تكلُّفَ

1 ص ١٤١ب
2 ص ١٤٢

ومشقّةٌ في قبول ذلك في حقّ الحقّ، وحقّ كلّ ظاهر في صورة[1] يعلم أنّها ما هي له حقيقة؛ فيتأوّل، ويتعذّر عليه في أوقاتِ التأويلُ؛ فيؤمِن ويسلِّم، ولا يدري كيف الأمر؟ بخلاف العالِم المحقّق الذي قد أطلعه الله -تعالى- على[2] ما هي الأمور عليه في أنفسها.

فالعالَم كلّه من حيث جوهره شريفٌ، لا تفاضل فيه. وإنّ الدودة والعقل الأوّل على السَّواء، في فضل الجوهر. وما ظهرت المفاضلة إلّا في الصوَر، وهي أحكام المراتب: فشريفٌ وأشرف، ووضيعٌ وأوضع. ومَن علِم هذا؛ هان عليه قبول جميع ما وردت به الشرائع من الأمور في حقّ الله، والدار الآخرة، والأمور الغائبة التي لا تدركها العقول بأفكارها، وليس لها مدركٌ إلّا بالخبر. وليست الصور بشيء غير أعيان الممكنات، وليس جوهر العالم سوَى ما ذكرنا.

فللإطلاق على العالَم، من حيث جوهره، حكم لا يكون له من حيث صورته. وله حكم من حيث صورته، لا يكون له من حيث جوهره. فمن الناس مَن علِم ذلك على الكشف؛ وهم أصحابُنا، والرسل، والأنبياء، والمقرّبون. ومن الناس مَن وجد ذلك في قوّته وفي عقله، ولم يعرف من أين جاء؟ ولا كيف حصل له؟ فيشرك أهلَ الكشف في الحكم، ولا يدري على التحقيق ما هو الأمر؟ وهم القائلون بالعِلّة[3]، والقائلون بالدهر، والقائلون بالطبيعة. وما عدى هؤلاء فلا خبر[4] عندهم بشيء[5] من هذا الحكم. كما أنّ هؤلاء[6] الطوائف لا علم لهم بما يعلمه أهل الله، وإن اشتركا في[7] الحكم. فلو سألتَ علماء طائفة منهم؛ ما أنكرَ لكَ عينَ ما أبانه أهلُ الله من ذلك، وما حكم عليهم القول بذلك الحكم إلّا ما عرفه أهل الله وهم -القائلون بالعِلّة- لا يشعرون.

ألا ترى الشارع، وهو المخبِر عن الله، ما وصف الحقَّ بأمر فيه تفصيل، إلّا وهو صفة المحدَث المخلوق، مع قِدَم الموصوف به، وهو الله، ولا قَدم للعقل في ذلك من حيث نظره وفكره. وسبب ذلك لا يعرف أصله، ولا يعلم أنّه صورته في جوهر العالم، بل يتخيّل أنّه عين

---

[1] "في صورة" ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب
[2] ص ١٤٢ب
[3] ق: بالغلة، وما أثبتناه فمن هـ، س
[4] ق: خير
[5] رسمها في ق: نشيئ أو نشئ
[6] ص ١٤٣
[7] كتب بعدها بقلم آخر: "هذاَ" وأشير عليها بالشطب، لتتفق مع س

الجوهر. فإن أردتَ السلامة فاعبد ربًا وَصَفَ نفسه بما وصف، ونفى التشبيه، وأثبت الحكم كما هو الأمر عليه؛ لأنّ الجوهر ما هو عين الصورة؛ فلا حكم للتشبيه. ولهذا قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[1] لعدم المشابهة؛ فإنّ الحقائق ترمي بها، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ إثباتا للصور؛ لأنّه فصَّل.

فمن لم يعلم ربّه من خبره عن نفسه ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾[2]. وأدنى درجته أن يكون مؤمنا بالخبر في صفاته، كما آمن أنّه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وكلا الحكمين حقٌّ؛ نظرا عقليًا وقبولا، والله يقول: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾[3] و﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾[4]. أتُراه[5] يحيط به وهو خارج عنه؟ ويحفظ عليه وجودَه من غير نِسبة إليه؟ فقد تداخلت الأمور، واتّحدت الأحكام، وتميّزت الأعيان؛ فقيل من وجهٍ: هذا ليس هذا؛ عن زيد وعمرو. وقيل من وجهٍ: هذا عين هذا؛ عن زيد وعمرو، أنها إنسان. كذلك يقول في العالم من حيث جوهره ومن حيث صورته كما قال الله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ﴾ يعني هذا الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ وحُكم السمع ما هو حُكم البصر؛ ففصل ووصل، وما انفصل ولا اتّصل.

فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ ... وَمَنْ شاءَ فَلْيَعْجِزْ وَمَنْ شاءَ فَلْيَنْظُرْ
فَمَنْ عَلِمَ العِلْمَ الذِي قَدْ عَلِمْتُهُ ... حَقِيقٌ عَلَيهِ أَنْ يُسَرَّ وأَنْ يَشْكُرْ
إذا نالَهُ التَّقْوَى فَكُنْ فَطِنًا بِمَا ... يَقُولُ لِمَنْ يَدْرِي بِذَلِكَ أَوْ يَشْعُرْ
وَما قالَ هَذا القَوْلَ لِلْخَلْقِ باطِلًا ... ولكِنَّهُ ذِكْرَى فَمَنْ شاءَ فَلْيَذْكُرْ
هُوَ الحَيْرَةُ العَمْيَا لِمَنْ كانَ ذا عَمَى ... هُوَ المَنْظَرُ الأَجْلَى لِذِي بَصَرٍ يُبْصِرْ
وَلَمَّا[6] ظَهَرْنا فِي وُجُودِ عَمَائِهِ ... عَلِمْنا وُجُودَ القُرْبِ فِينَا وَلَمْ نَحْصُرْ

---

[1] [الشورى : ١١]
[2] [الأحزاب : ٣٦]
[3] [فصلت : ٥٤]
[4] [سبأ : ٢١]
[5] ص ١٤٣ب
[6] ص ١٤٤

وصلٌ: إشارة وتنبيه

اعلم أنّ كلّ متلفّظ من الناس بحديث؛ فإنّه لا يتلفّظ به حتى يتخيّله في نفسه، ويقيمه صورةً يعبّر عنها، لا بدّ له من ذلك. ولمّا كان الخيال لا يُراد لنفسه، وإنما يُراد لبروزه إلى الوجود الحسّيّ في عينه، أي يظهر حكمه في الحسّ؛ فإنّ المتخيَّل قد يكون مرتبة، وقد يكون ما يقبل الصورة الوجوديّة؛ كمن يتخيّل أن يكون له ولد؛ فيُولدُ له ولد؛ فيظهر في عينه شخصا قائمًا مثله. وقد يتخيّل أن يكون ملِكا، وهي رتبة؛ فيكون ملِكا ولا عين للمملكة في الوجود؛ وإنما هي نِسبة.

وإذا كان هذا، وكان ما يُتخيّل يُعبَر كالرؤيا؛ كذلك يُعبر كلّ كلام ويُتأوّل؛ فما في الكون كلام لا يُتأوّل. ولذلك قال: ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾[1] وكلّ كلام فإنّه حادث عند السامع. فمن التأويل ما يكون إصابة لما أراده المتكلّم بحديثه، ومن التأويل ما يكون خطأً عن مراد المتكلّم؛ وإن كان التأويل إصابة في كلّ وجه؛ سَواء أخطأ مرادَ المتكلّم أو أصاب.

فما من أمرٍ إلّا وهو[2] يقبل التعبير عنه. ولا يلزم في ذلك فهم السامع، الذي لا يفهم ذلك الاصطلاح ولا تلك العبارة؛ فإنّ علوم الأذواق والكيفيّات، وإن قِيلتْ، لا تنقال. ولكن لمّا كان القول بها والعبارة عنها (هو) لإفهام السامع، لذلك قالوا: ما تنقال.

ولا يلزم ما لا يفهم السامع المدرِك له أن لا يصطلح مع نفسه على لفظٍ يدلّ به على ما ذاقه؛ ليكون له ذلك اللفظ منبّها ومذكّرًا له إذا نسي ذلك في وقت آخر، وإن لم يَفهم عنه مَن لا ذوق له فيه. والتأويل عبارة عمّا يؤول إليه ذلك الحديث، الذي حدث عنده في خياله. وما سُمّي الإخبار عن الأمور: عبارة، ولا التعبير في الرؤيا؛ إلّا لكون المخبِر يَعْبُر بما يتكلّم به، أي يجوز -بما يتكلّم به- من حضرة نفسه إلى نفس السامع. فهو ينقله من خيال إلى خيال؛ لأنّ السامع يتخيّله على قدر فهمه. فقد يطابق الخيالُ الخيالَ؛ خيال السامع مع خيال المتكلّم معه، وقد لا يطابق. فإذا طابق سمّي فهمًا عنه، وإن لم يطابق فليس بِفَهْم. ثمّ المحدَّث عنه؛ قد يُحَدَّث عنه

[1] [يوسف : ٢١]
[2] ص ١٤٤ب

بلفظٍ يطابقه كما هو عليه في نفسه؛ فحينئذ يسمّى عبارة، وإن لم يطابقه كان لفظا، لا عبارة؛ لأنّه ما عَبَرَ به عن محلّه[1] إلى محلّ السامع. وسواء نسب ذلك الكلام إلى مَن نسب، وإنما قصدنا بهذه الإشارة التنبيه على عِظم رتبة الخيال، وأنّه الحاكم المطلق في المعلومات.

غير أنّ التعبير عن غير الرؤيا رُباعيّ (عبَّر)، والتعبير عن الرؤيا ثلاثيّ (عبر)؛ أي في الرؤيا[2]، وهما من طريق المعنى على السَّواء. وعين الفعل في الماضي في تعبير الرؤيا مفتوح (عبَر)، وفي المستقبل مضموم ومخفّف (يعبُر). وهو في غير الرؤيا مضاعف في الماضي والمستقبل، مفتوح العين في الماضي (عبَّر)، وتكسر في مستقبله (يعبِّر). وإنما كان التضعيف في غير الرؤيا للقوّة في العبارة؛ لأنّها أضعف في الخيال من الرؤيا. فإنّ المعبِّر[3]، في غير الرؤيا، يعبِّر عن أمر متخيّل في نفسه؛ استحضره ابتداء، وجعله كأنّه يراه حِسًّا؛ فضعف عمّن يعبّر عن الخيال من غير حِسٍّ ولا استحضار. كصاحب الرؤيا؛ فإنّ الخيال هنالك أظهر له ما فيه من غير استحضار من الرائي، والمتيقّظ ليس كذلك؛ فهو ضعيف التخيّل بسبب حجاب الحسّ. فاحتاج إلى القوّة، فضعف التعبير عنه. فقيل: عبَّر فلان عن كذا وكذا، بكذا وكذا؛ بتشديد عين الفعل.

ألا ترى قولهم في عبور الوادي، يقولون[4]: عَبرت النهر أعبُره[5]، من غير تضعيف؛ لأنّ النهر هنا غير مستحضَر، بل هو حاضر في الحسّ، كما كان ذلك حاضرا في الخيال من غير استحضار. فاستعان بالتضعيف لما في الاستحضار من المشقّة، والاستعانة تؤذن بالتضعيف أبدا حيث ظهرتْ؛ لأنّه لا يطلب العون إلّا مَن ليس في قوّته مقاومة ذلك الأمر الذي يطلب العون عليه. فكلّ ما لا يمكن الاستقلال به، فإنّ العامل له لا بدّ أن يطلب العون والمعينَ على ذلك، فافهم. فإنّه، من هنا، تعرف رتبة ما لا يمكن وجوده للموجد له، إلّا بمساعدة أمر آخر ما هو عين الموجد. فذلك الأمر الآخر مُعِينٌ له على إظهار ذلك الأمر. وهنا يظهر معنى قوله:

[1] ص ١٤٥
[2] أشار في الهامش بقلم آخر أن موقع "أي في الرؤيا" يكون قبل لفظ: "ثلاثي"
[3] ق: "العابر" وعليها إشارة شطب، وفي الهامش بقلم الأصل: "المعبر"
[4] هناك إشارة شطب عليها
[5] ص ١٤٥ب

﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾[1]. إذا أراد الحقُّ إيصالَه إلى أذن السامع بالأصوات والحروف، أو الإيماء والإشارة؛ فلا بدّ من الواسطة؛ إذ يستحيل عليه -تعالى- قيام الحوادث به، فافهم. ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾[2].

وفي هذا المنزل من العلوم عِلْمُ ما يفتقر إليه ولا يتّصل به؟

وفيه عِلْمُ بيان الجمع أنّه عين الفرق.

وفيه[3] عِلْمُ الفرق بين علم الخبر وعِلْمِ النظر العقليّ، وعِلْمِ النظر الكشفيّ، وهو الذي يحصل بإدراك الحواسّ.

وفيه عِلْمُ تنبيه الغافل بماذا ينبّه؟ ومراتب التنبيه.

وفيه عِلْمُ شرف العلم على شرف الرؤية. فقد يرى الشخص شيئًا؛ ولا يدري ما هو، فيقصّه على غيره؛ فيُعلمه ذلك الغير ما هو، وإن لم يَرَه. فالعلم أتمّ من الرؤية؛ لأنّ الرؤية طريقٌ من طرق العلم، يَتوصّل، بالسلوك فيه، مَن هو عليه إلى أمر خاصّ.

وفيه عِلْمُ ظهور الباطل في صورة الحقّ، وهما على النقيض، ومن المحال أن يظهر أمرٌ في صورة أمر آخر من غير مناسب؛ فهو مثله في النِّسبة، لا مثله في العين. وهذا هو في صناعة النحو "فعل المقاربة" يقولون في ذلك: كاد النعام يطير، وكاد العروس يكون أميرا. والحقّ -تعالى- يُظهِر في عين الرائي السرابَ ماء؛ وليس بماء، وهو عنده، إذا جاء إليه الظمآن. وكذلك المعطش إلى العلم بالله يأخذ في النظر في العلم به، فيقيّده تقييدَ تنزيه أو تشبيه. فإذا كشف الغطاء، وهو حال وصول الظمآن إلى السراب، ﴿لَمْ يَجِدْهُ﴾ كما قيّده فأنكره، ﴿وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ﴾ غير[4] مقيّد بذلك التقييد الخاص، بل له الإطلاق في التقييد ﴿فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾[5] أي تقديره. فكأنّه أراد صاحب هذه الحال أن يخرج الحقّ من التقييد، فقال له الحقّ بقوله ﴿فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾: "لا يحصل لك في هذا المشهد إلّا العلم بي أنّي مطلَق في التقييد؛ فأنا عينُ كلّ تقييد؛

١ [التوبة : ٦]
٢ [النحل : ٩]
٣ ص ١٤٦
٤ ص ١٤٦ب
٥ [النور : ٣٩]

لأنّي أنا العالَم كلّه؛ مشهود ومعلوم". وهذا هو الكيد الإلهيّ من قوله: ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾[1] ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾[2].

وفيه عِلْمُ ما هو مربوط بأجل؛ لا يظهر حتى يبلغ الكتاب فيه أجلَه.

وفيه عِلْمُ قيمة المِثل.

وفيه عِلْمُ تنزيه الأنبياء مما ينسب إليهم المفسّرون من الطامّات مما لم يجيء في كتاب الله، وهم يزعمون أنّهم قد فسّروا كلام الله فيما أخبر به عنهم. نسأل الله العصمة في القول والعمل، فلقد جاءوا في ذلك بأكبر الكبائر؛ كمسألة إبراهيم الخليل عليه السلام وما نسبوا إليه من الشكّ. وما نظروا في قول رسول الله ﷺ: «نحن أَوْلَى بالشكّ من إبراهيم» فإنّ إبراهيم عليه السلام ما شكّ في إحياء الموتى، ولكن لمّا علم أنّ لإحياء الموتى وجوها متعدّدة مختلفة؛ لم يدرِ بأيّ وجهٍ منها يكون يحيي اللهُ به الموتى، وهو مجبول على طلب العلم. فعيَّن الله له وجها من[3] تلك الوجوه حتى سكن إليه قلبه؛ فعلم كيف يحيي الله الموتى. وكذلك قصّة يوسف، ولوط، وموسى، وداود، ومحمد -عليهم السلام الإلهيّ-. وكذلك ما نسبوه في قصّة سليمان إلى الملَكَيْن، وكلّ ذلك نقلٌ عن اليهود، واستحلّوا عرض الأنبياء، والملائكة، بما ذكرته اليهود الذين جرّحهم الله، وملؤوا كتبهم في تفسير القرآن العزيز بذلك، وما في ذلك نصٌّ في كتاب ولا سنّة. فالله يعصمنا وإيّاكم من غلطات الأفكار والأقوال والأفعال، آمين بعزّته وقوّته.

وفيه عِلْمُ من قام الدليل على عصمته فله أن يثني على نفسه بما أعلمه الله أنّه عليه من الصفات المحمودة، فإنّها من أعظم النِّعم الإلهيّة على عبده، والله يقول: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[4].

وفيه عِلْمُ التسليم والاعتصام.

وفيه عِلْمُ رتبة الخيال، وأنّه حقٌّ ما فيه شيء من الباطل، إلّا أنّ المعبِّر عنه يصيب ويخطئ

١ [الطارق : ١٦]
٢ [آل عمران : ٥٤]
٣ ص ١٤٧
٤ [الضحى : ١١]

بحسب ما يراه في نزوله بالمواطن؛ فإنّ المصيب مَن لم يتعدّ بالحقائق مراتبها.

وفيه عِلْمُ الأسماء، وما عُبِد منها؟ وما لم يُعبَد؟

وفيه[1] عِلْمُ معرفة منازل الموجودات.

وفيه عِلْمُ الستر والتجلّي.

وفيه عِلْمُ المفاضلة في العلم.

وفيه عِلْمُ الشكر والشاكر.

وفيه عِلْمُ الآيات المعتادة وغير المعتادة.

وفيه عِلْمُ التبرّي والتنزيه، وما هو تنزيه في حقّ الله ﷻ هو تبرّي في حقّ المخلوق، لا تنزيه؟

وفيه عِلْمُ تقاسيم أهل الله وطبقاتهم. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[2].

انتهى السفر السادس والعشرون من الفتوح المكي، بانتهاء الباب الثاني والسبعين وثلاثمائة.

يتلوه السفر السابع والعشرون، وأوّله الباب الثالث والسبعون وثلاثمائة في معرفة منزل ثلاثة أسرار ظهرتْ في الماءِ الحكمي المفصل مركّبة على العالَم بالعناية وبقاء العالم أبد الآبدين، وإن انتقلتْ صورته، وهو من الحضرة المحمديّة.

مَقاماتٌ تَنُصّ عَلَى انِّساقِ ... لأزواحٍ مُنبّأةٍ كِـرامِ[3]

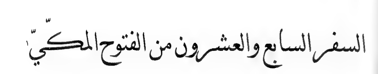
---

١ ص ١٤٧ب

٢ [الأحزاب : ٤]

٣ كتب في الهامش بقلم الشيخ صدر الدين القونوي: "عورضت هذه المجلدة بالنسخة الأولَى، وتمّ ذلك في ثاني عشر شهر صفر سنة أربعين وستمائة، بحلب حماها الله تعالى. كتبه محمد بن إسحق خادم الشيخ المنشئ لهذا الكتاب، رضي الله عنه وأرضاه.." ثم ختم الأوقاف الإسلامية برقم ١٧٦٦

المحتويات



[1] العنوان ص ١ب، ويليه بقلم صدر الدين القونوي: "إنشاء مولانا الشيخ الإمام العالم العارف المحقق الفرد الأكمل، شيخ الإسلام والمسلمين محيي الملة والدين أبو عبد الله محمد بن علي بن العربي الطائي الحاتمي ﷺ". يليه بخط الشيخ الأكبر: "رواية مالك هذه المجلدة محمد بن إسحق القونوي عنه". وعلى يسار هذه العبارة: "قوبل به" ثم: "وقف هذا الكتاب مع ما قبله وبعده إلى آخره تماما كملا صاحبه المذكور اسمه أعلى هذا المكتوب بخط المؤلف رضي الله عنهما في المكان والشرط المذكورين في أوائله وأواخره تقبل الله منه" وهناك ختم الأوقاف الإسلامية برقم ١٧٥٩، وطابع دمغة يحمل ذات الرقم ١٧٥٩. وفي الصفحة السابقة وهي الصفحة الداخلية للغلاف طابع دمغة برقم ١٨٧١، وإشارة إلى عدد صفحات السفر: ٢٨٨ صحيفة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الستون وثلاثمائة في معرفة
منزل ثلاثة أسرار لحرف الهاء
المكي المعطي بركته على العالم
بالعناية وبقاء العالم أبد الآبدين
وإن انتقلت صورته وسوى الحضرة الجمعية

مقامات تنص على ابتلاء لأرواح منبأة كرا م
أتوه بها ولا درب يليق لأن النور في عين الظلا م
فلولا ظلمة ما كان نور فعين النقص يظهر بالتما م
إذا علم الإضافة من يراها تقيد بالقعود وبالقيا م
يرى أن الوجود له انتهاء وأن البدء يظهر بالختا م
فما لسر بدء وانقضاء وجود لا يزال مع الدوا م

اعلم أيدك الله

أن العالم كله كتاب مسطور في رق منشور وهو الوجود
معلوم مبسوط غير مطوي ليعلم بمسكه أنه مخلوق
للرحمة وبظهوره ليعقل ويعلم ما فيه وما يدل عليه

الصفحة الثانية من مخطوط قونية

الصفحة الأخيرة من مخطوط قونية

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

الباب الثالث والسبعون وثلاثمائة

في معرفة منزل ثلاثة أسرار ظهرت في الماء الحكمي المفصّل مركّبة على العالَم بالعناية وبقاء العالم أبد الآبدين وإن انتقلت صورته -وهو من الحضرة المحمديّة

مقاماتٌ تَنُصّ عَلَى التَّساقِ	لأَزواحِ مُنَبَّــأةٍ كِــرامِ
أَفُوهُ بِها وَلا يَدْرِي جَلِيسِي	لأَنَّ النُّورَ فِي عَيْنِ الظَّلامِ
فَلَوْلا ظُلْمَـةٌ مـا كانَ نُـورٌ	فَعَيْنُ النَّقْصِ يَظْهَرُ بِالتَّمامِ
إذا عَلِمَ الإِضافَةَ مَنْ يَرَاها	تَقَيَّـدَ بِالقُعُـودِ وبِالقِيـامِ
يَـرَى أَنَّ الوُجُودَ لَهُ انْتِهـاءٌ	وأَنَّ البَـدْءَ يَظْهَرُ بِالخِتامِ
فَحَـالٌ بَـيْنَ بَـدْءٍ وانْقِضـاءٍ	وُجُودٌ لا يَـزَالُ مَـعَ الدَّوَامِ

اعلم -أيّدك الله- أنّ العالم كلّه "كِتابٌ مَسْطُورٌ"[2] في ﴿رَقٍّ مَنْشُورٍ﴾[3] وهو الوجود. فهو ظاهر مبسوط غير مطويّ؛ لِيُعْلَم ببسطه أنّه مخلوق للرحمة، وبظهوره ليُعقل ويُعلم ما فيه وما يدلّ عليه. وجعله[4] كتابا؛ لِضمّ حروفه بعضها إلى بعض؛ وهو ترتيب العالَم على الوجوه التي ذكرناها، وضَمُّ معانيه إلى حروفه مأخوذٌ من كتيبة الجَيْش. وإنّما قلنا في بسطه: إنّه للرحمة؛ لأنّه منها نزل، كما قال تعالى: ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ. كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[5]، وقال -تعالى- في ذلك: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[6] فأحكام الآيات فيه وتفصيلها، لا يعرفه إلّا مَن آتاه الله الحكمة وفصل الخطاب.

---

١ البسملة ص ٢
٢ من الآية الكريمة: ﴿وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ﴾ [الطور : ٢]
٣ [الطور : ٣]
٤ ص ٢ب
٥ [فصلت : ٢، ٣]
٦ [هود : ١]

وصورة الحكمة التي أعطاها الحكيم الخبير أَهْلَ[1] العناية (هي) عِلْمُ مراتب الأمور، وما تستحقّه الموجودات والمعلومات من الحقّ الذي هو لها، وهو إعطاء كلّ شيء خلقَه إعطاءً إلهيّا، ليعطي كلّ خَلْقٍ حَقَّه إعطاءً كونيًا[2] بما آتانا الله. فنعلم "بالقوّة" ما يستحقّه كلّ موجود في الحدود، ونُفَصّله بعد ذلك آياتٍ "بالفِعل" لمن يعقِل، كما أعطانيه الخبيرُ الحكيمُ. فننزل الأمورَ منازلها، ونعطيها حقّها، ولا نتعدّى بها مرتبتها. فتفصيلُ الآيات والدلالات من المفصِّل (هي) إذا جعلها في أماكنها بهذا الشرط -لأنّه ما كُلُّ مفصِّل حكيما[3]- دليلٌ على أنّه قد أوتي الحكمة، وعلمِ إحكام الآيات. وَرَحْمَتُهُ؛ بالآيات والموجوداتِ -التي هي الكتابُ الإلهيُّ، وليس[4] إلّا العالَم- دليلٌ على علمه بمن أنزله، وليس إلّا الرحمن الرحيم. وخاتمة الأمر ليست سِوَى عين سوابقها، وسوابقها الرحمن الرحيم.

فمن هنا تعلم مراتب العالَم، ومآلَهُ أنّه إلى الرحمة المطلَقة، وإن تعب في الطريق وأدركه العناء والمشقّةُ. فمن الناس من ينال الرحمة والراحة بنفس ما يدخل المنزل الذي وصل إليه؛ وهم أهل الجنّة. ومنهم من يبقى معه تعبُ الطريق، ومشقّتُه، ونَصَبُهُ، بحسب مزاجه، وربما مرض واعتلّ زمانا، ثمّ استبلّ[5] من دائه واستراح؛ وهم أهل النار الذين هم أهلها، ما هم الذين خرجوا منها إلى الجنّة؛ فمسّتهم النار بقدر خطاياهم، مع كونهم أماتهم الله فيها إماتةً؛ فإنّ أولئك ليست النار منزلا لهم؛ يعمرونه ويقيمون فيه مع أهليهم، وإنما النار لهؤلاء منهلٌ من المناهل التي ينزلها المسافر في طريقه، حتى يصل إلى منزله الذي فيه أهله. فهذا معنى الحكمة والتفصيل.

فإنّ الأمور، أعني الممكنات، متميّزة في ذاتها، في حال عدمها، ويعلمها الله -سبحانه- على ما هي عليه في نفسها، ويراها ويأمرها بالتكوين؛ وهو الوجود؛ فتتكوّن عن أمره. فما عند الله إجمال، كما أنّه ليس في أعيان الممكنات إجمال. بل الأمر كلّه، في نفسه وفي علم الله، مفصَّلٌ؛

---

١ ق: "الأهل" وكتب مقابلها في الهامش بقلم الأصل: "أهل"
٢ ق: "كونا"
٣ ف، س، هـ: حكيم
٤ ص ٣
٥ استبلّ: صحّ

وإنما[1] وقع الإجمال، عندنا وفي حقّنا، وفينا ظهر. فمن كشفَ التفصيل في عين الإجمال علما أو عينًا أو حقًّا؛ فذلك الذي أعطاه الله ﴿الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾[2] وليس إلّا الرسل، والورثة خاصّة. وأمّا الحكماء، أعني الفلاسفة، فإنّ الحكمة عندهم عارية؛ فإنّهم لا يعلمون التفصيل في الإجمال.

وصورة ذلك -كما يراه صاحب هذا المقام، الذي أعطاه الله الحكمة التي عنده، عناية إلهيّة، وهي عند الحقّ- تعيين الأرواح الجزئيّة، المنفوخة -في الأجسام المسوّاة، المعدَّلة من الطبيعة العنصريّة- من الروح الكلّ المضاف إليه. ولذلك ذكر أنّه خلقها قبل الأجسام، أي قدَّرها وعيّنها لكلّ جسم وصورة روحها المدبّر لها الموجود "بالقوّة" في هذا الروح الكلّ المضاف إليه. فيظهر ذلك في التفصيل "بالفعل" عند النفخ؛ وذلك هو النفَس الرحماني كصاحب الكشف.

فيرى في المداد الذي في الدواة، جميع ما فيه من الحروف والكلمات، وما يتضمّنه من صور ما يصوّرها الكاتب أو الرسّام -وكلّ ذلك كتاب- فيقول: "في هذا المداد من الصور كذا وكذا صورة" فإذا جاء الكاتب والرسّام، أو الرسّام دون الكاتب، أو الكاتب دون[3] الرسّام، بحسب ما يذكره صاحب الكشف. فيكتب، بذلك المداد، ويرسم جميع ما ذكره هذا المكاشف، بحيث لا يزيد على ذلك ولا ينقص، ولا يدرك ذلك هذا المسمّى في عرف العقلاء حكيما. فهذا حظُّ أهل الكشف. فهم الذين أعطاهم الله ﴿الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾.

وقد أمرنا رسول الله ﷺ أن نعطيَ كلَّ ذي حقّ حقّه. ولا نفعل ذلك حتى نَعلم ما يستحقّه كلّ ذي حقّ من الحقّ؛ وليس إلّا بتبيين الحقّ لنا ذلك. ولذلك أضافه إليه تعالى فقال: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ﴾[4] ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[5] فما يعلمها إلّا من أُوتيها. فهي هبة من الله -تعالى- كما وهبنا وجود أعياننا ولم نكن شيئا وجوديّا. فالعالِم الإلهيّ هو الذي كان اللهُ -

---

١ ص ٣ب
٢ [ص: ٢٠]
٣ ص ٤
٤ [ص: ٢٠]
٥ [البقرة: ٢٦٩]

سبحانه- معلّمه بالإلهام، والإلقاء، وبإنزال الروح الأمين على قلبه.

وهذا الكتاب (هو) من ذلك النمط عندنا. فوالله؛ ما كتبت منه حرفا إلّا عن إملاء[1] إلهيّ، وإلقاء ربّانيّ، أو نفث روحانيّ في رُوع كِيانيّ. هذا جملة الأمر، مع كوننا لسنا برسل مشرّعين، ولا أنبياء مكلّفين -بكسر اللام، اسم فاعل- فإنّ رسالة التشريع ونبوّة التكليف قد انقطعت عند رسول الله محمد ﷺ فلا رسول بعده ﷺ ولا نبيّ يشرّع ولا[2] يكلّف، وإنما هو علم وحكمة وفَهمٌ عن الله فيما شرّعه على ألسنة رسله وأنبيائه -عليهم سلام الله- وما خطّه وكتبه في لوح الوجود من حروف العالَم وكلمات الحقّ؛ فالتنزيل[3] لا ينتهي؛ بل هو دائم دنيا وآخرة.

اللهُ أَنْشأَ مِنْ طَيٍّ وَخَوْلانِ ... جِسْمِي فَعَدَّلَنِي خَلْقًا وَسَوَّانِي

وأَنْشأَ الحَقُّ لِي رُوحًا مُطَهَّرَةً ... فَلَيْسَ بُنْيانُ غَيْرِي مِثْلَ بُنْيانِي

إِنِّي لأَعْرِفُ رُوحًا كانَ يَنْزِلُ بِي ... مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ بِفُرْقانِ[4]

وَما أَنا مُدَّعٍ فِي ذَاكَ مِنْ نَبَأٍ ... مِنَ الإِلَهِ وَلَكِنْ جُودُ إِحْسانِ

إِنّ النُّبُوَّةَ بَيْتٌ بَيْنَنا غَلِقٌ ... وَبَيْنَهُ مُوثَقٌ بِقُفْلِ إِيمَانِ

وإنما قلنا ذلك لئلّا يتوهّم متوهّم أنّي وأمثالي أدّعي نبوّة؛ لا والله؛ ما بقي إلّا ميراث وسلوك على مدرجة محمد رسول الله ﷺ[5] خاصّة. وإن كان للناس عامّةً، ولنا ولأمثالنا خاصّةً من النبوّة (هو) ما أبقى الله علينا منها مثل المبشّرات ومكارم الأخلاق، ومثل حفظ القرآن إذا استظهره الإنسان؛ فإنّ هذا وأمثاله (هو) من أجزاء النبوّة الموروثة. ولذلك كان أوّل إنسان أنشأه الله، وهو آدم، نبيّا؛ فمن مشى على مدرجته بعد ذلك؛ فهو وارث، لا بدّ من ذلك بهذه النشأة الترابيّة. وأمّا في المقام؛ فآدم ومَن دونه إنما هو وارث محمد ﷺ لأنّه كان نبيّا، وآدم بين الماء والطين لم يكن بعدُ موجودا. فالنبوّة لمحمد ﷺ ولا آدم، والصورة الآدميّة الطبيعيّة الإنسانيّة

---

١ رسمها في ق: إملى

٢ ص ٤ب

٣ رسمها في ق يقرب من: "فالتبديل" وما أثبتناه فمن هـ، س

٤ بعد هذا البيت كتب الشيخ تعليقه الذي أوردناه بعد النص وهو: نريد قوله تعالى: "إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا" [الأنفال : ٢٩]

٥ ص ٥

لآدم ولا صورة لمحمد ﷺ، وعلى آدم، وعلى جميع النبيّين-.

فآدم أبو الأجسام الإنسانيّة، ومحمد ﷺ أبو الورثة من آدم إلى خاتم الأمر من الورثة. فكلُّ شرع ظهر وكلُّ علم؛ إنما هو ميراث محمّديّ في كلّ زمان ورسول ونبيّ؛ من آدم إلى يوم القيامة. ولهذا أوتي (ص) جوامع الكلم، ومنها علّم الله آدم الأسماء كلّها. فظهر حكم الكلّ في الصورة الآدميّة والصورة المحمّديّة. فهي في آدم أسماء، وفي محمد ﷺ كَلِمٌ[1]. وكلمات الله -سبحانه-[2] لا تنفد، وموجوداته من حيث جوهرها لا تنعدم. وإن ذهبتْ صورها، وتبدّلتْ أحكامها؛ فالعين لا تذهب ولا تتبدّل؛ بل وقع التبديل في العالَم لِمَا هو الحقّ عليه من التحوّل في الصور. فلو لم يظهر التبدّل في العالَم؛ لم يكمل العالَم. فلم تبق حقيقة إلهيّة إلّا وللعالَم استنادٌ إليها.

على أنّ تحقيق الأمر عند أهل الكشف (هو) أنّ عين تبدّل العالم هو عين التحوّل الإلهيّ في الصور. فعين كونه فيما شاء تجلّى عينُ كونه في ﴿مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾[3]؛ فـ﴿مَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾[4]. فتلك، على الحقيقة، مشيئةُ الله لا مشيئتك، وأنت تشاء بها. فالحياة (هي) لعين الجوهر، والموت (هو) لتبدُّل الصور، كلّ ذلك ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ بالتكليف ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[5]. وإنما يبلوكم لتصحّ نِسبة الاسم "الخبير" فهو علم عن خبرة بعلم ولا خبرة؛ لإقامة حجّة على مَن خلق فيه النزاع والإنكار. وهذا كلّه من تفصيل الآيات في الخطاب وفي الأعيان؛ فهو ﴿الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾[6] وهو ﴿الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾[7].

فلو كشف لكلّ أحد ما كشفه لبعض العالَم؛ لم يكن غفورا، ولا كان فضل لأحد على أحد؛ إذ لا فضل إلّا بمزيد العلم، كان بما كان. فالعالَم كلّه فاضلٌ مفضول. فاشترك أعلى العلماء مع أنزلهم في علم الصنعة. فالعالَم صنعة الله، والعلم بصنعة الحياكة علم الحائك، وهو صنعة. وذلك في

---

١ ص ٥ب

٢ ق: - سبحانه

٣ [الإنفطار : ٨]

٤ [الإنسان : ٣٠]

٥ [الملك : ٢]

٦ [الأنعام : ١٨]

٧ [الملك : ٢]

العموم أنزل العلوم. وفي الخصوص عِلمُ الصنعة[1] أرفعُ العلوم؛ لأنّه بالصنعة ظهر[2] الحقّ في الوجود؛ فهي أعظم دليل، وأوضح سبيل وأقوم قيل.

ومن هنا ظهر خواصّ الله الأكابر، في الحكم، بصورة العامّة؛ فَجُهِلت مرتبتهم؛ فلا يعرفهم سِوَاهُم، وما لهم مِيزةٌ في العالم. بخلاف أصحاب الأحوال؛ فإنّهم متميّزون في العموم، يشارُ إليهم بالأصابع لِما ظهر عليهم، بالحال، من خرق العوائد. وأهلُ الله أنِفوا من ذلك؛ لاشتراك غير الجنس معهم في ذلك.

فأهل الله معلومون بالمقام، مجهولون بالشهود لا يُعرَفون. كما أنّ الله الذين هؤلاء أهله معلومٌ بالفطرة عند كلّ أحد، مجهولٌ عنده بالفعل والشهود. فلو تجلّى له ما عرفه؛ بل لم يزل متجلّيا على الدوام، لكنّه غير معلوم إلّا عند أهله وخاصّته؛ وهم أهل القرآن، أهل الذِّكْر؛ الذين أمرنا الله أن نسألهم؛ لأنّهم ما يخبِرون إلّا عنه. قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[3] لأنّ أهل الذِّكْر هم جلساء الحقّ. فما يُخبِر الذاكر -الذي يَشهد الله فيه أنّه ذاكر له- إلّا عن جليسه؛ فيخبِر بالأمر على ما هو عليه؛ وذلك هو العلم؛ فإنّه ﴿عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾[4] وهو ظهوره بصورته. أي الذي أتى به من العلم عن الله، فهو صفته التي بها تحلّى هذا الشخص الذاكر. فعلى قدر ذِكْره يكون الحقّ دائم الجلوس معه.

ولذلك قالت[5] عائشة -رضي الله عنها- في رسول الله ﷺ إنّه «كان يذكر الله على كلّ أحيانه» فأثبتتْ له المجالسة مع الله -تعالى- على الدوام. فإمّا علِمتْ بذلك كشفا، وإمّا أخبرها بذلك رسولُ الله ﷺ وكان ذلك في جلوسه معه، أنّه يقُصّ عليه من أنباء الرسل ما يثبّت به فؤاده لِمَا يرى من منازعة أمّته إيّاه فيما جاء به عن الله. ولو لم تكن معه بهذه المثابة وأمثالها، لم يكن بينه وبين غيره من البشر فُرقان؛ فإنّه -تعالى- معهم حيثما كانوا وأينما كانوا.

---

[1] "فالعالم صنعة الله.. الصنعة" ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب: "صح أصل"

[2] ص ٦

[3] [النحل : ٤٣]

[4] [هود : ١٧]

[5] ص ٦ب

فلا بدّ أن يكون مع الذاكرين له بمعيّة اختصاص، وما ثَمّ إلّا مزيد علم، به يظهر الفضل. فكلّ ذاكر لا يزيد علما في ذِكْرِه بمذكوره فليس بذاكر، وإن ذكر بلسانه؛ لأنّ الذاكر هو الذي يعمّه الذِّكْر كلُّه؛ فذلك هو جليس الحقّ؛ فلا بدّ من حصول الفائدة. لأنّ العالِم الكريم الذي لا يُتصوّر فيه بخل، لا بدّ أن يهبَ جليسَه أمرا لم يكن عنده؛ إذ ليس هنالك بخلٌ ينافي الجود. فلم يَبْقَ إلّا المحلّ القابل، ولا يجالس إلّا ذو محلٍّ قابل؛ فذلك هو جليس الحقّ. والعالَم جليسهم الحقُّ من حيث لا يشعرون، وغاية العامّة -إذا كانت مؤمنة- أن تعلم أنّ الله معها. والفائدة إنّما هي في أن تكون أنت مع الله، لا في أنّه معك؛ فكذلك هو الأمر في[1] نفسه. فمن كان مع الحقّ فلا بدّ أن يشهد الحقّ، ومَن شَهِده فليس إلّا وجود العلم عنده؛ فهذه هي المِنح الإلهيّة.

فالعِلْمُ أَشْرَفُ ما يُؤْتِيهِ مِنْ مِنَحٍ	والكَشْفُ أَعْظَمُ مِنْهاجٍ وَأَوْضَحُهُ
فإنْ سألْتَ إلَهَ الحَقِّ[2] في طَلَبٍ	فَسَلْهُ كَشْفًا فإنَّ اللهَ يَمْنَحُهُ
وأَدْمِنِ القَرْعَ إنَّ البابَ أَطْبَقَهُ	دَعْوَى الكِيانِ، وَجُودُ اللهِ يَفْتَحُهُ

فكلّ عِلم لا يكون حصوله عن كشف، بعد فتح الباب، يعطيه الجود الإلهيّ ويبديه ويوضّحه؛ فهو شعور، لا علم؛ لأنّه حصل من خلف الباب، والباب مغلَق. وليس الباب سِوَاكَ. فأنت تحكم بمعناك ومغناك، وذلك هو غلقُ الباب. فإنّك تشعر أنّ خلف هذا الجسم والصورة الظاهرة معنى آخر لا تعلمه، وإن شعرتَ به. فالصورةُ الظاهرة: المصراعُ الواحدُ، والنفسُ: المصراعُ الآخرُ.

فإذا فتحت الباب؛ تميّز المصراع من المصراع، وبَدا لك ما وراء الباب؛ فذلك هو العِلم؛ فما رأيته إلّا بالتفصيل؛ لأنّك فصلت ما بين المصراعين حتى تميّزا[3]. هذا فيك. فإن كان الباب عبارة عن حقّ وخلق؛ وهو أنت وربّك؛ فالتبس عليك الأمر؛ فلم تميّز عينَك مِن ربّك. ولا تميّزه ما لم يفتح الباب. فعين الفتح تعطيك المعرفة بالباب والفرق بين المصراعين؛ فتعلم ذاتَك وتعلم ربَّك؛ وهو قوله ﷺ: «مَن عَرَف نفسَه عَرَف ربَّه» فالشعور مع غلق الباب، والعلم مع فتح الباب.

---

[1] ص ٧

[2] كتب مقابلها في الهامش بقلم آخر: "الخلق" وحرف ظ

[3] ص ٧ب

فإذا رأيت العالِم متّهما لما يزعم أنّه به عالِم؛ فليس بعالِم؛ وذلك هو الشعور. وإن ارتفعت التُّهمة فيها علِم؛ فذلك هو العلم؛ ويعلم أنّه قد فتح الباب له، وأنّ الجود قد أبرز له ما وراء الباب. وكثير من الناس مَن يتخيّل أنّ الشعورَ علمٌ، وليس كذلك. وإنما حظّ الشعور من العلم أن تعلم أنّ خلف الباب أمرا مّا على الجملة لا يُعلم ما هو. ولذلك قال -تعالى-: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾ لقولهم: "هو شاعر" ثمّ قال: ﴿وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ﴾ يعني هذا الذي بعثناه به ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ أي أخذه عن مجالسةٍ من الحقّ ﴿وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾[1] أي ظاهر مفصّل في عين الجمع، ما أخذه عن شعور. فإنّه كلّ ما عيّنه صاحب الشعور في المشعور به؛ فإنّه حدس. ولو وافق الأمرَ ويكون علما؛ فما هو فيه على بصيرة في ذلك.

وليس ينبغي لعاقل[2] أن يدعو إلى أمر حتى يكون، من ذلك الأمر، على بصيرة. وهو أن يعلمه رؤية وكشفا، بحيث لا يشكّ فيه. وما اختصّتْ بهذا المقام رسُلُ الله؛ بل هو لهم ولأتباعهم الورثة. ولا وارث إلّا مَن كمل له الاتّباع في القول، والعمل، والحال الباطن خاصّة. فإنّ الوارث يجب عليه ستر الحال الظاهر؛ فإنّ إظهاره موقوف على الأمر الإلهيّ الواجب؛ فإنّه في الدنيا فَرْع، والأصل: البطون. ولهذا احتجب الله، في العموم في الدنيا، عن عباده، وفي الآخرة يتجلّى عامّةً لعباده.

فإذا تجلّى لمن تجلّى له على خصوص؛ كتجلّيه للجبل؛ كذلك ما ظهر من الحال على الرسل من جهة الدلالة على صدقه ليشرّع لهم. والوارث داع لما قرّره هذا الرسول، وليس بمشرِّع؛ فلا يحتاج إلى ظهور الحال، كما احتاج إليه المشرِّع.

فالوارث يحفظ بقاء الدعوة في الأمّة عليها، وما حظّه إلّا ذلك. حتى أنّ الوارث لو أتى بشرع -ولا يأتي به، ولكنْ لو فرضناه- ما قَبِلَتْهُ منه الأمّة. فلا فائدة لظهور الحال إذا لم يكن القبول كما كان للرسول، فاعلم ذلك. فما أظهر الله عليهم من الأحوال؛ فذلك إلى الله، لا عن تعمّل ولا

١ [يس: ٦٩]
٢ ص ٨

قصد من العبد؛ وهو المسمّى كرامة في الأمّة. فالذي[1] يجهد فيه وليّ الله وطالبه، إنما هو فتح ذلك الباب؛ ليكون من الله -في أحواله عند نفسه- على بصيرة، لا أنّه يظهر بذلك عند خلقه. فهو على نور من ربّه، وثابت في مقامه، لا تزلزله الأهواء.

فكرامةُ مثل هذا النوع (هي) عِلمه بالله، وما يتعلّق به من التفصيل في أسمائه الحسنى وكلماته العلى؛ فيعلم ما يلج في أرض طبيعته مِن بَذْرِ ما بَذَر الله فيها حين سَوّاها وعَدَّلها، وما يخرج منها من العبارات عمّا فيها، والأفعال العمليّة الصناعيّة على مراتبها. لأنّ الذي يخرج عن الأرض مختلف الأنواع؛ وذلك زينة الأرض. فما يخرج عن أرض طبيعة الإنسان وجسده؛ فهو زينة له: من فصاحةٍ في عبارة، وأفعال صناعيّة محكمة. كما يعلم "ما ينزل من سماء" عقله؛ بما ينظر فيه من شرعه في معرفة ربّه؛ وذلك هو التنزيل الإلهيّ على قلبه، "وما يعرج فيها" مِن كَلِمه الطيب، على براق العمل الصالح الذي يرفعه إلى الله، كما قال -تعالى-: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ وهو ما خرج من الأرض ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[2] وهو ما أخرجته الأرض أيضا.

فالذي ينزل من السماء هو الذي يلج في الأرض، والذي يخرج من الأرض -وهو ما ظهر عن الذي[3] ولج فيها- هو الذي يعرج في السماء. فعينُ النازل هو عين الوالج، وعينُ الخارج هو عين العارج. فالأمر ذكر وأنثى، ونكاح وولادة. فأعيان موجودة، وأحكام مشهودة، وآجال محدودة، وأفعال مقصودة: منها ما هي مذمومة بالعرَض، وهي بالذات محمودة.

ثمّ اعلم أنّ التفصيل لا يظهر في الوجود إلّا بالعمل. فإن فصّله العامل على تفصيله في الإجمال، إجمال الحكمة، فهو العمل الصالح. وإن فصّله على غير ذلك، بالنظر إلى تفصيل الإنسان فيه، فذلك العمل غير الصالح. وأكثر ما يكون العمل غير الصالح في الذين يفصّلون الأمور بالنظر العقليّ لا بالإعلام الإلهيّ. فما فُصّل بالإعلام الإلهيّ فهو كلّه عمل صالح، وما فُصّل بالنظر العقليّ فمنه صالح وغير صالح؛ بالنسبة إلى تفصيله لا غير. والكلّ عمل صالح

١ ص ٨ب
٢ [فاطر: ١٠]
٣ ص ٩

بالنسبة إلى الله. كما نقول: إنّ النقص في الوجود من كمال الوجود، وإن شئت قلت: من كمال العالَم. إذ لو نقص النقص من العالَم؛ لكان ناقصا، فافهم.

واعلم أنّه ما كنا نقول بالعمل غير الصالح ولا بالفساد أدبا مع العلم الإلهيّ وحقيقة. ولكن لمّا رأينا في الوضع الإلهيّ قد حذّر الله من الفساد وقال: ﴿وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ[1] اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[2] وقال: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾[3] ورأينا في العُرف -بين العقلاء، بل الناس أجمعين- ذكر الفساد؛ لذلك أقدمنا على ذِكْره. وإنّما كنّا نقول، في ذلك، بدل الفساد: إظهار صورة وإزالة أخرى، كما هو الأمر في نفسه؛ من أجل تركيب خاصّ ونظام مزاج طبيعي.

فأمّا قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ فالمراد به: تغيير الحكم الإلهيّ لا تغيير العين، ولا إبدال الصورة. وأمّا قوله: ﴿عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ﴾ فهو أمر محقّق. لأنّ العلوّ لا تقبله الأرض، ما دامت أرضا لمن هي له أرضٌ، وكلّ ما نراه عاليا شامخا فيها فهو جبل ووتد؛ ثقّلها الله به ليسكن مَيْدُها؛ فالجبال ليست أرضا. فخلق الله الأرض (مثل الكرة)[4]: أجزاء ترابيّة وحجريّة، ضمّ اللهُ بعضها إلى بعض. فلمّا خلق اللهُ السماء بَسَطَ الأرض بعد ذلك ليستقرّ عليها مَن خُلقت له مكانا؛ ولذلك مادت. ولو بقيت الكرةُ ما مادت؛ ما خلقَ الجبالَ. فخلق -سبحانه- الجبال فقال بها عليها دفعة واحدة، وأدار بالماء المحيط بها جبلا، جعله لها كالمنطقة. قيل إنّ عليه أطراف قبّة السماء.

وإنّ الزرقة التي تنسبها إلى السماء، وتصِفُها بها؛ فتلك الزرقة لها لبعدها[5] عن نظر العين، كما ترى الجبل البعيد عن نظرك أسود، فإذا جئته قد لا يكون كما أبصرته. وقد بيّنّا لك أنّ الألوان على قسمين: لون يقوم بجسم المتلوّن، ولون يحدث للبصر عند نظره إلى الجسم؛ لأمر

١ ص ٩ب
٢ [القصص : ٧٧]
٣ [القصص : ٨٣]
٤ لم ترد في ق وأثبتناها من ه، س
٥ ص ١٠

عارض يقوم بين الرائي والمرئي. مِثلُ هذا، ومِثلُ الألوان التي تحدث في المتلوّن باللون الحقيقيّ - لهيئات تطرأ؛ فيراها الناظر على غير لونها القائم بها الذي يعرفه، وذلك مثلُ الشبهات في الأدلّة- فهي ألوان لا ألوان، وحظّها من الحقائق الإلهيّة: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾[1] وأنت لا أنت، وكالعالَم كلّه؛ بالحقيقة هو خلقٌ لا خلقٌ، أو حقٌّ لا حقٌّ، وكالخيال هو حِسٌّ لا حِسٌّ، وهو[2] محسوس لا محسوس، أعني المتخيَّل.

والأرض منفعلة عن الماء المنفعل عن الهواء؛ فإنّ الهواء هو الأصل عندنا؛ ولذلك هو أقرب نسبة إلى العماء الذي هو نفَس الرحمن؛ فجمع بين الحرارة والرطوبة. فمن حرارته ظهر ركن النار، ومن رطوبته ظهر ركن الماء، ومن جمود الماء كان الأرض. فالهواء ابنٌ للنفَس وهو العماء، والنار والماء[3] ولدان للهواء، والأرضُ ولدُ الولد؛ وهو ما جمد من الماء، وما لم يجمد بقي ماءً على أصله، والأرض على ذلك الماء.

وقد رأينا في نهر الفرات إذا جمد في الكوانين ببلاد الشمال، يعود[4] أرضا تمشي- عليه القوافل، والناس، والدواب. والماء من تحت ذاك الجليد جار، وذلك الماء على الهواء، وهو الذي يمدّه برطوبته فيحفظ عليه عينه واستقراره عليه. فإنّ الهواء يُجري الماء إذا تحرّك، وإذا احتقنَ وسكنَ أسكن الماءُ عليه؛ فلا ينفذ الماء فيه. وقد رأينا ذلك في أنبوب القصب وأمثاله المنفوذ الثقب؛ إذا ملأته ماء، وسددتَ موضع الثقب الأعلى من الأنبوب؛ لا يجري من أسفل الأنبوب شيء من الماء، فإذا أزلته جرى الماء. فلم يعتمد ذلك الماء إلّا على الهواء الساكن لسكونه. وهو صورة تعمّ العالَم كلّه.

وإذا تموّج الهواء سمّي ريحا، والريح تنقل روائح ما تمرّ عليه -من طيّب وخبيث- إلى المشامّ، وكذلك تنقل برودة الأشياء وحرارتها. ولذلك توصف الريح بأنّها نمّامة، وتوصف بنقل الأخبار إلى السامعين. وحركات الأجرام تحرّك الهواء؛ فتحدث له اسم الريح، والهواء يحرّك الأجرام،

١ [الأنفال : ١٧]
٢ "حس لا حس وهو" ثابتة في الهامش، مع إشارة التصويب
٣ كانت في ق: "والأرض" وعليها إشارة مسح وصححت في الهامش بقلم الأصل
٤ ص ١٠ب

وفيه تتحرّك الأجرام.

وأمّا الخرق فما هو إلّا تفريغ أحياز عن أشياء، وإشغالها بأشياء غير تلك الأشياء؛ لأنّه ما فيما عمره العالم خلاء، وإنما هي استحالات صور. فصور تحدث لأمور، وصور تذهب لأمور، والجوهر الذي ملأ الخلاء ثابت العين؛ لا يستحيل إلى شيء، ولا يستحيل إليه شيء[1]. وليس للأسماء الإلهيّة متعلّق إلّا إحداث هذه الصور واختلافها. وأمّا ذهابها فلنفسها. وأمّا إذهابها؛ فلما تقتضيه ذات موجدها. وهو علم لطيف؛ فإنّه كلام حقّ من حقّ، لكن الأفهام تختلف فيه؛ فإنّه يقول للصور: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[2] فمعناه: إن يشأ يُشهدكم في كلّ زمانٍ فردٍ الخلق الجديد الذي أخذ الله بأبصاركم عنه. فإنّ الأمر هكذا هو في نفسه، والناس منه في لبس إلّا أهل الكشف والوجود.

فإن قلتَ: فقد قلت ببقاء عين الجوهر؟ قلنا: ليس بقاؤه لعينه، وإنما بقاؤه للصور التي[3] تحدث فيه؛ فلا يزال الافتقار منه إلى الله دائمًا. فالجوهر فقرُه إلى الله: للبقاء، والصور فقرُها إلى الله: لوجودها[4]؛ فالكلّ في عين الفقر إلى الله ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[5] بالغنى أي المثني عليه بصفة الغنى عن العالَم.

وفي هذا المنزل من العلوم:

عِلمُ إضافة الأعمال إلى الخلق، وهو مذهب بعض أهل النظر. والخلاف في ذلك قد تقدّم في هذا الكتاب، وحكاية المذاهب فيه وأقوالهم.

وفيه عِلمُ تعليم الحقّ عبادَه كيف يعاملونه بما يعاملونه به، إذ لا تخلو نفسٌ عن معاملةٍ تقوم بها.

١ ص ١١
٢ [إبراهيم : ١٩]
٣ ق: الذي
٤ مصحفة في ق، وفي س: للإيجاد
٥ [فاطر : ١٥]

وفيه[1] عِلمُ التنبيه على حقيقة الإنسان.

وفيه عِلمُ اختلاف العالَم؛ لماذا (=إلى ماذا) يرجع بالصورة وبالحكم؟

وفيه عِلمُ العناية ببعض المخلوقين، وهي العناية الخاصّة، وأمّا العناية العامّة فهي بالإيجاد له، وفقر العالم كلّه إليه -تعالى-.

وفيه عِلمُ تأثير الأعمال الخيريّة في الأعمال غير الخيريّة، وأعمال الشرّ في أعمال الخير، وأنّ القويّ من الأعمال يذهب بالأضعف، وأنّ العدم في الممكن أقوى من الوجود؛ لأنّ الممكن أقرب نِسبة إلى العدم منه إلى الوجود؛ ولذلك سبق بالترجيح على الوجود في الممكن. فالعدم حضرته لأنّه الأسبق، والوجود عارِض له. ولهذا يكون الحقُّ خلّاقا على الدوام؛ لأنّ العدم يحكم على صور الممكنات بالذهاب، والرجوع إليه رجوع ذاتيّ. فحكم العدم يتوجّه على ما وُجِد من الصور، وحكم الإيجاد من واجب الوجود يعطي الوجود دائمًا: عين صورةٍ بَعْد عين صورة؛ فالممكنات بين إعدامٍ للعدم، وبين إيجادٍ لواجب الوجود.

وأمّا تعلّق ذلك بالمشيئة الإلهيّة؛ فإنّه سِرٌّ من أسرار الله، نبّه الله عليه في قوله: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾[2] من باب الإشارة إلى غوامض الأسرار لأُولي الأفهام[3]: أنّه عينُ كلّ منعوتٍ بحكمٍ؛ من وجودٍ أو عدمٍ، ووجوبٍ وإمكانٍ ومحالٍ؛ فما ثَمّ عين توصف بحكم إلّا وهو ذلك العين. وهذه مسألة تضمّنها هذا المنزل، ولولا ذلك ما ذكرناها؛ فإنّه ما تقدّم لها ذِكر في هذا الكتاب، ولن تراها في غيره إلّا في الكتب المنزلة من عند الله؛ كالقرآن وغيره، ومنها أخذناها بما رزقنا الله من الفهم في كلامه.

وفيه عِلمُ ما تمحو عبادةُ الصلاة من الأعمال التي نهى الشرع أن يعمل بها المكلَّف.

وفيه عِلمُ تأثير المجاورة، ولذلك أوصى الله -تعالى- بالجار. وقد أجرى الله على ألسنة العامّة

١ ص ١١ب
٢ [فاطر : ١٦]
٣ ص ١٢

في أمثالهم أن يقولوا: "الرفيق قبل الطريق" وقال رسول الله ﷺ: «اللهم أنت الصاحب في السفر» فهو رفيقه «والخليفة في الأهل» فهو وكيله. ومن كمال امرأة فرعون قولها: ﴿ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾[1] فقدّمَتْهُ على البيت، وهو الذي جرى به المَثل في قولهم: "الجار قبل الدار" وقال الله في تأثير الجوار: ﴿لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا. إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ﴾[2] وقال: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾[3] ومَن جاور مواضع التهم لا يلومنّ مَن نَسبه إليها.

وفيه[4] عِلْمُ الأمر الإلهيّ إذا لم ينفذ؛ ما المانع لنفوذه؟ وما هو الأمر الإلهي؟ وهل له صنعة، أم لا؟

وفيه عِلْمُ مجازاة كلّ عامل دنيا وآخرة، جازاه بذلك مَن جازاه من حقٍّ وخلقٍ، والكلّ جزاء الله؛ فما في الكون إلّا جزاء بالخير والشرّ.

وفيه عِلْمُ الفَرق بين الفِرق، وبذلك سُمّوا فِرقا، وحُكم الله الجامع والفارق، وما يجتمع فيه العالَم وما يفترق؟

(وفيه عِلْمُ السعادة والشقاوة، وما ينقطع من ذلك وما لا ينقطع؟)[5]

وفيه عِلْمُ الدار الآخرة، ما هي؟ ولماذا اختصّت باسم الحيوان؟ والدنيا مثلها في هذه الصفة، يدلّ على ذلك: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[6].

وفيه عِلْمٌ يُعلم به أنّ الله لولا ما جعل المؤاخذة على الجرائم دلالة؛ ما أخذ الله بها أحدا من خلقه جملة.

وفيه عِلْمُ امتياز الإمام والمأموم، واختلاف مراتب الأئمّة في الإمامة، وكيف يكون السعيد إماما للأشقياء؟ وحكمه بالإمامة في الدنيا، وحكمه بذلك في الآخرة. فأمّا في الآخرة؛ فيعمّ

١ [التحريم: ١١]
٢ [الإسراء: ٧٤، ٧٥]
٣ [هود: ١١٣]
٤ ص ١٢ب
٥ لم ترد في ق، وأثبتناها من هـ، س
٦ [الإسراء: ٤٤]

الأتباع، ولكن من الأتباع هناك ما لا يزول إلى مقرّ الحسنى، ومنه ما يأتيه امتناع إمامه في الدنيا؛ فيصرف عن اتّباعه في الأخرى؛ لأنّ الإمام يسعد، وليس ذلك المتّبع المصروف من أهل السعادة[1]؛ فلا بدّ أن يحال بينه وبين إمامه.

وفيه عِلْمُ النصائح، وممن تُقبل؟ وما حظّ العقل من النصائح؟ وما حظّ الشرع منها؟

وفيه عِلْمُ عموم وُدِّ الله ومحبّته، في صنعته ومصنوعاته، ولذلك عمّهم بالرحمة والغفران لمن يعقل عن الله؛ فإنّه المؤمن؛ ومن شأن المؤمن أنّه لا تخلص له معصية أصلا لا يشوبها طاعة. كذلك الحقّ من كونه مؤمنا لا يمكن أن يخلص مع هذا الاسم شقاوة ما فيها رحمة، هذا ما لا يُتصوّر. فإنّ الرحمة بالعالَم أصلٌ ذاتيّ بالوجود، والشقاء أمرٌ عارضٌ؛ لأنّ سببه عارض، وهو مخالفة التكليف، والتكليف عارض، ولا بدّ من رفعه؛ فترتفع العوارض لِرفعه ولو بعد حين.

وفيه عِلْمُ تغيير الحكم المشروع بتغيير الأحوال في المكلَّف.

وفيه عِلْمُ الموازين المعنويّة التي توزَن بها المعاني والمحسوسات. وموازين الآخرة؛ هل هي إقامة العدل بالحكم في العالم؛ بحيث أن يعلم العالم كلّه أنّه ما طرأ عليه جَوْرٌ في الحكم عليه بما حكم الله به عليه؟ أو هل هي محسوسة كالموازين المحسوسة في الدنيا لِوزن الأشياء؟ وإذا كانت حاسّة البصر تدرك الموازين في الآخرة المحسوسة عندها؛ هل هي محسوسة كما يدركها الحِسُّ؟ أو[2] ممثَّلة كتمثُّل الأعمال؟ فإنّ الأعمال أعراض، وهي في الآخرة أشخاص فتعلم أنّها ممثّلة؛ لأنّ الحقائق لا تنقلب، وحقيقةُ مَن لا يقوم بنفسه مغايرةٌ حقيقةَ مَن يقوم بنفسه؛ فلا بدّ أن تكون ممثّلة، كما ورد في الخبر النبويّ: «إنّ الموت يؤتى به في صورة كبش أملح» ولم يقل: "يؤتى به كبشا أملح". والموت عرَض بل نِسبة؛ فلا بدّ أن تكون العبارة عنه كما وردت في الخبر النبويّ.

وفيه عِلْمُ ما هو الأوّليّة في اليوم؟ فإنّه دائرة، ولا بدّ للدائرة من ابتداء، وانتهاء إلى ذلك

١ ص ١٣
٢ ص ١٣ب

الابتداء، فإنّ اليوم دورةٌ واحدة للفلك الأطلس، وقد انفصل بالليل والنهار لطلوع الشمس وغروبها. فأوّل اليوم، الذي تعيّن بالأرض عند حركة الفلَك كان بـ"الحَمَل"، ثمّ ظهر أوّل اليوم بطلوع الشمس إلى طلوعها، ولم يكن لها وجود إلّا في برج الحمل؛ فإنّه بيتُ شرفها؛ فوُجِدت طالعة في برج الحمل؛ فظهر أوّل اليوم والصبح آخر اليوم، وما بينهما ليل ونهار، وهما معلومان بالطلوع والغروب.

ولذلك ما أخذ اللهُ مَن أخذه مِن الأمم إلّا في آخر اليوم[1]، وذلك لاستيفاء الحركة. كما يُتَرَبَّص بالعِنّين انقضاء فصول السنة، وحينئذ يُفَرَّق بينه وبين المرأة، أعني زوجته. لأنّ أسباب التأثير الإلهيّ المعتاد قد مَرَّت على العِنّين وما أثّرت فيه. فدلّ أنّ العُنّةَ فيه لا[2] تزول؛ فعدمت فائدة النكاح من لذّة وتناسل؛ ففرّق بينهما. إذ كان النكاح للالتذاذ والتناسل معا، أو في حقّ طائفة لكذا، وفي حقٍّ أخرى لكذا، وفي حقّ أخرى للمجموع. وكذلك إذا انتهت دورة اليوم؛ وقع الأخذ الإلهيّ في آخره.

وفيه عِلْمُ تجسّد الأرواح في صور الأجسام الطبيعيّة؛ هل عينُ ذلك الروح هو عينُ الصورة التي ظهر فيها؟ أو هل ذلك في عين الرائي كما ذكرناه في زرقة السماء؟ أو هل الروحُ لتلك الصورة، كالروح للجسم، أعني النفس الناطقة؟ وتلك الصورة صورة حقيقيّة لها وجود عينيّ لا في عين الناظر، كسائر الصور الحقيقيّة. وهذه مسألة أغفلها كثير من الناس، بل الناس كلّهم؛ فإنّهم قنعوا بما ظهر لهم من صور الأرواح المجسّدة. فلو تروحنوا في نفوسهم، وحكموا بالصور على أجسامهم، وتبدّلت أشكالهم وصورهم في عين مَن يراهم؛ علموا عند ذلك تجسّد الأرواح لماذا (=إلى ماذا) يرجع؟ فإنّه علم ذوقي، لا علم نظرٍ فكريّ. وقد بيّنّا أنّ كلّ صورة تحدث في العالَم؛ فلا بدّ لها من روح مدبّرة من الروح الكلّ المنفوخ منه في الصور. ومَن عَلِمَ أنّ الصورة المتجسّدة في الأرواح إذا قُتِلتْ؛ إن كانت حيوانا، أو قطعتْ؛ إن كانت نباتا، أنّها[3] تنتقل إلى

[1] هناك تعليق في الهامش من أحد المراجعين بعد انتقال الشيخ فيما يبدو، وهو: "فحينئذ يحتاج إلى الاعتذار عن قوله: فأخذتهم الصيحة مصبحين. ويمكن الاعتذار بأن الصبح برزخ بين آخر ما مضى وبين أول ما سيأتي"
[2] ص ١٤
[3] ص ١٤ب

البرزخ ولا بدّ، كما ننتقل نحن بالموت، وأنّها إن أدركتْ بعد ذلك؛ فإنما تُدرك كما يُدرك كلّ ميّت من الحيوان، إنسان وغير إنسان، فمن هنا، أيضا، إذا وقفتَ على علم هذا؛ علمتَ صور الأرواح المتجسّدة لماذا (=إلى ماذا) ترجع؟

وفيه عِلْمُ ما للضيف الوارد من الحقّ على مَن ورد عليه؟ والأنفاس واردات الحقّ على العبد، ولها حقٌّ؛ وهي راجعة إلى مَن وردتْ منه؛ فلينظر بماذا يستقبلها إذا وردتْ؟ وما يلزمه من الأدب معها في الأخذ لِمَا تَرِدُ به؟ وما يخلع عليها إذا انقلبتْ عنه راجعة إلى الحقّ؟

وفيه عِلْمُ العادات وخرقها، ودفع الشبه التي[1] يراها الطبيعيّون أنّها تفعل لذاتها، وما هي الطبيعة في الحقيقة؟ ولمن ترجع الآثار الظاهرة في الكون؟

وفيه عِلْمُ شرف الحيوان على الإنسان الحيوانيّ.

وفيه عِلْمُ الجبر في الاختيار.

وفيه عِلْمُ إدخال الحقّ نفسَه مع الأكوان في السلوك والأحوال؛ هل دخل معهم للحفظ؟ أو دخل معهم لكونه العامل لما هم فيه؟ أو دخل معهم صحبةً وعنايةً بهم؟ أو تقتضي ذاته[2] ذلك الدخول معهم؟

وفيه عِلْمُ العبيد والأُجَراء، وما الأعمال التي تطلب الأجور؟ وممن تُطلب؟ فإنّ العامل ما يعمل إلّا لنفسه؛ فبماذا يستحقّ الأجرة من غيره؟

وفيه عِلْمُ أسباب النجاة التي هي مخصوصة بالحياة.

وفيه عِلْمُ خواصّ الأسماء الإلهيّة من حيث تركيب حروف ذلك الاسم، حتى إذا ترجم بلسان آخر لم يكن له تلك الخاصّيّة. فإنّه لا فرق بين مزاج حروف الكلمة إذا تركّبتْ، ومزاج أجسام المعدن، أو النبات، أو جسم الحيوان. فإنّ جسم الحيوان، هو جسمٌ نباتيٌّ أضيف إليه

[1] ق: الذي
[2] ص ١٥

حِسٌّ؛ فقيل: حيوان.

وفيه عِلْمُ سبب إدخال الآلام واللذّات على الحيوان الطبيعيّ، وعين ما يتألّم به حيوان يلتذّ به حيوان آخر.

وفيه عِلْمُ تأثير الأضعف في الأقوى، وأصل ذلك من تأثير النِّسب في الموجودات، وهي أمور عدميّة، بل لا مؤثّر إلّا هي.

وفيه عِلْمُ مَن يعلم أنّه لا يُخْبِر إلّا عن الله، ويُؤاخَذ بما نَسب ويهلك. وآخر يخبر عن نفسه وينجو. وآخر يخبر عن الله وينجو. فالهالك مَن يخبر عن عقد، والناجي مَن يخبر عن ذوق. فأهل الأذواق (هم) أهل الله والخاصّة[1] من أوليائه.

وفيه عِلْمُ الانقياد المنجي، والانقياد المهلك.

وفيه عِلْمُ أشكال العالَم وتشكُّله.

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[2].

---

١ ص ١٥ب
٢ [الأحزاب : ٤]

الباب الرابع والسبعون وثلاثمائة
في معرفة منزل الرؤية، والرؤية وسوابق الأشياء في الحضرة الربّيّة، وأنّ للكفّار قَدَمًا كما أنّ للمؤمنين قَدَمًا، وقدوم كلّ طائفة على قَدمها، وآتِيَةٌ بإمامها عدلا وفضلا -من الحضرة المحمّديّة

مَـنْ كانَ فِي ظُلْمَـةِ الأَكْـوانِ كانَ لَهُ ... حُكْمُ العِنايَةِ دُوْنَ الخَلْقِ[1] أَجْمَعِهِ

وَنالَ كَشْفَ غِطاءِ الحِسِّ مِنْ كَثَبٍ ... وأَبْصـرَ الـكُلَّ مَفْتُـونًا بِمَوْضِـعِهِ

تَجْرِي عَلَى السُّـنَّةِ البَيْضـاءِ سِيْرَتُهُ ... يُشـاهِدُ الحَـقَّ مَرْبُوطًـا بِمَهْيَعِـهِ

اعلم[2] -أيّدك الله بالشهود، وجعلك من أهل الجمع والوجود- أنّ الله -تعالى- لمّا جعل العرش محلّ أحديّة الكلمة وهو الرحمن لا غيره، وخلق الكرسيّ؛ فانقسمت فيه الكلمة إلى أمرين؛ ليخلق من كلّ شيء زوجين؛ ليكون أحد الزوجين متّصفًا بالعلو، والآخر بالسفل. الواحد بالفعل، والآخر بالانفعال. فظهرت الشفعيّة من الكرسيّ "بالفعل" وكانت في الكلمة الواحدة "بالقوّة" لِيُعْلم أنّ الموجِد الأوّل إنّه، وإن كان واحد العين من حيث ذاته، فإنّ له حكم نِسبة إلى ما ظهر من العالَم عنه؛ فهو ذات وجوديّة، ونسبة. فهذا أصل شفعيّة العالَم.

ولا بدّ من رابطٍ معقول بين الذات والنِّسبة؛ حتى تقبل الذات هذه النِّسبة. فظهرت الفرديّة بمعقوليّة الرابط؛ فكانت الثلاثةُ أوّلَ الأفراد، ولا رابع في الأصل. فالثلاثة أوّل الأفراد في العدد إلى ما لا يتناهى. والشفعيّة، المعبّر عنها بالاثنين، أوّل الأزواج إلى ما لا يتناهى في العدد. فما مِن شفع إلّا ويوتره واحد؛ يكون بذلك فرديّة ذلك الشفع، وما مِن فرد إلّا ويشفعه واحد؛ تكون به شفعيّة ذلك الفرد. فالأمر الذي يشفع الفرد ويفرد الشفع هو الغنيّ؛ الذي له الحكم ولا يُحْكَم عليه، ولا يَفتقِر ويُفْتَقَر إليه.

---

١ ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب
٢ ص ١٦

فتدلّت إلى الكرسيّ القدمان لَمّا انقسمتْ فيه[1] الكلمة الرحمانيّة. فإنّ الكرسيَّ، نفسَه، به ظهرتْ قسمةُ الكلمة؛ لأنّه الثاني بعد العرش المحيط من صور الأجسام الظاهرة في الجوهر الأصل، وهما شكلان في الجسم الكلّ الطبيعيّ. فتدلّت إليه القدمان؛ فاستقرّت كلُّ قدم في مكانٍ ليس هو المكان الذي استقرّتْ فيه الأخرى، وهو منتهى استقرارهما. فسمّي المكان الواحد: جهنّما، والآخر: جنّة، وليس بعدهما مكان تنتقل إليه هاتان القَدمان. فهذان القدمان لا يستمدّان إلّا من الأصل الذي منه ظهرت؛ وهو الرحمن؛ فلا يعطيان إلّا الرحمة؛ فإنّ النهاية ترجع إلى الأصل بالحكم. غير أنّه بين البدء والنهاية طريق؛ مَيّز -ذلك الطريق- بين البدء والغاية، ولولا تلك الطريق ما كان بدءٌ ولا غاية؛ فكان سفرا للأمر النازل بينهنّ، والسفر مظنّة التعب والشقاء. فهذا سبب ظهور ما ظهر في العالَم: دنيا، وآخرة، وبرزخا، من الشقاء. وعند انتهاء الاستقرار؛ يُلقى عصا التّسيار، وتقع الراحة في دار القرار والبوار.

فإن قلت: فكان ينبغي عند الحلول في الدار الواحدة المسمّاة: نارا، أن توجد الراحة، وليس الأمر كذلك؟ قلنا: صدقتَ، ولكن فاتك نظر، وذلك أنّ المسافرين على نوعين: مسافر يكون سفره كإقامةٍ؛ بما هو فيه من الترفُّه -من كونه مخدوما؛ حاصلة له[2] جميع أغراضه في محفَّة، محمولٌ على أعناق الرجال، محفوظ من تغيُّر الأهواء- فهذا مَثَله في الوصول إلى المنزل، مَثَل أهل الجنّة في الجنّة. ومسافر يقطع الطريق على قدميه، قليل الزاد، ضعيف المئونة. إذا وصل إلى المنزل بقيَتْ معه بقيّةُ التعب والمشقّة زمانا حتى تذهب عنه، ثمّ يجد الراحة. فهذا مَثَل مَن يتعذّب ويشقى في النار التي هي منزله، ثُمّ تعمّه الرحمة التي وسعت كلَّ شيء.

ومسافرٌ بينهما ليست له رفاهيّةُ صاحبِ الجنّة، ولا شظف صاحب النار؛ فهو بين راحة وتعب. فهي الطائفة التي تخرج من النار؛ بشفاعة الشافعين، وبإخراج أرحم الراحمين. وهم على طبقات؛ فلذلك يكون فيهم المتقدّم والمتأخّر بقدر ما يبقى معهم من التعب؛ فيزول في النار شيئا بعد شيء؛ فإذا انتهت مدّته خرج إلى محلّ الراحة؛ وهو الجنّة؛ إمّا بشفاعة شافع، وإمّا

١ ص ١٦ب
٢ ص ١٧

بالإخراج العام؛ وهو إخراج أرحم الراحمين.

فالأنبياء والمؤمنون يشفعون في أهل الإيمان، وأهلُ الإيمان طائفتان: منهم المؤمن عن نظر، وتحصيل دليل؛ وهم الذين علموا الآيات والدلالات والمعجزات؛ وهؤلاء هم الذين يشفع فيهم النبيّون. ومنهم المؤمن تقليدا؛ بما أعطاه أبَواه إذ ربّياه، أو أهل الدار التي نشأ فيها. فهذا النوع يشفع فيهم المؤمنون، كما أنّهم أعطوهم الإيمان[1] في الدنيا بالتربية. وأمّا الملائكة فتشفع فيمن كان على مكارم الأخلاق في الدنيا، وإن لم يكن مؤمنا. وما ثَمّ شافع رابع. وبقي مَن يخرجه أرحم الراحمين؛ وهم الذين ما عملوا خيرا قطّ؛ لا من جهة الإيمان، ولا بإتيان مكارم الأخلاق؛ غير أنّ العناية سبقت لهم أن يكونوا من أهل تلك الدار (أي من أهل دار الجنة).

وبقي أهل هذه الدار الأخرى فيها؛ فغُلّقت أبواب الدار، وأُطبقت؛ ووقع اليأس من الخروج؛ فحينئذ تعمُّ الرحمةُ أهلَها؛ لأنّهم قد يَئسوا من الخروج منها؛ فإنّهم كانوا يخافون منها الخروج لَمّا رأوا إخراجَ أرحم الراحمين، وهم قد جعلهم الله على مزاج يصلح بساكن تلك الدار (أي دار جهنّم) ويتضرّر بالخروج منها كما قد بيّنّا. فلمّا يئسوا؛ فرِحوا. فنعيمهم هذا القدر؛ وهو أوّل نعيم يجدونه. وحالهم فيها كما قدّمناه بعد فراغ مدّة الشقاء؛ فيستعذبون العذاب؛ فتزول الآلام، ويبقى العذاب؛ ولهذا سُمّي: عذابا؛ لأنّ المآل إلى استعذابه لمن قام به، كما يستحلي الجرب مَن يَحُكُّهُ؛ فإذا حَكَّه من غير جرب، أو غير حاجةٍ -من يبوسة تطرأ على بعض بدنه- تألّم بالحكّ. هكذا الأمر يقتضيه حال المزاج الذي يعرض للإنسان، فافهم نعيمَ كلِّ دارٍ تسعد - إن شاء الله-.

ألا ترى إلى صِدق ما قلناه: إنّ النار لا تزال متألّمة لما فيها من النقص وعدم الامتلاء، حتى يَضَعَ الجبّارُ[2] فيها قَدَمَهُ؛ وهي إحدى تينك القدمين المذكورتين في الكرسيّ. والقدم الأخرى التي مستقرّها الجنّة، قوله (تعالى): ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾[3] فالاسم

١ ص ١٧ب
٢ ص ١٨
٣ [يونس: ٢]

"الربّ" مع هؤلاء، و"الجبّار" مع الآخرين؛ لأنّها دار جلال، وجبروت، وهيبة. والجنّةُ دارُ جمال، وأنس، وتنزّل إلهيّ لطيف. فقدم الصدق إحدى قدمي الكرسيّ.

وهما قبضتان: الواحدة للنار ولا يبالي، والأخرى للجنّة ولا يبالي؛ لأنّها في المآل إلى الرحمة؛ فلذلك لا يبالي فيهما. ولو كان الأمر كما يتوهّمه مَن لا عِلم له مِن عدم المبالاة؛ ما وقع الأخذ بالجرائم، ولا وصف اللهُ نفسَه بالغضب، ولا كان البطش الشديد. فهذا كلّه من المبالاة والتّهمّم بالمأخوذ؛ إذ لو لم يكن له قَدْرٌ؛ ما عُذِّب، ولا اسْتُعِدَّ له. وقد قيل في أهل التقوى: إنّ الجنّة ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1]. وقال في أهل الشقاء: ﴿أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[2] فلولا المبالاة؛ ما ظهر هذا الحكم. فللأمور والأحكام مَواطِن؛ إذا عرفها أهلُها لم يتعدَّ بكلّ حكم موطنه؛ وبهذا تعرف العالِم مِن غير العالِم. فالعالِم لا يزال يتأدّب مع الله، ويعامله في كلّ موطن بما يريد الحقّ أن يعامل به في ذلك الموطن. ومَن لا يعلمُ ليس كذلك.

فبالقدمين أغنى وأفقر، وبهما أمات وأحيا، وبهما أَهَّلَ وأَقْفر، وبهما ﴿خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾[3] وبهما أَذَلَّ وأَعَزَّ، وأعطى ومنع، وأضرّ ونفع. ولولاهما ما وقع شيء في العالم مما وقع، ولولاهما ما ظَهَر في[4] العالم شِرْكٌ؛ فإنّ القدمين اشتركتا في الحكم في العالَم. فلكلّ واحدة منهما دار تحكم فيها، وأَهْلٌ تحكم فيهم بما شاء الله من الحكم، وقد أومأنا إليه وإلى تفاصيله.

فإنّ الأحكام كالحدود؛ تتغيّر بتغيُّر الموجِب لها. فالمحدود في الافتراء يُحَدُّ بِحَدٍّ لا يقام فيه إذا قَتَل؛ بل يتولّاه حدٌّ آخر خلاف هذا. والمفتري هو القاتل عينُه؛ فتغيّرت الحدود عليه لتغيُّر الموجِب لها، فافهم؛ فكذلك أحوال الأحكام الإلهيّة تتغيَّر لتغيُّر المواطن. فالعناية الكبرى التي لله بالعالم (هي) كون استوائه على العرش المحيط بالعالَم باسمه الرحمن ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾[5]

---

١ [آل عمران : ١٣٣]
٢ [الإنسان : ٣١]
٣ [النجم : ٤٥]
٤ ص ١٨ب
٥ [هود : ١٢٣]

ولذلك ﴿هُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[1] لأنّ الرحماء في العالم؛ لولا رحمتُه ما كانوا رحماء؛ فرحمتُه أسبق.

ولمّا كانت القدمان عبارةً[2] عن تقابُل الأسماء الإلهيّة، مثل: الأوّل والآخِر، والظاهر والباطن، ومثل ذلك؛ ظهر عنها في العالم حكمُ ذلك في عالَم الغيب والشهادة، والجلال والجمال، والقُرْب والبُعْد، والهيبة والأنس، والجمع والفرق، والستر والتجلّي، والغَيْبة والحضور، والقبض والبسط، والدنيا والآخرة، والجنّة والنار.

كما أنّ بالواحد كان لكلّ معلوم أحديّة يمتاز بها من غيره، كما أنّ من الفرديّة -وهي الثلاثة- ظهر حكم الطرفين والواسطة، والبرزخ والشيئين[3] الذي هو بينهما؛ كالحارّ[4] والبارد والفاتر. وعن الفرديّة ظهرت الأفراد، وعن الاثنين ظهرت الأشفاع. ولا يخلو عدد أن يكون شفعا أو وترا إلى ما لا يتناهى التضعيف فيه. والواحد يضعّفه أبدا؛ فبقوّة الواحد ظهر ما ظهر من الحكم في العدد.

فالحكم ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[5] فلولا أنّه تَسمّى بالمتقابلين ما تَسمّى بالقهّار؛ لأنّه من المحال أن يقاومه مخلوق أصلا. فإذَنْ ما هو قهّار إلّا من حيث أنّه تَسمّى بالمتقابلين؛ فلا يقاومه غيره؛ فهو المعِزّ المذِلّ. فيقع بين الاسمين حكم القاهر والمقهور؛ بظهور أحد الحكمين في المحلّ. فلذلك هو الواحد، من حيث أنّه يسمّى القهّار، من حيث أنّه تسمّى بالمتقابلين. ولا بدّ من نفوذ حكم أحد الاسمين؛ فالنافِذُ الحكمِ هو القاهرُ. والقهّارُ من حيث أنّ أسماء التقابل له كثيرة، كما ذكرناها: من المحيي والمميت، والضارّ والنافع، وما أشبه ذلك.

ومن هاتين القدمين ظهر في النبوّة: المبعوثُ وغير المبعوثِ، وفي المؤمنين: المؤمنُ عن نظر وعن غير نظر. فحكمها (أي حكم هاتين القدمين) سارٍ في العالَم.

فَقَدْ بانَ لَكَ الأَمْرُ   فَلا يَنْهَتِكِ السِّتْرُ

---

١ [يوسف : ٦٤]
٢ ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٣ ص ١٩، والكلمة في ق: "والشيء" وفوقها بقلم آخر ويتفق في ذلك مع س، مع إشارة التصويب: "والشيئين"
٤ ق: الحر
٥ [غافر : ١٦]

كَمَا يَحْكُمُكَ الشَّفْعُ   كَذَا يَحْكُمُكَ الوِتْرُ

وأمّا معرفة الحجاب والرؤية، وهما من أحكام القَدَمين، وإن كان حكم الرؤية باقيا؛ إلّا أنّ متعلَّقها الحِجاب؛ فهي ترى الحجاب؛ فما زال حكمها[1]؛ فما ثَمّ قاهر لها ولا مضادّ. إلّا أنّ الرائي له غرضٌ في متعلَّق خاصّ، إذا لم تتعلّق رؤيته به؛ هناك يظهر حكم الحجاب؛ فالغرض هو المقهور، لا الرؤية.

فمن أراد أن يزول عنه حكم القهر؛ يَصحبِ الله بلا غرض ولا تشوُّف؛ بل ينظر كلَّ ما وقع في العالَم وفي نفسِه؛ يجعله كالمراد له؛ فيلتذّ به، ويتلقّاه بالقبول والبِشر والرضا. فلا يزال مَن هذه حاله مقيما في النعيم الدائم؛ لا يتّصف بالذلّة، ولا بأنّه مقهور فتدركه (=بحيث تدركه) الآلام لذلك. وعزيزٌ صاحبُ هذا المقام، وما رأيت له ذائقا؛ لأنّه يُجهل الطريق إليه؛ فإنّ الإنسان لا يخلو نَفَسا واحدا عن طلبٍ يقوم به لأمرٍ مّا. وإذا كانت حقيقة الإنسان ظهور الطلب فيه؛ فليجعل متعلَّق طلبه مجهولا غير معيَّن إلّا من جهة واحدة؛ وهو أن يكون متعلَّق طلبه ما يُحدِثه اللهُ في العالَم؛ في نفسه أو في غيره. فما وقعتْ عليه عينُه، أو تعلّق به سمعُه، أو وجده في نفسِه، أو عامَلَه به أحدٌ؛ فليكن ذلك عينُ مطلوبه المجهول، قد عيّنه له الوقوع؛ فيكون قد وفّى حقيقةَ كونِه طالبًا، وتحصل له اللذّة بكلّ واقع: منه، أو فيه، أو مِن غيره، أو في غيره. فإن اقتضى ذلك الواقع التغيُّر له؛ تغيَّرَ؛ لِطَلَبِ الحقّ منه التغيُّر، وهو طالِب الواقع، والتغيُّر هو الواقع؛ وليس بمقهور فيه؛ بل هو ملتذّ[2] في تغييره، كما هو ملتذّ في الموت للتغيُّر. وما ثَمّ طريق إلى تحصيل هذا المقام إلّا ما ذكرناه.

فلا تقل كما قال مَنْ جَهِل الأمر، فطلب المحال، فقال: "أريد أن لا أريد" وإنّما الطلب الصحيح، الذي تعطيه حقيقة الإنسان أن يقول: "أريد ما تريد". وأما طريقها، في العموم، فَسَهْلٌ على أهل الله؛ وذلك أنّ الإنسان لا يخلو مِن حالةٍ يكون عليها ويقوم فيها، عن إرادة منه وعن كُرْهٍ -بأن يقام فيها من غير إرادة- ولا بدّ أن يحكم لتلك الحال حكم شرعيّ يتعلّق بها.

١ ص ١٩ب
٢ ص ٢٠

فيقف عند حكم الشرع؛ فيريد ما أراده الشرع؛ فيتّصف بالإرادة لما أراد الشرع خاصّة؛ فلا يبقى له غرضٌ في مرادٍ معيَّن.

وكذلك من قال: "إنّ العبد ينبغي أن يكون مع الله بغير إرادة" لا يصحّ. وإنما يصحّ لو قال: "إنّ العبد مَن يكون متعلَّق إرادته (هو) ما يريد الحقّ به" إذ لا يخلو عن إرادة. فمن طلب رؤية الحقّ عن أمر الحقّ؛ فهو عبد ممتثِلٌ أمرَ سيّده، ومن طلب رؤية الحقّ عن غير أمر الحقّ؛ فلا بدّ أن يتألّم إذا لم يقع له وِجْدانٌ لِمَا تعلّقتْ به إرادته؛ فهو الجاني على نفسه؛ فإنّ خالق الأشياء والحوادث يَحْكُمُ ولا يُحْكَم عليه. فليكن العبد معه على ما يريده؛ فإنّه يحوز، بهذا، الراحةَ المعجّلةَ في الدنيا.

وقد ورد في الأخبار الإلهيّة: «يا عبدي؛ أريد وتريد، ولا[1] يكون إلّا ما أريد» فهذا تنبيه على دَواءٍ إذا استعمله الإنسانُ زال عنه الألم الذي ذكرناه. وكذلك ورد في الإلهيّات عن كعب الأحبار أنّ الله -تعالى- يقول: «يا ابن آدم؛ إن رضيتَ بما قسمتُ لك أرحتَ قلبَك وبدنك» وهو موضع إرادة العبد[2] «وأنت محمود. وإن لم تَرْضَ بما قسمتُ لك سلّطتُ عليك الدنيا حتى تركض فيها ركْضَ الوحش في البرّيّة، ثُمّ، وعزّتي وجلالي؛ لا تنال منها إلّا ما قدّرتُ لك، وأنت مذموم» وهذا أيضا دواء. وأمّا قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾[3] فهو عَزَاءٌ أفاد علما؛ ليثبت به للعبد في القيامة حكما؛ فهو تلقينُ حجّة، ورحمةٌ من الله وفضلٌ.

واعلم أنّه كلّ ما يُنال بسعاية فليس فيه امتنان، والطلبُ سعاية، والرؤيةُ امتنان؛ فلا يصحّ أن تطلب. فإذا وقع ما وقع من الرؤية عن طلب، فليست هي الرؤية على الحقيقة الحاصلة عن الطلب. فإنّ مطلوبه من المرئيّ أن يراه؛ إنما هو أن يراه على ما هو له. وهو لا يتجلّى له إلّا في صورة علمه به؛ لأنّه إن لم يكن كذلك أنكره؛ فما تجلّى له إلّا في غير ما طلب؛ فكانت الرؤية إحسانا؛ فإنّه ما جاءه عين ما طلب. وهو يتخيّل أنّ ذلك عين ما طلب، وليس هو. فإذا وقع

١ ص ٢٠ب
٢ "وهو موضع إرادة العبد" ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب
٣ [الإنسان: ٣٠]

له الالتذاذ بما رآه، وتخيّل أنّه مطلوبه؛ تجلّى له[1] بعد ذلك من غير طلب؛ فكان ذلك التجلّي أيضا امتنانا إلهيّا أعطاه من العلم به، ما لم يكن عنده ولا خطر على باله. فإذا فهمتَ ما ذكرتُه لك علمتَ أن رؤية الله لا تكون بطلبٍ[2]، ولا تُنال جزاءً كما يُنال النعيم بالجنان.

وهذه مسألة ما في علمي أنّ أحدا نبّه عليها من خلق الله إلّا الله. مع أنّ رجال الله يعلمونها، وما نبّهوا عليها؛ لتخيُّلهم أنّ هذه المسألة قريبة المأخذ، سهلة المتناوَل. أو (أنّ) وقوعها من المحال. لا بدّ من أحد الحُكمين. فإنّ الله ما سَوّى بين الخلق في العلم به؛ فلا بدّ من التفاضل في ذلك بين عباد الله. فإنّ المعتزلي يمنع الرؤية، والأشعري يجوّزها عقلا ويثبتها شرعا في مقتضى نظره، والفيلسوف ينفيها عقلا؛ إذ لا قدم له في الشرع والإيمان، وأهل الله يثبتونها كشفا وذوقا. ولو كان قبل الكشف ما كان؛ فإنّ الكشف يردّه، لما أعطاه، ما يُبْقيه على ما كان عليه. إلّا إن كان مِن أهل مَن يقول بما جاء به الكشفُ؛ فإنّه لا يتغيّر عليه الحال إلّا بقدر ما بين العلم ورؤية المعلوم.

واعلم أنّ الله من حيث نفسه له أحديّة الأحد، ومن حيث أسمائه له أحديّة الكثرة.

إنّمَا اللهُ إلهٌ واحِدٌ   وَدَلِيلِي "قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدْ"
فَإذا[3] ما تِهْتَ فِي أَسْمَائِهِ   فاعْلَمَ انَّ التِّيهَ مِنْ أَجْلِ العَدَدْ
يَرْجِعُ الكُلُّ إِلَيْهِ كُلَّمَا   قَرأَ القَارِئُ: "اَللهُ الصَّمَدْ"
"لَمْ يَلِدْ" حَقًّا "وَلَمْ يُولَدْ" وَلَمْ   يَكُ كُفُؤًا لِلإلَهِ مِنْ أَحَدْ
فَيَحارُ العَقْلُ فِيهِ عِنْدَما   يَغْلِبُ الوَهْمُ عَلَيْهِ بِالمَدَدْ
ثُمَّ يَأْتِيهِ مُشِيدًا أَزَلٌ   جاءَ فِي الشَّرْعِ ويَتْلُوهُ أَبَدْ
وبِنَا كانَ لَهُ الحُكْمُ بِهِ   فَإذا زُلْنَا فَكَوْنٌ يَنْفَرِدْ

١ ص ٢١
٢ ق: تطلب، والترجيح من س، ه
٣ ص ٢١ب

وهذا هو السبب الموجِب لطلبه تجلّيه[1] -تعالى- في الصور المختلفة، وتحوُّله فيها؛ لاختلاف المعتقَدات. فكان أصلُ اختلاف المعتقَدات في العالَم هذه الكثرةُ في العين الواحدة. وكان أصل اختلاف التجلّي اختلافُ المعتقدات؛ ولهذا وقع الإنكار من أهل الموقف عند ظهوره، وقوله: «أنا ربّكم» فلو تجلّى لهم في[2] الصورة التي أخذ عليهم الميثاق فيها؛ ما أنكره أحدٌ. فبَعد وقوع الإنكارِ تحوَّلَ لهم في الصورة التي أخذ عليهم فيها الميثاق؛ فأقرّوا به؛ لأنّهم عرفوه، ولهم إدلال إقرارهم.

وأمّا تجلّيه -تعالى- في الكثيب للرؤية؛ فهنالك يتجلّى في صور الاعتقادات؛ لاختلافهم في ذلك في مراتبهم، ولم تختلف في أخذ الميثاق. فذلك هو التجلّي العام للكثرة. وتجلّي الكثيب هو التجلّي العام في الكثرة، والتجلّي الذي يكون من الله لعبده، وهو في مُلكه؛ هو التجلّي الخاصّ الواحد للواحد.

فرؤيتنا إيّاه في يوم المواقف في القيامة تخالفُ رؤيتنا إيّاه في أخذ الميثاق، وتخالف رؤيتنا إيّاه في الكثيب، وتخالف رؤيتنا إيّاه ونحن في مُلكنا وفي قصورنا وأهلينا. فمنه كان الخلاف الذي حكم علينا به في القرآن العزيز في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾[3] وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾[4] فهم الذين عرفوه في الاختلاف؛ فلم ينكروه. فهم الذين أطلعهم الله على أحديّة الكثرة، وهؤلاء «هم أهل الله وخاصّته» فقدْ خالف المرحومون، بهذا الأمر الذي اختصّهم الله، مَن سِواهُم من الطوائف؛ فدخلوا، بهذا النعت، في حكم قوله (تعالى): ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ لأنّهم خالفوا أولئك، وخالفهم ها أولئك. فما أعطانا الاستثناء إلّا ما ذكرناه.

فكان[5] -سبحانه- أوّلَ مسألة خلاف ظهر في العالم؛ لأنّ كلّ موجود في العالم أوّل ما ينظر في سبب وجوده، لأنّه يعلم في نفسه أنّه لم يكن؛ ثمّ كان بحدوثه لنفسه. واختلفتْ فِطَرُهم في

١ ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٢ ص ٢٢
٣ [هود : ١١٨]
٤ [هود : ١١٩]
٥ ص ٢٢ب

ذلك؛ فاختلفوا في السبب الموجِب لظهورهم؛ ما هو؟ فلذلك كان الحقُّ أوّلَ مسألة خلاف في العالم. ولمّا كان أصلُ الخلاف في العالم في المعتقَدات، ووجودُ كلّ شيء من العالم على مزاج لا يكون للشيء الآخر؛ لهذا كان مآل الجميع إلى الرحمة؛ لأنّه خلَقهم وأظهرهم في العماء، وهو نَفَس الرحمن. فهم كالحروف في نفَس المتكلّم في المخارج، وهي مختلفة، كذلك اختلف العالَم في المزاج والاعتقاد، مع أحديّته أنّه عالَم محدَث.

ألا تراه قد تَسمّى بالمدبّر المفصّل، فقال ﷻ: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾[1]. وكلّ ما ذكرناه آنفا، هو تفصيل الآيات فيه وفينا، ودلالة عليه وعلينا. وكذلك نحن أدلّة عليه وعلينا؛ فإنّ أعظمَ الدلالات وأوضحَها؛ دلالةُ الشيء على نفسه. والتدبُّر من الله عينُ التفكّر في المفكّرين منّا. فبالتدبُّر تميَّز العالَم بعضه من بعض ومن الله، وبالتفكُّر عَرَف العالم ذلك. ودليله الذي فكّر فيه هُوَ عينُ ما شاهده من نفسِه ومن غيره: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ﴾[2] أنّ ذلك[3] المرئيَّ هو ﴿الْحَقُّ﴾.

إنَّ التَّدَبُّرَ مِثْلُ الفِكْرِ فِي الحَدَثِ ... وَفِي المُهَيْمِنِ تَدْبِيرٌ بِلا نَظَرِ
فَأَخْلِصِ الفِكْرَ إنّ الفِكْرَ مَهْلَكَةٌ ... بِهِ يُفَرِّقُ بَيْنَ اللهِ والبَشَرِ

فتحقّقْ ما أوردناه في هذا الباب، وما أبان الحقّ في هذا المنزل من علم الرؤية؛ تنتفع بذلك في الدنيا -إن كنت من أهل الشهود والجمع والوجود- وفي الآخرة، وتنتظم في سلك مَن استثنى اللهُ، كقوله: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾[4] فإنّ فَهْمَ العامّةِ فيه خلاف فَهْمِ خاصّةِ الله وأهلِه؛ وهم أهل الذِّكْر؛ لأنّهم فهموه على مراد الله فيه؛ أعطاهم ذلك الأهليّة. فثَمّ عينٌ تجمع، وعينٌ تفرّق في عين واحدة، سَوَاء ذلك في جانب الحقّ أو جانب الخلق. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[5].

١ [الرعد : ٢]
٢ [فصلت : ٥٣]
٣ ص ٢٣
٤ [هود : ١١٩]
٥ [الأحزاب : ٤]

وفي هذا المنزل من العلوم:

عِلْمُ أصناف الكتب المنزلة، والعلم بكلّ واحد منها بحسب الاسم الدالّ عليه؛ فمن هناك تعرف رتبة ذلك الكتاب، وإن كان[1] كلّ اسمٍ لكتابٍ صالحا[2] لكلّ كتاب؛ لأنّه اسمُ صفةٍ فيه، ولكن ما اختصّ بهذا الاسم وحده على التعيين؛ إلّا لكونه هو فيه أتمَّ حكما[3] من غيره من الأسماء، كقوله ﷺ: «أقضاكم عليٌّ وأفرضكم زيدٌ وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل». وقد ذكرنا الكتب وأسماءها في هذا الكتاب -أعني طرفا من ذلك- في منزل القرآن، وفي كتاب "مواقع النجوم" في عضو اللسان. فإنّ الله -تعالى- لمّا أشار إلينا في القرآن العزيز إلى ما أنزله علينا؛ فتارة أوقع الإشارة إلى عين الكتاب، فقال: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾[4]، وتارة أشار إلى آياته، فقال: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾[5]، وتارة ترك الإشارة وذكر الكتاب من غير إشارة؛ ولكلّ حكمٍ من هذه الأحكام فَهْمٌ منّا يخصّه، لا بدّ من ذلك.

وفيه عِلْمُ الفرق بين السّحر والمعجزة.

وفيه عِلْمُ ما للناس عند الله من حيث ما قام بهم من الصّفات؛ فيعلم من ذلك منزلته من ربّه؟ فإنّ الله يُنْزِل عَبْدَه منه، حيث أنزل العبدُ ربَّه من نفسه؛ فالعبد أنزل نفسَه مِن ربّه. فلا يلومنّ إلّا نفسَه إذا رأى منزلة غيره تفوق رفعة منزلته، هذا ﴿هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾[6] حيث كان متمكنا من ذلك فلم يفعل، ولذلك كان يوم القيامة يقال فيه: "يوم التغابن" فإنّه يوم كشف الغطاء، وتتبيّن الأمور الواقعة في الدنيا؛ ما أثمرت هنالك؟ فيقول الكافر، وهو الجاهل: ﴿يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ[7] لِحَيَاتِي﴾[8] لِعلمه أنّه كان متمكّنا من ذلك؛ فلم يفعل. فعذابه ندمُه، وما غبن فيه

١ لم ترد في س
٢ ق، س: صالحٌ
٣ ص ٢٣ب
٤ [البقرة : ٢]
٥ [يونس : ١]
٦ [الحج : ١١]
٧ ص ٢٤
٨ [الفجر : ٢٤]

نفسه أشدُّ عليه من أسباب العذاب من خارج؛ وهذا هو العذاب الأكبر.

وفيه عِلْمُ الاستدلال على الله، بماذا يكون: هل بالله؟ أو بالعالَم؟ أو بما فيه من النِّسب؟

وفيه عِلْمُ فائدة اختلاف الأنوار حتى كان فيها الكاشِف والمحرِق.

وفيه عِلْمُ مقادير الحركات الزمانيّة، وحكم اسم الدهر عليها؛ وهو اسم من أسماء الله -تعالى-.

وفيه عِلْمُ اختلاف الآيات لاختلاف صفات الناظرين فيها.

وفيه عِلْمُ ما يُذَمّ من الغفلة؟ وما يُحمد؟.

وفيه عِلْمُ الأسباب الموجبة لما يؤول إليه مَن أثّرت فيه في الآخرة.

وفيه عِلْمُ ما تكلّم به أوّلُ إنسان في نشئِه، وهو: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾[1] وهو ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾[2] فبدأ العالم بالثناء، وختم بالثناء؛ فأين الشقاء المسرمد؟ حاشا الله أن يسبق غضبُه رحمتَه؛ فهو الصادق، أو يخصِّص اتّساع رحمته بعد ما أعطاها مرتبة العموم.

حكاية في هذا: اجتمع سهل بن عبد الله بإبليس. فقال له إبليس، في مناظرته إيّاه: إنّ الله -تعالى-[3] يقول: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[4] و"كلّ" تعطي العموم، و"شيء" أنكر النكرات؛ فأنا لا أقطع يأسي من رحمة الله. قال سهل: فبقيتُ حائرا. ثمّ إنّي تنبّهتُ في زعمي إلى تقييدها، فقلت له: يا إبليس؛ إنّ الله قيّدها بقوله: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾ قال: فقال لي: يا سهل؛ لا تفعل؛ التقييدُ صفتُك، لا صفته. فلم أجد جوابا له على ذلك.

وفيه عِلْمُ ما يُحمد من التأنّي والتثبّط وما يُذَمّ، وعِلْمُ ما يُحمد من العجلة في الأمور وما يُذَمّ؟

وفيه عِلْمُ الرجوع إلى الله عن القهر إذا رجع مثله إليه بالإحسان؛ هل يستوي الرجوعان،

١ [فاطر : ١]
٢ [يونس : ١٠]
٣ ص ٢٤ب
٤ [الأعراف : ١٥٦]

أم لا يستويان؟ وهذه مسألةٌ حار فيها أهل الله، أعني في رجوع الاضطرار ورجوع الاختيار؛ إذ كان في الاختيار رائحةُ ربوبيّة، والاضطرار كلّه عبوديّة. فهذا سبب الخلاف في أيّ الرجوعين أَتمّ في حقّ الإنسان؟

وفيه عِلْمُ المحاضرات والمناظرات في مجالس العلماء بينهم، وأنّ ذلك كلّه من محاضرة الأسماء الإلهيّة، بعضها مع بعض، ثمّ ظَهَر ذلك في ﴿الْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾[1] مع شُغلهم بالله، وأنّهم -عليهم السلام- في تسبيحهم لا يفترون ولا يسأمون. فهل خصومتهم (هي) من تسبيحهم؟ كما كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كلّ[2] أحيانه؛ مع كونه كان يتحدّث مع الأعراب في مجالسهم، ومع أهله. فهل كلُّ ذلك هو ذِكْر الله، أم لا؟ وأمّا اختلاف مَن خلق من الطبائع فغير منكور؛ لأنّ الطبائع متضادّة؛ فكلُّ أحد يدرك ذلك، ولا ينكر المنازعة في عالم الطبيعة، وينكرونها فيما فوق الطبيعة. وأمّا أهل الله فلا ينكرون النزاع أصلا في الوجود؛ لعلمهم بالأسماء الإلهيّة، وأنّها[3] على صورة العالم. بل الله أوجدَ العالَم على صورتها؛ لأنّها الأصل، وفيها المقابِل والمخالِف، والموافق والمساعد.

وفيه عِلْمُ الفَرق بين مَن كان معلّمه اللهُ، ومَن كان معلّمه نظرُه الفكريّ، ومَن كان معلّمه مخلوقٌ مثله. فإمّا صاحب نظر فيلحق بمعلّمه، وإمّا صاحب إلقاء إلهيّ فيلحق بمعلّمه، ولا سيما في العلم الإلهيّ الذي لا يُعلم في الحقيقة إلّا بإعلامه؛ فإنّه يعزُّ أن يدرَك بالإعلام الإلهيّ؛ فكيف بالنظر الفكريّ؟ ولذلك نهى رسول الله ﷺ عن التفكّر في ذات الله. وقد غفل الناس عن هذا القدر؛ فما منهم مَن سَلِمَ من التفكّر فيها والحكم عليها من حيث الفكر.

وليس لأبي حامد الغزالي، عندنا، زلّةٌ، بحمد الله، أكثرُ من هذه؛ فإنّه تكلّم في ذات الله من حيث النظر الفكريّ في: "المضنون به على غير أهله" وفي غيره؛ ولذلك أخطأ -في كلّ ما[4]

١ [ص : ٦٩]
٢ ص ٢٥
٣ ق: "وأما" وما أثبتناه فمن هـ، س
٤ ص ٢٥ب

قاله- وما أصاب. وجاء أبو حامد وأمثاله في ذلك بأقصى غايات الجهل، وبأبلغ مناقضة لِمَا أعلمَنا الله به من ذلك، واحتاجوا -لَمَّا أعطاهم الفكر خلاف ما وقع به الإعلام الإلهيّ- إلى تأويلٍ بعيد؛ لينصروا جانب الفكر على جانب إعلام الله عن نفسه: ما ينبغي أن ينسب إليه؟ وكيف ينبغي أن ينسب إليه -تعالى-؟ فما رأيت أحدا وقف موقف أدب في ذلك إلّا خاض فيه على عماية. إلّا القليل من أهل الله؛ لَمّا سمعوا ما جاءت به أرسالُه -صلوات الله عليهم- فيما وصف به نفسه؛ وَكَلوا عِلم ذلك إليه، ولم يتأوّلوا؛ حتى أعطاهم اللهُ الفهمَ فيه بإعلامٍ آخر أنزله في قلوبهم. فكانت المسألة منه -تعالى- وشَرْحُها منه -تعالى-؛ فعرفوه به، لا بنظرهم. فالله يجعلنا من الأدباء، الأمناء، الأبرياء، الأخفياء؛ الذين اصطفاهم الحقّ لنفسه، وخبّأهم في خزائن العادات[1].

وفيه عِلْمُ قول المبلِّغ عن الله -تعالى- قولا أبلغه عن الله، لو قاله عن نفسه على مجرى العُرف فيه؛ لكان رادّا على نفسه بما ادّعاه أنّه جاء به من عند الله. فلمّا قاله عن أمر الله؛ عرَّف بالأمر الإلهيّ معنى[2] ذلك. وهو قول الإنسان إذا أمر بالخير أحدا من خلق الله، من سلطان أو غيره؛ فيجني عليه ذلك الأمرُ بالخير، ممن أمره به، ضررا في نفسه: إمّا نفسيّا، وإمّا حِسّيّا، أو المجموع. فإنّ الرادّ له والضارّ، عليه[3] استهانة بالله وهو أشدّ ما يمشي[4] على الداعي إلى الله؛ لأنّه على بصيرة من الله فيما دعا إليه من الخير. فيقول عند ذلك: "ليتني ما دعوته إلى شيء من هذا" لِمَا طرأ عليه من الضرر في ذلك. فهي مزلّة العارفين إذا قالوا مثل ذلك؛ فإنّ الله يقول: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[5].

فإذا قالها العبد عن أمر الله، مثل قوله -تعالى- إذ قال لنبيّه ﷺ: ﴿قُلْ﴾ فأمَرَهُ ﴿لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ﴾[6] ولكنّه شاء؛ فتلوتُه عليكم وأدراكم به، يقول: فَهَّمَكم إيّاه؛ فعلمتم

١ "الذين اصطفاهم.. العادات" ثابتة في الجوار بقلم آخر، مع إشارة التصويب
٢ رسمها في ق أقرب إلى: "يعني" وما أثبتناه فمن هـ، س
٣ ص ٢٦
٤ الكلمة مصحفة في ق، وما أثبتناه فمن هـ، س
٥ [الكهف : ٢٩]
٦ [يونس : ١٦]

أنّه الحق، كما قال: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾[1]. فإذا قالها الوارث أو مَن قالها، على هذا الحدّ؛ فهو معرِّفٌ مُعْلِمٌ ما هو الأمرُ عليه؛ ولهذا أمر الله بقول مثل هذا. وكثير ما يقع من الناس العتبُ على أهل الله إذا أمروا بخير؛ يُعقِبهم ذلك ضررا في أنفسهم محسوسا[2]. وذلك لا يقع من مؤمن، ولا من قائلٍ عن كشف؛ فإنّ الرسول ﷺ قيل له: ما ﴿عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾[3] وقيل له: ﴿بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾[4] وكذلك يجب على الوارث. فكيف يصحّ منه الندم على فِعل ما يجب عليه فِعله؛ لضررٍ قام به؟ أو شفقة على مَن لم يسمع حيث زاد في شقائه لَمّا أعلمه حين لم يُصْغِ إلى ذلك؟ وهذا[5] كلّه حديثُ نفس، و«الدينُ النصيحةُ لله، ولرسوله، ولأئمّة المسلمين وعامّتهم» فلا يصرفنَّك عن ذلك صارفٌ.

ولقد رأيتُ قوما ممن يدّعى أنّه من أهل هذا الشأن، إذا رُدَّ عليهم -في وجوههم- ما جاءوا به عن الحقّ؛ انقبضوا؛ وقالوا: "فُضولنا أدّانا إلى ذلك، ولو شاء الله ما تكلّمنا بشيء من هذا مع أمثال هؤلاء، ونحن جنينا على أنفسنا، وقد تُبنا، وما نرجع نقول مثل هذا القول عند أمثال هؤلاء" ويُظهِرون الندم على ذلك. وهذا كلّه جهلٌ منهم بالأمر، ودليل قاطع على أنّه ليس بمخبِرٍ عن الله، ولا أوصلَ شيئا من ذلك عن إذن إلهيّ في ذلك. فإنّ المخبِر عن الله لا يرى في باطنه إلّا النور الساطع، سَوَاء قُبِل قولُه، أو رُدَّ، أو أُوذي. والمتكلِّم عن نفسه، وإن قال الحقَّ، أعقبَه إذا رُدَّ عليه نَدَمٌ، وضيقٌ، وحرجٌ في نفسه، وجعل كلامَه فُضولا؛ فرَدُّ الحقِّ الواجبَ فضولا؛ فهذا جهلٌ على جهلٍ.

فالنصيحة لعباد الله واجبة على كلّ مؤمن بالله، ولا يبالي ما يطرأ عليه من الذي ينصحه من الضرر؛ فإنّ الله يقول في الورثة: ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾[6] وهذا

١ [النمل : ١٤]
٢ ق: محسوس
٣ [الشورى : ٤٨]
٤ [المائدة : ٦٧]
٥ ص ٢٦ب
٦ [آل عمران : ٢١]

القولُ عطفٌ على قوله: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾[1] ذكر ذلك في معرض الثناء عليهم، وذَمَّ الذين لم يُصغوا إلى ما بلّغ الرسول ولا[2] الوارث إليهم. وإنّه أعظم فَرْحَةٍ ممن يفرح بثناء الله عليه. ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[3].

وفيه عِلْمُ الصفات التي يتميّز بها أهل الاستحقاق؛ حتى يُوفّيهم حقوقهم مَن تعيّن ذلك عليه. ومن الحقوق مَن يقتضي الثناء الجميل على مَن لا يوفّيه حقَّه من ذلك؛ كالمجرم المستحقّ للعذاب بإجرامه؛ فيُعفى عنه. فهذا حقّ قد أُبطل؛ وهو محمود. كما أنّ الغيبةَ حقٌّ وهي مذمومة. ومن عرف هذا؛ عرف الحقّ؛ ما هو؟ وفرّق بينه وبين الصدق، وعلِم عند ذلك أنّ الغيبة ليست بحقٍّ، وأنّها صدقٌ. ولهذا يُسأل الصادق عن صدقه، ولا يُسأل ذو الحقّ إذا قام به. فالغيبة والنميمة وأشباههما صِدْقٌ، لا حَقٌّ. إذِ الحقُّ ما وجبَ، والصدق ما أُخبر به على الوجه الذي هو عليه؛ وقد يجب فيكون حقًّا، وقد لا يجب ويكون صِدقًا، لا حَقًّا. فلهذا يُسأل الصادقُ عن صِدقه: إن كان وجَب عليه نجا، وإن كان لم يجب عليه، بل منع من ذلك، هلك فيه. فمَن عَلِمَ الفرق بين الحقّ والصدق؛ تعيّن عليه أن يتكلّم في الاستحقاق.

وفيه عِلْمُ ما ينتج مَن ذَلّ لغير الله على إنزاله منه منزلة ربّه؛ جهلا منه به. فإن ذلّ للصفة من غير اعتبار المحلّ؛ كان له في ذلك الذُّلّ حكم آخر.

وفيه[4] عِلْمُ ما يحكم على الله ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾[5]، ومن هنا تعلم أنّ صفاته لو كانت زائدة على ذاته -كما يقوله المتكلّم من الأشاعرة- لَحَكَم على الذات ما هو زائدٌ عليها ولا هو عينُها. وهذه مسألةٌ زلّتْ فيها أقدام كثيرين من العلماء، وأضلّهم فيها قياس الشاهد على الغائب، أو طرد الدلالة شاهدا وغائبا. وهذا غاية الغلط؛ فإنّ الحكم على المحكوم عليه بأمر مّا من غير أن يعلم[6]

١ [آل عمران : ٢١]
٢ ص ٢٧
٣ [يونس : ٥٨]
٤ ص ٢٧ب
٥ [الأعراف : ٨٧]
٦ ق: "نعلم" والترجيح من س، ه

ذات المحكوم عليه وحقيقته؛ جهلٌ عظيم من الحاكم عليه بذلك. فلا تطرد الدلالة في نِسبة أمر إلى شيء، من غير أن تعرف حقيقة ذلك المنسوب إليه.

وفيه عِلْمُ أنّ الله لا يجوز لأحد من المخلوقين التحكّم عليه، ولو بلغ من المنزلة ما بلغ، إلّا[1] أن يأمره بذلك؛ فيحكم عليه بأمره فيما يجوز له أن يوجبه على نفسه إن كان من العالَم بخلاف الحقّ؛ فإنّ المكلَّف تحت الحجْر. فلو أوجب على نفسه فِعل ما حُرّم عليه فعله؛ لم يَجُز له ذلك، وكان كفّارةُ ما أوجبه كفّارةَ يمين؛ فلم يَخْلُ عن عقوبة، وإن لم يفعل ما أوجبه؛ إذ لم يجز له ذلك. ولا كفّارة على من أوجب على نفسه فِعل ما أبيح له فعله ولا مندوحة له إلّا أن يفعله ولا بدّ.

وفيه[2] عِلْمُ المكر الخفيّ، وتعجيل الجزاء عليه.

وفيه عِلْمُ موجِب الاضطرار في الاختيار، وما ينفع الاضطرار؟

وفيه عِلْمُ الأسباب التي تُنَسّي العالِم بأمر مّا؛ ما يقتضيه حكم ذلك العلم من العمل، وهي كثيرة.

وفيه عِلْمُ الحسرة؛ وهو أنّ أحدا لا يؤاخذه على ما جناه سِوَى ما جناه؛ فهو الذي آخذ نفسه؛ فلا يلومنّ إلّا نفسه. ومَن اتّقى مثل هذا ﴿فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[3] وبهذا تقوم الحجّة لله على خَلقِه، وأنّه إذا تكرّم عليهم -بعدم تسليطهم عليهم- وعفا، وغفر؛ وجب له الثناء بصفة الكرم والإحسان.

وفيه عِلْمُ دعوةُ اللهِ عبادَه؛ لماذا يدعوهم: هل إلى عمل ما كلّفهم؟ أو إلى ما ينتجه عمل ما كلّفهم في الدار الآخرة؟ وأنّ الله ما كلّف عبادَه، ولا دعاهم إلى تكليف قطّ، بغير واسطة؛ فإنّه بالذات لا يدعو إلى ما فيه مشقّة؛ فلهذا اتّخذ الرسل -عليهم الصلاة والسلام- وقال جلّ ثناؤه:

١ ق، ه: "إلى" وما أثبتناه فمن س
٢ ص ٢٨
٣ [الأحزاب : ٧١]

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[1].

وفيه عِلْمُ الجزاء الوفاق، وإذا أعطى ما هو خارج عن الجزاء؛ فذلك من الاسم الواهب والوهّاب.

وفيه[2] عِلْمُ العذاب المتخيَّل.

وفيه عِلْمُ تذكُّر العالِم ما كان نسيه؛ إذ كان لم يعمل به؛ فإنّ العاملَ بالعلم هو المنشئ صورتَه؛ فمن المحال أن ينساه.

وفيه عِلْمُ حسن التعليم؛ إذ ما كلُّ معلِّمٍ يحسن التعليم.

وفيه عِلْمُ التأسّي بالله؛ كيف يكون؟ وهو المطلَق في أفعاله؛ وأنت المقيَّد.

وفيه عِلْمُ البحث، والحثّ على العمل بالأَوْلَى والأوجب.

وفيه عِلْمُ الفرق بين العلم والظنّ، أعني غلبة الظنّ.

وفيه عِلْمُ العصمة والاعتصام.

وفيه عِلْمُ ما يقال للمعانِد إذا لم يرجع إلى الحقّ؟ وهو ما يرجع إلى علم الإنصاف.

وفيه عِلْمٌ يُعلم به أنّ أفعالَ العباد أفعالُ الحقّ، لكن تضاف إلى العباد بوجهٍ، وإلى الحقّ بوجهٍ. فإنّ الإضافة في اللسان، في اصطلاح النحاة، محضة وغير محضة. ومن الأفعال ما هي محضة لله إذا أضيفت إليه، ومنها غير محضة لما فيها من الاشتراك؛ فلم تخلص. فالعبوديّة لله خالصة، ومأمورٌ بتخليصها[3]، كما قال -تعالى-: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[4]

١ [الإسراء : ١٥]
٢ ص ٢٨ب
٣ ص ٢٩
٤ [البينة : ٥]

وهو ما تعبّدهم به، وقوله: ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾[1] وهو ما تعبّده به في هذا الموضع، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ كلمةُ تحقيق. فإنّ الناس لا يملكون شيئا حتى يكون مَن يأخذه منهم بغير وجهِ حقٍّ؛ غاصبا. فكلُّ ما يقال فيه إنّه مِلك لهم، فهو مِلك لله، ومن ذلك أعمالهم. ثمّ قال: ﴿وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[2] فكنى -سبحانه- عن نفسه بأنفسهم؛ لمّا وقع الظلم في العالم وقيل به. فكأنّه قال: "ولكن نفسَه يظلم إن كان هذا ظلما ولا بدّ، والمالك لا يظلم نفسه في مِلكِه. فلو كان ما عند الناس مِلْكٌ لهم؛ ما حجر الله عليهم التصرّف فيه، ولا حَدَّ لهم فيه حدودا متنوّعة. فهذا يدلّك على أنّ أفعال المكلَّف ما هي له وإنما هي لله. فالظلم على الحقيقة في الناس (هو) دعواهم فيما ليس لهم أنّه لهم؛ فما عاقبهم اللهُ إلّا على الدّعوى الكاذبة.

وفيه عِلْمُ إدراج الكثير في القليل حتى يقال فيه: إنّه قليل. وهو كثير في نفس الأمر.

وفيه عِلْمُ الآجال في الأشياء، ومعنى قوله: ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ عنه ﴿سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[3] على تلك الساعة.

وفيه[4] عِلْمُ مَن ادُّعي عليه بدعوى كاذبة يعلم المدَّعَى عليه أنّ المدَّعي كاذب ولم تقم له بيّنة؛ فوجب عليه اليمين. فهو مأمور من الله بأن يحلف، وليس له أن يردّ اليمين على المدّعي، ولا أن ينكل عن اليمين؛ فيعطيه ما ادَّعَى عليه؛ فيكون مُعِينا له على ظلمه لنفسه. وأنّه في اليمين قد أحرز نفس صاحبه أن يتصرّف فيما ظلمه فيه بما ادّعاه؛ فيستصحبه الإثم ما دام يتصرّف فيه، واليمين مانعة من ذلك. ولم يبق على المدّعي من الإثم إلّا إثم اليمين خاصة؛ فإنّ إثم كذبه في دعواه أزالَه الحلف، وعاد وبال الحلف الكاذبة عليه. فهو بمنزلة لو حلف كاذبا؛ فيعود عليه إثم من حلف -لو كان في يمينه- كاذبا.

كرجل ادّعى على رجل مَثلا بمائة دينار، وهو كاذب في دعواه، ولم تقم له بيّنة تصدق دعواه.

١ [الزمر : ١٤]
٢ [يونس : ٤٤]
٣ [الأعراف : ٣٤]
٤ ص ٢٩ب

فأوجب الحاكمُ اليمينَ على المدّعَى عليه. فإن رَدَّ المدّعَى عليه اليمين على المدّعي، وكان الحاكم ممن يرى ذلك، وإن كان لا يجوز عندنا، فهذا المدّعَى عليه ما نصح المدّعي، وهو مأمور بالنصيحة. فإن حلف المدّعي بحكم القاضي؛ فإنّ عليه إثم الحلف الفاجرة، وعلى المدّعى عليه إثم ظلمِه للحالف؛ فإنّه الذي جعله يحلف. وليس على الحاكم إثم؛ فإنّه مجتهد، فغايته أن يكون مخطئا في اجتهاده؛ فله أجر.

فإن قام المدَّعَى عليه فأعطى المدَّعي ما ادّعاه عليه؛ تضاعف الإثم على المدّعى عليه؛ لأنّه[1] مكّنه من التصرّف في مالٍ لا يحلّ له التصرّف فيه. ولا يزال الإثم على المدّعي ما دام يتصرّف في ذلك المال، وفيما ينتجه ذلك المال. ولا يزال الإثم على المدَّعَى عليه كذلك، من حيث أنّه أعان أخاه على الظلم؛ ولم يكن ينبغي له ذلك، ومن حيث أنّه عصى أمر الله بترك اليمين؛ فإنّ الله أوجب اليمين عليه.

فلو حلَف؛ عمل بما أوجب الله عليه؛ فكان مأجورا، ونوى تخليص المدّعي من التصرّف في الظلم؛ فله أجر ذلك، ولم يبق على المدّعي بيمين المدّعى عليه إلّا إثم يمينه خاصّة. فعلى المدّعي إثم يمين كاذبة، وهي اليمين الغموس. وهذه مسألة في الشرع لطيفة لا يَنظر فيها بهذا النظر إلّا من استبرأ لدينه، وكان من أهل الله؛ فإنّه يحبّ للناس ما يحبّ لنفسه؛ فلا يعين أخاه على ظلم نفسه إذا أراد ذلك.

وفيه عِلْمُ ما يُذَمّ من القدح؟ وما يُحمد؟

وفيه عِلْمُ المراقبة والحضور، وأنّها من أبواب العصمة والحفظ الإلهيّ، وتحصيل العلم النافع.

وفيه عِلْمُ صفات أهل البُشرى، وأنواع المبشّرات، وحيث تكون، وما يسوء منها؟ وما يسرّ؟

وفيه عِلْمُ ما يظهر على مَن اعتزّ بالله؛ من العزّة والوقاية والحماية الإلهيّة.

---
[1] ص ٣٠

وفيه[1] عِلْمُ من لم يعمل بما سمع مما يجب عليه العمل به؛ ما سببُه الذي منعه من ذلك؟ وهل حكمُه حكمُ مَن لم يسمع، فيكون الله قد تفضّل عليه؟ أو يكون حكمه حكمَ مَن علِم؛ فلم يعمل؛ فعاقبه الله؛ فيكون الله قد عدل فيه؟ فإنّه يقول: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا﴾ فإنّهم سمعوا حقيقةً وفهموا؛ فإنّه خاطبهم بلسانهم، فقال تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾[2] أي حُكْمُهم حُكْمُ مَن لم يسمع عندنا، مع كونهم سمعوا. وما قال -تعالى- بماذا يحكم فيهم، وإن كان غالب الأمر -من قرائن الأحوال- العقوبة، ولكنّ الإمكان لا يرتفع في نفس الأمر لِمَا يُعرف من فضل الله وتجاوزه عن سيّئات أمثال هؤلاء، فافهم.

وفيه عِلْمُ ما يعطي الله المتوكّل في قلبه إذا توكّل على الله حقّ توكّله؟

وفيه عِلْمُ الخلافة الإلهيّة.

وفيه عِلْمُ أسباب الطبع على القلوب المؤدّي إلى الشقاء.

وفيه عِلْمُ طلب إقامة البيّنة من المدّعي، ويتضمّن هذا العلم قوله -تعالى-: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[3] ولم يقل: "حتى نبعث شخصا" فلا بدّ أن تثبت رسالة المبعوث عند مَن وُجّه إليه، فلا بدّ من إقامة الدلالة البيّنة الظاهرة عند كلّ شخص[4] شخص، ممن بُعث إليهم؛ فإنّه رُبَّ آية يكون فيها من الغموض أو الاحتمال بحيث أن لا يدرك بعضُ الناس دلالتها. فلا بدّ أن يكون الدليل من الوضوح عند كلّ مَن أُقيم عليه، حتى يثبت عنده أنّه رسول. وحينئذ إن جحد بعد ما تيقّن؛ تعيّنت المؤاخذة. ففي هذه الآية رحمة عظيمة لما هو الخلق عليه من اختلاف الفِطَر المؤدّي إلى اختلاف النظر. وما فعل اللهُ ذلك إلّا رحمة بعباده، لمن علم شمول الرحمة الإلهيّة التي أخبر الله -تعالى- أنّها وسعت كلّ شيء.

---
[1] ص ٣٠ب
[2] [الأنفال : ٢١]
[3] [الإسراء : ١٥]
[4] ص ٣١

وفيه عِلمُ ما ينتجه الكَرَم؟ وما ينتجه البخل؟

وفيه عِلمُ رفع الإشكال في التلفّظ بالإيمان حتى يعلم السامعون بأنّه مؤمنٌ عِلما لا يشكّون فيه، وهو المعبَّر عنه بالنصوص. فإنّ الظاهر، وإن كان ما يُعلم بأوّل البديهة في الوضع، ولكن يتطرّق إليه الاحتمال.

وفيه عِلمُ مَن اعتنى الله به من عباده.

وفيه عِلمُ الخذلان وأهله.

وفيه عِلمُ ما يرجع إليه صاحبُ الحقّ إذا ردّ في وجهه؟

وفيه عِلمُ أنواع الصبر في الصابرين، والشكر في الشاكرين.

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[1].

١ [الأحزاب: ٤]

الباب[1] الخامس والسبعون وثلاثمائة
في معرفة منزل التضاهي الخياليّ، وعالم الحقائق
والامتزاج (وهو من الحضرة المحمديّة)

كَيْفَ التَّبَرِّي وَما فِي الكَوْنِ إِلّا هُوْ ... فَكُلُّ كَوْنٍ أَراهُ أَنْتَ مَعْناهُ
وَقَدْ أَتَى بِالتَّبَرِّي فِي شَرِيْعَتِهِ ... فَحَيَّرَ العَقْلَ شَرْعٌ كانَ يَهْواهُ
أَدْناهُ مِنْهُ وَلا عَيْنٌ تُغايِرُهُ ... فَمَنْ دَنا ثُمَّ بَعْدَ القُرْبِ أَقْصاهُ؟
اللهُ مَوْلَى جَمِيْعِ الخَلْقِ كُلِّهِم ... وَلَمْ يَخِبْ أَحَدٌ أَللهُ مَوْلاهُ

اعلم -أيّدك الله- أنّ رسول الله ﷺ قال: «مولى القوم منهم» والخيال من موالي النفس الناطقة؛ فهي منها بمنزلة المولى من السيّد. وللمولى في السيّد نوع من أنواع التحكم من أجل الملكيّة؛ فإنّه به وبأمثاله من الموالي يصحّ كون السيّد مالكا ومَلِكا. فلمّا لم تصحّ للسيّد هذه المنزلة إلّا بالمولى؛ كان له، بذلك، يَدٌ هي[2] التي تعطيه بعض التحكم في السيّد. وما له فيه من التحكم إلّا أنّه يصوّرها في أيّ صورة شاء، وإن كانت النفس على صورة في نفسها، ولكن لا يتركها هذا الخيال عند المتخيّل إلّا على حسب ما يريده من الصور في تخيّله.

وليس للخيال قوّة تخرجه عن درجة المحسوسات؛ لأنّه ما تولّد ولا ظهر عينُه إلّا من الحسّ. فكلّ تصرُّف يتصرّفه في المعدومات والموجودات، ومما له عين في الوجود، أو لا عين له؛ فإنّه يصوّره في صورة محسوسٍ له عينٌ في الوجود، أو يصوِّر صورة ما لها بالمجموع عينٌ في الوجود؛ ولكنّ أجزاءَ تلك الصورة كلّها أجزاءٌ وجوديّة محسوسة، لا يمكن له أن يصوِّرها إلّا على هذا الحدّ. فقد جمع الخيال بين الإطلاق العام الذي لا إطلاق يشبهه؛ فإنّ له التصرّف العام في الواجب، والمحال، والجائز؛ وما ثمّ مَن له حكمُ هذا الإطلاق؛ وهذا هو تصرّف الحقّ في

١ ص ٣١ب
٢ ص ٣٢

المعلومات بوساطة هذه القوّة. كما أنّ له التقييد الخاص المنحصر؛ فلا يقدر أن يصوّر أمرا من الأمور إلّا في صورة حسّيّة، كانت موجودة تلك الصورة المحسوسة أو لم تكن. لكن لا بدّ من أجزاء الصورة المتخيّلة أن تكون كلّها، كما ذكرنا، موجودة في المحسوسات؛ أي قد أخذها من الحسّ حين أدركها متفرّقة[1]، لكنّ المجموع قد لا يكون في الوجود.

واعلم أنّ الحقّ لم يزل في الدنيا متجلّيا للقلوب دائما؛ فتتنوّع الخواطر فيها لتجلّيه؛ فإنّ تنوّع الخواطر في الإنسان (إنما تكون) عن التجلّي الإلهيّ، من حيث لا يشعر بذلك، إلّا أهل الله. كما أنّهم يعلمون أنّ اختلاف الصور الظاهرة في الدنيا والآخرة، في جميع الموجودات كلّها، ليس غير تنوّعه. فهو الظاهر؛ إذ هو عين كلّ شيء. وفي الآخرة يكون باطن الإنسان ثابتا؛ فإنّه عينُ ظاهرِ صورته في الدنيا، والتبدّل فيه خفيٌّ؛ وهو خلقه الجديد في كلّ زمان الذي هم فيه في لَبْسٍ. وفي الآخرة يكون ظاهره مثل باطنه في الدنيا، ويكون التجلّي الإلهيّ له دائما بالفعل؛ فيتنوّع ظاهره في الآخرة، كما كان يتنوّع باطنه في الدنيا في الصوَر التي يكون فيها التجلّي الإلهيّ؛ ينصبغ بها انصباغا. فذلك هو التضاهي الإلهيّ الخيالي؛ غير أنّه في الآخرة ظاهر، وفي الدنيا باطن. فحكم الخيال مستصحب للإنسان في الآخرة وللحقّ، وذلك هو المعبَّر عنها: بالشأن الذي هو فيه الحقُّ، من قوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[2] فلم يزل ولا يزال.

وإنما سمّي ذلك خيالا؛ لأنّا نعرف أنّ ذلك راجع إلى الناظر، لا إلى الشيء في نفسه. فالشيءُ في نفسه ثابتٌ على[3] حقيقته لا يتبدّل - لأنّ الحقائق لا تتبدّل- ويظهر إلى الناظر في صور متنوّعة. وذلك التنوّع حقيقة، أيضا، لا تتبدّل عن تنوّعها؛ فلا تقبل الثبوت على صورة واحدة؛ بل حقيقتها الثبوت على التنوّع.

فكلّ ظاهر في العالم (هو) صورة ممثّلة كيانيّة، مضاهية لصورة إلهيّة؛ لأنّه لا يتجلّى للعالَم إلّا بما يناسب العالَم في عين جوهر ثابت؛ كما أنّ الإنسان من حيث جوهره ثابت أيضا. فترى

١ ص ٣٢ب
٢ [الرحمن : ٢٩]
٣ ص ٣٣

الثابت بالثابت، وهو الغيب منك ومنه، وترى الظاهر بالظاهر؛ وهو المشهود والشاهد والشهادة، منك ومنه. فكذا تدركه، وكذا تدرك ذاتك. غير أنّك معروف في كلّ صورة أنّك أنت، لا غيرك. كما تعلم أنّ زيدا في تنوّعه في كيفيّاته -من خجل، ووجل، ومَرض، وعافية، ورضا، وغضب، وكلّ ما يتقلّب فيه من الأحوال- أنّه زيد، لا غيره. كذلك الأمر؛ فنقول: قد تغيّر فلان من حال إلى حال، ومن صورة إلى صورة. ولولا ما هو الأمر على هذا؛ لكان إذا تبدّل الحال عليه لم نعرفه، وقلنا بعدمه؛ فعلمنا أنّ ثَمّ عينين كما قال تعالى[1]: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ﴾[2]: فعينٌ تدرك به مَن يتحوّل، وعين تدرك به التحوّل. وهما طريقان مختلفان قد أبانهما الله لِذي عينين، وهو قوله: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[3] أي بيّنّا له الطريقين، كما قال الشاعر[4]:

نَجْدًا[5] عَلَى أَنَّهُ طَرِيقٌ   تَقْطَعُهُ لِلظِّبا عُيُونُ

فجعل قطع الطريق للعيون؛ فكلُّ عين لها طريق؛ فاعلم مَن رأيت؟ وما رأيت؟ ولهذا صحّ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾[6] فالعينُ التي أدركتَ بها أنّ الرميَ لله غير العين التي أدركتَ بها أنّ الرمي لمحمد ﷺ فتعلم أنّ لك عينين، إن كنتَ صاحبَ علم. فتعلم قطعا أنّ الرامي هو الله في صورة محمّديّة جسديّة، وليس التمثّل والتخيّل غير هذا.

فالله قد نبّهك، وأنت لا تتنبّه. وهذه هي الآيات التي جعلها الله لقوم يعقلون عنه، ويتفكّرون فيها، وذكرى لمن كان له قلب يتقلّب، فألقى السمع لما قيل له وعُرِّف به، "وهو شهيد" لِتقلُّبه في نفسه؛ فتعلم أنّ الأمر كذلك. وهؤلاء هم أولو الألباب؛ فإنّ اللبّ تحجبه صورة القشر. فلا يعلم اللبَّ إلّا مَن علم أنّ ثَمّ لُبًّا، ولولا ذلك ما كسر القشر. فقد امتزج الأمر، وما اختلطت الحقائق؛ وبذلك تميّز الفاضل من المفضول، فيتنعّم العالِم بعلمه به، ويتنعّم الجاهل

١ من هـ فقط
٢ [البلد : ٨]
٣ [البلد : ١٠]
٤ البيت للشاعر الرصافي البلنسي (ت ٥٧٢هـ) شاعر وقته في الأندلس وأصله من رصافة بلنسية وإليها نسبته- أقام مدة بغرناطة وسكن مالقة وبها توفي. والبيت من قصيدة مطلعها:
يا راكبا واللوى شمال   عن قصده والغضا يمين
٥ ص ٣٣ب
٦ [الأنفال : ١٧]

بجهله به، ولا يعلم أنّه جاهل به؛ لأنّه لا يعلم أنّ الأمر الذي هو على خلاف ما يعلمه، أنّه على خلاف ما يعلمه؛ بل يقول: ما ثَمّ إلّا هذا. ولو علم أنّ ثَمّ خلاف ما يعلمه وما أدركه؛ لتنغَّص كما يتنغّص، في الدنيا، كلّ متنغّص لِمَا فاته مما يقتضيه مقامه[1] من التاجر في تجارته، والفقيه في فِقهه، وكلّ عالم في طوره.

فتحقيق قوله عموما: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[2] إنما ذلك في الآخرة. بخلاف الدنيا؛ فإنّه لا يعمّ في الدنيا، بل هو في الكثير من غير عموم؛ فإنّ الإنسان لا يفرح بما عنده من العلم بما هو به متضرّر قبل حصوله؛ فإنّه منتظر إيّاه؛ فهو في ألَم. فإذا حصل عنده، أيضا، لم يفرح به. ومآل الكلّ في الآخرة -بعد انقضاء مدّة المؤاخذة- إلى الفرح؛ بما عنده، وبما هو عليه.

وهذا المنزل هو منزلُ خلقِ اللهِ آدمَ على صورته، ومَن جُعل على صورة أمرٍ مّا؛ فكأنّ ذلك الأمرَ هو عينُ هذه الصورة؛ فهو لا هو. وبهذا صحّ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾[3] فكلّ ما يظهر من تلك الصورة فأصله[4] ممن هي عليه؛ فلا يصحّ له أن ينتفي عن كلّ ما يظهر منها. ولهذا جاء: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾[5] يعني الذي هو عليه العالَم بأسره. ولهذا وصف الحقُّ نفسَه على ألسنة رسله، بما وصف به العالَم كلّه: قِدَمًا بقدم، ما اختلّ شيء من ذلك، ولا أخلَّ به.

فَعَيْنُ الخَلْقِ عَيْنُ الحَقِّ فِيْهِ ... فَلَا تُنْكِرْ فَإِنَّ الكَوْنَ عَيْنُهُ
فَـإِنْ فَرَّقْتَ فَالعِرْفَـانُ بادٍ ... وإِنْ لَمْ فاعْتَبِرْ فَالبَيْنُ بَيْنُهُ

ولمّا[6] قال: "إنّه جعلك على الصورة" علِم أنّه لا بدّ لك من الدّعوى بالمُلك لِمَا أنت عليه، كما أنّه ذو ملْك. وليس لك ملْك أقرب من نفسك، وهي التي تدّعي المِلك؛ لأنّها على صورة

---

1 ص ٣٤
2 [المؤمنون : ٥٣]
3 [الأنفال : ١٧]
4 رسمها في ق: فاصّله
5 [هود : ١٢٣]
6 ص ٣٤ب

مَن له المِلك. فعمد إليها من كونها مؤمنة من اسمه "المؤمن" فاشترى من المؤمن نفسه؛ فبقي المؤمن لا نفس له كسائر الحيوان؛ فلم يبق من يدّعي ملكا؛ فصار الملك ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[1] وزال الاشتراك. فالمؤمن لا نفس له؛ فلا دعوى له في المِلك. فكلّ مؤمن ادّعى مِلكا حقيقة؛ فليس بمؤمن. فإنّ المؤمن مَن باع نفسه؛ فما بقي له من يدّعي. لأنّ نفسه كانت صاحبة الدّعوى؛ لكونها على صورة مَن له الدّعوى بالمِلك حقيقة؛ وهو الله -تعالى-.

فاحفظ نفسك -يا أخي- من دعوى تَسْلِبُ عنك الإيمان. فإيّاك أن تحامي عن نفسك التي كانت لك. وإذا عزمتَ على أن تحامي عنها؛ فحَامِ عنها بحضورٍ وعلمٍ؛ على أنّها نفس الحقّ، لا نفسك. ومن هناك يجازيك ربّك[2]؛ فإنّك صادق ومؤثِر، ودرجة الإيثار قد علِمتَ ما تقتضيه عند الله من الرفعة؛ فاعمل على ذلك.

فإذا علمتَ هذا، فاعلم أنّ للإنسان وجهين: وجها إلى ذاته، ووجها إلى ربّه. ومع أيّ وجهٍ توجّهتَ إليه؛ غبتَ عن الآخر. غير أنّ هنا لطيفة أُنبّهك عليها. وذلك[3] أنّك إذا توجّهتَ إلى مشاهدة وجهِك، غبتَ عن وجه ربّك ذي الجلال والإكرام. ووجهُك هالك؛ فإذا انقلبتَ إليه فَنِي عنك وجهُكَ؛ فصرتَ غريبا في الحضرة؛ تستوحش فيها. وتطلب وجهَك الذي كنت تأنس به؛ فلا تجده. وإن توجّهتَ إلى وجهِ ربّك، وتركتَ وجهَك؛ أقبلَ عليك، ولم يكن لك مؤنِسٌ سِوَاهُ، ولا مشهود إلّا إيّاه.

فإذا انقلبتَ إليه الانقلابَ الخاصّ الذي لا بدّ لكلّ إنسان منه؛ وجدتَ مَن كان لك -قبل هذا الانقلاب- أنيسا وجليسا وصاحبا؛ ففرحتَ بلقائه، وعاد الأنسُ أعظم، وتتذكّر الأنس الماضي به؛ فتزيد أُنْسًا إلى أُنس، وترى عنده وجهَ ذاتِك ولا تفقده. فتجمع بين الوجهين في صورة واحدة؛ فيتّحد الأُنس لاتّحاد الوجهين؛ فيعظم الابتهاج والسرور. وهذه حالةٌ برزخيّة بين حالين؛ لكونها جمعتْ بين الطرفين. فمن جمع بينهما في الدنيا حُرِم ذلك في الآخرة.

---

1 [غافر : ١٦]
2 ق: "تجازى بربك لا" وعليها إشارة مسح، وصححت في الهامش بقلم الأصل
3 ص ٣٥

كالمنافق؛ فإنّه برزخ بين المؤمن والكافر؛ فإذا انقلب تخلّص إلى أحد الطرفين وهو طرَف الكفر، ولم يتخلّص للإيمان. فلو تخلّص هنا إلى الإيمان، ولم يكن برزخا؛ كان إذا انقلب إلى الله، كما ذكرناه، مِن جمعه بين الطرفين. فاحذر هنا من صفة النّفاق؛ فإنّها مهلكة، ولها في سوق الآخرة نَفاقٌ[1] اقتضى ذلك الموطن. وما أُخِذ المنافق هنا إلّا لأمرٍ دقيق لا يَشعر به كثير من المؤمنين العلماء. وقد نبّه الله عليه لمن ﴿أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[2] وذلك أنّ المنافقين[3] هنا ﴿إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ و﴿قَالُوا آمَنَّا﴾ لو قالوا ذلك حقيقة لسعدوا ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ لو قالوا ذلك وسكتوا ما أثّر فيهم الذمّ الواقع، وإنما زادوا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾[4] فشهدوا على أنفسهم أنّهم كانوا كافرين. فما أُخِذوا إلّا بما أقرّوا به، وإلّا لو أنّهم بقوا على صورة النّفاق من غير زيادة؛ لسعدوا.

ألا ترى الله لمّا أخبر عن نفسه في مؤاخذته إيّاهم، كيف قال: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾[5]؟ فما أخذهم بقولهم: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ وإنما أخذهم بما زادوا به على النفاق، وهو قولهم: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ وما عرّفك اللهُ بالجزاء الذي جازى به المنافق إلّا لتعلم من أين أُخِذ مَن أُخِذ؛ حتى تكون أنتَ تجتنب موارد الهلاك. وقد قال ﷺ: «إنّ مداراة الناس صدقة» فالمنافق يداري الطرفين مداراة حقيقيّة، ولا يزيد على المداراة؛ فإنّه يجني ثمرة الزائد، كان ما كان، فتفطّن. فقد نبّهْتُك على سرٍّ عظيم من أسرار القرآن؛ وهو واضح، ووضوحه أخفاه. وانظر في صورة كلّ منافق؛ تجده ما أُخذ إلّا بما زاد على[6] النّفاق، وبذلك قامت عليه الحجّة. ولو لم يكن كذلك لحشِر على الأعراف مع أصحاب الأعراف، وكان حاله حال أصحاب الأعراف ﴿وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾[7].

١ ص ٣٥ب
٢ [ق : ٣٧]
٣ ق: المنافق
٤ [البقرة : ١٤]
٥ [البقرة : ١٥]
٦ ص ٣٦
٧ [الأنفال : ٤٢]

فالمؤمنُ المداري منافِقٌ، وهو ناجٍ فاعلُ خير. فإنّه إذا انفرد مع أحد الوجهين؛ أظهر له الاتّحاد به، ولم يتعرّض إلى ذِكرِ الوجه الآخر الذي ليس بحاضر معه. فإذا انقلب إلى الوجه الآخر؛ كان معه أيضا بهذه المثابة. والباطن في الحالتين مع الله؛ فإنّ المقام الإلهيّ هذه صورته؛ فإنّه لِعباده بالصورتين؛ فنزّه نفسه وشبّه. فالمؤمن الكامل بهذه المثابة، وهذا عين الكمال. فاحذر من الزيادة على ما ذكرته لك، وكن متخلّقا بأخلاق الله، وقد قال الله -تعالى- لنبيّه ﷺ ممتنّا عليه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾[1] واللّين: خفض الجناح، والمداراة، والسياسة. ألا ترى إلى الحقّ -تعالى- يرزق الكافر على كفره، ويُمهل له في المؤاخذة عليه؟ وقال ﷻ لموسى وهارون في حقّ فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا﴾[2] وهذه عين المداراة؛ فإنّه يتخيّل في ذلك أنّك معه.

ومن هذا المقام لَمّا ذُقته واتّحدتُ به، واتّفق أنّي صحبتُ الملوك والسلاطين. وما قضيتُ لأحد من خلق الله، عند واحد منهم حاجة؛ إلّا من هذا المقام، وما ردّني أحد من الملوك في حاجةٍ التمستها[3] منه لأحد من خلق الله. وذلك أنّي كنت إذا أردت أن أقضي عنده حاجة أحدٍ؛ أبسط له بساطا أستدرجه فيه؛ حتى يكون الملِك هو الذي يَسأل، ويَطلب قضاء تلك الحاجة، مُسارِعا على الفور؛ بطيب نفس وحرص؛ لما يرى له فيها من المنفعة. فكنت أقضي للسلطان حاجة؛ بأن أقبل منه قضاء حاجة ذلك الإنسان. ولقد كلّمتُ الملك الظاهر بأمر الله، صاحب حلب، في حوائجَ كثيرة. فقضى لي في يوم واحد مائة حاجة وثمان عشرة حاجة للناس. ولو كان عندي، في ذلك اليوم، أكثر من هذا؛ قضاه طيّبَ النفس راغبا. وإذا حصل للإنسان هذه القوّة؛ انتفع به الناس عند الملوك.

فما في العالم أمر مذموم على الإطلاق، ولا محمود على الإطلاق؛ فإنّ الوجوهَ وقرائنَ الأحوال تقيّده؛ فإنّ الأصل التقييد، لا الإطلاق؛ فإنّ الوجودَ مقيّد بالضرورة. ولذلك يدلّ الدليل على أنّ كلّ ما دخل في الوجود؛ فإنّه متناهٍ. فالإطلاق الصحيح إنما يرجع لمن في قوّته أن

١ [آل عمران : ١٥٩]
٢ [طه : ٤٤]
٣ ص ٣٦ب

يتقيّد بكلّ صورة، ولا يطرأ عليه ضرر من ذلك التقييد. وليس هذا إلّا لمن تحقّق بالمداراة، وهو الإمّعة. والله ﷻ يقول: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[1] فهي أشرف الحالات لمن عرف ميزانها وتحقّق بها، وهو واحد، وأين ذاك الواحد؟!

أَلَا[2] إِنّ النِّفَـاقَ هُـوَ النَّفَـاقُ ... إِلَيْـهِ إِذا تَحَقَّقَـتَ المَسَـاقُ

فَكُنْ فِيْهِ تَكُنْ بِالحَقِّ صِرْفًا ... وَتَحْمَـدُهُ إِذا شُـدَّ الـوَثَاقُ

إِذا مَا كُنْتَ مُعْتَمِدًا لِشَيْءٍ ... فَأَنْـتَ لَهُ إِذا فَكَّـرْتَ سَـاقُ

عَلَى العَمَدِ الذِي قَدْ غابَ عَنّا ... إِذا مَا كُنْتَ[3]، تَعْتَمِدُ الطِّبَاقُ

فَكُنْ ذاكَ العِمادَ تَكُنْ إِمامًا ... فَيَظْهَـرَ عِنْـدَكَ الدِّيْـنُ الوِفـاقُ

فتدبّر القرآنَ من كونه فُرقانًا وقرآنًا. فللقرآن موطن، وللفُرقان موطن. فقم في كلّ موطن باستحقاقه؛ تَحمدك المَواطن. والمَواطن شهداء عدل عند الله؛ فإنّها لا تشهد إلّا بصدق. وقد نصحتك فاعمل، والله الموفّق.

قلنا: وفي هذا المنزل من العلوم عِلْمٌ دقيقٌ خفيٌّ لا يُشعر به لخفائه مع ظهوره. فإنّ العلماء بالله قد علموا شمول الرحمة، والمؤمنون قد علموا اتّساعها. ثمّ يرونها، مع الشمول والاتّساع، ما[4] لها صورة في بعض المَواطن. ومع كونها ما لها صورة ظاهرة في بعض المَواطن؛ فإنّ الحُكمَ لها في ذلك الموطن الذي ما لها فيه صورة. ولا يكون لها حكمٌ إلّا بوجودها، ولكن هو خَفِيٌّ: لبطونها، جَلِيٌّ: لظهور حكمها. وأكثر ما يظهر ذلك في صنعة الطبّ وإقامة الحدود. فإنّه يقول في إقامة الحدود في حدّ الزاني والزانية: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾[5] فهذا عينُ انتزاع الرحمة بهم. وإقامة الحدود من حكم الرحمة، وما لها عين ظاهرة. وكالطبّ إذا قطع الطبيبُ رِجْلَ

١ [الحديد : ٤]
٢ ص ٣٧
٣ "ما كنت" كتب فوقها بقلم الأصل من غير إشارة الاستبدال: "حققت" يشير بذلك إلى صواب كلا التعبيرين. ويبدو أن معنى "كنت" هنا هي: وُجِدتَ
٤ ص ٣٧ب
٥ [النور : ٢]

صاحب الأَكِلَة[1]؛ فإن رحمه في هذا الموطن ولم يقطع رجله هَلَكَ. فَحُكْمُ الرحمة حَكَم بقطع رجله، ولا عين لها. فللرحمة موطن تظهر فيه بصورتها، ولها موطن تظهر فيه بحكمها؛ فَيُتخيّل أنّها قد انْتُزِعتْ من ذلك المحلّ، وليس كذلك.

وفي الأحكام الشرعيّة، في هذه المسألة، خفاء إلّا لمن نوّر الله بصيرته. فإنّ القاتل ظلما قد نزع الله الرحمة من قلبه في حقّ المقتول، وهو تحت حكم الرحمة في قتله ظلما بالمقتول. وبقي حكمها في القاتل: فإمّا أن يقاد منه، وإمّا أن يموت؛ فيكون في المشيئة. وإن كان القاتل كافرا: فإمّا أن يسلم؛ فتظهر فيه الرحمة بصورتها، وحيثما كانت الرحمة[2] بالصورة كانت بالحكم، وقد تكون بالحكم ولا تكون بالصورة.

وفيه عِلْمٌ غريبٌ، وهو علم تقييد الحقّ بانتزاح الكون عنه؛ مع كونه في قبضته وتحت سلطانه وملكه.

وفيه عِلْمُ السياسة في الدعوة إلى الله؛ فإنّ صورتها من الداعي تختلف باختلاف صورة المدعوّ: فثَمّ دعاء بصفة غلظة وقهر، وثَمّ دعاء بصفة لين وعطف.

وفيه عِلْمُ عموم العهد الإلهيّ الذي أخذه على بني آدم.

وفيه عِلْمُ الجَوَلان في الملكوت حِسًّا، وعقلا، (وخيالا)؛ بثلث النشأة. فإنّ النشأة الإنسانيّة لمّا انتشأتْ ممتزجة من الأخلاط، أَشْبَهَت السَّنة في فصولها، وليس كمال الزمان إلّا بفصول السنة، ثمّ يعود الدَّوْر. فالإنسان من حيث أخلاطِه سَنَة؛ فهو عين الدهر الذي هو الزمان؛ فله جولان في الملكوت بأحد ثلاثة أمور، أو بكلّها، أو ببعضها. فإمّا أن يجول بحسّه وهو الكشف، وإمّا أن يجول بعقله وهو حال فكره وتفكّره، وإمّا أن يجول بخياله.

١ الأَكِلَة: داء يقع في العضو فيأتكل منه [لسان العرب]
٢ ص ٣٨

والسنة اثنا عشر شهرا[1]؛ فلكلّ حقيقة من هذه النشأة المشبَّهة بالسنة ثلث السنة؛ فلها التثليث في التربيع، ولها التربيع في التثليث. فأمّا تثليثها في التربيع؛ فهو ما ذكرناه من تقسيمها على ثلاثة من حِسٍّ، وخيال، وعقل؛ في تربيع أخلاطها. وأمّا تربيعها في التثليث؛ فإنّ حكم الأخلاط بكمالها في كلّ قسم من الأقسام الثلاثة، وهي أربعة. فلتربيعها حكم في الحِسّ، وحكم في الخيال، وحكم في العقل. ولا يشعر بذلك إلّا أهل الحضور، الناظرون الآياتِ في أنفسهم.

وفيه عِلْمُ جهل الإنسان عند مسابقته لله. وحجّتنا قوله -تعالى-: «بادرني عبدي بنفسه» فيمن قتل نفسَه. والقول بهذا السباق قولُ أهل النظر في التشبّه بالإله جهد الطاقة، وأنّ ذلك -إذا وُجِد- هو الكمال. وهذا، عندنا، هو عينُ الجهل أن نُسابِق الحقّ فيما هو له بما هو لي. فإنّه من المحال أن نسابقه بما هو له؛ فإنّ الشيء لا يسابق نفسَه. ومن المحال أن نسابقه بما هو لي؛ فإنّه ما ثَمّ غاية يسابق إليها؛ فيكون عملٌ في غير معمَل، وطمعٌ في غير مطمع. ومَن كان في هذه الحال فلا خفاء بجهله؛ لو عقل نفسه.

وفيه عِلْمُ الإعلام الإلهيّ في المادّة الإلهيّة[2]؛ بماذا يكون؟ وماذا يقع في أسماع السامعين من ذلك الإعلام: هل يقع في كلّ سمع على حدٍّ واحد؟ أو يختلف تعلّق السمع عند ذلك الإعلام؟

وفيه عِلْمُ المعاملة مع الخلق على اختلاف أصنافهم بما يَسُرُّهم منك لا بما يسوءهم. وهو عِلْمٌ عزيزٌ صعبٌ؛ صعب المتناوَل، دقيق الوزن، مجهول الميزان، يحتاج صاحبه إلى كشف، وحينئذ يَحْصُلُ له.

وفيه عِلْمُ ما حُكْمُ أصحاب الآجال إذا انتهت آجالهم: هل يجرون بعد ذلك الانتهاء إلى أجلٍ مسمّى؟ أو لا يكون لهم أجل أيضا ينتهون إليه؟

وفيه عِلْمُ ما يمكن أن يصحّ من الشروط؟ وما لا يمكن أن يصحّ منها؟

١ ص ٣٨ب
٢ ص ٣٩

وفيه عِلْمُ إعطاء الأمان، ولمن ينبغي أن يعطى؟ فلا بدّ من علم الأحوال لهذا المتحكّم.

وفيه عِلْمُ تنوّع الناس في أخلاقهم، وما هو المحمود من ذلك؟ وما هو المذموم منها؟

وفيه عِلْمُ عِلْمِ الملائكة بالله الذي لا يعلمه أحد من البشر حتى[1] يتجرّد عن بشريّته، ويتجرّد عن حكم ما فيه للطبيعة من حيث نشأته حتى يبقى بما فيه من الروح المنفوخ منه؛ فحينئذ يتخلّص إلى العلم بالله من حيث تعلمه الملائكة؛ فيقوم في عبادته رَبَّه مقام الملائكة في عبادتهم الله[2]؛ وهي العلامة فيمن ادَّعَى أنّه يعلم الله بصورة ما تعلمه الملائكة. فمن ادّعى ذلك من غير هذه العلامة؛ فدعواه زور وبهتان. فإنّ للملائكة علما بالله -تعالى- يعمّ الصنف، وعلما خاصّا لكلّ ملَك بالله لا يكون لغيره. فنحن ما نطالبه في دعواه إلّا بالعلم العام، وهذه العلامة معلومة عندنا ذوقا، لا نذكرها لأحد؛ لئلّا يظهر بها في وقت، وهو كاذبٌ في دعواه غيرُ متحقّق. فلهذا أُمرنا وأمثالُنا بستر هذا وأمثاله.

وفيه عِلْمُ دلالات العلماء بالله على طبقاتهم؛ فإنّهم على طبقات في العلم به -تعالى-.

وفيه عِلْمُ إزالة العلل وأمراض النفوس.

وفيه عِلْمُ آداب الدخول على الله.

وفيه عِلْمُ صفات مَن يدّعي أنّه جليس الله؛ جلوسَ شهود، لا جلوسَ ذِكْرٍ. فإنّ الذاكرين أيضا جلساء الله، وهم على الحقيقة جلساء[3] الله من حيث الاسم الذي يذكرونه به. وهذه مسألة لا يعرفها كثير من الناس.

وفيه عِلْمُ ما تعطيه رحمةُ الرضا، ورحمةُ الفضل، وأنواع الرحموتيّات.

وفيه عِلْمُ إقامة النعيم؛ هل لذاك النعيم الدوام؟ أو يتخلّله حالٌ لا نعيم فيه، ولا غير ذلك؟

١ ص ٣٩ب
٢ س، هـ: لله
٣ ص ٤٠

وفيه عِلْمُ تفاصيل الأجور عند الله ﷻ وبماذا تتميّز؟

وفيه عِلْمُ الحبّ الإلهيّ المندرج في كلّ حبّ؛ وما مقام مَن شاهد ذلك وعَلِمه؟ وهل يستوي مَن لا علم له بذلك مع العالِم به، أم لا؟

وفيه عِلْمُ المعتمدات، وما يخيب منها، وما لا يخيب؟

وفيه عِلْمُ السكائن -جمع سكينة- هل يجمعها أمرٌ واحد كالإنسانيّة في أشخاصها؟ أو هي متنوّعة؛ كلّ سكينة من نوع ليس هو عين السكينة الأخرى؟.

وفيه عِلْمُ تنوّع الرجوع الإلهيّ لتنوّع حال المرجوع إليه أيضا.

وفيه عِلْمُ درجات الأغنياء بالله في غناهم بالله -جلّ ثناؤه-.

وفيه[1] عِلْمُ ما السبب الموجِب للطبيعة أن تُستخبَث وتُتقذَّر ما يكون منها وهي عينه؟ وهل لها في العلم الإلهيّ أصل ترجع إليه مثل ما يُذمّ من أفعال العباد وسفساف الأخلاق؟ مع العلم بأنّ ذلك صورة من الصور التي تكون مجْلًى.

وفيه عِلْمٌ من العلوم الإلهيّة في تفضيل بعض النِّسب الإلهيّة على بعض، وأنّ رِفعَة العالَم بعضه على بعض نتج من هذا الأصل. فإنّه من المحال أن يكون في العالَم شيء ليس له مستند إلى أمر إلهيّ يكون نعتا للحقّ -تعالى- كان ما كان.

وفيه عِلْمُ ما ينبغي أن يُضاف إلى الله؟ وما لا ينبغي أن يُضاف إليه؟

وفيه عِلْمُ سريان الربوبيّة في العالم حتى عُبِد مَن عُبِد من دون الله -تعالى-.

وفيه عِلْمُ ما ينبغي أن يُدَّخَر من العلوم، وما ينبغي أن لا يُفْشَى-؟ وما ينبغي أن لا يُدَّخَر، وما ينبغي أن يُفْشَى؟

[1] ص ٤٠ب

وفيه عِلْمُ ما اصطفى اللهُ من الزمان من ساعاته، وأيّامه، ولياليه، وشهوره؟ وهو عِلْمُ تفاضل الدهر في نفسه. وما أصل الدهر؟ وما السبب لتسمية الله باسم الدهر، وهو اسم أزليّ له ولا دهر؟ فهل[1] سُمّي الزمان دهرا لأجل هذا الاسم؟ أو تَسمّى الله بهذا الاسم لعلمه بأنّه يخلق أمرا يقال له الدهر؟ فإنّه لم يزل خالقا، ولا يزال خالقا. وهل ينتهي حكم الزمان في العالَم؟ أو لا ينتهي؟ وما حظُّ حركات الأفلاك من الزمان؟

وفيه عِلْمُ مَن دُعي إلى سعادته فتلكّأ عن الإجابة، مع علمه بأنّه دُعي إلى حَقّ.

وفيه عِلْمُ أسباب النصر الإلهيّ.

وفيه عِلْمُ صحبة الحقّ.

وفيه عِلْمُ ما السبب الداعي إلى المباهتة مع علمه أنّه مباهت؟ مع علمه أنّه مسؤول عن ذلك؟ والغلبة للأقوى، وللحقّ القوّة. والهوى يغالبه وقد يظهر عليه؛ فهل ظهوره عليه بما له نصيب من الحقّ؛ فلا يظهر على الحقّ إلّا الحقّ؟

وفيه عِلْمُ ابتلاء الإمام أصحابَه لإقامة الحجّة عليهم، لا ليستفيدَ عِلما بذلك.

وفيه عِلْمُ ما يقال عند كلّ حال يتقلّب على العبد، أو يتقلّب العبد فيه؟

وفيه عِلْمُ الدوائر المهلكة؛ ما هي؟ وأسبابها الموجبة لآثارها في الكون؟

وفيه[2] عِلْمُ ما السبب الذي يمنع من قبول العمل الخالص؛ حتى يعمل العامل في غير معمل؟

وفيه عِلْمُ قسمة النِّعَم على العباد، وهي في أيدي العباد، وما لهم منها سِوَى الاختزان في نفس الأمر، وهم مسؤولون عنها.

وفيه عِلْمُ الإصغاء لكلّ قائل؛ وما فائدته إذا لم يؤثّر في السامع؟ فإن كان سريعَ الانفعال لما

[1] ص ٤١
[2] ص ٤١ب

يسمع، فيجب عليه عقلا أن لا يصغي لقائل شرّ.

وفيه عِلْمُ اختلاف الأسماء على الله عند الطوائف، والمقصود واحد.

وفيه عِلْمُ ما السبب في معاداة أشخاص النوع الواحد، وموالاة الأنواع وإن عمّهما جنس واحد؟

وفيه عِلْمُ الغَدْر؛ وما مستنده من النعت الإلهيّ؟ وهل هو عين الاستدراج، أو غيره؟

وفيه عِلْمُ أسباب الطرد الإلهيّ والكلّ في قبضته؛ فممّن يكون الطرد؟ وإلى أين؟ وما معنى قولهم: البُعد من الله؟

وفيه عِلْمُ إنزال المنازل في القوالب؛ لأيّ معنى تنزل في الصور، ولا تنزل معاني كما هي في نفس الأمر؟

وفيه[1] عِلْمُ أسباب رفع الحرج في حقّ مَن ارتفع عنه؛ فإنّه محال رفعه عن العالم؛ إذ لو ارتفع لزال العالم عن درجة الكمال، وهو كامل بالمرتبة. وإن قَبِل الزيادة بأشخاص الأنواع، فلا يتّصف بالنقص من أجلها.

وفيه عِلْمُ ما لا يكفّر من الأيمان المعقودة إذا حنث صاحبُها في صورة الأمر. وهي مسألة ينكرها الفقهاء، ويفتون بخلافها.

وفيه عِلْمُ ما يُعَدُّ من مذامّ الأخلاق، وهو من مكارمها عند الله؟

وفيه عِلْمُ مخالفةُ الحقّ عبدَهُ المقرَّب فيما يريده منه، مثل قوله -تعالى-[2]: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾[3] وأمثاله.

١ ص ٤٢
٢ ق، س: - تعالى
٣ [التوبة : ٨٠]

وفيه عِلْمُ حكم مَن خرج عن الجماعة، أو أخرج يدا من طاعة إمام بعد عقد بَيعته، وثبوتها.

وفيه عِلْمُ السابق واللاحق.

وفيه عِلْمُ الشرّ والخير وحكم الإيمان.

وفيه عِلْمُ النفوس الجزئيّة.

وفيه عِلْمُ صفات المقرّبين.

وفيه عِلْمُ الضلال والهدى.

وفيه[1] عِلْمُ إقامة الواحد مقام الجميع.

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[2].

١ ص ٤٢ب
٢ [الأحزاب : ٤]

الباب السادس والسبعون وثلاثمائة
في معرفة منزل يجمع بين الأولياء والأعداء -من الحضرة الحكميّة ومقارعة عالم الغيب بعضهم مع بعض. وهذا المنزل يتضمّن ألْفَ مقام محمّديّ

إنّ المَغانِمَ نارُ الحَقِّ تأكُلُها ... فَمَنْ يَكُنْ بَدَلًا مِنْها فَقَدْ عُصِمَا
مِنْها فَلَيْسَ لَها عَلَيْهِ سَلْطَنَةٌ ... فَذاكَ نائِبُهُ في الخَلْقِ قَدْ حَكَمَا
وَما مَضَى فَهْوَ مَنْسُوخٌ بِعامِلِهِ ... يَوْمَ القِيامَةِ بِالنَّسْخِ الَّذِي رَسَما
فالكُلُّ يَنْعَمُ مُلْتَذٌّ بِمَنْزِلِهِ ... أَهْلُ الجِنانِ وأَهْلُ النارِ والقُدَما
اللهُ يَرْزُقُنا مِنْ عِلْمِ رَحْمَتِهِ ... حَظًّا يُبَلِّغُنا مَنازِلَ العُلَما
مَنْ[1] لَمْ يَكُنْ حَظُّهُ عِلْمًا[2] وَمَعْرِفَةً ... فَما يُقَدِّمُ فِي شَأْوِ الهَوَى قَدَما

اعلم أنّ الله -تعالى- قد أبان لعباده في هذا المنزل؛ أنّه له فيه حظّ وافر من حظوظ عباده، ومن أجل هذا قال رسول الله ﷺ: «حقُّ الله أحقُّ بالقضاء» يعني من حقّ المخلوق. وقال في القرآن العزيز: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾[3] فقدّم الوصيّة على الدَّيْن، والوصيّة حقّ الله لأنّه الذي أوجبها علينا حين أوجبها الموصي في المال الذي له فيه تصرُّف. والفقهاء يقدّمون الدَّين على الوصيّة، خلافا لما ورد به حكم الله، إلّا بعض أهل الظاهر فإنّهم يقدّمون الوصيّة قبل الدَّين، وبه أقول.

وجعل الله الحظّ الذي له في الصلاة على النّصف، وهو دون هذا الحظّ الآخر. فقال: «قسمتُ الصلاة بيني وبين عبدي نصفين؛ نصفها لي، ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل» فساوى -سبحانه- في هذه القسمة بين الله وبين عبده إذا صلّى. وقال في حَظّه من المغنم: إنّ له الخمس وحده من المغنم، وما بقي -وهو أربعة أخماس- يُقسّم على خمسة؛ فلكلّ صنف من

١ ص ٤٣
٢ ق، س: علم
٣ [النساء : ١١]

الحظّ دون ما لله. فحظُّ الله في هذا المقسوم أكثرُ من حظّه في الصلاة، بالنسبة إلى هذه الحال بينه وبين عبده، وإلّا فحظّ النّصف أعظم من حظّ الخُمس. فقِسم[1] الصلاة أكثر من قِسْم المغنم. وبالنظر في عين الموطن والقسمة الخاصّة؛ فحظّه في المغنم -بالنظر إلى ما بقي من الأصناف المقسوم عليهم- أعظم. فأنزلَ الحقُّ نفسه من عباده منزلة أنفسهم، وعاملهم بما يتعاملون به. وفي موطن آخر يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[2] فينفي المماثلة. وفي موضع آخر يقول المترجم عنه (ص): «إنّ الله خلق آدم على صورته» ثمّ إنّه جعل الإنسان محلّ ظهور الأسماء فيه، وأطلقها عليه. فللعبد التسمية بكلّ اسم يتسمّى به الحقّ، وإن اختلفت النِّسب؛ فمعقوليّة مدلول الاسم واحد، لا يتغيّر.

ثمّ إنّه جعل بعضهم خليفة عنه في أرضه، وجعل له الحكم في خلقه، وشرع له ما يحكم به، وأعطاه الأحديّة؛ فشرع أنّه مَن نازَعه في رتبته قُتِل المنازِعُ. فقال رسول الله ﷺ: «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما» وجعل بيده التصرُّف في بيت المال، وصرَف له النظر عموما، وأمرَنا بالطاعة له؛ سَوَاء جار علينا، أو عدل فينا. فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[3] وهم الخلفاء، ومن استخلفه الإمام من النوّاب؛ فإنّ الله قد جعل له أن يَستخلف كما استخلفه الله؛ فبأيديهم العطاء والمنع، والعقوبة[4] والعفو. كلُّ ذلك على الميزان المشروع.

فلهم التولية والعزل، كما أنّ الحقّ بيده الميزان يخفض القسطَ ويرفعه. وذلك الميزان هو الذي أنزله إلى الأرض بقوله: ﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾[5] ثمّ قال: "إنّه يُرفع إليه عملُ النهار قبل عملِ الليل، وعملُ الليل قبلَ عمل النهار". كذلك الخليفة تُرفع إليه أعمالُ الرعيّة؛ يرفعها إليه عُمّالُه وجُباتُه؛ فيقبل منها ما شاء، ويردُّ منها ما شاء. فكلّ ما ذكره الحقُّ لنفسه من التصرّف في خلقه ولم

١ ص ٤٣ب
٢ [الشورى : ١١]
٣ [النساء : ٥٩]
٤ ص ٤٤
٥ [الرحمن : ٧]

يعيّنه؛ جعل للإمام أن يتصرّف به في عباده.

ثمّ إنّ الله جعل له أعداءً ينازعونه في ألوهته كفرعون وأمثاله، كذلك جعل الله للخلفاء منازعين في رتبتهم، وجعل له أن يقاتلهم، ويقتلهم إذا ظفر بهم، كما يفعل -سبحانه- مع المشركين. ومدّةُ إقامتهم؛ كمدّةِ إمهال الله إيّاهم، وأَخْذُ الخليفة وظفرُه بهم؛ كزمانِ الموت لهؤلاء. حتى لو قابلتَ النسختين ما اختلفتا في حرف واحد في الحكم. وكما أنّ الحقّ يحكم بسابق علمه في خلقه، يحكم الخليفة بغلبة ظنّه؛ لأنّ الخليفةَ ليست له مرتبة العلم بكلّ ما يجري في مُلكه، ولا يعلم المحقَّ مِن المبطل؛ وإنّما هو بحسب ما تقوله البيّنة، كما يفعله الله مع خلقه مع علمه: يقيم على خلقه يوم القيامة الشهود، فلا يعاقبهم إلّا[1] بعد إقامة البيّنة عليهم، مع علمه. وبهذا قال مَن قال: "إنّه ليس للحاكم أن يحكم بعلمه"؛ أمّا في العالَم فللتُّهمة بما له من الغرض، وأمّا في جانب الحقّ فلإقامة الحجّة على المحكوم عليه؛ حتى لا يأخذه في الآخرة إلّا بما شرع له من الحكم به في الدنيا على لسان رسوله ﷺ. ولهذا يقول الرسول لربّه عن أمر ربّه: ﴿رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ﴾[2] يعني بالحقّ الذي بعثتني به، وشرعتَ لي أن أحكم به فيهم.

فإذا علمتَ أنّ الحقّ أنزل نفسه في خلقه منزلتهم، وجعل مجلاه الأتمّ في الخليفة الإمام، ثمّ قال: «كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيّته» فعمّت الإمامة جميع الخلق؛ فحصل لكلّ شخص منهم مرتبةُ الإمامة؛ فله من الحقّ هذا القدر، ويتصرّف بقدر ما مَلّكه الله من التصرّف فيه. فما ثَمّ إنسان إلّا وهو على صورة الحقّ، غير أنّه في الإمام الأكبر؛ مجلاه أظهر، وأمره أعظم، وطاعته أبلغ.

واعلم أنّ الله -تعالى- لمّا شرع لعباده ما شرع؛ قسّم ما شرعه إلى فرض أوجبه على المكلّفين من عباده؛ وهو على قسمين: فرض أوجبه عليهم ابتداء من عنده؛ كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحجّ، والطهارة، وما أشبه ذلك مما أوجبه عليهم من عند نفسه. وفرضٌ آخر أوجبوه على

[1] ص ٤٤ب
[2] [الأنبياء : ١١٢]

أنفسهم، ولم يكن ذلك. فأوجبه الله عليهم[1]؛ ليؤجَروا عليه أجر الواجب الإلهيّ، وليُحَقِّق الله عندنا أنّ الإنسان على صورته؛ فإنّ الله أوجبَ على نفسه: نصرَ المؤمنين، والرحمة، وأمثال ذلك. هذا في حقّ العلماء بالله. وفي حقّ قوم؛ أوجبه عقوبة لهم حين أوجبوه على أنفسهم -كالنذر-[2] وزاحموا الربوبيّة في الإيجاب على نفسِه. فأوجبه عليهم ليعرّفهم أنّهم ليس لهم أن يوجبوا على أنفسهم؛ فيعرفون بذلك مقدارهم.

فالحقُّ -تعالى- لو لم يفعل ما أوجب على نفسه فِعلَه؛ لما تعلّق به ذمّ، ولا لوم؛ لأنّ رتبته تقضي بأنّه الفعّال لما يريد؛ ولهذا ما يتعلّق بإيجابه على نفسه حدّ الواجب. والعبد لمّا أوجب الله عليه ما أوجبه على نفسه؛ تعلّق به -إذا لم يقم بصورة ما أوجبه على نفسه- حدُّ الواجب كالواجب الأصليّ؛ إذا لم يقم به يعاقَب. فأجره عظيم، والعقوبة عليه عظيمة فيمن لم يقم به في الواجبين معًا. ثم ما جاء من الأفعال زائدا على صور الواجبات، سمّي ذلك: نافلة، أي زائدا على الواجب. فإن لم يكن لذلك الزائد عينُ صورةٍ في الفرائض؛ لم يكن نافلة. وكان ذلك عملا مستقلًا؛ له مرتبة في الأجر ليست للنوافل.

ثمّ مزج النشأة كما مزج نشأة المكلّف. فجعل في نشأة الفرائض سُنَنًا، وهي زوائد على الفرائض. وجعل في النوافل التي تطوّع العبد بها[3] من نفسه، من غير وجوب فرائض، في نشأة النوافل. ولهذا إذا لم يجيء بالفرائض يوم القيامة تامّة؛ يقول الله: «أكملوا لعبدي فريضته من تطوّعه» فما نقص من الفرض الواجب كمل من الفرض الذي في النوافل، وما نقص من سنن الفرض الواجب كمل من سنن النوافل. أُلْحِق كلّ شيء بمثله.

قال لي بعض الأرواح: فَلِمَ سُمّيتْ الغنائم أنفالا؟ قلنا: لا شكّ ولا خفاء، عند كلّ مؤمن عالم بالشرع؛ أنّ الله ما جعل القتال للمؤمن إلّا لتكون ﴿كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾[4] و﴿كَلِمَةَ الَّذِينَ

[1] ص ٤٥
[2] ثابتة في الهامش بقلم الأصل
[3] ص ٤٥ب
[4] [التوبة : ٤٠]

كفَرُوا السُفْلَى﴾ لتتميّز الكلمتان كما تميّزت القدمان. فإنّه خلق من كلّ شيء زوجين: ذاتاً وحُكماً. وعرّفتنا التراجمة عن الله، وهم رُسل الله، أنّ الله -تعالى- مِن وقت شرَعَ اللهُ الجهادَ والقتالَ والسبيَ أعطى المغانم للنار طعمةً أطعمها إياها وأوجبها لها. وكان من طاعتها لربّها أنّها لا تتناول إلّا ما أحلّ الله لها تناوله. وكان قد حرّم اللهُ عليها أكل المغنم إذا وقع فيه غُلول من المجاهدين. فكانت لا تأكل المغنم إذا غُلّ فيه؛ حتى يُردّ إليه ما كان أُخِذ منه؛ ليَخلص العمل للمجاهد.

فلمّا جاء الشرع المحمديّ زاد الله المغانم لأمّة محمد ﷺ طُعمة على ما أطعمهم من غير ذلك. فكانت تلك الطعمة التي أخذناها من النار؛ نافلة لهذه الأمّة. وما[1] أعطاها إياهم لكونهم جاهدوا؛ إذ لو كان ذلك حقّا لهم على الجهاد؛ ما وقعتْ لأحَدٍ لم يجاهد معهم فيها الشركة. فما هي فريضة للمجاهدين؛ وإنما هي طعمةٌ أطعمها اللهُ مَن ذكَر، وجعل لنفسه فيها نصيبا؛ لكونه نصرهم؛ فله نصيب في الجهاد.

فلمّا كان السببَ لكون الله جعل لنفسه نصيبا لِنصرته دين الله؛ اندرج في نصيب الله كلُّ مَن نصر دين الله، وهم الغزاة. فليس لهم إذا اعتبرتَ الآية إلّا الخمس من المغنم، ثمّ تبقى أربعة أخماس؛ فتُقسَّم مخمّسة أيضا: واحدُ الخمسة الرسولُ ﷺ، وبعد الرسول إذا فُقِدَ خليفةُ الزمان، والخمس الثاني لأهل البيت؛ قرابة رسول الله ﷺ، والخمس الثالث لليتامى، والخمس الرابع للمساكين، والخمس الخامس لابن السبيل. وقد ورد عن بعض العلماء، وأظنّه ابن أبي ليلى[2]، أنّ الحظّ الذي هو الخمس من الأصل كان رسول الله ﷺ يقبضه ويخرجه للكعبة، ويقول: «هذا لله» ثمّ يقسّم ما بقي. فلمّا كانت هذه الطعمة للنار؛ نقلها اللهُ لهذه الأمّة.

كما جعل في مال الإنسان الزكاة حقّا لأصناف مذكورين. فأوجب على أصحاب الأموال -على وجهٍ مخصوص- إخراجَها، وأوجب على الإمام أخذَها، ولم يوجب على[3] الأصناف أخذَها. فهم

1 ص ٤٦
2 محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى يسار بن بلال الأنصاري البغدادي الفقيه المحدث المتوفى سنة ١٤٨ ثمان وأربعين ومائة. صنف كتاب الفرائض. (هدية العارفين ١/٤٤٧) قاضى الكوفة من أصحاب الرأى له أخبار مع الإمام أبي حنيفة وغيره ومات بالكوفة. (موسوعة الأعلام ١/٤٩٠)
3 ص ٤٦ب

مخيَّرون في أخذ حقِّهم، وفي تركه كسائر الحقوق. فمن أخذها منهم أخذ حقَّه، ومَن ترك أخذَها؛ ترك حقَّه، وله ذلك.

واعلم أنّ الإمام هو المطلوب بعلم هذه التقاسيم والقيام بها.

مَا كُلُّ مَنْ حازَ الجَمَالَ بِيُوسُفِ	إنَّ الجَمِيْلَ هُوَ الإمامُ المُنصِفُ
إنْ كُنْتَ تُدْرِكُ ما تُرِيْدُ وتَشْتَهِي	أَنْتَ المُحَبَّبُ والمُبَرَّأُ يُوسُفُ

فإن غلب على ظنِّ الإمام أنّ المذكورين في قوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم﴾[1]، والتي في سورة "الحشر" التي فيها ذكر الأصناف حظّهم من المغنم الخمس خاصّة يقسّم فيهم هكذا، وما بقي فلبيت مال المسلمين يتصرّف فيه الإمام بما يراه؛ فإن شاء أعطاه المجاهدين على ما يريده من العدل والسّواء في القسمة؛ أو بالمفاضلة كما يفعل فيما بقي من المال الموروث بعد أخذ أهل الأنصباء ما عيَّن الحقُّ لهم، وأراد هذا الإمام أن يعود بما بقي على أُولي الأرحام من أهل الميّت؛ فيعطي أصحاب الأنصباء زائدا على أنصبائهم من كونهم أُولي أرحام الميّت. وإن غلب[2] على ظنّ الإمام أنّ الخمس الأصليّ[3] لله وحده، وما بقي فلمن سمّى الله -تعالى- وقد جعل الله للمجاهدين في سبيل الله نصيبا في الصدقات، وما جعل لهم في المغنم إلّا ما نفله له الإمام قبل القسمة، أو ما أعطاه بقوله: «مَن قَتل قتيلا فله سَلَبُه[4]».

وإنما عرض الكلامُ في مثل هذا في المنزل؛ لما فيه من الحظّ المنسوب إلى الله خاصّة؛ فما غرضنا ما هو الحكم في المغانم وقسمتها في علم الرسوم؟ وإنما المغانم عندنا في هذا الطريق (هي) ما حصل للإنسان من العلوم الإلهيّة التي أعطانا الله إيّاها عن مجاهدة، وجهاد نفس. كما أنّه للمؤمن تجارةٌ في نفس إيمانه، وهي التجارة المنجية من العذاب الأليم. فكلُّ علم حصل عن جهاد فهو مغنم، ويقسّم على ما تقسّم عليه المغانم. فالنصيب الذي لله -تعالى- منه: ما تعلّق به

1 [الأنفال : ٤١]
2 ق: "غلبت" والحرفان الأخيران مهملان
3 ص ٤٧
4 ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب وحرف ظ

الإخلاص، والذي لرسول الله منه: الإيمان به، والذي لذي القربى منه: المودّة فيهم، والذي لليتامى منه: هو ما حصل من العلم قبل بلوغ العامل إلى الغاية.

وَصْلٌ

والغايةُ حدُّها (هو) الذي يغنيه عن إضافة العمل إليه. فإنّ الصبيَّ قبل البلوغ؛ حركته وأفعاله إليه. فإذا بلغ؛ رجع حكم الأفعال منه إلى الله، بعد ما كانت إليه. والنبيّ ﷺ يقول: «لا[1] يُتم بَعْدَ حُلُم» فكلّ ما حصل له قبل البلوغ؛ فهو حقّه الذي له من نفسه؛ إذ عيَّنه الله له. والذي للمساكين فهو الحظّ الذي حصل لهم بالعجز وعدم المقدرة وسلْب القوّة فإنّ الله هو ﴿ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[2]. والذي لابن السبيل فهو الحظّ الذي له من حيث إنّه ابنٌ للطريق إلى الله؛ فإنّ النبيّ ﷺ يقول: «إنّ للدنيا أبناء وللآخرة أبناء؛ فكونوا من أبناء الآخرة» وهم أبناء السبيل «ولا تكونوا من أبناء الدنيا».

فأمّا صورة الإخلاص في العمل فهو أن تقف كشفا على أنّ العاملَ لذلك العمل هو الله، كما هو في نفس الأمر؛ أيّ عمل كان. وكون ذلك العمل مذموما، أو محمودا، أو ما كان؛ فذلك هو حكم الله -تعالى- فيه، ما هو عين العمل. وصحّ في الخبر أنّ الله -تعالى- يقول: «من عمل عملا أشرك فيه غيري فأنا منه بريء وهو الذي أشرك». فنكّر العمل، وما خصّ عملا من عمل. والضمير في "فيه" يعود على العمل، والضمير في "منه" يعود على الغير الذي هو الشريك، وضمير "هو" يعود على المشرك. فإنّ الله لا يتبرّأ من العمل؛ فإنّه العامل بلا شكّ، وإنما تبرّأ من الشريك؛ لأنّه عدمٌ والله وجود. فالله بريء من العدم؛ فإنّه لا يلحقه عدم[3]، ولا يتّصف به؛ فإنّه واجب الوجود لذاته؛ فالبراءة صحيحة. وكذلك في قوله: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[4] فهو أيضا تبرّأ من الشريك؛ لأنّ الشريك ليس ثَمّ؛ فهو عدم؛ لأنه قال:

١ ص ٤٧ب
٢ [الذاريات : ٥٨]
٣ ص ٤٨
٤ [التوبة : ١]

﴿مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

فإخلاص العمل لله هو نصيب الله من العمل؛ لأنّ الصورة الظاهرة في العمل إنما هي في الشخص الذي أظهر الله فيه عملَهُ. فيلتبس الأمر للصورة الظاهرة، والصورة الظاهرة لا نشكّ أنّ العمل بالشهود ظاهر منها؛ فهي إضافة صحيحة. فلهذا نقول: إنّه عينُ كلّ شيء من اسمه الظاهر.

وهنا دليلٌ خفيٌّ؛ وذلك أنّ البصر- لا يقع إلّا على الآلة؛ وهي مصرّفة لأمر آخر لا يقع الحسّ عليه؛ بدليل الموتِ ووجود الآلة وسلْب العمل. فإذَنْ الآلة ما هي العامل، والحِسُّ ما أدرك إلّا الآلة. فكما علِم الحاكم أنّ وراء المحسوس هو العامل بهذه الآلة والمصرِّف لها، المعبَّر عنه عند علماء النظر العقلي بالنفس العاقلة الناطقة أو الحيوانيّة؛ فقد انتقلوا إلى معنى ليس هو من مدركَات الحِسّ؛ فكذلك أدرك أهل الكشف والشهود في الجمع والوجود في النفس الناطقة، ما أدرك أهل النظر[1] في الآلة المحسوسة سَوَاء؛ فعرفوا أنّ وراء النفس الناطقة هو العامِل؛ وهو مسمّى "الله" والنفس في هذا العمل كالآلة المحسوسة سَوَاء عند أهل الله وعند أهل النظر العقلي. ومتى لم يُدرِك هذا الإدراك؛ فلا يتّصف عندنا بأنّه أخلص في عمله جملة واحدة -مع ثبوت الآلات وتصرُّفها- لظهور صورة العمل من العامل. فالعالَم كلّه آلاتُ الحقّ فيما يصدر عنه من الأفعال لقوم يعلمون.

وقال رسول الله ﷺ فيما صحّ عنه: «أتدرون ما حقُّ الله على العباد؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإنّ حقّ الله على العباد أن يعبدوه لا يشركوا به شيئا» ثمّ قال: «أتدرون ما حقّهم عليه إذا فعلوا ذلك؟ أن يدخلهم الجنّة» فنكّر ﷺ بقوله: «شيئا» ليدخل فيه جميع الأشياء، وهو قوله -تعالى-: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[2] فنكّر "أحدا" فدخل تحته كلّ شيء له أحديّة، وما ثَمّ شيءٌ إلّا وله أحديّة، وذكر "لقاء الله"

١ ص ٤٨ب
٢ [الكهف : ١١٠]

(ليدلّ) على حالة الرضا من غير احتمالٍ بما ذكره رسول الله ﷺ وذلك في الجنّة؛ فإنّها دار الرضوان. فما كلُّ مَن لقي الله سعِد؛ فالمَواطن لها الحكم في ذلك؛ بما جعل الله فيها.

وكذلك قوله -تعالى-[1]: ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾[2] فجعل الذي يصيبه منّا التقوى. فقد أعلمَ الحقُّ عبادَه بنصيبه مما هم عليه وفيه في كلِّ شيء، وعهد إلى عباده ذلك، فقال: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾[3] فحظُّه منكم أن تفُوا له -تعالى- بما عهدكم عليه، وهو قوله ﷺ في الصلوات الخمس: «فمن أتى بهنّ لم يُضيّع من حقّهنّ شيئاً؛ كان له عند الله عهد أن يدخله الجنّة»، والصلاة مناجاة الله على القسمة التي شرع بينه -تعالى- وبين عباده. فمن أعطاه قِسمه منها، وأخذ منها قِسمه؛ فقد أعطاه حقَّه ونصيبَه. فإذا كان الله -تعالى- مع اتّصافه بالغنى عن العالمين قد جعل له -فيما يكون للعالَم ويُفتقر إليه- نصيبا يأخذه وقِسما عيّنه؛ فما ظنُّك بمن أصله الفقر والمسكنة في ظهور عينِه، لا في عينه ووجوده وما هو فيه؟. وإنما قلنا: "لا في عينه" لأنّ أعيانها لأنفسها ما هي بجعْل جاعل، وإنما الأحوال التي تتصرّف عليها -من وجود، وعدم، وغير ذلك- فيما يقع الفقر إلى من يُظهِر حكمَها في هذه العين، فاعلم ذلك.

فمن طلب حقَّه واستقصاه فلا يُلام، ولكن لمّا شرع[4] لنا في بعض الحقوق أنّا إذا تركناها كان أعظم لنا، وجعل ذلك من مكارم الأخلاق وناط ما في ذلك من الأجر به -تعالى- وهو قوله ﷻ: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾[5].

ومَن طلب حقّه، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾[6]؛ فكذلك يفعل مع عباده فيما ضيّعوه من حقّه وحقوقه؛ يعفو ويصفح ويصلح؛ فيكون المآل إلى رحمة الله في الدارين؛ فتعمُّهم الرحمة حيث كانوا، ولكن لا يستوون فيها. قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ

١ ص ٤٩
٢ [الحج : ٣٧]
٣ [البقرة : ٤٠]
٤ ص ٤٩ب
٥ [الشورى : ٤٠]
٦ [الشورى : ٤١]

الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[1] كما لم يُسَوِّ -تعالى- بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون.

فالكاملُ من العباد مَن لم يترك لله عليه ولا عنده حقّا إلّا وفّاه إيّاه في كلّ شيء له فيه نصيب؛ أعطاه نصيبه على حدّ ما شرع له. فإذا وفّاه؛ رَدَّ عليه جميع ما ذكر أنّه له بالشرع. فإذا وفّى الله له بعهده؛ فيأخذه منه امتنانا وابتداء فضل، لا جزاء. ولا يكون هذا إلّا من العلماء بالله الذين يعلمون الأمرَ على ما هو عليه؛ وهم أفرادٌ من الخلق لا يعلمهم إلّا هو. فقد نبّهتك على أكمل الطرق في نيل السعادة التي ما فوقها سعادة.

ومع هذا -يا أخي- وبعده فالأمر عظيم، والخطبُ جسيم[2]، والإشكال فيه أعظم؛ ولهذا جعل أهلُ الله الغايةَ في الحَيرة؛ وهو العجز. وهذا القدر كافٍ في العلم بأنّ لله حقّا ونصيبا عند عباده يطلبه منهم بحكم الاستحقاق، ويطلب منهم أيضا حقوق الغير بحكم الوكالة، كما قال: ﴿وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾[3] بحكم الوكالة؛ فيربّيها ويثمّرها. فهو وكيلٌ في حقّ قوم تبرّعا من نفسه رحمةً بهم، وإن لم يوكّلوه. وفي حقّ قوم وكيل بجعلهم كما أمرهم أن يتّخذوه وكيلا؛ وإلّا فليس للعبد من الجُرأة أن يوكّل سيّده. فلمّا تبرّع بذلك لعباده، ونزل إليهم عن كبريائه بلطفه الخفيّ؛ اتّخذوه وكيلا؛ وأورثهم هذا النزول إدلالا.

وأمّا حديث: «ما يقبل الله من صلاة عبده إنّه لا يقبل منها إلّا ما عقل» يريد أنّه يعضد أداء حقّ الله -تعالى- فيما تعيّن عليه، وجعل أكثره النّصف؛ وهو الحدُّ الذي عيّنه له من صلاة عبده، وأقلّه العُشر، فقال: عُشرها، تُسعها، ثُمنها، سُبعها، سُدسها، خُمسها، رُبعها، ثُلثها، نِصفها. وما ذكر النصيب إلّا في الفاتحة؛ فعلِمنا المعنى؛ فعمّمناه في جميع أفعال[4] الصلاة وأقوالها، بل في جميع ما كلّفنا من الأعمال.

١ [الجاثية : ٢١]
٢ ص ٥٠
٣ [التوبة : ١٠٤]
٤ ثابتة في الهامش بقلم الأصل

فأمّا ما عيَّنه؛ فهو ما انحصرتْ فيه[1] الفاتحة، وهي تسعة أقسام: القسم الأوّل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾[2] الثاني: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[3] الثالث: ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾[4] الرابع: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[5] الخامس: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ السادس: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[6] السابع: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[7] الثامن: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ التاسع: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾[8]. فالخاسِرُ الساهي عن صلاته مَن لم يَحْضُرْ مع الله في قسم واحد من هذه الأقسام التي ذكرناها في الفاتحة، وهي التي ذكر الله في القبول من العُشر إلى النِّصف.

فمن رأى أنّ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ آية منها ولا يفصلُها عنها، فالقسمة على ما ذكرناها في الفاتحة؛ فإنّ حكمَ الله في الأشياء حُكمُ المجتهد؛ فهو معه في اجتهاده. ومن أدّاه اجتهاده إلى الفصل -فَصْل البسملة من الفاتحة، وأنّ البسملة ليست آية منها- جعل الله له الجزء التاسع ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾. والبسملة أَحَقُّ وأَوْلَى؛ فإنّها من القرآن بلا شكّ عند العلماء بالله. وتكرارُها في السور مثلُ تكرار ما تكّرر في القرآن من سائر الكلمات.

وما زاد على التسعة فعقله في التلاوة؛ حروفَ الكلمة. فقد يَعقل المصلّي حرفا من حروف الكلمة، ثمّ يغفل عن الباقي. فهذا معنى قوله العامّ: «أنّه[9] لا يقبل إلّا ما عقل منها» فالعاقل مَن أتى بها كاملة ليقبلها الله كاملة، ومَن انتقص منها شيئا في صلاته جُبرت له من قراءته الفاتحةَ في نوافله من الصلاة؛ فليكثر من النوافل. فإن لم تَفِ قراءتها في النوافل؛ فما نَقَصه من قراءة الفاتحة في الفريضة؛ أُكملت له من تلاوته بحضورٍ في غير الصلاة المعيّنة، وإن كان في جميع أفعاله في صلاة؛ فإنّه قد يكون من ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾[10] وهم الذاكرون الله على كلّ

١ ص ٥٠ب
٢ [الفاتحة : ١]
٣ [الفاتحة : ٢]
٤ [الفاتحة : ٣]
٥ [الفاتحة : ٤]
٦ [الفاتحة : ٥]
٧ [الفاتحة : ٦]
٨ [الفاتحة : ٧]
٩ ص ٥١
١٠ [المعارج : ٢٣]

أحيانهم؛ فهم يناجونه في جميع الأحوال كلّها.

فحظُّ الله من جميع ما كلَّف عبادَه (هو) ما فرض عليهم، ونصيبُ العباد من الله (هو) ما أوجبه الحقُّ لهم على نفسه، والنافلة للنافلة في كلِّ ذلك.

وأمّا حظّ الرسول ﷺ من هذه المسألة (هو) بتصديقه، والإيمان به، وبما جاء به. فمما يحقّقه: الإيمانُ أنّ خيرَ الأزمان زمانُ الصلاة والأذان، وخير الشفاعة والكلام (هو) ما أذن فيهما الرحمن. هذا مما جاء به رسولُ الحقّ إلينا، ووفد به مقيّدا علينا. فتدلّى حين تجلّى، وما أصعق؛ بل أيقظ مَن تحلّى ليتجلّى؛ وأقبلَ وما أَعرضَ وتولّى. فأمّا التصديق به فلخبر الحقّ بأنّه رسولٌ منه إلينا، وهو الوجيه المقرَّب. وأمّا الإيمان بما جاء به فلإخباره عن الحقّ. ففرِّق بين إخبار الحقّ في الإيمان به وبين إخباره عن الحقّ فيما[1] جاء به.

فلا يؤمن به إلّا مَن خاطبه الحقُّ في سِرّه، وإن لم يشعر به المخاطَب ولا يَعرف مَن كلَّمه؛ وإنما يجد التصديق به في قلبه. وأهل الكشف والحضور يعرفون عن سماعٍ بآذانٍ وقلوبٍ كلامَ الحقّ بأنّ هذا رسولٌ من عنده؛ فيؤمنون به على بصيرة. ولا يؤمن بما جاء به هذا الرسولُ إلّا مَن خاطبه الرسولُ في سِرّه، وإن لم يشعر به المخاطَب ولا يَعرف مَن كلَّمه؛ وإنما يجد التصديق بما جاء به في قلبه. وأهلُ الكشف والحضور يعرفون عن سماعٍ بقلوبٍ وآذانٍ وأبصارٍ كلامَ الرسول بأنّ هذا جاء من عند الله ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[2] فيؤمنون به على بصيرة.

وإنما قلنا: فيما جاء به الرسول: "وأبصار"، ولم نقل ذلك في سماع كلام الحقّ؛ لأنّ الرسول إذا رأيناه؛ (فقد) رأيناه، والحقُّ -تعالى- ليس كذلك: إذا رأيناه؛ فما رأيناه، ورأيناه وما رأينا إلّا منزلتَنا وصورتَنا منه؛ فلهذا لم نقل في تصديق خبره إذا كلَّمنا: "وأبصار" وما جئنا بالقلوب والآذان إلّا لمجرّد الخبر خاصة، لا لكون الحقّ تكلَّم به؛ فإنّ إدراك القلوب والآذان والأبصار

١ ص ٥١ب
٢ [النساء : ٨٢]

للحقّ على السَّواء؛ ما أدرك واحد من العالَم -أيّ إدراكٍ كان، من هذا وغيره- إلّا منزلتَه من الحقّ وصورتَه خاصّة؛ فما أدركه. فذكرنا القلوب، من[1] كونها سامعةً، والآذان؛ للخبر خاصّةً؛ تنبيها على ما ذكرناه وبيّنّاه. فإذا علمتَ هذا فقد وفّيتَ اللهَ والرسولَ ما تعيّن عليك من الحقّ أن تؤدّيه لله ولرسوله. فإنّ هذه المسألة غلطوا فيها، جماعة من أهل الله، إذ لم يخبِروا بها عن الله؛ فكيف علماء الرسوم؟

فمن تكلّم فيها، من طريق الإيمان؛ فلا يتكلّم فيها إلّا بما تكلّمنا به؛ فإنّه يتكلّم عن ذوقٍ. ولهذا ترى شخصين، بل ثلاثة أشخاص؛ يشهدون المعجزة على يدي الرسول التي[2] أبرزها الحقُّ في معرض الدلالة على صِدقه فيما جاء به والتصديق به نفسه. فشخص من الثلاثة تيقّن أنّه الحقّ وجحده، والشخص الثاني لم تقم عنده تلك الدلالةُ دلالةً؛ لجَهْلِه بموضع الدلالة منها، والثالث آمن وصدَّق. والمجلس واحد، والنظر بالبصر واحد، والإدراك في الظاهر واحد. فعلِمنا أنّ الذي آمن وصدَّق لولا تجلّي الحقّ لِقلبه، وتعريفه إيّاه بغير واسطة؛ ما آمن به ولا صدَّق، وكان مِثلَ صاحبه. وكذلك في إيمانه بما جاء به؛ لولا تجلّي الرسول بقلبه وتعريفه إيّاه بغير واسطة؛ ما آمن بما جاء به ولا صدَّق، وإن لم يشعر المؤمن ولا يدري كيف آمن.

فما كلُّ مؤمن يعرف من أين حصل له الإيمان، ولا سيما وقد رأينا وبلغ إلينا أنّ بعض مَن آمن برسول الله عندما[3] رآه وسمع دعوته، ولم يَرَ له معجزة ولا دلالة؛ بل وجد في نفسه أنّه صادق في دعواه؛ فآمن به من حينه، وما تلكّأ، ولا تلعثم؛ فما كان إلّا مما ذكرناه من التجلّي لقلبه ولا يشعر أنّ ذلك عن تجلٍّ. وبهذا القدر زاد أهلُ الكشف على غيرهم من المؤمنين، ولولا كشفُهم للأمور ما فصّلوها إلى كذا وإلى كذا. فحظُّ الرسول أن يُلحقه بربّه في نفسه، وفيما جاء به من عنده.

وأمّا حظّ اليتامى من هذا العلم؛ فإنّه على الحقيقة أوانُ بلوغ الخروج عن الدّعوى فيما كان

١ ص ٥٢
٢ ق: "الذي" وصححت في الهامش بقلم الأصل
٣ ص ٥٢ب

لك. فحظُّك قبل مجيء هذا الزمان أن تضاف أفعالُك لك، ولا يُعترض عليك، ولا تُسلب عنك، ولا تحجير عليك. فإذا بلغ أوان الحكم[1] صرتَ محجورا عليك، ووقع التقييد في جميع حركاتك، وتوجّهتْ عليها أحكام الحقّ؛ لأنّها أفعاله ظهرتْ فيك؛ ولولا ما ظهرتْ فيك ما تعلّق بها هذا الخطاب، ولا هذا التحكيم. ومعنى "ظهرتْ فيك" هو عين دعواك أنّ الأفعال لك. فأراد الحقّ، بالتحجير بما كلّف، أن يعرّفك بأنّ هذه الأفعال لو كانت لك مِلكا محقَّقا؛ ما جاز لي أن أتصرّف فيما لك، وليس لي. وسبب ذلك أنّ أوان بلوغ العقل قد حلّ، واستحكام العقل والنظر قد حصل. فكان ينبغي لك، بما أعطاك الله من العقل، أن ترى أفعالك، التي[2] أنت محلٌّ لظهورها منك (هي) لله -تعالى- ليست لك. فلو حصل لك هذا ابتداء؛ ما كلّفك ولا حجرها عليك في هذه الدار. ألا ترى (أنّ) مَن لم يستحكم عقله؛ ما حجر عليه، ولا كلّفه؛ وهو المجنون الذي ستر عنه عقله أن يكون له حكم فيه، وكذلك النائم، وكلّ مَن لم يتّصف بالعقل؟

ولمّا وصل (الإنسان)، في هذه الدار، إلى الحدّ الذي أوجب عليه التكليف؛ بقيام هذه الصفة (فإنّه) إذا كُشف عنه الغطاء في هذه الدار؛ لم يرتفع عنه التحجير ولا خِطاب الشرع (ويعود ذلك) لحكم الدار، لا لحكم الحال؛ لأنّه كان يعطي القياسُ ارتفاعَ التحجير عمّن هو بهذه الصفة، ولكن لا بدّ للدار مِن حُكم؛ كما نفعل بأطفال المشركين والكفّار؛ نلحقهم بآبائهم للدار، وإن علِمنا أنّهم على الفطرة وما أشركوا ولا كفروا؛ فللدار حكم. فإذا جاء وعد الآخرة، وانتقلنا إليها؛ خرجنا عن حكم الدار؛ فارتفع عنّا التكليف في دار الرضوان، وأختها.

كذلك مَن أطلعه الله -هنا، في هذه الدار- على سعادته، وأطلعَ آخر على شقاوته؛ لم تُسْقِطْ هذه المطالعة عنهما التحجيرَ ولا التكليفَ؛ لأنّ أصل وضع النواميس في هذه الدار؛ إنما هو لمصلحة الدنيا والآخرة؛ فمن المحال رفع التحجير ما دامت الدنيا ودام مَن فيها، فيها. فلولا هذا لكان مَن كُشِف عنه الغطاء ارتفع[3] عنه التحجيرُ؛ لأنّه لا يرى فاعلا إلّا الله؛ والشيء لا يَحْجُرُ

١ هكذا في ق، س، ويبدو إنها: "الحلم" كما في هـ
٢ ص ٥٣
٣ ص ٥٣ب

على نفسه. وإن أوجب (اللهُ) على نفسه ما أوجب؛ فذلك تأنيس لنا فيما نوجبه على أنفسنا لنا. فإن أوجبناه له؛ أوجبه علينا؛ لنتميّز؛ فنعصي بتركه. ولو ترك الحقّ ما أوجبه على نفسه؛ لم يكن له هذا الحكم (أي ترك ما أوجبه علينا بسبب إيجابنا له)؛ فإنّ هذا الحكم لا يتعلّق -بمن تعلّق به- إلّا من حيث أنّ الغير أوجبه. فلولا ما أوجبه الحقُّ علينا حين أوجبناه على أنفسنا؛ لم نكن عُصاة إذا تركناه. فإذا وفّى به -لم يوجبه[1] عليه غيرٌ- فمنّةٌ منه، وفضل، ومكارم أخلاق.

فإن قلت: هذا إذا كان في الخير؛ فإن كان شرًّا؟ قلنا: ما ثَمّ إلّا خير. والخير على قسمين: خير محض؛ وهو الذي لا شَرّ فيه، وخير ممتزج؛ وهو الذي فيه ضَرْبٌ من الشرّ؛ كما بيّنّاه من شرب الدواء الكرِه، وكالمؤمن إذا عصى- وأطاع؛ فإنّ المؤمنَ لا تخلص له معصية دون طاعة أصلا. فإنّ الإيمان بكونها معصية (هو) طاعة. وفي هذا تنبيهٌ لمن كان له قلبٌ. فيرجع الأمر في الآخرة إلى الأمر الذي كان عليه اليتيم قبل البلوغ.

وإنما قلنا: "في اليتيم" -وكلّ صبيّ دون البلوغ كذلك، مع كونه ليس بيتيم- لأنّ اليتيمَ في تدبير وليّه، والوليُّ اللهُ؛ لأنه وليّ المؤمنين. وغير اليتيم في تدبير أبيه؛ فلا ينظر إليه مع وجود أبيه؛ لأنّ الفرع يستمدُّ من[2] أصله الأقرب. ألا ترى الثمرة لا تعرف لها أصلًا إلّا فرع الشجرة؛ لأنّها من الفرع تستمدّ، والفرع يعرف الأصل الذي تجهله الثمرة؟ واليتيم قد علِم أنّ أباه قد درج؛ فانكسر قلبُه، ولم يكن له أصلٌ يدلّ عليه. فعرّفه العلماء بالله أنّه ليس له إلّا مَن كان لأبيه؛ وهو اللهُ؛ فيرجع إلى الله في أموره.

فلمّا كان حالُ اليتيم مع الله في نفسه بهذه المثابة؛ جعل الله له حظًّا في المغنم؛ ليتوفّر عليه ما هو له؛ وهو ما يرى الصبيّ من إضافة الأفعال إليه، وعدم التحجير عليه فيها. «فمن يمسح على رأس يتيم؛ كان له بكلّ شعرة حسنة»، وليس ذلك لغير اليتيم.

وحُكْمُ المسكين حُكْمُ اليتيم من عدم الناصر الظاهر. فقوّى الله ضعفَه، أي زاده الله ضعفًا

١ ق: نوجبه
٢ ص ٥٤

إلى ضعفه. فإنّ المخلوق ضعيف بحكم الأصالة، فإذا زاده ضعفا إلى ضعفه كان مسكينا؛ فما تكون له صولة. فإن صال وهو مسكين فقد أبغضه الله؛ فإنّه ظهر منه ما يخالف حاله؛ فقد كلّف نفسه ما لا يقتضيه مقامه، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يكلّمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم: مَلِكٌ كذّاب، وشيخ زانٍ، وعائل مستكبِر» أي قد بالَغَ في التكبّر[1]. كما أنّ المسكين قد بالغ اللهُ فيه بالضعف. فإنّه، مِن كونه مسكينا، صاحب ضَعفين: ضَعف الأصل، وضَعف الفقر؛ فلا يقدر يرفع رأسَه لهذا الضعف. بخلاف ربّ المال؛ فإنّه يجد في نفسه قوّة المال. وبهذا سمّي المال مالا؛ لأنّه يميل بصاحبه، ولا بدّ؛ إمّا[2] إلى خيرٍ وإمّا إلى شرّ، لا يتركه في حال اعتدال.

فالمسكين مَن سَكن تحت مجاري الأقدار، ونظر إلى ما يأتي به حكم الله في الليل والنهار، واطمأنّ بما أجرى الله به وعليه، وعلِم أنّه لا ملجأ من الله إلّا إليه، وأنّه الفعّال لما يريد، وتحقّق بأنّ قِسمه من الله؛ ما هو عليه في الحال؛ فجبر الله كسرَه بقوله: «أنا عند المنكَسِرة قلوبهم» فإنّك إذا جئتَ لمن انكسر قلبُه؛ ما تجِد عنده جليسا إلّا الله: حالا، وقولا. فجعل له حظًّا عليه في المغنم، وإن لم يكن له فيه تعمُّل. فخدمه غيرُه، ونال هو الراحة بما أوصل الله إليه من ذلك، مما جهد فيه الغيرُ وتعِب.

كالمؤمن الذي لا عِلم له، وهو من أهل الجنّة، فيرى منازل العلماء بالله وهو في الموقف؛ فيتحسّر ويندم. فيعمد الله إلى مَن هو مِن أهل النار من العلماء؛ فيخلع عنه ثوب علمه، ويكسوه هذا المؤمنَ ليرقى به في منزله ذلك العلمُ من الجنّة. لأنّه لكلّ علم منزلة في الجنان، لا ينزل فيها إلّا مَن قام به ذلك[3] العلم. لأنّ العلم يطلب منزلته من الجِنان، والعالِم الذي كان له هذا العلم هو من أهل النار الذين هم أهلها، والعلم لا يقوم بنفسه فينزل بنفسه في تلك المنزلة، فلا بدّ له من محلّ يقوم به؛ فيخلعه الله على هذا المؤمن السعيد الذي لا علم له؛ فيرقى به العلمُ إلى

١ ص ٥٤ب
٢ ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٣ ص ٥٥

منزلته. فما أعظمها من حسرة.

ولكن بقي عليك أن تعرف أيّ علمٍ يُسلَبه هذا الذي هو من أهل النار؟ وذلك أنّه إذا كان على علم في نفس الأمر، إلّا أنّه قد دخلتْ عليه في الدنيا فيه شبهة: فإمّا حيّرته فهو في محلّ النظر، وإمّا أزالته عنه مع علمه بما كان عليه، غير أنّه اعتقد فيه في الدنيا أنّه جهلٌ. فإذا كان في الآخرة علِم أنّه عِلم. فذلك العلم هو الذي يُسلب، ويُخلع على هذا الذي ليس بعالم وهو من أهل الجنّة.

وإذا كان الأمر على ما ذكرناه، فإنّ الله لا يبقي في الدنيا، عند الموت، عند أهل النار[1] الذين هم أهلها، سِوَى العلم الذي يليق أن يكون عليه أهل النار. وما عدا ذلك من العلوم التي لا تصلح أن تكون إلّا لأهل الجنّة، يُدْخِل الله بها على العالِم بها[2]، في الدنيا أو عند الاحتضار، شبهةً يخطرها له؛ تزيله عن العلم، أو تحيّره؛ ثمّ يموت على ذلك، وكان ذلك في نفس الأمر علما؛ فهذا الصنف من العلم هو[3] الذي يُخلع على أهل الجنان إذا لم يتقدّم لهم علمٌ به في الدنيا. ويطمع فيه مَن قد كان عَلِمه من أهل النار، فتقام عليه الحجّة؛ بأنّه مات على شبهة. فهذا حظّ "المسكين" من المغنم. فإنّ ذلك الذي سُلِب عنه في الدنيا بالشبهة جاهد نفسه وتعب؛ فلمّا غنم، ودخلت الشبهة؛ كان حظّ "المسكين" ذلك العلم.

وأمّا "ابن السبيل" فأبناء السبيل هم أعلى الطوائف عند الله[4]؛ فإنّ الابن لا يقدر أن ينتفي عن أبيه. وإنما سمّي ابن السبيل لأنّه علِم أنّ المنزل محال، وأنّ الاستقرار على أمر واحد محال؛ لا في حقّ نفسه، ولا في حقّ تجلّي ربّه، بل ولا في حقّ ربّه؛ لأنّه، في شأن خلقه والأمر فيهم، جديد دائما أبدا. ومَن لم يستقرّ به قدم، فلا بدّ أن يكون ماشيا، أي متحرّكا، ولا يتحرّك إلّا في طريقٍ، وهي السبيل، والمشي له دائما دنيا وآخرة؛ فهو ابن السبيل دنيا وآخرة.

١ ق: "الله" وفي الهامش بقلم آخر، مع حرف ظ: "النار" كما هي كذلك في هـ، س
٢ مضافة بين السطرين
٣ ص ٥٥ب
٤ "عند الله" أثبتناها من هـ، سْ فقط

ولمّا كان متفرّغا لسبيله، مشغولا به، مسافرا فيه؛ والمسافر لا بدّ له مِن زادٍ؛ فجعل الله له نصيبا من المغنم؛ فالحقُّ يغذِّيه بما ليس له فيه تعمُّل. وقد يكون ابن السبيل -في هذه الآية- عين المجاهد، ويكون السبيلُ -من أجل الألف واللام اللتين للعهد والتعريف- سبيلَ الله التي قال الله فيها: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[1] يعني الشهداء الذين قتلوا في الجهاد. فيكون، أيضا، حظُّ المجاهِد من[2] المغنم القَدْرَ الذي عيّن الله لابن السبيل، وهو معروف، سِوَى ما له في الصدقات. فاعلم ذلك فإنّه تنبيه حسن إن كنتم آمنتم بالله وما أنزل الله على عبده يوم الفُرقان.

ففرّق بما أعلمه الله بين القبضتين بالكلمتين اللتين ظهرتا في الكرسيّ بالقدمين. إذ كان أهل الله، وهم أبناء الآخرة أبناء السبيل ﴿بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا﴾ إلى الله لمحلّ القربة والمكانة الزلفى من الله ﴿وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى﴾ عن الله، وهم أبناء الحياة الدنيا وأبناء سبيلها ﴿وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾[3] فجعل السفل لهم إذ كانت ﴿كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى﴾ ومَن كان أسفل منك فأنت أعلى منه؛ لأنّكم أهل الله الذين لهم السعادة؛ إذ كانت ﴿كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾[4] وكلّ هذا بحكم الله وقضائه؛ لا لِيَدٍ تقدّمتْ؛ بل لعناية إلهيّة سبقتْ. يقول الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾[5].

أَلَا إنّ أَهْلَ اللهِ بِالعُدْوَةِ الدُّنْيَا ... كَمَا أَنّ أَهْلَ الشِّرْكِ بِالعُدْوَةِ القُصْوَى
فإنّ الّذِي أَقْصَاهُ يَمْتَازُ بِالسُّفْلَى ... وإنّ الّذِي أَدْنَاهُ قَدْ فَازَ بِالعُلْيَا
أَلَا تَلْحَظَنَّ الرَّكْبَ أَسْفَلَ مِنْهُمُ ... فَكُلُّ فَرِيقٍ فِي مَكَانَتِهِ أَوْلَى[6]

ولمّا[7] رأينا أنّ الله قد اختصّ بالخُمس في هذا الموطن، وفي قِسمةِ هذا النوع الذي هو

١ [آل عمران : ١٦٩]
٢ ص ٥٦
٣ [الأنفال : ٤٢]
٤ [التوبة : ٤٠]
٥ [الأنبياء : ١٠١]
٦ "في مكانته أولى" كتب تحتها بقلم الأصل من غير إشارة الاستبدال: "من مكانته أدنى"
٧ ص ٥٦ب

المغنم؛ علِمنا أنّ الله ما راعى من الأقسام التي تُعتبر في العالم إلّا مراعاة الجيش عند اللقاء، من كونه ﷺ مَلِكًا قاهرا، حين أثبتَ له أعداء ينازعونه. وتقسيم الجيش عند اللقاء على خمسة أقسام: قلبٌ؛ وهو موضع الإمام، وهو الذي اصطفاه الله من نشأة عبده، حين قال: «وسعني قلب عبدي» وما بقي فميمنة، وميسرة، وتقدمة، وساقة. فلهذا كان الخمس لله، والأربعة الأخماس الباقية لمن بقي. فإنّ العدوّ الذي نصبه الله، أخبرَ اللهُ أنّه يأتي من بين أيدينا ومن خلفنا؛ فتلقاه التقدمة والساقة، وعن أيماننا؛ فتلقاه الميمنة، وعن شمائلنا؛ فتلقاه الميسرة. وليس للعدوّ غرض إلّا في القلب ليزيل مَلِكَ الجيش من القلب، ما له غرض إلّا في هذا.

فذبّ الله عن قلب العبد، الذي هو موضع نظره الذي وسعه، بهؤلاء الذين رتّبهم في هذه الأماكن التي يدخل العدوُّ منها؛ فعليه يقاتل هذا الجيش، وهو قوله ﷺ: «إنّ الذي يقاتل في سبيل الله هو الذي يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى» وهم الأعداء. فهو يمدُّهم من القلب في الباطن، وهم يذبّون عنه من الظاهر من الجهات التي[1] يطلب العدوّ الفرصة فيها. فمن هنا كان له (تعالى) الخمس من المغنم الذي نصّ عليه أنّه نصيبه؛ لأنّه ناصِرُ المؤمنين على أعدائه؛ والجيش ناصِر دينه ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾[2] فما لهم قلب ينصرهم.

إنّ للهِ نَصِـــيبًا وافِـــرَا ... هُوَ خُمْسُ الفيْءِ مِنْ غَيْرِ مَزِيدْ
فَـلَهُ القَلْـبُ الذِي يَعْمُـرُهُ ... وَهُـوَ العَـرْشُ الإِلَهِـيُّ المَجِيـدْ
والذِي يَبْقَـى فَقَـدْ قَسَّـمَهُ ... اختِصاصًا مِنْهُ فِي بَعْضِ[3] العَبِيدْ
فـالذِي حـازَ الذِي سَـطَّرَهُ ... قَلَمِي فـازَ بِمَا يُعْطِي الوُجُودْ
فَرَسُـــــولٌ أَوْ وَلِيٌّ وَارِثٌ ... مـا لَهُ فِي عِلْمِنـا غَـيْرُ الشُّـهُودْ
والذِي يَعْلَمُـــهُ اللهُ فَمَـــا ... لِيَ عِـلْمٌ فِيْـهِ إِلّا أَنْ يَجُـودْ

١ ص ٥٧
٢ [محمد : ١١]
٣ رسمها في ق يقرب من: نفض، نقض

وفي هذا المنزل: عِلْمُ هل يتعلّق العلم الواحد بجميع المعلومات؟ أو[1] لكلّ معلوم عِلم؟ أو يختلف بالنِّسبة إلى العالِم؟ وما هو العلم: هل هو ذات العالِم؟ أو صفة قائمة به؟ أو نِسبة: ما هي ذات العالِم، ولا صفته؟

وفيه عِلْمُ ما تؤدّي إليه المناسبات بين الأشياء من التألّف والاجتماع.

وفيه عِلْمُ مَن عمل بعملك فهو منك.

وفيه عِلْمُ الاستناد، وحماية المستند، ومشاركته في المشقّة، وترك ما يرى تركه وإن كان محبوبا لك، والإيمان الذي لا يزلزله شيء.

وفيه عِلْمُ ما توجبه مكارم الأخلاق على مَن قامت به؟ وعِلْمُ المقامات، وما يختصّ بهذا المنزل منها؟

وفيه عِلْمُ الكثير والقليل، ومَن هو كثير بالقوّة وكثير بالعدد؟ وكذلك في القلّة؟

وفيه عِلْمٌ فيه مَزِلّة قدم؛ وهو أنّه يعطيك أن تكون مع كلّ مَن يريد منك أمرا مّا؛ أن تكون له بما يريده منك. وإنّما هو مزلّة قدم لاختلاف الأغراض، وتقييد المؤمن بما قلّده من الحكم مَن قيّده.

وفيه عِلْمُ ما ينبغي أن يُستعَدَّ له مما لا يُستعَدّ له؟

وفيه[2] عِلْمُ معاملة مَن تجهل أمره؛ كيف تعامله؟

وفيه عِلْمٌ تعلم به أنّه ما يقابلك من العالَم ولا من الحقّ إلّا صفتُك.

وفيه عِلْمُ إلحاق الرءوس بالأذناب في الحكم، وهو الحال الذي يستوي فيه الرئيس والمرءوس؛ كالنوع الوسط الذي هو نوعٌ لما فوقه، وجنسٌ لما تحته.

١ ص ٥٧ب
٢ ص ٥٨

وفيه عِلْمُ التحريش، ثُمَّ التبرّي منه؛ هل ينفع ذلك التبرّي، أم لا ينفع؟

وفيه عِلْمُ إدراك الخيال في صورة المحسوس في اليقظة، وما ثَمّ شيء مخيَّل من خارج ولا من داخل، بل هو كالسراب تراه ماء، وكالصغير في السراب تراه كبيرا، وكالجبل الأبيض تراه على البُعد أسود؛ فهذا خارج عن الحسّ والخيال.

وفيه عِلْمُ السبب الذي يدعو الإنسان إلى أن يدعو على نفسه بالهلاك، ويطلب العلامة في نفسه بما يرديه.

وفيه عِلْمُ ما يتوهَّم أنّه قادر عليه، وليس بقادر عليه. ولماذا (=وإلى ماذا) يرجع الإعجاز: هل يرجع لأمرٍ لا يقدر مخلوق عليه؟ أو لأمرٍ كان يقدر عليه ثُمّ صُرف عنه؟

وفيه عِلْمُ ما تنتجه التقوى في المتّقي؟

وفيه[1] عِلْمُ الفرق بين الرسول ﷺ وبين المؤمنين.

وفيه عِلْمُ ما يريده المخاطِب من المخاطَب إذا كلّمه.

وفيه عِلْمُ ما يظهر أنّه لله وهو للكون؟ و(ما) يظهر أنّه للكون وهو لله؟

وفيه عِلْمُ الجهات والإحاطة والسكون والحركة.

وفيه عِلْمُ المنافع الأخراويّة.

وفيه عِلْمُ السبب الذي يوجبُ الأمانَ في موطن الخوف؛ هل يصحّ ذلك، أم لا؟ وما معنى الموطن: هل هو الحال في الشخص فيكون موطنه حاله؟ أو الموطن خارج عن الحال؟

وفيه عِلْمُ الأسباب الموجبة لوجود الأوهام الحاكمة في النفوس، وهي صور من صور التجلّي الإلهيّ.

١ ص ٥٨ب

وفيه عِلْمُ ما يُحمَد من السؤال، وما يُكرَه؟

وفيه عِلْمُ الصلاح ومراعاة الأصلح؛ وعلى مَن يجب ذلك؟

وفيه عِلْمُ الوعد والوعيد، ومع مَن يجب القتال شرعا إذا تراءى الجمعان وصُفَّ الناسُ للقتال؟ ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[1].

١ [الأحزاب : ٤]

الباب[1] السابع والسبعون وثلاثمائة
في معرفة منزل سجود القيّوميّة والصدق والمجد[2]
واللؤلؤة والسور

إذا وُضِعَ المِيْزانُ فِي قُبَّةِ العَدْلِ	وَجاءَ إِلَهُ الحَقِّ لِلْحُكْمِ والفَصْلِ
يَقُومُ لَنا شَكْلٌ بَدِيْعٌ مُثَلَّثٌ	فَضِلْعانِ فِي مِثْلٍ وضِلْع بِلا مِثْلِ
وَلا بُدَّ مِنْ تَرْجِيْحِهِ لِبَقائِهِ	فَلا بُدَّ مِنْ أَمْرٍ يُؤَيَّدُ بِالفَضْلِ
فَيَذْهَبُ حُكْمُ المَيْلِ عن اسْتِوائِهِ	وَيَرْجَحُ مِيْزانُ السعادَةِ بِالثُّفْلِ[3]

اعلم -أيّدك الله- أنّه ثبت شرعا وعقلا أنّه -تعالى سبحانه- أحديٌّ المرتبة؛ فلا إله إلّا هو الله وحده لا شريك له في المُلك، والمُلْكُ كلٌّ ما سِوَى الله. وأمّا أن يكون له -تعالى- وليٌ فما هو مثل الشريك في المُلك، فإنّ ذلك منفيٌّ على الإطلاق؛ لأنّه في نفس الأمر منفيُّ العين. وأمّا[4] الوليّ فموجود العين؛ فهو ينصر الله ابتغاء القربة إليه والتحبّب، عسى يصطفيه ويدنيه، لا لِذُلٍّ ناله فينصره على مَن أذلَّه، أو ينصره لضعفه -تعالى الله- قال تعالى: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ﴾[5] وقال: ﴿وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾[6] فما قال: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ﴾ إلّا ولا بدّ من وقوع هذا النصر، ولكن كما ذكرنا وهو قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ﴾ أي ناصرٌ من أجل الذلّ ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾[7] عن هذين الوصفين.

كما أنّه -تعالى- بدليل العقل والشرع أحديّ الكثرة بأسمائه الحسنى، أو صفاته، أو نِسَبِه.

---

[1] ص ٥٩
[2] رسمها في ق أقرب إلى: "والجحد" وكذلك هي في س، ورجحنا "المجد" لوضوح رسمها في الفهارس العامة بالسفر الأول، ولما ورد في هـ.
[3] ثفل الشيء: ما سفل من كل شيء
[4] ص ٥٩ب
[5] [محمد : ٧]
[6] [آل عمران : ١٥٠]
[7] [الإسراء : ١١١]

وهو بالشرع خاصّة أحديّ الكثرة في ذاته بما أخبر به عن نفسه بقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[1] و﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[2] و﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾[3] و«القلب بين أصبعين من أصابع الرحمن» ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾[4] و«كلتا يدي ربّي يمين مباركة». وهذه كلّها وأمثالها أخبار عن الذات، أخبر الله بها عن نفسه، والأدلّة العقليّة تحيل ذلك. فإن كان السامعُ، صاحبُ النظر العقليّ، مؤمنا؛ تكلَّف التأويل في ذلك لوقوفه مع عقله. وإن كان السامعُ منوَّرَ الباطن بالإيمان؛ آمن بذلك على علم الله فيه، مع معقول المعنى الوارد المتلفَّظ به: من يد، وأصبع، وعين، وغير ذلك، ولكن يجهل النِّسبة إلّا أن يكشف الله له عن بصيرته؛ فيدرك المراد من تلك العبارة كشفا. فإنّ[5] الله ما أرسل رسولا إلّا بلسان قومه، أي بما تواطئوا عليه من التعبير عن المعاني التي يريد المتكلِّم أن يوصِل مراده فيما يريد منها إلى السامع. فالمعنى لا يتغيّر أَلْبَتَّة عن دلالة ذلك اللفظ عليه، وإن جهل كيف ينسب. فلا يقدح ذلك في المعقول من معنى تلك العبارة.

واحِدٌ وَهْوَ كَثِيْرٌ عَجَبٌ	وَهْوَ لِلحاصِلِ فِيْهِ مذهبُ
إنَّما العِلْمُ لِمَنْ حَصَّلَهُ	بِطَرِيْقِ الذَّوْقِ فَهْوَ المَشْرَبُ
أَيُّها الطالِبُ كنْزًا إِنَّهُ	عَيْنُ ما جِئْتُ بِهِ ما تَطْلُبُ

واعلم -أيّدك الله- أنّه من المحال أن يكون في المعلومات -أخرَى في الموجودات- أمرٌ لا يكون له حكمٌ، ذلك الحكم ما هو عينُ ذاته؛ بل هو معقول آخر. فلا واحد في نفس الأمر، في عينه، لا يكون واحد الكثرة. فما ثَمّ إلّا مركّب، أدنى نِسبة التركيب إليه أن يكون عينَه، وما يحكم به على عينه، فالوحدة التي لا كثرة فيها مُحال.

واعلم[6] أنّ التركيب الذاتيّ الواجب للمركّب، الواجب الوجود لنفسه، لا يقدح فيه القدح الذي يتوهّمه النظّار. فإنّ ذلك في التركيب الإمكانيّ في الممكنات، بالنظر إلى اختلاف التركيبات

---

[1] [المائدة : ٦٤]
[2] [ص : ٧٥]
[3] [القمر : ١٤]
[4] [الزمر : ٦٧]
[5] ص ٦٠
[6] ص ٦٠ب

الإمكانية؛ فيطلب التركيب الخاصّ في هذا المركَّب مخصّصا، بخلاف الأمر الذي يستحقّه الشيء لنفسه. كما تقول في الشيء الذي يقبل الأشكال لنفسه، لا تقول: إنّ ذلك له بجعْل جاعل، أعني قبول الأشكال؛ وإنما الذي يكون له بالمخصّص (هو) كونُ شكلٍ خاصّ دون غيره، مع إمكان قيام شكل آخر به. فلا بدّ من مخصّص، لا في أنّه قابل للأشكال، فإنّ ذلك له لنفسه.

فالتركيب الذاتيّ الذي يقتضيه الواجب الوجود لنفسه خارجٌ عن هذا الحكم لأنّه مجهول الماهيّة عند النظّار. فنسبة التركيب إليه مجهولة، مع معقوليّة التركيب. ومعنى التركيبُ (هو) كونه كثيرا في ذاته، كما لم يقدح فيه كونه له صفات قديمة عند مثبتي الصفات من النظّار كالأشاعرة. وما وجدنا عقلا يقيم دليلا قطّ على أنّه -تعالى- لا يحكم عليه بأمر.

فغاية مَن غاص في النظر العقليّ -واشتهر من العلماء؛ أنّه عقل صرفٌ، لا حظّ له في الإيمان- أنّه حَكَم عليه بأنّه علّة. فما خلص التوحيد له في ذاته حين حكم عليه بالعِلّيّة. وأمّا غيرهم من النظّار فحكموا عليه[1] بالنِّسب، وأنّ ثَمّ أمرا يسمّى القائليّة، والقادريّة؛ بهما حكمنا عليه أنّه قائل، وقادر. وأمّا غير هؤلاء من النظّار فحكموا عليه بأنّ له صفات زائدة على ذاته؛ قديمة، أزليّة، قائمة بذاته، تسمّى: حياة، وعلما، وقدرة، وإرادة، وكلاما، وسمعا، وبصرا؛ بها يقال فيه: إنّه حيّ، عالم، قادر، مريد، متكلّم، سميع، بصير. وجميع الأسماء من حيث معانيها، أعني الأسماء الإلهيّة، تندرج تحت هذه الصفات الأزليّة القديمة القائمة بذات الحقّ. ومِن النظّار من جعل لكلّ اسم إلهيّ معنى معقولا يُعقل منه أنّ ذلك المعنى قائم بذات الحقّ، قديم، أزليّ، ولو كان ما كان، وبلغ ما بلغ من الأعداد. وروينا عن أبي بكر القاضي الباقّلانيّ أنّه يقول بهذا. غير أنّهم اتفقوا بالنظر العقليّ على أنّ الحوادث لا تقوم به؛ فما أخْلَوا ذاته عن حكمٍ؛ إمّا بِنِسب، وإمّا بصفات، وإمّا بمعاني أسماء.

ثمّ جاء الشرع وهو ما ترجمه الرسول ﷺ عن الله وقال: إنّه كلام الله، وأقام الدلالة على صدقه أنّه من عند الله، وأخبر أنّه في كلّ ما ينطق عن الله، مَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا

١ ص ٦١

وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[1] ينزل به الروح الأمين على قلبه، أو يلهمه الله إلهاما في نفسه بأنّه -تعالى- على كذا وكذا من أمورٍ وصف بها نفسه، وذكر عن ذاته أنّها على ما أخبر بعبارات تُعلم بالعُرف بالتواطي معانيها، لا نشكّ في ذلك، بأيّ[2] لسان أُرسل ذلك الرسول. وأضاف تلك المعاني إلى نفسه وذاته أنّه عليها من يدين، وأصبعين، ويمين، وأعين، ومعيّة، وضحك، وفرح، وتعجّب، وتبشبش، وإتيان، ومجيء، واستواء، ونزول، وبصر، وعلم، وكلام، وصوت، وأمثال ذلك من هرولة، وحَدٍّ ومقدار، ورضا وغضب؛ لأسباب حادثة من العبيد المكلَّفين فعلُوها أغضبوا بها ربّهم؛ فقبل الغضبَ، ووصف نفسه به.

ووصف نفسه بأنّ العبد إذا تصدّق مثلا يُطفِئ بصدقته غضبَ الله عليه. وهذا كلّه معقول المعنى، مجهول النِّسبة إلى الله، يجب الإيمان به على كلّ إنسان خوطب أو كُلِّف به من عند الله. وهذا كلّه خارج عن الدلالة العقليّة، إلّا أن يتأوّل؛ فحينئذ يقبله العقل. فقبوله بالإيمان أَولَى؛ لأنّه حُكْمٌ حَكَمَ به الحقُّ على نفسه أنّه كذا، مع أنّه ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[3] فنفى عنّا العلم بوجه النِّسبة إليه، ما نفى الحكم بذلك على نفسه.

وحكمه -سبحانه- بأمرٍ على نفسه أَولَى بنا أن نقبله منه، من حُكمِ حَكَمَ به مخلوقٌ وهو العقل عليه. فما أعمى مَن اتّبع عقلَه في حكمه بما حكم به على ربّه، ولم يتّبع ما حكم به الربّ على نفسه! وأيّ عمى أشدّ من هذا، ولا سيما والمترجِم عن[4] الله -تعالى- وهو الرسول ﷺ قد نهى المكلَّفين أصحاب العقول أن يفكّروا في ذات الله، وأن يصفوها بنعت ليس في إخبار الله عن نفسه؟ فعكسوا القضيّة، وفكّروا في ذات الله، وحكموا بما حكموا به على ذاته -تعالى-.

ولمّا جاء إخباره إلينا، بما هو عليه في ذاته، أنكروا ذلك بعقولهم، وردّوه، وكذّبوا الرسل. ومَن صدّقهم من هؤلاء جعلوا ذلك سياسة من حكيم عاقل لمصلحة الوقت وتَوَفُّر الدواعي بالجمعيّة على إلهٍ هذه صفته تقريرا في النفوس القاصرة. فإذا قرّروا ذلك؛ ظهروا للناس في

١ [النجم : ٤]
٢ ص ٦١ب
٣ [الشورى : ١١]
٤ ص ٦٢

العامّة، بالارتباط بتلك الصفات مثل ما هي العامّة عليه، وفي أنفسهم خلاف ما ظهروا به. وأمّا مَن أعطاه نظرُه وجودَ الرسول، وصدَّقه فيما أخبر؛ فغايته التأويل حتى لا يخرج عن حكم عقله على ربّه فيما أخبر به عن نفسه؛ فكأنّه في تصديقه مكذِّبٌ.

وأمّا أهلُ السلامة الذين لا نور عندهم إلّا نور الإيمان؛ سلَّموا ذلك إلى الله على علم الله فيه، مع الإيمان والتحقيق لما تعطيه تلك العبارات من المعاني بالتواطي عليها في ذلك اللسان المبعوث به هذا الرسول.

وأمّا أهل الكشف والوجود فآمنوا كما آمن هؤلاء، ثمّ اتّقوا الله[1] فيما حدَّ لهم وشرع؛ فجعل لهم فرقانا فرّقوا به بين نِسبة هذه الأحكام إلى الله، ونِسبتها إلى المخلوق؛ فعرفوا معانيها عن عيان وعلم ضروريّ، وإلى هنا انتهوا. فانظر في تفاوت العقول في الأمر الواحد، واختلاف الطرق فيه لمن كان له عقل سليم، وألقى السمع لخطاب الحقّ، وهو شهيد لمواقع الخطاب الإلهيّ على الشهود والكشف.

فإذا تقرّر ما ذكرناه، وكان الأمر على ما شرحناه وبيّنّاه، فاعلم أنّ الله هو الظاهر الذي تشهده العيون، والباطن الذي تشهده العقول. فكما أنّه ما ثَمّ في المعلومات غيبٌ عنه جملة واحدة، بل كلُّ شيء له مشهود؛ كذلك ما هو غيبٌ لخلقه، لا في حال عدمهم ولا في حال وجودهم، بل هو مشهود لهم بنعت الظهور والبطون للبصائر والأبصار؛ غير أنّه لا يَلزمُ من الشهود العلم بأنّه هو ذاك المطلوب، إلّا بإعلام الله. وجعلِهِ العلم الضروريّ في نفس العبد أنّه هو؛ مثل ما يجد النائم إذا يرى صورة الرسول أو الحقّ -تعالى- في النوم، فيجد في نفسه من غير سبب ظاهر أنّ ذلك المرئيّ هو الرسول إن كان الرسول، أو الحقّ إن كان الحقّ. وذلك الوجدان حقٌّ في نفسه، مطابق لما هو الأمر عليه فيما رآه. هكذا يكون[2] العلم بالله، فلا يدرَك إلّا هكذا؛ لا بتفكُّر ولا بنظر، حتى لا يدخل تحت حُكمِ مخلوق.

---

١ ص ٦٢ب
٢ ص ٦٣

وإذا كان الأمر بهذه المثابة، وأخبر عن نفسه أنّه يتحوّل في الصوَر مع ثبوت هذه الأحكام، حكمنا عليه بما نحكم به على الصور التي يتجلّى فيها لعباده، كانت ما كانت، فليس ثَمّ غيره، ولا سيما في الموطن الذي يعلم من حقيقته أنّه لا يمكن فيه دعوى في الألوهيّة إلّا لله، فلا نضرب له مَثلا.

فإنّهُ عَنِ المَثَلْ	سُبحانَهُ عَزَّ وَجَلْ
وَكُلُّنا مِنهُ إذا	حَقَّقْتَهُ عَلَى وَجَلْ
إلّا الذي بَشَّرَهُ	بِالأَمْنِ مِنهُ وبَجَلْ[1]

فَفَعل ما يقتضيه الموطن؛ فإنّ العالِم بالأمور لا يزيد في الظهور على حكم ما يقضي- به الوقت. ولذلك قالت الطائفة في الصوفيّ: "إنّه ابن وقته". وهذا حكم الكُمَّل من الرجال، كما يقول رسول الله ﷺ وهو الرءوف الرحيم في حقّ طائفة يوم القيامة: «سحقا سحقا» فإذا زال ذلك الحال؛ تلطَّف في المسألة، وشفع فيمن هَوَتْ به الريح -وهو قوّة حكم هوى النفس-[2] في مكان سحيق. فيقوم الحقّ في الحال الواحد بصفة الغضب والرضا، والرحمة والعذاب، لحكم الظاهر والباطن، والمعِزّ والمذلّ. فكأنّه بَرْزَخٌ بين صفتيه؛ فإنّه ذو قبضتين[3] ويدين: لكلّ يدٍ حكمٌ، وفي كلّ قبضةٍ قومٌ. مثل الكتابين اللذين خرج بهما رسول الله -صلّى عليه وسلّم- على أصحابه، وأخبرهم أنّ في أحدهما أسماء أهل الجنّة، وأسماء آبائهم وعشائرهم وقبائلهم من حين خلق اللهُ الناسَ إلى يوم القيامة، وفي الكتاب الآخر أسماء أهل النار، وأسماء آبائهم وقبائلهم وعشائرهم من حين خلق الله الناس إلى يوم القيامة. ولو كُتِب هذا بالكتابة المعهودة ما وسعت الأوراقَ مدينةٌ، فكيف أن يحيط بذلك كتابان في يدي الرسول ﷺ؟! فهذا مِن علمِ إدخال الواسع في الضيّق، من غير أن يوسّع الضيّق، أو يضيّق الواسع.

فمن شاهد هذه الأمور مشاهدة، وحصلتْ له ذوقا؛ فذلك هو العالِم بالله وبما هو الأمر عليه في نفسِه وعينِه. فإنّ الصحيح أنّ الشيء لا يدرَك إلّا بنفسه، وليس له دليل قاطع عليه

---

١ أبجلني الشيء إبجالا: أي أحسبني وكفاني حتى قلت بَجَل.
٢ "وهو قوة.. النفس" ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٣ ص ٦٣ب

سِوَى نفسه، والبصر له الشهود، والعقل له القبول. وأمّا من طلب معرفة الأمور بالدلائل الغريبة التي ليست عين المطلوب، فمن المحال أن يحصل على طائل، ولا تظفر يداه إلّا بالخيبة.

فأمّا المقرّبون فهم بين يدي الله في مقابلة الذات الموصوفة باليدين؛ فإنّهم[1] لتنفيذ الأوامر الإلهيّة في الخلق في كلّ دار. وأمّا أهل اليمين[2] فليس لهم هذا التصريف، بل هم أهل سلامة وبراءة لما كانوا عليه، وهم عليه من قوّة الحكم على نفوسهم، وقمعهم هواهم باتّباع الحقّ. وأمّا أهل اليد الأخرى الذين قيل فيهم: "إنهم أصحاب الشمال" فنكسوا رءوسهم، ومنهم المقنع رأسه الذي لا يرتدّ إليه طَرْفُه بهتًا لعظيم ما يرى.

فلا ترى طائفةٌ من هؤلاء الثلاثة إلّا ما يعطيه مقامها، ومنزلها، ومكانها. فتشهد كلُّ طائفة من الله خلاف ما تشهده الأخرى، والحقّ واحد. فلولا ما هو الأمر واحد الكثرة، لما اختلف شهودُهم. فلولا الكثرة في الواحد لما كان الأمر إلّا واحدا لا يقبل القسمة، وقد قَبِلَ القسمة. فالأصل كهو. وهذا سبب وجود الدارين في الآخرة، والكفّتين في الميزان، والرحمة المقيّدة بالوجوب والمطلقة بالامتنان، وتفاضل المراتب في الدرجات في الجنان، والدركات في النار.

فَلَــيْسَ إلّا الواحِــدُ الكَثِــيرُ ... بِمِثْـلِ هَـذَا تُشْـهَدُ الأُمُـورُ
فـانْظُرْ إذا مـا جـاءَكَ الغَـرُورُ[3] ... مُقَـابِلًا مِنْـكَ لَهُ النَّـذِيرُ
وكُلُّ مــا يَقُــولُهُ غُــرُورُ ... تَضِيقُ[4] مِنْ سَمَاعِهِ الصُّدُورُ

فإذا تجلّى الحقّ في صفة الجبروت لمن تجلّى من عباده؛ فإن كان المتجلّى له ليس له مدبّر غير الله كجبل موسى؛ تدكدكَ لتجلّيه، فإنّه ما فيه غير نفسه. وإن كان له مدبّر قد جعله الله له كتدبير النفوس الناطقة أبدانَها؛ لم تتدكدك أجسامُها، لكنّ أرواحَها؛ حكم فيها ذلك التجلّي حكمه في الجبل. فبعد أن كان قائمًا بتدبير الجسد؛ زال عن قيامه. فظهر حكم الصعق في جسد موسى؛ وما هو إلّا إزالة قيام المدبّر له خاصّة. كما زال الجبل عن وتديّته، فثبت في نفسه ولم

١ رسمها في ق أقرب إلى: "فافهم" وكذلك هي في س، والترجيح من هـ
٢ ص ٦٤
٣ الغرور: إبليس
٤ ص ٦٤ب

يُثبت غيره؛ فإنّ الجبل ما وضعه الله إلّا ليُسَكِّن مَيْد الأرض به. فزال حكمه؛ إذ زالت جَبَليّته، كما زال تدبير الروح لجسد[1] صاحب الصعق؛ إذ زال قيامه به. فأفاق موسى بعد صعقه، ولم يرجع الجبل إلى وتديّته؛ لأنّه لم يكن هناك مَن يطلبه؛ لوجود العِوَض؛ وهو غيره من الجبال. وهذا الجسد الخاصّ ما له مدبّر مخلوق سِوَى هذا الروح؛ فطلب الجسمُ من الله بالحال مدبّرَه؛ فرَدَّه الله إليه؛ فأفاق. فالنشأة الطبيعيّة تحفظ التدبير على روحها المدبّر لها؛ لأنّها لا غنى لها عن مدبِّر يدبّرها.

والأرض لا تَحفظ وتديّة جَبَلٍ عليه معيَّن؛ لاستغنائها عنه[2] بأمثاله؛ لكن لا غنى لها عن المجموع إذا طلب السكون. فهذا سبب علّة إفاقة موسى، وعدم رجوع الوتديّة للجبل. فالجبال مخلوقة بالأصالة بصفة الرحمة واللطف والتنزّل؛ فظهرت ابتداء بصورة القهر حيث سكّنتْ مَيْدَ الأرض؛ فكانت رحمتها في القهر؛ فلا تعرف التواضع؛ فإنّها ما كانت أرضا ثمّ صارت جبالا.

فأوّلُ جبلٍ أنزله الله عن قهره وجبروته -بالحجاب الذي كان الحقّ احتجب عنه؛ حجابَ شهودٍ لا حجاب عِلم- (هو) جبلُ موسى بالتدكدك؛ فصار أرضا بعد ما كان جبلا؛ فهو أوّل جبل عرف نفسَه. ثمّ بعد ذلك في القيامة تصير الجبال دكّا دكّا لتجلّي الحقّ إذا كانت كالعِهن المنفوش.

فمَدُّ الأرض إنما هو مزيد امتداد الجبال وتصييرها أرضا. فما كان منها في العُلوّ في الجوّ، إذا انبسط زاد في بسط الأرض ولهذا جاء الخبر أنّ الله يمدُّ الأرض يوم القيامة مدّ الأديم، فشبّه مَدَّها بمدِّ الأديم. وإذا مَدَّ الإنسان الأديمَ فإنّه يطول من غير أن يزيد فيه شيءٌ لم يكن في عينه، وإنّما كان فيه تَقَبُّضٌ ونُتوءٌ. فلمّا مُدَّ انبسطَ عن قبضه، وفرش ذلك النتوء الذي كان فيه؛ فزاد في سعة الأرض، ورفع المنخفض منها حتى بسطه؛ فزاد فيها ما كان من طولٍ من سطحها إلى القاع منها، كما يكون في الجلد سَواء. فلا ترى في[3] الأرض عوجا ولا أَمتا؛ فيأخذ البصر جميع

١ ق: "الجسد" مع إشارة بسيطة لحذف الألف
٢ ص ٦٥
٣ ص ٦٥ب

مَن في الموقف بلا حجاب مِن ارتفاع وانخفاض؛ ليرى الخلقُ بعضهم بعضا، فيشهدوا حكم الله بالفصل والقضاء في عباده؛ لوجود الصِّفتين، وحكم القَدمين من الظاهر والباطن.

فَلَوْلا ظُهُورُ الحَقِّ ماكانَ إِنْسانُ ... وَلَوْلا بُطُونُ الحَقِّ ما قامَ بُرْهانُ
فَما ثَمَّ إِلّا واجِبٌ ثَمَّ واجِبٌ ... إِذا ما عَلِمْتَ الأَمْرَ ما ثَمَّ إِمْكانُ
فَما أَكْمَلٌ فِي الكَوْنِ مِنْ عَيْنِ ذاتِهِ ... وَهَذا الَّذِي سَمّاهُ فِي الكَوْنِ إِنْسانُ
وَمَا ثَمَّ مَقْصُودٌ سِوَاهُ فإِنَّهُ ... هُوَ الحَقُّ لا يَحْجُبْكَ خُلْدٌ ونِيْرانُ
فَإِنَّ الَّذِي أَبْدَاهُ أَعْلَمَ أَنَّهُ ... لَهُ غَضَبٌ أَبْدَاهُ وَقْتًا وَرِضْوانُ
فَلَا بُدَّ مِنْ دَارَيْنِ: دَارِ كَرامَةٍ ... وَدَارِ عَذَابٍ فِيهِ لِلعَقْلِ تِبْيانُ
وَهَذا الَّذِي جِئْنا بِهِ فِي كَلامِنا ... هُوَ الحَقُّ إِنْ فَكَّرْتَ ما فِيهِ بُهْتانُ

وكيف[1] لا تعرف هذا من نفس ما نطقت به وترجمت عنه:

وَقَدْ عَلِمْتَ بِأَنَّ الحَقَّ أَيَّدَنِي ... فِيمَا أَفُوهُ بِهِ عَنْهُ وَقَيَّدَنِي
بِهِ فَلا تَبْرَحُ الأَرْواحُ تَنْزِلُ بِي ... عَلَى الدَّوامِ وَتَهْوانِي فَتَقْصِدُنِي
وَذاكَ أَنَّ لَنا عَيْنًا مُكَمَّلَةً ... بِها يَرَى نَفْسَهُ مَنْ كانَ يَشْهَدُنِي
لِذاكَ أَوْجَدَنِي رَبِّي وَخَصَّصَنِي ... فَكُلُّ ما فِيَّ[2] مِنْهُ حِينَ يُوجِدُنِي
وانْظُرْ إِلَيَّ تَرَى فِي صُورَتِي عَجَبًا ... فِي كُلِّ حالٍ إِلَهُ الحَقِّ يُسْعِدُنِي
إِذا هَمَمْتُ بِأَمْرٍ لا يُقاوِمُهُ ... أَمْرٌ وَجَدْتُ إِلَهِي فِيهِ يَعْضُدُنِي
فَكُلُّ عَقْلٍ يَرَى رَبِّي يُوَحِّدُهُ ... والحَقُّ حِينَ يَرانِي بِي يُوَحِّدُنِي
فاللهُ يَعْلَمُ ما فِي الغَيْبِ مِنْ عَجَبٍ ... وبِالوُصُولِ إِلَيْهِ الحَقُّ يُفْرِدُنِي

وفي[3] هذا المنزل من العلوم ما في الكتب الأربعة؛ وهي القرآن، والتوراة، والإنجيل، والزبور.

١ ص ٦٦
٢ كتب فوقها بقلم الأصل من غير إشارة الاستبدال: فيه
٣ ص ٦٦ب

وفيه عِلْمُ ما سبب إنزال الكتب؟ وما نزل إلّا كلام على الرسل، وكُتب عن الرسل في الكتب، وإنما نزل كتابة إلى السماء الدنيا فيما نقل، وذلك ليلة القدر موافقة ليلة النصف من شعبان، ثمّ نزل به الروح الأمين على قلب محمد ﷺ نجوما في ثلاث وعشرين سنة، أو في عشرين سنة على الخلاف.

وفيه عِلْمُ تسمية الترجمة إنزالا وتنزيلا.

وفيه عِلْمُ مَن كُشف عنه الغطاء حتى شاهد الأمر على ما هو عليه؛ هل هو مخاطَب بالآداب السمعيّة، أو يقتضي ذلك المقام الذهول وذهاب عقل التكليف؛ فيبقى بلا رسم مع المهيّمين من الملائكة.

وفيه عِلْمُ الوصايا والآداب وأحوال المخاطَبين والمطرفين.

وفيه عِلْمُ حفظ الجوار على الجار، وهل الجار إذا انتهك حرمة جاره: هل يجازيه جاره بمثل ما أتى به؟ أو يكون مخاطَبا بحفظ الجوار ولا يجازيه بالإساءة على إساءته؟

وفيه عِلْمُ حال الموصوف بأنّه يأمر بمكارم الأخلاق؛ ومنها العفو والصفح[1] وتفريج الكرب بضمان التبعات لما هو عليه من الغنى في الأداء عنه، ثمّ بعد ذلك يعاقب، والعفو مندوب إليه، والضمان أيضا مندوب إليه؛ فبأيّ صفة تكون العقوبة ممن هذا نعته؟

وفيه عِلْمُ الفرق بين الأمر وصفته.

وفيه عِلْمُ ما حُرّم من الزينة؟ وما أبيح منها؟ وما حُظِر منها؟ وموطن كلّ زينة.

وفيه عِلْمُ الفرق بين الخبيث والطيّب.

وفيه عِلْمُ مرجع الدرك في الدار الآخرة؛ على مَن يكون إذا كان الذي[2] ضمنه شخصان؛ الواحد مفلس والآخر موسر؟

١ ص ٦٧
٢ ق: "في" وصححت فوقها بقلم آخر

وفيه عِلْمُ الثناء وتفاصيله بالأحوال.

وفيه عِلْمُ مخاطبة الموتى بعضهم بعضا في حال موتهم؛ وهل حالهم بعد الموت مثل حالهم قبل الإيجاد، أم لا؟

وفيه عِلْمُ الموت وماهيّته.

وفيه عِلْمُ الفصل بين القبضتين.

وفيه عِلْمُ التكليف يوم القيامة وقبل دخول الجنّة.

وفيه عِلْمُ العلامات في السعداء والأشقياء، ومَن لا علامة له؛ لأيّ فريق يكون؟

وفيه[1] عِلْمُ مَن حلف على شيء أكذبه الله، وقد ورد: «مَن يتألّى على الله يكذبه».

وفيه عِلْمُ ما السبب الموجب للمنعوت بالكرم إذا سأله المضطرّ المحروم وهو قادر على مواساته وبَذْلِهِ ما سأله بذله فلم يفعل؛ وبماذا يعتذر؟ وما صفة هذا السائل المحروم؟

وفيه عِلْمُ أولاد الليل والنهار؛ بماذا يفرّق بينهم؟

وفيه عِلْمُ سياحة عالَم الأنوار.

وفيه عِلْمُ قيام العبد بالصفتين المتضادّتين وهو محمود عند الله ﷻ في الحالين.

وفيه عِلْمُ كون الرحمة قد وسعت كلّ شيء، ثمّ وُصِفت بالقُرب من بعض الأشخاص لصفات قامت به؛ فهل هي هذه الرحمة التي وسعت كلّ شيء؟ أو رحمة أخرى؟

وفيه عِلْمُ مَن أسعده الله على كُره منه في السعادة، وهو في علم الله سعيد.

وفيه عِلْمُ قول الأعمى للبصير: ما لك أعمى لا تبصر شيئا؛ أما تراني أبصر الظلمة وأنت لا تراها وتزعم أنّك تبصر؟

وفيه عِلْمُ الاعتبار. وعِلْمُ الإمكان والممكنات. وعِلْمُ السيمياء، وعِلْمُ الورث[1] والوارثين، وعِلْمُ

[1] ص ٦٧ب

الدلالات على الوقائع، وعِلْمُ التشبيه، وعِلْمُ الغيرة.

وفيه عِلْمُ الشوق والاشتياق.

وفيه عِلْمُ التوبة؛ ما هي؟ وتقاسيمها والتائبين.

وفيه عِلْمُ كلّ شيء.

وفيه عِلْمُ التفصيل والإجمال.

وفيه عِلْمُ الذوق.

وفيه عِلْمُ تأثير الأحوال.

وفيه عِلْمُ التقييد والإطلاق.

وفيه عِلْمُ رفع الأثقال.

وفيه عِلْمُ الاختصاص.

وفيه عِلْمُ تقاسيم العلوم.

وفيه عِلْمُ المراتب.

وفيه عِلْمُ تبديل الشرائع، ونسخ بعضها بعضا.

وفيه عِلْمُ الخلَف والخلْف -بسكون اللام وفتحها-.

وفيه[1] عِلْمُ التهويل والتخويف من غير إيقاع ما يخوّف به.

وفيه عِلْمُ العهود والمواثيق البرزخيّة.

وفيه عِلْمُ التسليم.

وفيه عِلْمُ الاستدراج، وإظهار البُعد في عين القُرب؛ وما صفة مَن يعرِفُ ذلك؟

[1] ص ٦٨

وفيه عِلْمُ أوقات المؤقّتات.

وفيه عِلْمُ[1] ما يعطيه العلم الذي يقتضي العمل من العمل؛ فإنّه من المحال أن يكون عِلم يعطي العمل قيامه بصاحبه ولا يعمل، ولا يجوّز ذلك كثير من الناس وهم فيه على غلط؛ فالعلم يقتضي العمل ولا بدّ.

وفيه عِلْمُ الشركة في الأسماء، وما تؤثّر؟

وفيه عِلْمُ العجز وحيث ينفع ويكون دليلا.

وفيه عِلْمُ منافع الأعضاء.

وفيه عِلْمُ ما يدفع به الخاطر الشيطانيّ والنفسيّ من الإنسان؟

وفيه عِلْمُ مراتب السجود في الساجدين، وما الذي أسجدهم؟ وما السجود الذي لا رفع بعده لمن سجده؟ ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[2].

١ ص ٦٨ب
٢ [الأحزاب : ٤]

الباب الثامن والسبعون وثلاثمائة
في معرفة منزل الأُمّة البهيميّة والإحصاء[1]
والثلاثة الأسرار العُلويّة وتقدُّم المتأخِّر وتأخُّر المتقدِّم -من الحضرة الإلهيّة

يَطِيرُ العـارِفُونَ إِلَى المُسَمَّى ... بِأَجْنِحَـةِ المَلَائِكَـةِ الكِـرَامِ
إِلَى[2] ذَاتِ الذَّواتِ بِغَيْرِ نَعْتٍ ... فَتُرْجِعُهُمْ بِأَرْواحِ الأَسَامِي
فتكمـلُ ذاتهُـم مِـنْ كُلِّ وَجْـهٍ ... مِـنَ الحـالِ المُنَزَّهِ والمَقـامِ
وَشاهِدُ حالِهِمْ يَبْدُو فَيَقضـى ... فَكُلُّهُـمُ إِمـامٌ عَـنْ إِمـامِ

اعلم -أيّدنا الله وإيّاك- أنّ البهائم أمم من جملة الأمم، لهم تسبيحات تخصّ كلّ جنس وصلاة، وصلاة مثل ما لغيرها من المخلوقات. فتسبيحهم (هو) ما يعلمونه من تنزيه خالقهم؛ فلهم نصيب في ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[3]، وأمّا صلاتهم فلهم مع الحقّ مناجاة خاصّة. قال تعالى: ﴿وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾[4] وقال: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ. ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ﴾[5] وهي ما شرع الله لها من السُّبُل أن تَسلكها ﴿ذُلُلًا﴾. فكلّ شيء من المخلوقات له كلام يخصّه يعلمه الله، ويسمعه مَن فتح الله سمعَه لإدراكه.

وجميع ما يظهر من الحيوان من الحركات والصنائع التي لا تظهر إلّا من ذي عقل وفكر ورويّة[6]، وما يُرى في ذلك من الأوزان يدلّ على أنّ لهم عِلما في أنفسهم بذلك كلّه. ثمّ يرون منهم أمورا تدلّ على أنّهم ما لهم ما للإنسان من التدبير العام. فتعارضتْ عند الناظرين في أمرهم

١ ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب
٢ ص ٦٩
٣ [الشورى : ١١]
٤ [النور : ٤١]
٥ [النحل : ٦٨، ٦٩]
٦ ص ٦٩ب

الأمور، فانبَهَمَ أمرُهم عليهم، وربما سمّوا لذلك بهائم؛ من إبهام الأمر. إلّا عندنا؛ فإنّه أوضح من كلّ واضح.

وما أُتِي على مَن أُتِي عليه إلّا مِن عدم الكشف لذلك؛ فلا يعرفون من المخلوقات إلّا قدر ما يشاهدونه منهم. وكذلك، مَن ألحقهم بدرجة المعارف والعلم بالله ربما أهّلهم الله له، ما ألحقهم بذلك إلّا من كون الله كشف له عن أمرهم وأحوالهم، أو مؤمن صادق الإيمان قد بلغه عن الله في كتاب أو سنّة أمرهم.

وساعدنا على هذا القول شيخنا وإمامنا المتقدّم حجّة الله على المحقّقين -الذي يقول فيه أبو طالب المكي صاحب "قوت القلوب" إذا حكى عنه قولا: قال عالمنا سهل بن عبد الله التستري- الذي رأى قلبه يسجد وهو صغير فلم يرفع، واستظهر القرآن وهو ابن ستّ سنين. ولمّا دخلتُ الخلوة على ذِكْرِهِ؛ فتح لي به -من ليلتي تلك- الفتح الخاص بذلك الذّكْر؛ فانكشف لي، بنوره، ما كان عندي غيبا، ثمّ أفَل ذلك النور المكاشف به. فقلت: هذا مشهد خليليّ. فعلمت أنّي[1] وارثٌ من تلك الساعة لملّةٍ أمَرَ اللهُ رسولَه وأمَرنا باتّباعها، وذلك قوله: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾[2]، وتحقّقتُ أبوّته وبنُوّتي.

وقد كان شيخنا صالح البربري بأشبيلية قد قال لي: "يا ولدي؛ إيّاك أن تذوق الخلّ بعد العسَل". فعلمتُ مرادَه وكان من أكبر مَن رأيته من المنقطعين إلى الله تعالى؛ بل المقتطعين. ما رأيت على قدمه مِثله. فجئت الشيخ بكرةً، وقلت له ما كان في منظومٍ نظمتُه إلهيٌّ، لا عن رويّة ولا تعمُّل، كما قال أبو العباس بن العرّيف الصنهاجي:

وَجاءَ حَدِيثٌ لا يُمَلُّ سَمَاعُهُ   شَهِيٌّ إِلَيْنا نَثْرُهُ ونِظامُهُ

وكان النظم الذي عملته في حالي:

كانَ مِثْلَ الخَلِّ مِنْ بَعْدِ العَسَلْ   فَمَضَى المِصْباحُ عَنِّي وَأَفَلْ

١ ص ٧٠
٢ [الحج : ٧٨].

وَبَدَتْ ظُلْمَةُ لَيْلٍ حالِكٍ   أَوْرَثَتْ فِي القَلْبِ أَسْبابَ العِلَلْ
قُلْتُ: رَبِّي قالَ: لَبَّيْكَ فَما   تَبْتَغِيهِ؟ قُلْتُ: نُورًا بِعَمَلْ
عَلِمَ الحَقُّ الذِي قَدْ قُلْتُهُ   قالَ: بابٌ مُغْلَقٌ. قُلْتُ: أَجَلْ
قُلْتُ[1]: هَبْ لِي نُورَكَ الخالِصَ بِي   فَبَدا النُّورُ بِلا ضَرْبِ مَثَلْ
فِي سَمائِي ثُمَّ أَرْضِي ثُمَّ ما   بَيْنَ هَذَيْنِ إِلَى غَيْرِ أَجَلْ
والذِي يَفْهَمُ قَوْلِي قَدْ دَرَى   أَنَّنِي الأَمْرُ الذِي مِنْهُ نَزَلْ

فَسُرَّ الشيخُ بهذا النفَس وقال: هذا من تجلّي الغلَس. قلت له: صدقت؛ كذلك كان. قال: الحمد لله المنعم على كلّ حال، لو علِم الناسُ النعمةَ السارية في الأحوال؛ ما فرّقوا بين السرّاء والضرّاء، واتّحد الحمد. قلت له: بل توحّد. فقال: صدقت -يا ولدي- وأخطأ الشيخ. فقبّلتُ يده، وقبّل رأسي.

إذا الصادِقُ الدّاعِي أتاكَ مُبَيِّنًا   فَأَلْقِ إِلَيْهِ السَّمْعَ إِنْ كُنْتَ مُؤْمِنا
وقُلْتُ: رَسُولَ اللهِ أَنْتَ وَسِيلَتِي   إِلَى مُسْعِدِي سِرًّا أَقُولُ ومُعْلِنا
ولَسْتُ بِإِيمانِي بِهِ مُتَرَدِّدًا   فإِنِّي عَلِمْتُ الأَمْرَ عِلْمًا مُبَيَّنا
بِكَشْفٍ[2] أَتانِي مِنْ إِلَهِي بِمَشْهَدٍ   يَكُونُ لَنا يَوْمَ القِيامَةِ مَوْطِنا
فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شاءَ فَلْيَدَعْ   فَما ثَمَّ إِلّا الله فَالعِلْمُ عِلْمُنا
إذا قُلْتُ: "يا أللهُ" لَبَّى مِنَ الحَشَا   فإِنْ قُلْتُ: مَنْ هَذا؟ يَقُولُ: أَنا أَنا
أَنا الواهِبُ المِحْسانُ فِي كُلِّ حالَةٍ   وَذَلِكَ نَعْتٌ لا يَكُونُ لِغَيْرِنا
وَما ثَمَّ غَيْرٌ بَلْ أَقُولُ بِمَا أَتَتْ   بِهِ رُسْلُنا فَالقَوْلُ مِنّا بِنا لَنا
وَلَيْسَ رَسُولِي غَيْرَ نَعْتِي وَلا الّذِي   أُخاطِبُهُ غَيْرِي فَعَيْنُكَ عَيْنُنا

فكلّ شيء في العالَم يقال فيه عند أهل النظر وفي العامّة: إنّه ليس بحيٍّ ولا حيوان؛ فإنّ

١ ص ٧٠ب
٢ ص ٧١

الله عندنا قد فطره لَمّا خلقه على المعرفة به والعلم. وهو حيٌّ، ناطق بتسبيح ربّه؛ يدركه المؤمن بإيمانه، ويدركه أهل الكشف عينا. وأمّا الحيوان ففطره الله على العلم به -تعالى- ونطّقه بتسبيحه، وجعل له شهوة لم تكن لغيره[1] من المخلوقات ممن تقدّم ذِكْره آنفا. وفَطَر الملائكة على المعرفة والإرادة لا الشهوة، وأمَرَهم، وأخبر أنّهم لا يعصونه لِمَا خَلَق لهم من الإرادة، ولولا الإرادة ما أثنى عليهم بأنّهم لا يعصونه ويفعلون ما يؤمرون.

وفطر الجنّ والإنس على المعرفة والشهوة؛ وهو تعلُّق خاصٌّ في الإرادة؛ لأنّ الشهوة إرادة طبيعيّة. فليس للجنّ والإنس إرادة إلهيّة كما للملائكة؛ بل إرادة طبيعيّة تسمّى: شهوة. وفطرهما على العقل لا لاكتساب علم، ولكن جعله الله آلةً للإنس والجنّ؛ ليردعوا به الشهوة في هذه الدار خاصّة، لا في الدار الآخرة. ولذلك قال في الدار الآخرة لأهل الجنان: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ﴾[2] إعلاما لنا بأنّ النشأة الآخرة التي يُنشئنا فيها طبيعيّة مثل نشأة الدنيا. لأنّ الشهوة لا تكون إلّا في النفوس الطبيعيّة، والنفوسُ الطبيعيّة ما لها نصيب في الإرادة.

فإذا استفاد الإنسان أو الجانّ علما من غير كشف؛ فإنّ ذلك مما جعل الله فيه من قوّة الفكر. فكلّ ما أعطاه الفكر للنفس الناطقة، وكان علما في نفس الأمر؛ فهو من الفكر بالموافقة. فالعلوم التي في الإنسان إنما هي بالفطرة، والضرورة، والإلهام. والكشف الذي يكون له؛ إنما يكشف له عن العلم الذي فطَره[3] الله عليه؛ فيرى معلومَه. وأمّا بالفكر فمحالٌ الوصول به إلى العلم.

فإن قيل: من أين علمتَ هذا، وما هو من مدركات الحسّ، فلم يبق إلّا النظر؟. قلنا: ليس كما تقول؛ بل بقي الإلهام والإعلام الإلهيّ؛ فتتلقّاه النفس الناطقة من ربّها كشفا وذوقا، من الوجه الخاص التي لها ولكلّ موجود سِوَى الله. فالفكر الصحيح لا يزيد على الإمكان، وما يعطي إلّا هو. وهذا (أي الكشف) مِن علم الله وإعلامه، لم يُدْرَك ذلك بالفكر.

---

[1] ص ٧١ب
[2] [فصلت : ٣١]
[3] ص ٧٢

كان ابن عطاء[1] راكبا على جمل، فغاصت رِجْلُ الجمل. فقال ابن عطاء: "جلّ الله". فقال الجمل: "جلّ الله" يريد: عن إجلالك. فكان الجملُ أعلمَ بالله من ابن عطاء. فاستحى ابنُ عطاء. فهذا من علم البهائم بالله. وأمّا رسول الله ﷺ فإنّه ذكر في الصحيح: «أنّ بقرة في زمن بني إسرائيل حمّل عليها صاحبُها. فقالت: ما خُلقتُ لهذا؛ وإنما خلقت للحرث. فقالت الصحابة: أبقرة تكلّم؟ فقال رسول الله ﷺ: آمنتُ بهذا أنا وأبو بكر وعمر» وذلك أنّ الروح الأمين أخبره. فلو عاينها رسول الله ﷺ لما قال: "آمنتُ" فهذه بقرة من أصناف الحيوان، قد علِمتْ ما خُلِقت له. والإنس والجنّ خُلقوا ليعبدوا الله، وما علموا ذلك إلّا بتعريف الله على لسان الرسول. وهو في فطرتهم، ولكن ما كشف لهم عمّا هم عليه.

ومَرّ[2] بعض أهل الله على رجلٍ راكبٍ على حمار، وهو يضرب رأس الحمار حتى يسرع في المشي- فقال له الرجل: كم تضرب على رأس الحمار؟! فقال له الحمار: دعه؛ فإنّه على رأسه يضرب. فهذا حمار قد علم ما تؤول إليه الأمور بالفطرة، لا بالفكرة. فانظر -يا محجوب- أين مرتبتك من مرتبة البهائم؟ البهائم تعرفك، وتعرف ما يؤول إليه أمرُك، وتعرف ما خلقتْ له، وأنت جهلت هذا كلّه!.

ومع هذا فالبهائم؛ في الحَيْرة في الله، وهم مفطورون عليها؛ فإنها المقام الذي يصل إليه أهلُ النظر الصحيح، في الله، وأهل التجلّي. ولذلك قال الله فيمن لم يعرف الله: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾ يعني في الضلال؛ الذي هو الحَيْرة، ثمّ قال: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[3] والسبيل (هو) الطريق. فزادوا ضلالا؛ أي حَيرة في الطريق التي يطلبونها للوصول إلى معرفة ربّهم من طريق أفكارهم؛ فهذه حَيرة زائدة على الحَيْرة في الله. وكذلك قال فيهم حيثما قال. إنما جَعل الزيادة في السبيل، وليس إلّا الفكر، والفكر والتفكّر فيما مُنع التفكّر فيه؛ وهو النظر في ذات الله فقال:

---

[1] أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمى. صحب الجنيد، وإبراهيم المارستاني، وغيرهما. وكان من أقران الجنيد وعلمائهم. وكان أبو سعيد الخراز يعظم شأنه. مات سنة تسع وثلاثمائة. من كلامه: "من الزم نفسه آداب السنة نوّر الله قلبه بنور المعرفة. ولا أشرف من متابعة الحبيب ﷺ في أوامره، وأفعاله وأخلاقه، والتأدب بآدابه". [طبقات الأولياء - (١ / ٩)]
[2] ص ٧٢ب
[3] [الفرقان : ٤٤]

﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ﴾ وهو حال الجهل بالله، كما هو في نفس الأمر من حيث الذات ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ كما هو في الدنيا، ثمّ زاد فقال: ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾[1] وهو الطريق. ولذلك قال عمرو بن عثمان المكي في[2] صفة المعرفة والعارفين: "وكما هم اليوم؛ كذلك يكونون غدا".

فاعلم، إن كنت تفهم، تشبيه الله أهلَ الضلال بالأنعام؛ أنّه -تعالى- ما شبّههم بالأنعام نقصا بالأنعام، وإنما وقع التشبيه في الحيرة، لا في المحار فيه؛ فلا أشدّ حيرة في الله من العلماء بالله. ولذلك ورد عن رسول الله ﷺ أنّه قال لربّه: «زدني فيك تحيُّرا» لما علم مِن علوّ مقام الحيرة لأهل التجلّي لاختلاف الصور. وتصديق هذا الحديث قوله: «لا أحصي ثناء عليك؛ أنت كما أثنيت على نفسك» وقد علمنا ما أثنى الله به على نفسه مِن بسط يديه بالإنفاق، وفرحه بتوبة عبده، وغير ذلك من أمثاله، ومِن ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[3]، ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾[4] وقول رسول الله ﷺ: «لو تعلم البهائم من الموت ما تعلمون؛ ما أكلتم منها سَمِينا».

فانظر في تنبيهه ﷺ على حسن استعدادهم وسوء استعدادنا. حتى أنّه مَن كان بهذه المثابة من الفكرة في الموت، فغايته أنْ حصل له استعداد البهائم. وهو ثناءٌ على مَن حصل في هذا المقام، وارتفاعٌ في حقّه، وكيف ينظر البهائم دون الإنسان في الاحتقار، وغاية الثناء عليك من الله أن تشاركها في صفتها. فاشحذ فؤادك ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[5] فإنّ الله في خلقه أسرارا؛ ولذلك[6] خلقكم أطوارا.

واعلم أنّ البهائم، وإن كانت مسخّرة مذلّلة للإنسان، فلا تغفلْ عن كونك مسخَّرا لها، بما تقوم به من النظر في مصالحها: في سقيها، وعلفها، وما يصلح لها: من تنظيف أماكنها، ومباشرة القاذورات والأزبال من أجلها، ووقايتها من الحرّ والبرد المؤذيان لها. فهذا وأمثاله من كون الحقّ سخّرك لها، وجعلَ في نفسك الحاجة إليها؛ فإنّها التي تحمل أثقالك إلى بلدٍ لم تكن تبلغه إلّا

١ [الإسراء : ٧٢]
٢ ص ٧٣
٣ [الشورى : ١١]
٤ [الأنعام : ٩١]
٥ [طه : ١١٤]
٦ ص ٧٣ب

بنصف ذاتك، وهو شِقُّ الأنفس. أي ما كنت تصل إليه إلّا بالوهم والتخيّل، لا بالحسّ؛ إلّا بوساطة هذه المراكب. فلا فضل لك عليها بالتسخير؛ فإنّ الله أحوجَك إليها أكثر مما أحوجها إليك.

ألا ترى إلى غضب رسول الله ﷺ حين سئل عن ضالّة الإبل كيف قال: «مالك ولها! معها حذاؤها وسقاؤها، ترِدُ الماء وتأكل الشجر حتى يجدها ربُّها»؟ فما جعل لها إليك حاجة، وجعل فيك الحاجة إليها. وجميع البهائم تفرّ منك ممن لها آلةُ الفرار؛ وما هذا إلّا لاستغنائها عنك، وما جُبِلتْ عليه من العلم بأنّك ضارٌّ لها. ثمّ طلبُك لها، وبذل مجهودك في تحصيل شيء منها دليلٌ على افتقارك إليها. فباللهِ؛ مَن تكون البهائم أغنى منه؛ كيف يحصل في نفسه أنّه أفضلُ منها؟! صدق القائل: "ما هلك امرؤ عرف قدره" فواللهِ؛ ما يعرف الأمور إلّا من[1] شهدها ذوقا، وعاينها كشفا.

لا يَعْرِفُ الشَّوْقَ إِلَّا مَنْ يُكابِدُهُ وَلا الصَّبابَةَ إِلَّا مَنْ يُعانِيها[2]

(أ)ما وصل إليك خبر الفيل، ومِن حبسه وامتناعه من القدوم على خراب بيت الله؟ (أ)ما بلغك ما فعلت الطير بأصحاب الفيل، وما رمتهم به من الحجارة التي لها خاصّيّة في القتل دون غيرها من الأحجار؟ أتُرى يصدر ذلك منها من غير وحي إلهيّ إليها بذلك؟ فكم من قتل كان في العالَم، وكم من أصحاب غزاة كان في العالَم لمّا ظهر مثل هذا الأمر في هؤلاء، وما ظهر في غيرهم؟ وهل يوحي الله إلى من لا يعقل عنه؟ وهل قال -تعالى-: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[3] هل ذلك إلّا ليفهموا؛ لتقوم عليهم الحجّة إذا خالفوا، أو يعملوا بما فهموا فيسعدوا؟. هل سمعتَ في النبوّة الأولى والثانية قطّ أنّ حيوانا، أو شيئا من غير الحيوان، عصى أمرَ الله، أو لم يقبل وحي الله؟ أين أنت من فرار الحجر بثوب موسى عليه السلام حتى بدت لقومه سوأته؛ ليعلموا كذبهم فيما نسبوه إليه، وبرّأه الله مما قالوا؛ أتُرى فرار الحجر هل كان عن

١ ص ٧٤
٢ هذا البيت للشاعر أبو الشمقمق، مروان بن محمد (١١٢-٢٠٠هـ) شاعر هجاء، من البصرة، فراساني الأصل، من موالي بني أمية.
٣ [إبراهيم : ٤]

غير أمر الله إيّاه بذلك؟

أترى إباية السماوات والأرض[1] والجبال عن حمل الأمانة وإشفاقهم منها عن غير علم بقدر الأمانة، وما يؤول إليه أَمْرُ مَن حملها فلم يحفظ حقّ الله فيها؟ وعِلْمهم بالفرق بين العرْض والأمر، فلمّا كان عرض تخيير احتاطوا لأنفسهم وطلبوا السلامة، ولمّا أمرهم الحقّ -تعالى- بالإتيان فقال للسماء والأرض: ﴿ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾[2] طاعةً لأمر الله، وحذرا أن يؤتى بهما على كُرْه؛ أترى لو نزل القرآن على جبل فخشع وتصدّع من خشية الله؛ أترى ذلك منه عن غير علم بقدر ما أنزل الله عليه، وما خاطب به من التخويفات التي تذوب لها صمّ الجبال الشامخات؟ كم يبيّن الله ورسوله لنا ما هي المخلوقات عليه من العلم بالله، والطاعة له، والقيام بحقّه؟ ولا نؤمن، ولا نسمع، ونتأوّل ما ليس الأمر عليه؛ لنكون من المؤمنين، ونحن على الحقيقة من المكذّبين، ورجّحنا حِسّنا على الإيمان بما عرّفنا به ربّنا[3] لَمّا لم نشاهد ذلك مشاهدة عين.

واعلم أنّه مَن عَلِم أنّ الموجودات كلّها ما منها إلّا مَن هو حيّ ناطق، أو حيوان ناطق؛ المسمّى: جمادا، أو نباتا، أو ميتا؛ لأنّه ما من شيء -مِن قائم بنفسه، وغير قائم بنفسه- إلّا وهو مسبّحٌ ربّه بحمده. وهذا نعتٌ لا يكون إلّا لمن هو موصوف بأنّه[4] حيّ[5].

* * *

وَصْلٌ

ومَن كان هذا مشهده، في الموجودات، استحى كلّ الحياء في خلوته التي تسمّى جلوة في العامّة، كما يستحي في جلوته؛ فإنّه في جلوة أبدا؛ لأنّه لا يخلو عن مكان يُقِلُّه، وسماء تُظِلُّه. ولو لم يكن في مكان لاستحى من أعضائه ورعيّة بدنه؛ فإنّه لا يفعل ما يفعل إلّا بها؛ فإنّها آلاته،

١ ص ٧٤ب
٢ [فصلت : ١١]
٣ ثابتة في الهامش
٤ ص ٧٥
٥ تبعها الجزء الأول مما يلي عنوان الوصل التالي وهو "ومن كان مشهده... الحياء" وبعده الوصل ثم أعاد العبارة السابقة نفسها

وأنّه لا بدّ أن تُستشهَد فتَشهد، ولا يَستشهد اللهُ إلّا عدلا.

فصاحب هذه الحال لا يصحّ أن يكون في خلوة أبدا. ومن كان هذا حاله فقد لحق بدرجة البهائم. والدليل على ذلك أنّ رسول الله ﷺ قد ذُكر عنه، في الصحيح، أنّه قال: «إنّ للميّت خوارا، وإنّ السعيد منهم يقول: قدّموني قدّموني، يعني إلى قبره. وإنّ الشقيّ منهم يقول: إلى أين تذهبون بي». وأخبر ﷺ: «أنّ كلّ شيء يَسمع ذلك منه إلّا الإنس والجنّ» فدخل تحت قوله: "كلّ شيء" مما يمرّ عليه ذلك الميّت من جماد، ونبات، وحيوان. وثبت «أنّ رسول الله ﷺ كان راكبًا على بغلة، فمرّ على قبرٍ داثرٍ، فنفرت البغلة فقال: إنّها رأت صاحب هذا القبر يُعذَّب في قبره» فلذلك نفرت. وقال في ناقته لَمّا هاجر ودخل المدينة، ترك[1] زمامها، فأراد بعض الصحابة أن يمسكها؛ فقال: «دعوها فإنّها مأمورة». ولا يؤمَر إلّا مَن يَعقل الأمر، حتى بركت بنفسها بفناء دار أبي أيّوب الأنصاري؛ فنزل به.

وقال في الصحيح: «إنّ المؤذّن يَشهد له مدى صوته من رطب ويابس» وهذا كلّه معاين لكلّ شيء، ولا يشهد هذا من الإنس والجنّ إلّا أفراد من أفراد هذين النوعين. فإنّ الجنّ يجتمعون مع الإنس في الحدّ. فإنّ الجنّ حيوان ناطق؛ إلّا أنّه اختصّ بهذا الاسم؛ لاستتاره عن أبصار الإنس غالبا. فهم مع الإنس كالظاهر من الإنسان وحدّه مع باطنه. وكذلك قال -تعالى- في غير هذين النوعين: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ والأمثال هم الذين يشتركون في صفات النفس؛ فكلّهم حيوانٌ ناطق. ثمّ قال -تعالى- فيهم: ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[2] يعني كما تحشرون أنتم، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾[3] للشهادة يوم الفصل والقضاء؛ ليفصل الله بينهم كما يفصل بيننا؛ فيأخذ للجمّاء[4] من القرناء، كما ورد، وهذا دليل على أنّهم مخاطَبون مكلَّفون من عند الله من حيث لا نعلم.

١ ص ٧٥ب
٢ [الأنعام : ٣٨]
٣ [التكوير : ٥]
٤ الجماء: شاة جمّاء: لا قرن لها.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[1] فنكّر الأمّة والنذير، وهم من جملة الأمم. ونذيرهم قد يكون لكلّ واحد منهم نذير في ذاته، وقد يكون للنوع من جنسه -لا بدّ من ذلك- من حيث لا يعلمه، ولا يشهده إلّا مَن أشهده الله[2] ذلك. كما قال (تعالى) في الشيطان: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾[3] وذكر أنّهم يوحون إلى أوليائهم ليجادلونا، ويظنُّ المجادل -الذي هو وليّ الشيطان- أنّ ذلك من نفسه، ومِن نظره وعلمه، وهو من وحي الشيطان إليه. يَعرفُ ذلك أهلُ الكشف عينا، ويسمعونه بآذانهم كما يسمعون كلّ صوت. وما من حيوان إلّا ويشهد ذلك؛ ولذلك أخرسهم الله عن تبليغ ما يشهدونه إلينا؛ فهم أمناء بصورة الحال في حقّنا.

ولا يكشف الله لأحد من النوع الإنسانيّ ما تكشفه البهائم، مما ذكرناه، إلّا إذا رزقه الله الأمانة؛ وهي أن يستر عن غيره ما يراه من ذلك إلّا بوحي من الله بالتعريف. فإنّ الله ما أخذ بأبصار الإنس وبأسماعهم في الأكثر، وبالفهم في أصوات هبوب الرياح، وخرير المياه، وكلّ مصوّت؛ إلّا ليكون ذلك مستورا. فإذا أفشاه هذا المكاشف؛ فقد أبطل حكم الوضع، إلّا أن يوحى إليه بالكشف عن بعض ذلك؛ فحينئذ يعذر في الإفشاء بذلك القدر.

وفي هذا المنزل من العلوم:

عِلْمُ ثناء الرحماء.

وعِلْمُ مَن أظهر الشريك وهو لا يعتقده. كما أنّه من الموحّدين من ينفي الشريك وهو يعتقده؛ وهو الذي يرى أنّ من الأسباب من يفعل الشيء[4] لذاته، والموحّد في الأفعال يرى أنّه لا فاعل إلّا الله -كمن يقول إذا اجتمع الزاج والعفص وارتفعت الموانع الطبيعيّة؛ فإنّه لا بدّ من السواد، الذي هو المداد- مع كونه موحّدا، والموحّد من يرى إيجاد السواد لله كالأشاعرة وأمثالهم، وأنّ الإمكان يقضي أن يكون اجتماعهما مع ارتفاع الموانع الطبيعيّة، ولا يكون سواد إلّا إن خلق الله

١ [فاطر : ٢٤]
٢ ص ٧٦
٣ [الأعراف : ٢٧]
٤ ص ٧٦ب

ذلك اللون فيه، هذا في الطبيعيّين.

وأمّا في المتكلّمين الموحّدين فإنّهم يقولون: إنّ الناظر إذا عثر على وجه الدليل، فإنّ المدلول يحصل ضرورة، مع تفريقهم بين وجه الدليل والمدلول. وهذا لا يصحّ عند السليم العقل؛ فإنّه يحصل وجه الدليل ولا يحصل المدلول. ولا يتمكّن لهم أن يقولوا: إنّ وجه الدليل هو عبارة عن حصول المدلول؛ فإنّهم يفرّقون بين وجه الدليل والمدلول. فلو زادوا ضرورةً عادةً، لا عقلا؛ لم يُعترض عليهم؛ فإنّه لا فرق بين وجه الدليل أو الرؤية في الرائي؛ بل الرؤية أتمّ. ونحن نعلم بالإيمان أنّ الله قد أخذ بأبصارنا -مع وجود الرؤية فينا- عن كثير من المبصَرات لغيرنا؛ فلم يحصل المرئيّ ضرورة، مع وجود الرؤية وارتفاع الموانع التي تقدح في هذه النشأة الطبيعيّة. فيرى الإنسان الواحد ما لا يراه الآخر مع حضور المرئيّ لهما، واجتماعهما في[1] سلامة حاسّة البصر. فهذا حجابٌ إلهيّ، ليس للطبيعة ولا للكون فيه أثر. وهذا كثير. فكم من مشرك في الظاهر، موحّد في الباطن، وبالعكس.

وفيه عِلْمُ الآجال ما يُعلم منها، وما لا يُعلم؟

وفيه عِلْمُ كينونة الله في أينيّات مختلفات بذاته، ومَثَلُ ذلك مَثَلُ البياض في كلّ أبيض إن فهمتَ. فإنّ الله -تعالى- ما ذكر عن نفسه حكما فيه لا يكون له مثل في الموجودات. لأنّه لو ذكر مثل هذا؛ لم تحصل فائدة التعريف، غير أنّه يَدِقُّ على بعض الأفهام. فمن ظهر له الموجود الذي له عين ذلك الحكم، علمنا أنّه المخاطَب من الله بذلك الحكم، لا غيره. كما قال -تعالى-: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2] فبعض الناس قد علِم ما أراد بالكِبَر هنا، وبعضهم لا يعرف ذلك، فالذي عرف ذلك هو المخاطَب بهذه الآية. وهكذا في كلّ خطاب، حتى في ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[3] خاطب به مَن يعلم نفي المِثليّة في الأشياء.

وفيه عِلْمُ عموم تعلّق العلم الإلهيّ بالمعلومات، ومَن علِم منّا حصرَ المعلومات في واجب،

١ ص ٧٧
٢ [غافر : ٥٧]
٣ [الشورى : ١١]

ومحال، وممكن، في نفس الأمر، قد عمّ من وجهٍ كلّيّ، وبقي الفضل بين العلماء في نفس الأمر المحكوم عليها بأحد[1] هذه الأحكام.

وفيه عِلْمُ ما يأتي من الممكنات، وهي كلّها آيات، فيُعرض عن النظر في كونها آية مَن يُعرض؛ ما السبب في إعراض واحد، وعدم إعراض آخر في ذلك؟

وفيه عِلْمُ مَن يُشكّك نفسه فيما قد تبيّن له؛ ما الذي يدعوه إلى ذلك التشكيك؟

وفيه عِلْمُ مِن أيّ حقيقة إلهيّة خلق الله الالتباس في العالَم: هل كان ذلك لكونه يتجلّى لعباده في صور مختلفة تُعرف وتُنكر؟ مع أنّه -تعالى- في نفسه على حقيقة لا تتبدّل، ولا يكون التجلّي إلّا هكذا؛ فما في العالم إلّا التباس. وذلك لكون الشارع قد أخبر أنّ المؤمن يظهر بصورة الكافر؛ وهو سعيد، والكافر يظهر بصورة المؤمن؛ وهو شقيّ؛ فلا يُقطع على أحد بسعادة ولا بشقاء لالتباس الأمر علينا. فهذا عندنا ليس بالتباس؛ وإنّما الالتباس أن نقطع بالشقاء على السعيد، وبالسعادة على الشقيّ؛ حينئذ يكون الأمر قد التبس علينا. وأمّا إذا لم نقطع فما التبس علينا شيء.

وفيه عِلْمُ أنّ الحكم للرحمة يوم القيامة، وأنّ العدل من الرحمة، ويوم القيامة يومُ العَدْل في القضاء[2]. وإنّما تأتي الرحمة في القيامة لتشهد الأمر، حتى إذا انتهى حكم العدل، وانقضت مدّته في المحكوم عليه؛ تولّت الرحمةُ الحكمَ فيه إلى غير نهاية.

وفيه عِلْمُ ما هو لله، وما هو للخلق؟ وأعني بما هو لله؛ أنّه مخلَّص.

وفيه عِلْمُ الوصف الخاص بالله الذي لا يشركه فيه مَن ليس بإله.

وفيه عِلْمُ لِمَ تعدّدت الأسماءُ الإلهيّة باختلاف معانيها: فهل هي أسماء لما تحتها من المعاني؟ أو هي أسماء لمن نُسبت إليه تلك المعاني؟ وهل تلك المعاني أمور وجوديّة؟ أو نِسَبٌ لا وجود لها؟

١ ص ٧٧ب
٢ ص ٧٨

وفيه عِلْمُ الإنصاف والعدل في القضايا والحكومات.

وفيه عِلْمُ ما يفني من الاستحقاق بعد انقضاء مدّة حكمه؟ وما معنى الفلاح في نفيه عن المستحقّ بالعقوبة؟

وفيه عِلْمُ جحد المشرك الشريك؛ هل له في ذلك وجه إلى الصدق؟ أو هو كاذب من كلّ وجه؟ وذلك أنّ القائل في الحقيقة ليس غير الله، فلا بدّ أن يكون له وجهٌ إلى الصدق، من هنالك ينسب أنّه قول الله، وإن ظهر على لسان المخلوق؛ فإنّ الله قاله على لسان عبده. وقد ورد عن الرسول ﷺ[1] في الصحيح: «إنّ الله يقول على لسان عبده» ونطق القرآن بذلك فعينُ كلام الترجمان هو كلام المترجَم عنه.

وفيه عِلْمُ ما تعطيه الأحوال فيمن قامت به من الأحكام؟

وفيه عِلْمُ ما ينتجه القطع بوقوع أحد الممكنين من غير دليل؟

وفيه عِلْمُ ما يسخطه العارف الذي له الكشف من فعل الحقّ، مما لا يسخطه؟ والسخط من عمل الباطن، حتى لو لم يقم به سخط في باطنه وأظهر السخط؛ لكان حاله إلى النفاق أقرب من حاله إلى الإيمان.

وفيه عِلْمُ الحثّ على النفاق؛ هل يناقض التسليم؟ وإذا اجتمع صاحب تسليم وصاحب مداراة؛ أيّ الرجلين أعلم؟

وفيه عِلْمُ السبب المانع للسامع إذا نودي ولم يجب؛ هل يقال إنّه سمع؟ أو يقال فيه إنّه لم يَسْمع؟

وفيه عِلْمُ الظلمة، وهو العمى والضلال، وهو الحيرة.

وفيه عِلْمُ عموم الحشر لكلّ ما ضمّته الدار الدنيا من معدن، ونبات، وحيوان، وإنس، وجانّ، وسماء، وأرض.

١ ص ٧٨ب

وفيه عِلْمُ السبب الذي يدعو إلى توحيد الحقّ -سبحانه- ولا يتمكن معه إشراك؛ وهل له[1] حكم البقاء فيبقى حكم التوحيد؟ أو لا بقاء له؟ أو يبقى في حقّ قوم دون قوم؟

وفيه عِلْمُ عموم الإيمان؛ ولهذا يكون المآل إلى الرحمة، حتى لا يرحم الله إلّا المؤمنين؛ فإنّه من الرحمة حكم عموم الإيمان.

وفيه عِلْمُ البوادِه والهجوم، وله باب في الأحوال من هذا الكتاب.

وفيه عِلْمُ مَن تكلّف العلم وليس بعالم فصادف العلم؛ هل يقال فيه إنّه عالم، أم لا؟

وفيه عِلْمُ الحبّ لله والبغض لله؛ هل للذي بَغَضَ لله وَجْهٌ يُحبّ فيه لله، كما له من الله وجهٌ يرزقه به على بُغضه فيه؟

وفيه عِلْمُ فائدة التفصيل في المجمَل.

وفيه عِلْمُ فطرة الإنسان على العجلة في الأشياء إذا كان متمكنا منها.

وفيه عِلْمُ الغيوب؛ وما يُعلم منها، وما لا يُعلم منها؟ والأسباب المجهولة مسبّباتها من حيث[2] أنّها لهذه الأسباب مع العلم بها وبأسبابها، لا من حيث أنّها أسباب لها.

وفيه عِلْمُ الله شخصيّات العالَم.

وفيه عِلْمُ الوفاة والبعث في الدنيا. وعِلْمُ الوفاة التي يكون البعث منها في الآخرة، والانتقال إلى البرزخ في الموتتين.

وفيه[3] عِلْمُ مراتب الأرواح الملكيّة في عباداتهم.

وفيه عِلْمُ عموم نجاة العالَم المشرِك وغير المشرك، وهو عِلْمٌ غريب منصوص عليه في القرآن ولا يُشعر به.

---

١ ص ٧٩
٢ "من حيث" في ق: "بحيث" وصححت فوقها بقلم الأصل
٣ ص ٧٩ب

وفيه عِلْمُ السبب الموجب لترك الفعل من القادر عليه.

وفيه عِلْمُ لكلّ اسم مسمّى، ولا يلزم من ذلك وجود المسمّى في عينه. وأيّ مرتبة تعمّ جميع المعلومات بالوجود، سواء كان المعلوم محال الوجود، أو لا يكون؟

وفيه عِلْمُ ما يكون من الجزاء برزخا؛ فينتج العمل به جزاء آخر؟

وفيه عِلْمُ الرِّدَّة لماذا (=إلى ماذا) ترجع؟ وما هو إلّا سلوك إلى أمام كما نقول: رجعت الشمس في زيادة النهار ونقصه، وما عندها رجوع؛ بل هي على طريقها. فهل هو كالنسخ في الأشياء؛ وهو انتهاء مدّة الحكم وابتداء مدّة حكم آخر، والطريق واحدة لم يكن في السالك عليها رجوع عنها؟

وفيه عِلْمُ النفخ، واختلاف أحكامه مع أحديّة عينه.

وفيه عِلْمُ المشاهدة والفرق بينها وبين علم النظر.

وفيه عِلْمُ الاستدلال.

وفيه عِلْمُ لكلّ عِلْم رجال، ولكلّ[1] مقام مقال، وإن كان لا ينقال؛ فمقالة حال.

وفيه عِلْمُ مَن تشبّه بمن لا يقبل التشبيه به؛ ما الذي دعاه إلى ذلك؟

وفيه عِلْمُ الإعادة أنّها على صورة الابتداء، وإن لم تكن كذلك؛ فليست بإعادة.

وفيه عِلْمُ هل يكون الشيء محلّا لِضدّه، أم لا؟

وفيه عِلْمُ إيضاح المبهَمات.

وفيه عِلْمُ حكم الليل والنهار، ونسبة الولوج والغشيان والتكوير إليهما، وكونهما جديدين وملَوَين.

وفيه عِلْمُ إخراج الكثير من الواحد، وكيف لا يصحّ ذلك إلّا بالتدريج على التركيب الطبيعيّ

---

١ ص ٨٠

الذي لا يتركّب إلّا بالواحد؟

وفيه عِلْمُ ما معنى الاستحالات في الأشياء؟

وفيه عِلْمُ الأحكام؛ هل يصحّ كلُّ حكم على مَن توجّه عليه؟ أو منها ما يصحّ، ومنها ما لا يصحّ؟ والحاكم الله؛ فكيف يكون في الوجود حكم لا يصحّ على المحكوم عليه؟ وفي هذه المسألة غموضٌ مِن كون الحكم بالشريك قد ظهر في الوجود، وهو حكم باطل إذا نُسب إلى الله؛ إذ هو -تعالى- لا شريك له في مُلكه.

وفيه عِلْمُ اتّساع القالة في الله أنّه الإمهال الإلهيّ، لا إهمال.

وفيه[1] عِلْمُ ما تؤثّر التسمية؟ وما يؤثّر تركها؟

وفيه عِلْمُ ما تضمّنته هذه الأبيات وهي:

الجَهْلُ مَوْتٌ وَلَكِنْ لَيْسَ يَعْلَمُهُ	إلّا الذِي حَيِيَتْ بِالعِلْمِ أَنْفَاسُهْ
لَا يَعْرِفُ الحَلَّ فِي عَقْدٍ رَبَطْتَ بِهِ	إلّا الّذِي قَوِيَتْ بِالفَتْلِ أَمْرَاسُهْ
وَما حَلَلْتَ وَلَكِنْ أَنْتَ تَزْعُمُهُ	وَمَنْ تَخَيَّلَ هَـذَا صَحَّ إِبْلاسُهْ
مَنْ يُضْلِلِ اللهُ لَا هـادٍ يُبَصِّرُهُ	وَهْوَ الّذِي فِي غِناهُ عَنْهُ إِفْلاسُهْ

وفيه عِلْمُ ما يقع فيه التضعيف. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[2].

---

[1] ص ٨٠ب
[2] [الأحزاب: ٤]

الباب التاسع والسبعون وثلاثمائة[1]
في معرفة منزل الحلّ والعقد، والإكرام والإهانة، ونشأة الدعاء في صورة الإخبار؛ محمّديّ

صِحافٌ مِنَ اللُّجَيْنِ	وَمِنْ جَوْهَرٍ وَعَيْنِ
أَتَتْنا[2] بِها كِرامٌ	عَلَيْها سُتُورُ صَوْنِ
فَلَمَّا بَدَتْ إِلَيْنا	أَكَلْنا مِنْ كُلِّ لَوْنِ
فَمِنْها عُلُومُ نُعْتِ	وَمِنْها عُلُومُ كَوْنِ
وَمِنْها عُلُومُ حالٍ	وَمِنْها عُلُومُ عَيْنِ
فَمِنْ قائِلٍ بِوَصْلِ	وَمِنْ قائِلٍ بِبَيْنِ
فَسُبْحانَ مَنْ تَعالَى	بِتَشْبِيهِ كُلِّ عَيْنِ
فَما كَوْنُهُ سِواهُ	وَما كَوْنُهُ بِكَوْنِي

اعلم أنّ الاثني عشر- منتهى البسائط من الأعداد: أصابع، وعَقْد. فالأصابع منها تسعة، والعقد ثلاثة؛ فالمجموع اثنا عشر. ولكلّ واحد من هؤلاء الاثني عشر- حكمٌ ليس للآخر، ومشهدٌ إلهيّ لا يكون لسِوَاهُ. ولكلّ واحد من هذا العدد رَجُلٌ من عباد الله له حكم ذلك العدد.

فالواحد منهم ليس من العدد؛ ولهذا كان وِتْرُ رسول الله ﷺ إحدى عشرة ركعة؛ لأنّ الواحد ليس من العدد. ولو كان الواحد من العدد ما صحّت الوتريّة جملة واحدة، لا في العدد ولا في المعدود. فكان وتر رسول الله ﷺ إحدى عشرة ركعة، كلُّ ركعة منها نشأةُ رجلٍ من أُمّته؛ يكون قلبُ ذلك الرجل على صورة قلب النبيّ ﷺ في تلك الركعة. وأمّا الثاني عشر- فهو

---

[1] ثابتة في الهامش
[2] ص ٨١

الجامع للأحد[1] عشر.

والرجل الذي له مقام الاثني عشر- حَقٌّ كلّه، في الظاهر والباطن، يَعلم ولا يُعلم، وهو الواحد الأوّل؛ فإنّ أوّل العدد من الاثنين. فإذا انتهيت إلى الاثني عشر- فإنما هي نهايتك إلى أحد عشر من العدد؛ فإنّ الواحد الأوّل ليس منه. ولا يصحّ وجود الاثني عشر- إلّا بالواحد الأوّل؛ مع كونه ليس من العدد، وله هذا الحكم. فهو في الاثني عشر لا هو، كما تقول: أنت لا أنت.

وهؤلاء الاثنا عشر هم الذين يستخرجون كنوز المعارف التي اكْتُنِزَتْ في صور العالَم. فللعالم الصور من العالَم، ولهؤلاء علم ما تحوي عليه هذه الصور؛ وهو الكنز الذي فيها؛ فيستخرجونه بالواحد الأوّل؛ فهم أعلم الناس بالتوحيد والعبادة. ولهم المناجاة الدائمة، مع الله، الدائمة، المستصحبة استصحاب الواحد للأعداد. مثل قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[2] أي ليس لكم وجود معيَّن دون الواحد. فبالواحد تظهر أعيان الأعداد؛ فهو مظهرها ومُفنيها؛ فالأَلِف نَعْتُه؛ إذ بالأَلِف وقعتْ أُلفة الواحد بمراتب العدد لظهوره؛ فهو الأوّل والآخِر.

وإذا ضربتَ الواحد في نفسه لم يظهر في الخارج بعد الضرب سِوَى نفسه، وفي أيّ شيء ضربتَ الواحد؛ لم يتضاعف ذلك الشيء ولا زاد. فإنّ الواحد الذي ضربتَه في تلك الكثرة، إنما ضربتَه في[3] أحديّتها. فلهذا لم تظهر فيها زيادة؛ فإنّ الواحد لا يقبل الزائد في نفسه، ولا فيما يُضرب فيه؛ فلا يتضاعف؛ فهو واحدٌ حيث كان. فتقول: واحدٌ في مائة ألفٍ بمائة ألف، وواحدٌ في اثنين باثنين، وواحدٌ في عشرة بعشرة، لا يزيد منه في العدد المضروب شيء أصلا. لأنّ مقام الواحد يتعالى أن يَحُلَّ في شيء، أو يَحُلَّ فيه شيء، وسَوَاء كان من العدد الصحيح أو المكسور؛ لا فرق. فهو -أعني الواحد- يترك الحقائق على ما هي عليه، لأنّ الحقائق لا تتغيّر عن ذاتها. إذ لو تغيّرتْ؛ لتغيّر الواحدُ في نفسه، وتغيّر الحقُّ في نفسه. وتغيُّر الحقائق محال، ولم يكن

١ ص ٨١ب
٢ [الحديد : ٤]
٣ ص ٨٢

يَثبتُ عِلم أصلا؛ لا حقّا ولا خلقا. فثبت أنّ الحقائق لا تنقلب أصلا؛ وبهذا يعتمد على ما يعتمد عليه، وهو المسمّى علما.

فلنذكر كلَّ رجل من هؤلاء الأحد عشر الذين انتشئوا مِن وِتر رسول الله ﷺ، بل هذه الصور ربما[1] جَعلتْ رسول الله ﷺ يوتِر بإحدى عشرة ركعة في الصورة الظاهرة. وهذه الصور منه -صلّى لله عليه وسلّم- في الباطن؛ فإنّه كان نبيّا وآدم بين الماء والطين؛ فأنشأها لمّا كانت هذه صفته. فلمّا ظهر بجسده، استصحبته تلك الصور المعنويّة؛ فأقامت جسدَه ليلا لمناسبة الغيب؛ فحَكمتْ على ظاهره بإحدى عشرة ركعة[2] كان يوتر بها؛ فكانت وِتره. فهي الحاكمة المحكومة له. فمنه ﷺ انتشئوا، وفيه ﷺ ظهروا، وعليه حكموا بوجهين مختلفين.

فمن ذلك صورة الركعة الأُولَى

انتشأ منها رجل من رجال الله يدعى بـ"عبد الكبير" من حيث الصفة، لا أنّه اسم له. وهو نشأة روحانيّة معقولة؛ إذا تجسّدتْ كانت في صورة إنسانٍ صِفَتُه ما يُدْعَى به، وهكذا هي كلّ صورة من صور هؤلاء الاثني عشر.

واعلم أنّ المفاضلة في الأسماء الإلهيّة مثل "أَعْلَى" و"أَجَلّ" في قول رسول الله ﷺ حين «قال المشركون في رَجَزِهِم: أُعْلُ هُبَلْ أُعْلُ هُبَلْ. فقال رسول الله ﷺ: قولوا. فقالوا: يا رسول الله؛ ما نقول؟ قال: قولوا: اللهُ أعلى وأجلّ». وهم يُسلِّمون هذا القدر، فإنّهم القائلون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[3] فهو عندهم أعلى وأجلّ. فلو صدَّقوا رسول الله ﷺ في أنّه رسولٌ من عند الله الذي يطلبون التقرُّب إليه بعبادة هؤلاء الآلهة، فما سمّوهم آلهة إلّا لكونهم جعلوهم معبودين لهم، لأنّ الإله هو المعبود، والإلاهةُ (هي) العبادةُ. وقد قُرِئ: ﴿وَيَذَرَكَ وَإِلَاهَتَكَ﴾[4] أي وعبادتك. وإذا قال: "وَآلِهَتَكَ" يقول: "والمعبودين الذين[5] نعبد".

١ ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٢ ص ٨٢ب
٣ [الزمر : ٣]
٤ [الأعراف : ١٢٧]
٥ ص ٨٣

فلمّا نسبوا الألوهة لهؤلاء الذين عبدوهم، ونسبتها إلى الله أتمّ وأعظم عندهم باعترافهم، لذلك قال رسول الله ﷺ بِبنية المفاضلة في ذلك، يقول لهم: أي هذا قولكم واعتقادكم. وكذلك جاء في التكبير في الصلاة لفظة "الله أكبر" بِبنية المفاضلة؛ لا أنّ الحجارة أفضل، ولا ما نحتوه، ولا ما نَسَبوا إليه الألوهة مِن كوكبٍ وغيره. وإنّما وقعت المفاضلة في المناسبة، لا في الأعيان؛ لأنّه لا مفاضلة في الأعيان؛ لأنّه ليس بين العبد والسيّد، ولا الربّ والمربوب، ولا الخالق والمخلوق، مفاضلة. فإن تحقّقتَ ما أومأنا إليه في نشء هذه الصورة علمتَ مآل المشرك بعد المؤاخذة.

* * *

نشءُ صورة الركعة الثانية من الوتر

انتشأ منها رجل من رجال الله -تعالى- يقال له: "عبد المجيب".

واعلم أنّ الإجابة فرع عن السؤال فهذا عبدٌ مؤثّر بسؤاله ودعائه في سيّده؛ مؤثّر فيه الإجابة لعبده. فإنّ الله قد أثبت لنفسه ﷻ على لسان رسوله ﷺ أنّ العبدَ يُرضي اللهَ فيرضى، ويُغضِب اللهَ فيغضب، ويُسْخِط اللهَ فيسخط، ويُضحِكُ[1] اللهَ فيضحك، وما أشبه ذلك مما ورد في الكتاب والسنّة. والحقُّ -تعالى- يؤثّر في العبد السؤال ليجيب، والفعل المُسْخِط لِيَسْخَط، وذلك ليُعلم أنّ الأمر دوريٌّ كُرَيٌّ، وأنّ منتهى الدائرة يرجع لنقطة ابتدائها. فينعطف الآخر على الأوّل؛ ليكون هو الأوّل والآخِر. فما أرضاه إلّا هو، ولا أسخطه إلّا هو؛ لأنّه يتعالى أن يكون مؤثّرًا لِغيرٍ، فافهم. وليس لله حكم في العالم إلّا ما ذكرناه.

ألا تراه يقول: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾[2] ولا شغل له إلّا بنا؟ فمتا يَفرغ لنا. فلو زُلْنا لكان ولم يكن؛ وجودا وتقديرا، ولا يُعقل الأمر إلّا هكذا، ولَبَطلت الإضافات، ولا تبطل؛ لأنّها لنفسها هي إضافات؛ فلا يُعقلُ الربُّ إلّا مضافا. ولذلك ما جاء (الربُّ) في القرآن قطّ مطلقا من غير إضافة، وإن اختلفتْ إضافاته. فتارة يُضاف إلى أسماء الضمائر، وتارة يضاف إلى

---

[1] ص ٨٣ب
[2] [الرحمن : ٣١]

الأعيان، وتارة يضاف إلى الأحوال. وإن لم تَعقِل معرفتك بربّك هكذا، وإلّا فما عرفتَ ربّك أصلا؛ وإنّما عرفت بالتقسيم العقلي أنّ حكم الواجب الوجود لذاته؛ أن يكون كذا.

وهل ثَمّ واجب وجود لذاته؛ أم لا؟ لا تعرفه إلّا بك. وما لم تعرفه إلّا بك؛ فلا بدّ أن يكون العلم به موقوفا على علمك بك. فوجودك موقوف على وجوده، والعلم بربوبيّته عليك موقوف على العلم بك. فله الأصلُ في[1] الوجود، ولك حكم الفرع في الوجود، وأنت الأصل في العلم به، وله حكم الفرع في العلم.

* * *

نَشْءُ صورة الركعة الثالثة من الوتر

انتشأ منها رجل من رجال الله يدعى: عبد الحميد.

اعلم أنّ الثناء على الله على نوعين: مطلَق ومقيّد. فالمطلق لا يكون إلّا مع العجز، مثل قوله ﷺ: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» قال قائلهم:

إذا نَحْنُ أَثْنَيْنا عَلَيْكَ بِصالِحٍ   فَأَنْتَ الذي نُثْني وَفَوْقَ الذي نُثْني

ولا يمكن أن يحيط مخلوقٌ بما يجب لله -تعالى- من الثناء عليه؛ لأنّه لا يمكن أن يدخل في الوجود جميعُ الممكنات. ولكلّ ممكنٍ وجهٌ خاصّ إلى الله؛ منه يوجده الله، ومنه يعرفه ذلك الممكن، ومنه يثني عليه الثناء الذي لا يعرفه إلّا صاحبُ ذلك الوجه؛ لا يمكن أن يعلمه غيرُه، ولا يدلّ عليه بلفظ، ولا إشارة. فهذا مطلَق الثناء على الله بكلّ لسان مما كان ويكون.

ولهذا ثوابُ قول القائل: «سبحان الله عدد خلقه» لا يُتصوّر وقوعه في الوجود؛ لكن[2] لا يزال يوجد ثوابه، حالا بعد حال على الدوام إلى ما لا يتناهى. ولهذا، أيضا، جاء به الشرع مُثلَّثا؛ أن يقول العبد ذلك ثلاث مرّات؛ ليحصّل بذلك ثواب المحسوس، والثواب المتخيَّل، والثواب المعنويّ؛ فينعم حِسًّا وخيالا وعقلا، كما يذكر حِسًّا وخيالا وعقلا، كما يعبد حِسًّا وخيالا وعقلا.

---

[1] ص ٨٤
[2] ص ٨٤ب

وكذلك ذِكْر العبد «مداد الكلمات الإلهيّة»، وكذلك «زِنَة عرشه» إذا كان العرشُ العالَمَ كلّه بِتَجَدُّدِه، وكذلك «رضى نفسه» فيما يفعله أهل الجنّة وأهل النار؛ فإنّهم ما يفعلون ولا يتصرّفون إلّا في المراضي الإلهيّة؛ لأنّ الموطن يعطيهم ذلك. بخلاف موطن الدنيا والتكليف، فإنّهم يتصرّفون في موطن الدنيا بما يرضي الله وبما يسخطه؛ وإنما كان ذلك لكون النار جعلها دارَ مَن سخِط عليه؛ فلا بدّ أن يتحرّك أهلُها فيما يسخط الله في دار الدنيا. فإذا سكنوا دار النار وعمروها، لا يمكن أن يتحرّكوا إلّا في مرضاة الله؛ ولهذا يكون المآل لأهلها إلى حكم الرحمة التي وسعت كلّ شيء، وإن كانت دارَ شقاء. كما نقول في الرسول الذي انتهتْ رسالته، وفرغ منها، وانقلب إلى الله: "إنّه رسول الله" وإن كان في ذلك الحال، ليس برسول. كذلك نقول في دار الشقاء: إنّها دار شقاء، وإن كان أهلها فيها قد[1] زال عنهم حكمُ[2] الشقاء.

وأمّا الثناء المقيَّد؛ فالحكماء يقيّدونه بصفة التنزيه، لا غير. وإن أثنوا عليه بصفة الفعل؛ فبحكم الكلّ أو الأصالة، لا بحكم الشخص. وما عدا الحكماء فيقيّدون الثناء على الله بصفة الفعل وصفة التنزيه معًا. وهم الكُمَّل؛ لأنّهم شاركوا الحكماء فيما علِموا، وزادوا عليهم بما جهله الحكماء ولم يعلموه لقصور هِمَمِهم؛ للشبهة التي قامت لهم، وحكمتْ عليهم بأنّه -تعالى- ما صدر عنه إلّا الواحد المشار إليه فقط، وبأنّه -تعالى- لا يجوز عليه ما نعتَ به نفسَه في كتابه؛ إذ لم يثبت عندهم، في نظرهم، كتابٌ منزَل ولا شخصٌ مرسَل، على الوجه الذي هو الأمر في نفسه وعند أهل الكشف والإيمان الصرف وبعض عقول النظّار مثل المتكلّمين وغيرهم، ممن يقول بذلك من جهة النظر العقليّ.

وقد سَرَى في العالم كلّه حكم صور هذه الركعات الوِتريّة النبويّة، من وقت كونه نبيًا ﷺ وآدم بين الماء والطين إلى يوم القيامة.

١ ص ٨٥
٢ ثابتة في الهامش بقلم آخر

نشء صورة الركعة الرابعة من الوتر

انتشأ[1] منها رجل من رجال الله يدعى: عبد الرحمن.

اعلم أنّ الرحمة الإلهيّة التي أوجد الله في عباده ليتراحموا بها مخلوقةٌ من الرحمة الذاتيّة التي أوجد الله بها العالم، حين أحبَّ أن تَعرف ربّها كتب على نفسه الرحمة. وهذه الرحمة المكتوبةُ منفعلةٌ عن الرحمة الذاتيّة. والرحمة الامتنانيّة هي التي وسعت كلّ شيء. فرحمةُ الشيءِ بنفسه تمدّها الرحمةُ الذاتيّة، وتنظر إليها، وفيها يقع الشهود من كلّ رحيم بنفسه. فإنّ الله قد وصف نفسَه بالحبّ وشدّة الشوق إلى لقاء أحبابه. فما لقيهم إلّا بحكم هذه الرحمة التي يشهدها صاحبُ هذه الرحمة، هي الرحمة التي كتبها على نفسه، لا مشهد لها في الرحمة الذاتيّة، ولا الامتنانيّة.

وأمّا رحمة الراحم بمن أساء إليه، وما يقتضيه شمول الإنعام الإلهيّ والاتّساع الجوديّ، فلا مشهد لها إلّا رحمة الامتنان؛ وهي الرحمة التي يترجّاها إبليسُ فَمن دونه، لا مشهد لهؤلاء في الرحمة المكتوبة، ولا في الرحمة الذاتيّة. وبهذا كان الله والرحمن -دون غير الرحمن من الأسماء- له الأسماء الحسنى. فجميع الأسماء دلائل على الاسم الرحمن وعلى الاسم الله، ولكنّ أكثر الناس لا يشعرون. وما رأيت أحدًا[2] من أهل الله نبّه على تثليث الرحمة بهذا التقسيم؛ فإنّه تقسيم غريب، كما هو في نفس الأمر؛ فما علِمناه إلّا من الكشف. وما أدري لماذا تَرك التعبير عنه أصحابُنا، مع ظنّي بأنّ الله قد كشف لهم عن هذا؟.

وأمّا النبوّات؛ فقد علمتُ أنّهم وقفوا على ذلك وقوفَ عين، ومن نور مشكاتهم عرفناه؛ لأنّ الله رزقنا الاتّباع الإلهيّ والاتّباع النبويّ. فأمّا الاتّباع الإلهيّ فهو قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾[3] فالله في هذه المعيّة يتبع العبد حيث كان. فنحن، أيضا، نتبعه -تعالى- حيث ظهر بالحكم. فنحن وقوفٌ، حتى يظهر بأمرٍ، يعطي ذلك الأمرُ حكمًا خاصًا في الوجود، فنتبعه فيه ولا نظهر في العامّة بخلافه. كسكوتنا عن التعريف به أنّه "هو" إذا تجلّى في صورة يُنْكَرُ فيها،

١ ص ٨٥ب
٢ ص ٨٦
٣ [الحديد: ٤]

مع معرفتنا به. فهو المقدَّم بالتجلّي وحكم الإنكار. فنحن نتبعه بالسكوت، وإن لم ننكِر ولا نُقِرّ. فهذا هو الاتّباع الإلهيّ.

وأمّا الاتباع النبويّ، الذي رزقنا الله، فهو قوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[1] ثمّ إنّه اتبعَنا، وتأسّى بنا في صلاته إذا صلّى بالجماعة؛ فيكون فيها الضعيف والمريض وذو الحاجة؛ فيصلّي بصلاتهم. فهو ﷺ المتَّبَع المتَّبِع -اسم مفعول واسم فاعل-. ثمّ أمرنا أن نصلّي -إذا كنّا أئمّة- بصلاة[2] الأضعف.

فاتّبعنا الرحمنَ بما ذكرناه؛ فنحن التابعون[3]. واتّبعَنا الرحمنُ بما تعطيه حقائقنا من الاحتياج والفاقة، فيمشي بما نحن عليه؛ فنحن المتبوعون. فانظر ماذا تعطي حقائق السيادة في العبيد؟ وحقائق العبادة والعبوديّة في السيادة؟!

فهذا الرجل (الذي هو عبد الرحمن) هذه صفته في العالَم. وبهذه الركعة الرابعة ظهرت أحكام الأسماء الأربعة الإلهيّة، وأحكام الطبيعة في النشأة الطبيعيّة، وأحكام العناصر في المولّدات الثلاثة التي لها هذه الرحمات الثلاثة، وأحكام الأخلاط في النشأة الحيوانيّة. فلهذا الرجل المهيمنيّة على هذه كلّها.

* * *

نشء صورة الركعة الخامسة من الوتر

انتشأ منها رجل من رجال الله يقال له: عبد المعطي.

فتارة يكون عطاؤه وهبا؛ فيكون المعطَى عبد الوهّاب، وتارة يكون (عطاؤه إنعاما؛ فيكون المعطَى)[4] عبد المنعم، وتارة يكون عطاؤه كرما؛ فيكون المعطى عبد الكريم، وتارة يكون عطاؤه جودا؛ فيكون المعطَى عبد الجواد، وتارة يكون عطاؤه سخاء؛ فيكون المعطى عبد

١ [الأحزاب : ٢١]
٢ ص ٨٦ب
٣ ق: التابعين
٤ مابين القوسين من هـ فقط

المقيت وعبد السخيّ، وتارة يكون عطاؤه إيثارا؛ فيكون المعطَى عبد الغنيّ. وهذا العطاء[1] أغمض الأعطيات وأصعبها تصوّرا؛ بل يمنعها[2] الجميع إلّا نحن. وما رأينا أحدا أثبتَ هذا العطاء في الإلهيّات، وما يثبته إلّا مَن علِم معنى اسمه الغنيّ -تعالى-.

وذلك أنّه قد ثبت في الصحيح أنّ العبد يصل إلى مقام يكون الحقُّ -من حيث هُويّته- جميع قواه في قوله: «كنت سمعَه وبصرَه ويدَه» وغير ذلك من أعضائه وقواه. الحديث. وهو -سبحانه- الغنيّ لذاته الغِنى الذي لا يمكن إزالتُه عنه. فإذا أقام العبدَ في هذا المقام؛ فقد أعطاه صفة الغنى عنه وعن كلّ شيء؛ لأنّ هُويّته هي أعيان قوى هذا العبد. وليس ذلك في تقاسيم العطاء إلّا للإيثار؛ فقد آثر عبدَه بما هو؛ لهويّته. قال -تعالى-: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[3] بل بهم خصاصة. ولمّا كان عطاء الإيثار فضلا يرجع على المعطي، كان الحقُّ أَوْلَى بصفة الفضل. فعطاء الإيثار أحقُّ في حقّ الحقّ، وأتمّ في حقّ العبد. وهذا من علوم الأسرار التي لا يمكن بسط التعريف فيها إلّا بالإيماء لأهلها؛ أُشَجِّعهم للعمل عليها؛ فإنّهم في غايةٍ من الخوف لقبولها؛ فكيف للاتّصاف بها. وباقي الأسماء هيّنة الخطب.

* * *

نشء صورة الركعة السادسة من الوتر

انتشأ[4] منها رجل من رجال الله يقال له: عبد المؤمن.

اعلم أنّ الإيمان إذا كان نعتا إلهيّا فهو ما يظهر من الدلالات كلّها على وجه صحّة ما يدّعيه المدّعي، أيّ مدّعٍ كان، على ما كان من غير تعيين، بشرط أن يكون دليلا في نفس الأمر؛ كما يشهد له الحسُّ إن كان الدليل محسوسا. حتى لو أعطى العلم الضروريّ بصدق هذه الدّعوى في نفس الحاكم؛ لكان ذلك العلم الضروريّ عينَ الدليل على صدق دعوى هذا المدّعي؛ فناصِبُ

١ ص ٨٧
٢ ق: "يجمعها" وصححت فوقها بقلم الأصل
٣ [الحشر : ٩]
٤ ص ٨٧ب

هذه الدلالات هو المصدِّق لصاحب هذه الدّعوى. فإذا صدّقه مَن صدّقه، وحصل العلم بذلك في نفس مَن حصل عنده؛ كان ذلك الشخص الحاصل عنده هذا الدليل مصدّقا لصاحب هذه الدّعوى. وعاد التصديق كونيّا؛ أي في الخلق كما هو في الحقّ. فكان صاحب الدّعوى بين مصدِّقين محصورا؛ من أيّ جهة التفتَ لم يجد إلّا مصدّقا بما جاء به في دعواه. فأعطاه هذا الحالُ الأمانَ في نفسه من تكذيبه من هذين الطرفين، ولو جحد الكونُ؛ فإنّه متيقّن في نفسه صدق هذا المدَّعي. وليس المراد إلّا ذلك، أعني حصول العلم بصدقه.

فبصورة هذه الركعة سَرَى التصديق في عالم الإنس والجانّ في بواطنهم. وذلك حين وقعتْ[1] منه (ص) هذه الركعة في باطن الأمر؛ إذ كان نبيّا وآدم بين الماء والطين، فلم تزل تسري روحا مجرَّدا في كلّ مصدِّق، حتى ركعها ﷺ بصورة جسمه؛ فتجسَّدتْ. ولَبِسَ ذلك الروح من فعله صورةً جسديّة لأنّها من حركات محسوسة. فكان فِعلها أقوى، عندنا، للجمع بين الصورتين، كما كان تأثيره ﷺ بظهور جسمه أقوى في بَعثه منه، إذ كان نبيّا وآدم بين الماء والطين. فإنّه ينسخ بصورة بعثته جميع الشرائع كلّها، ولم يَبْقَ لشريعةٍ حكمٌ سِوَى ما أبقى هو منها، من حيث هي شرعٌ له، لا من حيث ما هي شرعٌ فقط.

* * *

نشء صورة الركعة السابعة من الوتر

انتشأ منها رجل من رجال الله يقال له: عبد الرحيم.

اعلم أنّ الرحمة في عين القادر على إظهار حكمها تعود عذابا أليما على مَن قامت به؛ لأنّها من ذاتها تطلب التعدّيَ إلى المرحوم، وإظهارَ أثرها بالفعل فيه. فإذا قامت بالقادر على تنفيذها في المرحوم؛ كان لها أثران: أثرٌ في الراحم، وهو ما زال عنه من الألم بحصول أثرها في المرحوم. فالراحم مرحوم بها من حيث قدرته[2] على تنفيذها. والذي نفذتْ فيه مرحومٌ، أيضا، (بها) وبقدرة

١ ص ٨٨
٢ ص ٨٨ب

الراحم على تنفيذها[1]؛ فأثرها فيه من وجهين. والأثر (هو) إزالةُ ما أدّى الراحم لتعلُّق الرحمة بذلك المرحوم.

فما كلّ رحمة تكون نعيما؛ إلّا إذا كان الراحم قادرا على تنفيذها. فللرحمة تجلٍّ في صورة العذاب في حقّ الراحم الذي نفيتَ عنه الاقتدار، ولها تجلٍّ في صورة النعيم في حقّ الراحم والمرحوم إذا كانت في قادر على تنفيذها؛ فقد قبلتْ الصورتين المتقابلتين. وهذا من أعجب الأمور: الرحمة تنتج ألما وعذابا. فلو لم تقم الرحمة به؛ لم يتّصف بالألم هذا الذي لا اقتدار له. ثُمّ الذي في المسألة من العجب العُجاب؛ أنّ الرحمة القائمة بالموصوف بنفوذ الاقتدار، قد يكون له مانع من تنفيذها من ذاته؛ فيقوم به ألَمُ الكراهة؛ وذلك حكم ذلك المانع مع كونه متّصفا بالاقتدار على تنفيذها.

وهذه المسألة من أصعب المسائل في العلم الإلهيّ. وظهر حكم ذلك في الصحيح من الأخبار الإلهيّة عن نفسه -تعالى وعزّ وجلّ- حيث قال: «ما تردّدت في شيء أنا فاعله تردّدي في قبض نسمة المؤمن؛ يكره الموت وأكره مساءته ولا بدّ له من لقائي» وهو الذي جعله يكره الموت، ودلّ على أنّ لقاءه -تعالى- لا يكون إلّا بالموت، وهو الخروج عن الحِسّ المطلق إلى الحسّ المشترك؛ كما يراه في النوم لِكَون النوم ضربا من ضروب الموت؛ فإنّه وفاة وانتقال من عالم[2] الحسّ إلى عالم الخيال والحسّ المشترك. فيرى النائمُ ربَّه في نومه، كما يراه الميّت بعد موته. غير أنّ رؤية الميّت ولقاءه ربَّه لا رجعة، بعد رؤيته، عنه، والنائم يستيقظ مرسَلا إلى الأجل المسمّى.

فإن كان اللقاء عن فناء، لا عن نوم، ثمّ رُدّ إلى حال البقاء؛ فحكمه حكم الميّت، إذا بُعث يوم القيامة لا يقع له حجابٌ عنه. فهذا الفارق بين النائم والفاني. ولذلك قال عمرو بن عثمان المكي في صفة العارفين: "إنّهم كما هم اليوم؛ كذلك يكونون غدا -إن شاء الله تعالى-" فلم يُر أعجب من

١ "والذي نفذت.. تنفيذها" ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب
٢ ص ٨٩

حكم الرحمة. ألا ترى الطبيب تقوم به الرحمة لصاحب الأكِلة، ولا يقدر على تنفيذها فيه إلّا بإيلامه؟ فعلى قدر رحمة ذلك الطبيب بصاحب هذه العلّة، يكون ألمُهُ في نفسه؛ لعدم إنفاذها فيه من غير إيلامه؛ فلولا رحمتُه به ما تألّم. ألا ترى المتشفّي لا يجد ألماً؛ بل يجد لذّة. فتدبّر ما ذكرته لك في العلم الإلهيّ.

ولقد رأيته في الكشف الصحيح والمشهد الصريح، ورسول الله ﷺ معي، وقد أمَر -تعالى- بقتل الدجّال لدعواه الألوهة. وهو يبكي ويعتذر عنه فيما يعاقب به من أجله، وأنّه ما بيده في ذلك من شيء. فبكاؤه مثل الألم في نفس الراحم الذي ما له اقتدار على تنفيذ رحمته للمانع. فما في العلم الإلهيّ حيرة أعظم من هذه الحيرة، ولولا عِظَمها ما وصف الحقّ نفسه بالتردّد، والتردّد حيرة[1]، فافهم.

* * *

نشء صورة الركعة الثامنة من الوتر

انتشأ منها رجل من رجال الله -تعالى- يقال له: عبد الملك.

اعلم أنّ الملِك هو الذي أحدث هذه الحقيقة التي تُسمّى مُلكا، فإذا تَسمّى بها العبد واتّصف الحقّ بالملِك؛ لم يتّصف به اتّصاف المخلوق؛ فإنّ المخلوق مُلك على الإطلاق، والحقّ مُلْكُ المُلْك، لا مُلك على الإطلاق. فإنّه لا يكون مُلكا للعبد حتى تظهر عند العبد عبوديّته، ويظهر عنده كونه مُلكا لمليكه وهو الله -تعالى-.

وإنما قلنا هذا لأجل طائفة أعطاها نظرها إلى الله، أنّ الله لا يَعلم الجزء على التعيين، وإنما يعلم الكلَّ الذي يتضمّن الجزء، بخلاف أهل الحقّ؛ أهل الكشف والوجود. ولهذا كان له اسم المُلْك، والملِك -أي هذا الوصف- ظهر عن شدّةٍ لكون أصحاب هذا النظر العقليّ لا يثبتوه. فلمّا لم تجتمع عليه العقولُ وقعتْ فيه المنازعة، فاستخلصه الحقُّ مُلكا، أي عن شِدّة. واستخلص

1 ص ٨٩ب

العبدُ العارفُ الحقَّ مُلكا له، أي عن شدّة لأجْل المنازع. فسمّاه مُلْكَ المُلْك؛ ليفرّق بينه وبين كون المخلوق مُلكا لله. فيتّصف المخلوق بالعبوديّة لله في كونه مُلكا له[1]، ويتّصف الحقُّ بمُلْكِ المُلْك، ولا[2] يتّصف بالعبوديّة له. وإن كان في الحقّ تأثيرٌ من الخلق، كما تقدّم، ومع هذا فلا يتّصف بالعبوديّة؛ لأنّ ذلك ليس عن ذلّة. فإنّه -تعالى- الأصل في ذلك التأثير؛ فما عاد عليه إلّا ما كان منه. بخلاف الخلق؛ فإنّ المخلوق يعود عليه ما كان منه، ويقوم به ما لم يكن منه ابتداء من الحقّ، فاعلم ذلك.

* * *

نشء صورة الركعة التاسعة من الوتر

انتشأ منها صورة رجل من رجال الله يقال له: عبد الهادي.

اعلم أنّ الهداية أثرٌ إلهيّ في قوله: ﴿مَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾[3] وأثرٌ كونيٌّ في قوله: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[4] ويعود معناه إلى الأوّل فإنّ الهادي الكونيَّ لا يكون إلّا رسولا من عند الله. فهو مبلِّغٌ، لا هادٍ، معناه: لا موفّق، لكنّه هادٍ بمعنى "مبين". قال -تعالى- في البيان الذي لهم، والتبيان الذي أوجبه عليهم الله -تعالى-: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[5] وقال في الهداية التي هي التوفيق: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾[6] أي ليس عليك أن توفّقهم لقبول ما أرسلتك به وأمرتك بتبيانه ﴿وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي﴾ أي يوفّق ﴿مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[7] أي بالقابلين التوفيق، فإنّه[8] على مزاج خاصّ أوجدهم. فهؤلاء الهداة هم هداة التبيان، لا هداة التوفيق. فالهادي -الذي هو الله- الإبانة والتوفيق، وليس للهادي -الذي هو المخلوق- إلّا الإبانة خاصّة.

1 "فيتصف.. له" ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب
2 ص ٩٠
3 [الأعراف : ١٨٦]
4 [الرعد : ٧]
5 [النحل : ٤٤]
6 [البقرة : ٢٧٢]
7 [القصص : ٥٦]
8 ص ٩٠ب

وإنما قلنا ذلك واستشهدنا بما استشهدنا به لِمَا تقرّر، عند مَن لا علم له بالحقائق، أنّ العبد إذا صدق فيما يبلّغه عن الله في بيانه؛ أثّر في نفوس السامعين. وليس (الأمر) كما زعموا؛ فإنّه لا أقرب إلى الله ومن الله، ولا أَصْدَقَ في التبليغ عن الله، ولا أَحَبَّ في القبول فيما جاء به من عند الله، من الرسل -صلوات الله عليهم وسلامه- ومع هذا فما عمّ القبول من السامعين. بل قال الرسول الصادق في التبليغ: ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾[1] فلمّا لم يعمّ، مع تحقُّقنا هذه الهمّة، علمنا أنّ الهمّة ما لها أثر بجملة واحدة في المدعوّ، و(أنّ) الذي قَبِل من السامعين؛ ما قَبِل من أثر همّة الداعي، الذي هو المبلّغ، وإنما قَبِل من حيث ما وهبه الله في خلقه من مزاج يقتضي له قبول هذا وأمثاله، وهذا المزاج الخاصّ لا يعلمه إلّا الله الذي خلقهم عليه، وهو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.

فلا تقل بعد هذا، إذا حضرتَ مجلس مُذكِّرٍ داعٍ إلى الله، فلم تجد أثرا لكلامه فيك: إنّ[2] هذا مِن عدم صدق المذكِّر. لا، بل هو العيب منك، حيث ما فطرك الله في ذلك الوقت على القبول. فإنّ المنصِف ينظر فيما جاء به هذا الداعي المذكِّر؛ فإن كان حقّا ولم يقبله؛ فيعلم -على القطع- أنّ العيب من السامع، لا من المذكِّر. فإذا حضر- في مجلسِ مذكِّرٍ آخر، وجاء بذلك الذّكر عينِه، فأثّر فيه؛ فيقول السامعُ بجهله: صَدَقَ هذا المذكِّر؛ فإنّ كلامه أثّر في قلبي. والعيب منك وأنت لا تدري.

فلتعلم أنّ ذلك التأثير لم يكن لقبولك الحقَّ؛ فإنّه حقٌّ في المذكِّرين في نفس الأمر؛ وإنما وقع التأثير فيك، في هذا المجلس دون ذلك، لِنِسبة بينك وبين هذا المذكِّر، أو بينك وبين الزمان؛ فأثّر فيك هذا الذّكر. والأثرُ لم يكن للذّكر؛ إذ قد كان الذّكر ولا أثر له فيك؛ وإنما أثّرت المناسبة -التي بيّنتُها لك- الزمانيّة، أو النِّسبة التي بينك وبين هذا المذكِّر. وربما أثّر لاعتقادك فيه، ولم يكن لك اعتقاد في ذلك الآخر. فما أثّر فيك سِوَاك، أو ما أشبه ذلك. ولهذا قلنا في تفسير الهداية الإلهيّة: بالتوفيق والبيان. فقولنا: بالتوفيق، أي بموافقة النِّسبة بين السامع والمذكِّر، لا

١ [نوح: ٦]
٢ ص ٩١

بالبيان. فإنّ البيان فرضناه واقعا في الحالتين من المذكِّرَيْن، ولم يقع القبول إلّا في[1] أحد الحالين، فاعلم ذلك وتحقّقه ترشد -إن شاء الله-.

وأقلّ فائدة في هذه المسألة؛ سلامة المذكِّر مِن تهمتك إيّاه بعدم الصدق في تذكيره، ورَدِّهِ وردِّكَ الحقَّ. فإنّ السليم العقل يؤثّر فيه الحقُّ جاء على يدَي مَن جاء، ولو جاء على لسان مشرك بالله، عدوّ لله، كاذب على الله، ممقوت عند الله. لكن الذي جاء به هو؛ حقٌّ. فيقبله العاقل من حيث ما هو حقٌّ، لا من حيث المحلّ الذي ظهر به. وبهذا يتميّز طالب الحقّ من غيره.

* * *

نشء صورة الركعة العاشرة من الوتر

انتشأ منها رجل من رجال الله يقال له: عبد ربّه.

اعلم أنّ الربوبيّة نعت إضافيٌّ لا ينفرد به أحد المتضايفَيْن عن الآخر؛ فهي موقوفة على اثنين. ولا يلزم أن لا يكونا متباينين؛ فقد يكونان متباينين، وقد يكونا غير متباينين. فمالِكٌ بلا مِلك لا يكون؛ وجودا وتقديرا، ومَليك بلا مُلك لا يكون كذلك، والربّ بلا مربوب لا يصحّ؛ وجودا وتقديرا. وهكذا كلّ متضايفَين.

فنِسبةُ العالَم إلى ما تعطيه حقائق بعض الأسماء الإلهيّة نِسبةُ المتضايفين من الطرفين. فالعالَم يطلب تلك الأسماء الإلهيّة، وتلك الأسماء[2] الإلهيّة تطلب العالَم؛ كالاسم الربّ، والقادر، والخالق، والنافع، والضار، والمحيي، والمميت، والقاهر، والمعزّ، والمذلّ، إلى أمثال هذه الأسماء. وثَمّ أسماء إلهيّة لا تطلب العالم ولكن يُستروح منها نفس من أنفاس العالم، من غير تفصيل كما يفصل بين هذه الأسماء التي ذكرناها آنفا. فأسماء الاسترواح كالغنيّ، والعزيز، والقدّوس، وأمثال هذه الأسماء. وما وجدنا لله اسما يدلّ على ذاته خاصّة من غير تعقُّل معنى زائد على

١ ص ٩١ب
٢ ص ٩٢

الذات، فإنّه ما ثَمّ اسم إلّا على أحد أمرين: إمّا ما يدلّ على فعل؛ وهو الذي يستدعي العالَم ولا بدّ، وإمّا ما يدلّ على تنزيه؛ وهو الذي يُستروح منه صفات نقصٍ كونيّ تَنَزَّهَ الحقُّ عنها، غير ذلك ما أعطانا الله.

فما ثَمّ اسمٌ عَلَمٌ ما فيه سِوَى العَلَمِيّة لله أصلا، إلّا إن كان ذلك في عِلْمِه، أو ما استأثر الله به في غيبه، مما لم يُبْدِه لنا. وسبب ذلك لأنّه -تعالى- ما أظهر أسماءه لنا إلّا للثناء بها عليه؛ فمن المحال أن يكون فيها اسم عَلَمِيٌّ أصلا؛ لأنّ الأسماء الأعلام لا يقع بها ثناء على المسمّى؛ لكنّها أسماء أعلام للمعاني التي تدلّ عليها، وتلك المعاني هي التي يثنى بها على من ظهر عندنا حكمه بها فينا؛ وهو المسمّى بمعانيها. والمعاني هي المسمّاة بهذه الأسماء اللفظيّة[1] كالعالم، والقادر، وباقي الأسماء. فللّه الأسماء الحسنى، وليست إلّا المعاني، لا هذه الألفاظ. فإنّ الألفاظ لا تتّصف بالحسن والقبح؛ إلّا بحكم التبعيّة لمعانيها الدالّة عليها. فلا اعتبار لها من حيث ذاتها؛ فإنّها ليست بزائدة على حروف مركّبة ونظم خاصّ يسمّى اصطلاحا، فافهم ذلك.

* * *

نشء صورة الركعة الإحدى عشرة من الوتر

انتشأ منها صورة رجل من رجال الله يقال له: عبد الفرد.

اعلم أنّ الفرديّة لا يعقلها المنصِف إلّا بتعقُّل آمر آخر، عنه انفرد هذا المسمّى فردا، بنعتٍ لا يكون فيمن انفرد عنه. إذ لو كان فيه؛ ما صحّ له أن ينفرد به، فلم يكن ينطلق عليه اسمُ الفرد. فلا بدّ من ذلك الذي انفرد عنه أن يكون معقولا، وليس إلّا الشفع. والأمر الذي انفرد به الفردُ؛ إنما هو التشبّه بالأحديّة.

وأوّلُ الأفراد (هو) الثلاثةُ، فالواحد ليس بفرد. فإنّ الله وَصَف بالكفر مَن قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾[2] فلو قال: "ثالث اثنين" لما كان كافرا. فإنّه -تعالى- ثالث اثنين، ورابع ثلاثة،

١ ص ٩٢ب
٢ [المائدة : ٧٣]

وخامس أربعة؛ بالغا ما بلغ. وهو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[1]. فمن كان في أحديّته فهو -تعالى- ثاني واحِدِهِ، ومَن[2] كان في تثنيته فهو ثالث اثنينيّته، ومن كان في تثليثه فهو -تعالى- رابع ثلاثة؛ بالغا ما بلغ. فهو مع المخلوقين حيث كانوا. فالخالق لا يفارقهم؛ لأنّ مستند الخلق إنما هو للاسم الخالق، استنادا صحيحا لا شكّ فيه.

وإن كان هذا الاسم يستدعي عدّة معانٍ؛ فهو يطلبها -أعني الاسم الخالق- بذاته لكلّ معنى منها أثر في المخلوق لا في الخالق. فالخالق لهذه المعاني كالجامع خاصّة، وأثرها (هو) في المخلوق، لا فيه. فالحقُّ لا ينفرد في الأربعة بالرابع، وإنما ينفرد في الأربعة بالخامس؛ لأنّه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[3]. ولو كان عينَ الرابع من الأربعة؛ لكان مثلَها. وكلّ واحد من الأربعة عينُ الرابع للأربعة، من غير تخصيص. ولو كان هذا؛ لكان الواحدُ من الأربعة يربّع الحقّ بوجوده، وليس الأمر كذلك. وهكذا في كلّ عدد.

فمتى فرضتَ عددا، فاجعل الحقَّ الواحدَ الذي يكون بعد ذلك العدد، ولا بدّ، اللاصق به؛ فإنّه يتضمّنه. فالخامس للأربعة يتضمّن الأربعة، ولا تتضمّنه. فهو يخمّسها، وهي لا تخمّسه؛ فإنّها أربعة لنفسها. وهكذا في كلّ عدد. وإنما كان هذا لحفظ العدد على المعدودات، والحفظ لا يكون إلّا لله، وليس اللهُ سِوَى الواحد. فلا بدّ أن يكون الواحد، أبدا، له حفظ ما دونه من[4] شفع ووتر. فهو يوتِر الشفع، ويشفع الوتر. فيقال: رابع ثلاثة، وخامس أربعة. ولا يقال فيه: خامس خمسة، ولا رابع أربعة، ولا عاشر عشرة.

فالحكماء يقولون في الفرديّة: إنّها الوتر من كلّ عدد من الثلاثة فصاعدا، في كلّ وتر منها؛ كالخامس، والسابع، والتاسع. فبين كلّ فردين مقام شفعيّة، وبين كلّ شفعين مقام فرديّة. هذا عند الحكماء. وعندنا ليس كذلك؛ فإنّ الفرد يكون للواحد الذي يشفع الوتر، وللواحد الذي

١ [الحديد : ٤]
٢ ص ٩٣
٣ [الشورى : ١١]
٤ ص ٩٣ب

يوتر الشفع؛ الذي هو عند الحكماء فرد. ولولا ذلك ما صحّ أن تقول في فرديّة الحقّ: إنّه رابع ثلاثة، وسادس خمسة، وأدنى من ذلك وأكثر؛ وهو فرد في كلّ نِسبة. فتارة ينفرد بتشفيع الوتر، وتارة بإيتار الشفع. وهو قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ فما بيّن -في فرديّته بالذِّكر المعيّن- إلّا فرديّة تشفيع الوتر، الذي لا يقول به الحكماء في اصطلاح الفرديّة. ثمّ قال في العامّ: ﴿وَلَا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾[1] سَواء كان عددهم وِترا أو شفعا. فإنّ الله لا يكون واحدا من شفعيّتهم، ولا واحدا من وتريّتهم؛ بل هو الرقيب عليهم، الحفيظ، الذي هو من ورائهم محيط.

فمتى انتقل الخلق إلى المرتبة التي كانت للحقّ؛ انتقل الحقّ إلى المرتبة التي تليها؛ لا يمكن له الوقوف في تلك المرتبة[2] التي كان فيها عند انتقال الخلق إليها. فانظر في هذا السّرّ الإلهيّ ما أدقّه، وما أعظمه في التنزيه؛ الذي لا يصحّ للخلق مع الحقّ فيه مشاركة. فالخلقُ أبدا يطلب أن يلحق بالحقّ، ولا يقدر على ذلك؛ لانتقال الحقّ عن تلك المرتبة. ولهذا كان العدد لا يتناهى؛ فإنّه لو تناهى لَلَحِقَ الخَلْقُ الحَقَّ، ولا يكون ذلك أبدا. فالخلق خلقٌ لنفسه، والحقّ حقّ لنفسه.

ومثال ذلك أن تكون جماعة من ثلاثة في نجوى بينهم، قد جمعهم مجلس. فالله، بلا شكّ، رابع تلك الجماعة. فإنْ رَبَّعَهُم إنسان آخر، فجاء، وجلس إليهم؛ انتقل الحقّ من المرتبة الرابعة بمجيء ذلك الرجل أو الشخص الذي رَبَّعَهم إلى المرتبة الخامسة. فإن أطالوا الجلوس بحيث أن جاء من خمّس القوم؛ انتقل الحقُّ إلى المرتبة السادسة؛ فيكون سادس خمسة، وهو سادس الجماعة، أعني هذه الجماعة بعد ما كان خامس الجماعة التي خمّسها ذلك الواحد. فاعلم، فقد نبّهتك على علم[3] عظيم تشكرني عليه عند الله، فإنّي أرجو من الله أن ينفعني بمن عَلِم منّي، ما ذكرته في كلامي هذا من العلم بالله الذي لا تجده فيما تقدّم من كتب المؤلّفين في هذا الفنّ. وهذا كلّه

١ [المجادلة : ٧]
٢ ص ٩٤
٣ ق: "أمر" وكتب فوقها: "علم"

نقطة من كلمة من القرآن العزيز؛ فما عندنا من الله إلّا الفهم فيه من[1] الله، وهو الوحي الإلهيّ الذي أبقاه الحقّ علينا.

فهذا الذي ذكرناه كان وِتْر رسول الله ﷺ من صلاة الليل. وأمّا تمام الاثنتي عشرة فذلك: "المهيمن" الخارج عن نشء صورة الوتر القويّ، وهو الواحد الأوّل، وليس إلّا الله. فهو المنشىء -سبحانه وتعالى في كبريائه- الواحد، الأحد، الذي ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[2].

* * *

وَصْلٌ

فالرجل الذي كمل له به الاثنا عشر كما كمل الشهور برمضان؛ ما كملها إلّا باسم من أسمائه، وهو رمضان ﷺ؛ فبه كُمل كلُّ شيء. فكمال الأربعة بالخامس إذا كان الله خامس أربعة؛ فإنّه الذي يحفظ عليها أربعتها. فإذا جاء مِن جنسها من يُخمّسها ذهبتْ الأربعةُ، وكان الله سادس الخمسة؛ يحفظ عليها خمستها؛ لأنّه الحفيظ. فانظر ما أعجب هذا الأمر! ومن هنا صحّ الفرار الموجود، والانتقال من حال إلى حال. فإنّ الله ينتقل في مراتب الأعداد، لما ذكرناه.

واسم هذا الرجل الذي كمّل الله به الاثني عشر: "عبد الله" وإنما سمّي: عبد الله؛ لأنّ الله يتجلّى بحقيقة كلّ اسم من أسمائه، وهو قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾[3] فإذا دعوته باسم منها؛ تجلّى لك مجيبا في عين ذلك الاسم.

كصوم[4] شهر[5] رمضان؛ فإنّ صومه واجبٌ في الاثني عشر شهرا. فكلّ صوم في شهر من الشهور الأحد عشر إنما هو تشبيه بصوم يوم من أيّام شهر رمضان؛ لأنّه نافلة، والواجب ليس إلّا رمضان بالوجوب الإلهيّ الابتدائيّ. وإنما قلنا: "الابتدائيّ" من أجل النذر بالصوم، الذي

١ ص ٩٤ب
٢ [الإخلاص : ٣، ٤]
٣ [الأعراف : ١٨٠]
٤ ص ٩٥
٥ ثابتة أعلى السطر

أوجبه الله عليك بإيجابك إيّاه على نفسك؛ عقوبة لك، وليثيبك به -إذا أدّيته- ثواب الواجب. لكنّ الفرق بينه وبين الواجب المبتدأ، أنّ الواجب المبتدأ تقضيه إذا مضى- زمان إيجابه، والواجب الكونيّ لو نسيته أو مرضتَ؛ فلم تقدر على أدائه، ومضى- زمانه؛ لم تقضِه. فهذا هو الفرق بين الواجب الإلهيّ، والواجب الكونيّ.

فمن عرف ما ذكرناه من أمر هذه الاثني عشر؛ فقد حصل على كنوز إلهيّة. كما قيل في الفاتحة: إنّ الله أعطاها نبيّه محمدا ﷺ خاصّة دون غيره من الرسل، مِن كنز من كنوز العرش، لم توجد في كتاب منزل من عند الله ولا صحيفة، إلّا في القرآن خاصّة. وبهذا سمّي قرآنا؛ لأنّه جمع ما بين ما نزل في الكتب والصحف، وما لم ينزل. ففيه كلُّ ما في الكتب كلّها المنزلة، وفيه ما لم ينزل في كتاب ولا صحيفة.

وفي هذا المنزل من العلوم:

عِلْمُ[1] الحلّ والعقد.

وفيه عِلْمُ الحلال والحرام.

وفيه عِلْمُ ما يجمع الكافر والمؤمن ويؤلّف بينهما؟

وفيه عِلْمُ إلحاق البهائم بالإنسان في حكمٍ مّا من أحكام الشرائع.

وفيه عِلْمُ متعلّق الكمال ببعض الأشخاص.

وفيه علم التقديس وأسبابه وأنواعه.

وفيه عِلْمُ الآلاء والمنن الإلهيّة.

وفيه عِلْمُ المواثيق والعهود.

وفيه عِلْمُ نشء صور العبادات البدنيّة.

وفيه عِلْمُ التعظيم الكونيّ.

وفيه عِلْمُ المدايَنات الإلهيّة.

---

[1] ص ٩٥ب

وفيه عِلْمُ الإيمان.

وفيه عِلْمُ الأبدال.

وفيه عِلْمُ النداء الإلهيّ.

وفيه عِلْمُ التعريف.

وفيه عِلْمُ إقامة البراهين على الدعاوى.

وفيه عِلْمُ أصحاب الفترات؛ ما حكمهم عند الله؟

وفيه عِلْمُ ما يخصّ الملِك والسُّوقة؟

وفيه عِلْمُ النيابة في النداء.

وفيه عِلْمُ الردّ والقبول.

وفيه عِلْمُ التفويض والتسليم في النفوس.

وفيه عِلْمُ الستر وردِّ الأشياء إلى أصولها.

وفيه عِلْمُ إقامة[1] الواحد مقام الجميع في أيّ موطن يكون؟

وفيه عِلْمُ الموافقة والخلاف.

وفيه عِلْمُ مؤاخذة المجبور.

وفيه عِلْمُ السماع.

وفيه عِلْمُ النور المعنويّ والهدى.

وفيه عِلْمُ الأمثال.

وفيه عِلْمُ الاتّباع والأتباع.

وفيه عِلْمُ الشهادات.

وفيه عِلْمُ المعاد وحكمه.

وفيه علم الخوف والحذر.

وفيه عِلْمُ التجانس بين الأشياء.

---

[1] ص ٩٦

وفيه علم الحبّ وشرفه وأصناف المحبّين.

وفيه عِلْمُ خَلْع العذار فيه.

وفيه عِلْمُ الاختصاص.

وفيه عِلْمُ نسخ البواطن في العموم والخصوص.

وفيه عِلْمُ تشبيه الحقّ بالخلق، وما يجوز من ذلك وما لا يجوز؟ ومتعلّقه السمع ليس للعقل فيه دخول بما هو ناظر.

وفيه عِلْمُ الوهب والكسب.

وفيه عِلْمُ ما يجب على الرسول؟

وفيه عِلْمُ مَن سمّى اللهَ بغير اسمه؛ ما حكمه في التوحيد؟

وفيه عِلْمُ مراتب الضلال والإضلال، والتفاوت في ذلك.

وفيه[1] عِلْمُ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفيه عِلْمُ تأثير الخلق في الحقّ.

وفيه عِلْمُ ما شقي به أهل الكتب؟

وفيه عِلْمُ رفع الحرج ومراتب المتقين.

وفيه عِلْمُ الاختبار.

وفيه عِلْمُ شرف الأماكن بعضها على بعض؛ لماذا (=إلى ماذا) يرجع؟

وفيه علم تحكّم الأدنى على الأعلى.

وفيه عِلْمُ إضافة الأشياء إلى أصولها.

وفيه عِلْمُ التعريض بالخير. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[2].

١ ص ٩٦ب
٢ [الأحزاب : ٤]

الباب الثمانون وثلاثمائة
في معرفة منزل: «العلماء ورثة الأنبياء» محمّديّ

مـا قُـرَّةُ العَـيْنِ إلّا قُـرَّةُ الـنَّفْسِ ... فانْظُرْ إلَى كُلِّ مَعْنى دُسَّ فِي الحِسِّ
تَجِـدْهُ يا سَـيِّدِيْ إنْ كُنْـتَ ذا نَظَـرٍ ... فِي الفَصْلِ والنَّوْعِ بِالأَحْكامِ والجِنْسِ
فَلَـيْسَ يَشْـهَدُ عَيْـنِي غَيْرَهـا أَبَـدًا ... والنّاسُ مِنْ ذاكَ فِي شَكٍّ وفِي لَبْسِ
الطِّيْبُ[1] والمَرْأَةُ الحَسْـنا قَدِ اشْـتَرَكا ... مَـعَ المُناجـاةِ فِي المَعْـنَى وفِي الـنَّفْسِ
فَفِي الصلاةِ وُجُودِي والنِّسـاءُ لَنـا ... عَرْشٌ وَفِي الطِّيبِ أَنْفاسٌ مِنَ الأُنْسِ

قال رسول الله ﷺ: «حُبِّب إليّ من دنياكم ثلاث: النساء والطِّيب وجعلت قرّة عيني في الصلاة» وقال ﷺ: «إنّ ربّكم واحد، وإنّ أباكم واحد؛ فلا فضل لعربيّ على أعجميّ، ولا لأعجميّ على عربيّ إلّا بالتقوى» ثمّ تلا: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[2] يريد بالأبِ آدمَ ﷺ وهو قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾[3] يعني نفس آدم؛ يخاطِب ما تفرّع منه.

فاعلم أنّ الورث على نوعين: معنويّ ومحسوس. فالمحسوس منه ما يتعلّق بالألفاظ والأفعال وما يظهر من الأحوال. فأمّا الأفعال فأن ينظر الوارث إلى ما كان رسول الله ﷺ يفعله ممّا أبيح للوارث أن يفعله اقتداء به، لا ممّا هو مختصّ به ﷺ مخلَص له في نفسه، ومع ربّه، وفي عِشرته لأهله وولده، وقرابته، وأصحابه، وجميع العالم. ويتبع الوارث ذلك كلّه في الأخبار المرويّة عن رسول الله ﷺ الموضّحة لِما كان عليه في[4] أفعاله من صحيحها وسقيمها؛ فيأتيها كلّها على حدّ ما وردت، لا يزيد عليها ولا يُنقص منها. وإن اختلفت فيها الروايات فليعمل بكلّ رواية: وقتا بهذه، ووقتا بهذه، ولو مرّة واحدة، ويدوم[5] على الرواية التي ثبتت. ولا يخلّ بما روي من ذلك،

١ ص ٩٧
٢ [الحجرات : ١٣]
٣ [النساء : ١]
٤ ص ٩٧ب
٥ ق: وندوم

وإن لم يثبت من جهة الطريق، فلا يبالي[1]؛ إلّا إن تعلّق بتحليل أو تحريم؛ فيغلّب الحرمة في حقّ نفسه، فهو أَوْلَى به؛ فإنّه مِن أُولي العزم. وما عدا التحليل أو التحريم فليفعل بكلّ رواية.

وإذا أفتى، إن كان من أهل الفُتيا، وتعارض الأدلّة السمعيّة بالحكم من كلّ وجه، ويجهل التاريخ، ولا يقدر على الجمع؛ فيفتي بما هو أقرب لرفع الحرج. ويعمل هو في حقّ نفسه بالأشدّ؛ فإنّه في حقّه الأسدّ. وهذا مِن الورث اللفظيّ؛ فإنّه المفتي به. فيصلّي صلاة رسول الله ﷺ في ليله ونهاره، وعلى كيفيّتها في أحوالها، وكمّيّاتها في أعدادها، ويصوم كذلك، ويعامل أهله من مزاحٍ بجدٍّ كذلك، ويكون على أخلاقه (ص) في مأكله ومشربه، وما يأكل وما يشرب كأحمد بن حنبل؛ فإنّه كان بهذه المثابة، روينا عنه أنّه ما أكل البطيخ حتى مات. وكان يقال له في ذلك، فيقول: ما بلغني كيف كان يأكله رسول الله ﷺ.

وكلُّ ما[2] كان مِن فعلٍ لم يجد فيه حديثا يبيّن فيه أنّ رسول الله ﷺ فعله بكيفيّة خاصّة، وإن كان من الكمّيّات بكميّة خاصّة ولكن ورد فيه حديث؛ فاعمل به؛ كصومه ﷺ «كان يصوم حتى نقول إنّه لا يفطر، ويفطر حتى نقول إنّه لا يصوم» ولم يوقّت الراوي فيه توقيتا[3]. فصم أنت كذلك، وأفطر كذلك، وأكثر من صوم شعبان، ولا تتمّ صوم شهر قطّ بوجه من الوجوه إلّا شهر رمضان. وكلُّ صوم أو فعلٍ مأمور به، وإن لم يُرْوَ[4] فيه فِعْله؛ فاعمل به؛ لأمره. وهذا معنى قول الله: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[5].

وما رأينا أحدا، ممن رأيناه أو سمعنا عنه، عمل على هذا القدم إلّا رجل كبير باليمن يقال له: الحداد[6]؛ رآه الشيخ ربيع بن محمود الماردينيّ الحطّاب، وأخبر أنّه كان على هذا الحال من الاقتداء. أخبرني بذلك صاحبي الخادم عبد الله بدر الحبشي عن الشيخ ربيع، فلتتبعه في كلّ

١ ق: نبالي
٢ ص ٩٨
٣ ق: توقيت
٤ ق: ترو
٥ [آل عمران : ٣١]
٦ أبو الحسن علي بن عبد الرحمن الحداد: كان من أكابر المشائخ، صاحب كرامات وإشارات، لبس الخرقة من الشيخ عبد القادر الجيلاني في شعبان ٥٦١هـ، يرجع غالب مشائخ اليمن في نسبة الخرقة إليه.. وكانت إقامته بموضع يقال له شرْهَب، من نواحي جبال مدينة القمحة. (انظر طبقات الخواص ص٢٠٤)

شيء؛ لأنّ الله يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[1] ما لم يخصّص شيئا من ذلك بنهيٍ عن فعله. وقال ﷺ: «صلّوا كما رأيتموني أصلّي» وقال في الحجّ: «خذوا عنّي مناسككم».

وإذا حججتَ؛ فإن قدرتَ على الهدي فادخل به محرِما بالحجّ والعمرة، وإن[2] حججتَ مرّة أخرى فادخل أيضا إن قدرتَ على الهدي محرِما بالحجّ، وإن لم تجد هديا فاحذر أن تدخل محرِما بالحجّ؛ لكن ادخل متمتّعا بعمرة مفردة، فإذا طفتَ وسعيتَ فحُلّ من إحرامك الحلّ كلّه، ثمّ بعد ذلك أحرم بالحجّ، وأنسك نسيكة كما أُمرت.

واعزم أن لا تخلّ بشيء من أفعاله، وما ظهر من أحواله، ممّا أبيح لك من ذلك، والتزم آدابه كلّها جهد الاستطاعة، لا تترك شيئا من ذلك إذا ورد ممّا أنت مستطيع عليه؛ فإنّ الله ما كلّفك إلّا وُسْعَك. فابذله ولا تترك منه شيئا؛ فإنّ النتيجة لذلك عظيمة لا يُقدر قدرها؛ وهي محبّة الله إيّاك، وقد علمت حكم الحبّ في المحبّ.

وأمّا الورث المعنويّ فما يتعلّق بباطن الأحوال من تطهير النفس من مذامّ الأخلاق، وتحليتها بمكارم الأخلاق، وما كان عليه ﷺ من ذِكْره ربّه على كلّ أحيانه. وليس إلّا الحضور، والمراقبة لآثاره -سبحانه- في قلبك، وفي العالَم. فلا تقع عينك، ولا يحصل في سمعك، ولا يتعلّق بشيء قوّة من قواك؛ إلّا ولك في ذلك نظر واعتبارٌ إلهيٌّ؛ تعلم موقع الحكمة الإلهيّة في ذلك. فهكذا كان حال رسول الله ﷺ فيما روت عنه عائشة.

وكذلك[3] إن كنت من أهل الاجتهاد في استنباط الأحكام الشرعيّة، فأنت وارث نبوّة شرعيّة. فإنّه -تعالى- قد شرع لك في تقرير ما أدّى إليه اجتهادُك ودليلك من الحكم أن تشرّعه لنفسك وتفتي به غيرَك إذا سُئلتَ. وإن لم تُسأل فلا؛ فإنّ ذلك أيضا من الشرع الذي أذن الله لك فيه، ما هو من الشرع الذي لم يأذن به الله.

١ [الأحزاب : ٢١]
٢ ص ٩٨ب
٣ ص ٩٩

واعلم أنّ الاجتهاد ما هو في أن تُحْدِث حكما. هذا غلط؛ وإنما الاجتهاد المشروع (هو) في طلب الدليل من كتاب، أو سنّة، أو إجماع، وفهم عربيّ على إثبات حكم في تلك المسألة بذلك الدليل الذي اجتهدتَ في تحصيله والعلم به في زعمك، هذا هو الاجتهاد. فإنّ الله -تعالى- ورسوله ما ترك شيئا إلّا وقد نصّ عليه، ولم يتركه مهملا. فإنّ الله -تعالى- يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[1] وبعد ثبوت الكمال؛ فلا يقبل الزيادة. فإنّ الزيادة في الدين؛ نقصٌ من الدين، وذلك هو الشرع الذي لم يأذن به الله.

ومِن الورث المعنويّ ما يفتح عليك به من الفهم في الكتاب، وفي حركات العالم كلّه.

وأمّا الورث الإلهيّ فهو ما يحصل له في ذاتك من صور التجلّي الإلهيّ. عندما يتجلّى لك فيها، فإنّك لا تراه إلّا به؛ فإنّ الحقّ بَصرُك في[2] ذلك الموطن. ولا تتكرر عليك صورة تجلٍّ، فقد انتقل عنها، وحصلتْ لك؛ تظهر بها في ذاتك وفي ملكك. ولذلك تقول في الآخرة عموما للشيء إذا أردته: "كن" فيكون، وفي الدنيا خصوصا. فالحقّ لك في الدنيا محلُّ تكوينك؛ فإنّه يتنوّع لِتنوُّعك، وفي الآخرة تتنوّع لتنوُّعه. فهو في الدنيا يلبس صورتك، وأنت في الآخرة تلبس صورته. فانظر ما أعجب هذا الأمر!.

وكذلك لك في الميراث الإلهيّ في مراتب العدد. فقد يكون الحقّ رابع ثلاثة، فإذا جئتَ أنت وانضممت إلى الثلاثة؛ فربّعْتهم. لا يكون ذلك حتى ينتقل الحقّ إلى مرتبة الخمسة؛ فيكون خامس أربعة بعدما قد كان رابع ثلاثة؛ فأخلى لك المرتبة؛ فورثتها. وكذلك في كلّ جماعة تنضمّ[3] إليها. هذا حكم[4] الميراث في الدنيا. وأمّا في ميراث الخصوص، وفي الآخرة؛ فإنّه رابع أربعةٍ في حال كونك أنت رابع تلك الأربعة. فإنّك في الدنيا في الخصوص جئتَ بصورة حقّ، وفي الآخرة كذلك أنت صورةُ حقّ.

١ [المائدة : ٣]
٢ ص ٩٩ب
٣ ق، س: ينضم
٤ س: الحكم

ولهذا كفر، أي ستر، مَن قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ فستر نفسه بربّه، لأنّه هو عين ثالث الثلاثة، ورأى نفسه حقّا لا خلقا، إلّا من حيث الصورة الجسديّة، لا من حيث ما هي به موصوفة؛ فهو حقّ في خلق. فستر خلقه بما شهده من[1] الحقّ القائم به المنصوص عليه في العموم؛ بأنّه جميع قوى عبدِه وصفاته إذا كان من أهل الخصوص؛ فقال عن نفسه: ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ ثمّ بيّن الحقُّ -تعالى- عقيب هذا القول، فقال: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾[2] وهو الذي ثلّث الثلاثة. فالاثنان من العامّة، والذي ثلّثهم بخلقه هو الثالث خلقا بخلقه. ثمّ إنّه قد علم أنّ الحقّ جميعُ قواه، وأشهده الحقّ أنّه مع الاثنين مثل ما هو[3] معه، إلّا أنّه حجب عنهم عِلم ذلك؛ فقالوا بالخلق دون حقّ. فقال هذا الخاصّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ لأنّه شاهده فيهما كما شاهده في نفسه وهم لا يشعرون، فرأى أنّ الحقَّ جمعهم في صور ثلاثة. فصحّ قول القائل: إنّه ثالث ثلاثة في الوجهين؛ في الخلق والحقّ، وصحّ: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ لأنّه عينُ كلّ واحد من الثلاثة، ليس غيره. فهو واحد، وهو ثلاثة.

فهذا من الورث الإلهيّ النبويّ، فإنّه ما حصل لنا هذا الشهود إلّا بالاقتداء والاتّباع النبويّ، فلمّا علمنا ورِثناه ﷺ ولا يصحّ ميراثٌ لأحدٍ إلّا بعد انتقال الموروث إلى البرزخ. وما حصل لك من غير انتقال فليس بورث، وإنما ذلك وهب، وأعطية، ومِنحة؛ أنت فيها نائبٌ وخليفة، لا وارث. فأنت من حيث العلم وارث، وأنت من[4] حيث الشهود؛ عينُه، لا وارث.

ألا ترى في قوله ﷺ: «إنّ ربّكم واحد، كما أنّ أباكم واحد» وليس أبوك إلّا مَن أنت عنه. فإن عرفت عمّن أنت، عرفت أباك. وما ذكر النبيّ ﷺ أنّ أبوينا اثنان[5] كما وقع في الظاهر؛ فإنّا عن آدم وحوّاء مثل قوله: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾[6] ولكن لمّا كانت حوّاءُ عينَ آدم لأنّها عين ضلعه، فما كان إلّا أبٌ واحد في صورتين مختلفتين، كما هو التجلّي. فعينُ حوّاء عينُ آدم؛

١ ص ١٠٠
٢ [المائدة : ٧٣]
٣ "ما هو" ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٤ ص ١٠٠ب
٥ ق: اثنين
٦ [يوسف : ١٠٠]

انفصال اليمين عن الشمال، وهو عين زيد؛ كذلك انفصال حوّاء عن آدم، فهي عين آدم؛ فما ثمّ إلّا أبٌ واحد؛ فما صدرنا إلّا عن واحد؛ كما أنّ العالَم كلّه ما صدر إلّا عن إله واحد.

فالعين واحد، كثرة نِسَب. إن لم يكن الأمر كذلك، وإلّا فما كان يظهر لنا وجود[1]. ولنا وجود عين، ولنا إيجاد حكم. فكما أوجدنا عينا، أوْجدْنا الحكم له "جزاء وفاقا" إن تفطّنتَ. فهو لنا موجِد عين، ونحن له موجِد ربٍّ.

فَلَوْلا الحَقُّ ما كانَ الوُجُودُ ... وَلَوْلا الكَوْنُ ما كانَ الإِلَهْ
جَزاءً قَدْ أَرادَ الحَقُّ مِنْهُ ... سُؤالَ السائِلِينَ: بِمَنْ؟ وَما هُوَ؟
فَما[2] هُوَ فِي العُمُومِ بِغَيْرِ شَكٍّ ... وَأَمّا فِي الخُصُوصِ فَهُوَ وَما هُوَ

ثمّ ما زال التوالد والتناسل في كلّ نوع نوع من المولّدات كلّها، في الدنيا ما دامت الدنيا، وفي الآخرة إلى ما لا يتناهى، وإن تنوّعتْ أحوال التوالد كما ظهر ذلك في الدنيا: في حوّاء، وعيسى، وبني آدم. وأمّا في آدم فباليدين وبالأركان. وفي النبات متنوّع، أيضا، في غراسة وبزور، وكذلك في المعادن. فانظر ما أحكم حكمةَ الله في خلقه!

ولمّا اطّلعنا على الوجه الخاصّ الذي لكلّ موجود؛ لم يتمكن لنا أن نضيف التوالد لنا جملة واحدة؛ بل أضفنا كلّ ما ظهر في الكون إليه، وهو قوله: ﴿وَمَا أَمْرُنَا﴾ ونحن أمره ﴿إِلَّا وَاحِدَةٌ﴾[3] فما ثمّ موجد إلّا الله -تعالى- على كلّ وجه. علِم ذلك مَن علِمه وجَهِله من جهله. كما يقول الطبيعيّون في الموجودات الطبيعيّة بأحديّة الطبيعة، فكلّ ما ظهر من الموجودات الطبيعيّة قالوا: "هذا عين الطبيعة" فوحّدوا الأمر كما وَحّدْنا الإله في خلقه؛ فلم يكن إلّا الله، وهو الذي سمّوه أولئك: "طبيعة" ولا علم لهم، كما سمّته الدهريّة بـ: "الدهر" ولا علم لهم. إلّا أنّ

١ ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب
٢ ص ١٠١
٣ [القمر: ٥٠]

الله تسمّى لنا بالدهر، وما تسمّى بالطبيعة؛ لأنّ الطبيعة ليست بغيرٍ لمن[1] وُجِد عنها عينا؛ فهي عين كلّ موجود طبيعيّ.

ولمّا كان الحقّ له هذا الحكم، وظهر به عند الخواصّ من عباده، وعلمنا أنّ الاسم دلالة على المسمّى؛ فرأينا الاسم، وإن دلّ، فهو أجنبيّ؛ فعلِمنا أنّ حكمَ الطبيعة يخالف حكم الدهر. فإنّ الدهر ما هو عين الكوائن، ورأينا الطبيعة (هي) عين الكوائن الطبيعيّة، ورأينا أنّ الحقّ له تنزيهٌ ينفصل به عنّا، انفصالَ الدهر عمّا يكون فيه؛ فتسمّى -تعالى- بالدهر تنزيها، وما تسمّى بالطبيعة؛ لكون الأمر ما هو غيره؛ بل هو عينه. والمسمّي[2] لا يسمّي نفسه لنفسه؛ فلا يُسمّى بالطبيعة، وإنما يسمّي نفسه لغيره؛ حتى إذا ذكَره عرف أنّه يذكره، وإذا ذُكِر عرَفه. فهذا أصل وضع الأسماء.

فَمَا ثَمَّ إِلّا اللهُ لا شَيْءَ غَيْرُهُ ... وَما ثَمَّ إِلّا اثْنانِ واللهُ ثالِثُ
قَدَ انْتَجَهُ العِلْمُ الَّذِي قالَهُ لَنا ... فإِنِّي لِعِلْمِي بِالحَقِيقَةِ حارِثُ

أعني قوله ﷺ: «مَن عَرف نفسه عَرف ربّه» فقدّم معرفة الإنسان نفسَه؛ لأنّه عين الدليل، ولا بدّ أن يكون العلم بالدليل مقدّما على العلم بالمدلول. والدليل نحن، ونحن[3] في مقام الشفعيّة، فلذلك عبّرنا بالاثنين لوجود الشفع؛ فنتج لنا النظرُ فينا وجود الحقّ وأحديّته. فهو ثالث اثنين، كما هو رابع ثلاثة. فلذلك قلنا: والله ثالثٌ لهذين الاثنين. "وأنا حارث" أي كاسب لهذا العلم بالنظر.

ثمّ إنّ للحقّ ورثا منّا كما قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ عينا وحكما. فأمّا في العين فقوله: ﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾[4] فإنّ الأمور ترجع إلى أصولها، كما ينعطف آخر الدائرة على أوّلها. فمِن أوّل ما تبتدئ بالدائرة إنما تطلب بذلك الرجوع إلى أصلها، وهو بَدْؤُها؛ فإليه تنتهي. فنحن

١ ص ١٠١ب
٢ في هامش ق بقلم آخر مع إشارة التصويب وحرف خ، كما هو في س: "والشيء"
٣ ص ١٠٢
٤ [مريم: ٤٠]

لا نعلم شيئا إلّا به. فورث منّا هذه الصفة، فقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ﴾[1] كما نظرنا نحن حتى علمنا، فما خلص لنا هذا الوصف من غير مشاركة. فعلمنا أنّ علمنا عن النظر والاستدلال بما علمناه؛ أنّه هو العالِم به من حيث أنّ نظرنا لم يكن بنا، لأنّه قال: إنّه عين صفتنا التي بها ننظر، ونبصر، ونسمع، ونبطش. وهذا كلّه هو علم الأنبياء الذين ورثناهم؛ لأنّهم ما ورّثوا إلّا العلم على الحقيقة، وهو أشرف ما يورَّث.

ثمّ انظر في قوله ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء» فعمّ بالألف واللام فيها كلّ عالم وكلّ مخبِر، ولا شكّ أنّ كلّ مخبِر فإنّه متصوِّرٌ لما يخبِر به، وكلّ سامع ذلك[2] الخبر فقد علِمه، أي علِم ما تصوَّره ذلك المخبِر، سواء كان كذبا ذلك الخبر أو صِدقا؛ فهو ورث بلا شكّ. ألا تراه ﷺ قد قال: «مَن حدَّث بحديث يرى أنّه كذِب فهو أحد الكاذبَيْن» لأنّه قد ورث منه الكذب، وصار حكمه حكم الكاذب، كما صار حكم الوارث في المال حكم مَن مات عنه وخلَّفه.

ولمّا عمَّم بالألف واللام "العلماء" دخل فيه قوله: ﴿حَتَّى نَعْلَمَ﴾ ولمّا عمّ بالألف واللام "الأنبياء" دخل فيه كلُّ مخبِرٍ بنطقٍ أو بحالٍ. لأنّه مَن ظهر لعينك بعد أن لم يكن ظاهرا؛ فقد أخبرَك بظهوره أنّه ظهر لك. حتى لو قال لك: "قد ظهرتُ لك" لم يُفِدك علما بظهوره؛ وإنّما أفادك علما بقوله: "لك" أي: من أجلِك ظهر لِعَيْنِك. فالمفهوم الأوّل: القرب الظاهر، النازل منزلة النصّ عند أهل الظاهر: أنّ «العلماء ورثة الأنبياء» الذين هم المخبِرون عن الله. وبالمفهوم الثاني الذي لا يقدح فيه المفهوم الأوّل: أنّ العلماء ورثة المخبرين بما أخبروا به، كانوا مَن كانوا.

لكن العلم الموروث من الأنبياء -عليهم السلام- ليس هو العلم الذي تَستقلّ بإدراكه العقولُ والحواسُّ، دون الأخبار؛ فإنّ ذلك لا يكون وراثة. وإنّما الذي ترثه العلماء من الأنبياء (هو) ما لا تستقلّ العقول من حيث نظرها بإدراكه. وأمّا ما ورثتهُ من الأنبياء[3] من العلم الإلهيّ؛ فهو ما

[1] [محمد : ٣١]
[2] ص ١٠٢ب
[3] "ما لا تستقل.. الأنبياء" ثابتة في الهامش، مع إشارة التصويب: "صح أصل"، وهي ثابتة في س، ه

تحيله العقول بأدلّتها، وما تجوِّزه، فتعيِّنُ لها الأنبياءُ أحد الجائزين، مثل قول إبراهيمَ: ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[2].

وأمّا العلم الذي ترثه من الأنبياء -عليهم السلام- مِن علم الأكوان: فعِلم الآخرة، ومآل العالَم؛ لأنّ ذلك كلّه من قبيل الإمكان. فالأنبياء تُعَيِّن عن الله أنّ بعض الممكنات على التعيين هو الواقع، فيعلمه العالِم؛ فذلك ورثٌ نبويّ لم يكن يعلمه قبل إخبار هذا النبيّ به. وما عدا هذا، فما هو علم موروث إلّا في حقّ العامّيّ الذي ما وفّى عقلَه حقَّه؛ فتلقى من النبيّ علما، بما لو نظر فيه بعقله، أدركه؛ كتوحيد الله، ووجوده، وبعض ما يتعلّق به من حكم الأوصاف والأسماء. فيكون ذلك في حقِّ مَن لم يعلمه إلّا من طريق النبيّ؛ علم موروث.

وإنّما قلنا فيه: إنّه علم؛ لأنّ الأنبياء لا تخبِر إلّا بما هو الأمر عليه في نفسه؛ فإنّهم معصومون -في إخبارهم عن الله- أن يقولوا ما ليس هو الأمر عليه في نفسه. بخلاف غير الأنبياء من المخبِرين؛ من عالِم وغير عالِم. فإنّ العالِم قد يتحيّر فيما ليس بدليل أنّه دليل؛ فيخبر بما أعطاه ذلك الدليل، ثمّ يرجع عنه بعد ذلك. فلهذا لا ينزل في درجة العلم منزلة النبيّ ﷺ، وقد يخبِر بالعلم على ما هو عليه في نفس الأمر، ولكن لا يتعيّن على الحقيقة؛ لما ذكرناه من دخول الاحتمال فيه.

وكذلك غير العالِم من العوامّ، فقد يصادفون العلم وقد لا يصادفونه في إخبارهم. والنبيّ[3] ﷺ ليس كذلك؛ فإذا أخبر عن أمرٍ من جهة الله، فهو كما أخبر. فالمحصَّل له عالم بلا شكّ، كما أنّ ذلك الخبر علمٌ بلا شكّ. فلذلك قيّد ﷺ: «أنّ العلماء هم ورثة الأنبياء» لأنّهم إذا قبلوا ما قاله الرسول، فقد علِموا الأمر على ما هو عليه.

ومِن وراثته ﷺ «حبُّ النساء والطيب وجُعِلت قرّة عينه في الصلاة» ولكن إذا كان ذلك

[1] ص ١٠٣
[2] [البقرة : ٢٦٠]
[3] ص ١٠٣ب

في الإنسان محبّبا إليه؛ حينئذ يكون وارثا. وأمّا إن أحبّ ذلك من غير تحبُّب؛ فليس بوارث. فإنّ العبدَ لَمّا كان مخلوقا لله لا لغيره كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1] فما خلقهم إلّا لعبادته. وقال لموسى في الاثنتي عشرة كلمة: «يا ابن آدم؛ خلقتك من أجلي» الحديث. ثمّ إنّ الله في ثاني حال من العبد حبّب إليه أمرا مّا أكثر من غيره.

وبقي الكلام فيمن حبّبه إليه؛ هل حبّبه إليه طبْعٌ؟ أو طمَعٌ؟ أو حذرٌ؟ أو حبّبه إليه الله؟ فإنّ النبيّ ﷺ قال: «حُبِّب إليّ» ولم يقل مَن حَبّبه، كما قال الله في حقّ المؤمنين: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾[2]. والنبيّ ﷺ ما عدل إلى قوله: "حُبِّبَ" ولم يذكر مَن حبّبه إلّا لمعنى لا يمكن إظهاره؛ لضعف النفوس القابلة. فالعارفون بالمواطن[3] يعلمون مَن حَبّب[4] ما ذكره إليه[5] وهو[6] النساء والطيب وجعل قرّة العين في الصلاة؛ لأنّه مصلٍّ على شهودِ مَن وقف يناجيه بين يديه من حضرة التمثّل وموطنه؛ لأنّ فيه خطابا، وردًّا، وقبولا. ولا يكون ذلك إلّا في شهود التمثّل، فإنّه موطن يجمع بين الشهود والكلام.

ولمّا كانت المناسَبات تقتضي ميل المناسِب إلى المناسِب، كان الذي حبّبَ عينَ المناسِب، والمناسَبة قد تكون ذاتيّة وعرَضيّة. ولمّا كان النِّساء محلّ التكوين، وكان الإنسان بالصورة يقتضي أن يكون فعّالا، ولا بدّ له من محلٍّ يفعل فيه. ويريد لكماله أن لا يصدر عنه إلّا الكمال، كما كان في الأصل الذي ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾[7] وهو كمال ذلك الشيء، ولا أكمل من وجود الإنسان، ولا يكون ذلك إلّا في النِّساء اللّاتي جعلهنّ الله محلّا، والمرأة جزء من الرجل بالانفعال الذي انفعلت عنه؛ فحبّب إلى الكامل النساء. ولمّا كانت المرأة -كما ذكرت- عينَ ضلع

١ [الذاريات : ٥٦]
٢ [الحجرات : ٧]
٣ ص ١٠٤
٤ الحروف المعجمة مهملة في ق
٥ الحروف المعجمة مهملة في ق، ورسمها قريب من رسم لفظ الجلالة
٦ من س فقط
٧ [طه : ٥٠]

الرَّجُل، فما كان محلُّ تكوينٍ ما كَوَّن فيها إلّا نفسَه، فما ظهر عنه مثله إلّا في عينه ونفسه. فانظر ما أعجب هذا الأمر! فمن حصل له مثل هذا العلم، فقد ورث النبيَّ -عليه الصلاة والسلام- في هذا التحبُّب بهذا الوجه.

وأمّا الطِّيب فإنّه من الأنفاس، والأنفاس رحمانيّة، فإنّ رسول الله ﷺ يقول: «إنّ[1] نفَس الرحمن» فأضافه إلى الرحمن، والله يقول: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾[2] ومن أسمائه تعالى: "الطيّب" فعلمنا أنّ النفَس الطيّب لا يكون إلّا من الاسم الطيّب، وما ثَمّ اسمٌ أطيب للكون من "الرحمن" فإنّه مبالغة في الرحمة العامّة التي تعمّ الكونَ أجمعَه. فمن حصل له الطِّيب في كلّ شيء، وإن أدركه -مَن أدركه- خبيثا بالطبع، فإنّه بالنعت الإلهيّ طَيِّبٌ -وقد ذقنا ذلك بمكّة- فهو وارث على الحقيقة.

وما حبّب إليه الصلاة إلّا لما فيها من الجمع بين الشهود والكلام، بقوله: «جُعِلتْ قرّةُ عيني في الصلاة» وما تعرّض لسمعه، ولا للكلام؛ لأنّ ذلك معروفٌ في العموم أنّ الصلاة مناجاة، بقوله: "يقول العبد كذا فيقول الله كذا، وأنّها مقسّمة بين الله وبين عبده المصلّي نصفين" كما ورد في الحديث. وما كانت الصلاة كبيرةً إلّا على غير المشاهِد وعلى مَن لم يسمع قول الحقّ مجيبا لما يقوله العبدُ في صلاته ثمّ نيابته في: "سمع الله لمن حمده" (باعتباره) من أتمّ المقامات.

فإنّ الله ما عظّم الإنسانَ الكامل على مَن عظّمه إلّا بالخلافة، ولمّا كان مقامه عظيما؛ لذلك وقع الطعن فيه ممن وقع؛ لعظيم المرتبة. وما علِم الطاعنُ ما أودع اللهُ في النشأة الإنسانيّة[3] من الكمال الإلهيّ؛ فلو تقدّم لذلك الطاعن العلمُ؛ ما طعن. فلمّا كانت الخلافة، وهي النيابة عن الحقّ بهذه المنزلة، وكان المصلّي نائبا في "سمع الله لمن حمده" الذي لا يكون إلّا في الصلاة؛ كانت مرتبة الصلاة عظيمة؛ فحُبّبت إليه ﷺ. فمن رأيته يحبّ الصلاة على هذا الحدّ؛ فهو وارث. ومَن رأيته يحبّها لغير هذا الشهود؛ فليس بوارث.

١ ص ١٠٤ب
٢ [النور : ٢٦]
٣ ص ١٠٥

وفي هذا المنزل من العلوم:

عِلْمُ صدور الكثير مِن الواحد؛ أعني أحديّة الكثرة، لا أحديّة الواحد.

وعِلْمُ النكاح الإلهيّ والكونيّ.

وعِلْمُ النتائج والمقدّمات.

وعِلْمُ مفاضلة النكاح؛ لأنّه قد يُراد لمجرّد الالتذاذ، وقد يُراد للتناسل، وقد يُراد لهما.

وعِلْمُ الوصايا.

وعِلْمُ التقاسيم.

وعِلْمُ المبادرة خوف الفوت.

وعِلْمُ الخلطاء.

وعِلْمُ الهبات.

وعِلْمُ ما يعتبر مِن طيب النفوس.

وعِلْمُ التصرّف بالمعروف، وما هو المعروف؟

وعِلْمُ الأمانات.

وعِلْمُ الحظوظ.

وعِلْمُ الحقوق.

وعِلْمُ ما ينبغي أن يُقدَّم وما ينبغي أن يؤخَّر.

وعِلْمُ[1] الحدود.

وعِلْمُ الطاعة والمعصية.

وعِلْمُ الشهادات والأقضية.

وعِلْمُ العشائر؛ وهي الجماعة التي ترجع إلى عقد واحد كعقد العِشرة؛ ولهذا سُمّي الزوج بالعشير؛ لأنّ اجتماع الزوجين كان عن عقد. والمعاشرةُ (هي) الصحبةُ؛ فالعشائر: الأصحاب، «والمرء على دين خليله» فقد عقد معه على ما هو عليه، وحينئذ يكون قد عاشره. قال -تعالى-: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[2] أي صاحبوهنّ بما تعرف أنّه تدوم بينكما الصحبة به والمعاشرة.

وعِلْمُ العزّة والمنع.

وعِلْمُ صنوف التجارات.

وعِلْمُ فضل الرجل على المرأة؛ بماذا كان؟ وما الكمال الذي تُشارِك فيه المرأةُ الرجلَ؟

وعِلْمُ أصحاب الحقوق.

وعِلْمُ التقديس.

وعِلْمُ العناية الإلهيّة.

وعِلْمُ مراتب الخلفاء.

وعِلْمُ ما حقيقة الإيمان؟

وعِلْمُ المعيّات.

وعِلْمُ ما يُرغب فيه ويُتمنّى تحصيله؟

١ ص ١٠٥ب
٢ [النساء : ١٩]

وعِلْمُ الموت.

وعِلْمُ ما هو لله وللخلق؟

وعِلْمُ الفرق بين نصيب الحسنة ونصيب السيّئة.

وعِلْمُ التوقيت؛ وما يوقّت مما لا يدخله التوقيت؟

وعِلْمُ حرمة المؤمن ومكانته.

وعِلْمُ الهجرة.

وعِلْمُ[1] إيمان الإيمان.

وعِلْمُ الرفق.

وعِلْمُ السرّ والجهر.

وعِلْمُ ما يجتمع فيه المَلَك مع الكامل من البشر.

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[2] وهو على ما نقول وكيل.

---

١ ص ١٠٦
٢ [الأحزاب : ٤]

الباب الأحد والثمانون وثلاثمائة
في معرفة منزل التوحيد والجمع
وهو يحوي على خمسة آلاف مقام رفرفيّ، وهو من الحضرة المحمديّة، وأكمل مشاهده مَن شاهده في نصف الشهر أو في آخره

يا مَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرانَ التي خُلِقَتْ   فَرْشًا كَرِيمًا لِرُوحٍ جَلَّ مِنْ رُوحِ
تَحَصَّنَتْ فَأَتاها الرُّوحُ يَمْنَحُها   مِن فَوْقِ سَبْعِ سَماواتٍ مَعَ اللَّوحِ
أَهْدَى لَها هِبَةً عَلْيا مُشَرَّفَةً   أَسْنَى وَأَشْرَقَ فِينا مِنْ سَنَا يُوحِ
تُحْيِي وَلَيْسَ لَهَا سَيْفٌ تُمِيتُ بِهِ   تُدْعَى -إذا دُعِيَتْ بِاللَّفْظِ- بِالرُّوحِ

نعني[1] بالهبة: عيسى روح الله. من قول جبريل لمريم: ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾[2]. ورد في الخبر أنّه قيل لرسول الله ﷺ: «أين كان ربُّنا قبل أن يخلق خلقه؟ فقال رسول الله ﷺ: كان في عماءٍ ما فوقه هواء وما تحته هواء» وقد ذكرنا فيما تقدّم حديثَ العماء، وأنّ فيه انفتحتْ صورُ العالَم. والذي يقوم عليه الدليل أنّ كلّ شيء سِوَى الله حادث؛ لم يكن ثُمّ كان. فينفي[3] الدليل كون ما سِوَى الله في كينونة الحقّ الواجب الوجود لذاته.

فدوام الإيجاد لله -تعالى-، ودوام الانفعال للممكنات، والممكناتُ هي العالَم؛ فلا يزال التكوين على الدوام، والأعيان تظهر على الدوام. فلا يزال امتداد الخلاء إلى غير نهاية؛ لأنّ أعيان الممكنات توجد إلى غير نهاية، ولا تعمر بأعيانها إلّا الخلاء؛ وقولنا فيما تقدّم: "إنّ العالَم ما عَمر سِوَى الخلاء" يريد أنّه ما يمكن أن يعمر ملأ، لأنّ الملأ هو العامِر، فلا يعمر في ملأ وما ثَمّ إلّا ملأ أو خلاء. فالعالَم في تجديد أبدا، فالآخرة لا نهاية لها. ولولا نحن لما قيل: دنيا ولا آخرة، وإنما كان يقال: ممكِنات وُجِدت وتوجَد كما هو الأمر. فلمّا عمرنا نحن من الممكنات

---

١ ص ١٠٦ب
٢ [مريم : ١٩]
٣ الحروف المعجمة مهملة في ق

المخلوقة أماكنَ معيّنة إلى أجل مسمّى من حين ظهرتْ أعياننا، ونحن صورة من صور العالم، سمّينا ذلك الموطن: الدار الدنيا، أي[1] الدار القريبة التي عمرناها في أوّل وجودنا لأعياننا.

وقد كان العالم ولم نكنٍ نحن، مع أنّ الله -تعالى- جعل لنا في عمارة الدار الدنيا آجالا ننتهي إليها، ثمّ ننتقل إلى موطن آخر يسمّى آخرة، فيها ما في هذه الدار الدنيا، ولكن متميّز بالدار كما هو هنا متميّز بالحال، ولم يجعل لإقامتنا في تلك الدار الآخرة أجلا ننتهي إليه مدّة إقامتنا. وجعل تلك الدار محلّا للتكوين دائما أبدا إلى غير نهاية، وبدّل الصفة على الدار الدنيا؛ فصارت بهذا التبديل آخرة، والعين باقية، وبقي مَن لا عِلم له من الله بالأمور في حيرة.

فعلى الحقيقة ما ثمّ حيرة في حقّ العلماء بالله، وبنسبة العالَم إلى الله. فالعلماء في فُرجة أبدا، ومَن عداهم في ظُلَم الحيرة تائهون؛ دنيا وآخرة. ولولا تجديد الخلق مع الأنفاس؛ لوقع الملل في الأعيان؛ لأنّ الطبيعة تقتضي الملل، وهذا الاقتضاء هو الذي حكم بتجديد الأعيان. ولذلك قال رسول الله ﷺ عن الله -تعالى-: «إنّ الله لا يملّ حتى تملّوا» فعينُ مَلَل العالَم هو مللُ الحقّ، ولا يملُّ من العالَم إلّا مَن لا كشف له، ولا يشهد تجديد العالم مع الأنفاس على الدوام، ولا يشهد الله خلّاقا على الدوام. والملل لا يقع إلّا بالاستصحاب.

فإن قلتَ: فالدوام على[2] تجديد الخلق استصحابٌ، والملل ما وقع مع وجود الاستصحاب؟ قلنا: الأحكام الذاتيّة لا يمكن فيها تبدُّل، والخلّاق لذاته يخلق، والعالَم لذاته ينفعِل؛ فلا يصحّ وجود الملل. فالتقليب في النعيم الجديد لا يقتضي الملل في المتقلّب فيه؛ لأنّه شهود ما لم يشهد بفرح وابتهاج وسرور. ولهذا قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[3] وُجِد ويُوجَد إلى غير نهاية؛ فإنّ الرحمةَ حكمٌ، لا عين. فلو كانت عينا وجوديّا لانتهتْ وضاقت عن حصول ما لا يتناهى فيها، وإنما هي حكم يحدث في الموجودات بحدوث أعيان الموجودات من الرحمن الرحيم، ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ يعني في العلم بالله ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ الرحمة والمرحوم

١ ص ١٠٧
٢ ص ١٠٧ب
٣ [الأعراف : ١٥٦]

﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[1] وهم الغوّاصون الذين يستخرجون لُبَّ الأمور إلى الشهادة العينيّة، بعد ما كان يَسْتُرُ ذلك اللُّبَّ القِشْرُ الظاهر الذي كان به صونُه.

وهذا يحوي على تسعة آلاف مقام، هكذا وقع الإخبار من أهل الكشف والوجود. منها ألف مقام لطائفة خاصّة، ولطائفة أخرى ثلاثة آلاف مقام، ولطائفة ثالثة خمسة آلاف مقام. فأرفع[2] الطوائف (هي) الطائفة التي لها ألف مقام، وتليها في الرفعةِ الطائفةُ التي لها ثلاثة آلاف مقام، وتليها الطائفةُ التي لها خمسة آلاف مقام في الرفعة. وأعلى الطوائف مَن لا مقام له. وذلك لأنّ المقامات حاكمةٌ على مَن كان فيها، ولا شكّ أنّ أعلى الطوائف مَن له الحكمُ لا مَن يُحكَمُ عليه؛ وهم الإلهيّون؛ لكون الحقِّ عَيْنَهم، وهو ﴿أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾[3]. وليس ذلك لأحد من الناس إلّا للمحمديّين خاصّة؛ عناية إلهيّة سبقتْ لهم، كما قال -تعالى- في أمثالهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾[4] يعني النار؛ فإنّ النار من جملة هذه المقامات، فهم -على الحقيقة- عن المقامات مبعَدون.

فأصحاب المقامات هم الذين قد انحصرتْ هممهم إلى غايات ونهايات، فإذا وصلوا إلى تلك الغايات تجدّدتْ لهم في قلوبهم غاياتٌ أُخَر؛ تكون تلك الغايات التي وصلوا إليها لهم بدايات إلى هذه الغايات الأُخَر، فتحكم عليهم الغايات بالطلب لها، ولا يزال لهم هذا الأمر دائما. وأمّا المحمّديّ فما له هذا الحكم ولا هذا الحصر؛ فاتّساعه اتّساعُ الحقّ، وليس للحقّ غاية في نفسه ينتهي إليها وجوده. والحقُّ مشهودُ المحمّديّ[5]، فلا غاية له في شهوده. وما سِوَى المحمّديّ فإنّه مشاهدٌ إمكانَه، فما مِن حالة يقام فيها ولا مقام؛ إلّا ويجوز عنده انقضاؤه وتَبدُّل الحال عليه أو إعدامه، ويرى أنّ ذلك من غاية المعرفة بالله حيث وفّى الحكم حقَّه بالنظر إلى نفسه وإلى ربّه. وعيسى -عليه السلام والصلاة- محمّديّ، ولهذا ينزل في آخر الزمان، وبه يختم اللهُ الولاية

١ [آل عمران : ٧]
٢ ص ١٠٨
٣ [هود : ٤٥]
٤ [الأنبياء : ١٠١]
٥ ص ١٠٨ب

الكبرى، وهو روح الله وكلمتُه، وكلمات الحقّ لا تنفد. فليس للمحمّديّ غاية في خاطره ينتهي إليها.

فاعلم أنّ هذه المقامات المذكورة لا تُدرَك إلّا بعين الخيال إذا شوهدت؛ فإنّ صورها، إذا مَثّلها الله فيما شاء أن يمثّلها، متخيّلة؛ فتراها أشخاصا رأيَ العين، كما ترى المحسوسات بالعين، كما ترى المعاني بعين البصيرة. فإنّ الله إذا قلّل الكثير -وهو كثير في نفس الأمر- أو كثّر القليل -وهو قليل في نفس الأمر- فما تراه إلّا بعين الخيال، لا بعين الحِسّ، وهو البصر نفسه في الحالين كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾[1] وقال: ﴿يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ﴾[2] وما كانوا مثليهم[3] في الحسّ. فلو تراهُم بعين الخيالِ لكان ما رأيت من العدد كذبا، ولكان الذي يريه غير صادق فيما أراه إيّاك.

وإذا[4] كان الذي أراك ذلك أراكه بعين الخيال؛ كانت الكثرة في القليل حقّا، والقلّة في الكثرة حقّا؛ لأنّه حقٌّ في الخيال، وليس بحقّ في الحسّ. كما أراك اللبن في الخيال فشربته، ولم يكن ذلك اللبن سِوَى عين العلم. فما رأيته لَبَنا، وهو علمٌ، إلّا بعين الخيال. ورأيت تلقينك ذلك العلم، ممن تلقّنته، في صورة شربك اللبن كذلك في عين الخيال. والعلم ليس بلبن، والتلقين ليس بشرب، وقد رأيته كذلك. فلو رأيته بعين الحسّ لكان كذبا، لأنّك رأيت الأمر على خلاف ما هو عليه في نفسه، فما رأيته إلّا بعين الخيال في حال يقظتك، وإن كنت لا تشعر أنت بذلك، فكذلك هو في نفس الأمر. لأنّ الله صادق فيما يعمله، وهو في الخيال صِدقٌ كما رأيته.

وكذلك تلقّيك العلوم من الله بالضربة باليد؛ فَعَلِمَ المضروب (ص) بتلك الضربة عِلم الأوّلين والآخرين، والعلم لا يحصل إلّا بالتعلّم: بالخطاب من المعلّم، أو يخلق في النفس ضرورة. وقد حصل في حضرة الخيال بالضرب، فلا بدّ أن يكون الضرب مخيّلا، والمضروب في عينه مخيَّلا،

١ [الأنفال : ٤٤]
٢ [آل عمران : ١٣]
٣ ق: مثلهم
٤ ص ١٠٩

إن كان في نوم أو يقظة، لِصدق الذي يرى ذلك وهو الله كما قال -تعالى-: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾[1] ولم تسعَ في نفس الأمر. وهكذا كلّ ما تراه على خلاف[2] ما هو عليه في نفسه؛ ما تراه إلّا بعين الخيال حتى يكون صدقا. ولهذا يُعبر كلّ ما وقع من ذلك، أي يجوز به العابر إلى المعنى الذي أراد الله بتلك الصورة. فلا تغفل عن مثل هذا العلم، وفرّق بين الأعين. واعلم أنّك لا تقدر على ذلك إلّا بقوّة إلهيّة يعطيها الله مَن شاء مِن عباده. فتعرَّض لتحصيلها من الله، فإنّك مخبِر بما رأيت أنّك رأيته بحسّك، ولم يكن الأمر كذلك. فتحرّز في العبارة فيما تراه كما يفعله المنصِف.

ألا ترى الصحابة لو وفّوا النظر الصحيح حقَّه، وأعطوا المراتب حقَّها، لم يقولوا في جبريل عليه السلام إنّه دحية الكلبي، ولقالوا: "إن لم يكن روحانيّا[3] تجسّد، وإلّا فهو دحية الكلبي أدركناه بالعين الحسّيّ". فلم يحرّروا، ولا أعطوا الأمرَ الإلهيّ حقّه؛ فهم الصادقون الذين ما صدقوا. فقال لهم رسول الله ﷺ: «هو جبريل» فحينئذ عرفوا ما رأوا، وبماذا رأوا. كما قالوا فيه لَمّا تمثّل لهم في صورة أعرابيّ مجهول عندهم حين جاء يعلّم الناس دينهم، فقال رسول الله ﷺ: «أتدرون من السائل؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم» لكونه ظهر في صورة مجهولة عندهم[4]. فقال لهم: «هذا جبريل» فإن كان هذا الحديث بعد حديث دحية، فقولهم: «الله ورسوله أعلم» يحتمل أنّهم أرادوا احتمال المعنى، أو الصورة الروحيّة، أو يكون إنسانا في نفس الأمر. وإن كان هذا الحديث أوّلا فما جهلوا أنّه إنسان، ولكن جهلوا اسمَه، ولمن ينتسب من قبائل العرب. فلا يعرف الرائي أنّه أدرك ما أدركه بعين الخيال، ما لم يعلم المدرَك: ما هو؟

وما في الكون أعظم شبهة من التباس الخيال بالحسّ. فإنّ الإنسان إن تمكّن في هذا النظر شَكَّ في العلوم الضروريّة، وإن لم يتمكّن فيه أنزلَ بعضَ الأمور غير منزلتها. فإذا أعطاه اللهُ قوّة

١ [طه : ٦٦]
٢ ص ١٠٩ب
٣ كتب مقابلها في الهامش بقلم آخر: أو معنى
٤ ص ١١٠

التفصيل؛ أبان له عن الأمور إذا رآها؛ بأيّ[1] عين رآها؟ فيعلم ما هي إذا علِم العين التي رآها به من نفسه. فأكَدُ ما على أهلِ عِلْمِ الله؛ هذا العلمُ. وكثير من أهل الله مَن لا يجعل باله لما ذكرناه. ولولا علمه بنومه فيما يراه -أنّه رآه في حال نومه- ما قال: إنّه خيال. فكم يرى في حال اليقظة مثل هذا، ويقول: إنّه رأى محسوسا بحسّه؟!.

ألا تراه ﷺ في صدق رؤياه، أنّه ما يجري على نفسِه حالٌ في جسده، إلّا ويظهر ذلك له في صورة تجسّده إذا هو نام؛ فيحكم على محسوسه بما علِمه من[2] صورة متخيَّلة. فقيل له في الوضوء عندما نام ونفخ، فلم يتوضّأ وصلّى بالوضوء الذي نام عليه (فقال -ص-): «إنّ عينيّ تنامان ولا ينام قلبي» يقول: إنّه لمّا انقلب إلى عالم الخيال، ورأى صورته هناك، وهو قد نام على طهارة؛ ما رأى أنّ تلك الصورة أحدثتْ ما يوجب الوضوء؛ فعلم أنّ جسدَه المحسوس ما طرأ عليه ما ينقض وضوءه[3]. ولهذا نقول في النوم: إنّه سبب للحدث، وما هو حدث.

فمن حصل له هذا المقام، وكان بهذه الصفة، ونام على طهارة، ورأى نفسَه في النوم؛ فلينظرْ في تلك الصورة المرئيّة التي هي عيْنُه. فإن أحسّ بحدَث، فما يقوم بها حدَثٌ حتى يحدث بجسده النائم؛ أي يكون منه ما ينقض الوضوء؛ إمّا بعين ذلك الحدَث، وإمّا أن تكون صورة تعريف بأنّه أحدثَ؛ فيتوضّأ إذا قام من نومه. فإنّ من الأحداث في النوم ما يكون له أثر في الجسد النائم؛ كالاحتلام في بعض الأوقات، وكالذي يرى أنّه يبول فيبول في فراشه، فيستيقظ، فيجد في الحِسّ قد وقع ما رآه في النوم، وقد لا يجد لذلك أثرا؛ فيكون تنبيها له أنّه أحدث. هذا يطرأ للعلماء بهذه الصفة. وقد كان مثل هذا للشيخ الضرير أبي الربيع المالقي، شيخ أبي عبد الله القرشي بمصر. فكان يوم الاثنين خاصّة، إذا نام فيه؛ تنام عيناه ولا ينام قلبُه[4].

وهذا بابٌ واسع المجال، وهو عند علماء الرسوم غير معتبَر، ولا عند الحكماء الذين يزعمون

1 مصحفة في ق، ويمكن قراءتها: "رأيَ" وما أثبتناه فمن هـ، س
2 ص ١١٠ب
3 أضيف في الهامش بقلم آخر: الذي نام
4 ص ١١١

أنّهم قد علِموا الحكمة، وقد نقصهم علم شموخ هذه المرتبة على سائر المراتب، ولا قدْر لها عندهم. فلا يعرف قدرها ولا قوّة سلطانها إلّا الله، ثمّ أهله من نبيّ أو وليّ مختصّ، غير هذين فلا يعرف قدر هذه المرتبة.

والعلم بها أوّلُ مقامات النبوّة. ولهذا كان رسول الله ﷺ إذا أصبح وجلس مجلسه بين أصحابه، يقول لهم: «هل فيكم من رأى رؤيا؟» وذلك ليرى ما أحدث اللهُ البارحةَ في العالم، أو ما يحدثه في المستقبل وقد أوحي به إلى هذا الرائي في منامه؛ إمّا صريح وحي، وإمّا وحي في صورة؛ يعلمها الرائي أو لا يعلم ما أُريد بها. فيعبّرها رسول الله ﷺ لِما أراد الله بها. فهذا كان من اعتنائه ﷺ بهذه المرتبة المجهولة عند العلماء.

وما أحسنَ تنبيهَ اللهِ أُولي الألباب من عباده وأهل الاعتبار؛ إذ قال: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾[1] فمن الأرحام ما يكون خيالا؛ فيصوّر فيه المتخيّلات كيف يشاء عن نكاح معنويّ وحمل معنويّ؛ يفتح الله في ذلك الرحم المعاني في أيّ صورة ما شاء ركّبها؛ فيريك الإسلامَ قُبّةً، والقرآنَ سمنا وعسلا، والقيدَ ثباتا[2] في الدّين، والدِّينَ قميصا -سابغا وقصيرا، درعا ومجولا، ونقيّا ودنِسا- على حسب ما يكون الرائي أو من يُرى له عليه، من الدِّين. ولقد رأيت لقاضي دمشق عندما ولّي القضاء بدمشق، وهو شمس الدين أحمد بن مهذّب الدين خليل الخوئي[3] -وفّقه الله، وسدّده بملائكته، وعصمه في أحكامه- وقائل يقول له في النوم: إنّ الله قد خلع عليك ثوبا نقيّا سابغا فلا تدنّسه ولا تقلّصه. واستيقظتُ، وذكرتُها له. فالله يجعله ممن حفظ الوصيّة الإلهيّة.

فالخيال من جملة الأرحام التي تظهر فيها الصور. وهذه الحضرة الخياليّة لمّا قبلت المعاني

1 [آل عمران : ٦]
2 ص ١١١ب، والكلمة في ق: ثبات
3 القاضي شمس الدين أحمد بن خليل بن سعادة بن جعفر الخوئي، قاضي القضاة بدمشق، كانت وفاته يوم السبت بعد الظهر السابع من شعبان عام ٦٣٧هـ، وله خمس وخمسون سنة، شافعي، كان يخدم الشيخ الأكبر خدمة العبيد، وكان في طوعه كما يريد، وكان يتصدق عنه كل يوم بثلاثين درهما قبل أن يدخل عليه ويرى وجهه المبارك. [انظر: البداية والنهاية، ١٨١/١٣، والدر الثمين في مناقب الشيخ محيي الدين ص ٤١، نفح الطيب، ١٧٩/٢]

صورا، قال الله فيها: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ﴾[1] أي في النِّساء. فصوّر الحبّ صورة زيّنها لمن شاء من عباده، فأحبّها بنفسها ما أحبّها بغيرها؛ لأنّه -تعالى- ما زَيّن له إلّا حبّ الشهوة فيما ذكره. فالحبّ المطلق زيّن له، ثمّ علّقه بالشهوة فيما ذكره، وعلّقه لمن شاء في الشهوة أيضا في أمر آخر. وإنما ذكر الشهوة لأنّها صورة طبيعيّة؛ فإنّ الخيالَ حضرته الطبيعة، ثمّ يحكم الخيال عليها فيجسّدها إذا شاء.

فهذا فرعٌ يَحكمُ على أصله؛ لأنّه فرعٌ كريم؛ ما أوجد الله أعظم منه منزلة، ولا أعمّ حكما، يسري حكمه في جميع الموجودات والمعدومات[2] من مُحال وغيره. فليس للقدرة الإلهيّة فيما أوجدَتْهُ أعظمُ وجودا من الخيال -فبه ظهرت القدرة الإلهيّة والاقتدار الإلهيّ، وبه كَتب على نفسه الرحمة وأمثال ذلك- وأوجبُ عموما، وهو حضرة المجلى الإلهيّ في القيامة وفي الاعتقادات؛ فهو أعظمُ شعائر الله على الله. ومِن قوّة حكم سلطانه ما تثبته الحكماء -مع كونهم لا يعلمون ما قالوه، ولا يوفّونه حقَّه- وذلك أنّ الخيال -وإن كان من الطبيعة- فله سلطان عظيم على الطبيعة؛ بما أيّده الله به من القوّة الإلهيّة. فإذا أراد الإنسان أن يُنجب وَلَدَهُ؛ فَلْيُقِم في نفسه عند اجتماعه مع امرأته صورةَ من شاء من أكابر العلماء، وإن أراد أن يُحْكِمَ أمرَ ذلك؛ فليصوّرها في صورتها التي نُقِلت إليه، أو رآه عليها المصوِّر، ويذكر لامرأته حُسْنَ ما كانت عليه تلك الصورة. وإذا صوّرها المصوِّرُ فليصوّرها على صورةِ حُسن عِلمِه وأخلاقه، وإن كانت صورته المحسوسة قبيحة المنظر فلا يصوّرها إلّا حسنة المنظر بقدر حسن علمه وأخلاقه، كأنّه يجسّد تلك المعاني، ويُحضِر تلك الصورة لامرأته ولعينه عند الجماع، ويستفرغان في النظر إلى حسنها.

فإن وقع للمرأة حملٌ من ذلك الجماع، أثّر في ذلك الحمل[3] ما تخيّلاه من تلك الصورة في النفس، فيخرج المولود بتلك المنزلة ولا بدّ. حتى أنّه إن لم يخرج كذلك؛ فلأمرٍ طرأ في نفس

١ [آل عمران : ١٤]
٢ ص ١١٢
٣ ص ١١٢ب

الوالدين عند نزول النطفة في الرحم، أخرجهما ذلك الأمرُ عن مشاهدة تلك الصورة في الخيال من حيث لا يشعرون، وتعبّر عنه العامّة بتوحُّم المرأة. وقد يقع بالاتّفاق عند الوقاع في نفس أحد الزوجين أو الزوجين، صورة كلب أو أسد أو حيوانٍ مّا، فيخرج الولد من ذلك الوقاع في أخلاقه على صورة ما وقع للوالدين مِن تخيُّل ذلك الحيوان. وإن اختلفا؛ فيظهر في الولد صورة ما تخيّله الوالد وصورة ما تخيّلته الأمّ، حتى في الحسن الظاهر في الصورة، أو في القبح.

وهم (أي الحكماء) مع معرفتهم بهذا السلطان لا يَرْفَعون به رأسا في اقتناء العلوم الإلهيّة؛ لأنّهم -لجهلهم- يطمعون في غير مطمَع، وهو التجرُّد عن الموادّ، وذلك لا يكون أبدا لا في الدنيا ولا في الآخرة. فهو أمرٌ -أعني التجرّد عن الموادّ- يُعقل ولا يُشهد. وليس لأهل النظر غلطٌ أعظم من هذا، ولا يشعرون بغلطهم، ويتخيّلون أنّهم في الحاصل وهم في الفائت؛ فيقطعون أعمارَهم في تحصيل ما ليس يحصل.

ولهذا لا يسلَمُ عقلٌ من حُكمِ وَهْمٍ ولا خيال، وهو في عالم الملائكة[1] والأرواح إمكان؛ فلا يَسْلَمُ روحٌ ولا عالِم بالله مِن إمكان يقع له في كلّ ما يَشهده؛ لأنّ كلّ ما سِوَى الله حقيقتُه، من ذاته، الإمكان. والشيء لا يزول عن حكم نفسه؛ فلا يرى ما يراه من قديم ومحدَث إلّا بنفسه؛ فيصحبه الإمكان دائما. ولا يشعر به إلّا مَن علم الأمرَ على ما هو عليه؛ فيعقل التجريد وَهْما، ولا يقدر عليه في نفسه؛ لأنّه ليس ثَمّ؛ وهنا زلّتْ أقدام الكثيرين. إلّا أهل الله الخاصّة؛ فإنّهم علِموا ذلك بإعلام الله.

ألا ترى إلى زكريّا عليه السلام لمّا دخل على مريم المحراب، وهي بتولٌ محرَّرة، وقد علِم زكريّا ذلك، ورأى عندها رزقا آتاها الله. فطلب من الله، عند ذلك، أن يهبه ولدا حين تعشّق بحالها، فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾ يقول: من عندك؛ عنديّة رحمة ولين وعطف ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾[2] ومريم في خياله من حيث مرتبتها وما أعطاها الله من الاختصاص بالعناية

١ ص ١١٣
٢ [آل عمران : ٣٨]

الإلهيّة. ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾ لأنّه دخل عليها المحراب عندما وجد عندها الرزق: ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا﴾ وهو الكمال؛ لأنّ مريم كملت؛ فكمل يحيى بالنبوّة، ﴿وَحَصُورًا﴾ وهو الذي اقتطعه الله عن مباشرة النساء -وهو العِنِّين عندنا- كما[1] اقتطع مريم عن مباشرة الرجال، وهي البتول. فكان يحيى عليه السلام زير نساء[2] كما كانت حنّةُ مريما؛ لأنّ المريم: المنقطعة من الرجال. واسمها حنّة، ومريم لقبٌ لها وُصِفَت به لما ذكرناه آنفا.

فانظر ما أثّر سلطان الخيال من زكريّا في ابنه يحيى -عليهما السلام- حين استفرغت قوّة زكريّا في حسن حال مريم -عليها السلام- لما أعطاها الله من المنزلة ﴿وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[3] فما عصى الله قطّ. وهو طلبُ الأنبياء كلّهم أن يدخلهم الله برحمته في عباده الصالحين، وهم الذين لم تقع منهم معصية قطّ؛ كبيرة ولا صغيرة.

وما رأيتُ أعجب من حال زكريّا عليه السلام وما رأيتُ مَن ظهر فيه سلطان الإنسانيّة مثله، هو الذي يقول: ﴿هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ فما سأل حتى تصوّر الوقوع، ولا بقوله: ﴿رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ فأين هذه الحالة من تلك الحالة؟ فإن لم يكن ثمّ قرينة[4] حالٍ جعلته أن يقول مثل هذا حتى يقال له في الوحي: ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾[5] فيكون قصده إعلام الله بذلك، حتى يَعْلَمَ غيره أنّ الله يفعل ما يشاء في المعتاد أن يخرقه كما وقع. وإن كان ذلك القول من نفسه فقد أعطته الإنسانيّة قوّتها، فإنّ الإنسان بذاته كما ذكره الله في كتابه، فما[6] ذكره الله في موضع إلّا وذكَر عند ذِكرِه صفة نقصٍ تدلّ على خلاف ما خلق له؛ لأنّ الله خلق الإنسان في أحسن تقويم؛ وهو أنّه خلقه له -تعالى- ثمّ رَدّه إلى أسفل سافلين ليكون له الرقيّ إلى ما خلقه الله له؛ ليقع الثناء عليه بما ظهر منه من رُقيّه. فمن الناس من بقي

---

١ ص ١١٣ب
٢ زير نساء: من يكثر مجالسة النساء، وهنا جاءت للاطمئنان منه كونه حصورا
٣ [آل عمران : ٣٩]
٤ ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٥ [آل عمران : ٤٠]
٦ ص ١١٤

في أسفل سافلين الذي رُدَّ إليه، وإنما رُدّ إليه لأنّه منه خُلِق، ولولا ذلك ما صحّ رَدُّه. وليس أريد بأسفل سافلين إلّا حكم الطبيعة التي منه نشأ عندما أنشأ اللهُ صورةَ جسده وروحه المدبّرة له، فردَّه إلى أصل ما خلقه منه. فلم ينظر ابتداءً إلّا إلى طبيعته، وما يصلح جسده. وأين هو من قوله: ﴿بَلَى﴾ عن معرفة صحيحة؟.

واعلم أنّ في حضرة الخيال، في الدنيا، يكون الحقُّ محلّ تكوين العبد. فلا يخطر له خاطر في أمر مّا إلّا والحقُّ يكوّنه في هذه الحضرة؛ كتكوينه أعيانَ الممكنات إذا شاء ما يشاء منها. فمشيئة العبد في هذه الحضرة من مشيئة الحقّ؛ فإنّ العبد ما يشاء إلّا أن يشاء الله؛ فما شاء الحقّ إلّا أن يشاء العبد في الدنيا. ويقع بعض ما يشاء العبد في الدنيا في الحسّ، وأمّا في الخيال فكمشيئة الحقّ في النفوذ. فالحقُّ مع العبد في هذه الحضرة على كلّ ما يشاؤه العبد، كما هو في الآخرة في عموم حكم المشيئة؛ لأنّ باطن الإنسان هو ظاهره في الآخرة[1]؛ فلذلك يتكوّن عن مشيئته كلُّ[2] شيء إذا اشتهاه.

فالحقّ في تصريف الإنسان في هذه الحضرة في الدنيا، وفي شهوته في الآخرة لا في الدنيا حسًّا؛ فالحقّ تابع في هذه الحضرة، وفي الآخرة لشهوة العبد. كما هو العبد، في مشيئته، تحت مشيئة الحقّ. فما للحقّ شأن إلّا مراقبة العبد ليوجد له جميع ما يريد إيجاده في هذه الحضرة في الدنيا، وكذلك في الآخرة. والعبد تبعٌ للحقّ في صور التجلّي؛ فما يتجلّى الحقّ له في صورة إلّا انصبغ بها؛ فهو يتحوّل في الصور لِتحوُّل الحقّ، والحقّ يتحوّل في الإيجاد لتحوّل مشيئة العبد، في هذه الحضرة الخياليّة في الدنيا خاصّة، وفي الآخرة في الجنّة عموما.

ولمّا خلق الله هِمَا فعّالة في الوجود في الحسّ، وهِمَا غير فعّالة في الوجود في الحسّ؛ ظهر بذلك التفاضل في الهِمَم، كما ظهر التفاضل في جميع الأشياء، حتى في الأسماء الإلهيّة. والهممُ الفعّالة في الدنيا قد تفعل في هممِ غيرِ أصحابها، وقد لا تفعل، مثل قوله فيما لا تفعل: ﴿إِنَّكَ لَا

---

١ "في عموم.. الآخرة" ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب
٢ ص ١١٤ب

﴿يَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[1] فبعضُ الهمم الفعّالة والمنفعلة قد لا تنفعل لهمّة فعّالة، فيريد منه أن يريد أمرا مّا؛ فلا يريده مَن يريد منه أن يريده؛ لأنّ الهمم تتقابل للجنسيّة؛ فلهذا قد لا تؤثّر فيها. فإذا تعلّقت بغير[2] الجنس أثّرتْ كلّ همّة فعّالة ولا بدّ. وأمّا في جنسها، أعني في الهمم، فقد تنفعل لها بعض الهمم، وقد لا تنفعل. وقد ظهر ذلك في الرسل -عليهم السلام- وأتباعهم: يريد الرسول من شخص أن يريد الإسلام؛ فيريده (هذا الشخص) فيُسلِم، ويريد (الرسول) من آخر أن يريد الإسلام؛ فلا يريده (هذا الشخص).

فلو تعلّقتْ همّةُ الرسول بتحريك الألسنة بالشهادة بالتوحيد[3] من غير إرادة الناطق بها لوقعتْ عموما، ولكن لا تنفع صاحبَها، وإن كانت تنفع للسانه؛ فإنّ لسانه ما عصى الله قطّ من حيث نفسه، وإنما وقعت "فيه" المخالفة لا "منه"، من حركة المريد تحريكَهُ. فهو مجبور؛ حيث لم يُعطَ الدفع عن نفسه، لكونه من آلات النفس؛ فهو طائع من ذاته. ولو فتح الله سَمْعَ صاحبِه لنطق اللسان الذاتي -إذا جعلَته النفسُ يتلفّظ بمخالفة ما أراد الشرع أن يتلفّظ به- تَبَّهت. فلهذا قلنا: إنّ المخالفة ظهرتْ "فيه" للجبْر لا "منه" فإنّه طائع بالذات، شاهِدٌ عَدْلٌ على محرِّكه، كما ورد: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[4] بها، وكذلك كلُّ جارحة مصرَّفة من سمعٍ، وبصرٍ، وفؤاد، وجلد، وعصب، وفرْج، ونفَس، وحركة.

والناسُ فِي غَفْلَةٍ عَمَّا يُرادُ بِهِمْ — وفِي[5] عَمَايَةٍ عَمَّا هُمْ عَلَيْـهِ لَهُ

فالإنسان سعيد، من حيث نشأته الطبيعيّة ومن حيث نشأة نفسه الناطقة، بانفراد كلّ نشأة عن صاحبتها، وبالمجموع ظهرت المخالفة. وما عيّن المخالفةَ إلّا التكليفُ؛ فإذا ارتفع التكليفُ -حيث ارتفع- ارتفع الحكم بالمخالفة، ولم تبْقَ إلّا موافقة دائمة، وطاعةٌ ممكنٍ لواجب مستمرة. كما هو -في نفس الأمر- في وقت المخالفة مطيع للمشيئة، مخالِف لأمر الواسطة؛ للحسد الذي في

١ [القصص : ٥٦]
٢ ص ١١٥
٣ ق: "فالتوحيد" والترجيح من هـ، س
٤ [النور : ٢٤]
٥ ص ١١٥ب

الجنس.

وفي هذا المنزل من العلوم:

عِلْمُ توحيد الحقّ وتصديق المخبرين عن الحقّ، وهم التراجمة السفراء من بشر وملَك وخاطر.

وعِلْمُ الفُرقان بالعلم بما تميّزت به الأشياء، وهذا هو عِلْمُ التوحيد العام الذي يسري في كلّ واحد واحد من العالم.

وعِلْمُ الكشف الإلهيّ.

وفيه عِلْمُ التناسل الذي لا ينقطع دنيا ولا آخرة.

وفيه عِلْمُ الحضرة التي وقع فيها التشبيه بين الأشياء والاشتراك في الصورة.

وفيه عِلْمُ ما ينفرد به الحقّ من العلم دون الخلق[1] مما لا يعلمه الخلق إلّا بإعلام الله.

وفيه عِلْمُ الميل والاستقامة.

وفيه عِلْمُ الجمع للتفصيل.

وفيه عِلْمُ العوائد لماذا (=إلى ماذا) ترجع، وما ثَمّ تكرار؟ والإعادة تكرار؛ فالأمر مشكِل. وسبب إشكاله ذِكْر الحقّ العادة[2] والإعادة، والكشف يعطي عدم الإعادة في الكون، لا الإعادة في نشء الآخرة. فإنّ تلك الإعادة حكمٌ إلهيّ في حقّ أمر مّا مخصوص بمنزلة مَن خرج من دار ثمّ عاد إليها، فالدار الدار والخارجُ الداخلُ، وما ثَمّ إلّا انتقال في أحوال، لا ظهور أعيان. مع صحّة إطلاقها أنّ الخارج من الدار عاد إلى داره؛ فعلِمنا متعلّق الإعادة.

وفيه عِلْمُ المفاضلة بالدار.

وفيه عِلْمُ نعوت أهل الله.

وفيه عِلْمُ ما يَشترك فيه الحقّ والعالم؛ العالِم بالله؛ وما ثَمّ إلّا عالِم بالله. غير أنّه مِن العلماء مَن يعلم أنّه عالِم بالله، ومن الناس مَن لا يعلم أنّه عالِم بالله، وهو على علم[3] بمن يشهد ويعاين ولا يعلم أنّه الحقّ. فلو سألتَه: هل تعلم الله؟ قال: لا. فلو سألته فيما شهده: هل تعلم هذا الذي

١ ص ١١٦
٢ ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٣ ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب، وكذا هي ثابتة في س، هـ

شهدته من حيث ما هو مشهود لك؟ يقول: نعم. يقال له: فَمَن هو؟ يقول: هذا الذي أشهده. فيقال له: فَمَن يقال له[1]؟ يقول: لا أدري. فإذا قيل له: هو كذا، أي هو فلان بالاسم الذي يعرفه به، ولكن ما عرف أنّ هذا المشهود هو مسمّى ذلك الاسم. فما جهل إلّا حمل هذا الاسم على هذا المشهود. فقد كان موصوفا بعلم الاسم، وموصوفا بعلم المشهود من حيث ما هو مشهود له، وما استفاد إلّا كون هذا المشهود مسمّى ذلك الاسم المعلوم.

وفيه عِلْمُ انقياد الخلق للحقّ، وأنّه نتيجة عن انقياد الحقّ للخلق لطلب الممكن الواجب، فانقاد له للواجب فيما طلبه، فأوجده ولم يك شيئا.

وفيه عِلْمُ سبب الاختلاف الواقع في العالَم، مع العلم بما يوجِب رفع الاختلاف؛ فما الذي حكم على العلم مع قوّة سلطانه؟

وفيه عِلْمُ الاغترار، وما سببه الذي أظهره؟

وفيه عِلْمُ ما هو العمل والكسْب؟ والفرق بين الكسب والاكتساب؟ لأنّ الله ميّز الكسب من الاكتساب باللام وبـ"على" فقال: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[2].

وفيه عِلْمُ الاختيار الإلهيّ.

وفيه عِلْمُ متى يُستند إلى الضدّ؛ فيكون الضدُّ رحمةً لِضدّه، مع أنّه عدوٌّ له بالطبع؟

وفيه عِلْمُ التحجير عن الخوض في[3] الله.

وفيه عِلْمُ الإحاطة بالأعمال؛ إحاطة مشاهدة لا إحاطة تلبُّس. وفي أيّ خزانة ادُّخِرت إلى وقت شهودِها؟ وما حكمها بعد شهودها في نفسها؟ وفيما يعود منها على العامل لها؟

وفيه عِلْمُ ما الحضرة التي تقلب الحقائق ولا تقلب نفسَها وهي من جملة الحقائق؟

وفيه عِلْمُ المناسبات.

وفيه عِلْمُ ما يرجع إليه في الحكم مما لا يتّصف بالقول، ومع ذلك فله الفصل في بعض القضايا، وهو الاقتراع وأمثاله؟

١ ص ١١٦ب
٢ [البقرة: ٢٨٦]
٣ ص ١١٧

وفيه عِلْمُ الغاية التي تطلبها الرسل من الله في هذه الدار.

وفيه عِلْمُ النيابة الإلهيّة في التكوين.

وفيه عِلْمٌ غريبٌ متعلّق بالمحبّة، وهو الزهد في المحبوب من أجل المحبوب، مع اتّصافه بالحبّ في المزهود فيه، وبقاء ذلك الوصف عليه.

وفيه عِلْمُ الاعتصام.

وفيه عِلْمُ البياض والسواد، ولبعض أهل الطريق تأليف فيه سمّاه "البياض والسواد".

وفيه عِلْمُ فضل الأمم بعضهم على بعض، وفضل هذه الأمّة المحمديّة على سائر الأمم. وهل[1] من أمّة محمد ﷺ مَن كان قبل بعثته؛ فرآه في كشفه وآمن به واتّبعه في قدر ما كشف له منه؟ وهل يُحشر مَن هذه صفته في أُمّته؟ أو يحشر أُمّة وحده؟ أو كان صاحب هذا الكشف متّبعا لشرع نبيّ خاصّ، كعيسى أو موسى أو مَن كان من الرسل -عليهم السلام-. فرأى مشاهدةً أنّ الشرع الذي جاء به ذلك النبيّ الخاصّ الذي هذا متّبعه أنّه نائبٌ فيه عن محمد ﷺ وأنّ ذلك شرعُه، فاتّبعه على أنّه شرع محمد ﷺ وأنّ ذلك الرسول مبلّغ عنه ما ظهر به من الشرع؛ فهل يحشر مثل هذا في أمّة محمد ﷺ؟ أو يكون من أُمّة ذلك النبيّ؟ ثمّ إنّه إذا اتّفق أن يحشر في أمّة ذلك الرسول، ثمّ دخل الجنّة ونال منزلته؛ هل ينالها في منازل هذه الأمّة المحمّديّة؟ أو لا ينزل منها إلّا في منازل أتباع ذلك الرسول وأمّته؟ أو له في منازل ذلك الرسول مع أُمّته منازل من حيث ما هو متّبع، وله منازل مع الأمّة المحمّديّة من حيثما اتّبعه بما أعطاه الكشف الذي ذكرناه آنفا؟

وفيه عِلْمُ الصحبة، ومَن يصحبك بالصفة؟ ومَن يصحبك بالوجه؟ ومَن يصحبك لك؟ ومَن يصحبك لنفسه؟ ومَن يصحبك لله؟ ومَن أَوْلَى بالصحبة؟ ومَن يصحب الله؟ ومَن[2] له مقام أن يُصحب، ولا يَصحب أحدا؟ والفرق بين الصحبة والمصاحبة.

وفيه عِلْمُ المقامات والأحوال.

١ ص ١١٧ب
٢ ص ١١٨

وفيه عِلْمُ نِعْمَ وبئس.

وفيه عِلْمُ الجزاء في الدنيا.

وفيه عِلْمُ اتّصاف العالِم بالاستفادة فيما هو به عالِم.

وفيه عِلْمُ أصناف المقرَّبين، ودرجاتهم في القربة من كلّ أمّة.

وفيه عِلْمُ مَن يريد اللهَ؟ ومَن يريد غير اللهِ؟ وما متعلَّق الإرادة؟ وهل يصدق مَن يقول: إنّه يريد الله، أو لا يصدق؟

وفيه عِلْمُ الالتباس في الموت، ومَن اتّصف بالضدّين؟

وفيه عِلْمُ الاستدراج.

وفيه عِلْمُ ما يقبله الحقُّ من النعوت ولا ينبغي أن تُنسب إليه، لكونها في العُرف والشرع صفة نقص في الجناب الإلهيّ، وهي شرفٌ ورفعة في المحدَث.

وفيه عِلْمُ فنونٍ من العلوم.

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[1].

١ [الأحزاب : ٤]

الباب الثاني والثمانون وثلاثمائة
في معرفة منزل الخواتم، وعدد الأعراس الإلهيّة والأسرار الأعجميّة[1]، موسويٌّ. لزوميّة

عِلْمُ البَرَازِخِ عِلْمٌ لَيْسَ يُدْرِكُهُ ... إِلّا الّذِي جَمَعَ الأَطْرافَ والوَسَطا

لَهُ النُّفُوذُ بِهِ فِي كُلِّ نازِلَةٍ ... كَوْنِيَّةٍ فَبِهِ فِي العالَمِينَ سَطا

فَإِنْ أَرادَ بِشَخْصٍ نِقْمَةً قَبَضا ... وإِنْ أَرادَ بِشَخْصٍ نِعْمَةً بَسَطا

إِنْ أَقْسَطَ الخَلْقُ فِي مِيزَانِ رَحْمَتِهِ ... فِي العالَمِينَ تَرَاهُ فِيْهِ قَدْ قَسَطا

اعلم أنّه لمّا كانت الخواتمُ أعيانَ السوابق، علِمنا أنّ الوجود في الصور (أنما هو بمثابة) دائرة انعطف أبَدُها على أزَلِها؛ فلم يُعقَل إله إلّا وعُقِل المألوه، ولا عُقِل ربّ إلّا وعُقِل المربوب. ولكلّ معقول رتبة ليست عين الأخرى. كما نعلم أنّ بين الخاتمة والسابقة تميُّزًا معقولا، به يقال عن الواحدة: سابقة، وعن الأخرى: خاتمة. وإنما قلنا: "إنّ الخاتمة عينُ السابقة" إنما ذلك في الحكم على المحكوم عليه، وبالمحكوم عليه تبيَّنت الخاتمة من السابقة.

واعلم أنّ الأعراس على قسمين: عرس[2] لعقد، وعرس لعقد ودخول، وعرس بدخول ولا عقد. والعقد عبارة عمّا يقع عليه رضا الزوجين، والدخول وطءٌ لوجود لذّة أو لإيجاد عين. ودخولٌ بلا عقد (هو) عرس الإماء. ولمّا لم يكن في الأنكحة أفضل من نكاح الهبة؛ لأنّه لا عن عِوض؛ كالاسم الواهب الذي يعطي ليُنْعِم؛ اختصّ به -لفضله- أفضلُ الخلق وهو محمد ﷺ. قال -تعالى-: ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[3]. وكلُّ نكاح خارجٍ عمّا ذكرناه فهو سِفاح، لا نكاح. أي هو بمنزلة الشيء السائل الذي لا ثبات له؛ لأنّه لا عقد فيه، ولا رباط، ولا وثاق.

١ ص ١١٨ب
٢ ص ١١٩
٣ [الأحزاب : ٥٠]

ثمّ نرجع، ونقول: فأمّا الخواتم فتعيّنها الآجال، ولولا ذلك ما كان لشيء خاتمة؛ لأنّ الخاتمة انتهاءٌ في الموصوف بها. ولكلّ خاتمة سابقة، ولا ينعكس. فَمَن نظر إلى دوام تنزُّل الأمر الإلهيّ واسترساله، قال: "ما ثَمّ خاتمة". ومن نظر إلى الفصل بين الأشياء في التنزّل، قال بالخواتم في الأشياء؛ لكون الفصول تبيّنها مثالَ ذلك. ولكن كلُّ هذا في عالم الانقسام والتركيب. فإذا نظرت في القرآن مثلا بين الكلمتين، والآيتين، والسورتين، فتقول عند وجود الفصل المميِّز بين الأمرين؛ فإن وقع بين كلمتين: فخاتمة الأُولَى حرفٌ معيّنٌ، وإن[1] كان آيتان؛ فخاتمة الأُولَى كلمةٌ معيّنة، وإن كان سورتان؛ فخاتمة الأُولَى آيةٌ معيّنة.

وإن كان أمرٌ حادث؛ قيل: أَجَلُه كذا في الدنيا؛ لأنّ كلّ ما في الدنيا يجري إلى أجل مسمّى، فتنتهي فيه المدّة بالأجل؛ فخاتمة ذلك الشيء (هو) ما ينتهي إليه حُكمه. فانتهاء الأنفاس في الحيوان (يكون عند) آخِر نفَس يكون منه عند انتقاله إلى البرزخ، ثمّ تنتهي المدّة في البرزخ إلى الفصل بينه وبين البعث، ثمّ تنتهي المدّة في القيامة إلى الفصل بينها وبين دخول الدارين، ثمّ تنتهي المدّة في النار -في حقّ مَن هو فيها من أهل الجنّة- إلى الفصل الذي بين الإقامة فيها والخروج منها بالشفاعة والمنّة، ثمّ تنتهي المدّة في عذاب أهل النار الذين لا يخرجون منها إلى الفصل بين حال العذاب وبين حصول حكم الرحمة التي وَسِعت كلَّ شيء فيهم؛ فيتنعّمون في النار باختلاف أمزجتهم كما قد ذكرناه. ثُمّ لا يبقى بعد ذلك أجل ظاهر بالمدّة، ولكن آجال خفيّة دقيقة. وذلك أنّ المحدَث الدائم العين، من شأنه تقلُّب الأحوال عليه؛ ليلزمه الافتقار إلى دوام الوجود له دائمًا. فلا تفارق أحواله الآجال، فلا يزال في أحواله بين سابقة وخاتمة.

وأمّا الإيمان فسابقَتُه «لا إله إلّا الله» وخاتمته «إماطةُ الأذى عن الطريق» فعبّر الشارع عن السابقة بالأعلى، وعن الخاتمة بالأدون[2]. فلا أعلى في الإيمان من التوحيد، ولا أدنى فيه من إماطة الأذى عن الطريق، ومن ذلك طريق التوحيد. فإنّ الأذى الذي في طريقه (هو) الشركُ الجليّ والخفيّ. فالخفيّ (هي) الأسباب، وهي بين خفيّ وأخفى. فالأخفى: الأسباب الباطنة،

١ ص ١١٩ب
٢ ص ١٢٠

والخفيّ: الأسباب الظاهرة. والجليّ (هو) نِسبةُ الألوهة إلى المحدَثات. فيميط الموحِّد هذه كلّها عن قلبه وقلب غيره؛ فإنّها أذًى في طريق التوحيد. وكلّ أذى في طريق من طرق الإيمان (يُحدَّد) بحسب الصفة التي تُسمّى إيمانا، فما يضادّها يُسمّى أذى في طريقها. فالذي يُزال به الأذى من تلك الصفة المعيّنة هو خاتمة تلك الصفة، كان ما كان.

ولا خاتمة لحكم الله في عباده -بالجملة والإطلاق- ولا سابقة. فإنّ العدم الذي للمكن المتقدِّم على وجوده لم يَزل مرجّحا له بفرض الوجود الإمكانيّ له، فلا سابقة له. وهو علم دقيق خفيّ، تَصَوُّره سهلٌ ممتنع؛ لأنّه سريع التفلّت من الذهن عند التصوّر. فليس الحدوث للمكن إلّا من حيث وجوده خاصّة عند جميع النظّار، وعندنا ليس كذلك. وإنما الحدوث، عندنا، في حقّه (هو) كون عدمه ووجوده لم يزل مرجّحا على كلّ حال، لأنّه ممكن لذاته.

وإن كان بعض النظّار قد قال: "حدوثُه ليس سِوَى إمكانه" ولكن[1] ما بيّن هذا البيان الذي بيّنّاه في ذلك؛ فتطرّق الاحتمال إلى كلام هذا الحاكم، فإنّه يحتمل أن يكون عنده من أسماء الترادف؛ فيكون كونُه يسمّى حادثا كونُه يسمّى ممكنا، ويحتمل أن يريد ما أردناه، من كون العدم الذي يحكم عليه به أنّه لذاته، هو عندنا مرجّح لم يزل. فإن توسّعنا في العبارة مع النظّار لم نقل: "إنّ عدم الممكن لنفسه" لأنّه لو كان العدم له صفة نفس؛ لاستحال وجودُه كما يستحيل وجودُ المحال. ولكن كما نقول: "تقدّم العدم له على الوجود لذاته، لا العدم" وبينهما فُرقان عظيم. ولكن ليس مذهبنا فيه إلّا أنّ عدمه لم يزل مرجّحا، فوجود الممكن له سابقة لكونه لم يكن ثُمّ كان. ولكن من حيث عينه؛ إذا كان قائمًا بنفسه لا من حيث صورته؛ فلا خاتمة له في عينه، وله الخواتم في صورته بالأمثال والأضداد. فكلُّ حادث -سِوَى الأعيان القائمة بأنفسها- فله سابقة وخاتمة. لكنّ سابقته عين خاتمته؛ لأنّه ليس له في كونه غير زمان كونه خاصّة، ثمّ ينعدم لنفسه. وإنما تتميّز السابقة فيه من الخاتمة بالحكم؛ فتحكم عليه: بالوجود في السابقة، وفي العدم بالخاتمة،

١ ص ١٢٠ب

وفي عينِ[1] سابقته عينُ خاتمته؛ لأنّه ليس له وجود في الزمان الثاني من زمان وجوده، فافهم.

واعلم أنّ السالك إذا[2] وصل إلى الباب الذي يصل إليه كلُّ سالك بالاكتساب، فآخر قدمٍ في السلوك هو خاتمة السالكين. ثمّ يُفتح الباب، وتخرج العطايا والمواهب الإلهيّة بحكم العناية والاختصاص، لا بحكم الاكتساب. وهذا الباب الإلهيّ قبولٌ كلّه، لا رَدٌّ فيه أَلْبَتَّة، بخلاف أبواب المحدَثات، وفيه أقول:

كُلُّ بابٍ إذا وَصَلْتَ إِلَيْهِ   أَمْكَنَ الرَّدّ والقَبُول جَمِيْعا
غَيْرِ بابِ الإِلَهِ فَهْوَ قَبُولٌ   لِلّذِي جاءَهُ سَمِيْعًا مُطِيْعا
والّذِي رُدَّ إِذْ تَخَيَّلَ فِيْهِ   أَنَّهُ البابُ خَرَّ ثُمَّ صَرِيْعا
فَيُنادِيْهِ رَبُّهُ لَيْسَ بابِي   إِنَّ بابِي لِمَنْ يَرِيْدُ خُشُوعا
لَوْ تَفَطَّنْتَ حِيْنَ جِئْتَ إِلَيْهِ   كُنْتَ عايَنْتَ فِيْكَ أَمْرًا بَدِيْعا
أَنْتَ ما أَنْتَ لَسْتَ أَنْتَ سِوَانا   فاسْكُبِ إِنْ شِئْتَ لِلفُراقِ دُمُوعا

ولَمّا[3] وصلتُ، في جماعة الواصلين من أهل زماني، إلى هذا الباب الإلهيّ وجدته مفتوحا، ما عليه حاجبٌ ولا بوّاب. فوقفتُ عنده إلى أن خلع عليّ خلعة الوراثة النبويّة. ورأيت خوخةً مغلقةً، فأردت قرعها. فقيل لي: لا تَقرع فإنّها لا تُفتح. فقلت: فلأيّ شيء وُضِعَتْ؟ قيل لي: هذه الخوخة التي اختُصّ بها الأنبياء والرسل -عليهم السلام-، ولمّا كمل الدين أُغلِقتْ، ومن هذا الباب كانت تخلع على الأنبياء خِلَع الشرائع. ثمّ إنّي التفتُّ في الباب، فرأيته جِسما شفّافا يكشف ما وراءه. فرأيت (أنّ) ذلك الكشف (هو) عين الفهم الذي للورثة في الشرائع، وما يؤدّي إليه اجتهاد المجتهدين في الأحكام.

فلازمتُ تلك الخوخة، والنظر فيما وراء ذلك الباب. فجلِيَتْ لي من خلفه صورُ المعلومات على ما هي عليه؛ فذلك عينُ الفتح الذي يجده العلماء في بواطنهم، ولا يعلمون من أين حصل

[1] كتب في الهامش بقلم الأصل من غير إشارة الاستبدال، ومتفقا في ذلك مع س: "عينه"
[2] ص ١٢١
[3] ص ١٢١ب

لهم، إلّا إن كوشفوا على ما كشف لنا. فالنبوّة العامّة لا تشريع معها. والنبوّة الخاصّة، التي بابها تلك الخوخة، هي نبوّة الشرائع؛ فبابها مغلق، والعلم بما فيها محقَّق؛ فلا رسول ولا نبيّ. فشكرت الله على ما منح من المنن في السرّ والعلن.

فلمّا اطّلعت من الباب الأوّل الذي يصل إليه السالكون[1]، الذي منه تخرج الخِلع إليهم، رأيت منه شكر الشاكرين كالصور التي تجلّت لنا خلف الخوخة، والظاهر منهم الشكر كالخوخة. فلم أر شاكرا إلّا لواحد من خلف الكلمات الظاهرة؛ فلم أجد في تلك الحالة مساعدا لي على الشكر. فقلت أخاطب ربّي -تعالى وجلّ-:

إذا رُمْتُ شُكْرًا لَمْ أَجِدْ لَكَ شاكِرًا   وإِنْ أَنَا لَمْ أَشْكُرْ أَكُونُ كَفُورا
سَتَرْتَ عُقُولَ الخَلْقِ بِالسَّبَبِ الّذِي   وَضَعْتَ فَلَمْ آنَسْ عَلَيْكَ غَيُورا
وَقَدْ بَلَّغَتْ عَنْكَ التَّراجِمُ غَيْرَةً   أَمَرْتَ بِها عَبْدًا بِتِلْكَ خَبِيْرا
لِذَلِكَ لَمْ تُشْهَدْ وَلَمْ تَكُ ظاهِرًا   وَلَوْ كُنْتَ مَشْهُودًا لَكُنْتَ غَفُورا
وَقَدْ قُلْتَ بِالتَّلْبِيْسِ فِي المَلَكِ الّذِي   بَعَثْتَ شُخَيْصًا كالأَنام بَصِيرا
وَكَيْفَ لَنَا بِالعِلْمِ والأَمْرُ لَمْ يَزَلْ   عَلَى حالَةِ الإِمْكانِ مِنْكَ ظَهِيرا

فكان[2] محمد ﷺ عينَ سابقة النبوّة البشريّة بقوله معرِّفا إيّانا: «كنتُ نبيّا وآدم بين الماء والطين» وهو عينُ خاتم النبيّين بقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[3] لمّا ادُّعِي فيه أنّه أبو زيد[4]، نفى الله -تعالى- أن يكون أبًا لأحد من رجالنا؛ لِرفع المناسبة وتمييز المرتبة. ألا تراه ما عاش له ولدٌ ذكَرٌ من ظهره تشريفا له؛ لكونه سبق في علم الله أنّه خاتم النبيّين. وقال ﷺ: «إنّ الرسالة» يعني البعثة إلى الناس بالتشريع لهم «والنبوّة قد انقطعت» أي ما بقي مَن يشرّع له من عند الله حكمٌ يكون عليه ليس هو شرعنا الذي جئنا به «فلا رسول بعدي» يأتي بشرعٍ

[1] ص ١٢٢
[2] ص ١٢٢ب
[3] [الأحزاب : ٤٠]
[4] زيد بن حارثة مولى رسول الله والذي كان يدعى زيد بن محمد

يخالف شرعي إلى الناس «ولا نبيّ» يكون على شرعٍ ينفرد به من عند ربّه يكون عليه؛ فصرَّح أنّه خاتم نبوّة التشريع.

ولو أراد غير ما ذكرناه؛ لكان معارضا لقوله: «إنّ عيسى- عليه السلام ينزل فينا حَكما، مقسطا، يؤُمُّنا منّا»، أي بالشرع الذي نحن عليه؛ ولا نشكّ فيه أنّه رسولٌ ونبيّ. فعلمنا أنّه ﷺ أراد أنّه لا شرع بعده ينسخ شرعَه. ودخل بهذا القول كلُّ إنسان في العالم، من زمان بعثته إلى يوم القيامة في أمّته. فالخضر، وإلياس، وعيسى؛ من أمّة محمد ﷺ الظاهرة؛ ومن[1] آدم إلى أوان بعثة رسول الله ﷺ مِن أُمّته الباطنة. فهو النبيّ بالسابقة، وهو النبيّ بالخاتمة. فظهر في رسول الله ﷺ أنّ السابقة عين الخاتمة في النبوّة.

وأمّا خاتميّة عيسى عليه السلام فله ختام دورة المُلك، فهو آخِر رسول ظهر، وظهر بصورة آدم في شقّه؛ حيث لم يكن عن أب بشريّ، ولم يشبه الأبناء -أعني ذرّيّة آدم- في النشء؛ فإنّه لم يلبث في البطن اللبث المعتاد؛ فإنّه لم يتنقّل في أطوار النشأة الطبيعيّة بمرور الأزمان المعتادة؛ بل كان انتقاله يشبه البعث -أعني إحياء الموتى يوم القيامة في الزمان القليل على صورة ما جاءوا عليها في الزمان الكثير- فإنّه داخل تحت عموم: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾[2] في التناسل والتنقّل في الأطوار. ثمّ إنّ عيسى إذا نزل إلى الأرض في آخر الزمان؛ أعطاه (الله) ختمَ الولاية الكبرى من آدم إلى آخر نبيّ؛ تشريفا لمحمد ﷺ حيث لم يختم الله الولاية، أعني الولاية العامّة، في كلّ أمّة إلّا برسول تابع إيّاه ﷺ؛ فله ختم دورة المُلك، وختم الولاية العامّة. فهو من الخواتم في العالم.

وأمّا خاتم الولاية المحمّديّة، وهو الختم الخاص لولاية أمّة محمد الظاهرة؛ فيدخل في حكم ختميّته عيسى عليه السلام وغيره؛ كإلياس، والخضر، وكلّ[3] وليّ لله -تعالى- من ظاهر الأمّة. فعيسى- عليه السلام وإن كان ختما، فهو مختوم تحت ختم هذا الخاتم المحمّديّ. وعَلِمتُ حديثَ هذا الخاتم المحمّديّ، بفاس من بلاد المغرب سنة أربع وتسعين وخمسمائة؛ عرّفني به الحقّ، وأعطاني

١ ص ١٢٣
٢ [الأعراف : ٢٩]
٣ ص ١٢٣ب

علامته، ولا أسمّيه. ومنزلته من رسول الله ﷺ منزلة شعرة واحدة من جسده ﷺ[1] ولهذا يُشعر به إجمالا. ولا يُعلم تفصيلا إلّا مَن أعلمه الله به، أو مَن صدّقه إن عرّفه بنفسه في دعواه ذلك. فلذلك عرف بأنّه شعرة، من الشعور. ومثال الشعور: أن ترى بابا مغلقا على بيتٍ، أو صندوقا مغلقا؛ فتُحِسُّ فيه بحركة تؤذِن أنّ في ذلك البيت حيوانا، ولكن لا تعلم أيّ نوع هو من أنواع الحيوان. أو تَشعر أنّه إنسانٌ ولا تَعرف له عينا فتفصله من غيره. كما تعلم، بثقل الصندوق، أنّه يحوي على شيء أثقله، لا تعلم ما هو عين ذلك الشيء المختزَن في ذلك الصندوق. فمثل هذا يسمّى: شعورا؛ لهذا الخفاء.

وأمّا ختم الأسماء الإلهيّة؛ فهو عين سابقتها وهو: "الهو" وهو مثل قوله: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[2] فبدأ بـ"هو"، وأتى بالاسم "الله" المحيط بجميع الأسماء التي تأتي مفصّلة، ثمّ بالنفي؛ فنفى أن تكون هذه المرتبة لغيره، ثمّ أوجبها لنفسه بقوله: ﴿إِلَّا هُوَ﴾ فبدأ بـ"هُوَ" وختم بـ"هُوَ". فكلّ ما جاء من تفصيل أعيان الأسماء الإلهيّة؛ فقد دخل[3] تحت الاسم "الله" الآتي بعد قوله: ﴿هُوَ﴾ فإنّ كلمة "هو" أعمّ من كلمة "الله" فإنّها تدلّ على الله، وعلى كلّ غائب، وكلّ مَن له هويّة، وما ثَمّ إلّا مَن له هويّة؛ سَواء كان المعلوم أو المذكور موجودا أو معدوما.

وأمّا الخواتم التي على القلوب؛ فهي خواتم الغَيرة الإلهيّة؛ فما ختم بها إلّا الاسم "الغيور" وهو قوله ﷺ في الله: «إنّه أغيَر منّي، ومن غيرته حرّم الفواحش» وجعل الفواحش ظاهرة وباطنة، فقال لمحمد ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾[4] فختم على كلّ قلبٍ أن تدخله ربوبيّة الحقّ؛ فتكون نعتا له. فما من أحد يجد في قلبه أنّه ربٌّ إلهٌ؛ بل يعلم كلُّ أحد من نفسه أنّه فقير محتاج ذليل. قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[5] فلا يدخله كبرياء إلهيّ أصلا. فجعل البواطن كلّها، في كلّ فرد فرد، مختوما عليها أن لا يدخلها

١ "منزلة شعرة... وسلم" من س، ه فقط
٢ [الحشر : ٢٢]
٣ ص ١٢٤
٤ [الأعراف : ٣٣]
٥ [غافر : ٣٥]

تألّه. ولم تُعصم الألسنة أن تتلفَّظ بالدعوى بالألوهة، ولا عصم النفوس أن تعتقد الألوهة في غيرها؛ بل هي معصومة أن تعتقدها في نفسها، لا في أمثالها. لأنّه ما كلُّ أحد عالم بالأمور على ما هي عليه، ولا يعلم كلُّ أحد أنّ الأمثال كلّها حُكمُها في الماهيّة واحد. فهذه الخواتم قد انحصرتْ في تفصيل ما ذكرناه من أنواعها.

وأمّا الأعراس الإلهيّة، على تفصيل ما[1] ذكرناها في أوّل الباب؛ فهي مشتقّة من التعريس؛ وهو نزول المسافر في منزلة معلومة في سفره. والأسفار معنويّة وحِسّيّة. فالسفر المحسوس معلوم، والسفر المعنويّ (هو) ما يظهر للقلب من المعاني دائمًا أبدا على التتالي والتتابع. فإذا مرّتْ بهذا القلب عرَّستْ به؛ فكان منزلا لتعريسها. وإنما عرّستْ به لتفيده حقيقة ما جاءت به. وإنما نُسِبتْ إلى الله؛ لأنّ الله هو الذي أسفرها وأظهرها لهذا القلب، وجعله منزلة لها تعرّس فيه. وهي الشئون التي قال الحقُّ عن نفسه أنّه فيها ﷻ في كلّ يوم.

فالعالم في سفر على الدوام؛ دنيا وآخرة. لأنّ الحقّ في شئون الخلق على الدوام؛ دنيا وآخرة. والقلوبُ محَلٌّ لتعريس هذه المعاني التي يسفرها الحقُّ لقلوب عباده. فتعرّس فيها؛ ليطلعه الله على ما أراد أن يَعلمه ذلك القلب. فما من نَفَس إلّا وللقلب خاطر إلهيّ قد نزل به على أيّ طريق سلك. لكنّ بعض القلوب تعرف مَن عرَّس بها من الخواطر، وقد لا تعرف من أيّ طريق جاء؛ لأنّها ما شعرتْ به حتى نزل ذلك الخاطر بالقلب. وبعضُ الناس لهم استشراف على أفواه السكك التي تأتي عليها هذه الخواطر التي تنزل بهذا القلب، وتعرف[2] كلَّ طريق، وتميِّزه عن صاحبه. فإذا أقبل الخاطر عَرف من أيّ طريق أقبل. فإذا نزل به يقابله، من الكرامة به، على قدر ما يعرفه. فإنّه لكلّ طريق حكمٌ ليس للطريق الأخرى.

وهذا كلّه -أعني الذي ذكرناه من المراعاة- إنما ذلك في زمان التكليف؛ فإنّه الذي وضع الطريق، وأوجب الأحكام. فإذا ارتفع التكليف في النشأة الآخرة، توحَّدت الطرق؛ فلم تكن غير

١ ص ١٢٤ب
٢ ص ١٢٥

طريق واحدة. فلا يحتاج في النازل عليه من الله المعرِّس بقلبه إلى تمييز أصلا؛ فإنّه ما ثَمّ عمّن يتميّز؛ لأحديّة الطريق. فلا يكون العُرُس بالعقْد، وبما فصّلناه في ذلك في أوّل الباب، إلّا في زمان التكليف؛ وهو زمان الحياة الدنيا من أوّل وجوب التكليف، فاعلم ذلك.

فإذا كان الحقُّ منزلَ تعريسنا؛ وهو ما ذكر عن نفسه؛ أنّ العبد يتحرّك بحركة يُضحك بها ربّه، ويتعجّب منها ربُّه، ويتبشبش له من أجلها ربُّه، ويفرح بها ربُّه، ويرضى بها ربّه، ويسخط بها ربّه، ويغضب بها ربّه. فلمّا قال هذا عن نفسه، وعيَّن هذه الحركات وأمثالها، حتى عرفناها من كتابه على لسان رسوله ﷺ وعرَّفَنا أنّ العبد عنده بحسب ما أُنزل به من هذه الحركات الموجِبة لهذه الأحكام التي وَصَف الحقُّ[1] بها نفسه أنّه يظهر بها إذا أتى بها العبد، وهذا حكمٌ أثبته الحقُّ ونفاه دليلُ العقل؛ فعرفنا أنّ العقل قاصر عمّا ينبغي لله ﷻ، وأنّه لو ألزم نفسه الإنصاف؛ للزم حكم الإيمان والتلقّي، وجعل النظر والاستدلال في الموضع الذي جعله الله، ولا يعدل به عن طريقه الذي جعله الله له؛ وهو الطريق الموصل إلى "كونه إلها واحدا لا شريك له في ألوهيته" ولا يتعرّض لها لما هو عليه في نفسه.

وأمّا استدلاله القاصر الذي يريد أن يحكم به على ربّه بقوله: "إنّه ما لا يخلو عن الحوادث، فهو حادث"، بتقسيمه في ذلك، فإذا سلّمناه؛ لم يقدح فيما نريده. فإنّا نقول له: مَن قال لك إنّ الحقّ بهذه المثابة، وهو قولك: "كلّ ما لا يخلو عن الحوادث في نفسه" فمن قال لك إنّ هذه في الموجودات منحصرة؟ إنما ذلك حكم فيما لا يخلو عن الحوادث، لا فيمن يخلو عن الحوادث.

وأمّا تقسيمك الآخر على هذا الجواب، وهو قولك: "إنّه إذا خلا عنها ثمّ قَبِلَها؛ فلا يخلو إمّا أن يقبلها لنفسه، أو لأمرٍ آخر ما هو نفسه. فإن قَبِلها لنفسه فلا يخلو عنها، وإذا لم يَخْلُ عنها فهو حادث مثلها" ونقول له: أما الحوادث كلّها فيستحيل دخولها في الوجود؛ لأنّها لا تتناهى. وأنت تعلم أنّ الذي يقبل الحوادث[2] قد كان خليًا عنها، أي عن حادث معيَّن مع وجود نفسه،

١ ص ١٢٥ب
٢ ص ١٢٦

ثمّ قَبِل ذلك الحادث لنفسه. لأنّه لولا ما هو على صفة يقبَله؛ ما قَبِلَه، فقد عرا وخلا عن ذلك الحادث بعينه، مع وجود نفسه. فما من حادث تفرضه إلّا ويُعقل وجود نفْس القابل له، وذلك الحادث غير موجود. وإن لم يَخْلُ عن الحوادث؛ فلا يلزم أن يكون حادثا مثلها، مع قبوله لها لنفسه. فالحقُّ قد أخبر عن نفسه أنّه يجيب عبدَه إذا سأله، ويرضَى عنه إذا أرضاه، ويفرح بتوبة عبده إذا تاب.

فانظر -يا عقل- لمن تنازِع؟ ومِن المحال أن نصدّقك ونكذّب ربَّك، ونأخذ عنك الحكم عليه -وأنت عبدٌ مِثلي- ونترك الأخذ عن الله، وهو أعلم بنفسه. فهو الذي نعت نفسَه بهذا كلّه، ونعلم حقيقة هذا كلِّه بحَدِّه وماهيّته، ولكن نجهل النِّسبة إلى الله في ذلك؛ لجهلنا بذاته. وقد مَنَعنا وحذَّرَنا وحجر علينا التفكّر في ذاته. وأنت -يا عقل- بنظرك تريد أن تعلم حقيقة ذات خالقك؟ لا تَسْبَحْ في غير مَيْدانك، ولا تتعدَّ في نظرك معرفة المرتبة. لا تتعرّضْ للذات جملة واحدة؛ فإنّ الله قد أبان لنا أنّه محلٌّ أو منزل لتعريس حركات عباده في أسفارهم بأحوالهم. فتفطّن إن كنت ذا عقل سليم. ثمّ إنّه ما يلزم إذا كان الأمر عندك[1] قد حدث، أن يكون ذلك الأمر حادثا في نفسه؛ لا عقلا، ولا عرفا، ولا شرعا. فإنّك تقول: "قد حدَث عندنا اليوم ضيف" وهو صحيح حدوثه عندكم، لا حدوثه في نفسه في ذلك الوقت. بل قد كانت عينُه موجودة منذ خمسين[2] سنة (مثلا). ومع هذا فلا نحتاج إليه؛ لبيانه وظهوره.

فمن أراد الدخول على الله؛ يَترُك عقلَه، ويقدّم بين يديه شرعَه؛ فإنّ الله لا يقبل التقييد، والعقلُ تقييدٌ. بل له (تعالى) التجلّي في كلّ صورة، كما لَهُ أن يركّبك في أيّ صورة شاء. فالحمد لله الذي ركّبنا في الصورة التي لم نقيّده -سبحانه- بصورة معيَّنة، ولا حصرنَاهُ فيها؛ بل جعلتُ له ما هو له بتعريفه أنّه له؛ وهو تحوُّله في الصور. فما قدر الله حقّ قدره إلّا الله. ومَن وقف مع الله فيما وصفَ به نفسَه؛ لم[3] يُدخله تحت حكم عقله من حيث نفسه، تعالى الله عن ذلك علوّا

١ ص ١٢٦ب
٢ ق: خمسون
٣ ق: ولم

كبيرا.

واعلم أنّ مسمّى النكاح قد يكون عقد الوطء، وقد يكون عقدا ووطأ معا، وقد يكون وطأ ويكون نفس الوطء عين العقد؛ لأنّ الوطء لا يصحّ إلّا بعقد الزوجين. ومنه إلهيّ، وروحانيّ، وطبيعيّ. وقد يكون مرادا للتناسل -أعني للولادة- وقد يكون لمجرّد الالتذاذ.

فأمّا (النكاح) الإلهيّ فهو توجُّه الحقّ على الممكن في حضرة الإمكان بالإرادة الحُبِّيّة ليكون[1] معها الابتهاج. فإذا توجّه عليه -بما ذكرناه- أظهر هذا الممكن التكوين؛ فكان الذي تولّد عن هذا الاجتماع (هو): الوجودُ للممكن. فعينُ الممكن هو المسمّى: أهْلا، والتوجّه الإراديُّ الحُبّيُّ (هو المسمّى): نكاحا، والإنتاج (هو المسمّى): إيجادا في عين ذلك الممكن، ووجودًا إن شئتَ. والأعراسُ (هي) الفرحُ الذي يقوم بالأسماء الحسنى لما في هذا النكاح من الإيجاد الظاهر في أعيان الممكنات؛ لظهور آثار الأسماء فيه. إذ لا يَصِحُّ لها أثرٌ في نفسها، ولا في مسمّاها؛ وإنّما أثرها وسلطانها (ظهوره يتحقّق) في عين الممكن؛ لما فيه من الافتقار والحاجة إلى ما بيد الأسماء؛ فيظهر سلطانها فيه. فلهذا نَسبنا الفرحَ والسرورَ وإقامةَ الأعراس إليها. وهذا النكاحُ مستمرّ، دائم الوجود، لا يصحّ فيه انقطاع.

والطلاق لهذا العقد النكاحيّ لا يقع في الأعيان القابلة للأعراض والصور، وإنّما يقع في الصور والأعراض؛ وهو عدمها لنفسها في الزمان الثاني من زمان وجودها. وهو خُلْع؛ لأنّه ردّ الوجود الذي أعطاها عليه؛ لأنّه بمنزلة الصَّداق لِعين هذا الممكن الخاصّ. فإن قلتَ: فالحقّ لا يتّصف بالوجود الحادث، فمَن قَبِل هذا المردود؟ وأين خزانته؟ ولا بدّ له من محلّ؟ قلنا: تجلّي الحقِّ في الصور وتحوُّله، الذي جاء به الشرع إلينا ورأيناه كشفا؛ عموما[2] وخصوصا؛ هو عين ما رَدَّته الممكنات الصوريّة والعرَضيّة من الوجود حين انعدمتْ.

فالحقّ له نِسبتان في الوجود: نِسبة الوجود النفسيّ الواجب له، ونِسبة الوجود الصوري؛

١ ص ١٢٧
٢ ص ١٢٧ب

وهو الذي يتجلّى فيه لخلقه. إذ من المحال أن يتجلّى في الوجود النفسيّ- الواجبي[1]؛ لأنّه لا عينَ لنا ندركه بها؛ إذ نحن في حال عدمنا ووجودنا مرجَّحين، لم يُزل عنّا حكم الإمكان. فلا نراه إلّا بنا، أي من حيث تعطيه حقائقنا. فلا بدّ أن يكون تجلّيه (هو) في الوجود الصوري، وهو الذي يقبل التحوّل والتبدُّل. فتارة يوصَف به الممكن الذي يختلع به فيظهر به الحقُّ في تجلّيه.

فانظر -يا وليّ- في هذا الموطن؛ فإنّه موطنٌ خفيٌّ جدًّا. ولولا لسانُ الشرع الذي أومأ إليه ونبّه عليه ما أفصحنا عنه لأهل طريقنا. فإنّ الكثير من أهل طريق الله، وإن شهدوا تجلّي الحقّ، لكن لا معرفة لهم بذلك، ولا بما رأوه، ولا صورة ما هو الأمر عليه.

ومَن علم ما قرّرناه من بيان قَصْدِ الشرع فيه؛ عَلِمَ كيف صدور العالَم؟ وما هو العالم؟ وما يَبْقى عينُه من العالم، وما يفنى منه؟ وما يرثه الحقّ من العالَم؟ فإنّه القائل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾[2] وما ورث على الحقيقة إلّا[3] الوجود، الذي يتجلّى فيه لمن ظهر من خلقه، الذي اختلعت فيه صورُ الممكنات وأعراضها. لأنّ الورث لا يكون مع وجود الموروث عنه وبقائه، وإنّما يكون بعد انتقاله وعدمه من هذا الموطن؛ وهو اتّصافه بالعدم. وليس ذلك إلّا للصور والأعراض. فهو وارثٌ على الدوام، والاختلاع واقعٌ على الدوام، والقبول حاصلٌ على الدوام، والنكاح لازمٌ على الدوام. وهذا معنى الديموميّة المنسوبة إلى الحقّ. فهو يعمل، مع كونه لم يزل موجِدا للعالم، لم يزل العالم محدَثا. فالعالم له حكم الحدوث في عين القِدَم، فلا يُعقل له طرف ينتهي إليه؛ لأنّه من ذاته لم يزل تحت حكم الترجيح الإلهيّ له: إمّا بالعدم أو بالوجود.

وإذا تقرّر هذا في النِّسبة الإلهيّة، فلنذكر حكم النِّسبة الروحانيّة في هذه المسألة. وذلك الوجود الذي ذكرناه في النِّسبة الإلهيّة، هو الوجه الخاصّ الذي لكلّ ممكن من الله؛ سَواء كان هناك سببٌ وضعيٌّ أو لم يكن؛ فللّه الإيجاد على كلّ حال، وبكلّ وجهٍ علوا وسفلا.

١ ه: الواجب له
٢ [مريم : ٤٠]
٣ ص ١٢٨

وأمّا النكاح الروحانيّ لحضرته الطبيعة؛ وهي الأهل الأصليّ في النكاح الإلهيّ. فإذا ولدت في النكاح الأوّل صورة من الصور، كانت تلك الصورة أهلا لهذا الروح الكلّ؛ فأنكحهُ الحقُّ إيّاها؛ فبَنَى بها. فلمّا[1] واقَعَها؛ ظهر عن ذلك الوقاع ولدٌ وهو الروح الجزئيّ؛ فحييت به تلك الصورة، وصار هذا الولد يقوم بها، ويدبّرها، ويَسعى عليها، ويسافر، ويقتحم الأخطار؛ ليكسب ما يجود به عليها حِسًّا ومعنى؛ أي من الأرزاق المحسوسة والمعنويّة. والعرس الذي يكون لهذا النكاح الروحانيّ إنما تقيمه القوى التي لا ظهورَ لها إلّا في هذه الصورة الطبيعيّة بوجود هذا النكاح؛ فيقع لها الالتذاذ والفرح بما يحصل لها من الأثر بوجود هذا البناء.

وأمّا النكاح الطبيعيّ فهو ما تطلبه هذه الأرواح الجزئيّة المدبّرة لهذه الصور -من اجتماع الصورتين- الطبيعيّة بالالتحام، والابْتناء المسمّى في عالم الحِسّ: نكاحا. فيتولّد عن هذا النكاح أمثالُ الزوجين من كلّ حيوان ونبات. فيظهر إنسان من إنسانين، وفرس من فرسين. وقد يقع الالتحام في غير المِثلين؛ فيتولّد بينهما شكل غريبٌ ما يشبه عينَ واحد من الزوجين؛ كالبغل بين الحمار والفَرس. وكلّ مولَّدٍ بين شكلين مختلفين لا يُولِدُ أبدا؛ فإنّه عقيم؛ فهو الذي يولَد ولا يلِد. فنكاح مثل هذا النوع ليس لولادة، ولكن لمجرّد الشهوة والالتذاذ. فيشبه النكاحَ الأوّل من كونه نكاحا في غير الجنس؛ فيتولّد[2] بينهما الشكل الغريب، ما يشبه واحدا منهما؛ أعني من الزوجين. فافهم.

وتلقيح الشجر بالرياح اللواقِح من النكاح الطبيعيّ. وأمّا الريح العقيم فيشبه نكاحُها نكاحَ الشكل الغريب الذي لا يتولّد عنه شيء.

وأعراس هذا النكاح الطبيعيّ ما هو المشهود في العُرف المسمّى: "عُرسا" في الشاهد من الولائم، والضرب بالدفوف. وأمّا ما يتولّد من النكاح الطبيعيّ في الشجر؛ فهو ما يعطيه من الثمر عند هذا الحمل. وصورةُ وَقْع نكاح الأشجار (هو) زمانُ جري الماء في العود، وهو عند

١ ص ١٢٨ب
٢ ص ١٢٩

طلوع السُّعود. فهو نكاح سعيد في طالع سعيد. وما قبل ذلك فهو زمان خِطبة ورُسُل تمشي- بين الزوجين: الرجل والمرأة. ووقوع الولادة (يكون) على قدر زمان حمل ذانك النوعين من الشجر. فمنه ما يولَد في الربيع، ومنه ما يولَد في الصيف. كما يكون حمل الحيوان يختلف زمانه باختلاف طبيعته؛ فإنّه لا يقبل من تأثير الزمان فيه إلّا بقدر ما يعطيه مزاجه وطبعه. فإذا نَكح الجوُّ الأرضَ، وأنزل الماءَ، وَدبَّرتْهُ في رَحِمِها آثارُ الأنوار الفلكيّة؛ ضحكتْ الأرضُ بالأزهار ﴿وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[1]. وإنما كان زوجا؛ من أجل ما يطلبه من النكاح؛ إذ[2] لا يكون إلّا بين الزوجين. فعينُ عرسه هو ما تبرزه من الأزهار، والمخلَّقة في النبات هو ما سَلِم من الجوائح، وغيرُ المخلَّقة (هو) ما نزلت به الجائحة ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[3]. فهذا قد ذكرنا طرفا من الخواتم والأعراس، مجملا من غير تفصيل، لكن حصرنا الأمّهات.

وأمّا الأسرار الأعجميّة فإنما سمّيناها أعجميّة؛ لأنّ العربيّة[4] من الأسرار؛ هي التي يدركها عينُ الفهم صورا، كالآيات المحكمات في الكتب المنزَّلة. والأسرار الأعجميّة (هي) ما يُدرَكُ بالتعريف، لا بالتأويل. وهي كالآيات المتشابهات في الكتب المنزَّلة. فلا يعلم تأويلَها إلّا الله، أو مَن أعلمه الله. ليس للفكر في العلم بها دخول، ولا له فيها قدم. وما يتّبع استخراج السرّ فيها إلّا الذي ذكر الله -تعالى- وهو الذي في قلبه زيغ، أي مَيْل عن الحقّ؛ باتّباعه ما قد ذكر الله فيه أنّه لا يعلم تأويله إلّا الله.

فمن أراد أن يعلم ذلك فلا يَخُض في تلك الأسرار، وليتعمَّل في الطريق الموصلة إلى الله؛ وهو العمل بما شرع الله له بالتقوى؛ فإنّه قال -تعالى- إنّه ينتج لصاحبه علم الفُرقان. فإذا عمل به؛ تولّى الله تعليمه تلك الأسرار الأعجميّة. فإذا[5] أنالها إيّاه؛ صارت في حقّه عربيّة؛ فيعلم ما أراد الله بها، ويزول عنه فيها حكم التشابه الذي كانت توصَف به قبل العلم بها. لأنّ الله جلّاها

١ [الحج : ٥]
٢ ص ١٢٩ب
٣ [المائدة : ١٧]
٤ رسمها في ق أقرب إلى "الغريبة" مع إهمال حرف الياء فيها. وهي "العربية" في س، ه
٥ ص ١٣٠

متشابهة، لها طرفان في الشَّبه. فلا يدري صاحبُ النظر ما أراد مُنزلها بها في ذلك التشابه، فإنّه لا بدّ من تخليصه إلى أحد الطرفين من وجهٍ خاصّ. وإن جمعتَ بين الطرفين، فلكلّ طرف منهما ما ليس للآخر من ذلك المخلوق، أو من ذلك المنزَل، إن كان من صور كلام الله.

فالمنزل كقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[1] وكقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾[2] وكقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[3] وكقوله: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾[4] وكقوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾[5] وكقوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[6] وأمثال هذا في الكتب المنزّلة. وأمّا إخبار الرسل المترجمين عن الحقّ ما أوحى به على ألسنتهم إلينا، فلا تحصى كثرة من الأمور المتشابهة. فلا يتّبع ذلك بعد التعريف إلّا مَن في قلبه زيغ.

وأمّا مَن يتّبع الطرق الموصلة إلى الكشف عنها فما هو من أهل الزيغ؛ بل هو من أهل الاستقامة. فالمحمّديّ هو المحكم من الآيات؛ لأنّه عربيٌّ. والمتشابه موسويٌّ؛ لأنّه أعجميٌّ[7]. فالعجميّة عند أهل العجمة (هي) عربيّة، والعربيّة عند الأعاجم (هي) عجمة، وفي الألفاظ هي مستورة بالاصطلاح. وما ثَمّ عجمة إلّا في الاصطلاح والألفاظ والصور الظاهرة، وأمّا في المعاني؛ فكلّها عربيّة لا عجمة فيها. فمن ادّعى علم المعاني وقال بالشبه، فلا علم له أصلا بما ادّعاه أنّه علمه من ذلك؛ فإنّ المعاني (في الأصل هي) كالنصوص عند أهل الألفاظ؛ لأنّها بسائط لا تركيب فيها؛ ولولا التركيب ما ظهر للعجمة صورةٌ في الوجود.

وفي هذا المنزل من العلوم ما لا يحصى-كثرة، إن ذكرناها طال الأمر فيها. ولهذا المنزل السيادة على كلّ منزل من منازل الجمع والوجود، وقد ذكرنا حصر هذه المنازل في هذا الكتاب

١ [طه : ٥]
٢ [الحديد : ٤]
٣ [ق : ١٦]
٤ [الأنعام : ٣]
٥ [البقرة : ٢١٠]
٦ [الفجر : ٢٢]
٧ ص ١٣٠ب

فيما تقدّم هذا الباب.

فاعلم أنّ هذا المنزل هو منزل البرزخ الحقيقيّ؛ فإنّ البرزخ يتوسّع فيه الناس وما هو كما يظنّون. إنما هو كما عرّفنا الله به في كتابه في قوله في البحرين أنّ: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾[1] فحقيقة البرزخ أن لا يكون فيه برزخ، وهو الذي يلتقي ما بينهما بذاته. فإن التقى الواحدَ منهما بوجهٍ غير الوجه الذي يلقى به الآخرَ، فلا بدّ أن يكون بين الوجهين في نفسه، برزخٌ يفرّق بين الوجهين حتى لا يلتقيا؛ فإذَنْ ليس ببرزخ. فإذا كان عَيْنُ الوجه الذي يلتقي[2] به أحد الأمرين، الذي هو بينهما، عينَ الوجه الذي يلتقي به الآخَر؛ فذلك هو البرزخ الحقيقيّ. فيكون، بذاته، عينَ كلّ ما يلتقي به؛ فيظهر الفصل بين الأشياء، والفاصلُ واحدُ العين. وإذا علمتَ هذا علمتَ البرزخ؛ ما هو؟

ومثاله: بياضُ كلّ أبيض؛ هو في كلّ أبيض بذاته، ما هو في أبيض مّا بوجهٍ منه، ولا في أبيض آخر بوجه آخر. بل هو[3] بعينه في كلّ أبيض؛ وقد تميّز الأبيضان أحدهما عن الآخر، وما قابَلها البياضَ إلّا بذاته. فعينُ البياض واحدٌ في الأمرين، والأمران ما هو كلّ واحد عين الآخر. فهذا مثال البرزخ الحقيقيّ. وكذلك الإنسانيّة في كلّ إنسان، بذاتها.

فالواحد هو البرزخ الحقيقيّ، وما ينقسم لا يكون واحدا، والواحد يَقْسِم ولا يُقْسَم، أي ولا ينقسم في نفسه. فإنّه إن قَبِل القسمة في عينه فليس بواحد، وإذا لم يكن واحدا؛ لم يقابِل كلّ شيء من الذي يكون بينهما بذاته، والواحد معلوم أنّه ثَمّ واحد بلا شكّ. والبرزخ يُعلَم ولا يُدرَك، ويُعقَل ولا يُشهَد. ثمّ إنّ الناس جعلوا كلّ شيء بين شيئين برزخا توسُّعا، وإن كان ذلك الشيء -المسمّى عندهم برزخا- جسما كبيرا أو صغيرا. لكنّه لمّا منع من أن يلتقي الأمران[4] اللذان هو بينهما سمّوه برزخا. فالجوهران اللذان يتجاوران، ولا ينقسم كلّ واحد منهما عقلا ولا

١ [الرحمن : ٢٠]
٢ ص ١٣١
٣ ق: "هو في" مع إشارة مسح لحرف الجر
٤ ق: الأمر

حِسًّا؛ لا بدّ من برزخ يكون[1] بينهما. وتجاوُر الجوهرين (هو) تجاوُر أحيازهما، وليس بين أحيازهما حَيِّزٌ ثالث ليس فيه جوهر، وبين الحيّزين والجوهرين برزخ معقول بلا شكّ، هو المانع أن يكون عينُ كلّ جوهر عينَ الآخَر، وعينُ كلّ حيّز عينَ الآخر؛ فهو قد قابل كلَّ جوهر وكلَّ حيِّز بذاته.

ومن عَرف هذا عرف حكم الشارع إذ قال: إنّ الله خلق الماء طهورا لا ينجّسه شيء، مع حصول النجاسة فيه بلا شكّ. ولكن لمّا كانت النجاسة متميّزة عن الماء؛ بقي الماء طاهرا على أصله؛ إلّا أنّه يَعْسُر إزالة النجاسة منه. فما أباح الشارعُ من استعمال الماء الذي فيه النجاسة؛ استعملناه. وما مَنَع من ذلك؛ امتنعنا منه؛ لأمر الشرع، مع عقلِنا أنّ النجاسة في الماء، وعقلِنا أنّ الماء طهور في ذاته لا ينجّسه شيء. فما منعَنا الشارع من استعمال الماء الذي فيه النجاسة لكونه نجسا أو تنجّس؛ وإنما منعَنا من استعمال الشيء النجس؛ لكوننا لا نقدر على فصل أجزائه من أجزاء الماء الطاهر. فبين النجاسة والماء برزخ مانع لا يلتقيان لأجله، ولو التقيا لتنجّس الماء. فاعلم ذلك.

ألا ترى الصورَ التي في سوق الجنّة كلّها برازخ؟ يأتي أهلُ الجنّة إلى هذا السوق من أجل هذه الصور، وهي التي ينقلب فيها أعيانُ أهل الجنّة. فإذا دخلوا هذا السوق؛ فمَن اشتهى صورةً دَخَل فيها وانصرف بها إلى[2] أهله، كما ينصرف بالحاجة يشتريها من السوق. فقد يرى جماعةٌ صورةً واحدة من صور ذلك السُّوق، فيشتهيها كلُّ واحد من تلك الجماعة؛ فعينُ شهوته فيها التَبَس بها، ودخل فيها، وحازها. فيحوزها كلُّ واحد من تلك الجماعة. ومن لا يشتهيها بعينه[3] واقفٌ ينظر إلى كلّ واحد من تلك الجماعة قد دخل في تلك الصورة، وانصرف بها إلى أهله. والصورة كما هي في السوق ما خرجت منه.

فلا يعلم حقيقة هذا الأمر الذي نصّ عليه الشرع ووجب به الإيمان؛ إلّا مَن علِم نشأة

١ ص ١٣١ب
٢ ص ١٣٢
٣ مصحفة في ق، وفي س: بعينها

الآخرة، وحقيقة البرزخ، وتجلّي الحقّ في صور متعدّدة؛ يتحوّل فيهنّ من صورة إلى صورة، والعين واحدة. فيشهد بصرا تحوُّله في صور، ويعلم عقلا أنّها ما تحوّلتْ قطّ. فكلّ قوّة أدركتْ بحسب ما أعطتها ذاتها، والحقّ في نفسه: صدّق العقلَ في حكمه، وصدّق البصرَ في حكمه، ثمّ له عِلم بنفسه: ما هو عين ما حكم به العقل، ولا هو عين ما حكم به شهودُ البصر عليه، ولا هو غير هذين؛ بل هو ما حكما به؛ وهو ما علِمه الحقُّ من نفسه مما لم يعلمه هذان الحاكمان.

فسبحان العليم القدير؛ قدّر وقضى، وحَكَمَ وأمضى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾[1] في كلّ معبود. وأين أَبْيَن مِن تحوُّله في صور المعبودات؟ ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2]، ثمّ[3] شرع لنا أن لا نعبده في شيء منها، وإن علمنا أنّه عينُها. وعَصَّى مَن عبَده في تلك الصور، وجعله مشركا، وحرّم على نفسه المغفرة؛ فوجبتْ المؤاخذة في المشرك ولا بدّ. ثمّ بعد ذلك ترتفع المؤاخذة؛ وما ارتفعت إلّا لجهله بصورة ما عنده في الشريك بنفي تلك الصفة في الآخرة عن الشريك. فلذلك عوقب، ولذلك شملته الرحمة بعد العقوبة، وإن لم يخرج من النار.

والعالم منّا، هنا، بصورة ما عَبَدَه المشرك: ما تزحزح عن علمه في الدنيا ولا في الآخرة؛ لأنّه لم تقع عينه في الدنيا ولا تعلّق علمه إلّا على المعبود في تلك الصورة. والمشرك لم يكن حاله كذلك؛ وإنّما كان حاله شهود الصورة. فرجع المشرك عنها في الآخرة، ولم يرجع العالِم. فلو رجع لكان من الجاحدين؛ فلا يصحّ له أن يرجع.

فالشِّرْكُ بَاقٍ وَلَكِنْ لَيْسَ يَعْلَمُهُ	إلّا الَّذِي شاهَدَ الأَعْيَانَ والصُّوَرا
فَمَنْ يَقُولُ بِتَوْحِيْدٍ أَصابَ، وَمَنْ	يَقُولُ بِالشِّرْكِ فِيْهِ صَدَّقَ الخَبَرا
إنّ الشَّرِيْكَ لَمَعْدُومٌ وَلَيْسَ لَهُ	فِي عَيْنِ عابِدِهِ عَيْنٌ وَلا أَثَرَا

١ [الإسراء : ٢٣]
٢ [يوسف : ٤٠]
٣ ص ١٣٢ب

وفي[1] هذا المنزل: عِلْمٌ لا يعلمه نبيّ ولا وليّ كان قبل هذه الأُمّة، اختصّ بعلمه هذا الرسول محمد ﷺ وهذه الأمّة المحمديّة. فالكامل من هذه الأمّة حصل له هذا المقام ظاهرا وباطنا، وغير الكامل حصل له ظاهرا أو باطنا، ولم يكمل له ولكن شمله؛ لكونه من الأُمّة؛ أُمّة محمد ﷺ. ولا يكاثِر من أُمّته إلّا بالمؤمنين منهم، صغيرا كان المؤمن أو كبيرا. فإنّ الذرّيّة تابعة للآباء في الإيمان، ولا يتبعونهم في الكفر إن كان الآباءُ كفّارا.

ولكن تُعزلُ كفّارُ كلّ أُمّة بمعزل عن كفّار الأمّة الأخرى، فإنّ العقوبة تعظم بِعِظَم مَن كفر به؛ هذا هو المعهود. إلّا كفّار هذه الأُمّة؛ فإنّهم أخفّ الناس عذابا؛ لكون مَن كَفَرتْ برسالته التي أرسله الله بها (قد جعله الله) رحمة للعالمين. وقد أبان الله ذلك في الدنيا، وجعله عنوان حكم الآخرة. وذلك أنّ رسول الله محمدا ﷺ لمّا اشتدّ قيامه في الله، وغيرته على الحقّ في قصّة رعل وذكوان وعصيّة، جعل يدعو عليهم في كلّ صلاة شهرا كاملا، وهو القنوت. فأوحى الله -تعالى- إليه في ذلك لمّا علم من إجابته إيّاه إذا دعاه في أمر. فنهاه عن الدعاء عليهم؛ إبقاء لهم ورحمة بهم، فقال[2]: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[3] أي لترحمهم. وهو مرسَل إلى جميع الناس كافّةً؛ ليرحمهم بأنواع وجوه الرحمة، ومِن وجوه الرحمة أن يدعو لهم بالتوفيق والهداية. وقد صحّ عنه ﷺ أنّه كان يقول: «اللهم اهد قومي فإنّهم لا يعلمون» ونُهِيَ عن الدعاء عليهم.

فإذا كان مَن أشرَك به يعتب رسولَه ﷺ في الدعاء عليهم؛ فكيف يكون فعله فيهم إذا تولّى -سبحانه- الحكم فيهم بنفسه؛ وقد علِمنا أنّه تعالى ما ندبنا إلى خُلُق كريم إلّا كان هو أَولَى به؟ فمن هنا تعلم ما حكمه في المشركين، يوم القيامة، من أُمّة محمد ﷺ. وإن أخذهم الله بالشرك في الآخرة، إذ لا بدّ من المؤاخذة، ولكن مؤاخذته إيّاهم؛ فيها لطفٌ إلهيّ، لا يستوي فيه مشركُ غير هذه الأمّة. أَعرِفُ ذلك اللطف ولا أُصرِّح به. كما ذكر ﷺ فيمن أصابتهم[4] النار من هذه الأمّة بذنوبهم، بل من الأمم: «إنّ الله يميتهم فيها إماتة» الحديث. وقد مرّ في هذا الكتاب. خرّجه

١ ص ١٣٣
٢ ص ١٣٣ب
٣ [الأنبياء : ١٠٧]
٤ ق: "أصابته" وما أثبتناه فمن هـ، س

مسلم في صحيحه.

وقد رَميتُ بك على الطريق لتعلم حكم الله في هذه الأمّة المحمّديّة؛ مؤمنها والكافر بها. فإنّ كُفْرَ الكافر بها لا يخرجه عن الدعوة؛ فله أو عليه حكمها، ولا بدّ. فهم ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[1] المؤمن منهم[2] بإيمانه، والكافر منهم بكفره. هما خيرٌ مِن كلّ مؤمن، مِن غير هذه الأمّة، وكافر.

وهذا الذي ذكرناه في هذا المنزل بالنظر إلى ما يحويه من العلوم جزء من ألف جزء، بل من آلاف، ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[3].

١ [آل عمران : ١١٠]
٢ ص ١٣٤
٣ [الأحزاب : ٤]

الباب الثالث والثمانون وثلاثمائة
في معرفة منزل العظمة الجامعة للعظمات محمديّ

إنّ العَظِـيمَ إذا عَظَّمْتَـهُ نَـزَلا ... وإنْ تَعاظَمْتَ جَلَّتْ ذاتُهُ فَعَلا[1]
فَهْوَ الذِي أَبْطَلَ الأَكْوانَ أَجْمَعَها ... مِنْ بابِ غَيْرَتِـهِ وَهْوَ الذِي فَعَـلا
وَلَيْسَ يُدْرِكُ ما قُلْنَا سِوَى رَجُلٍ ... قَدْ جاوَرَ المَلأَ العُلْوِيَّ والرُّسُلا
وَهامَ فِيمَنْ يَظُنُّ الخَلْقُ أَجْمَعُهُ ... تَحْصِيْلَهُ وَسَها عَنْ نَفْسِهِ وَسَلا
ذاكَ الرَّسُولُ رَسُولُ اللهِ أَحْمَدُنا ... رَبُّ الوَسِيْلَةِ فِي أَوْصافِهِ كَمُلا

اعلم[2] أنّ لهذا المنزل أربعة عشر حكما: الأوّل يختصّ بصاحب الزمان، والثاني والثالث يختصّ بالإمامين، والرابع والخامس والسادس والسابع يختصّ[3] بالأوتاد، والثامن والتاسع والعاشر والأحد عشر والاثنا عشر والثالث عشر والرابع عشر يختصّ بالأبدال. وبهذه الأحكام يحفظ الله عالَم الدنيا.

فمن عَلِمَ هذا المنزل عَلِمَ كيف يُحفَظُ الوجودُ على عالَم الدنيا، ونظيره من الطبّ علمُ تقويم الصحّة. كما أنّه بالأبدال تنحفظ الأقاليم، وبالأوتاد ينحفظ الجنوب والشمال والمغرب والمشرق، وبالإمامين ينحفظ عالَمُ الغيب الذي في عالم الدنيا وعالم الشهادة، وهو ما أدركه الحِسّ. وبالقطب ينحفظ جميع هؤلاء؛ فإنّه الذي يدور عليه أمر عالم الكون والفساد.

وهؤلاء على قلب أربعة عشر نبيّا؛ وهم آدم، وإدريس، ونوح، وإبراهيم، ويوسف، وهود، وصالح، وموسى، وداود، وسليمان، ويحيى، وهارون، وعيسى، ومحمد -سلام الله عليهم وعلى

١ فعلا: من العلو
٢ ص ١٣٤ب
٣ في ق قريبة من: مختص

المرسَلين- ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1].

ولكلّ واحد ممن ذكرنا طريقٌ يخصّه، وعلمٌ ينصُّه، وخبرٌ يَقُصُّه، ويرثه مَن ذكرناه ممن ليست له نبوّة التشريع، وإن كانت له النبوّة العامّة. فلنذكر من ذلك ما تيسّر؛ فإنّه يطول[2] الشرح فيه، ويتفرّع إلى ما لا يكاد أن ينحصر. ولهم من الأسماء الإلهيّة: الله، والربّ، والهادي، والرحيم، والرحمن، والشافي، والقاهر، والمميت، والمحيي، والجميل، والقادر، والخالق، والجواد، والمقسِط. كلُّ اسم إلهيّ من هذه ينظر إلى قلب نبيّ ممن ذكرنا، وكلّ نبيّ يفيض على كلّ وارث. فالنبيّ كالبرزخ بين الأسماء[3] والورثة.

ولهم من حروف المعجم حروف أوائل السور وهي: الألف، واللام، والميم، والصاد، والراء، والكاف، والهاء، والياء، والعين، والطاء، والسين، والحاء، والقاف، والنون. هذا لهم من حيث الإمداد الإلهيّ الذي يأتيهم في قلوبهم. وإنما الذي يأتيهم من الحروف في صور خيالهم بالإمداد، أيضا: فالذال، والدال، والعين، والنون، والصاد، والراء، والألف، والظاء، والحاء، والواو، والضاد، والغين، واللام، والميم، والتاء، والكاف، والباء، والسين، والقاف، والياء، والهاء، والحرف المركّب من لام ألف؛ الذي هو للحروف بمنزلة الجَوْزَهر[4]. وهذه الحروف من عالم الأنفاس الإلهيّة. وما تركّب من الكلمات من هذه الحروف خاصّة، مما وقع عليها الاصطلاح في كلّ لسانٍ لسان، بما تكون به الفائدة في ذلك اللسان؛ فإنّ تلك الكلمات لها[5] على ما قيل لي خواصّ في العالم ليست لسائر الكلِم.

وأمّا الأرواح النوريّة فعيّن لهؤلاء الأنبياء منهم أربعة عشر روحا من أمر الله، ينزلون من الأسماء، التي ذكرناها، الإلهيّة على قلوب الأنبياء، وتُلقيها حقائق الأنبياء -عليهم السلام- على قلوب مَن ذكرناه من الورثة. ويحصل للفرد الواحد من الأفراد وراثة الجماعة المذكورة؛ فيأخذون

١ [الصافات : ١٨٢]
٢ ص ١٣٥
٣ ق: "الرسل" وعدلت في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب
٤ الجوزهر: (فارسية) رأس التنين
٥ ص ١٣٥ب

علم الورث من طريق المذكورين من الأرواح الملكيّة والأنبياء البشريّين، ويأخذون بالوجه الخاصّ من الأسماء الإلهيّة علوما لا يعلمها مَن ذكرناه سِوَى محمد ﷺ فإنّ له هذا العلم كلّه؛ لأنّه أخبر أنّه قد عَلِم عِلْم الأوّلين وعِلْم الآخرين.

اعلم أنّ لله كنوزا في الطبيعة التي تحت عرش العماء اكتنز فيها أمورا فيها سعادة العباد؛ كاختزان الذهب في المعدن. وصور هذه الكنوز (هي) صور الكلمات المركّبة من الحروف اللفظيّة. فلا تظهر -إذا أراد الله إظهارها- إلّا على ظهر أرض أجسام البشر- على ألسنتهم. وإنفاقُها والانتفاعُ بها (هو) عينُ التلفّظ بها، مثل قول الإنسان: "لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم" فهذه الكلمات من الكنوز المنصوص عليها من الله على[1] لسان رسوله ﷺ.

وأوّلُ ما أظهرها اللهُ -تعالى- على لسان آدم عليه السلام فهو أوّلُ مَن أنفق من هذا الكنز في الطواف بالكعبة حين أنزله جبريل، فطاف به بالكعبة. فسأله (آدم): «ما كنتم تقولون في طوافكم بهذا البيت؟» فقال جبريل عليه السلام: «كنّا نقول في طوافنا بهذا البيت: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلّا الله، والله أكبر» فأعطى اللهُ آدمَ[2] من حيث لا تعلمه الملائكة كلمة "لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم". فقال آدمُ لجبريل -عليهما السلام-: «وأزيدكم أنا: لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم» فبقيتْ سنّة في الذّكر في الطواف، لِبنيه ولكلّ طائف به إلى يوم القيامة. فأخبر رسولُ الله ﷺ أنّ هذه الكلمة أُعطيَها آدمُ من كنز من تحت العرش. فالكنوز المكتنَزة تحت العرش إنما هي مكتنَزة في نشأتنا. فإذا أراد الله إظهار كنز منها؛ أظهره على ألسنتنا، وجعل ذلك قُرْبَةً إليه. فإنفاقُه (هو) النطقُ به. وهكذا جميع ما اكتنزه مما فيه قربة. وما ليس بقربة؛ فما هو مكتنَز؛ بل يُخْلَق في الوقت في لسان العبْد.

وكانت صورة اختزانه -إذ لا يُختزن إلّا أمرٌ وجوديٌّ- أنّ الله لمّا أراد إيجاد هذا المكتنَز[3]؛ تجلّى في صورة آدميّة، ثمّ تكلّم بهذا الأمر الذي يريد أن يكتنزه لنا أو لمن شاء من خلقه. فإذا

١ ص ١٣٦
٢ كانت في ق: "آدم وبنيه" وهناك خط فوق كلمة "بنيه" إشارة المسح، ويتفق في ذلك مع س
٣ ص ١٣٦ب

تكلّم به أسمعَه ذلك المكان الذي يختزنه فيه؛ فيمسك عليه. فإذا أنشأ الله ذلك المكان صورة؛ ظهر هذا[1] الكنز في نُطق تلك الصورة؛ فانتفع بظهوره عند الله، ثمّ لم يزل ينتقل في ألسنة الذاكرين به دائمًا أبدا. ولم يكن كنزا إلّا فيمن ظهر منه ابتداء، لا في كلّ من ظهر منه بحكم الانتقال والحفظ. وهكذا كلُّ مَن سنّ سنّة حسنة ابتداء، من غير تلقُّف من أحدٍ مخلوقٍ، إلّا مِن الله إليه؛ فتلك الحسنة كنزٌ اكتنزها الله في هذا العبد من الوجه الخاصّ، ثمّ نطّق بها العبدَ لإظهارها؛ كالذي ينفق ماله الذي اختزنه في صندوقه. فهذا صورة الاكتناز إن فهمتَ. فلا يكون اكتنازا إلّا من الوجه الخاصّ الإلهيّ، وما عدا ذلك فليس باكتناز. فأوّل ناطق به هو محلُّ الاكتناز الذي اكتنزه الله فيه. وهو في حقّ مَن تلقّفه منه ذِكْر مقرّب، كان موصوفا بأنّه كنز.

فَهَذِهِ كُلُّها رُمُوزُ   لأَنَّها كُلُّها كُنُوزُ

وبعد أن أعلمتُك بصورة الكنز والاكتناز، وكيفيّة الأمر في[2] ذلك؛ لتعلم ما أنت كنزٌ له -أي محلٌّ لاكتنازه- مما لستَ[3] بمحلٍّ له، إذا تلقّيته أو تلقّفته من غيرك. فتعلم عند ذلك حظّك من ربّك، وما خصّك به من مشارب النبوّة؛ فتكون عند ذلك على بيّنة من ربّك فيما تعبده به. ولا تكون فيها أنت محلٌّ لاكتنازه؛ وارثا، بل تكون موروثا. فتحقّق ما ترثه، وما يورَث منك.

ومن هذا الباب مسألةُ بلال الذي نصّ عليها لنا رسول الله ﷺ في قوله له: «بِمَ سبقتني إلى الجنّة؟» يستفهمه إذ علِم أنّ السبق له ﷺ. فلمّا ذكر له ما نصّ لنا، قال (ص): «بهما» أي بتلك الحالتين. فمن عمِل على ذلك كان له أجر العمل، ولبلال أجر التسنين وأجر عملك معا. فهذا فائدة كون الإنسان محلّا للاكتناز. وأمّا تسنين الشرّ فليس باكتناز إلهيّ، وإنما هو أمر طبيعيّ. فإنّ النبيّ ﷺ يقول معلّما لنا: «والخير كلّه بيديك» أي أنت الذي اكتنزته في عبادك. فهو بجعلك فيهم واختزانك. ولذلك يكون قُربةً إليك العملُ به. ثمّ قال: «والشرّ ليس إليك» أي لم تختزنه في عبادك، وهو قوله -تعالى-: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ

١ كتب فوقها "صح" وفي الهامش بقلم الأصل: ذلك
٢ ص ١٣٧
٣ مصحّفة في ق بين: "ليست"، و "لست"

فَمِنْ نَفْسِكَ﴾[1] فأضاف السوءَ إليك، والحسن إليه. وقوله صِدْقٌ[2]، وإخباره حقٌّ.

وأمّا قوله: ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ أي التعريف بذلك (هو) من عند الله، والحكم بأنّ هذا من الله، وهذا من نفسك، وهذا خير وهذا شرٌّ. هذا معنى ﴿كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ ولهذا قال في حقّ مَن جَهِل الذي ذكرناه منهم: ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾[3] أي ما لهم لا يفقهون ما حدّثتهم به، فإنّي قد قلت: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ فرفعت الاحتمال، أو نصصت على الأمر عنّي[4] بما هو عليه. فلمّا قلت: ﴿كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ يعلم العالم بالله أنّي أريد الحكم والإعلام بذلك، أنّه من عند الله؛ لا عين السوء.

ولمّا علم ذلك رسول الله ﷺ قال: «والخير كلّه بيديك والشرّ ليس إليك» وكذلك قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا. فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا﴾[5] أنّه فجورٌ ﴿وَتَقْوَاهَا﴾ أنّه تقوى؛ ليفصل بين الفجور والتقوى؛ إذ هي محلٌّ لظهور الأمرين فيها. فربما التبس عليها الأمر، وتخيّلت فيه أنّه كلّه تقوى؛ فعلّمها الله -في ما ألهمها- ما يتميّز به عندها الفجور من التقوى. ولذا جاء بالإلهام، ولم يجيء بالأمر؛ فـ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾[6] والفجورُ فحشاءٌ.

فالذِّكْر للأصل؛ وهو القطب.

والتحميدان -أعني تحميد السرّاء والضرّاء- لمّا انقسم التحميد بلسان الشرع بين[7] قوله (ص) في السرّاء: «الحمد لله المنعِم المفضِل» وبين قوله في الضرّاء: «الحمد لله على كلّ حال» وما له في الكون إلّا حالة تسرُّ، أو حالة تضرّ. ولكلّ حالة تحميد، فقسمها[8] على الإمامين. فهؤلاء ثلاثة قد بيّنت مراتبهم.

١ [النساء : ٧٩]
٢ ص ١٣٧ب
٣ [النساء : ٧٨]
٤ ق: "على" وعليها إشارة مسح، وفي الهامش بقلم الأصل: عني
٥ [الشمس : ٧، ٨]
٦ [الأعراف : ٢٨]
٧ ص ١٣٨
٨ س، هـ: فقسمها، وهي مصحفة في ق، وتقرأ: "فقسمهتا"

وَلمّا كانت الجهات التي يأتي منها الشيطان إلى الإنسان أربعة، وهي قوله -تعالى- لنا في كتابه عن إبليس: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ﴾[١] وقام على كلّ جهة من هذه الجهات مَن يحفظ إيمانه منها؛ جعل الأوتاد أربعة؛ للزومهم هذه الجهات. لكلّ وتد جهة، أي الغالب عليه حفظ تلك الجهة خاصّة، وإن كان له حفظ[٢] لسائر الجهات كـ«أفرضكم زيدٌ، وأقضاكم عليٌّ» وكالجماعة تحمل ما لا يقدر الواحد على حمْلِه إذا انفرد به؛ فلكلّ واحد من الجماعة قوّة في حمله، وأغلب قوّته حملُ ما يباشره من ذلك[٣] المحمول. فلولا الجماعة ما انتقل هذا المحمول؛ لأنّ كلّ واحد واحد لا يقدر على حمله؛ فبالمجموع كان الحمل؛ كذلك هذا الأمر. فهذه سبعة.

وأمّا الأبدال فلهم حفظُ السبع الصفات في تصريف صاحبها لها؛ إذ لها تصرُّف في الخير وتصرُّف في الشرّ. فتحفظ على صاحبها تصريفَ الخير، وتنبّه من تصريفها[٤] في الشرّ.

فهذه جملة الأربعة عشر -التي ذكرناها- لقوم يعقلون من المؤمنين إذا أنصفوا. ومَن حصل له حفظ ما ذكرناه؛ فذلك المعصوم وتلك العصمة. ما ثَمّ غير هذين في الظاهر والباطن ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾[٥].

وإذا علمتَ هذا وانفتح لك مُقْفَلُه؛ مشّيتَ لكلّ واحد من الذي عيّنّا لك، على ما له مما ذكرناه من الأسماء الإلهيّة، والحروف الرقميّة المعيّنة، والأفهام الموروثة من النبيّين المذكورين، والأرواح النوريّة؛ فيحصل لك ذوقا جميع ما ذكرناه، وكشفا لمعناه؛ فلا تغفل عن استعماله.

وفي هذا المنزل من العلوم:

عِلمُ الأذكار المقرّبة إلى الله -تعالى-، وعِلمُ الأسماء الإلهيّة، وعِلمُ اختصاص الرحمة وشمولها،

١ [الأعراف : ١٧]
٢ ق: حفظا
٣ ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب
٤ ص ١٣٨ب
٥ [البقرة : ٢٨٢]

وعِلمُ الأسماء المركّبة التي لله، وعِلمُ عواقب الأمور، وعِلمُ العالَم، وعِلمُ مراتب السيادة في العالَم، وعِلمُ الثناء، وعِلمُ المُلك والملكوت، وعِلمُ الزمان، وعِلمُ الجزاء، وعِلمُ الاستناد، وعِلمُ التعاون، وعِلمُ العبادة، وعِلمُ[١] البيان والتبيين، وعِلمُ طرق السعادة، وعِلمُ النعمة والمنعم والإنعام، وعِلمُ أسباب الطرد عن السعادة التي لا يشوبها شقاء، وعِلمُ الحيرة والمتحيّرين، وعِلمُ السائل والمجيب، وعِلمُ التعريف بالذات والإضافة؛ وأيّ التعريفين أقوى؟

هذه أمّهات العلوم التي يحوي عليها هذا المنزل، وكلُّ عِلمٍ منها فتفاصيله لا تنحصر- إلّا لله، أي يعلم مع علمه بها أنّها لا تنحصر؛ لأنّها لا نهاية لها، ومنها تقع الزيادة في العلم لمن طلبها ومَن أُعطيها من غير طلب، وهو قوله: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾[٢]

فإنّ تَناهي العِلمِ فِي نَفْسِهِ ... فإنّـهُ المَعْلُومُ لا يَنْتَهِي
وَقَدْ نَهَيْتُ النَّفْسَ عَنْ قَوْلِهَا ... بِالانْتِهَا فِيهِ فَلَمْ تَنْتَهِ
لِجَهْلِهَا بِالأَمْرِ فِي نَفْسِهِ ... لِذاكَ قالَتْ: إنّهُ يَنْتَهِي
وَقَدْ رَأَيْنَا نَفَرًا مِنْهُمُ ... بِمَكّةٍ يَجُولُ فِي مَهْمَهِ
قَدْ[٣] حَكَمَتْ أَوْهامُهُمْ فِيهِمِ ... فانحازَ ذُو اللُّبِّ مِنَ الأَبْلَهِ

واعلم أنّ عالَم الإنسان لمّا كان مُلكا لله -تعالى-، كان الحقُّ -تعالى- مُلكا لهذا المُلك: بالتدبير فيه، وبالتفصيل. ولهذا وصف نفسه -تعالى- بأنّ ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[٤] وقال: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[٥] فهو -تعالى- حافظ هذه المدينة الإنسانيّة؛ لكونها حَضرتَهُ التي وَسِعَتْهُ، وهي عين مملكته.

وما وصف نفسه بالجنود والقوّة إلّا وقد علم أنّه -تعالى- قد سبقتْ مشيئتُه في خلقه أن يخلق له منازعا؛ ينازعه في حضرته ويثور عليه في مُلكه، بنفوذ مشيئته فيه وسابق علمه وكلمته

١ ص ١٣٩
٢ [طه : ١١٤]
٣ ص ١٣٩ب
٤ [الفتح : ٤]
٥ [المدثر : ٣١]

التي لا تتبدّل، سمّاه الحارث[1]. وجعل له خَوَلا ورجلا وسلّطه على هذا الإنسان. فأجلب هذا العدوّ على هذا المُلك الإنسانيّ بخيله ورجلِه، ووعده بالغرور بسفراء خواطره التي تمشي- بينه وبين الإنسان. فجعل الله في مقابلة أجناده أجنادَ ملائكته. فلمّا تراءى الجمعان وهو في قلب جيشه، جعل له ميمنةً وميسرةً وتقدمةً وساقةً. وعرّفنا الله بذلك لنأخذ حذرنا منه من هذه الجهات، فقال الله -تعالى- لنا إنّه قال هذا العدوّ: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ[2] بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾[3] وهو في قلب جيشه في باطن الإنسان.

فحفِظ الله هذا المُلك الإنساني بأن كان اللهُ في قلب هذا الجيش، وهذا العسكر الإنساني في مقابلة قلب[4] جيش الشيطان. وجعل على ميمنته الاسمَ "الربّ"، وعلى ميسرته الاسمَ "الملِك"، وعلى تقدمته الاسمَ "الرحمن"، وفي ساقته الاسمَ "الرحيم"، وجعل الاسمَ "الهادي" يمشي برسالة "الرحمن" الذي في التقدمة إلى هذا الشيطان. وما هو شيطان الجانّ، وإنّما أعني به شيطانَ الإنس. فإنّ الله يقول: ﴿شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾[5]، وقال: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ. الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ. مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾[6]. فإنّ شياطين الإنس لهم سلطان على ظاهر الإنسان وباطنه، وشياطين الجنّ هم نوّاب شياطين الإنس في بواطن الناس. وشياطين الجنّ هم الذين يُدخِلون الآراء على شياطين الإنس[7]، ويدبّرون دولتهم؛ فيفصّلون لهم ما يُظهرون فيها من الأحكام.

ولا يزال القتال يعمل على هذا الإنسان المؤمن خاصّة. فيقاتل الله عنه ليحفظ عليه إيمانه. ويقاتل عليه إبليس ليردّه إليه، ويسلب عنه الإيمان، ويخرجه عن طريق سعادته؛ حسدا منه. فإنّه إذا أخرجه تبرّأ منه، وجثا بين يدي ربّه (=الاسم الربّ) الذي هو مقدّم صاحب الميمنة،

---

١ الحارث: الشيطان
٢ ص ١٤٠
٣ [الأعراف : ١٧]
٤ ثابتة في الجوار بقلم آخر
٥ [الأنعام : ١١٢]
٦ [الناس : ٤ - ٦]
٧ "في بواطن.. الإنس" ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب

ويجعله سفيرا بينه وبين الاسم "الرحمن". وعرّفنا الله[1] بذلك كلّه لنعرف مكايده. فهو يقول للإنسان بما يزيّن له: ﴿اكْفُرْ﴾ فإذا كفر، يقول له: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ. فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا﴾ لأنّ الكفر هنا هو الشّرك، وهو الظلم العظيم. ولذلك قال: ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾[2] يريد المشركين. فإنّهم الذين لبسوا إيمانهم بظلم.

وفسّره رسول الله ﷺ بما قاله لقمان لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[3] فعلمنا، بهذا التفسير، أنّ الله أراد بالإيمان هنا في قوله: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾[4] أنّه الإيمان بتوحيد الله؛ لأنّ الشرك لا يقابله إلّا التوحيد. فعلِم النبيّ ﷺ ما لم تعلمه الصحابة. ولهذا ترك التأويلَ مَن تركه مِن العلماء ولم يقل به، واعتمد على الظاهر، وترك ذلك لله إذ قال: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾[5] فمَن أعلم اللهُ بما أراده في قوله؛ عَلِمَهُ بإعلام الله، لا بنظره. ومن رحمة الله بخلقه أنّه غفر للمتأوّلين من أهل ذلك اللسان العلماء به، إذا أخطؤوا في تأويلهم فيما تلفّظ به رسولهم: إمّا فيما ترجمه عن الله، وإمّا فيما شرع له أن يشرّعه قولا وفعلا.

وليس في المنازل الإلهيّة كلّها على كثرتها -ما ذكرنا منها في هذا الكتاب، وما لم نذكر- مَن يعطي الإنصاف، ويؤدّي الحقوق[6]، ولا يترك عليه حجّة لله ولا لخلقه؛ فيوفّي الربوبيّةَ حقّها، والعبوديّة حقّها؛ وما ثمّ إلّا عبدٌ وربٌّ؛ إلّا هذا المنزل خاصّة. هكذا أعلمنا الله بما ألهمَهُ أهل طريق الله الذي جرت به العادة أن يُعلِّمَ اللهُ منه ورثةَ أنبيائه. وهو منزل غريب عجيب: أوّله يتضمّن كلّه، وكلّه يتضمّن جميع المنازل كلّها.

وما رأيت أحدا تحقّق به سِوى شخص واحد مكمَّل في ولايته، لقيته بأشبيلية وصحبته، وهو في هذا المنزل، وما زال عليه إلى أن مات -رحمه الله-. وغير هذا الشخص فما رأيته، مع أنّي ما

---

١ ص ١٤٠ب
٢ [الحشر : ١٦، ١٧]
٣ [لقمان : ١٣]
٤ [الأنعام : ٨٢]
٥ [آل عمران : ٧]
٦ ص ١٤١

أعرف منزلا، ولا نِحلة، ولا مِلّة؛ إلّا ورأيت قائلا بها، ومعتقِدا لها، ومتَّصفا بها؛ باعترافه من نفسه. فما أحكي مذهبا، ولا نِحلة؛ إلّا عن أهلها القائلين بها، وإن كنّا قد علمناها من الله بطريق خاص. ولكن لا بدّ أن يرينا اللهُ قائلا بها؛ لِنعلم فضل الله عليّ وعنايته بي.

حتى أنّي أُعلِمت أنّ في العَالَم مَن يقول بانتهاء علم الله في خلقه، وأنّ الممكنات متناهية، وأنّ الأمر لا بدّ أن يلحق بالعدم والدثور، ويبقى الحقُّ حقّا لنفسه، ولا عالَم. فرأيت بمكة من يقول بهذا القول، وصرّح لي به معتقدا له (وهو رجل) من أهل السوس من بلاد المغرب الأقصى؛ حجّ معنا وخدمنا. وكان يصرُّ على هذا المذهب حتى صرّح به عندنا، وما قدرت على رَدِّهِ عنه. ولا أدري[1]، بعد فراقه إيّانا، هل رجع عن ذلك؟ أو مات عليه؟ وكان لديه علوم جمّة وفضل، إلّا أنّه لم يكن له دين؛ وإنما كان يقيمه (أي يقيم الدين) صورةً؛ عصمةً لِدَمِه. هذا قوله لي، ويعطيه مذهبه. وليس في مراتب الجهل أعظم من هذا الجهل، ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[2]

انتهى السفر السابع والعشرون بانتهاء الباب الثالث والثمانين وثلاثمائة. يتلوه الباب الرابع والثمانون وثلاثمائة في أوّل فصل المنازلات. وحسبنا الله ونعم الوكيل.[3]

---

١ ص ١٤١ب
٢ [الأحزاب : ٤]
٣ كتب في الهامش: "عورضت هذه المجلدة بالنسخة الأولى وكلتاهما بخط المؤلف ﷺ وذلك في حلب، وتمّ في سنة أربعين وستمائة. والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى". وأسفل المتن ختم الأوقاف الإسلامية برقم ١٧٥٩

المحتويات



طبع بمطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب



العالم كله جماله ذاتي، وحسنه عين نفسه، إذ صنعه صانعه عليه؛ ولهذا هام فيه العارفون، وتحقق بمحبته المتحققون؛ ولهذا قلنا فيه في بعض عباراتنا عنه: "إنه مرآة الحق"، فما رأى العارفون فيه إلا صورة الحق. وهو- سبحانه- الجميل؛ والجمال محبوب لذاته، والهيبة له في قلوب الناظرين إليه ذاتية؛ فأورث المحبة والهيبة؛ فإن الله ما كثّر لنا الآيات في العالَم وفي أنفسنا- إذ نحن من العالَم- إلا لنصرف نظرنا إليه: ذِكرا، وفكرا، وعقلا، وإيمانا، وعلما، وسمعا، وبصرا، ونُهى، ولُبًّا. وما خلقنا إلا لنعبده ونعرفه، وما أحالنا في ذلك على شيء، إلا على النظر في العالَم؛ لجعله عين الآيات والدلالات على العِلم به: مشاهدة وعقلا.

محيي الدين بن عربي؛ الفتوحات المكية، ج. (9).

إن ابن عربي لا تُعرف أهميته في عالم الأدب والأخلاق؛ إلا إذا فكرنا جيدا فيما ترك من الثروة الأدبية والأخلاقية. يجب أن نتذكر أنه ترك ألوف الصفحات ومئات القصائد، وأنه راض اللغة على الطواعية للرموز والإشارات؛ وأنه علم الناس كيف يخوضون في أخطر الأحاديث، ثم يُسلمون؛ وأنه هضم ما درس من الفلسفة اليونانية، ومن أصول الديانة اليهودية والديانة النصرانية والديانة الإسلامية؛ ثم أحال ذلك كله إلى مِزاج من الفكر الفلسفي الدقيق، يعز على من رامَهُ، ويطول.

يكفي أن يتذكر القارئ أن ابن عربي سيشغل الناس، ما دام في الدنيا إنسان يهمه درس التصوف الإسلامي؛ وسيشغل الناس ما دام في الدنيا إنسان، يهمه الوقوف على ما صنع الذكاء في درس أسرار الوجود. لا تقولوا أخطأ ابن عربي أو أصاب؛ ولكن قولوا إنه رجل قضى العمر كله في محاورة العقل، ومناجاة الروح.

د. زكي مبارك

